مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء العاشر — شوال سنة ١٣٧٩ هـ — أبريل سنة ١٩٦٠ م — المجلد الحادي والثلاثون

## الفهـــــرس

# أمة التوحيد لابد أن تتحد

بقلم : أحمد حسن الزيات

---

التوحيد أصل الأصول فى دين الله - عليه قامت العقيدة واجتمعت الكلمة واتحدت الأمة ، وبه فتح العرب أكثر الأرض وحكم المسلمون أكثر الناس .

وليس التوحيد أن تقول : لا إله إلا الله . ثم تجعل معناها الجامع ومرماها البعيد وراء عقلك ودون وعيك ، فإن توحيدك الله معناه اعتقادك بأن لا سلطان إلا سلطانه ، وأن لا دستور إلا قرآنه ، وأن لا سبيل إلا شرعه ، وشرع الله إنما قام على الوحدة والجماعة ، لأن شرع الجاهلية كان يقوم على الشتات والفرقة . والشتات سببه الضلالة ، والفرقة أصلها الجهالة ، والضلالة والجهالة لا تجتمعان فى طريق ولا تتوافيان على غاية .

والعالم كان يوم بعث الرسول وظهر الإسلام جائر السبيل حائر الدليل خائر العزيمة ، يكابد فى هيكله المنحل عوامل البلى من وثنية توبق الروح ، وعصبية تمزق الشمل وجاهلية تقطع الطريق . وكان العرب يومئذ على الأخص أشتاتا من غير جامع ، وهملا من غير رابط ، فاضت فى نفوسهم الحياة وزخرت فى صدورهم القوة فصرفوا هذا النشاط العارم إلى نزاع لا ينقطع وصراع لا يفتر . فاقتضت حكمة العليم الخبير أن يكون لباب الدعوة المحمدية الوئام والسلام والهداية .

ومن أجل ذلك كانت الصفات الغالبة على شرع الله فى كتابه هى النور والهدى والاستقامة والرحمة : « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » . « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » . « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » . « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » . « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » . « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » .

ومن أجل ذلك أيضا كانت عزائم الله

فى الكتاب قائمة على ما يحقق الوحدة ويوثق العقدة ويديم الألفة، «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا». «ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم». «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم». «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان».

فالتوحيد إذن من الكلم الجوامع التى وعت جوهر الإصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة، فهو يدل بمفهوم لفظه على توحيد الله، ويلازم معناه على توحيد الرأى وتوحيد الحكم وتوحيد القبلة وتوحيد الخطة وتوحيد الغاية وتوحيد القوة وتوحيد القيادة. وفى سبيل هذا التوحيد قضى الإسلام على الفرد الذى يكفر بوحدة العقيدة والأمة أن يقتل. وعلى الطائفة التى تبغى على جماعة المسلمين أن تقاتل.

ومهما تختلف الآراء وتتشعب المذاهب وتتعدد الفرق فإن التوحيد الذى تضمن سر الإسلام كما تضمنت النواة سر النخلة، يظل بنجوة من الخلاف لا يخرج عنه ولا يمارى فيه إلا مشرك أو مرتد. كذلك الوحدة التى انبثقت عنه انبثاق النور عن الشمس والعبير عن الروض والحياة عن الروح، لا يجوز فى عقل واع ولا إيمان خالص أن تفرقها عصبية لحزب أو مذهب، ولا أنانية لزعيم أو حاكم.

والوحدة كما توجبها الشريعة لسلام الجماعة، توجبها الطبيعة لسلامة الفرد؛ لأن التشتت بعثرة للقوة وتوزيع للعدة، وليس فى الرمل المتزايل شدة الجبل المتماسك، ولا فى القطر المتفرق قوة السيل المجتمع. وإذا كان للقوى أن يعيش منفردا كالأسود، فليس للضعيف إلا أن يعيش مجتمعاً كالقرود.

ومن أسرار الطبيعة فى الحى إذا خلق أعزل من الناب الأعصل والظفر الحاد أن تنمى عدده بكثرة النسل. وتقوى ضعفه بضرورة الاجتماع. وتهبه الأخلاق التى تمسك المجتمع وتقويه من إيثار للغير وإنكار الذات واتحاد بالجماعة، ليستطيع فى حمى جنسه أن يضمن القوت ويأمن العدو. ومن أعجب العجب أن العالم العربى وقد قل بالانقسام وذل بالتخاذل يرى الخطوب تتواثب على جوانبه، والنوازل تتفاقم فى أحشائه، ثم تظل كل دولة من دوله سادرة فى مشاعب هواها لا تعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة ضعف النحل والنمل من التكافل والتعاون، ولا بما فرضته الشريعة على المستضعفين من التواصل والتضامن، وقد كانوا أحرياء بحكم الطبع والشرع أن يتحدوا فى السياسة الموجهة والقوة المدافعة والدستور المشرع والرئيس الحاكم.

إن الدويلات الضعيفة كان لها فيما مضى من الزمن السعيد حارس من سلطان الدين وحكم القانون وعرف السياسة، فكانت تعيش فى ظلال الخلق الإنسانى العام حرة آمنة

لا تجد من جارتها الكبرى إلا ما يجد الصغير من عطف الكبير والفقير من عون الغنى .

فلما استكلب الطغيان واستشرى الطمع وامتدت أعين الأقوياء إلى ما فى أيدى الضعفاء ، عاش الناس عيش الوحش فى البر يفترس قويه ضعيفه ، أو السمك فى البحر يبتلع كبيره صغيره ، وسمى العادون المخربون هذا البغى الكافر استعماراً والتمسوا له العلل والأسباب ، وعاقبوا عليه الأسماء والألقاب ، وأدخلوه بمصطلحاته المقررة ومسوغاته المزورة فى دنيا الاسترقاق من أبواب القانون الدولى العام ! وحينئذ ذل الحق وعزت القوة ، وخرس العقل وتكلم الهوى ، وأفلس المنطق وأغنى السلاح ، وشعرت الأمم التى لا تملك العدد ولا العتاد ولا المال ولا العلم حين رأت أشداق الجبارين المستعمرين من دول الغرب تتحلب طمعاً فى احتلال الشرق واستغلاله ، شعرت أنها موضوع النزاع وموضع الصراع وغنيمة الحرب ، فاعتراها ما يعترى القطيع من التجمع والتضام حين يسمع من بعيد هيعة الذئب . وسعى بعضها إلى بعض بالتعارف والتحالف على اختلاف الجنس وتباعد الموطن ليتحدوا . ولكن الاتحاد الذى ألفه الله من صلة الدم ونسب الروح ورابطة اللسان وشركة الدار لا بد أن ينتهى إلى وحدة .

وقد آن لأبناء الأمة الوسطى ووراث الدعوة العظمى أن يذكروا ما نسوا ، ويجددوا ما طمسوا . ويعلموا أن الحق هو القوة ، وأن القوة هى الوحدة . وأن وحدة العرب كانت معجزة دين التوحيد ، قام عليها تاريخهم القديم ولن يقوم على غيرها تاريخهم الجديد .

إن اتحاد الدول العربية ضرورة خلقتها غريزة حب البقاء وهو لا بد واقع . أما وحدة الأمة العربية فهى واقعة بالفعل ؛ لأن كتاب الله لا يزال متروءاً وسنة رسوله لا تزال متبعة . فمن يقل إن العراق منشق على الوحدة لأن فلاناً انشق ليسمى نفسه الزعيم الأوحد ، وأن الأردن قد فارق الجماعة لأن علانا فارقها لينعم فى ظلال انجلترا بالعيش الأرغد ، وأن تونس تركت العقدة لأن ( أبا جان ) تركها لتصير عقدته بفرنسا أوثق وأعقد ، من يقل ذلك يكن من الذين لا يزالون يقولون بأن هوى الزعيم مشيئة الأمة ، وأن إرادة الملك شريعة المملكة ! .

إن الأمة العربية جمعاء لسان واحد وسيف واحد فى جهاد الاستعمار والبغى . فمن لم يكن معها فيه فهو عليها . ومن يمالئ عدوها لغلول فى صدره أو نكول فى طبعه فليس منها .

ومن تسول له نفسه أن ينقض اليمين بعد توكيدها ، ويفرق الأمة بعد توحيدها . فهو عربى من غير عروبة ، ومسلم من غير إيمان ، وإنسان من غير ضمير ؟

أحمد حسن الزيات

# الإسلام وحدة وجماعة

## لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

أيها الإخوة المؤمنون :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فإن الأعياد سنة فطرية جبل عليها الناس وعرفوها منذ فهموا التقاليد وأدركوا معنى الاجتماع ، ومرت بهم أحداث الخير والشر ومظاهر النصر والهزيمة . وبمقتضى هذه السنة الفطرية كان لكل أمة أعياد تظهر فيها أفراحها وتأخذ فيها زينتها ؛ تذكيراً بفضل أنعم الله عليها وتمكيناً للمعانى السامية التى وصلت إليها وتركيزاً للمثل العليا التى اقتحمت بها عقبات الحياة ، وما أحرانا اليوم حين بزغت علينا شمس العيد مذكرة لنا بما أفاء الله علينا من نعمة النصر كأثر للوحدة التى كانت تلبية للمعانى المستقرة فى نفوسنا من إيمان عميق وعقيدة راسخة وقلوب متآلفة ولغة وأهداف واحدة ، ماتت معها العصبيات المفرقة والطائفية المشتتة واستيقظت معانى الإيثار . وقويت التضحية . استجابة للمعانى الإنسانية والمثل العليا التى حوتها شريعتنا الإسلامية الغراء وبينها لنا القرآن الكريم وتحدثت بها السنة النبوية الكريمة «إنما المؤمنون إخوة» ، «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» ، «وأمرهم شورى بينهم» «وشاورهم فى الأمر» ، «والناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى» .

ذلكم أن السلام رائدنا والوحدة هدفنا والوحدة هى دعامة السلام وأساس النظام وقوة للأمم المهيضة الجناح فأنعم بها يوم أن انبثقت من نفوس شعبينا فى قوة إرادة ، وصدق عزيمة فأيدها الله وملأ بها القلوب ، وها هى ذى تؤتى ثمرتها فترهق الأعداء بما أينعت ، ومن ثم دارت رءوسهم ، وتفطرت عقولهم فلا يجدون إلا أن يطلقوا شياطينهم توسوس هنا وهناك ظنا منهم أن ذلك البناء الأشم يستطيعون أن يتطاولوا إليه بعد أن غدا سامقا لا يرقى إليه طير ولا تصل إليه وسوسة وهيهات هيهات فإنها الوحدة التى صاغتها القلوب المتآلفة ووقفت من خلفها الأرواح الزاكية تحميها وتذود عنها ، ولكم ظلت آمال العروبة تهفو إليها بحرارة وشوق عاملة على جعل الحلم حقيقة واقعة . ولكم ظللنا نرقب ذلك وظل أملا تتطلع إليه النفوس المؤمنة حتى هيأ الله لهذه المعانى من أبرزها ، فإذا بالخيال يغدو واقعا ، وإذا بالأحلام تصبح حقائق .

وللجماعة فى نظر الإسلا[م] [ميـ]ـزة شعارها الوحدة الكاملة وإن أبرز [الـ]ـعنا[صر] من النواحى التى كانت أساسا للوحدة والتى اتخذمنها الشعار العام للشخصية الإسلامية ما حكاه الله عن جدى العروبة والإسلام : ابراهيم وولده إسماعيل ، وهما يرفعان القواعد من البيت الحرام : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » .

إنهما قد دعوا بالإسلام لله والإخلاص له والاعتصام بدعوته دون أن يكون لسلطان الدنيا أو شهوات النفس ومقتضيات العصبية سلطان عليهما ولا على قلبيهما ، وقد طلبا ذلك لذريتهما أيضا « ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » . ومن ثم كانت الوحدة فى الإيمان والعمل أساسا وشعارا للجماعة فى نظر الإسلام منذ أن وضعت اللبنة الأولى فى بنائه على عهد جدى العروبة : ابراهيم وولده اسماعيل وبذا كانت العروبة والإسلام قوتين متعاونتين تشد إحداهما أزر الأخرى وتهيئان النفوس المستعدة للخير والإصلاح إلى اقتحام ما يكيد به أرباب الفساد والشر الأثيم ويضعونه عقبات فى طريق النمو الإنسانى الفاضل الكريم . وحينما اكتمل النمو البشرى السليم جاء الإسلام دين الوحدة والجماعة يحمله كتاب عربى على لسان رسول عربى كريم . وقد نحى عن أمته صبغة الجنسية والإقليمية ليجعل منها أمة واحدة متراصة متكاملة البناء قوية الدعائم فلطالما أغرت هذه العصبيات بين الناس العداوة والبغضاء ، وقضت على روح التعاون والتحاب والتواد والتراحم ، جاء الإسلام بوحدة العقيدة ووحدة العبادة ، ووحدة السلوك ، ووحدة الأهداف مع وحدة الرحم ، وأخذ ينادى الخلق بنداءات إلهية مختلفة تحرك فى نفوسهم كل معانى الوحدة الفاضلة وتبعث فى قلوبهم الألفة والمحبة « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » ، « يابنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما » . ولا بد لحماية هذه الوحدة من عوامل أخرى تتصل بالغير وترتبط به والله سبحانه وتعالى ينادى عباده بأن يكونوا إيجابيين فى بناء وحدتهم ويحذرهم من عوامل الفرقة والتفرق ويحذرهم أن يستمعوا إلى أراجيف المرجفين الذين يضيقون ذرعا بنتائج الوحدة والألفة فيحاولون العبث والإفساد « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

ونذكر فى هذا المقام موقف اليهودى الذى ساءته وحدة الأوس والخزرج فحاول أن يغرى بينهم العداوة والبغضاء فهموا إلى السيوف يعيدون الحرب جذعة وكاد الفريقان يقتتلان لولا أن وقف الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وقال : « يا معشر المسلمين أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟ الله .. الله ، الله فى دينكم الله فى إسلامكم ! » فأدرك القوم أن ما أريد لهم من فرقة إنما هى نزعة شيطان وكيد عدو . فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى سمع وطاعة ، وهكذا التأمت الجراح وعادت الوحدة إليهم . وما أشبه الليلة بالبارحة حيث يسعى قوم بين وحدة العرب بالفساد ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : « يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

وينوه الله بنعمة الوحدة والألفة فيقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

إن الأجيال جميعا لترقب هذه الوحدة وإننا لندعوه سبحانه أن يكمل عقدها وأن تصبح شاملة فتقهر الاستعمار وتحيا فى ظلها أمم غلبت فيهم كلمة التفريق فأرغمتهم على حياة القهر والذل ، وحينئذ تكون هذه الوحدة مصدر سعادة العرب أجمعين يرتفع بها شأننا ، وتصد الغوائل عنا ، وتطهر أرضنا من المرجفين الذين ينفثون سمومهم « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده » .

ولنتجه جميعاً إلى الحق الذى رسمه الله لنا ، أدام الله التوفيق لفتى العروبة والإسلام وبطل هذه الأمة جمال عبد الناصر .

ووفقنا الله وباعد بين العروبة وبين المفسدين الذين تدفعهم العصبية الهوجاء إلى الغل والحقد والضغينة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود شلتوت

# عود إلى الثقافتين

## ليس في الإسلام مشكلة ثقافية

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرضنا فى إحدى مقالاتنا بمجلة (الأزهر) لمشكلة الثقافتين عند الأمم الغربية. والمقصود بها مشكلة الانفصال بين ثقافة العلم وثقافة الأدب ، واتساع الهاوية فترة بعد فترة بين تفكير العلماء وتفكير الأدباء وأصحاب الآراء النظرية، مما ينذر بإصابة « الشخصية الإنسانية» فى هذا العصر بداء كداء الفصام ، ويجعل الإنسان الناشئ على إحدى هاتين الثقافتين دون الأخرى كأنه نصف إنسان .

وقد كانت هـذه المشكلة مدار البحث فى سلسلة المحاضرات الفلسفية التى ألقاها الكاتب - العلمى الأدبى - الأستاذ سنو Snow فى شهر مايو الماضى . فثارت حولها ضجة من النقاش والنقد والتعقيب لم تنقطع إلى هذه الأيام ، لأن المشكلة - على ما هو ظاهر ليست فى المشكلات التى ينتهى الفصل فيها بسلسلة من المحاضرات ، أو بطائفة من الآراء تنشر ثم تطوى بعد أسابيع أو شهور ، ولا مناص فيها من إتباع القول بالعمل على منهاج متفق عليه ، فإن لم يبلغ التفاهم عليه مبلغ الاتفاق فلا أقل من أن يكون صالحا للتنفيذ والتقرير .

وقد عاد الأستاذ ( سنو ) إلى بحثه فى مقال نشرته مجلة المساجلة Encounter فى عددها الصادر فى شهر فبراير الماضى ، وأراد بمقاله هذا أن يلم أطراف المناقشة ويعقب عليها بخلاصة رأيه بعد عرض أقوال الموافقين والمخالفين من الباحثين قبله أو بعده فى مشكلة الثقافتين، وقد جمعهم إلى طوائف ثلاث : موافقين فى الرأى والنتيجة، وموافقين فى الرأى مخالفين فى النتيجة ، ومخالفين يعارضون نظرته كل المعارضة فى وصف المشكلة ويرون أن العصر الحديث كالعصر القديم فى تعدد الثقافات ، مع اختلاف الموضوع والمقدار .

ولا يعنينا هنا تفصيل أسباب الخلاف بين آراء الموافقين والمعارضين . فذلك شرح يطول ولا علاقة له بالناحية التى نحول إليها البحث من أمر الثقافة الإسلامية .

ولكننا نجتزئ بالإشارة إلى رده المجمل على المخالفين . ثم بالإشارة إلى الحل الذى يقترحه لعلاج المشكلة من الوجهة العامة .

فالمخالفون يقولون : إن الحال لم تتغير فى جوهرها من أيام عصر النهضة إلى اليوم . فلو تلاقى عالم فقيه وشاعر فنان قبيل القرن

السادس عشر لما كان بينهما من التفاهم والتقارب أكثر مما يكون بين علماء العصر الحاضر وأدبائه أو مفكريه النظريين.

وجواب الكاتب على هؤلاء أنه لا يسلم بأن المسافة بين الفريقين كانت على هذا البعد منذ ثلاثة قرون، ولا يقول إن العلم والأدب كانا قريبين متلاقيين فى القرن السادس عشر، ولكنه يقول إن القنطرة بينهما كانت موجودة مستقرة وهى اليوم تتهدم شيئاً فشيئاً وتوشك أن تزول، وأنه على أية حال لا يريد أن تتوحد معرفة العالم ومعرفة الأديب، ولا أن يتم التفاهم على نمط واحد بين جميع المثقفين، وإنما يريد أن تقام القنطرة وتظل قائمة لمن يعبرها. ولا يعجز أحد عن عبورها إذا أراد.

أما حل مشكلة الثقافتين من الوجهة العامة عند الكاتب فهو تعميم التصنيع فى المجتمعات الحديثة، ولا بد - على رأيه - من الاختيار بين البدائية الهمجية وبين تصنيع المجتمع وتعويد الناس جميعاً أن يعيشوا معيشة الحضارة العلمية، فيصبح التثقف العلمى حقيقة واقعة يزاولها الناس فى البيوت والأسواق وفى ميادين الرياضة البدنية والنفسية، وفى حينها تحول الإنسان بين العمل الصالح واللهو البرىء، لاضطرارهم إلى استخدام الآلات.

والكاتب، فيما نعتقد، مصيب من الجانب الذى ينظر إليه، وهو جانب (الإنسان الغربى) وارث العلم والأدب فى البلاد الأوربية أو الأمريكية من القرون الأولى بعد الميلاد.

فقد عاش هذا الإنسان على الدوام فى ميدانين متقابلين من عالم الثقافة: ميدان الروح وميدان الجسد، أو ميدان ملكوت السماء وميدان ملكوت الأرض، وكان الانفصال بين الميدانين بعيد الأمد يكاد ينتهى إلى عالمين متناقضين أحدهما ملعون منبوذ هو هذا العالم المشهود، والآخر مقدس مطلوب ولكنه غائب وراء الحواس بل وراء العقول التى تتصرف فى الأمور الدنيوية.

وليس الانفصال بين العلم والأدب فى القرن التاسع عشر وما بعده إلا ميراثاً منه ولا من ذلك الفاصل القديم، ولا غنى فى هذه الحالة عن تقريب القواعد قبل تقريب البناء الذى يقام عليها.

ولهذا لا غنى عن سؤال يجاب عليه قبل البحث فى الحلول العامة المقترحة، سواء منها حل الكاتب الانجليزى وحل غيره من المفكرين العلميين والنظريين.

هذا السؤال هو: ما الرأى فى « الشخصية الإنسانية » على أى وضع من الأوضاع الاجتماعية فى العصر الأخير: عصر الصناعة وحضارة العلم الحديث أو عصور الزراعة والعلاقات الاقتصادية على اختلافها.

هل « الشخصية الإنسانية » هى موضع التربية والتثقيف وغرضهما ومدارهما فى جميع الأحوال ، أو أن موضع التربية والتثقيف وغرضهما ومدارهما شىء آخر لا يبالى مصير هذه الشخصية ؟ .

إن الإسلام لا مشكلة فيه من جهة الثقافة على أنواعها ؛ لأن « الضمير الإنسانى » هو المسئول دنيا وأخرى عما يعمله الإنسان وما يعلمه وعما يدين به فى نجواه وما يدين به بينه وبين غيره .

والتربية فى الإسلام هى تهذيب هذه « الشخصية » وتزويد قواها الفكرية والبدنية معا بكل ما يصلحها للعلم والعمل .

وكل تربية ينالها الإنسان فهى امتداد لقوة من قواه ، سواء منها قوة البدن وقوة الروح ، وإنما تعرف قيمتها بميزان القوة التى تمدها وتزيدها وتهيئها للعمل فى الحياة الخاصة أو الحياة الاجتماعية العامة .

فالتربية الصناعية تجعل للإنسان يدا أقوى من يده أو قدما أقوى من قدمه ، أو بصراً أقوى من بصره ، أو سمعا أقوى من سمعه ، وهى تربية ضرورية نافعة لاغنى عن تعميمها بين الناس فى المجتمعات الحديثة ، ولا غنى لهذه المجتمعات عنها فى عصر الصناعة والمخترعات .

هذه التربية الصناعية قوة تمنح الإصبع قدرة على أن يحرك الجبال بالضغط على زر صغير ، وتمنح العين قدرة على النظر بالمجاهر والمناظير إلى دقائق الخفاء وإلى آفاق السماء .

ولكن هذه القوى جميعا لن تبلغ فى القيم الإنسانية مبلغ القدرة التى ترفع ضميره وتوليه من الشعور والفكر وسيلة توسع أمامه آفاق الحياة وتبسط بين يديه كونا أعظم من الكون الذى يعيش فيه جسده ووجودا أتم من الوجود الذى يلابسه بأعضائه البدنية ولو بلغت غاية مداها من بسطة وامتداد .

إن « زرا » يضغطه الإنسان بإصبعه قد تمنحه قوة ألف إصبع أو آلاف من الأصابع تحسب بالملايين ، ولكن « الشخصية الإنسانية » لا تتوقف عليه ، وقد تصنعه للإنسان شخصية أخرى فيعمل به كل عمله المطلوب ، فليس فى الضرورى أن يكون صانع الزر هو المنتفع به أو هو المتعلم لتركيبه واستخدامه ، ولا شأن له فى إتمام « كيانه الإنسانى » ولا فى الارتفاع به إلى ماهو أهل له من مراتب الكمال .

ولكن القدرة الروحية إذا عرف بها الإنسان مزايا الخير والجمال وتذوق بها محاسن الحياة الفكرية والعاطفية تتوقف على « الشخصية » التى تستطيعها ولا تصنعها لها شخصية أخرى كما تصنع الأزرار والمجاهر والمناظير .

وهذا هو الفارق بين تربية وتربية ، وبين إنسان مثقف وإنسان ناقص التثقيف ، أيا كان نظام المجتمع وأيا كان حظه من التصنيع .

فإذا وجب التصنيع فإنما يجب لتمكين الإنسان من الانتفاع بصناعات عصره وتوزيع منافع الصناعات بين جميع أبناء المجتمع على سنة الإنصاف والتعاون فى المصلحة والخير ، ولكن المجتمع الذى سيصنع الأزرار والمجاهر والمناظير لأبنائه لا يعطيهم كل شىء ولا يزودهم بمقومات الحياة التى يحتويها كل ضمير بينه وبين الله وبينه وبين الناس ولا يستطيع أن يعول فيها على معمل من معامل التصنيع يتكفل بتوريد الضمائر لأبنائه كما تتكفل المعامل بتوريد هذه الأداة أو ذلك المخترع المصنوع .

ولن تتم فى مجتمع من المجتمعات ثقافة عالية جديرة بأن تسمى ثقافة إنسان مالم تكن ثقافة شاملة يتم بها قوام « الشخصية الإنسانية » بريئة من داء الفصام موفورة الحظ من الضمير والجسد . ومن العلم والأدب ومن مطالب الأذواق ومطالب العقول .

**عباس محمود العقاد**

---

## قلم الحبر اختراع عربى

قيل : إن قلم الحبر اخترع فى القرن الثامن عشر الميلادى . وقيل إن الأمريكيين كانوا أسبق الناس إلى معرفته .

والحق أن الذى اخترعه هو المعز لدين الله الفاطمى فقد جاء فى كتاب المجالس والمسامرات على لسان القاضى أبى حنيفة النعمان بن محمد بن منصور التميمى قاضى قضاة المعز المتوفى سنة ٣٦٣ هـ قال : ذكر الإمام المعز لدين الله القلم فوصف فضله .

ثم قال : « نحن نريد أن نعمل قلما يكتب به بلا استمداد من دواة منه يجعله الكاتب فى كمه أو حيث شاء فلا يؤثر فيه ولا يرشح شىء من المداد منه ، ولا يكون ذلك إلا عند ما يبتغى منه فيكون آلة عجيبة لم نعلم أنا قد سبقنا إليها . فقلت : أو يكون هذا يا مولانا عليك سلام الله ؟ قال : يكون إن شاء الله .

فما مر بعد ذلك إلا أيام حتى جاء الصانع الذى وصف له الصنعة ومعه قلم من ذهب فأودعه المداد وكتب به فكتب وزاد شيئا فى المداد على مقدار الحاجة . وأمر بإصلاح شىء منه فأصلحه وجاء به وإذ هو قلم يقلب فى اليد ويميل إلى كل ناحية . فلا يبدو منه شىء من المداد وإذا أخذه الكاتب وكتب به كتب أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به ثم إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد .

**أ - ع - الزيات**

# دور الأمومة فى الخدمة الاجتماعية

للأستاذ الدكتور محمد البهى

**ما هى الخدمة الاجتماعية :**

أول ما يتبادر إلى معالج لهذا الموضوع أن يسأل : ما هى الخدمة الاجتماعية ؟ ولكى يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال يجب أن يتعرض لجوانب المجتمع العديدة . والمجتمع البشرى - كمجتمع - يقوم على إقرار بهدف معين لأفراده . وهذا الهدف المعين المشترك بين الأفراد يدفع بالضرورة إلى إيجاد نوع من العلاقات بينهم ، لا يمكن بحال من الأحوال أن يتركوها فتضعف ، فضلا عن أن يتخلوا عنها . وإلا انحل المجتمع من نفسه وصار مجموعة من الأفراد ، يعيشون وحدات مفرقة منثورة ، تختلف أهدافهم وتتعارض اتجاهاتهم تبعا لاختلاف أهدافهم فى الحياة .

المجتمع البشرى يصنع ، ولذا فهو طارئ فإذا ذهب الهدف الذى من أجله قام مجتمع من المجتمعات ، ذهب هذا المجتمع فى مجتمع آخر قائم بالفعل أو مجتمع ينشأ عنه وعندئذ ينشأ لهدف . وربما يكون هذا الهدف الهدف السابق نفسه فتكون نشأة المجتمع وقتئذ « نهضة » . فإذا كان الهدف على الضد من الهدف السابق كان مجتمعا آخر جديداً ، مع أن أفراد المجتمع السابق هم أفراد المجتمع الجديد .

جاء الإسلام فوجد مجتمعاً عربيا فى شبه الجزيرة العربية . له عرفه وتقاليده ، وله هدفه وغايته . ووجد مجتمعاً فارسيا فى منطقة الامبراطورية الفارسية له عرفه وتقاليده ، وله هدفه وغايته ، ووجد مجتمعا رومانيا شرقيا فى رقعة الشرق الأدنى له عرفه وتقاليده ، وله هدفه وغايته . ووجد مجتمعا مصريا وآخر فى شمال إفريقيا لكل منهما عرفه وتقاليده ، وهدفه .

١ — فكان من العرف والتقاليد التى سادت هذه المجتمعات بصفة مشتركة — اضطراب التوازن الاجتماعى وتعدد الطبقات فى المجتمع ، مرة على أساس من النسب ، وأخرى على أساس من الثراء فى الملك والتجارة ، ومرة ثالثة على أساس من المعرفة الدينية ، ورابعة على أساس من جاه الحكم . فكانت هناك الطبقة الاستقراطية فى الشرف والطبقة الأخرى الوضيعة المقابلة لها ، وكانت هناك الطبقة الرأسمالية والأخرى العاملة المستذلة ، وكانت هناك طبقة الكهان

أصحاب العرافة أو المعرفة الدينيـة والطبقة الأخرى التى تطيعها ولا تناقشها ،وهى طبقة المستسلمين أو التابعين ، وكان هناك البيت الحـاكم أو الأسرة الحاكمة من جانب والرعايا المحكومون من جانب آخر .ووصل اختلال هذا التوازن الاجتماعى إلى أن أصبح الإنسان سلعة تباع وتشرى ، وأصبح الرق البشرى تجارة رابحـة ، وأصبح الذل والاستذلال طابعا لحياة فريق فى المجتمع ، بينما الصلف ـ ومن توابعه الظلم ـ طابعا لفريق آخر فيه .

٢ ـــ وكان من العرف والتقاليـد التى تميزت بها هذه المجتمعات شيوع الترف القائم على الإسراف والفساد ، والانحـراف عن خط الاستقامة والسلوك المهذب فى جانب ، وفى الوقت نفسـه شيوع الفقر والفاقة فى جانب آخر .

وكما كانت « الفجوة » أو « التناقض والمقـابلة » مظهرا مسـيطرا بين طبقات المجتمع وفى جوانبه ـ كانت هذه الفجوة أو هذه المقابلة مظهرا مسيطرا كذلك بين نوعى الأفراد فى بعض هذه المجتمعات . فـكان للرجل قيمة وللمرأة من الأفراد قيمة أخرى، تقربها من أن تـكون طبيعة منفعـلة على الدوام ، ليس لها إيجابيـة فى المجتمع سوى أن تقبل التوجيه فى صوره المختلفة من الرجل.

٣ ـــ وكان من العقائد وصور الإيمان التى كانت تحكم هذه المجتمعات ـ ولعل ذلك كان نتيجة لتلك المفارقات والفجوات الواضحة فيها ، التى قامت عليهـا الطوائف والطبقات هناك ـ أن رفع الإنسان إنسانا آخر فألهه وعبده ،أو دنا بنفسه فى التقدير فعبد ما هو دون الإنسان فى موجودات هـذه الأرض من نار أو حجر ، وبذلك أضفى القدسية . وأسند النفع والضر ، إلى مالا قدسية له من طبيعته ، ولا نفع أو ضر ينبثق أصلا عن ذاته . فـكان الشرك فى العبادة ، وكان الهوان فى الاعتقاد .

## الإسلام خلق مجتمعا جديدا :

جاء الإسلام بنظـام وبرسالة للبشرية . وحدد فى هذا النظام وفى هذه الرسالة هدف المجتمع الإسلامى . حدده برفع الظلم الاجتماعى ورفع الطائفية والطبقية من مجتمعه ، وأعلن قيمة الإنسان من خصائصه البشرية وحدها . لامن أرستقراطيته فى شرف سابق فى النسب ولا من جاهه فى الثراء أو الحـكم ، ولا من انتسابه للون معين من العرافة أو المعرفة ، فـكان قول القرآن الـكريم : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمـــكم عند الله أتقاكم » . فالناس جميعا بمقتضى هـذه الآية من خلق واحـد . فـكل فرد جاء من ذكر وأنثى . وإذن أصل النشأة واحد . ثم هم بعد

التشابه وعدم التغاير فى أصل النشأة يتميز بعضهم عن بعض بمدى تنمية طبيعته وتطوير إمكانياتها واستعداداتها البشرية ، وهى إمكانيات واستعدادات تختلف تماماً عن تلك التى يشارك فيها الحيوان . ولذا كان التعبير فى هـذه الآية عن هذا التميز بعد التشابه فى الطبيعة بقوله : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » - تعبيرا فى غاية الدقة . لأنه أفاد : أن أمارة هذا التميز هو الاتقاء والتجنب . وشأن الاتقاء والتجنب لأى أمر أو تصرف وسلوك لا يتم إلا بإرادة . والذى يدرك من الكائنات حدود ما يُتقى ويُتجنب هو الإنسان وحده . ولذا الذى له إرادة من بينها - وبالأخص عند الاتقاء والتجنب - هو الإنسان وحده أيضا . إذ الحيوان لا يفرق بين ما ينبغى ومالا ينبغى ، ثم ليست له إرادة بجانب عدم إدراكه المميز . فشأن الحيوان أن يُدفع ويساق ، وأن يحال بينه وبين أمر ما . وهو لا يعرف أن يُقدم ، فضلا أن يدرك : متى يقدم ؟ . لا يعرف أن يمتنع ، فضلا عن أن يدرك : متى يمتنع ؟ .

وبجانب إعلان الإسلام لقيمة الإنسان على هذا النحو - فألغى بذلك الطبقية والطائفية . وفى ضمن إلغاء الطائفية والطبقية إلغاء الرق والبيع والشراء للإنسان - أعلن المساواة فى النشأة والأصل بين الذكر والأنثى من الإنسان ، وذلك فيما تذكره هذه الآية الكريمة : « ومن كل شىء خلقنا زوجين . » إذ بمقتضى منطوق هذه الآية الكريمة أن كل جنس من أجناس الكائنات خلق منه زوجان ذكر وأنثى فى الإنسان ، والحيوان ، والنبات . وقابل وفاعل أو موجب وسالب فيما عدا الإنسان والحيوان والنبات .

وكما كانت نظرة الإسلام إلى البشر فى أنهم شعوب وقبائل هى للتعارف والائتلاف والانسجام ، وليست للتباين والتعارض والنفرة - كذلك نظرته إلى خلق الزوجين من كل شىء كانت غايته أيضاً الائتلاف والانسجام وليس النفرة والتعارض . ويشير إلى هذه الغاية ما تنطق به آية أخرى هى قوله تعالى فى شأن الذكر والأنثى من الإنسان : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » ، وقوله : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها » .

وكان لابد من وجهة نظر الإسلام - وقد أعلن مساواة البشر فى الطبيعة ، ومساواة الذكر والأنثى فى الأصل والنشأة ، وألغى تبعاً لذلك كل المفارقات والفجوات التى لا تتصل بالطبيعة الإنسانية - أن يدعو الإنسان إلى الاحتفاظ بقيمته الإنسانية سواء فيما يتصور ، أو فيما يتصرف ، أو فيما يعتقد .

وهنا فى دائرة الاعتقاد لا ينبغى له إذن

أن يؤله مساويا له في البشرية ، وبالأولى لا يؤله أقل منه في الطبيعة . وإلا إن فعل واحد منهما — يكون قد عكس آية الوجود فيما يتصل بخلقه ووجوده .

وهنا كان منطق الإسلام في دائرة العقيدة والإيمان أن يدعو الإنسان إلى أن يتجه بإيمانه وعبادته إلى حقيقة هي أعلى من الإنسان، وهي ذات المولى جل شأنه ، وأمارة كون هذه الحقيقة حقيقة عليا . أنها ليست شبيهة لكائنات أي جنس من أجناس الوجود . وقد عرفنا أن أجناس الوجود تقوم جميعها على الزوجية الذكر والأنثى . أو الفاعل والقابل ، وأنه عن طريق هذه الزوجية يكون الولد وتكون الكثرة والزيادة . فإذا كانت هذه الحقيقة العليا لم تولد فهي لا تلد أيضا ، وإذن فهي فرد صمد . وهذا ما ذكره الإسلام في سورة من السور القصيرة في كتابه في قوله : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

وبهذا كله حدد الإسلام غاية رسالته ، وخلق من التابعين له والذين آمنوا به من أفراد المجتمعات السابقة عليه المختلفة في الجنس أو الاعتقاد أو العرف والعادة ، مجتمعا جديدا . وأصبح التاريخ الإنساني يتحدث عن «مجتمع إسلامي» دخل فيه العرب والفرس ومن سيطر عليهم الرومان في الشرق الأدنى ، ثم امتد فوصل إلى ما وصل إليه انتشار الإسلام في إفريقيا وآسيا ، وفيما وراء إفريقيا وآسيا من قارات العالم القديم .

وهنا نجد أنه نشأ مجتمع جديد انحلت فيه المجتمعات التي سبقته ، وكان لهذا المجتمع الجديد هدف يغاير أهداف تلك المجتمعات السابقة ، وتبعا لقيام هذا المجتمع الجديد وجد نوع من الروابط بين أفراده ، يقصد إلى تحقيق الهدف وصيانة المجتمع نفسه من الضعف أو الانحلال . وتحقيق الهدف هنا هو توكيد اعتبار القيم التي جاءت بها الرسالة الإسلامية ، وهذه القيم هي ما يتعلق بوضع الإنسان وضعا متساويا للإنسان الآخر في الطبيعة والاعتبار ، وإلغاء الفوارق التي تقوم عليها عادة الطبقات والطوائف تبعا لذلك ، وكذا ما يتعلق بتحديد المقياس الذي يتميز بمقتضاه إنسان عن إنسان آخر ويفضل به شخص شخصا آخر ، وهو مقياس التنمية للمواهب والاستعدادات البشرية ، وليس مقياس النمو والتزيد في الشرف أو المال أو الجاه .

وجدة المجتمع الإسلامي إذن أنه مجتمع لا يعترف بالطبقات ، ويقوم على أساس المساواة ، وإن كان يقر مبدأ التفوق والمفاضلة في المعاني الإنسانية ، بينما المجتمعات

السابقة كانت مجتمعات طبقية ، أساس المفارقات بين الأفراد فيها عوارض تعرض لذات الإنسان ، دون طبيعة الذات نفسها ، وجدته أيضا فى أنه - بناء على رد الاعتبار للإنسان أى إنسان من حيث إنه طبيعة إنسانية - حول الإيمان بالشرك فى الألوهية - لأنه لا يتفق مع كرامة الانسان - إلى الإيمان بالوحدة ، لفت النظر إلى أن المعبود الواحد هو فوق الإنسان ، وأول الموجودات ، وأصل الوجود ونهايته كذلك « هو الأول والآخر » « كل شىء هالك إلا وجهه » .

* * *

هذا مثل يوضح كيف أن المجتمع الإنسانى يصنع ، وأن صنع أى مجتمع جديد لابد أن تسبقه دعوة إلى تحديد هدف جديد ، ويتلو تحديد الهدف الروابط بين الأفراد ، تلك الروابط التى تساعد على تحقيق الهدف الجديد أو استمرار قيام المجتمع الناشىء .

## الثورة المصرية نهضة فى مجتمع قائم :

ومثل آخر لا يوضح قيام مجتمع جديد ، ولكن يوضح « نهضة » المجتمع القائم بالفعل ، ونهضة أى مجتمع قائم تساوى قيام مجتمع جديد فى الحاجة إلى دعوة وفى الإيمان بما تتجه الدعوة إليه من هدف من قائد الدعوة نفسها ، والفرق بعد ذلك بين قيام مجتمع جديد ونهضة مجتمع قائم هو فى ذات الهدف ، فعند النهضة هدف المجتمع لم يتغير ، بينما عند قيام مجتمع جديد يستلزم الأمر تحديد هدف آخر يغاير تماما ما كان من هدف للمجتمع السابق عليه .

هذا المثل الآخر هو مجتمع « ثورة الإقليم المصرى » فى يوليو سنة ١٩٥٢ ، فمجتمع الإقليم الجنوبى قبل الثورة هو مجتمع إسلامى فى رقعة الوطن العربى ولكن غشاه من الانحراف ما جعله مجتمعا لا يعبر عن هدف المجتمع الأصيل ، فالمساواة التى دعا إليها الإسلام تحولت فى المجتمع إلى طبقات وطوائف ، وكرامة الإنسان التى أعلن عنها الإسلام فى توجيه العبادة والإيمان إلى الله وحده سقط اعتبارها تبعا لنمو المعنى الطبقى والطائفى فى ذاك المجتمع . وهنا ابتعد المجتمع المصرى السابق على الثورة عن هدفه ، وإذا ابتعد أى مجتمع عن هدفه ضعفت أو تلاشت الروابط التى ربطت بين أفراده لأن تلك الروابط وجدت لوجود الهدف وفى سبيل المحافظة عليه .

وعندما قامت ثورة الإقليم الجنوبى أعلنت هدفها فى : المساواة ، والكرامة الإنسانية ، أى أعلنت الهدف الذى هو المجتمع الإسلامى فى رقعة الوطن العربى - الإقليم المصرى - فهى ثورة لا انقلاب ، ولكن لإعادة المجتمع الإسلامى العربى فى الإقليم المصرى ، بعد ما ابتعد عن هدفه

وضعفت روابطه بين أفراده فيما قبل قيامها ورد أى مجتمع إلى هدفه الذى قام من أجله هو نهضة ، وليس إنشاء لمجتمع آخر جديد ، لأن الهدف لم يختلف عندئذ .

وإذن مجتمع الثورة العربية هو مجتمع إسلامى عربى ، أى مجتمع يرتبط بهدف المساواة ، ورفع الطبقية والطائفية ، وبالكرامة الإنسانية فى بلد عربى ، والقومية العربية لا تعنى إلا تحقيق هذا الهدف فى الوطن العربى ، ولا تعنى بحال شيئاً آخر فى ذلك ، وإلا كانت تعبيراً لا مدلول له ، وهدف المساواة والكرامة الإنسانية هو هدف الرسالة الإسلامية التى قام المجتمع الإسلامى على أساسها ، وحدد الروابط بين أفراده قصدا إلى تحقيقها ، وقد تجلى لنا هذا الهدف من توضيح قيام هذا المجتمع الإسلامى على أنقاض المجتمعات السابقة عليه .

وهنا نعود إلى شرح معنى : الخدمة الاجتماعية . ومعناها الآن بسيط كل البساطة : الخدمة الاجتماعية هى إذن كل عمل يصون هدف المجتمع من الضعف . هى كل عمل يسعى بطريق مباشر أو غير مباشر إلى وقاية هذا الهدف من التخلخل فى نفوس أفراد المجتمع . هو كل عمل يتمثل فيه هذا الهدف .

كيف ؟ إن توجيه الناشئة إلى القيم التى تتبلور فى هذا الهدف خدمة اجتماعية . وإن دفع أفراد المجتمع بالقول أو بالعمل إلى تنمية الشعور المشترك بينهم ، ذلك الشعور الذى يعكس بدوره هدف المجتمع - خدمة اجتماعية : إن إشعار الإنسان لإنسان آخر فى مجتمعه بمساواته له فى معنى الإنسانية، وفى الكرامة والاعتبار - خدمة اجتماعية . فمثلا إن أسند إليه عملا ، أو أعطاه شيئا ما يدفع به حاجته أو يدفع عنه أذى - لا يشعره بأنه أقل منه فى معنى الإنسانية أو فى الاعتبار والقيمة .

الإحسان فى صوره العديدة - فى العشرة والمعاملة ، فى الإعطاء والمنح ، فى الرعاية والولاية ، فى التوجيه والقيادة - خدمة اجتماعية .

الزكاة والصدقة - إن لم يصحبهما عدم الزهو وعدم الرياء - يصوران معنى الخدمة الاجتماعية . « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » . والأذى الذى يتبع الصدقة ليس هو الأذى المادى وحده ، بل والأذى النفسى . ومصدر الأذى النفسى عند المتصدق هو فى زهوه وريائه بصدقته .

إن قيام كل فرد بواجبه فى نطاق ما يناط به - خدمة اجتماعية : فقيام الموظف بوظيفته ، وقيام العامل بعمله - فى إتقان - فى مصنعه أو متجره ، وقيام صاحب العمل فى المصنع أو المتجر برعاية حق المستهلك والعامل معا ، وقيام الجندى فى الميدان بما يقتضى حق الدفاع عن الوطن ، وقيام رجل الشرطة بتنفيذ

القانون فى غير تمييز ، وقيام القاضى برسالة العدالة فى قضائه ، وقيام الطبيب برسالة الإنسانية فى مباشرته لعلاج زائريه .

كل ذلك خدمة اجتماعية . لأنه ينمى شعور الترابط بين الأفراد الذى أوجده هدف المجتمع من المساواة والكرامة . فهو بطريق غير مباشر يقى هدف المجتمع من الضعف أو التلاشى .

* * *

## الأمومة والمجتمع :

وهنا يأتى الحديث عن دور الأمومة فى الخدمة الاجتماعية . والأمومة ترجع إلى « الأم » فى معناها . والأم هى المرأة ذات الحنو والعطف . وكل امرأة معدة بطبيعتها ـ التى تتمثل فى الأنوثة ـ لأن تكون ذات حنو وعطف .

والحنو مشترك مع الانحناء فى المعنى ، والعطف مشترك مع الانعطاف وهو الميل كذلك فى معناه . وإذن من لوازم الأمومة الحنو والعطف أو الانحناء على الغير والانعطاف والميل نحوه . ودور الأمومة لذلك هو دور الانحناء على الغير والميل نحوه . ولأن الحنو والعطف أمر طبيعى فى الأم فالدور الذى تؤديه الأمومة من الانحناء على الغير والميل نحوه دور طبيعى ، ينبثق من طبيعة المرأة . وينميه فقط ممارستها لهذا الدور .

وكل عمل يقوم به الإنسان عن ميل واستعداد فطرى فيه ، يجد فيه متعة ، ويكون فى الوقت نفسه مثمراً . فأى جانب أو أية جوانب من جوانب المجتمع فى حاجة إلى حنو وعطف ، وبالتالى فى حاجة إلى دور الأمومة ؟ .

إنه جانب « الضعف » فى المجتمع ليقوى ، وجانب « الركود » ليستأنف حركته ، وجانب « الهبوط » لينهض .

إنه ميدان التربية والتنشئة ، ليسير الصغير ويعتدل فى سيره ، إنه ميدان التمريض ليدفع المريض عن كاهله ثقل المرض ويستأنف حركته فى الحياة » .

إنه ميدان الحرب ليزيل الجندى عن نفسه داعى الجبن وخور العزيمة ، وينهض بروح وثابة ملؤها الإقدام والأمل .

إن هذه الميادين يثمر فيها دور الأمومة ، دور الحنو والعطف ، أكثر وأسرع مما يثمر دور الرجل . بل إن قوة عضلات الرجل ، وصلابة إرادته قد تزيد ضعف الصغير والناشئ أو قد تدفعه إلى الاعوجاج فضلا عن أن تخلق من ضعفه هذا قوة واستقامة . وقد ترهق المريض بالإضافة إلى مرضه ، فضلا عن أن تعجل باستئنافه الحركة فى الحياة . وربما تكره الجندى على القتال ، ولكنها لا تجعل منه محبا للاستشهاد فى سبيل وطنه ومجتمعه .

إن الصغير والناشئ تستهويه نظرات الأم ويحن إليها كما يحن إلى أن يمتص اللبن من ثديها مباشرة ، فيطيعها ويتبعها فيما تفعل أو تقول فى يسر وفى هدوء وفى مقابل ذلك يخشى نظرات أبيه لأنها نظرات إنسان له من قوة الصوت وخشونة الحركة وضخامة بناء الجسم ـ بالقياس إلى المرأة ـ ما لا يغرى طفله بأن يسكن ويطمئن إليه كما يسكن ويطمئن إلى أمه . ومن هنا ندرك : أن رقة صوت المرأة ، وخفة حركتها ، ونعومة تكوينها الجسمى — هى التعبير الحسى المشاهد عما أودع فى طبيعتها من العطف والحنان . كما ندرك أن هذه الرقة فى الصوت ، وهذه الخفة فى الحركة، وهذه النعومة فى تكوينها الجسمى التى جعلها الرجل فى بعض الأحايين أمارة على ضعفها ـ هى التى تفعل فعلها فى تحويل الضعف فى الناشئ إلى قوة ، والجمود فى المريض إلى حركة ، والانحطاط النفسية ، وهبوطها عند الجندى المحارب إلى إقدام واستبسال عند الاشتباك فى ميدان الحرب والقتال .

وكذلك المريض فى سرير مرضه يستهويه ما يستهوى الصغير الناشئ من عطف الأمومة وحنانها إن قامت المرأة بتمريضه والعناية به إنه يشعر بما وهبها الله من طبيعة الأنثى ، عندما تلتقى نظرته بنظرتها ، أو عندما تقدم له بيدها الناعمة ما يسكن ألمه من علاج ، أو يشبع نفسه من طعام ، أو عندما يقترب وقع قدميها من سريره فى غير إزعاج — إنه يشعر بذلك فتتحرك الحياة فى نفسه ويقوى أمله فى الحياة من جديد . وهنا إذا قوى الأمل فى الإنسان ارتفعت قدرته على اجتياز الأزمات ، واستهان بها . وذلك سر النجاح فى الحياة ، ليس على المرض وحده وإنما على كثير من العقبات .

وشأن الجندى فى ميدان الحرب لا يتخلف عن أن يتأثر بعطف الأم وحنوها ؛ لأنه إذا رأى هذه الرقيقة فى صوتها ، والخفيفة فى حركتها ، والناعمة فى تكوينها تقاسمه مخاطر الميدان بوجودها فيه أو بالقيام على خدمته فى صحته ، أو بالعناية به فى مرضه — تذكر أنه رجل قوى العضلات ، صلب الإرادة ، أعد بقوة عضلاته وصلابة إرادته للدفاع عن وطنه ومجتمعه. وفى وطنه ومجتمعه من ينتظر منه أداء دوره الخاص به فى الحياة . فى وطنه أمه ، وامرأته ، وطفله ، وأبوه الشيخ وأولو رحمه . فى وطنه ومجتمعه فوق ذلك « العلم » الذى يرمز إلى شخصية هذا الوطن . « العلم » الذى يعبر عن الهدف الذى قام أو نهض من أجله هذا المجتمع . فإذا تذكر رجولته ودوره الخاص به فى حياة مجتمعه ارتفعت معنويته وتملكه الأقدام وأصبح جنديا لا يهاب الموت لأنه سيرى فيه الحياة .

سبحانك اللهم فى خلقك ! كيف ميزت بين الرجل والمرأة ؟ وما ميزت بينهما إلا لتجمع بينهما . وما أفردت واحد منهما بطبيعته ليستغنى عن الآخر أو ليعتزله فى الحياة . ولكنك زودت كلا منهما بطاقة ليتم الوفاق بينهما، وليكون أحدهما عونا للآخر فى حياته .

وإن مجتمعا إنسانيا لا يستقيم أمره أبدا ، إذا كان مجتمع رجال فقط ، أو مجتمع نساء فقط ، أو عطلت فيه طاقة الرجل ، أو عطلت فيه طاقة المرأة . إنه عندئذ يكون غير مجتمع طبيعى . إنه عندئذ لا يكون هو المجتمع الذى أراده الله الخالق ، الذى ميز كلا من الرجل والمرأة بميزة تدفع إلى لقائهما ، وإلى الحركة معا فى طريق الحياة البشرية .

* * *

**الأمومة والأسرة :**

هذا الذى للمرأة بحكم أمومتها من ميادين الخدمة الاجتماعية إن بدا متفرقا فى حياة المجتمع ، فهو مجتمع فى حياة الأسرة : فى الأسرة صغير وناشئ ، وفى الأسرة مريض ، وفى الأسرة من هو فى حاجة إلى أن ينهض كما ينهض الجندى فى الميدان .

فى الأسرة الولد ، وفى الأسرة المريض من الأولاد أو الزوج ، وفى الأسرة الزوج ، وهو فى حاجة - كالجندى سواء - إلى أن ينهض ويقدم فى حركته فى الحياة .

والأم لا غيرها بعطفها وحنانها ، برقة صوتها وخفة حركتها ، ونعومة تكوينها ، هى التى تستطيع أن تعين الصغير على السير والاعتدال فيه ، وتعطى الأمل للمريض فى الشفاء واجتياز أزمات المرض ، وتجعل من الزوج رجل إقدام وشجاعة فى الحياة .

إن هى قامت بدور الأمومة فى خدمة الأسرة خدمت المجتمع كله . ومن السهل عليها أن تقوم بدور الأمومة فى خدمة الأسرة لأنها أنثى وامرأة . والذى يصعب عليها أمر القيام بهذا الدور ليس هو طبيعتها . وإنما أمر خارج عما لها من طبيعة ، تميزت بالاستعداد للأمومة . قد تكون تنشئتها الأولى حرفت فيها هذه الطبيعة . وقد يكون عنادها للرجل أو تقليدها إياه قد استبد بها فكبتت ما لها من أنوثة . وبذلك ابتعدت عن أن تقوم بدور الأمومة . وهى إذ تبتعد عن أن تقوم بدور الأمومة ، لا تستطيع أن تقوم بدور الرجولة ، وإن حاولت أن تمثله لأن ذلك ضد طبيعتها الأولى . والإنسان لا يفقد خصائص طبيعته الأولى بحال ، وإن تعطل بعضها الحين بالقسر وقوة الإرادة ، أو بحكم التكوين والتنشئة فى أدوارها المختلفة .

والمرأة التى تحاكى الرجل ، والرجل الذى يحاكى المرأة كلاهما يعيش فى صراع مع نفسه . وطرفا هذا الصراع فى نفسه : الطبيعة الخاصة

بواحد منهما والأسلوب في الحياة الذى يريد أن يكره طبيعته عليه .

وكما أن تفريغ المجتمع ، أو تعطيله من المرأة أو الرجل يجعله مجتمعا غير طبيعى وعلى الضد مما أراده الله للإنسان ـ كذلك محاولة المرأة لأن تكون رجلا ، أو محاولة الرجل ليكون امرأة أمر غير طبيعى وعلى الضد مما أراده الله للإنسان .

* * *

**الأمومة والتربية :**

ولكن متى يؤدى دور الأمومة خدمة للمجتمع الكبير وهو الوطن أو المجتمع الصغير وهو الأسرة ؟ .

ليس فقط فى أن يكون فى تلك الجوانب من حياة المجتمع التى تحتاج إلى عطف وحنو . وإنما مع ذلك بأن يكون ذا قيمة وعلى صلة بالهدف الذى قام من أجله المجتمع ، أو نهض لبعثه من جديد .

وعلى نحو ما تفعل « الراهبة » فى مدرسة الصغار ، وفى ملجأ اليتامى أو الأطفال غير الشرعيين ، وفى المستشفى ، وفى ميدان القتال ـ فى أنها تقوم بدورها فى أى واحد منها لتنفذ إلى رسالتها ، وهى رسالة التبشير بما آمنت به . يجب أن يكون دور الأم ـ وهى كل امرأة ـ فى مجال الأمومة فى حياة المجتمع والأسرة معا .

يجب أن تذكر الصغير برسالة المجتمع الذى يعيش فيه . ورسالة المجتمع هى التى تحقق هدفه . يجب أن توقفه على خطوط هذه الرسالة تباعا وبالتدريج . ففى مجتمع ـ كمجتمعنا هذا ـ يجب أن تعرفه ما هو الإسلام ؟ وما هى القومية العربية ؟ .

يجب أن تذكر المريض بالله وبأنه محل الأمل ، وأنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون . يجب أن تثير فى الجندى حماس الاستشهاد فى سبيل الله . وسبيل الله هو سبيل الصالح العام للمجتمع .

ليست التربية زيا ، ولا غدوا ورواحا إلى مكان التعليم ، ولا نجاحا وسقوطا آخر العام ولا شهادة بإتمام الدراسة . إنما التربية تكوين عقلية وتكوين روح وخلق . أما العقلية فلكى يهتدى بها الإنسان فى حياته ، فلا يتخبط فى أحكامه وإدراكه لأحوال مجتمعه . وأما الروح والخلق فلكى يسلك فى حياته السلوك السليم ، سلوك المهذب وسلوك المضحى فى سبيل مثل مجتمعه ، لا سلوك الأنانى أو سلوك المخدوع بما فيه من واقع .

والمرأة التى تقوم بدور أمومتها فى مجالات الأمومة فى حياة المجتمع ، هى التى تقوم أولا بهذا الدور فى أسرتها الخاصة . لأنها عندئذ كمن يقيم البناء من أساسه .

الدكتور

محمد البهى

المدير العام للثقافة الإسلامية

# نفحات القرآن

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

## جانب من العبرة فى قصة آدم عليه السلام

ا وإذ قال ربك للملائكة : إنى جاعل فى الأرض خليفة !!
ب قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟؟
ﺟ قال : إنى أعلم مالا تعلمون !! .

تمهيد :

خلق آدم هو الومضة الأولى فى مجاهل الدنيا ، وكانت قصة آدم أول أحدوثة فى مطالع الحياة .

والقصص عن آدم ليس جديداً فى القرآن بل هو فيما اشتملت عليه الكتب السماوية ، وكتب الحديث النبوى عندنا ، وكتب التاريخ الإسلامى وغير الإسلامى .

وقد عنى القرآن فتعرض لقصة آدم فى ست وستين آية أو تزيد ، وجاءت هذه الآيات مبثوثة فى سبع سور ، وتناولت من شأن آدم جوانب عدة .

ولو أن القرآن الكريم أراد بنا استيعاب هذه الجوانب كلها من طريقة خاصة لأخذ فى تفصيل أوسع مما ورد فيه ، ولكن القرآن كما عودنا نهجه فى كثير من قضاياه وقصصه يكشف لنا الغطاء عما يكون مستوراً علينا ، وينبهنا فى قصد من البيان إلى ما ينبغى أن نحيط به ، ثم يكتفى بهذا الإيجاز فى توجيهنا إلى الاستقصاء من طريق بحثنا ، وتتبع ما يصل إليه جهدنا العلمى فى تراث الأنبياء والعلماء من أهل الذكر .

وفى هذا التوجيه مسايرة لقوله تعالى ـ إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ـ ومسايرة كذلك لقوله تعالى ـ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

وإذا كان للحديث عن آدم شعاب تطول ، فإنا نكتفي بجانب من العبرة فيه ، وهو حسبنا فيما زيد من نفحات القرآن .

ا ــ أفادتنا الآيات السابقة أن الله أخبر ملائكته أنه سيجعل خليفة فى الأرض ، وأن الملائكة ـ وكانوا على شعور سابق بأن آدم هو الذى سيستخلف ـ أخــذهم حب الاستطلاع أن يتعرفوا وجه الأرجحية لآدم عليهم ..إذ هم المسبحون بحمد الله،والمقدسون له . . أما آدم فليس ملكا متعبداً بل هو إنسان فيه ما فيه من طباع الشر ، فسيكون له فى الأرض فساد، وسفك الدماء ، فكيف يختار دونهم ، وكأنهم حسبوا أن الخلافة مسألة روحانية ، لمجرد العبادة ، لا لشىء آخر، فهم يستفهمون عن المرجح لآدم ، وهو دون مستواهم عبادة : لا مباهاة بأنفسهم ، ولا تدخلا فى فعل الله ـ فكان الجواب إجمالا فى قوله تعالى ـ إنى أعلم ما لا تعلمون ـ .

وقد كان فضلا من الله على الملائكة أن يخبرهم لشأن اقتضته حكمته ، وفى هذا توجيه لنا إلى سياسة رشيدة فى مجتمعنا : وهى مكاشفة الأعلى لمن هو دونه بما يفيده العلم به ، إذ لم يكن هذا النبأ استشاريا للملائكة ، ولا استعانة بهم ، ولا وفاء لهم بحق عند الله فيما يريد أن يفعله بملكه ، وهو لا يسأل عما يفعل .

بل كان ـ أولا ـ محض تلطف من جانبه ليشعر ملائكته أنه يكرمهم حين يفضى إليهم بما يريده ، ولعل هذا من مظاهر السمو حين يرى صاحب السلطان أن يطمئن المقربين إليه على مكانتهم عنده ، فيزيدهم ذلك عرفانا لفضله ، وشكراً على تلطفه معهم .

وكان هذا النبأ ـ ثانياً ـ سبقا إلى وضع معالم الهداية فى طريق الإنسان ، قبل أن يأخذ الإنسان طريقه فى دنياه ، فإذا برز الإنسان من أفقه المحدود فى عالم الغيب إلى أفقه الفسيح المهيأ لحياته ، ولحركاته وسكناته استطاع أن يقتبس لنفسه مما صنع الله مع ملائكته ، وأدرك أن الله قد بذر لعباده بذور المعرفة ، وعلمهم أن يفضى بعضهم إلى بعض بما يعنيهم من شأن ، وأن يجعلوا تدبيرهم جماعياً لا فردياً ، واستشارياً ، لا استبدادياً ، كما أفصحت عن ذلك الشرائع بعد .

وشاهد العبرة واضح فيما صنع الله ، فإذا لم يكن هذا الذى قررناه مستفاداً من صنيع الله ، فماذا يكون القصد الذى نلتمسه من إخبار الله للملائكة ؟ .

أيكون مجرد خبر لا غير ؟ ذلك بعيد !

وكان من مظاهر السمو والتلطف ـ مرة ثالثة ـ أن يتقبل الله استفهام الملائكة ، ويجيبهم إجمالا بأنه يعلم ما لا يعلمون .

فلم ينقم عليهم أن يسألوه ، ولم يبخل عليهم بالتنبيه إجمالا على أن لديه حكمة يعلمها وحده

ومن هذا فطن الملائكة إلى أن الأمر فوق تقديرهم ، فازدادوا طمأنينة إلى صنع الله وأيقنوا أن فى آدم صلاحية للخلافة ليست فيهم .

ومن هذه الفقرة فى القصة نستفيد أن توجيه الاستفهام من الأدنى إلى الأعلى رغبة فى العلم ليس تطاولا ، ولا مساس فيه بأحد الجانبين .

وأن الاقتصاد فى السؤال مع الأعاظم ضرب من الأدب الكريم كما تأدب الملائكة مع الله عز شأنه ، وفى التأسى بهم كمال وفلاح .

ثم يتجه التدبير الإلهى نحو الإعراب عن مقام آدم ، وكرامته على ربه ، فيخلق الله فى آدم علما بأسماء الكائنات من سموات ، وأرض ، وشمس ، وقمر ، وحيوان ، ونبات ، وهواء ، ونور ، وظلمة ، وجبال ، وبحار ، ونحو هذا مما يلابس أهل الدنيا ، ويحتاج المقيم فيها إلى معرفته ، ليستطيع مزاولة الحياة فيها ، وبخاصة من يكون خليفة يقيم العدل ، ويدفع الظلم ، وينهض بتدبير الأمر فى مجتمعه .

علم الله آدم أسماء تلك المسميات تكميلا له ، ورفعا لشأنه ، ثم طرحت من جانب الله مناظرة علمية بين الملائكة ليذكروا أسماء هذه الكائنات إن كانوا أهلا - أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين - وكان هذا أمر تعجيز لا تكليف ، وكيف يكلفون بما لا يعرفونه ؟ ؟ وإنما هو ترفق حكيم فى إشعارهم بفضل آدم ، وبيان استعداده لما لم يكن فيهم استعداد له من معارف وتدبيرات تتصل بالعالم الأرضى .

فلم يسعهم إلا الاعتذار بقولهم : «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم»

ثم أجاب آدم عما عجزوا عنه ، ونهضت له الحجة ، وثبتت له المكانة المرموقة عند الملائكة .

وتبينت لهم الحكمة التى كانوا يتوقون إلى معرفتها من قبل ، وهى صلاحية آدم لأمر لا يلائمهم ، ولا تتهيأ له فطرتهم .

وحينئذ سجل الله على الملائكة تكريم آدم ، فأمرهم بالسجود له : سجود تعظيم لا سجود عبادة ، وسجودا فى صورة ما ، لا سجودا على الجباه كما نسجد نحن ! ! .

فإن ذلك لم يشرع إلا عبادة لله وحده .

وما كان آدم فى قدره بالغا ما بلغ إلا بفضل ما منحه الله من علم نافع وعندى - غير مبالغ - أن هذه الحفاوة بآدم لعلمه تعتبر إيذانا بعيد العلم الذى أخذنا به أخيرا ... وأى شىء أجدر بالتكريم من العلم ؟ ؟ .

وكيف يكرم العلم فى شخص آدم بالسجود له

من الملائكة بين يدى الله وفى الجنة ، ثم لا يكون ذلك عيدا مستحبا عندنا .

وإذا كان علم آدم تعريفا بمسميات وأسمائها وليس خصوص أمور روحانية ، فلنا أن نعتبر العلم كله قبسا من فيض الله ، وأن المشاهد الذى ندركه من طريق الحس لم يكن متاحا إلا بمعونة الله وهديه ، وعلى هذا يستوى فى مفهوم العلم ما يكون للدين أو للدنيا ولو أن علم الدين أحب إلى الله ، وأقرب مثوبة ، وأعم نفعا .

فعيد العلم بوجه عام لا يحبس على نوع دون نوع وإن تفاوتت قيم العلوم .

غير أن العلم - وهو كما عرفنا من غراس الجنة ، وإشراقة من إشراقات الله فيها ... وأول نفحة من نفحاته وأعياده كانت فى رياضها لا يليق بشأنه ، ولا بالإنسان الذى كرمه ربه بالعلم وأسجد الملائكة له من أجل العلم أن يضار أحد به .

بل يكون المرء ماجدا بالعلم فى نفسه وبين الناس ، ونافعا لنفسه وللناس .

ومن آفة العلم أن يسخر فى غير أهدافه ، أو يكون مضيعا بين أهله ، فربما كان ساعتئذ كالخمر : إثمه أكبر من نفعه .

ومع ما تم من تكريم آدم بالسجود له أبى الله إلا أن يكون للعلم خصوم لا يدينون به وأن يكون لآدم حاقد لا يسجد له ، وأن يكون من وراء هذه القصة الرحيمة قصة أخرى شقيت بها الإنسانية ، وعاشت فى مرارتها ، ولن تخمد نارها إلا إذا خلت الأرض من سكانها .

وتلك القصة هى تمرد إبليس ، وعدم سجوده لآدم كما سجد الملائكة ، ووقوفه من الله موقف الجدل .

وقد انفردت سورة البقرة بذكر الجانب الأول المتعلق بخلق آدم ، وتعليمه ، وإقناع الملائكة بمكانته ، وبالسجود له .

ثم جاء الاستثناء لإخراج إبليس من الساجدين ، ووصفه بأقبح صفات ثلاث : إلا إبليس ، أبى ، واستكبر ، وكان من الكافرين .

ومع أن هذه القصة وردت فى خمس سور أخرى سوى البقرة ، فكلها تكتفى بالجانب السلبى المتعلق بتمرد إبليس ، وتقبيحه ، وطرده ، وتحذيرنا منه ، ومن ذريته وجنوده ، لأن جانب الحذر من إبليس ، والتخويف منه ، والحث على مخالفته أشد اتصالا بنا ، وأهم عناية به ، فأطبقت السور كلها على ترديد هذا الجانب الخطير فى حياتنا ، وإشعارنا بوجوب الحيطة له : دون حاجة إلى تكرار صدر القصة وما فيها من حوار مع الملائكة وأنت ترى فى سورة الأعراف - مثلا - ثم **قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس**

لم يكن من الساجدين - وترى فى آية أخرى بسورة الحجر - إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين - وفى سورة الكهف - فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه - وفى سورة طه - فسجدوا إلا إبليس أبى - وفى سورة ص - فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين .

ففى هذه المواطن كلها ترديد لا متناع إبليس وأنه كان من الجن ففسق عن أمر ربه وتقبيح له بالاستكبار والإباء والكفر وفى كل موطن سئل فيه إبليس عن سبب امتناعه لم يكن له من معذرة يتعلل بها : غير أنه كان مخلوقا من النار ، وأن آدم من طين .

وليس هذا بجواب ، وإنما هو إمعان فى السفه ، وشطط فى العناد والتبجح ولم يكن أزكى من الملائكة ولا مثلهم . حتى يستكبر عما لم يستكبروا عليه . فهم من نور صاف ، وهو من مارج تختلط ناره بدخانه ، فليس له من وجه فى الحجاج ، وإنما هى شقوة غلبت عليه ، وغضب أحاط به .

ومن هذا التشبث بالجدل الذى عابه الله على إبليس ، وكرره بأسلوب التشنيع وقرنه باللعنة والمهانة يمكن أن ندرك معابة الجدل والمشادة فى النقاش ، والركون إلى الغلبة فى عنف وبذاءة ، ومما ورد فى كراهية الجدل قول النبى صلوات الله عليه ( أنا زعيم ببيت فى أعلى الجنة لمن ترك المراء ولو كان حقا ) .

وهنا موقف بين الآيات يحتاج إلى شئ من التمحيص فالقرآن يقول فى كل آيات القصة فسجدوا إلا إبليس ، أو فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس وهكذا مما يفيد أنه من الملائكة ، ثم يقول القرآن فى آية أخرى — إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه — وهذا يفيد أنه من الجن : لا من الملائكة . وإبليس نفسه يقول — خلقتنى من نار ، وخلقته من طين فهذا قاطع بأنه من الجن والجن من النار لا جرم — والله يقول : والجان خلقناه من قبل من نار السموم — فكيف يطلق على إبليس أنه من الملائكة .

تكلف العلماء فى تحقيق هذا كلا ما كثيراً وأيسره قبولا أنه يذكر مع الملائكة تبعا لا استقلالا فقد كان يعيش فى زمرتهم ويحاكيهم فى أعمالهم ، وبهذا تناوله الأمر بالسجود معهم ، فكان حريا به أن يستجيب .

ونحن نرى من شاهد أحوالنا أن المقيم فى أهل بلد يتابعهم فيما يطلب إليهم ، وأنه ما دام يعاشرهم ويساكنهم كواحد منهم فهو مسئول عما يسألون عنه ، وإلا كان شذوذه عنهم مجلبة لما لا يرضاه . فكيف إذا كان شذوذا مقصودا يتشبث به ؟ .

لهذا كان من عدل الله فى جزائه ، ومن حكمته فى قضائه أن يطرد إبليس بعيداً

عن الملائكة ، وأن يبادره بقوله — فاهبط منها — من الجنة — فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فاخرج إنك من الصاغرين — وكان كذلك من العدل فى الجزاء والحكمة فى القضاء أن يسجل عليه اللعنة إلى يوم الدين — يوم القيامة .

وكان من رحمة الله بعباده أن يحذر آدم وزوجه من عدوهما هذا وأن يحذرنا نحن من عداوته لنا ، وفتنته إيانا ، حتى لا نقع فى شراكه كما أخرج أبوينا من الجنة .

وقد حدثنا الكتاب العزيز فى آيات القصة وفى مواطن غيرها أن الشيطان لا يفتر نشاطه فى إفسادنا ، وأنه وقد يئس من رحمة الله له أعلن أمام الله فى سفه وتبجح أنه ليفتنن أبناء آدم أجمعين إلا عباد الله المخلصين .

وحدثنا الكتاب العزيز أن الله سيعصم من اعتصم بربه إلا الغاوين من أرباب الهوى والفساد ، وأنصار الضلال .

وعلمنا الكتاب العزيز أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم كلما خشينا من غواية الشيطان — « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله » — والامر لا يكلفنا عند مخالجة الشيطان ، بل وفى كل حال غير استعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، وحينئذ يندحر الشيطان ويخفت نشاطه ، وقد صدق الله فى وعده لنا برعايته « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون » — .

هذا وقد اكتفينا من القصة بما ذكرنا ، ولها جوانب أخرى فسيحة كما أسلفنا . والله يهدينا به إلى خير ما يحبه من عمل خالص ؟ .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

وأستاذ فى كلية الشريعة

---

## الهمة العالية [ من الشعر الجيد ]

ليس التعلل بالآمال من أربى ولا القناعة بالإقلال من شيمى

وما أظن بنات الدهر تتركنى حتى تسد عليها طرقها هممى

سيصحب النصل منى مثل مضربه وينجلى خبرى عن صمة الصمم

# مُثُلٌ عُليا إسلاميّة عربيّة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

## ٥ - فى العلاقات الدولية ( تتمة )

فى كل حرب يكون أسرى، فكيف يعامل الإسلام هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم ووقعوا فى الأسر أثناء الحرب أو بعدها ؟ كيف يعاملهم ، بخاصة بعد أن تضع الحرب أوزارها ، وقد استقر بهم الأمر فى الأسر لا حول لهم ولا قوة ، وهم لا ينتظرون إلا القتل جزاء ما فعلوا بالمسلمين من كيد وقتال وأذى كبير ؟ .

إن الله اللطيف الخبير بالنفوس الإنسانية، وبما ينتابها أحيانا من الضعف الذى يضل بها عن الطريق المستقيم ، يطلب منا أن نرحم هذا الضعف ، وأن نطلب له الطب والشفاء بالخير والحسنى لا بالإعنات الذى ينتهى غالبا إلى العناد ، والضلال الذى لا هدى يعقبه بحال .

ومن ثم ، نجد الإسلام يضرب أروع الأمثال فى معاملة الأسرى معاملة إنسانية، إن ما أثر عنه فى هذه الناحية لا يعرف التاريخ ما يقرب منه فى أى دين آخر ، ولا فى أى قانون أو نظام وضعى فى قديم الزمن وحديثه حتى هذه الأيام ، أيام المدنية الحديثة كما يزعمون !.

وقد وضع القرآن الكريم الأساس الأول فيما يجب أن تكون عليه معاملة الأسرى ، ثم جاءت السنة النبوية بعد هذا بالتفصيل ، وصار هذا وذاك أمرا متبعا وقواعد ملزمة يجب أن تحكم هذه الحالة التى تتخلف عادة عن الحروب ، وذلك تخفيفا من ويلاتها التى تصيب الجميع ، الغالب والمغلوب كما هو مشاهد ومحسوس .

يقول الله تعالى فى سورة محمد عليه السلام: « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فإما منا بعد وإما فداء، حتى تضع الحرب أوزارها».

وبهذا النص القرآنى صار ولى الأمر له الخيار بين أمرين فيما يختص بالأسرى : إما أن يمن عليهم ، أو على من يشاء منهم ، ويخلى سبيلهم دون أى عوض، أى لوجه الله تعالى وحده ، وإما أن يكون إطلاقهم وتخلية سبيلهم نظير فدية ينتفع بها المسلمون ،

وليكون هذا فيه شيء من التعويض والجزاء بما فعلوه .

ولذلك ذهب كثير من الفقهاء ورجال العلم والتفسير إلى كراهة قتل الأسير [1] ، ومن هؤلاء عطاء والحسن وابن عمر وكثير آخرون غيرهم .

جاء فى كتاب أحكام القرآن للإمام الرازى الجصاص ، عن الحسن أنه كره قتل الأسير ، وقال : من عليه أو فاده [2] . وجاء فيه أيضا أن رجلا سأل الحسن عما يصنع بالأسير ، فقال : يصنع به ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسارى بدر ، يمن عليه ، أو يفادى به .

وروى عن ابن عمر أنه دفع إليه عظيم من عظماء « اصطخر » ليقتله ، فأبى أن يقتله ، وتلا قول الله تعالى : « فإما مَنًّا بَعدُ ، وإما فداء » .

* * *

على أن من الفقهاء من أجاز لولىّ الأمر قتل الأسير ، وذلك بالرجوع إلى القرآن وإلى فعل الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم . ففى القرآن قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، وقوله فى سورة التوبة : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يُثخِنَ فى الأرض » الآية . .

وهذه الآية الثانية نزلت فى أسارى « بدر » حين مال الرسول إلى رأى سيدنا أبى بكر وأخذ به ، ولم يرض بقول سيدنا عمر الذى أشار بقتلهم ، وكان أن أطلق الرسول الأسرى نظير الفدية التى أخذها المسلمون ، ولكن القرآن نزل مبينا أن القتل كان هو الرأى الصحيح الذى ينبغى الأخذ به .

وأما السنة ، فإن من المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قتل يوم « بدر » عقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحارث ، بعد الأسر كما قتل يوم « أحد » أبا عزّة الشاعر بعد أن صار فى الأسر .

وكذلك كان الأمر فى بنى قريظة ، بعد أن نزلوا على حكم سعد بن معاذ فصاروا بذلك فى حكم الأسرى ، فقد حكم بقتل المقاتلة منهم وسبى الذرية ، وكذلك كان .

وهكذا نرى رأيين متعارضين فى بادئ الرأى ، ولكل منهما سنده من الكتاب والسنة وأنصاره من رجال التفسير والفقه .

ولكن ينبغى أن نفرق بين حالين مختلفين وبذا يزول التعارض : حال غزوة بدر وأمثالها وما كان فيها من ضراوة المشركين وفجورهم وإمعانهم فى الشر والاعتداء ،

(١) ينبغى أن نلاحظ أن الكراهة فى ذلك الزمن كانت تطلق على التحريم ، ويشهد بذلك كثير من النصوص الفقهية عن الشافعى ومالك وغيرهم .

(٢) ج ٣ : ٤٨١ ، المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٧ .

وخروج صناديدهم وقادتهم للقضاء على الإسلام والمسلمين .

وتلك حال شاذة يجب أن يكون لها حكم يناسبها ، وهو عدم المن على الأسرى ، وبذلك يكونون عبرة لغيرهم . وتتمكن هيبة المسلمين ورهبتهم فى قلوب الأعداء الذين لا يصلح معهم العفو ، بل الخير أخذهم بالشدة والعقاب الغليظ .

وبجانب هذا الحال الشاذ ، الأحوال الأخرى العادية ، فهنا لا يكون القتل هو الواجب ، بل المنّ والعفو أو الفداء لعل الله يميل بهم إلى الإسلام ، ويكون منهم حماة وناشرون له فيما بعد .

* * *

ومهما يكن من جواز قتل الأسير أو كراهته فإن الإسلام يوصى بمعاملته معاملة تليق به باعتباره إنسانا ، كذلك كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة فى زمنه ، وكذلك ينبغى أن يفعل المسلمون فى كل زمان .

حدث أن وقع ثمامة بن أثال أسيرا بين أيدى المسلمين ، وكان سيد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإكرامه ، وذلك بقوله : « أحسنوا إساره » ، فكانوا يقدمون له لبن ناقة الرسول غدواً ورواحا ، وبهذا كان على خير حال يكون لأسير .

وكان من أمره أن النبى خرج إليه وقال له: « ماذا عندك يا ثمامة ؟ » ، قال : عندى يا محمد خير ! إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تُنعِمْ تنعم على شاكر ! وإن كنت تريد المال ، فَسَلْ تُعطَ منه ما شئت .

فتركه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد ، فخرج إليه كالمرة الأولى وقال : « ماعندك يا ثمامة » ؟ قال : عندى ما قلت لك فقال : « أطلقوا ثمامة » ، فأطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ، ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، يا محمد ! والله ما كان على الأرض أبغض إلىّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه كلها إلىّ . والله ما كان دين أبغض إلىّ من دينك ، فأصبح دينك أحبّ الدين كله إلىّ ! وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله وأمره أن يعتمر .

فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ؟ أى ملت إلى الإسلام ، فقال : لا ، ولكنى أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لا تأتيكم من يمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وزاد ابن هشام على هذا أنه خرج فيما بعد إلى اليمامة فمنع أهلها أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتب المشركون إلى النبى يذكرونه بما يأمر به من صلة الرحم ، فكان أن كتب إلى

ثمامة أن يخلى بين أهل مكة وما يريدون من حمل الحنطه إليهم .

وكان صلى الله عليه وسلم يعنى عناية خاصة بالنساء ، ويجاملهن ويترفق بهن غاية الرفق . حدث أن وقعت ابنة حاتم الطائى ( أحد من ضرب بهم المثل فى الكرم ) فى أيدى المسلمين، فأنزلوها بمكان يراها فيه الرسول إذا مر به ، فتعرضت له وقالت : هلك الولد ، وغاب الرافد ( تعنى أخاها عديا ) ، فامنن منّ الله عليك . فقال لها :

« قد فعلت ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك » .

فأقامت بين المسلمين حتى أتاها رهط من قومها وعزمت على الرجوع معهم ، فكساها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأعطاها ما يلزمها من النفقة ، فخرجت معهم مكرمة ، وعادت إلى بلدها وقومها .

* * *

هذا عن المن بلا عوض وأثره الطيب فيمن يُمَنّ عليه . وفى الفداء بعوض كان الرسول عليه الصلاة والسلام يرعى العدل دائما شأنه فى كل عمل يأتيه ، فلا يفرق فى هذا بين قريب أو حميم أو غيرهم .

روى الإمام القرطبى فى كتابه « الجامع لأحكام القرآن » [١] ، عن ابن إسحاق ، أن العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم كان من أسرى يوم « بدر » . وقد بعثت قريش إلى الرسول فى فداء أسراهم ، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا .

أما العباس فقال : يارسول الله إنى كنت مسلما ، فقال الرسول : « الله أعلم بإسلامك ، فإن يكن كما تقول فالله يجزيك بذلك . فأما ظاهر أمرك فكان علينا ، فافد نفسك وابنى أخويك : نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب ، وحليفك عتبة بن عمر أخا بنى الحارث بن فهر » .

فقال العباس : ماذاك عندى يا رسول الله قال : « فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل ( وهى امرأة العباس ) فقلت لها : إن أصبت فى سفرى هذا ، فهذا المال لبنى الفضل وعبد الله وقثم ؟ » .

فقال أيا رسول الله إنى لأعلم أنك رسول الله ، إن هذا لشىء ما علمه غيرى وغير أم الفضل » . ثم فدى نفسه وبنى أخويه وحليفه كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه ، وكان فداؤه مائه أوقية من ذهب ، وكان هذا أكبر فداء لأنه كان رجلا موسراً .

وعن ابن شهاب أن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، إئذن لنا فلنترك

(١) جـ ٨ : ٥٢ ـ ٥٣ .

لابن أختنا عباس فداءه ، فقال : « والله لاتذرون درهما » ، بل قال : « أضعفوا الفداء على العباس » ، فأخذ منه المبلغ الذى ذكرناه على حين كان فداء كل واحد من الأسارى أربعين أوقية لاغير .

* * *

وبعد ! ما أكبر الفرق بين حكم الإسلام فى الأسرى ، وما وصى به رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم من معاملتهم برفق وإحسان وإكرام مما كان له أثر كبير طيب فيما بعد ، وبين ما نعرفه اليوم من معاملة الأسرى من الدول الغربية المتمدنة كما تزعم .

لقد رأينا بأنفسنا سنة ١٩٤٥ بأوربا نفسها عند سفرنا إليها كيف كانت فرنسا تعامل الأسرى الألمان ، إنها كانت تعتبرهم بمنزلة الحيوانات التى لا تحس ولا تشعر بكرامة أو إهانة تنزل بها ، وكانت تسومهم سوء العذاب ، وتنزلهم منزلة الهوان فى كل شىء .

إنهم كانوا يعاملونهم على أنهم أرقاء ملكوا رقابهم ، أو يسخرونهم فى الأعمال الشاقة التى لا يقوم بها عادة إلا الحيوان . وكانوا يتعمدون أن يشعروهم بالذل والهوان ، حتى لقد رأيت بنفسى أن الفرنسى الذى كان يحادث الأسير الألمانى ، كما يحادث الإنسان الإنسان كان يعتبر خائنا ويستحق العقاب ! .

ورأيت مثل ذلك ، أنا وكثير من إخوانى وزملائى ، بألمانيا بالمنطقة التى ابتليت منها بالاحتلال الأمريكى ، فقد كان الألمان فى هذه المنطقة وغيرها أذلاء حقا بكل معنى الكلمة ، وذلك إلى درجة أن كان اليأس يتمكن من قلوبهم أن يعودوا من بنى الإنسان كما كانوا من قبل .

من هذه المقارنة السريعة ، فى هذه الناحية وحدها فضلا عن النواحى الأخرى ، يتبين لنا بوضوح كيف يفهم الغربيون الحضارة وكيف يطبقونها فعلا فى حالة السلم والحرب وما هى تعاليم الإسلام العادلة وشرائعه الرحيمة ، وكيف فهمها رجاله الأمجاد وكيف يطبقونها فى كل زمان .

إن الإسلام وسير رجاله فى حالة السلم والحرب ، يظهر لنا ولكل منصف من غير المسلمين أنه الدين الحق العادل الرحيم ، وأنه الدين الذى يصلح للناس جميعا فى كل مكان وزمان .

وقد كان لتطبيق رجالاته تعاليمه وآدابه وتقاليده الطيبة أكبر الأثر على الغربيين غير المسلمين ، حتى لقد دخل الكثير منهم فيه وجعلوه دينا لهم ، وذلك من غير تبشير به من جانبنا .

هدانا الله للخير دائما ، وجعلنا بسيرتنا وأعمالنا من المبشرين بالإسلام الداعين له ، والله يهدى من يشاء إلى الصراط المستقيم ؟

دكتور محمد يوسف موسى
مستشار وزارة الأوقاف للشئون الدينية والثقافية

# الكرامة والعزة فى القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدنى

## ( ب ) العـــزة

— ١ —

« العزة » حالة يشعر معها صاحبها بأنه قوى منيع لا يسهل قهره واهتضامه والتغلب عليـه .

وهذا الشعور الذى تنبعث عنه « العزة » قد يكون شعوراً صادقا له ما يبرره من واقع صاحبه ، وقد يكون شعوراً كاذبا منشؤة الغرور أو الجهـل وعدم إدراك الواقع الصحيح للأشياء .

ولذلك تختلف « العزة » فتـكون تارة ممدوحة ، وتارة مذمومة ، فإذا كان الشعور بالعزة ناشئا عن صفات وأحوال واقعية تثمرها وتؤدى إليها ، وتجعل صاحبها متسلحا بها أمام القوى المضادة له ، قادرا بها على أن يقاوم ويناضل ويغلب ويتفوق ، فإن العزة حينئذ تـكون حقيقية . أما إذا كان الشعور بالعزة ناشئا عن غرور أو عدم تقدير للأمور ، ولم يكن لصاحبه من الصفات القوية ما يجعله منيعاً مصونا ؛ فإن العزة حينئذ تـكون وهمية مصطنعة ، ولا يكون لها بقاء .

والقرآن الكريم يرشدنا إلى هذين النوعين المختلفين من العزة فى كثير من آياته ، فيعتبر العزة الأولى هى القوة بالإيمان والاستقامة على الطريقة المثلى فى كل شىء ، ويعتبر الثانية هى العزة بالإثم أو الكفر أو الالتواء عن الصراط المستقيم ، أو الجهل وفساد التصور .

يقول الله تعالى :

١ — « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ، ومكر أولئك هو يبور » .

وهذه الآية تقرر أن من كان يريد أن يكتسب العزة ويتحقق له معناها الدائم الحقيقى ، فليلتمس ذلك وليكتسبه من الله . فإن العزة لله كلها ، والتماسها من الله إنما هو بالسير على ما رسم ، وتوخى طاعته ورضاه والنزول

على حكمه ، والله تعالى لم يشرع لعباده إلا الخير والأعمال الصالحة المثمرة للصلاح والقوة سواء أكانت أعمالا شخصية أم أعمالا جماعية أو اجتماعية ، كما أنه عز وجل لم يمنع عباده من فعل شيء إلا إذا كان هذا الفعل منافيا للخير والرشد ومن شأنه أن ينزل بالإنسان عن المستوى اللائق بكرامته فى شخصه أو مجتمعه أو فيهما معا فإذا ترسم المرء ذلك فيما يأتيه من الأمر وفيما يتركه كان ملتمساً لأسباب العزة الحتمية من حيث تلتمس فى الواقع ، وكان حرياً بأن يصيب هذه الأسباب وبأن ينال بها ما يطلب من العزة التى هى القوة والمنعة والامتياز والأفضلية . فتكون عزته ثابتة قائمة على أصول سليمة ، مستقرة غير قابلة للتزلزل أو التحول .

وقد أتبع الله تقرير هذه الحقيقة بتقرير حقيقة أخرى توضحها وتبين سرها ، فعرفنا أن ما يصدر عن الإنسان من قول أو عمل ، إما أن يكون طيبا صالحا ، فهذا هو الذى يصعد إلى الله . وإما أن يكون عملا خبيثا ، ومكرا سيئا ، فهو لا يرتفع ولكن يرد فيبور ولا ينال صاحبه منه إلا العذاب والوبال .

ومعنى صعود القول الطيب إلى الله ، وارتفاع العمل الصالح ، هو تحقق الغاية ، وحصول الثمرة ، ونجاح القصد . ومعنى بوار المكر والتدبير السيء هو عدم وصول ذلك إلى الغاية المرجوة منه ، فهو لا بد فاشل ضائع مهدر لا ثمرة له ولا انتفاع لصاحبه به .

وإذا فالعزة لها مصدر واحد ، هو ترسم ما رسم الله ، ولست أقصد مجرد التزام الأوامر واجتناب النواهى فيما شرع الله من عبادات ، ولكن أقصد مع ذلك التزام المنهج الإلهى الذى رسمه الله فى احتفاظ الإنسان بكرامته ، وفى سعيه لاداء واجبه والقيام بنصيبه من الخلافة فى الأرض ، وفى ترفعه عن كل ما يهبط به عن تلك المنزلة الشريفة ، أو يلتوى به عن ذلك الصراط المستقيم .

٢ - « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ، كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا » .

والمتبادر فى هذه الآية أن المقصود هم آلهة الشرك والوثنية التى يتخذها أهل الكفر اعتقادا بأنها تمنعهم يوم القيامة وتدرأ عنهم العذاب ، فيكونون بها ذوى عزة ومنعة ونجاة وأن الله تعالى يرد عليهم بأن ذلك لن يكون ، وإنما الذى يكون هو عكسه ، فهذه الآلهة ستنكر عبادتهم ، وتكفر بها أى تجحدها وتتبرأ منها وتكون عليهم ضدا ، فهم قد التمسوا العزة والمنعة من غير مصدرها فانتهى أمرهم إلى عكس ما التمسوا ، فذلوا بما به استعزوا .

هذا هو المتبادر ، و والذى يشرح به الآية فعلا كثير من أعلام المفسرين .

ولكننا لا نجد مانعاً من أن نتوسع فى معنى الآلهة التى يتخذها الناس من دون الله ، وألا نقصرها على آلهة الأحجار أو الأشجار ، أو الكواكب أو غيرها من آلهة الوثنية الحجرية أو الجمادية ، فإن الناس يتخذون آلهة أخرى من دون الله غير هذه الآلهة ، ويلتمسون بها العز ، فهم يتخذون الرؤساء آلهة معبودة ، ينزلون على حكمها ولو تعارضت مع حكم الله ، ويتخذون المال إلها معبوداً ، ويتخذون الأهواء والشهوات ويتخذون الجاه ، ويتخذون غير ذلك من الشئون العاجلة مؤثرين إياها على الآجلة ، يريدون بذلك العز والقوة والمنعة ، ويحسبون أنهم واصلون إليها . وربما اغتروا بأوائل الحال ، والله تعالى يذكر فى هذا المقام بسنته فى خلقه ، ويقول إن هذا اللون من التماس العزة والعلو باطل غير مؤد إلى المقصود منه ، بل هو مؤد إلى عكس هذا المقصود ، فإن هذا ما هو إلا التواء عن الطريق المستقيم ، وما هو إلا نزول عن مستوى المثل الرفيعة ، والغايات الشريفة ، وما هو إلا تزوير لعوامل العلو والعزة والمنعة لا بد أن يكشف ، ولا يلبث أن يفتضح أمره ، ويسقط صاحبه .

٣ ـ « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ، فإن العزة لله جميعاً » .

وهذه الآية أصرح فى المعنى الذى ذكرناه آنفاً فهى تذكر فريقاً من الناس يلتمسون العزة من غير وجوهها الصحيحة ، فيخرجون على « الكرامة الإنسانية » التى ينبغى لهم أن يحتفظوا بها ، حيث يرضون بأن يوالوا أهل الفساد وأهل الباطل المعبر عنهم « بالكافرين » دون أهل الحق والصلاح المعبر عنهم « بالمؤمنين » فليس من شأن الكريم الذى يعرف حق كرامته ، ونعمة الله فيها عليه ، أن يوالى الشر من دون الخير ، وأن يوالى الفساد من دون الصلاح ، وأن يوالى الباطل من دون الحق ، ذلك ما عبرت عنه الآية بقولها : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » ثم تساءلت عن البواعث الخفية التى تبعث مثل هؤلاء إلى هذا الالتواء عن الفطرة ، وعن الكرامة ، وعن المنطق الطبيعى الذى تستوى فيه العقول كلها ، تساءلت عن ذلك فى عبارة واضحة فاضحة تساؤلا كاشفاً واصفاً : علمنا منه أنهم إنما يبتغون عندهم العزة يريدون أن يتخذوا لديهم أيادى تنفعهم وتشفع لهم ولو على حساب الحق والخير والصلاح ، وما دروا أن ذلك سعى غير حميد ، وقصد لا يمكن أن يصل

بصاحبه إلى ما يريد ، فإن العزة كلها إنما هي لله ، وليس اتخاذ الأولياء من المبطلين والمفسدين من الله فى شىء فإن الله هو الحق المبين ، وأن الله لا يحب المفسدين .

ونحن ـ معاشر الشرقيين ـ قد ابتلينا بهذا النوع من الذين يبتغون العزة من غير سبيلها ويرجون أن يقتنصوها من غير ميدانها ، أو أن يستطلعوها من غير أفقها ، ابتلينا بهذا النوع من المواطنين: كانوا يوالون أعداءنا ، ويصانعون الغاصبين لحقوقنا العاملين على كل ما فيه ذلنا وموتنا ، وإذا كان بعض المؤمنين منا قد عرف هؤلاء فى بلد أو غيره من بلاد الإسلام ، ونادوا فى أقوامهم محذرين ، فإن خطرهم ما يزال ماثلا فى الشعوب والدول ، وإن علينا جميعا أن نفتح عيوننا لكى نراهم ونحذرهم ونحذر منهم ، كما حذر الله من أمثالهم سلفنا الصالحين الأولين .

٤ ــ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون .

وهذه الآية تتحدث عن نوع آخر من المنافقين المرجفين الذين يغترون بظواهر العزة الكاذبة ، من الأغراض التى ليس لها بقاء ، وليس لها أمام الإيمان والثقة قوة ولا احتيال .

فهؤلاء ، المنافقون يرجفون على المؤمنين ويريدون أن يَفُتُّوا فى عضدهم ، ويقوضوا تكتلهم واجتماعهم على مقاومة الباطل ، ويريدون فى الوقت نفسه أن يقووا روح الباطل والشرك ، وأن ينفثوا فى روع الكافرين المقاومين لدعوة الحق طمأنينة وثقة ، فهم يلوحون بكثرة المبطلين ومظاهر عزتهم ونفوذهم ، وأن ذلك سيكون وبالا على المقاومين المناضلين ، لما هم فيه من القلة وضعف النفوذ ، فلذلك يتوقعون أن يخرج من المدينة أقل الفريقين عددا ، وأضعفهم مددا ، وأهونهم منعة وقوة ، ـ يريدون بذلك المؤمنين ـ والله تعالى لا يرد عليهم ظاهر قولهم ، ولكن يقرهم عليه ، والذين سيخرجون من المدينة هم الأذلون حقا ، والذين سيخرجونهم هم الأعزاء حقا ، ولكن العزة ليست فى هذا الأفق الذى يتطلع إليه المنافقون ، وإنما هى فى أفق آخر ، هو أفق الإيمان والحق « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ، لأنهم انخدعوا بما يبدو من المظاهر البراقة ، والعناوين الخادعة ، وما دروا أن الإيمان حصن منيع إذا تحصن به صاحبه أمن وغلب ، وما دروا أن الله هو العزيز ، وأن الله هو الغلاب القاهر ، وأن رسوله هو المؤيد ، لأنه هو الداعى إلى الحق ،

والمدافع عن الحق « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز » .

٥ — « ص . والقرآن ذى الذكر ، بل الذين كفروا فى عزة وشقاق » يذكر الله تعالى فى مطلع هذه السورة الكريمة المانع الذى منع من الانتفاع بالقرآن الكريم وتصديقه ، وهذا المانع هو ما فيه هؤلاء الكفار من « عزة وشقاق » فالعزة فى هذا المقام هى التمنع والتعزز . والاستكبار عن قبول الحق والإذعان له . والشقاق : المشاقة والمخالفة وكونك فى شق غير شق صاحبك ، وكثير من الناس يأتيهم الفساد ، ويقعون فى الباطل من جهة الاستكبار عن قبول الحق والمشاقة فيه ، والمناهضة له ، وهؤلاء يظنون أن الرضوخ ضعف وذل ولو كان للحق وما استبان من الهدى ، مع أن الرجوع إلى الحق فضيلة والنزول على حكمه حكمة ورشد ، ولذلك نراهم يصرون على ما يرون فى عناد وتصميم مهما تبين لهم أنه خطأ أو ضلال ، يبتغون بذلك موقف الرجولة أو البطولة ، ويرونه عزاً ومنعة وقوة .

والحقيقة أن من أكبر مظاهر القوة المقدرة على قبول الحق بعد ما تبين ، وأن المرء لا يكون قويا حقيقة إلا إذا كان قويا أمام نفسه وهواه كما هو قوى أمام غيره ، وأن النزول على مقتضى الحق ليس ذلا وإنما هو العز كل العز ، وإذاً فهؤلاء الكافرون ليسوا أعزاء فى الحقيقة ، وإنما هم فى عزة مزورة ، وشقاق باطل .

٦ — وقد وصف الله بعض الناس بقوله « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم » وقابل بينهم وبين عباد آخرين بقوله « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » .

وهما صورتان متقابلتان : إحداهما صورة الرجل المستكبر المتعنت الذى يرى نفسه فوق الناس ، وفوق الحق ، ويرى أنه أرفع وأكبر من أن ينبه إلى خطأ ، ومن أن يوجه إلى خير وصلاح ، فإذا نصحه ناصح ازور عنه مغضبا ، وولى مستكبرا ، وغضب وانتفخت أوداجه ، فهذا هو الذى أخذته العزة بالإثم ، أى أنه اعتز وتمنع لا بالحق ولا بالبر والصواب ، ولكن بالإثم والخطأ وأى إثم وخطأ أكبر من العناد واللجاج والاستكبار عن الحق بعد ما تبين ، وإيثار العزة الباطلة والقوة المفتعلة ، أما الصورة الثانية فهى صورة رجل يشرى نفسه أى يبيعها ابتغاء مرضاة الله ، ومعنى كونه يشريها أو يبيعها لله ، أنه لا يرى لنفسه حقا أمام الحق ، ولا يرى نفسه إلا مملوكة لله ، وهذا يقتضيه أن يؤدى حق هذا الملك فيبذل نفسه

# عيد الفطر فى التاريخ والأدب

## لأديب من العراق

ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى والنويرى فى نهاية الأدب فى فنون الأرب : أن الأعياد الإسلامية التى وردت بها الشريعة - اثنان : عيد الفطر وعيد الأضحى والسبب فى اتخاذهما ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فقال صلى الله عليه وسلم ماهذان اليومان ؟ فقالوا كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد بدلكم خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى فأول ما بدىء به فى العيدين عيد الفطر وذلك فى السنة الثانية من الهجرة وفيها كان عيد الأضحى [1] ولقد كان لهذين العيدين مظاهر إسلامية تعرض فيها عظمة الدولة وجلال الملك وكان فى العصور الإسلامية الزاهرة تبدو فيهما سطوة الإسلام وشوكته وإننا اليوم فى حاجة ملحة إلى تعزيز الروح القومية بالإشادة بمفاخرنا وأعيادنا الشعبية وحبذا لو أكثرنا من إقامة ذكريات لأعياد قومية منسية لتبعث فى الأمة الحياة والعزة وتثير فى الشباب النخوة والشعور القومى. فعلى المسلمين والعرب أن يحتفلوا اليوم بعيد ذكرى فتح العرب الأندلس، وعيد دخول العرب وتوغل جيوشهم فى فرنسا ، وعيد نزول جيوش العرب إلى إيطاليا بعد فتحهم صقلية ، وعيد فتح العـــرب المدائن عاصمة

(١) صبح الأعشى للقلقشندى ونهاية الارب للنويرى .

---

لمالكها غير ضنين بها ، ولا حريص عليها ، ولا مستشعر ذلا فيما يفعل .

والصورتان متقابلتان تمام التقابل إحداهما لنفس مغرورة معتزة بالباطل لا تعبأ بالحق ولا تنزل عن كبريائها ، لشىء من الأشياء ، والأخرى نفس معتزة برضا الله ، حريصة على هذه المنزلة ، متنازلة عن أنانيتها فى سبيلها فالنفس الأولى معتزة بالإثم والنفس الثانية معتزة بالله .

* * *

وهكذا يبين لنا القرآن فى هذه الآيات وفى غيرها أن « العزة » الحقيقية الباقية المستقرة هى العزة التى تقوم على أساس من الاستقامة والعمل الصالح ، والتى يتجه صاحبها فى اتجاه الخير والبر ، أما العزة المصطنعة المفتعلة فهى التى تقوم على أساس من الباطل والإثم والاغترار والاستهتار والاستكبار .

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

# عيد الفطر فى التاريخ والأدب

## لأديب من العراق

ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى والنويرى فى نهاية الأدب فى فنون الأرب : أن الأعياد الإسلامية التى وردت بها الشريعة ـ اثنان : عيد الفطر وعيد الأضحى والسبب فى اتخاذهما ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فقال صلى الله عليه وسلم ماهذان اليومان ؟ فقالوا كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد بدلكم خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى فأول ما بدئ به فى العيدين عيد الفطر وذلك فى السنة الثانية من الهجرة وفيها كان عيد الأضحى [1] ولقد كان لهذين العيدين مظاهر إسلامية تعرض فيها عظمة الدولة وجلال الملك وكان فى العصور الإسلامية الزاهرة تبدو فيهما سطوة الإسلام وشوكته وإننا اليوم فى حاجة ملحة إلى تعزيز الروح القومية بالإشادة بمفاخرنا وأعيادنا الشعبية وحبذا لو أكثرنا من إقامة ذكريات لأعياد قومية منسية لتبعث فى الأمة الحياة والعزة وتثير فى الشباب النخوة والشعور القومى. فعلى المسلمين والعرب أن يحتفلوا اليوم بعيد ذكرى فتح العرب الأندلس، وعيد دخول العرب وتوغل جيوشهم فى فرنسا ، وعيد نزول جيوش العرب إلى إيطاليا بعد فتحهم صقلية ، وعيد فتح العرب المدائن عاصمة

(١) صبح الأعشى للقلقشندى ونهاية الارب للنويرى.

---

لمالكها غير ضنين بها ، ولا حريص عليها ، ولا مستشعر ذلا فيما يفعل .

والصورتان متقابلتان تمام التقابل إحداهما لنفس مغرورة معتزة بالباطل لا تعبأ بالحق ولا تنزل عن كبريائها ، لشىء من الأشياء ، والأخرى نفس معتزة برضا الله ، حريصة على هذه المنزلة ، متنازلة عن أنانيتها فى سبيلها فالنفس الأولى معتزة بالإثم والنفس الثانية معتزة بالله .

* * *

وهكذا يبين لنا القرآن فى هذه الآيات وفى غيرها أن « العزة » الحقيقية الباقية المستقرة هى العزة التى تقوم على أساس من الاستقامة والعمل الصالح ، والتى يتجه صاحبها فى اتجاه الخير والبر ، أما العزة المصطنعة المفتعلة فهى التى تقوم على أساس من الباطل والإثم والاغترار والاستهتار والاستكبار .

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

الأكاسرة ، وعيد فتح المسلمين للقسطنطينية على يد محمد الفاتح ، وعيد إخراج الصليبيين فى فلسطين وأمثال ذلك فى الأعياد القومية الإسلامية التى تبعث فى النفوس نشوة الانتصار وتعيد ذكرى الفتوح التى سيطر بها آباؤنا على البلاد وهدوا العباد وأقاموا منار الرشاد . وعلينا أن نفخم الاحتفالات بالأعياد الدينية الشعبية التقليدية لأنها توحد الرأى العام فى الشرق العربى وتفهم سكانه وتذكرهم بالروابط الروحية والتاريخية التى تجمع بين أقطار الشرق الأدنى فى مراكش إلى إيران وتركستان والهند وأندونيسيا ومن تركيا وألبانيا إلى اليمن وزنجبار ضامة بين جناحيها الجمهورية العربية المتحدة والسودان ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والعراق والحجاز ونجد والبحرين وحضرموت وعدن والأفغانستان وغير ذلك من الأقطار الإسلامية وإن الاحتفال بهذه الأعياد الإسلامية قديماً كان يشتد ويقوى حيث يكون الشعور الإسلامى أقوى حيث يعظم التنافس بين أتباع راية الإسلام وبين خصومهم : قال الأستاذ آدم متز Adam Metz فى كتابه القيم : ( الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ) : كان عيد الفطر والأضحى هما العيدين الوحيدين الكبيرين اللذين كان يحتفل بهما بالأبهة الإسلامية احتفالا رسمياً ، وكانا إلى جانب النيروز الفارسى أكبر الأعياد عند أهل بغداد ( كما يستفاد من تاريخ الطبرى ) قال متز : « وكان الاحتفال بها يبلغ منتهى الروعة والأبهة فى البلاد التى يكون فيها الشعور الإسلامى على أقواه مثل طرسوس حيث كان يأتى غزاة المسلمين فى كل أنحاء المملكة الإسلامية حتى كان عيداها يعتبران من محاسن الإسلام ولما ضاعت طرسوس من المسلمين بقيت صقلية مشهورة بحسن عيديها » . (١)

ويقول الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه ( تاريخ الإسلام السياسى والثقافى والاجتماعى ) : « عنى المسلمون منذ عهد بعيد بالاحتفال بالعيدين فى شىء كثير من الأبهة والعظمة وكانوا يحتفلون برمضان احتفالا شائقا ويتخذون غرة رمضان فى مواسمهم الدينية كما كانوا يحتفلون بالعيدين احتفالا دينيا فيؤم خلفاء المسلمين الناس فى الصلاة ويلقون عليهم خطبة فى فضائل العيد وما يجب على المسلمين مراعاته للمحافظة على شعائر الإسلام ولا عجب فقد كانت مظاهر الإسلام تتجلى فى الاحتفال بالعيدين فى البلاد الإسلامية وبخاصة فى بغداد وبيت المقدس ودمشق والقاهرة . وكان الاحتفال بعيد الفطر يبلغ منتهى الروعة والأبهة فى البلاد التى يكون

---

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم متز .

(٢) تاريخ الإسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن .

فيها الشعور الإسلامى قويا مثل طرسوس حيث كان يتوافد إليها غزاة المسلمين فى أنحاء البلاد الإسلامية وترد إليها تبرعات أهل البر من المسلمين الذين لا يستطيعون الخروج للغزو بأنفسهم (٢) ولا يخفى ماكان هنالك من أثر واضح لوقوع طرسوس على حدود المملكة الإسلامية فى قصد إظهار جلال الإسلام وأبهته وإظهار قوة المسلمين أمام أعدائهم من الروم فى الثغور وذلك بتعظيم شعائر الإسلام فى الاحتفال بعيدى الفطر والأضحى فى تلك المدينة الاحتفالا فخما مما جعل العيدين هنالك من محاسن الإسلام كما عدهما المؤرخون ».

ولنعد إلى حديث العيد قال الأستاذ آدم متز فى كتابه ( الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ) : « إن المسلمين لما أضاعوا طرسوس بقيت صقلية مشهورة بحسن عيدها ويؤيد قوله ما قرأت فى كتاب ( أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ) للمقدسى وهو من كتب العرب فى الجغرافيا والمقدسى من مؤلفى القرن الرابع الهجرى وقد تحدث عن حسن العيدين بصقلية من بلاد الإسلام فذكر أن العيدين فى هذا الثغر يمتازان بمظاهرهما كما امتازت الجمعة فى بغداد مثلا (١) ».

[١] الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم متز.

هكذا كانت الجيوش الإسلامية المجاهدة تحتفل فى الثغور التى ترابط فيها وتعظم من الاحتفاء بالعيدين لأن ذلك مما يظهر شوكة الإسلام وجلال سلطانه.

لقد كانت المدن الإسلامية (١) ـ خصوصاً بغداد فى عهد العباسيين والقاهرة فى عهد الفاطميين ـ تسطع فى أرجائها الأنوار فى ليالى العيد، وتتجاوب أصوات المسلمين بالتكبير والتهليل وتزدحم الأنهار بالزوارق المزينة بأبهى الزينات وتسطع فى جوانبها أنوار القناديل، وتتلألأ الأنوار الخاطفة الأبصار من قصور الخلافة، وقد لبست الجماهير فى بغداد وغيرها من المدن الإسلامية الطيالسة السود تشبها بالخلفاء العباسيين ( يقول فى المنجد: الطيلسان كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء وهو من لباس العجم ). الذين اتخذوا السواد شعارا لهم وكان بعضهم يتخذ بدل العمائم قلانس طويلة ( القلنسوة نوع من ملابس الرأس على هيئات متعددة ويلبسون بدل الدروع دراريع كتب عليها «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» ( والدراريع جمع دراعة، وهى جبة مشقوقة المقدم ) ولقد

[١] الدكتور حسن ابراهيم حسن فى ( كتابه تاريخ الإسلام السياسى والثقافى والاجتماعى ) ج ٣ ص ٦٠٥.

أفاض جميل نخله صاحب كتاب ( حضارة الإسلام فى دار السلام ) وأسهب فى وصف الحالة الاجتماعية فى بغداد على لسان رحالة فارسى أدخلة بغداد ليلة عيد رمضان فأخذ يحدثنا الرحالة هذا عما شاهده فيها وقد اقتبس مؤلف الكتاب مواد بنائه من الكتب التاريخية الموثوقة متخذاً لها كمصادر اعتمد عليها وقال فى مقدمة الكتاب : « هذه رسائل وصفت فيها عصراً من عصور الإسلام قد أشرق به نور العلم وجرت فيه أعمال عظيمة قام بها رجال كبراء ملئوا العالم بآثار جمالهم وجعلت الكلام فيها لرحالة فارسى طوفته معظم البلدان الإسلامية فى المائة الثانية للهجرة » ونقتطف من هذا الكتاب اللطيف صفحة جميلة يصف بها بغداد ليلة العيد قال[1] : « اتفق وصولى إلى دار السلام فى عيد الفطر قبيل العتمة هى : ( الثلث الأول من الليل ) وهى تلمع بالأنوار ويتصاعد من المسبحين بحمد الله والمقدسين له نغمات ترددها معهم أرجاء المدينة وتعذر المسير على مركبنا تجاه باب البصرة ( وهو باب من أبواب بغداد ) أوكاد، لازدحام الزوارق المشتبكة فى هذا المكان وهى مطلية بأبهى الأصباغ والألوان مرصعة بأنوار القناديل الحسان حتى كأن دجلة فى الزوراء أشبه بالمجرة فى كبد السماء ثم تقدم بنا المركب حتى وقف بمقربة من الجسر وعلى مطل من قصور الخلافة ( فى المنجد : المطل : المكان يشرف منه ) التى كانت تتلألأ بضوء الشان ( نقلا عن الأغانى ج ٤ ص ١٨٩ ) فركبت البر فى الموضع المعروف بجزيرة العباس ( فى المسعودى أن السفن الواردة من البصرة تقف فى بغداد بهذا الموضع ) وقد غص بجموع من الناس قد لبسوا الطيالس السود تشبها بملوك هذه الدولة الذين اتخذوا السواد فى شعار الخلافة حزنا على شهدائهم من أهل البيت ونعيا على بنى أمية فى قتلهم . وشاهدت جماعة قد اتخذوا بدل العمائم قلانس طوالا مصنوعة من القصب والورق ملبسة بالسواد أيضا وبدل الدروع دراعات مكتوباً عليها بين كتفى الرجل « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » أخبرنى ( نقلا عن ابن الأثير ص ٢٤٥ ج ٥ والأغانى ج ٥ ص ٩٥ ) بعض من لقيته فى تلك الليلة أن أبا جعفر هو الذى أحب أن تتزيا حوزته ( حوزة المملكة ما بين تخومها ) بهذا الشكل من اللباس منذ ثلاث سنين . قال ولما تجولت فى المدينة وانتهيت إلى الشارع الكبير المعروف بشارع أبى جعفر وجدته كأحسن وأحفل ما يكون من الشوارع وله السيادة عليها بأمرين : الأول اتساعه إلى أربعين ذراعاً وإن كان يشاركه فيه غيره والثانى طوله من دار الخلافة إلى

[1] حضارة الإسلام فى دار السلام لجميل نخلة .

باب الشام على استقامة ليس فى الإمكان أصح منها فلما صرت فيه استقبلت فى دور الخلافة زينة كضوء الشمس قد اتخذت على القبة الخضراء (عن المسعودى والقزوينى) التى رفعها أبو جعفر إلى علو يزيد عن ثمانين ذراعاً ليشرف منها على جهات المدينة وما بجوارها من البساتين كما أنه عنى بتجميلها بالرسوم العجيبة ليكون منها الدلالة على سعة ملكه والشهادة باقتداره على عظائم الأعمال فكانت تظهر زينتها فى تلك الليلة وهى مرتفعة فى الفضاء كأنها إكليل من نور قد تدلى على قصر السلام . ثم إنى أقبلت فى صدر هذا الشارع على مسجد جامع عليه ازدحام فملت إليه فإذا برجال متمنطقين بالسيوف يرجعون الناس ويجعلون ممراً بين جموعهم وورائهم رجل طويل (عن العقد الفريد) أسمر نحيف خفيف العارضين معرق الوجه ناطق العينين عليه ثياب سود من الخز وقلنسوة مطوقة بوبر أسود (عن ابن عون وذكر ابن جبير أنه رأى الخليفة ببغداد وعليه قلنسوة ذات وبر) من الأوبار الغالية الثمن وفى وجهه مهابة الملوك وجلالتهم فعرفت أنه الخليفة أبو جعفر على غير ما تدل عليه حاشيته إذ الشمس لا تخفى وإن سترت ثم لم أزل أتبعه بالعين حتى توارى بين الجموع وركب بغلة (عن ابن خلدون) عليها حلية خفيفة من الفضة وكان لجامها فى يد حاجب من حجاب الخليفة وقد دخل صاحبنا بغداد فى عهد بانيها أبى جعفر المنصور ولم يلق المؤلف كلماته جزافاً ومن دون سند تاريخى بل إنه اعتمد على أوثق المصادر .

والذى يظهر من قصيدة البحترى التى يهنئ بها المتوكل بعيد الفطر أنه كانت بغداد تشهد موكباً رائعاً للخلافة بتلك المناسبة الكريمة ويؤيد ذلك المؤرخون قال الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه (تاريخ الإسلام):

« كانت تتجلى عظمة الخلفاء العباسيين وأبهتهم فى الاحتفال بالعيد واتجهت سياستهم إلى اجتذاب الشعب على اختلاف طبقاته بالعطايا والأرزاق والهبات والأسمطة التى كانوا يمدونها فى الأعياد والمواسم وعنوا باحتفال بعيدى الفطر والأضحى احتفالا رائعا » .

ويعرض علينا ابن قتيبة فى عيون الأخبار خطبة طويلة للمأمون فى عيد الفطر قال فيها مخاطباً المسلمين :

( إن يومكم هذا يوم عيد وسنة وابتهال ورغبة ، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان وافتتح به حج بيته الحرام فجعله خاتمة الشهر وأول أيام شهور الحج وجعله معقبا لمفروض صيامكم ومتنفل قيامكم فاطلبوا إلى الله حوائجكم واستغفروه لتفريطكم فإنه يقال لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار ) .

ولقد كان الخلفاء العباسيون يجلسون فى الأعياد لاستماع تهانى الشعراء، وجر ذلك إلى أن يتنافس هؤلاء فى تجويد روائع الشعر يمدحون بها جبابرة العباسيين لينالوا من هباتهم وعطاياهم الأموال الغزيرة إذ كانت ثروة الدولة الإسلامية تجبى إلى الخليفة ببغداد أو سامراء فينفقها كما يشاء ولمن يشاء.

وإنك لتجد الخلفاء عامة، (والفاطميين خاصة) يحتفلون بعيد الفطر الذى كانوا يتبركون به وتعم خيراتهم الناس فيه. فمن هذه الخيرات تفرقة الفطرة والكسوة وعمل السماط وركوب الخليفة لصلاة العيد. وكان هؤلاء الخلفاء يهتمون بالاحتفال بعيد الفطر فى العشر الأخيرة من رمضان، واتخذ الفاطميون فى القصر بابا خاصا أطلقوا عليه (باب العيد)، لأن الخليفة كان يخرج منه فى يومى العيد إلى المصلى شرقى القصر الكبير فى الفضاء الذى تشغله الآن قرافة باب النصر وراء حى الحسينية (كما حقق ذلك الأستاذ ابراهيم حسن).

أما الأستاذ آدم متز Adam Metz فإنه ينقل فى كتابه (الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى) عن المقريزى ج ١ ص٣٨٧ وعن النجوم الزاهرة لأبى المحاسن ج ٢ ص٤٧٣ وعن رحلة ناصر خسرو ص١٥٨) أنه فى آخر يوم من رمضان سنة ٣٨٠ حمل يأنس الصقلبى صاحب الشرطة السفلى السماط وقصور السكر والتماثيل وأطباقا فيها تماثيل من الحلوى وحمل أيضا على بن سعد المحتسب القصور وتماثيل السكر وطافا بها فى شوارع القاهرة وكانت تعمل أسمطة أخرى فى القصر يحضرها الخليفة بنفسه فى يوم عيد الفطر، وعيد النحر. ففى عيد الفطر كان يعمل سماط طوله ثلاثمائة ذراع فى سبعة أذرع من الخشكنان والفانيد والبسند فإذا صلى الخليفة الفجر جلس ومكن الناس من ذلك السماط (وهو مائدة طويلة ممدودة فيهجمون عليه وينهبونه ويحملونه [1].

ويحدثنا المقريزى فى الخطط ج ٢ ص٣٢٢ أنه ركب المعز لدين الله يوم الفطر لصلاة العيد إلى مصلى القاهرة التى بناها القائد جوهر فأقبل فى زيه وبنوده وقبابه. وصلى بالناس وأطال الصلاة وهى صلاة جده على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: فلما فرغ المعز من الصلاة، صعد المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالا، ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما على رسمه وكان فى أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل فجلس عليها بين

---

(١) الحضارة الاسلاميه فى القرن الرابع الهجرى لآدم متز، والنجوم الزاهرة لأبى المحاسن ورحلة ناصر خسرو.

الخطبتين وكان معه على المنبر القائد جوهر ، وخطب وأبلغ وأبكى الناس ، وكانت خطبة بخشوع وخضوع فلما فرغ من خطبته انصرف فى عساكره وخلفه أولاده الأربعة بالجواشن والخوذ على الخيل بأحسن زى وساروا بين يديه بالفيلة ، فلما حضر فى قصره أحضر الناس فأكلوا وقدمت السمط ونشطهم على الطعام ، وعتب على من تأخر وهدد من بلغه صيامه العيد[1]. ونقل المقريزى أنه فى آخر يوم من رمضان سنة ٣٨٠هـ (نقلا عن المسيحى) بقيت مصاطب ما بين القصور إلى المصلى ظاهر باب النصر عليها المؤذنون حتى يتصل التكبير من المصلى إلى القصر وفيه تقدم أمر القاضى ابن النعمان بإحضار المتفقهة والمؤمنين يعنى الشيعة ، وأمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب وفى يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد ، وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالحلى والعسكر فى زيه من الأتراك والديلم والعزيزيه والإخشيدية والكافورية وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر والسروج بالعنبر وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرافة (والزراقون هم الذين يقذفون بالنار اليونانية وقد اقتبسها العرب من الروم وهى فى الأصل من اختراع المشارقة وهى مواد مشتعلة تقذف نحو العدو باسطوانات نحاسية مستطيلة : نقلا عن كتاب الجندية فى الدولة العباسية لضابط عراقى)[2] وخرج الخليفة الفاطمى بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده على بن أبى طالب عليه السلام فصلى على رسمه (على عادته).

ولما استوزر بعد الأفضل المأمون بن البطائحى انتقد عدم ظهور الخليفة وقال هذا نقص فى حق العيد ولا يعلم السبب فى كون الخليفة لا يظهر فقال الخليفة الآمر بأحكام الله فما تراه أنت؟ فقال : يجلس مولانا فى المنظرة التى استجدت بين باب الذهب وباب البحر ، فإذا جلس مولانا فى المنظرة وفتحت الطاقات وقف المملوك بين يديه فى قوس باب الذهب وتجوز العساكر فارسها وراجلها ، وتشملها بركة نظر مولانا إليها ، فإذا حان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب والزى وجميع الأمراء والأجناد واجتاز بأبواب القصر ودخل الإيوان فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ فى شكره . ثم عاد المأمون إلى مجلسه وأمر بتفرقة كسوة العيد والهبات وجملة العين ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار وسبعة دنانير ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الأمراء المطوقين والأستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى حجبة الدار وغيرهم

(١) الخطط للمقريزى .

(٢) الجندية فى الدولة العباسية لضابط عراق .

قال : ووصلت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر شهر رمضان من سنة ٥١٦ هـ وهى تشتمل على دون العشرين ألف دينار وهو عند الفاطميين الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لأن الحلل فيه تعم الجماعة وفى غيره للأعيان خاصة قال المقريزى ولما كان فى التاسع والعشرين من رمضان سنة ٥١٦ هـ خرجت الأوامر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين فى كل ليلة باسم السحور بحكم أنها ليلة ختم الشهر وحضر المأمون ( الوزير ) فى آخر النهار للفطور مع الخليفة والحضور على الأسمطة على العادة ، وحضر المقرئون والمؤذنون ، وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات من أهل القصور بلاحى ( فى معجم دوزى أنها ضرب من الأوانى لحفظ العطور) وموكبيات ( فى معجم دوزى شمعدانات موكبية أى تستعمل فى المواكب ) مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى ( يقول دوزى هى قطع من النسيج يلف بها الرأس ) ودبيقى ( قماش صنع مدينة دبيق بمصر ) وجعلت أمام المذكورين ليشملها بركة ختم القرآن واستفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا ، ثم خطب من أسمع ودعا ، فأبلغ ورفع الفراشون ما أعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا فى الصوفيات إلى أن نثر عليهم من الروشن دراهم ودنانير ، وقدمت جفان القطائف (طعام يسوى من الدقيق المرق بالماء ) مع الحلوى فجروا على عاداتهم وملئوا أكمامهم ثم خرج أستاذ من باب الدار الجليلة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على المقرئين والمؤذنين ورسم أن تحمل الفطرة إلى قاعة الذهب وأن تكون التعبئة فى مجلس الملك حيث تمد الأسمطة وحضر الخليفة واستدعى المأمون (الوزير) وعرضت المظال المذهبة وكان المقرئون يلوحون عند ذكرها بالآيات التى فى سورة النحل « والله جعل لكم مما خلق ظلالا » إلى آخرها.

وجلس الخليفة الفاطمى ورفعت الستور وسلم الرسل الواصلون من جميع الأقاليم ووقفوا فى آخر الإيوان وحضر الأمراء ورجال الدولة واستعرضت الدواب وهى ما يزيد على ألف فرس عدا البغال وعرضت الوحوش بالأجلة والديباج والدبيقى بقباب الذهب والمناطق والأهلة وعرض السلاح وآلات الموكب جميعها ونصبت الكسوات على باب الذهب وحملت الفطرة الخاصة التى يفطر عليها الخليفة بأصناف الجوارشات ( فى المنجد الجوارش نوع من الحلاوات ) بالمسك والعود والكافور والزعفران والتمور المصبغة التى يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره وتسد وتختم وسلمت للمستخدمين فى القصور وعبيت فى مواعين الذهب المكللة

بالجواهر وخرجت الأعلام والبنود وركب المأمون ( الوزير ) فلما حصل بقاعة الذهب أخذ فى مشاهدة السماط من سرير الملك إلى آخره وخرج الخليفة وطلع إلى سرير ملكه وبين يديه الصوانى التى فيها الفطرة الخاصة والمقرئون يتلون والمؤذنون يهللون ويكبرون فيفطر الخليفة ويدخل الناس فيأخذون جميع ما هناك فلما انفضى الفطور ضربت الطبول والأبواق على أبواب القصور وخرجت أزمة العساكر فارسها وراجلها ورتبت الصفوف من القصر إلى المصلى[١] .

هذه صفحة رائعة من احتفاء الدولة الفاطمية بمصر بعيد رمضان ومن تعقب وخاض كتب التاريخ الإسلامى وجد الدول الإسلامية جمعاء تحتفى بهذا العيد فهذه الدولة البويهية يحدثنا الأستاذ آدم متز فى كتابه عن الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى الذى هو عصرها الذى ازدهرت فيها العلوم وأينعت الفنون — يحدثنا ( نقلا عن معجم الأدباء لياقوت الحموى ) أن ابن عباد وهو من وزراء البويهيين كانت داره لا تخلو فى كل ليلة من ليالى رمضان من ألف نسمة تفطر فيها وأن أصدقاءه وأقرباءه فى هذا الشهر كانوا يزورونه بكثرة تبلغ مبلغ زيارتهم له فى جميع شهور السنة .

(١) الخطط للمقريزى.



---

## عربى يصف قومه

| | |
|---|---|
| وإنى من القـــوم الذين همُ همُ | إذا مات منهم سيد قام صاحبه |
| نجوم سماء كلما غار كوكب | بدا كوكب تأوى إليه كواكبه |
| أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم | دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه |
| وما زال منهم (حيث كانوا) مسوّد | تسير المنايا حيث سارت كواكبه |

# شعراء الوحدة

## للأستاذ علي العماري

منذ أكثر من ثمانية قرون، وعلى التحديد في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وأوائل القرن السابع، كانت تعيش البلاد العربية في ظروف تشبه كل المشابهة الظروف التي نعيش فيها الآن؛ أعداء من خارج البلاد يتربصون بها الدوائر، ويبغون لها الغوائل، ويهاجمونها كلما عنت لهم فرصة، وأعداء في داخل البلاد، من أهلها، يتنكرون للشعوب ويعاونون الأعداء.

وفي ذلك التاريخ اصطفت الأقدار للعرب بطلا، خالص العقيدة، طاهر الطوية شديد البأس، هو السلطان الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب، الذي يتصل نسبه ببني أمية، فدحر الصليبيين، وخلص البلاد من شرورهم، ووحد الأقطار الإسلامية.

وفي أثناء هذه الحروب الشهيرة، برزت ظاهرة أفادت منها الأقطار الإسلامية، تلك هي الشعور بوحدة الدم والعقيدة والتاريخ، وقد كان للشعراء شأن أي شأن في الإشادة بهذه الوحدة، والعمل على إذكائها في النفوس، والشعر - يومذاك - بل الأدب بعامة هو الموجه والرائد، حتى قال صلاح الدين الأيوبي «ما فتحت البلاد بالعساكر، وإنما فتحتها بكلام الفاضل» يقصد وزيره القاضي الفاضل.

وقد ازدحم (بلاط) صلاح الدين بالشعراء الذين غنوا على قيثاراتهم أهازيج النصر، ورددوا أناشيد الوحدة، ومن هؤلاء: ابن سناء الملك، والعماد الأصفهاني، والقاضي الفاضل، وغيرهم من شعراء الإقليم المصري في القرن السادس الهجري.

وسنكتب كلمة عن كل واحد من هؤلاء، نتتبع فيها أثره في توحيد الصف، وإشاعة العزة والمجد في نفوس الشعوب، إذ ذاك.

## ابن سناء الملك

### - ١ -

نشأته:

هو أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد بن محمد بن هبة الله السعدي، ويلقب بالقاضي السعيد، ويعرف في الكتب بابن سناء الملك، وسناء الملك لقب أبيه جعفر، وقد ذكره ابن خلكان عقب (المعتمد) فيكون - على رأيه - لقبا لجد القاضي السعيد، ويدل لقب جده سناء الملك أنه كان من كبار الموظفين في الدولة

الفاطمية، فقد خلع هذا اللقب أيضاً على حسين ابن بدر الجمالى، الوزير الفاطمى المشهور »[1].

ولد ابن سناء الملك بمصر، فى أسرة غنية فى حدود سنة ٥٥٠ هـ. وقد حفظ القرآن وبرع فى العلوم الدينية واللغوية والأدبية، وتفقه فى الدين الإسلامى على مذهب أهل السنة، وإن كان ابن سعيد المغربى يذكر أنه كان متشيعا، بل وغالياً فى التشيع، وقد انفرد ابن سعيد بهذا. ويظهر أنه بقيت فى نفس ابن سناء رواسب شيعية، وآية ذلك أننا نجد بعض العقائد الفاطمية فى شعره، وهو يمدح ملوك الأيوبيين، من ذلك - مثلا - قوله فى مدح صلاح الدين:

أعدت إلى مصر سياسة « يوسف »
وجددت فيها من سميك موسما
وأحييت فيها الدين بعد مماته
فأنت (ابن يعقوب) وأنت (ابن مريما)

وقد وقفت طويلا عند هذين البيتين من شعر ابن سناء، وهما من قصيدة فى مدح القاضى الفاضل، قال:

أصبحت فى مدح الأجل موحداً
ولكم أتتنى من أياديه ثنى
وغدوت فى حبى له متشيعاً
من ذا رأى متشيعاً متسنناً

(1) هامش جريدة القصر: القسم المصرى ج ١ ص ٦٤.

ولم أستبعد أن يكون ابن سناء يخفى فى نفسه العقيدة الشيعية، ويبدو أمام الأيوبيين متمسكا بالمذهب السنى، وقد خدعه العقل الباطن فى هذا الشعر، فأجرى على لسانه التعجب من ( متشيع متسنن ). ولا وجه للتعجب، فابن سناء نفسه هو ذلك الرجل.

وأيا ماكان فقد كان ابن سناء من رجالات الدولة الأيوبية، وكل آثاره التى بين أيدينا تدل على أنه كان فى ريعان الشباب وفى كهولته وفى شيخوخته ( متسننا) على حد تعبيره.

وقد تولى ابن سناء القضاء. وتوثقت المودة بينه وبين القاضى الفاضل. وصنف كتبا، أهمها ( دار الطراز ) فى الموشحات، و ( نصوص الفصوص، وعقود العقول ) وهو لا يزال مخطوطا، واختصر كتاب الحيوان للجاحظ، وسمى المختصر ( روح الحيوان ) وقد أعجبت هذه التسمية ( ابن خلكان ) فقال: وهى تسمية لطيفة. وله ديوان شعر منه نسخة خطية فى مكتبة الأزهر، وهى نسخة كثيرة الأخطاء.

وتوفى ابن سناء باتفاق الذين ترجموا له فى سنة ثمان وستمائة، فى شهر رمضان من السنة المذكورة، وهى توافق سنة ١٢١١ م.

**أدبه وخصائصه:**

يعتبر ابن سناء من كبار الشعراء المصريين

فى العصر الأيوبى ، وديوان شعره يضم شعراً فى كل الأغراض التى تعنى الشعراء فى ذلك العصر من مدح ورثاء وغزل ووصف ، إلى هجو ، إلى إخوانيات .

أما الفن الذى نبغ فيه ابن سناء فهو فن الموشح وكتابه ( دار الطراز ) يعتبر الأول من نوعه فى موضوعه ، فقد قام فيه بمهمة وضع قواعد واضحة للموشح ، وليس معنى هذا أن أحدا قبله لم يتعرض لهذه الأصول ، فإن بعض هذه الأصول وردت - ولو بطريق الإشارة - فى بعض الكتب الأندلسية كالذخيرة لابن بسام ، وإنما معناه أن تحديد قواعد الموشح وتبيان خصائصه وطرق نظمه ، وأوزانه ، ثم تأييد هذه الأصول بأمثلة من الموشحات ، هذا العمل لم يعمله أحد قبل ابن سناء ، بل ، وكل الذين جاءوا بعده ، وتحدثوا عن الموشح كانوا عيالا عليه .

وكان ابن سناء منذ شبابه المبكر أظهر ميلا قوياً للأدب ، ولاسيما الشعر ، وقد جاء فى مقدمته لدار الطراز أنه لم يأخذ فن الموشح عن أستاذ أو شيخ ، ولم يتعلمه فى كتاب ، وقد ظهرت عبقريته بشكل واضح فى الموشحات ومما قاله فى كتاب ( النصوص الفصوص ) الورقة ( ٢١ ) : « وكنت لما أولعت بعمل الموشحات قد نكبت عما يعمله المصريون من استعارتهم لخرجات موشحاتهم خرجات موشحات المغاربة ، فكنت إذا عملت موشحا لا أستعير خرجة غيرى ، بل أبتكرها وأخترعها ، ولا أرضى باستعارتها . وقد كنت نحوت فيها نحو المغاربة وقصدت ما قصدوه واخترعت أوزانا ما وقعوا عليها ، ولم يبق شىء عملوه إلا عملته إلا الخرجات الأعجمية فإنها كانت بربرية . فلما اتفق لى أن تعلمت اللغة الفارسية عملت هذا الموشح وغيره وجعلت خرجته فارسية بدلا من الخرجة البربرية [1] .

وظهرت فى شعر ابن سناء السمات التى طبعت شعر العصر الأيوبى ، من التأنق اللفظى والتكلف المقيت ، والقصد إلى المحسنات البديعية من جناس وطباق وتورية ، حتى لقد كان الجناس يملأ تفكيرهم فنرى ابن سناء يتوهمه فى بعض الأفعال ، فهو يتحدث عن عين عشقت ، لأن عينا نظرت إليها ، فيحاول أن يتخذ من هذا دعوى قصد الجناس فيقول:

يا جور هذا الحب فى أحكامه
خد يحد ، وطرف عين قد زنا
وأظنه قصد الجناس لأنه
طرف زنا لما رأى طرفا رنا

فيدعى أن طرف العاشق إنما ( زنا ) بالنظر إلى المعشوق لأن طرف المعشوق (رنا) إليه ونظر . وسبب هذا إنما هو قصد الجناس بين زنا ورنا .

---

[1] هامش دار الطراز ص ١٣٥ تحقيق دكتور جودت الركابى .

وللشعراء المصريين مذاهب فى هذا ومن ذلك قول الشاعر :

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى
مليحا ، دونه السمر الرقاق
فقلت وهل أنا إلا أديب
فكيف يفوتنى هذا الطباق

والشواهد كثيرة من شعر ابن سناء على تكلفه المحسنات البديعية ، حتى مقدمته فى دار الطراز جاءت مسجوعة ، مع أنها مقدمة جليلة من حيث ما تضمنته من أصول الموشحات.

كان القاضى الفاضل يثنى كثيرا على ابن سناء ، وعلى بلاغته ،وصناعته فى النظم ومن قوله فى ذلك : « أما بلاغته فقد بلغت الغاية، وأما قلمه فإنه به قد أعطى الراية » وكان معاصره العماد الأصفهانى الكاتب صاحب خريدة القصر يثنى عليه ، ويعجب به ، وكذلك أثنى عليه ياقوت الحموى فى أكثر من موضع فى كتابه « معجم الأدباء » ومما قاله : « أحد أدباء العصر وشعرائه المجيدين، ذاع صيته ، وسار ذكره » وامتدح قصيدته التى سارت بها الركبان ـ على حد قوله ـ والحماسية الغزلية . وهى :

سواى يهاب الموت أو يرهب الردى
وغيرى يهوى أن يعيش مخلدا

وبعد أن ذكر أبياتا كثيرة منها قال : «والقصيدة طويلة، كل بيت فيها فريدة فى عقد، وشعره كثير ، وأكثره جيد » .وأثنى عليه القاضى ابن خلكان ، بأنه صاحب الشعر البديع والنظم الرائق . وأحد الفضلاء النبلاء الأدباء . وأعجب بوصفه لنقصان النيل وقال إنه أحسن ما يوصف به ،وعبارة ابن سناء : وأما أمر الماء فإنه نضبت مشارعه و نقطعت أصابعه ، وتيمم العمود لصلاة الاستسقاء ، وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء » .

**ابن سناء والوحدة :**

ذكرت فيما سبق أن القاضى السعيد قال الشعر فى كل الأغراض التى كان يقول فيها الشعراء فى عصره ، وقلت : إن الفن الذى نبغ فيه هو فن الموشحات ، وأضيف هنا أن شعر المدح عند ابن سناء لا يقل أهمية عن موشحاته التى امتاز بها . ذلك أننا يمكن أن نعتبر هذا الشعر وثائق تاريخية فيما يتعلق بالسياسة العامة ، ولاسيما السياسة الحربية الأيوبيين ، كما يمكن أن نتخذه دليلا على شعور هذا الشاعر بما يمكن أن يطلق عليه ( الوحدة العربية ) وقبل أن نمضى فى دراسة هذا الشعر ، نقدم كلمة مجملة عن البيئة التى عاش فيها هذا الشاعر من الناحية السياسية.

ولد ابن سناء فى سنة خمسين وخمسمائة ، وتوفى فى سنة ثمان وستمائة ، فهو قد عاش زهاء الستين عاما عاصر فيها أواخر الخلفاء الفاطميين ، وعاصر من الأيوبيين السلطان صلاح الدين وابنه العزيز عثمان ، وولد

العزيز الملك المنصور محمد ، ثم الملك العادل ابن الأمير نجم الدين أيوب ، وهو أخو صلاح الدين ، وفى هذه الفترة كان ملوك آخرون من الأيوبيين فى دمشق وحلب واليمن ، ومنذ أن ولد ابن سناء إلى أن توفى ، وملوك المسلمين يشنون غزوات على الفرنج ، والفرنج يحاربون المسلمين ، ويغيرون على البلاد المصرية ، وينتصر المسلمون حينا ، وينتصر الفرنج حينا آخر ، وقد يعقد الصلح بين الفريقين ، وليس من شك أن الشعور العام للمسلمين فى ذلك العهد كان الضيق الشديد بحركات الفرنج ، والفرح المتزايد بكل انتصار يحرزه المسلمون .

ومما يدلنا على الشعور النبيل فى نفوس المسلمين فى ذلك ، وبغضهم الشديد للفرنج ، هذه القصة المعبرة : كاتب ( شاور ) وزير العاضد الفرنج ليحاربوا معه ( أسد الدين شيركوه ) فلما تأخر الفرنج خاف شاور « فعمل فى عمل دعوة لأسد الدين المذكور ولأمرائه ويقبض عليهم فنهاه ابنه الكامل . وقال : والله لئن لم تنته عن هذا الأمر لأعرفن أسد الدين فقال له أبوه شاور : والله لئن لم نفعل لنقتلن كلنا ، فقال له ابنه الكامل : لأن نقتل والبلاد بيد المسلمين خير من أن نقتل والبلاد فى يد الفرنج »[1] . ولما بلغ أعيان الدولة أن شاور كاتب الفرنج اجتمعوا عند الملك المنصور أسد الدين شيركوه وقالوا له : شاور فساد العباد والبلاد . وقد كاتب الفرنج ، وهو يكون سبب هلاك الإسلام » . ومن الآراء التى قيلت فى موت شاور أن الأمراء قتلوه لما علموا بما فعل .

ولم يكن الفرنج وحدهم هم الذين يهددون وحدة المسلمين ، بل كان فى داخل البلاد أفراد يعملون على الثورة ولكن صلاح الدين قضى عليهم واحداً بعد آخر .

وكادت تقع الفتنة بين بنى أيوب أنفسهم بعد صلاح الدين لولا أن الله تداركهم بفضله فتم بينهم الصلح .

هذه صورة مصغرة لما كانت عليه البلاد الإسلامية فى السنوات التى عاشها القاضى السعيد ولابد أنه وهو رجل مسلم ، شاعر ، ومقرب من السلاطين والأمراء كان أشد شعوراً بكل هذه الأحداث ، فلا عجب أن نجد فى شعره رنة الفرح كلما أحرز المسلمون انتصاراً أو ملكوا بلداً ، أو فتحوا حصناً ، وكان كل ذلك كثير الحدوث ، فقد فتح نور الدين محمود فى مدة ولايته نيفاً وخمسين حصناً ، وأما صلاح الدين فقد أعاد للإسلام سطوته ، وللعروبة قوتها ، بالانتصارات المتتالية التى أحرزها .

وقد أسهم ابن سناء بنصيب موفور فى تسجيل انتصارات صلاح الدين ، من ذلك قوله يهنئه بفتح حلب :

(١) ، ٢ النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٥١ .

وفى زمان ابن أيوب غدت حلب
من أرض مصر، وعادت مصر من حلب
ولابن أيوب دانت كل مملكة
بالفتح والصلح أو بالحرب والحرب
أرض الجزيرة لم تظفر بمالكها
بمالك فطن أو سائس درب
ممالك لم يدبرها مدبرها
إلا برأى خصى أو بعقل صبى
حتى أتاها صلاح الدين فانصاحت
من الفساد كما صحت من الوصب

ويمدح صلاح الدين فى قصيدة أخرى فيقول: إنه أنام بنى الإسلام فى كهف بأسه، هكذا (بنى الإسلام) لا بنى مصر وحدها، ولا بنى الشام وحدهم، ولا بنى قطر من الأقطار وإنما هم (بنو الإسلام) بهذا العنوان مما يدلنا على شعور الشاعر بالوحدة الإسلامية ويمضى فى مدح صاحبه فيقول إنه عوض المسلمين من سخطهم رضا، ومن خوفهم أمناً وأنه أقام بدار الكفر تجبى له الجزية، والكفار صاغرون، وهذا غاية ما يتمناه كل مسلم.

ويقول فى قصيدة ثالثة فى مدح صلاح الدين:
لقد نصر الإسلام منه بناصر
يرى مغرما فى الدين ما كان مغرما
يذب عن البيت المحرم جنده
فلولاهم ما كان بيتا محرما
ولولاهم ما كان زمزم زمرما
ولولاهم كان الحطيم محطما

وفى هذا ما يشير إلى ما كان عليه أعداء الإسلام من قوة هائلة، وأنه لولا صلاح الدين لتغيرت معالم الإسلام. ولكنه أعاد للدين حرمته وقوم ما كان قد طرأ عليه من اعوجاج.

وكان صلاح الدين فى الشام، فكتب ابن سناء يذكر له شوق مصر إليه، ويقول:
تغايرت الأقطار فيك فواحد
لبعدك يبكى أو لقربك يبسم
ولا شك فى أن الديار كأهلها
كما قيل تشقى بالزمان وتنعم
وما برحت مصر أحق بيوسف
من الشام لكن الحظوظ تقسم
بمصر كما بى من جوى وصبابة
كلانا معنى بالأحبة مغرم

فهذه البلاد التى (تغايرت) لا شك أنها بلاد واحدة، تنظر إلى زعيم واحد، ويجمعها الشوق إليه، والغيرة عليه، وهذا هو أصرح تعبير عن الوحدة التى عمل لها صلاح الدين والتى تمت فى عهده. وغذاها الشعراء والأدباء بما ينظمون وما ينثرون.

ويهنئ صلاح الدين بفتح الشام، فيقول:
لست أدرى بأى فتح تهنا
يا منيل الإسلام ما قد تمنى
أنهنيك أن تملكت شاما
أم نهنيك أن تملكت عدنا
إن دين الإسلام من على الخلـ
ـق وأنت الذى على الدين منا

قد ملكت البلاد شرقا وغربا
وحويت الآفاق سهلا وحزنا

وهذه القطعة على صغرها مملوءة بالمعانى تؤيد ما ذهبنا إليه من أن هذا الشاعر كان من المغردين بالوحدة ، وأن الشعور بهذه الوحدة كان يملأ نفسه، وأن شعره صورة صادقة لما كان عليه الشعراء فى ذلك العهد ، وواضح من هذه الأبيات أن الوحدة الكبرى تمت لصلاح الدين: الشام وعدن ، ومن قبل الجزيرة والفرات ، وفلسطين وعسقلان .

وقد لاحظت أن ابن سناء كان حريصاً على أن يقارن بين ماضى الإسلام وحاضره بين ماضيه مذ درست معالمه ، وضعف سلطان تعاليمه ، وبين حاضره حيث أحياه صلاح الدين من موت ، وأعتقه من عبودية . وإن ما يثلج صدر كل مسلم أن يملك صلاح الدين ( البلاد شرقا وغرباً ) فهو جدير بأن يهنأ . بل وأن يهنأ الإسلام والمسلمون بهذه الفتوحات العظيمة التى أنالت الإسلام ما كان يتمناه ، وهل كان يتمنى الإسلام إلا جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم . بل يصرح ابن سناء فى أبيات أخرى بأن صلاح الدين قد جمع شمل المسلمين فيقول عن فتحه لإحدى البلاد :

وصليت فيها جمعة بجماعة
تناديك للإسلام يا جامع الشمل

لحبك مفروض على كل مسلم
ويعلم هذا فيك بالعقل والنقل

فلا عجب بعد هذا أن يقول أحد الكاتبين فى ابن سناء الملك ومدائحه : « أنت ترى خلال هذه المدائح نفسا عربية مخلصة تجيش بالإكبار والإجلال نحو الرجل الذى صان الديار الإسلامية وفرض احترامها على من حاول العبث بها ، وطهر بيت المقدس من المغير على أرضه ، فيهجر الشاعر الصنعة والتكلف عفوا ليترك العاطفة تتحدث ، وترتفع نشوى فى أجواء النصر والمجد[1] » .

وظل ابن سناء بعد صلاح الدين يمدح ملوك الأيوبيين ، وفى كل مدائحه تظهر الروح التى ظهرت فى مدائحه لصلاح الدين .

( وبعد ) : فإن ابن سناء شاعر كبير ، وهو من الشعراء الذين خدموا الوحدة بين البلاد العربية بما نظموه فيها من أشعار .

ولقد أعاد التاريخ نفسه فجعل من عبد الناصر ، الناصر صلاح الدين الثانى ، فهل نجد من شعرائنا من يكون ابن سناء الملك الثانى يتغنى بوحدة العرب ، ويسجل لنا مظاهر النصر التى تملأ حياتنا الحاضرة .

ولولا أن الأناشيد ، والأغنيات الشعبية ملكت ناصية الأمر فى هذه الأيام لكنا نطمع فى شعر كثير جميل يبقى على مر الأيام، يتحدث بانتصاراتنا ويسجل أروع صفحات تاريخنا ؟ .

**على العمارى**

(١) مقدمة دار الطراز للدكتور جودت كامل ص ١١ .

# الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين

## لعالمين من علماء الأزهر

حملة قديمة ـ الإيمان بالألوهية ضرورة عقلية ـ إرسال النبيين من آثار الرحمة الالهية ـ رسالة الاسلام ـ القرآن هو الآية الكبرى على رسالة محمد ـ القرآن آية وهداية أين المعارضون للقرآن ـ الاسلام عقيدة ونظام مزايا العقيدة الاسلامية ـ شبهات حول العقيدة « الجبر والاختيار » ـ حول الإيمان بالآخرة ـ نظام الاسلام ـ عبادة الله وحده ـ العلاقات الانسانية ـ العلاقة بين الأغنياء والفقراء ـ بيت المال ملك الامة ـ الاسلام يقيم التوازن بين الأغنياء والفقراء .

---

الحملة على الأديان ليست بنت اليوم ولا وليدة الأمس وليست من مبتكرات المادية الماركسية التي زعمت أن الدين أفيون الشعوب .

قال لأديب الفرنسي « فولتير » أن فكرة التأليه إنما اخترعها دهاة ماكرون الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء .

وفولتير أيضا لم يكن مبتكرا لهذا فمن قديم ظهر مثل هذا الزعم عند « السوفسطائيين » من اليونان الذين أنكروا حقائق الأشياء أو شككوا فيها وكان فيما روجوه من مغالطات وتشكيكات أن الإنسان في أول نشأته كان لا يخضع إلا للقوة لا لخلق ولا لقانون ، ثم كان أن وضعت القوانين ، فاختفت المظاهر العلمية من هذه الفوضى البدائية . ولكن الجرائم السرية ما برحت سائدة منتشرة فهنالك فكر بعض العباقرة في إقناع الجماهير بأن في السماء قوة أزلية أبدية ترى كل شيء وتسمع كل شيء ، وتهيمن بحكمتها على كل شيء [1] .

ولسنا ننكر أن تكون هناك عقيدة معينة قد استحدثت في عصر ما أو أن يكون ثمت وضع خاص من أوضاع العبادات قد جاء مجلوبا مصنوعا فذلك سائغ في العقل بل واقع بالفعل . أما فكرة التدين في جوهرها ، فليس هناك دليل واحد على أنها تأخرت عن نشأة الإنسان .

---

(١) الدين للمرحوم الدكتور دراز ص ٧٤ .

يقول معجم « لاروس » للقرن العشرين : إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية ، وأقربها إلى الحياة الحيوانية . . . وأن الاهتمام بالمعنى الإلهى ، وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية .

ويقول هنرى برجسون : « لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعة بدون ديانة .

ويقول أرنست رينان فى تاريخ الأديان : « إن من الممكن أن يضمحل كل شىء نحبه وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحى التدين بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يريد أن يحصر الفكر الإنسانى فى المضايق الدنيئة فى الحياة الأرضية » .

ويعلق الأستاذ محمد فريد وجدى على هذه الكلمة فى دائرة معارفه فيقول فى مادة «دين» : « نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها ، ناهيك بميل يرفع رأس الإنسان بل إن هذا الميل سيزداد ... ففطرة التدين ستلاحق الإنسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه .

والحق أن الإيمان بقوة عليا — خلقت هذا الكون وقامت بتدبيره ورعايته على أحكم نظام — ضرورة عقلية بعد كونه ضرورة فطرية وجدانية ، فإن العقل الإنسانى بغير تعلم ولا اكتساب يؤمن بقانون السببية ولا يقبل فعلا من غير فاعل ، ولا صنعة من غير صانع .

وبدون التدين والإيمان سيظل هذا السؤال الذى أثاره القرآن حائراً بغير جواب « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض ؟ » وبداهة لم يخلقوا من غير شىء ، وطبعاً لم يخلقوا هم أنفسهم ، ولم يزعم أحد أنه خلق ذرة فى السموات أو فى الأرض ، فلم يبق إلا الاعتراف بوجود الخالق العليم الحكيم الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

والذين فروا من الاعتراف بالألوهية الخالقة لأنها شىء غير مشاهد ولا محسوس ولا يدخل تحت التجربة ، لم يمكنهم إلا أن يلجئوا إلى قوة غامضة خفية هى الأخرى أطلقوا عليها « الطبيعة » .

وقد كان الوثنيون والجاهليون أقوم فكراً وأصرح رأياً حين اعترفوا بموجب الفطرة ومقتضى العقل فلم يلفوا ويدوروا كهؤلاء الذين يقولون : بالدهر والطبيعة ، فحين سئلوا من خلق السموات والأرض ؟ قالوا

فى صراحة وصدق : خلقهن العزيز العليم .
« قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون : الله » .

* * *

وكان من مقتضى الحكمة الإلهية البالغة والرحمة الإلهية الواسعة ألا يترك الناس سدى أو هملا يتخبطون على غير هدى أو يختلفون بغير حكم ولا مرجع ... فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط . وليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه . وليضعوا لهم أسس الحياة الفاضلة ، وليرسموا لهم الطريق إلى الله وإلى سعادة الآخرة والأولى « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

وكان من حكمة الله أن يكون هؤلاء بشراً لا ملائكة يبعثون من بين أقوامهم ليكونوا آنس بهم وأعرف بأحوالهم وأقدر على التأسى بأخلاقهم وقد تعجب بعض الناس أن يرسل الله بشراً فرد الله عليهم « قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم » .

وقد أيد الله هؤلاء المرسلين بالحجة القاطعة والآيات البينات على صدق دعوتهم وأنهم رسل الله حقا ولم يملك المنصفون من معاصريهم إلا أن يذعنوا لهم ويؤمنوا برسالتهم « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » وأوضح مثل على ذلك سحرة فرعون الذين انتقلوا من الإيمان بربوبية فرعون إلى الإيمان الحق و « قالوا : آمنا برب هرون وموسى » ... « لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا » .

وقد تعهد الله البشرية فى شتى عصورها بأنبياء ومرسلين كانوا منارات هادية وقادة مبينين ومعلمين إلى أن أكمل الله الدين وختم الرسالات ببعثة النبى الأمى محمد بن عبد الله بالرسالة العامة الخالدة ليكون للعالمين نذيرا « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

* * *

يخطىء كل الخطأ من يحاول أن ينعت الإسلام بأنه رسالة أرضية اخترعها بشر ونسقها فكر إنسان ، أو أنه ظاهرة اجتماعية أوحت بها أسباب تارخية أو عوامل اقتصادية.

... إن من يحاول هذه المحاولة يخدع نفسه أولا ويكذب على الناس ثانيا ... ذلك أنه يعصب عينيه ويستر عقله عن كل عوامل المعرفة الصحيحة ، فهو يتجاهل التاريخ الصحيح ، ويضلل عن الواقع الاجتماعى والعملى فى جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده ...

فإن أحوال القبائل العربية فى مكة وما حولها معروفة فى التاريخ كانت حياتها حياة انتجاع وسفر وتجارة ، وسمر ولهو ، وحرب وخصام على ناقة أو فرس — كما نعرف من حرب البسوس ، وداحس والغبراء .

ومن ناحية العقيدة معروف كذلك أنه كان لكل قبيلة وثن تعبده وتستعينه وتستقسم عنده ، وكانت الكعبة معظمة عندهم يتوارثون تعظيمها من قديم وكانت كل قبيلة تأتى بصنمها فتجعله حول الكعبة حتى بلغ عدد الأصنام فى الكعبة ثلثمائة وستين .

ولم تكن الوثنية سطحية فى بلاد العرب بل كانت متغلغلة فى أعماق حياتهم : ظهر ذلك فى حجهم ونذورهم وبحائرهم وسوائبهم وسائر شئونهم « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم » .

والتحنف قبل الإسلام لم يعرف به إلا أفراد معدودون كانوا أسلم فطرة وأنضج عقولا من أن يجاروا تيار الوثنية فى قومهم فهجروا الأوثان وتعبدوا على ما بلغهم من دين أبيهم إبراهيم ، أو اعتنقوا ديانة كتابية كالنصرانية .

ومن هؤلاء أربعة نفر ثلاثة من قريش ورابع من حلفائهم ، فالقرشيون عمر بن نفيل بن عبد العزى العدوى ، وورقة بن نوفل الأسدى الذى قرأ الكتب القديمة ، وعرف النصرانية واتبعها . وعثمان بن الحويرث الأسدى والرابع عبيد الله بن جحش ابن أسد بن خزيمة ...

ولم يكن لهؤلاء دعوة أو أثر فى قومهم يخفف من غلواء وثنيتهم وتمسكهم بأصنامهم حتى إن دعوة الرسول محمد إلى التوحيد لقيت استنكاراً بالغاً ورفضاً صارماً « أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشئ عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق » .

ولمعرفة الرسول بعصبية قومه لوثنيتهم لم يفاجئهم بدعوته إلى التوحيد وتحسس طريقه إلى القلوب لمدة ثلاث سنوات ثم بدأ ينذر عشيرته الأقربين ويتدرج فى التبشير بالدعوة ومع هذا لم يكد يعثر إلا على الفرد بعد الفرد مدة ثلاثة عشر عاما لقى فيها مرير الأذى وصنوف العذاب هو وأصحابه واضطر أن يأمرهم بالهجرة إلى الحبشة مرتين .

وأعقب هذا الاضطهاد والناس فى مكة صراع دام فى المدينه دافعت به الوثنية عن نفسها وألقت بكل ما تملك من أرواح وأموال حتى لا يقوم فى الأرض دين التوحيد ...

فهل يمكن أن يقال بعد هذا إن الجزيرة العربيه كانت تتطور إلى التوحيد بتأثير

العوامل الاجتماعيه ، وأن التحنف كان ظاهرة عامة قبل الإسلام .

كان من حق الناس أن يقولوا لمن يدعى النبـــوة عن الله : ائت بآية إن كنت من الصادقين وقد أيد الله رسله بآيات كونية ناسبت عصرهم وما برع فيه قومهم من مثل قلب العصا حية لموسى ، وإحياء الميت وإبراء الأكمه لعيسى ..

ولما كانت دعوة محمد دعوة عامة خالدة للإنسانية كلها وللأجيال كلها شاءت حكمة الله أن يؤيده بآية عامة خالدة أيضاً ، آية عقلية معنوية هي ( القرآن الكريم ) .

« وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين » .

« أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » وقد اشتمل القرآن على وجوه من الإعجاز خرست أمامها ألسنة المعارضين وانقطعت حجتهم أمام التحدى الواضح المثير « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » .

« قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

« قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » وحقت عليهم الغلبة والإذعان التى سجلها التاريخ والواقع .. وصدق قول القرآن نفسه « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

واستطاع هذا الكتاب المبين أن يحدث أكبر ثورة نفسية واجتماعية غيرت وجه التاريخ وأنشأت أمة من العدم قوتها من ضعف وهدتها من ضلالة وجمعتها من شتات . فأصبح لها بفضل هذا القرآن كيان واحد وتشريع يحتكم إليه وأخلاق توجه سلوكها وأعم لها وجهة الخير ، ورسالة عالمية تدعو الناس إليها « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم » .

وقد امتاز القرآن عن آيات الأنبياء جميعا بأنه آية وهداية معا أو كما وصف نفسه : « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

والآية المعجزة إذا كانت من جنس الرسالة والدعوة ، كانت أدل على صدق من أيد بها وأثبت عند العقل من الآيات الخارجة عنها .

وضرب بعض العلماء لذلك مثلا : رجلا ادعى فى بلاد كثرت فيها الأمراض أنه طبيب وأن دليله على ذلك أنه ألف كتابا فى علم الطب ، يداوى المرضى بما دونه فيه فيبرءون فاطلع عليه الأطباء البارعون ، فشهدوا بأنه خير الكتب فى الطب وما يتعلق به من عمل ثم عرض عليه من لا يحصى عدداً من المرضى وقبلوا ما وصفه لهم من الأدوية فبرئوا من عللهم ، وصاروا أحسن صحة . فهل يمكن المراء فى صحة هذه الدعوى - دعوى الطبيب - مع هذين البرهانين العلمى والعملى ؟ .

كلا . وإن العلم بطب الأرواح أعلى وأعز منالا من طب الأجسام وإن معالجة أمراض الأخلاق وأدواء الاجتماع أعسر من مداواة أعضاء الأفراد .

ومن المعلوم بالضرورة أن القرآن مشتمل على العقائد الصحيحة والآداب العالية ، وأصول التشريع الاجتماعى والمدنى ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم عالج به أمة عريقة فى الشقاق وحمية الجاهلية ، غريقة فى الجهل والأمية ، ورذائل الوثنية ، فشفيت واتحدت وتعلمت الكتاب والحكمة ، وسادت الأمم من بدو وحضر ، مع أنه كان أميا لم يتعلم شيئا من العلوم ولم يتمرس فى سياسة الشعوب .

« كفاك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم » -

لو استدل ذلك الطبيب الجسدانى على صحة دعواه بعمل غير مألوف للناس ، ولكن لا علاقة له بالطب ، لأمكن المراء فى صحة دعواه ، كذلك شأن هذا النبى فى ادعائه أنه مرسل من الله لهداية البشر ، فإن كتابه العلمى المؤيد بنجاح العمل به ، أدل على كونه وحيا أوحاه الله إليه من جعل عصا حية أو إحيائه ميتا لأن هذين - على غرابتهما - ليسا من موضوع الإرشاد والتعليم ، كما أنهما ليسا من موضوع الطب ، فهما إن دلا على صدق الرسول فدلالتهما ليست فى أنفسهما .

والإتيان بعمل خارق للمألوف فى العادة من سنن الكون ، هو دون الإتيان بالعلوم العالية الإلهية والتشريعية من غير تعليم ، فكيف بالإتيان بأنباء الغيب : الماضى والمستقبل ؟ فكيف بصلاح حال من عملوا بهذه العلوم دينا ودنيا ؟ .

فالقرآن إذا برهان على أن ما فيه من الطب الروحانى والاجتماعى وحى من المدبر الحكيم لا يمارى فيه إلا معاند مكابر أو مقلد جاهل [1] .

* * *

ظهر بعد نجاح الدعوة الإسلامية فى الجزيرة العربية - لأسباب نفسية وقبلية - بعض مدعى النبوة ، فماذا كانت حجتهم ؟

(١) تفسير المنار ج ١ ص ٢١٨ .

وما هى كتبهم التى دعوا إليها الناس ، وماهى أعمالهم التى ترجمت رسالاتهم ؟.

فى العام التاسع والعاشر من هجرة الرسول، ثم فى عهد أبى بكر ، تنبأ مسيلمة الذى ظهر فى اليمامة فى قومه بنى حنيفة ـ مناوءة لقريش أن تستأثر بالنبوة فى زعمهم وزعمه .

والأسود العنسى الذى تنبأ فى ( اليمن ) .

وطلحة بن خويلد الأسدى الذى ظهر فى قبيلة ( أسد ) .

وسجاح بنت الحارث والتى ظهرت فى ( بنى تغلب ) .

وقد تحدثت الروايات عن مسيلمة وغيره أنهم أنشئوا كتبا يعارضون بها القرآن ، لم تسع ذاكرة الأدب والتاريخ شيئا منها إلا ما تندرت به الروايات من مثل قول مسيلمة : « يا ضفدع يا بنت ضفدعين ، نقى ما تنقين ، نصفك فى الماء ونصفك فى الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين » .

وسواء صحت هذه الروايات أو لم تصح فإن التاريخ الذى ترك لنا تراثا هائلا من الشعر والحكم والأمثال وغيرها لم يجد شيئا ذا قيمة أدبية يمكن أن يسجله أو يحتفظ به .

ولم يستطع باطل هؤلاء أن يصمد طويلا أمام الإسلام الحق فسرعان ما انتهى أمرهم ، بعضهم بالموت وبعضهم بالإذعان للإسلام كما فعل طلحة الذى انضم إلى صفوف المجاهدين المسلمين بحماسة بالغة ، يكفر بها عن ماضيه فى مناوأة الإسلام .

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .

وفى عهد الدولة العباسة تحكى لنا بعض الروايات عن أشخاص اتهموا بمعارضة القرآن منهم « ابن المقفع » ولم تعزز هذه التهمة بذكر نصوص هذا القرآن المقلد .

فقد ذكر ابن قيم الجوزية والباقلانى أن ابن المقفع عندما انتهى إلى قوله تعالى : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور » إلى قوله تعالى : « وقيل بعداً للقوم الظالمين [١] » . عدل عن إنشاء قرآنه وقال : هذا ما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ، وترك المعارضة ، وأحرق ما كان قد اختلقه .

ويقول الباقلانى : إن قوما ادعوا أن ابن المقفع عارض القرآن فى كتابه « الدرة اليتيمة » ولم يجد الباقلانى فيما أنشأ ابن المقفع بهذا الكتاب ما يصح أن يكون تقليداً للقرآن[١] .

ومن الذين اتهموا بهذه التهمة وهى محاولة محاكاة القرآن « أبو العلاء المعرى » فى كتاب الفصول والغايات ، وما ورد فى هذا الكتاب « أقسم بخالق الخيل . والريح الهابة بليل

(١) القرآن لمحمد صبيح ص ١٥٨ .

بين الشرط ومطالع سهيل. إن الكافر لطويل الويل . وإن العمر لمكفوف الذيل . فعد مدارج السبيل ، وطالع التوبة من قبيل تنج وما إخالك بناج » .

ويقول الرافعي في إعجاز القرآن [1] : ولا ريب أن هذا فرية على المعرى أراده بها عدو حاذق ، لأن الرجل أبصر بنفسه ، وبطبقة الكلام الذى يعارضه ، وما أراه إلا أعرف الناس باضطراب أسلوبه ، والتواء مذهبه ... الخ .

ويقول طه حسين في كتابه « مع أبى العلاء فى سجنه » [2] هل أراد أبو العلاء إلى معارضة القرآن فى الفصول والغايات كما ظن بعض القدماء ، نعم ، ولا .

نعم : إن فهمنا فى المعارضة مجرد التأثر ومحاولة المحاكاة ، إن فهمنا من المعارضة أن أبا العلاء قد نظر إلى القرآن على أنه مثل أعلى فى الفن الأدبى فتأثره ، ووجد فى تقليده ، كما يتأثر كل أديب بما يعجب به من المثل الفنية العليا . ذلك شيء لا شك فيه ، فأيسر نظر فى كتاب « الفصول والغايات » يشعرك بأن أبا العلاء حاول أن يقلد قصار السور وطوالها ، وليس المهم أنه وفق فى هـــذا التقليد أو لم يوفق بل من المحقق أن التوفيق لم يقدر له كما لم يقدر لغيره ، بل من المحقق أيضا أنه لم يظفر إلا بمثل سجع الكهان ، ولكن المهم أن هذه المحاولة ظاهرة ملموسة فى الكتاب ولا تلزمه إثما ولا حوبا .

ولا : إن فهم من المعارضة الاستجابة للتحدى ومحاولة الإتيان بسورة أو سور مثل القرآن فهذا خاطر ما أحسبه خطر لأبى العلاء ، فقد كان أشد تواضعاً من أن يبلغ به الكبر إلى هذا ، وقد كان أعقل من أن يطاول ما لا سبيل إلى مطاولته ... إلخ .

وآخر ماعرفنا من محاولات المتنبئين الذين يتحدثون عن صلتهم بوحى السماء ، وأنه ينزل عليهم قرآنا ، كما كان ينزل القرآن على محمد هى محاولات : غلام أحمد الهندى القاديانى وميرزا على الباب ، وتلميذه البهاء .

ومن حسن الحظ أن أتباع هؤلاء لا يظهرون هذه القرآنات المزعومة ، بل يسترونها كما تستر العورات . . ومن استطاع بوسيلة ما أن يقرأ شيئا من هـذه الكتب لم يجد إلا الغثاثة والتفاهة الفكرية والبيانية ... وخرج منها بيقين أعمق بأن هذا القرآن من عند الله « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

والإسلام الذى بعث به محمد وكان القرآن مصدره الأول ليس — كما يظن القاصرون

---

(١) ص ١٨٩ .

(٢) ٣٣٦ .

دينا لاهوتيا ، وليس عقيدة فقط تعنى بالجانب الروحى للإنسان دون أن تعنى بتنظيم علاقته بالكون ، وعلاقته بالحياة ، وعلاقته بإخوانه بنى الإنسان أفراداً وأسراً ومجتمعات ودولا .

كلا إن الإسلام عقيدة شاملة ينبثق عنها نظام عالمى كامل تقوم على أساسه أمة عالمية متوازنة أبرز سماتها ما وصفها به القرآن :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ، « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

* * *

وللعقيدة الإسلامية مزايا وخصائص لا تتوافر لغيرها من العقائد الدينية فهى عقيدة واضحة بسيطة لا تعقيد فيها ، تتلخص فى أن وراء هذا العالم المنسق البديع المحكم ربا واحداً ، خلقه ونظمه ، وقدر كل شىء فيه تقديراً وهذا الرب والإله ليس له شريك ولا شبيه ، ولا صاحبة ولا ولد ، « بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون » .

وهذه عقيدة واضحة مقبولة . فالعقل دائما يطلب الترابط والوحدة وراء التنوع والكثرة ويريد أن يرجع الأشياء دوما إلى سبب واحد والواقع المطرد يثبت أبداً أن تعدد الإرادات لا ينتج عنه أثر متكامل أو نظام متسق والقرآن يقرر هذه الحقيقة فيقول : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » .

وهى عقيدة ليست غريبة عن الفطرة ، ولا مناقضة لها ، بل هى منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدد على قفله المحكم ، وهذا هو صريح القرآن « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وهى عقيدة ثابتة محددة ، لا تقبل الزيادة والنقصان ، ولا التحريف والتبديل ، فليس لحاكم من الحكام ، أو مجمع من المجامع العلمية ، أو مؤتمر من المؤتمرات الدينية ، أن يضيف إليها ، أو يحور فيها ، وكل تحوير أو إضافة مردود على صاحبه ونبى الإسلام يقول : ( من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد ) أى مردود عليه والقرآن يقول : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » .

وعلى هـذا فكل البدع والخرافات ، والإضافات التى لصقت بعقائد المسلمين أو دست فى بعض كتبهم ، أو أشيعت بين عامتهم ـ باطلة مردودة لا يقرها الإسلام ولا تؤخذ حجة عليه .

* * *

مسألة الجبر والاختيار ، مسألة حار العقل البشرى فى الوصول إلى رأى قاطع فيها وتنازع

فيها الفلاسفة ، وعلماء الأخلاق ، والنفس والتربية وغيرهم منذ تفلسف الإنسان إلى اليوم وبحث .

وعقيدة الإسلام فى هذا هى العقيدة المتوازنة المطابقة للفطرة السليمة والواقع المشاهد .

فالإنسان بالنسبة لهذه العقيدة ، حر مسئول عن نفسه وعمله — فى دائرة أعماله الاختيارية — له أن يقدم وله أن يحجم كما تشهد بذلك بديهته وإحساسه ، وكما تشهد نصوص القرآن نفسه « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ، « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا » ، « لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر » ، « فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » ، « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » ، « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ، إلى غير ذلك من آيات تبلغ الستين أو تزيد ، كلها تقرر حرية الإنسان وكسبه ، ومسئوليته عن عمله « ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى » .

ولم يكتف القرآن بهذا التقرير الإيجابى ، ولكنه زاد على ذلك فحمل بقوة على الجبريين الذين يلقون بشركهم وأوزارهم على كاهل القدر محتجين . بمشيئة الله تعالى فى فعل ما فعلوا ، أو ترك ما تركوا

وفى أربع سور من القرآن يرد الله تعالى على هذا الزعم الباطل فى سورة الأنعام : « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون قل : فلله الحجة البالغة » .

وفى سورة النحل « وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين » .

وفى سورة يس « وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا فى ضلال مبين » .

وفى سورة الزخرف « وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون » .

وبهذه الردود الصريحة على الجبر من القدماء . قل هل عندكم من علم . . ؟ كذلك فعل الذين من قبلهم . . إن أنتم إلا فى ضلال مبين — ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون ، عرف

موقف القرآن الحاسم من مشكلة الإرادة الإنسانية والإرادة الإلهية .

بـ- أن الإنسان - كما هو الواقع - ليس مطلق الإرادة ، كامل الاختيار ، بحيث يفعل كل ما يشاء وينفـذ كل ما يريد ، ولو فعل لكان إلهـا .

ولم يستطع أحد - مهما بلغ فى الانتصار للحرية الإنسانية - أن ينكر محدودية الإرادة البشرية . فحكموا فيها الوراثة أو البيئة أو كليهما ، وعبر عن ذلك بعض الفلاسفة بقوله : « الإنسان حر فى ميدان من القيود » .

حتى أولئك المـاديون الجدليون قيدوا الإنسان بوسائل الإنتاج وظواهر الاقتصاد فهى التى تكيف تفكيره وسلوكه . وتوجه سير أحـداثه ، وبذلك نزلوا بالإنسان إلى أحط مستوى من الجبرية حين جعلوه عبداً خاضعا لمظاهر المادة ، لا سيداً مهيمنا عليها كما يقرر الإسلام .

هذه الحقيقة المتفق عليها - محدودية الإرادة البشرية - قررها الإسلام فى صورة أشرف وأكرم للإنسان من الجبرية المادية أو التاريخية فالإنسان فى عقيدة الإسلام حر مختار فى دائرة ما رسم الله للوجود من سنن يجريها بقـدرته ومشيئته ووفق علمه وحكمته - على أجزاء الكون كله ، ومنها هذا الإنسان .

الإنسان إذا حر ، لأن الله أراد له الحرية أو هو يشاء ، لأن الله قـدر له أن يشاء : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » .

ولا عجب أن يذكر القرآن - بجانب حرية الإرادة الإنسانية عمل الإرادة الإلهية ، وهيمنة القدر الأعلى ، الذى يرعى الإنسان والكون جميعا « إنا كل شىء خلقناه بقدر » « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا » ، « فعال لمـا يريد » ، « إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » .

وإيمان المسلم بقدر الله ليس إيمانا بعقيدة جبرية ولا بمذهب أهل الصدفة والاتفاق ، وإنمـا هو إيمان بأن الكون لا يمشى بغير غاية ولا يسير بغـير تدبير ، كيف وكل ذرة من ذراته فى الأرض أو فى السماء يحيط بها علمه وتجرى عليها مشيئته وقدرته وفق حكمته البالغة ، ورحمته الواسعة ... « لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبـــين » .

هذا والإيمان بالقدر على هذا النحو لا ينافى الاجتهاد فى العمل ، واتخاذ كل ما يمكن من أسباب ، فإن الله كما كتب المسببات كتب الأسباب ، وكما قدر النتائج قدر المقدمات ، فهو لا يقـدر للطالب مثلا النجاح فحسب بحيث يصل إلى هذه النتيجة عمل أو لم يعمل ولكنه تعالى قدر له النجاح ، بوسائله من

جد وحرص وانتباه ووعي وصبر ومداومة إلى آخر هذه الأسباب فهذا مقدر مكتوب وذاك مقدر مكتوب.

وإذا فالأخذ بالأسباب لا ينافي القدر بل هو من القدر أيضا ولهذا حين سئل صلى الله عليه وسلم عن الأدوية والأسباب التي يتقى بها المكروه: «هل ترد من قدر الله شيئا؟ كان جوابه الفاصل: هي من قدر الله».

ولما انتشر الوباء في بلاد الشام قرر عمر بمشورة الصحابة . العدول عن دخولها والرجوع بمن معه من المسلمين، فقيل له: أتفر من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم أفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت إن نزلت بقعتين من الأرض إحداهما مخصبة، والأخرى مجدبة، أليس إن رعيت المخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت المجدبة رعيتها بقدر الله.

والرسول صلى الله عليه وسلم - وهو أقوى الناس إيمانا بقدر الله - كان أكثر الناس اتخاذا للأسباب وعملا بمقتضاها، فقد أخذ الحذر وأعد الجيوش، وبعث الطلائع والعيون، ولبس المغفر على رأسه، وأقعد الرماة على فم الشعب، وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة ... إلى آخر ما نعرف من سيرته صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه المهتدين.

ومع وضوح هذه القضية في الإسلام على نحو ما رأينا قولا وعملا، ونظرا وتطبيقا فإن النبي صلى الله عليه وسلم من الناحية العملية كمرب وقائد وإمام أمر أصحابه - سدا للذريعة، ودرءا للفتن - أن يغلقوا أبواب الجدل العقيم حول المسائل الشائكة التي حارت فيها العقول من قديم، وهدى الوحي الإلهي الناس فيها إلى القدر الذي فيه نفعهم في الدين والدنيا ... ومنها «مسألة القدر».

قال الشيخ محمد عبده: «ولكن وا أسفاه نتأت رءوس بين المسلمين كأنها رءوس الشياطين ... جاء الموالي من عجم الفرس والرومان، ولبسوا لباس الإسلام، وحملوا إليه ما كان عندهم من شقاق ونفاق، وأحدثوا في الدين بدعة الجدل في العقائد، وخالفوا الله ورسوله في النهي عن التكلم في القدر، وخدعوا المسلمين ببهرج القول وزوروا الكلام حتى كان ما كان من تفرق المسلمين شيعا، والله يقول لنبيه: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء»».

وجد بين المسلمين طائفة تعرف (بالجبرية) ولكنها كانت ضعيفة ضئيلة يعذلها الحق ويطردها العقل، وينبذها الدين، حتى انقرضت بعد ظهورها بقليل، وغلب على المسلمين مذهب التوسط بين الجبر والاختيار وهو مذهب الجبر والعمل وصدق الإيمان ... إلخ.

يثير بعض الماديين المتحذلقين غبارا

حول ما ذكره القرآن ، بل الكتب السماوية جميعاً عن انتهاء هذه الحياة ، وقيام الساعة ، ويوم الجزاء ، والجنة والنار .

وكان مما أثاره هؤلاء : أن القرآن يقول : « لعل الساعة تكون قريباً » وقد مضى أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، ولم تقم الساعة بعد ونسى هؤلاء أو تناسوا أن القرب والبعد مسألة نسبية ، وألف عام أو أكثر ليس إلا زمناً يسيراً وعهداً قريباً بالنسبة لعمر الدنيا وخاصة إذا عرفنا ما يقوله علماء الجيولجيا الذين يقدرون عمر الأرض بالملايين من السنين والقرون ، ونضيف إلى هذا أن محمداً خاتم الأنبياء ، وأن رسالته هي الكلمة الأخيرة من الله للناس . وبذلك يكون معنى القرب واضحا . فلا نبي بعده ، ولا رسالة بعده حتى تقوم الساعة .

أما الحياة الآخرة فهي نشأة أخرى يستوفى فيها كل عامل جزاء عمله بالعدل التام والقسط الأوفى ، فكثيراً ما تقصر الحياة الأولى عن تكافئ الأخيار بما قدموا ، أو تجزى الأشرار بما أسرفوا ، والإيمان بوجود إله عادل حكيم يستوجب وجود هذه الدار الأخرى « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » . أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » ، « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار . » .

والإيمان بدار الجزاء والخلود ليس معناه اضطراح الدنيا ، واستدبار الحياة والعيش فيها عيشة التواكل والتمنى الفارغ ... كلا فإن استحقاق السعادة في الآخرة لا ينال إلا بالعمل الدائب والجد المتواصل « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » .

وحسبنا في هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ما فهموا الحياة ولا عاشوها إلا سعيا وكفاحا ، وضربا في الأرض ، وسعياً في كل ميدان من ميادين الحياة ، لم يقعدوا ولم يكسلوا انتظاراً للجنة وما فيها من نعيم ، وللآخرة وما فيها من راحة ، كيف وقرآنهم يقول : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

والنظام الإسلامى لا يقتصر على ناحية من نواحى النفس أو المجتمع أو الحياة ، أو يهتم بها على حساب غيرها .. كلا إنه يشمل كل النواحى وينظم كل العلاقات الروحية والمادية . الفردية والاجتماعية . ويقيمها جميعاً على أساس من التوازن والعدل فيما بينها بالقسطاس المستقيم ، فلا يطغى المادة على الروح ، كما هو سمة اليهودية ، ولا يهضم جانب المادة من أجل الروح كما هو دعوى النصرانية . ولا يطغى الفرد على حساب المجتمع كما هو نظام الرأسمالية ، ولا المجتمع على حساب الفرد كما هو الشأن والواقع فى الشيوعية .

ذلك أن هذا النظام لم يأت نتيجة ثورة جامحة كانت رد فعل لأوضاع فقاومت التطرف فى اليمين بالتطرف فى اليسار كما هو الشأن فى الثورات التى جمحت دائما وجاءت بأنظمة شكا الناس منها وعدلوها بعد زمن قليل .

ولم يضع هذا النظام فرد أو مجموعة أفراد من البشر تحكم عليهم مواريثهم وبيئتهم وظروفهم وثقافتهم - فضلا عن أهوائهم وشهواتهم - فيتجهون بالنظام الذى يضعونه وجهة ذاتية توافق تكوينهم الشخصى ، وظرفهم الزمنى ، ووضعهم الإقليمى ونزوعهم القومى . . ولذلك لا يلبث الناس بعد حين أن يتبينوا نقصا أو انحرافا فيما وضعوا أو وضعهم من نظام .. فيقومون أو يطالبون بالتغيير والتعديل والتبديل . . . أما نظام الإسلام فواضعه هو الله رب الناس ملك الناس إله الناس ، لا يتحيز لجنس على جنس ولا لطبقة على طبقة ، ولا لجيل على جيل لأنهم جميعاً عباده وهو رب العالمين ، كما أنه تعالى لسعة علمه لا تخفى عليه مصلحة ، ولسعة رحمته لا يريد لعباده عسراً ولا عنتاً « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

وأول ما شرعه نظام الإسلام هو تنظيم العلاقة بين الله وبين عباده . فإن العباد لم يخلقوا أنفسهم ، ولا أنشئوا فى الأرض أو فى السماء شيئا مما حولهم من نعم غامرة ، ورحمة سابغة . فحق الخلق لهم والإنعام عليهم ، والتكريم لهم على من سواهم من الخلق .. يقتضيهم أن يقوموا بشكر ربهم ويعرفوا له حقه ، فيعبدوه وحده لا شريك له ، ويخلصوا له الدين هذا ما تنادى به الفطرة السليمة وهو عين ما جاء به الإسلام « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .

وقد نقى الإسلام العبادة مما ألصقها به أهل الملل والنحل المختلفة ، من طقوس شركية ووساطات زعموها بين الله وعباده وابتداعات وثنية لم يأذن بها الله ، فالصلاة اتجاه إلى الله وحده لا يتوقف على إذن كاهن ، ومكان خاص « فالأرض كلها مسجد ، وأيما رجل مسلم أدركته الصلاة أذن وكبر وصلى » .

والإمام فى صلاة الجماعة — التى فضلها الإسلام على صلاة الفرد بدرجات كبيرة — ليس رجل كهنوت وإنما هو واحد منهم ، يقدمونه لعلمه أو صلاحه ، يستمعون له إذا قرأ ويصححون له إذا أخطأ .. ومرد القبول فى صلاة الجميع إلى الله وحده الذى يعلم الصادق من غيره « إنما يتقبل الله من المتقين » .

وهذه الصلاة الإسلامية بكيفيتها ، ومواقيتها وشروطها ، وما يتلى فيها من أقوال ، وما يؤدى فيها من أعمال لم تعرف لدين ، ولا لمذهب من قبل ، إنها الصلة اليومية للمسلم بربه ، وهى طهارة للجسد ، وزكاء للنفس وتربية للخلق ، وتنمية للوازع الأدنى « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » كما أنها بما شرع فيها من جمعة وجماعة رباط اجتماعى وثيق ومدرسة يتعلم فيها المسلم بطريقة عملية — النظام والإخاء والمساواة وهى بما اشترط لها من استقبال قبلة واحدة تعلم المسلمين فى أنحاء الأرض وحدة الغاية والفكرة والاتجاه ، والحج رحلة يتجه فيها المسلم بدينه وقلبه إلى بيت جعله الله رمز التوحيد والوحدة : ذلك البيت الذى بناه إبراهيم الخليل محطم الأصنام وهادم الشرك والوثنية وأبو الأنبياء المرسلين . والذى أمره الله بالتأذين بالحج فى الناس « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ؛ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات » .

لكن هذه العبادة التى وضع أساسها إبراهيم خالصة لله .. لم يلبث كر الأيام ومر السنين . أن بعد بالناس عن شرع الله فيها ، وجرهم الجهل والهوى والخرافة ، فاتخذوا من دون الله أوثانا وضعوها فى بيت التوحيد وبدلوا فى شعائر الحج ومناسكه فطافوا بالبيت عرايا وقدموا القرابين للأصنام وخلطوا ما بقى من التوحيد بما ابتدعوا من شرك فكانوا يقولون فى تلبيتهم « لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك » يعنون بهذا الشريك أصناما لهم .

جاء الإسلام والقوم على هذه الحال فمحا معالم الشرك وحطم النبى بيده الأصنام التى نصبوها حول الكعبة — يوم الفتح — وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن

الباطل كان زهوقا، وخلصت الكعبة للتوحيد، ورد النبي الحج إلى ما كان عليه فى عهد أبيه إبراهيم وخلصه من آثار الوثنية الجاهلية وأصبح شعار الحج « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك » . وما ربط الله شعائر الحج بأماكن معينة فى البلد الحرام مكة إلا لأنها أرض الذكريات وميراث إبراهيم ، ونبت الدعوة ، فهى وصلة بين قديم المؤمنين وجديدهم وكل ما يقوم به المؤمنون من أعمال فى الحج إنما هى رموز لها دلالتها وإيحاءاتها فى أنفسهم مجردة من أى قصد ذاتى لها إلا قصد التعبد لله باتباع ما أمر وأداء ما أوجب . وقديماً وقف عمر أمام الحجر الأسود وقال : « أيها الحجر إنى أقبلك وأنا أعلم أنك لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » .

أفيقال بعد هذا إن المسلمين إنما يحجون إلى حجر أسود أو أحمر يسجدون له ويتبركون به .

إنما كان الحج قوى فى عين أعداء الإسلام لأنه المؤتمر الإلهى الجامع ، الذى يتنادى إليه المسلمون من كل فج وصوب فيربط بين قلوبهم برباط الأخوة الإسلامية العامة ، ويذكرهم بوحدة الهدف ، ووحدة الآمال والآلام ، ويوحى إليهم أن يعملوا ويتعاونوا ليعودوا من جديد خير أمة أخرجت للناس ، وهذا ما تغص به حلوق أعداء الإسلام !!

وحسبنا هذه الكلمة الموجزة فى هاتين العبادتين ، وهى كافية فى التعبير عن روح الإسلام فى تنظيم العلاقة بين الله والناس .

*

ولننظر الآن كيف نظم الإسلام العلاقات بين الناس هل أيد الإسلام الإقطاعيين ؟ هل أقر الظلم الاجتماعى ؟ هل أعان طبقة على طبقة أو قويا على ضعيف ؟ هل ترك المجتمع تتحكم فيه الفوارق المصطنعة من عنصرية ، أو وراثة حسب أو جاه ؟ .

ذلك ما نجيب عنه فى الصفحات التالية :

إن أدنى دراسة لتعليم الإسلام تبين أنه ليس دين طبقة خاصة أو فئة معينة إنما هو دين قامت أسسه الاجتماعية على : الأخوة والعدالة ، والمساواة وضح ذلك فى شعائره وعباداته كما وضح ذلك فى أنظمته الاقتصادية والسياسية .

اعترف الإسلام بالتفاوت الفطرى المعقول فى الأرزاق بين الناس ، إذ قبل ذلك ثبت تفاوتهم الفطرى فى القدر والمواهب والملكات والطاقات .

والإسلام - كدين يعترف بالفطرة ويسمو بها ولا يقاومها - اعترف بالملكية الفردية الناشئة عن سبب مشروع ليشبع بذلك الدوافع البشرية الفطرية فى حب التملك والمنافسة والادخار . ولكن الإسلام لا يحترم الملكية الفردية إذا نشأت عن سبب غير مشروع ، كالغصب ، والسرقة الجلية ، أو الخفية ، كالهدايا للحكام ، واستغلال النفوذ ، وأخذ الرشوة والتحايل على أكل أموال الناس بالباطل بل يصادر هذه الملكيات مهما طال عليها الزمن واختلف الليل والنهار ، فطول الزمن لا يبيح المحظور ، ولا يقلب الحرام حلالا .

والإنسان فى الإسلام ليس مالكا حقيقيا ، يتصرف فى ماله كيف يشاء ، لا ، فالمال مال الله .. ، ومعنى هذه العبارة أنه مال الجماعة ، والغنى موظف على رعايته وتنميته ، وإنفاقه بما يوافق صالح الجماعة لا بما يضارها ، فهو مستخلف على المال « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

فالملكية إذا : وظيفة اجتماعية ، والغنى إذا مطالب إزاء مجتمعه بواجبات مالية أدناها الزكاة ... وهى : ليست تبرعا ولا إحسانا يعطيه الغنى للفقير فيشعر بالاستعلاء ، ويشعر الفقير بالمذلة والهوان ، بل هى حق معلوم وضريبة مفروضة تأخذها الحكومة بواسطة « الجباة » العاملين عليها ، وتنفقها على المحتاجين أو على المصالح العامة « وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله » .

والزكاة ليست تعليما فرعيا أو ثانويا من تعاليم الإسلام بل هى ركن من أركانه وأصل من أصوله لا يكون الفرد مسلما إلا بأدائها ، ولا تكون الدولة مسلمة إلا بالعمل على تحصيلها وجبايتها وقد حدثنا التاريخ أن أرباب المال من العرب عز عليهم دفع هذه الزكاة ، فأبى أبو بكر أن يقبل أى تهاون فى حق الفقير وجهز أحد عشر لواء لمحاربة الرأسماليين الأشرار وقال كلمته المشهورة : « والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » .

وقد أشاع بعض المغرضين كلاما مرذولا حول بيت المال الذى تجمع فيه الزكاة والموارد الأخرى للدولة الإسلامية ، زاعمين أن هذا المال إنما يجمع للخلفاء والسلاطين وأن بيت المال إن هو إلا خزينة خاصة ينفقون منها كيف شاءوا دون معقب أو محاسب .

والحق الذى يعرفه كل من درس شريعة الإسلام وتاريخه ، أن بيت المال ليس ملكا للخليفة ، وإنما هو ملك للأمة جميعا ،

والخليفة إنما هو خازن أمين ، ليس له منه إلا راتبه بالمعروف كما قال أبو بكر ( أعطونى كأوسط رجل من قريش ليس كأوكسهم ولا أعلاهم ) ذلك أن أبا بكر صبيحة بويع بالخلافة ذهب إلى السوق كعادته ليتاجر ، ويقوت نفسه وأهله ، فلقيه عمر فقال له : إلى أين ؟ قال إلى السوق ، قال عمر : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : من أين أطعم عيالى ، فقال عمر : انطلق يفرض لك أبو عبيدة أمين بيت المال . فانطلق إلى أبي عبيدة . فقال للخليفة : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف ، إذا أخلقت شيئا رددته وأخذت غيره .

وقال عمر : إنما أنا وهذا المال . كولى اليتم ، إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف .

وأبى على بن أبى طالب أن يأخذ من بيت المال شيئا لنفسه وأهله هذا هو مسلك الراشدين من حكام المسلمين وخلفائهم ، أما انحرافات بعض الحكام فليست حجة على الإسلام ولا يسأل عنها .

واعتراف الإسلام بالتفاوت الطبيعى فى الرزق ، ليس معناه أن يدع الغنى يزداد غنى ، والفقير يزداد فقرا ، بل تدخل بتشريعه القانونى ، وتوجيهه الأخلاقى لتقريب الشقة بين الأغنياء والفقراء ، فحد من طغيان أولئك ، ورفع من مستوى هؤلاء ... حرم على الأغنياء الكسب بالباطل .

وحظر عليهم الربا قليله وكثيره ، جليه وخفيه ، واعتبر آكل الربا محاربا لله ولرسوله ولعن كل من شارك فى أمر الربا لأنه امتصاص الضعفاء لحساب الأقوياء « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » ( لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ) .

وحرم عليهم الاحتكار الذى هو سمة الرأسمالية الجشعة وأعلن رسول الإسلام ( الجالب مرزوق والمحتكر ملعون ) .

وحرم عليهم السرف والتبذير ، وجعل للحاكم سلطة الحجر على المبذرين السفهاء .

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » .

« إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » .

وحرم عليهم ألوان الترف الذى يفسد الأفراد والأمم ، فالخمر ممنوعة ، وأوانى الذهب والفضة محظورة ، ولبس الذهب والحرير للرجال محرم ، « وإذا أردنا أن نهلك قرية

أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ، ( من شرب فى آنية ذهب أو فضة فإنما يجرجر فى بطنه نار جهنم ) .

ثم حرم الكنز وأنذر القرآن الكانزين بوعيد تنخلع له القلوب « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هـذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » . ولم يحارب الكنز بالقول بل بالعمل ، فالزكاة محاربة عملية لكل مال يكنز إذ ينقص منه كل عام ٢ر٥ ./. اثنان ونصف فى المائة ، فإن لم يعمل ويستثمر استهلكته الزكاة .

وبهذه الأساليب من تحريم للربا والاحتكار والسرف والترف من جانب ، ومحاربة للكنز وإيجاب للزكاة من جانب آخر أصبح مفروضا على صاحب المال أن يوجه ماله إلى الاستثمار المشروع والنماء لمنفعة الجماعة ، فيتحقق التوازن العادل الذى يريده الإسلام ويشير إليه قوله تعالى : « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

ومن ناحية أخرى أتاح الإسلام الفرص المتكافئة للفقراء ليقفوا على قدم المساواة مع الأغنياء ، فباب العمل والكسب مفتوح للجميع ، ليس محتكرا لطائفة ولا مسدودا أمام أحد فمن أحيا أرضا ميتة فهى له ، ومن طرق باب تجارة فربحها له ، ومن عثر فى باطن الأرض على ركاز يدفع الخمس منه والباقى له .

ومن لم يجد عملا وجب على ولى الأمر أن يهيء له عملا ، فإن لم يهيء له أو كان عاجزا عن العمل أو كان أجره من عمله لا يكفيه كان واجبا على ولى الأمر أن يرعاه ويهيء له ما هو حق لكل مسلم أو ذمى فى ظل دولة الإسلام من مأكل ومشرب وملبس فى الصيف وملبس للشتاء ، ومسكن يكنه ويأويه كما قرر فقهاء الإسلام .

وللحاكم إذا لم تكف الزكاة ، والموارد العادية لسد هـذه الحاجات أن يفرض على أغنياء المسلمين الضرائب الكافية التى تقيم مصالح المسلمين ... وقد قرر علماء المسلمين هـذا المبدأ : « إذا احتاج المسلمون فلا مال لأحد ، وقد اتخذ الإسلام طرقا مثمرة فى تفتيت الثروات أبرزها تشريع الميراث الذى يوزع ثروة الرجل الواحد بين زوجته وأبويه وأولاده جميعا ، أو عصبته أو ذوى أرحامه توزيعا عادلا حكيما شمل الذكور والإناث ، لا الذكور فقط كما كان يفعل العرب فى الجاهلية ، ولا الابن الأكبر فحسب كما تصنع بعض الدول اليوم كانجلترا مثلا .

ونظام الإسلام يتسع للأغنياء - كأفراد يجمعون الثروات من حلها وينفقونها فى حلها ولا يبخلون بها عند الحاجة إليها ، يتسع لهم كأفراد لا كطبقة لها مزايا شرعية ، أو حقوق قانونية ، أو سيادة اجتماعية يتوارثها الآباء عن الأبناء ، والأحفاد عن الأجداد فجميع الناس أمام القانون وأمام الله وكتابه سواء ، لا يتفاضلون إلا بمقدار وفائهم لإنسانيتهم وإيمانهم بالله واحترامهم لحقوقهم العامة : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ( الناس سواسية كأسنان المشط ) .

وإذا فالأغنياء إنما هم أفراد يثرون بجهدهم ونشاطهم ، وقد لا يدوم لهم الثراء ، بل قد ينقص أو ينتقل ميراثه إلى غيرهم ، فالفقر أو الغنى فى المجتمع الإسلامى ليس شيئا ثابتا مؤبدا ، بل هو أمر دائم التغير بتغير ظروف الحياة وفرص الكسب ، وقوانين الميراث .

ليس فى الإسلام إذا طبقات بهذا المعنى الذى كان معروفا فى الغرب — بمعنى طبقة لها مزايا وحقوق متوارثة كطبقة الحكام وطبقة الأشراف ، أو النبلاء وطبقة الفرسان وطبقة رجال الدين ... الخ .

الحكام أفراد تختارهم الأمة بواسطة أهل الحل والعقد فيها أو بأى وسيلة تختارها ، وليسوا من فئة أو أسرة معينة بل قال الرسول : « اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشى يقودكم بكتاب الله » وقال عمر قبيل موته « لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لاستخلفته » .

ونظام توارث الحكم والخلافة نظام دخيل على الإسلام فلا يقره ولا يعترف به .

والفقهاء فى الإسلام ليسوا طبقة كهنوتية كرجال الأديان الآخرين إنما هم علماء متخصصون فى دراسة الإسلام عقيدته وتشريعه وأخلاقه ، فهم فى الحقيقة علماء دين ، وعلماء قانون وعلماء أخلاق واجتماع وليسوا واسطة بين الله وعباده ، ولا هم يملكون مفاتيح الجنة ولا هم باعة لصكوك المغفرة والرضوان .

لا طبقات إذا فى الإسلام بالمفهوم الغربى لهذه الكلمة وإذا سمى بعض الناس الأفراد الأغنياء فى دولة الإسلام طبقة فلا ضير فى التسميه إذا وضحت المسميات فقد قسم بعض الباحثين الناس إلى ثلاث طبقات : غنية وفقيرة ، وميسورة ، وهو تقسيم على وجه التقريب والتشبيه كتقسيم الناس إلى أبيض وأسود وأصفر من حيث اللون . ووجود

الطبقة بهذا المعنى أمر اقتضاه نظام الوجود كله الذى قضى بالاختلاف والتفاوت حتى بين النباتات والجمادات ، فما بالنا بالإنسان وبين أفراده من التفاوت ما لا يوجد فى أى نوع من الأنواع الأخرى للكائنات ؟ ولقد زال رأس المال من روسيا وزال معه أغنياؤها وثرواتها ونبلاؤها ، وعلى هذا ظهرت فيها — كما قال الأستاذ العقاد طبقة حاكمة من الخبراء والمهندسين لا تدانيها فى سطوتها واستبدادها طبقة حاكمة فى أشهر البلاد ، لاستبداد نظم الصناعة ورأس المال (١) .

ولقد كان الإسلام دين الفطرة والواقع حقا حين اعترف بالتفضيل الموجود فعلا فى كل بلاد الدنيا — رأسمالية أو شيوعية — قال تعالى : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » ، « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

وإذا كان هذا صنع الله فالله لا يصنع شيئا عبثا ، إنما يصنعه لحكمة بالغة والحكمة هنا كما ذكر القرآن أمران : أولها : الابتلاء الذى على أساسه يقوم التكليف والجزاء « ليبلوكم فيما آتاكم » ثانيهما التسخير — « ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » ، وهذا ليس تسخير القهر والإذلال كما يوهمه المدلول العرفى للكلمة إنما هو تسخير النظام والمصلحة المشتركة .

فلو كانت الحياة مصنعا لم يكن صلاحه أن يكون كل العاملين فيه مديرين أو مهندسين بل لابد من المدير والمهندس والكاتب والعامل والخفير .

وإذا كان التفاضل فى الرزق لا يمنح صاحبه ميزة أو مرتبة دينية أو تشريعية فى المجتمع المسلم ، فإن التفاضل الحقيقى المعترف به ، هو التفاضل فى مجال العلم والإيمان ، والعمل : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

« ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون » .

وهكذا أقام الإسلام العلاقة بين الغنى والفقير على أساس العدل والمساواة والإخاء ، فهو يسوى بين الجميع فى الحقوق والواجبات العامة .

ويتيح الفرصة للجميع ليكتسبوا .

ويقول للأغنياء بعد هذا : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم » .

ويقول لولى الأمر : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »

ويقول للفقير : ( لا تحقد ولا تحسد ) .

---

(١) حقائق الإسلام ٢٠١

« لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم »

ثم يقول للجميع : ( كونوا عباد الله إخوانا ) .

وكذلك فإن الإخاء يسود المجتمع الإسلامى كله ، فلم يحقد فقير على غنى . ولم يبغ غنى على فقير ، وشعر الغنى أن الفقير أخوه ، وشعر الفقير أن مال الغنى ماله …

فلا عجب أن رأينا بلال بن رباح ، وعمار ابن ياسر ، وأبا هريرة وأهل الصفة يعملون جنبا إلى جنب مع عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن عبادة . لا يشعرون إلا بالحب والتعاون والإخاء .

ومن السهل بعد هذا أن نعرف إذا كان الإسلام يشجع الطبقية أو يعترف بالإقطاع والإقطاعيين !! .

جاء الإسلام فوجد العالم كله يعترف بنظام الرقيق : رق الأسرى فى الحروب ، ورق السبى فى إغارات القبائل بعضها على بعض ، ورق الاستدانة أو الوفاء بالديون .

فماذا كان موقفه ؟ لم يرد نص واحد بالاسترقاق على حين وردت عشرات النصوص تدعو إلى العتق ، وتفتح أبواب التحرير للرقاب[1] ولم تدعه للأفراد وحدهم يكفرون به من خطاياهم أو يتقربون به إلى ربهم ، بل جعله واجبا على الدولة تساهم به من مال الزكاة « وفى الرقاب » .

ولم يقتصر على فتح أبواب العتق بل قبل ذلك سد كل ما يمكن سده من منافذ الاسترقاق ولم يبق منه إلا ما أبقاه العالم المتحضر الآن . فإن الأمم التى اتفقت على معاهدات منع الرق تبيح الأسر واستبقاء الأسرى إلى أن يتم الصلح بين المتحاربين على تبادل الأسرى أو على افتداء بعضهم بالغرامة أو التعويض . أما فى عصر الدعوة الإسلامية فلم تكن دولة من الدول تشغل نفسها بهذا الواجب نحو رعاياها المأسورين . وإذا كان ارتباط الأسرى ضربة لازب فى الحروب الحديثة ، فالإسلام لم يجعله حتما مقضيا فى جميع الحروب ، وحرص على التخفيف من شدته ما تيسر التخفيف منه وجعل المن فى التسريح أفضل الخطتين « فإما منا بعد وإما فداء » . وشريعة تجعل الرق فى أضيق نطاق وتوسع مجالات التحرير وترفع من شأن الرقيق فتجعله عضوا فى الأسرة ( إخوانكم خولكم ) لا يمكن أن توصف بأنها تشجع الرق أو ملاك الرقيق ، إنما هى فى الحقيقة جاءت لتقوم بتصفية هذا النظام فى العالم بتدرج حكيم وخطة مثلى … فلم يكن من السهل إلغاء نظام تغلغلت جذوره فى الحياة الاجتماعية

---

(١) العتق ـ التدبير ـ الكتابة ـ الكفارات ـ أمهات الأولاد ـ من ملك ذوى رحم محرم .

الأمة فى الإسلام هى الحاكمة وهى صاحبة السلطة . هى التى تختار حاكمها ، وهى التى تشير عليه ، وهى التى تنصح له وتعينه ، وهى التى تعزله إذا انحرف وجار .

والخليفة فى الإسلام ليس نائبا عن الله ولا وكيلا له فى الأرض ، إنما هو وكيل الأمة ونائب عنها .

والخلفاء الراشدون لم يكونوا خلفاء عن الله بل خلفاء لرسول الله فى حكم الأمة بما أنزل الله ، وسياستها بما أمر الله ورسوله .

أخرج الإمام أحمد عن ابن أبى مليكة قيل لأبى بكر : يا خليفة الله ، قال : أنا خليفة رسول الله ، وأنا راض به .

وحين ولى الخلافة خطب خطبته الشهيرة فقال : « إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فقومونى ، القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم » .

وعمر بن عبد العزيز حين ولى الخلافة وبايعه الناس قام يخطب فقال : « إنما أنا كأحدكم غير أن الله جعلنى أثقلكم حملا » .

هذا هو الخليفة ، ليس أفضل الناس وإن كان أكثرهم مسئولية ، هو وكيل الأمة بل هو خادم وأجير لها . عرف ذلك الخلفاء أنفسهم ، وعرف ذلك العلماء ، وعرف ذلك الأدباء والشعراء ، وعرف ذلك عامة الناس .

يروى لنا الإمام البخارى عن عائشة قالت : لما استخلف أبو بكر قال : لقد علم قومى أن حرفتى لم تكن تعجز عن مئونة أهلى ، وقد شغلت بأمر المسلمين ، فسيأكل آل أبى بكر من هذا المال ، وسأحترف للمسلمين .

هذه هى وظيفة الحاكم محترف للمسلمين ، وبعبارة أخرى مستخدم أو أجير للأمة . هى التى وظفته وهى التى منحته راتبه ، وهى التى تعينه إذا استقام ، وتقومه إذا اعوج .

ويدخل العالم الجليل أبو مسلم الخولانى على معاوية أمير المؤمنين ، فيقول له فى صراحة : السلام عليك أيها الأجير ، ويقول جلساؤه : قل السلام عليك أيها الأمير ، فيقول أبو مسلم : السلام عليك أيها الأجير فيعيدون قولهم ، ويعيد قوله ، وهنا يقول معاوية ، دعوا أبا مسلم فهو أدرى بما يقول .

وينظم الشاعر المعروف أبو العلاء المعرى هذا المعنى ساخطاً على انحراف الأمراء والحكام عن وظيفتهم فى العدل والإصلاح للأمة فيقول :

سل المقام فكم أعاشر أمة
أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستباحوا كيدها
وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ويشيع هذا المعنى فى الناس جميعا متعلمهم وأميهم ، حضريهم وبدويهم ، فلا يؤمنون بقداسة الخليفة ، أو بعلو حاكم على الناس حتى إن رجلا بدوياً دخل على أحد الخلفاء فوجده جالسا على مكان مرتفع والناس دونه فى مكان منخفض ، فقال له البدوى : هل أنت الله ؟ فقال الخليفة : لست الله . فقال الرجل : هل أنت جبريل ؟ قال : لا . فقال لست الله ولا جبريل فلماذا تجلس مرتفعا ؟ انزل واجلس مع الناس .

وكان من ثمرات هذا الفهم أن شعر كل مسلم بمسؤليته وشخصيته فى رعاية الحق والعدل ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تخطىء امرأة خليفة على المنبر فلا يجد غضاضة أن يعلن على الناس : أصابت المرأة وأخطأت .

بعد ثلاثة عشر عاما من احتمال صنوف العذاب والأذى وهجرة المسلمين إلى الحبشة مرتين ، وبعد أن أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق ، وتركوا إخوانهم المستضعفين فى مكة يسامون سوء العذاب ، وبعد أن همت نفوسهم بالانتقام من الظالمين وردهم الرسول إلى الصبر وانتظار أمر الله قائلا « لم أومر بقتال . لم أومر بقتال » ولما طال الصبر ولم يتحول المشركون عن اضطهادهم المستضعفين ، ومصادرتهم الدعوة ، أنزل الله فى شأن القتال : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » .

وابتدأ الصراع بين جبروت الشرك ودعوة الإسلام الذى استمر عدة أعوام وقعت فيها الغزوات المعروفة فى السيرة النبوية ، وكانت كلها ردا على عدوان المشركين وغدر اليهود .

وفى الوقت الذى كان فيه الصراع دائراً داخل الجزيرة بين قوى الإيمان والشرك كانت هناك دولتان استعماريتان كبيرتان تتنازعان العالم إذ ذاك وتفرضان سيطرتهما على أجزاء من بلاد العرب ... هما دولتا : فارس الوثنية التى تسيطر على العراق ، والروم المسيحية التى تسيطر على الشام .

ولم يكن المسلمون فى هذا الوقت بحيث يفكرون فى فتح امبراطوريات ضخمة مثل فارس والروم أو العدوان عليها ، وإنما بدأ هؤلاء بالشر والعدوان :

بدأت فارس حين أرسل كسرى - رداً على دعوة الرسول له - إلى واليه باليمن «باذان» يقول له : بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى ، فسر إليه فاستتبه فإن تاب وإلا فابعث إلى برأسه ، أيكتب إلى هذا الكتاب وهو عبدى ؟!! .

ولم يكن هذا الغرور والاستهتار عند الفرس وحدهم ، فإن الروم أيضاً بدءوا بالتحرش والعدوان ، فقتلوا مبعوث رسول الله إلى والى الروم ببصرى ، ولم يتركوا الحرية لمن شاء أن يسلم بل قتلوا وعذبوا ... ثم أرسلوا طلائعهم إلى تبوك بالأردن تنذر وتهدد ، وعلم النبى أنهم ينوون مهاجمته فى عقر داره فكان من حسن السياسة أن يبادرهم قبل أن يبادروه ويهاجمهم قبل أن يهاجموه ، وبدأ قتال مرير بسرية « مؤتة » ، « وغزوة تبوك » واستمر فى عهد الخلافة الإسلامية .

لم يكن المسلمون يبغون من ورائه إكراه أحد على دين ، أو إعلاء جنس على جنس أو طلب منفعة ، أو استرزاق ، كيف وقد سئل نبيهم : « يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه ، والرجل يقاتل حمية - أى عصبية - فأيهم فى سبيل الله ؟ فأجاب بالجواب الجامع : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » .

ولم يكن هذا الفتح فتح استعمار وسلب ونهب ، وإنما كان إزالة للسلطات الطاغية ، وتأمينا للحريات ، ونشرا لمبادئ العدل والمساواة ...

« أين هذا الفتح من فتوح أبادت أجناسا ، وقتلت شعوبا ، وخربت دياراً ؟ وقد صدق جوستاف لوبون حين قال : « ماعرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » .

كانت المرأة فى الجاهلية متاعا أو كالمتاع لاتعرف لنفسها قيمة ، ولا يعترف لها برأى أو إرادة حتى شك بعض الناس ألها روح أم لا ؟ . وكانت نزعة الزراية بها والهضم لشخصيتها تسود العالم كله .. حتى جاء الإسلام فأعلن كتابه « إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » ، « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » ، « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ، « إن المسلمين والمسلمات » ، وبذلك حطم الأغلال عن عنقها ، وأظهر شخصيتها وأعلن مساواتها للرجل فى الحقوق والواجبات إلا ما تقتضيه طبيعة كل منهما .

وحسبنا فى هذا أن الله يقول : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » وأن النبى يقول : ( إنما النساء شقائق الرجال ) .

وخلق حواء من ضلع آدم — الذى يقال

إنه يوحي بطغيان الرجل على المرأة – لم تدل عليه آية صريحة فى القرآن ، وماذكره فى ذلك بعض المفسرين رده عليهم آخرون ، والذين ذكروه إنما استمدوه مما ذكر فى ( سفر التكوين ) من العهد القديم ، وقوله تعالى :

« خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها » معناه خلق من جنسها زوجها ، كما علل ذلك فى آية أخرى : «ليسكن إليها»وذلك كقوله مخاطبا للجميع : «خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها » أى من جنسكم .

كل ما للرجل من ميزة هو الدرجة التى ذكرها الله « وللرجال عليهن درجة » ، وهى درجة القوامة والمسئولية عن البيت « الرجال قوامون على النساء » ليست درجة القهر والعنف ، ولا درجة الاستبداد ، إنما هى الرياسة التى تقتضيها الفطرة ، ويوجبها الواقع وطبائع الأمور . وهذه الرياسة لا تنال من حريتها الدينية ، ولا حريتها الفكرية ، ولا حريتها المدنية ، ولا تصرفها فى أحوالها الشخصية ، ولا تهضمها حقا مقرراً لها .

إن إعطاء القيادة للرجل أمر طبيعى ، فالحياة لا تنتظم من الوحدة الصغيرة إلى الوحـــدة الكبيرة – إلا بقائد أو مسئول ، والرجل أولى وأحق بهذه القيادة ؛ لأنه القائم بجلب القوت والمنفعة ، وبالمسئولية عن رعاية البيت وحمايته ، وهو أشد قوة وأعظم قدرة من المرأة ... بل كما ذكر فى عالم الحيوان نراه أقوى من الأنثى ... نرى ذلك فى الديك والدجاجة والكبش والنعجة ... الخ ، سنة من سنن الله .

وما يذكره بعض الجاهلين بالإسلام ( شاوروهن وخالفوهن ) فليس له أساس صحيح فى دين الله بل فيه ما يناقضه وينقضه ، تقرأ ذلك فى القرآن وفى السنة ، فالقرآن يجعل للمرأة حق المشاركة وإبداء الرأى فى رضاع ولدها وفطامه وتربيته « فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » والسنة تجعل للأم رأيا فى زواج بناتها ( آمروا النساء فى بناتهن ) وتجعل الرأى الأخير للبنت نفسها ( البكر تستأذن وإذنها صمتها والثيب أحق بنفسها ) .

إذا كانت بعض الأديان تقول : اطفئوا نور العقل . . اطمسوا عين البصيرة ... أو تقول : اعتقد وأنت أعمى ... أو آمن ثم اعلم ... فإن الإسلام يقيم عقيدته من أول الأمر على أساس من النظر والتفكير لا التبعية والتقليد :

« قل إنما أعظكم بواحدة : أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » .

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »

« أو لم يتفكروا فى أنفسهم » .

« أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » .

والقرآن هو الكتاب الذى يهيب بتاليه وسامعه دائما : « أفلا تتفكرون ... لو كانوا يعلمون ... أفلا تبصرون .. إن كنتم تعلمون .. إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون .. لقوم يتفكرون . . لقوم يعلمون . . آية للعالمين » .

والعلم فى الإسلام يقوم على الإيمان ، والإيمان ثمرة له ، ومترتب عليه ، اقرأ قوله تعالى : « وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به ... الآية » .

والعلم الكونى فى القرآن سبيل إلى خشية الله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه ، كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وما ذكر فى الآيتين يشير إلى علوم الفلك والنبات والجيولوجيا والحيوان . . وكلها علوم كونية ، والقرآن يمجد العلم من حيث هو علم ، ولا يسوى بين من يعلم ومن لا يعلم بغض النظر عما يعلمه « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

ويحترم الاختصاص فى كل فرع من فروع المعرفة ، ويرد الناس إليه « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

ولا يرضى للمسلم أن يسير وراء الوهم أو الظن ويحكم بغير بينة أو علم « ولا تقف ما ليس لك به علم » « ان الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

ويحارب التقليد والجمود على موروثات الآباء « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » .

كتاب يهيب بالعقل البشرى مثل هذه الإهابة ، ويصيح به هذه الصيحة المدوية لا يمكن أن يخشى نتيجة النظر أو التفكير ، وما يستتبع ذلك النظر من حقائق ومعلومات!

والقرآن أنزله الله كتاب هداية وتوجيه وتشريع ، وليس من مهمته التحدث عن نظريات العلوم الكونية أو الطبيعية ، وحسبه أن يدعو الناس للوصول إليها بوسائلهم وجهدهم ، ولم يمنع هذا أن يشير أثناء حديثه عن الكون وما فيه من آيات ـ إلى حقائق علمية كانت مجهولة للبشر ، كشف الزمن عن صدقها . وقد ألف علماء متخصصون مخلصون فى التنبيه إليها كتبا شتى ، ومن حسن الحظ أن هذه الكتب لم يؤلفها أحد من علماء الدين الذين اطلعوا على علوم الكون ، بل ألفها فى الغالب

متخصصون فى هذه العلوم اطلعوا على الدين وعلى القرآن الكريم .

ومع أننا لا نوافق على كل ما فى هذه الكتب ، ولا على منهج بعضها ، فإنا نجد فى مثل هذه الكثرة من الكتب أدلة واضحة على أن القرآن فى نظر المتبحرين فى العلوم الحديثة ليس غير مصادم لها فحسب ، بل هو هاد إليها ودال عليها ، وسابق فى بعض الأحيان لما قررته .

والقرآن لا يعارض حقيقة علمية قاطعة ، ولكنه قد يعارض بعض الآراء والفروض والنظريات التى لم تصل بعد إلى مرتبة الحقائق الثابتة ، ولا ضير على القرآن فى هذا . فكم من آراء ونظريات كانت عند أصحابها فى مرتبة اليقين الذى لا ريب فيه ، فإذا كر الغداة ومر العشى وتطور البحث العلمى يجعلها أوهاما فى أوهام .

وحسبنا ما كان يعتقده بعض من عرفوا بفلاسفة المسلمين : «كأبى نصر الفارابى وأبى على بن سينا ، من إيمانهم بالنظريات الفلكية اليونانية إيمانا جعلهم يؤولون آيات القرآن ؛ فالأرض عندهم مركز الكون ، والافلاك عندهم لا تقبل الخرم ولا الالتئام ، والعناصر أربعة لا زيادة فيها ... الخ ثم يثبت العلم التجريبى أن هذا كله باطل لا يقوم على أساس فذهبت ظنونهم ... وبقى ما هدى إليه القرآن «فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض» .

ولكن المعتدلين من المفكرين المسلمين لم يجددوا فى آيات القرآن شيئا يناقض ما ذهبوا إليه أو وصلوا إليه من ظواهر الطبيعة أو حقائق العلم ، ومن هؤلاء البيرونى العالم المؤرخ الفيلسوف المعروف .

وننقل هنا ما قاله المستشرق الألمانى دى بوير فى كتابه «تاريخ الفلسفة فى الإسلام» [1] قال : «لا شك أن البيرونى كان سنيا مستنيراً ، وهو لعلو كعبه فى العلم وسعة فكره ، وتنوع معارفه ، وتفطنه للحدود التى لا يصح أن تتجاوزها أحكام التجربة الإنسانية المعتمدة على المشاهدة - يتمسك بحقائق الدين العميقة فلا يعجبه التأويل الهازل للقرآن ، ولا الانكسار المتحذلق - من غير أساس كاف - لما يروى من غريب الأفكار . وهو يتمسك بالقرآن فيؤلف مثلا كتابا جليلا يسمى «لوازم الحركتين» مقتبسا أكثر كلماته عن القرآن (معجم لأدباء الياقوت ج ٦ ص ٣١١) .

ويقول فى كتابه عن الهند ص ١٣٢ : إن القرآن لم ينطق فى أمر صورة السماء والأرض وفى كل شىء ضرورى بما يحوج إلى تعسف فى التأويل . فهو فى الأشياء الضرورية معها

(١) ص ٣٠٢ ترجمة الدكتور عبد الهادى أبو ريدة .

حذو القذة بالقذة ، ولم يشتمل على شيء مما اختلف أيسر من الوصول إليه ...

ويصف البيرونى كيد مظهرى انتحال الإسلام له ، وإدخالهما فى كتبهم فيه تصديق ذوى القلوب السليمة ـ الساذجة ـ لهم . وفى بعض الأحيان يذكر الزنادقة من أصحاب مانى ويذكر الحركات والاتجاهات غير الإسلامية ناقدا لها . راجع كتابه عن الهند ص ٧٦ - ١٣٢ الآثار — ٢١٠ — ٢١٤ ٢٦٤ — ٢٦٥ — ١٩٦ )

هذا هو الإسلام الذى قامت على أساسه حضارة علمية واسعة معتدة فى وقت لم تكن أوربا ترى فيه النور إلا من سم الخياط ، وفى تاريخه الطويل لم يضق صدره بعالم أو باحث كما حدث فى أوربا من معارك بين العلم والدين ومجازر تقشعر لها الأبدان .

وما نقل من حوادث فردية وقع فيها صدام بين من اشتغلوا بالفلسفه وبين الفقهاء وعلماء الكلام ، فما كان صداما مع علم سليم الأسس والقواعد بل كان صداما على الجانب الميتافيزيقى الإلهى من الفلسفه الإغريقية بالذات ، وهو جانب يبحث فى أمور قطع الوحى فيها برأى حاسم لا مجال بعده لتخمين العقول ، وافتراض الفروض . وإضاعة الأوقات فى غير نفع ولا فائدة للإنسان والحياة

**مصادر الإسلام :**

للإسلام مصادر محددة ، تعرف منها رسالته ووجهته ، ولا يمكن أن يحكم له أو عليه بالاستمداد من غيرها ... وتنحصر هذه المصادر فيما يلى :

## أولا : القرآن الكريم

وهو مصدر إلهى بلفظه ومعناه ، ليس من عمل محمد ، وإنما هو قول رسول كريم هو جبريل ، تلقاه من لدن حكيم عليم ، ثم بلسان عربى مبين على قلب محمد فتلقنه محمد منه كما يتلقن التلميذ من أستاذه نصا من النصوص ولم يكن عمل بعد ذلك إلا : —

١ — الوعى والحفظ : « سنقرئك فلا تنسى » .

٢ — الحكاية والتبليغ : « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » .

٣ — البيان والتفسير : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » .

٤ — التطبيق والتنفيذ : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » .

وقد نقل إلينا هذا القرآن كاملا متواتراً نقلته أجيال عن أجيال تلاوة بالألسنة وحفظا فى الصدور ، وكتابة فى المصاحف ، وشهادة التاريخ بتواتر هذا الكتاب شهادة ناصعة لا يماثلها ولا يدانيها كشهادته لكتاب غيره ظهر على وجه الأرض . . .

هذا الكتاب هو المصدر الوحيد لعقائد

الإسلام، وهو المصدر الأول لنظمه وتشريعاته وآدابه وتوجيهاته.

وقد تلقاه المسلمون بالشرح والتفسير والتحليل كل فى مجال عمله واختصاصه واستنبطوا منه أحكام دينهم وأصول مجتمعهم . . . هذا فى مجال العقيدة وذاك فى مجال الفقه والتشريع وثالث فى مجال الآداب والأخلاق.

وقد وضعوا الأسس السليمة، والقواعد المتينة لفهم هذا الكتاب والاستنباط منه وفق ما عرفوه من أساليب لغتهم العربية، وما خطه لهم النبى من توجيهات، وما فهموه من جملة تعاليم الإسلام وروحه العامة . . .

ولم يجد هؤلاء العلماء فى آيات هذا الكتاب إلا التناسق والائتلاف. فهى يصدق بعضها بعضا، ويفسر بعضها بعضا، وما يظنه القاصرون ـ الذين يجهلون أسرار العربية وأساليبها ـ تعارضا أو اختلافا، فما هو بالتعارض ولا الاختلاف ... وإنما هى نصوص عامة تقيدها نصوص خاصة أو آية مطلقة تفسرها آية مقيدة ... وهكذا «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً».

نعم إن فى القرآن آيات محكمات وأخر متشابهات، كما قال تعالى: «هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات وأخر متشابهات، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب».

وليس المحكم هو الواضح، والمتشابه هو غير الواضح أو غير المفهوم، كما يظن أو يقال، فالقرآن كله واضح مبين. وإنما المحكم: هو المقطوع بدلالته جزما، والمتشابه هو: ما اختلفت الأذهان فى دلالته، ولعل سائلا يسأل: لماذا لم ينزل القرآن كله محكما ويريح الناس من التشابه؟

ومن عرف حكمة الابتلاء والتكليف للإنسان أولا، وعرف طبيعة اللغات وتنوع دلالاتها ثانيا، وعرف طبيعة بنى آدم واختلاف عقولهم واتجاههم ثالثا، وعرف عموم القرآن لكل البيئات والأزمان، والأجيال المتطورة رابعا، وعرف طبيعة الإسلام الذى يحث على إعمال العقل والاجتهاد والاستنباط خامسا ... من عرف هذا كله لم يشتبه عليه الأمر ولم يحتج إلى هذا السؤال بل قال ما قاله الراسخون فى العلم: «آمنا به كل من عند ربنا».

لقد اقتضت حكمة الله أن تكون الآيات المحكمات فى كتابه، هى الأصول التى لا خلاف عليها، والأسس التى يرد غيرها إليها، والمحور الذى يلتف حوله الجميع، أما الآيات الأخرى فقد جعلها الله من السعة والمرونة بحيث تتسع

لختلف الأفهام المعقولة فى شتى البيئات والعصور بحيث يعذر بعض الفاهمين بعضا ، ولا يكفر بعضهم بعضا وشعارهم تلك الكلمة الحكيمة « نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه » وبهذا يكون القرآن مصدر تجميع لا مثير تفرقة ، يكون كتابا للإنسانية كلها ، فى كل أحوالها ، وجميع أزمنتها وشتى بلادها ولو كانت كل آياته محكمة قاطعة الدلالة ، لكانت هذه هى النقمة الكبرى التى تغلق على المجتهدين باب الفهم ، وتطفىء تألق الفكر ، وتشل حركة العقل . . . ولا تليق إلا بصنف واحد من الناس ولزاوية واحدة من النظر ، وما لهذا أنزل الله القرآن « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

ثانيا : السنة :

وهى الأقوال والأعمال الثابتة عن محمد رسول الله ، وضح بها مجمل القرآن ، وفسر بها مراد ربه ، وطبق بها شرائعه وآدابه تحقيقا لقول الله « لتبين للناس ما نزل إليهم » .

هذه السنة هى المصدر الثانى فى تعرف نظام الإسلام وتعاليمه . . . وإذا ثبت أن محمداً رسول موحى إليه ، كان لما يقوله ويهدى إليه فى تبيين هذا الإسلام ، وتوضيح معالمه ، وتطبيقه فى الحياة ، منزلة الوحى المعنوى ، « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، هذه السنة مشت فى رحاب القرآن ، وعبرت عن روحه شارحة وموضحة وتركت للناس أبواب الفهم والتجديد فى أمور حياتهم المتطورة ، التى تتصل بوسائل المعايش التى تتغير بتغير البيئات والأزمان ، وفى ذلك يقول رسول الله « أنتم أعلم بشئون دنياكم » .

وقد وجدت هذه السنة من الرعاية فى حفظها ، وجمعها ، وتنقيتها من الدخيل عليها ما لا يزال التاريخ العلمى يذكره بالفخر والإعجاب ...

فقد حاول أعداء الإسلام أن يدسوا فيها ما ليس منها ، ليكدروا نقاءها ، فوضعوا أحاديث مكذوبة ، وروايات ملفقة ، ونسبوها زوراً إلى رسول الله منتهزين ما حاق بالمسلمين من فتن فى فترة من الدهر ، ولكن سرعان ما وقف الأفذاذ من سلف هذه الأمة الذين كرسوا حياتهم ، يطوفون البلاد ، ويجوبون القفار ، بحثا عن صحيح السنة ، وكشفا عن زائفها ... وكان العهد قريبا بالرسول وصحابته ، والأمة العربية أمة حفظ ووعى ، فوضع هؤلاء العلماء الأصول والقواعد للرواية ، وبحثوا عن الرجال ، وجرحوا وعدلوا ، وألفوا الكتب الكثيرة فى التاريخ والسير والأسماء ، ولم يأخذوا إلا عن ثقة عدل حافظ ضابط حتى لقد أفردوا كتبا للثقات من الرواة ، وكتبا للضعفاء ، وذلك جهد لم يعرف لأمة فى صيانة تراث نبيها ...

وما يقال : إنهم اهتموا بسند الحديث ورواته دون موضوعه أو متنه ، فهذا كلام غير صحيح لأنهم اهتموا بالموضوع أيضا فردوا الحديث الشاذ المخالف لما عرفوا من أصول ، وردوا الأحاديث لعلل قادحة تتصل أحيانا بالموضوع كما تتصل بالسند ...

نعم إنهم وجهوا جل همتهم إلى السند والرواة لأن الموضوع تختلف العقول فى قبوله ورده حسب عصورهم وثقافاتهم ... وما كان يعتبر صحيحا مقبولا بالأمس ، قد يعد خطأ مرفوضا اليوم ، وبالعكس ..

فقاموا بما عليهم فى نقد الرواة وتجلية حالهم ، وتركوا لمن يأتى بعدهم الحكم على موضوع الحديث بما يتفق وما عندهم من وسائل الفهم وموازين النقد ...

**ثالثا : الاجتهاد :**

لم يشرع الإسلام فى مصدريه : القرآن والسنة للمسلمين فى كل شىء ، فيضيق عليهم فيما لهم فيه فسحة ، ولم يدع التشريع فى كل شىء فيتركهم تائهين بلا أصل يعتمدون عليه ، ولكنه شرع وحدد فيما لا مجال للرأى فيه كالعبادات وفيما لا يختلف باختلاف الأزمان والأحوال كالقواعد الكلية ، والحدود والعقارات والمواريث وأكثر شئون الأسرة .

وترك التشريع أو النص والتحديد فيما يختلف باختلاف الأوقات والبيئات ، وأعطى بذلك العقل الإنسانى حقه فى الاجتهاد والقياس والاستنباط ، وجعل للمجتهد أجراً إذا أخطأ وأجرين إذا أصاب .

وعلى هذا الأساس قامت حركة فقهية تساير تطور الزمن وحاجة الناس ... وقال الفقهاء « تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من أمور » .

ولم يوضع الفقه فى عهد الخلافة العباسية — كما قاله بعض الجاهلين — بل وجد الفقه منذ عهد الرسول ، ونما فى عهد الصحابة ، وزاد نمواً فى عهد التابعين ، وكان تدوينه فى عهد العباسيين .

وهنا لابد أن ننبه — إلى الفرق بين الشريعة الإسلامية ، والفقه الإسلامى .

فالشريعة هى النصوص المقدسة من الكتاب والسنة الثابتة ، والفقه هو : استنباطات الفقهاء فى دائرة النصوص ، أو فيما لا نص فيه .

الشريعة : ثابتة لا تتغير ولا تتطور ، والفقه مرن متحرك يتغير ويتطور ، الشريعة وحى الله والفقه عمل الإنسان[1] .

ولكن مهما قلنا إن الفقه من صنعة العقل الإسلامى ، فإن فقهاء الإسلام كانوا يحرصون حسب طاقتهم على أن يكون اجتهادهم داخل

---

[1] راجع مقال الدكتور محمد البهى فى مجلة الأزهر تحت عنوان مع المذاهب الاسلامية عدد صفر ١٣٧٩ هـ .

إطار الشريعة ، وتبعاً لها محاولين التحرر من الهوى والذاتية ما استطاعوا ...

ولم يهدف الفقهاء فى فقههم إلا إلى ما هدفت إليه الشريعة ، من رعاية مصالح العباد ، من ضروريات ، وحاجيات ، وتحسينات — كما عبر الشاطبى .

«لم يهدفوا إلى رعاية مصلحة خاصة لطائفة أو فرد أو خليفة ، كيف وكلهم رفضوا المناصب والقربى من الخلفاء ، وتحملوا الأذى فى سبيل تجردهم العلمى » .

رفض أبو حنيفة القضاء وتقبل السجن راضيا ، وروى أنه مات فيه .

وضرب مالك بالسياط فى سبيل أن يغير أو يكتم رأيا رآه فأبى .

وأوذى الشافعى من أجل تجرده وأمانته .

واحتمل أحمد بن حنبل من العذاب ما لا يحتمله إلا المؤمنون الأبطال .

وهؤلاء الأئمة الأربعة هم مؤسسو المذاهب السنية المشهورة فى المسلمين .

وهذه المذاهب الأربعة وغيرها لا تلزم المسلمين باتباع أحدها إنما هى اجتهادات لأصحابها الذين لم يزعموا لأنفسهم العصمة ، ولم يلزموا الناس بتقليدهم يوما ، ولم ينظر واحد من هؤلاء الفقهاء إلى غيره نظرة التعصب أو الخصومة ، بل نظرة ملؤها التسامح والمودة ، وتقدير آراء الآخرين .

قال أبو حنيفة : هذا رأينا فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه .

وقال مالك : كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم .

وقال الشافعى : رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب .

وما عرف فى بعض العصور والأقاليم من التعصب لمذهب ضد غيره ، فهو ثمرة من ثمرات الجهل ، والتأخر العقلى الذى أصيب به المسلمون حينذاك والإسلام وفقهاء الإسلام منه براء .

ونحب أن نقرر هنا أن الخلاف بين المذاهب السنية ، وبين الشيعة المعتدلة ليس خلافا جوهريا يمتد الى أصول العقيدة ، وإنما وسع الهوة بينهما أهواء الحكام ، ودسائس خصوم الإسلام ، فالجميع من سنيين وشيعة ، يؤمنون بإله واحد ، ويقدسون كتابا واحدا ويتبعون رسولا واحدا ، ويتجهون إلى قبلة واحدة .. هم جميعا يقيمون الصلاة ، ويؤدون الزكاة ويصومون رمضان ، ويحجون البيت إن استطاعوا إليه سبيلا .

إن فى الفقه الإسلامى ثروة من القواعد والتطبيقات والنظرات العميقة فى كل مجال من مجالات الحياة : أسرية ، ومدنية ، وجنائية ودستورية ، ودولية ، اعترفت بقيمتها وصلاحيتها المؤتمرات الدولية التشريعية

الحديثة ، كمؤتمر « لا هاى » وغيره .

وهى ثروة صالحة لأن يقوم عليها صرح تشريعى مكين إذا توفر باب الفقه والقانون عليها ... ، وفعلا قد اقتبس واضعو القوانين المدنية فى البلاد العربية منها كثيرا من المواد والقواعد . . .

وبعد : فإن مبادئ الإسلام هى أفضل المبادئ لإصلاح الأفراد وإسعاد الأسر ، وتنظيم المجتمعات ، وتوجيه الحكومات ، وهداية الإنسانية كلها إلى الصراط المستقيم .

بيد أن المبادئ وحدها لاتغنى إذا لم تجد رجالا يؤمنون بها ، وينقلونها إلى واقع تراه الأعين ويلمسه الناس ، وبدون هذا سنظل نردد قول القائل :

« يا له من دين لو كان له رجال » .

وحسبنا أن تعلم أنه حين تهيأ للإسلام حكم عادل ، وخلافة راشدة فى عهد عمر بن عبد العزيز رأت الدنيا فى مدى عامين - ٩٩ - ١٠١ هـ - من العدالة والنظام ، والقوة ، والرخاء ما لم تحققه عشرات السنين من بعد .

ومن كان يريد أن يستدل بالتاريخ فليستدل بأمثال هذه السير المنيرة . . وإلا فليعرف الإسلام من كتابه المنزل ، وسيرة نبيه الثابتة والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

**يوسف القرضاوى ، أحمد العسال**



---

# العلم

العلم مذ كان ، محتاج إلى العلم وشفرة السيف تستغنى عن القلم

وخير خيلك (إن غامرت فى شرف) عزم يفرق بين الساق والقدم

لا يدرك المجد إلا كل مقتحم فى موج ملتطم أو فوج مضطرم

ورب أمر يهاب الناس غايته والأمر أهون فيه من يد لفم

تنمى قوى الشىء بالتدريج إن رزقت لطفاً ويقوى شرار النار بالضرم

# المذهبية والتقليد

للأستاذ محمود الشرقاوي

---

« التقليد إبطال منفعة العقل ، لأنه خلق للتدبر والتأمل »
[ أبو الفرج ابن الجوزى ]

المذهبية والتقليد مظهران من مظاهر الانحراف الذى ندعو إلى تقويمه فى الفكر الدينى . ولكنهما مظهران أخذا يتحولان أو يزولان فى السنوات الأخيرة . ولكنى أعتقد أن الأمر لا يزال يحتاج إلى معالجة ، لأنه على وجه اليقين ، لا يزال كذلك موجوداً فى غير مصر من بلاد الشرق . ولا يزال التعصب للمذهب أساساً لا يحيد عنه كثير من رجال الدين فى بعض البلاد الإسلامية من شرقنا العربى . ونعتقد أن بعض رجال الدين عندنا لا يزال فى نفوسهم شىء كثير من هذا التقيد بالعصبية المذهبية والانتصار لما يتبعون من المذاهب . مع أنهم ورثوا تبعيتهم لهذه المذاهب عن آبائهم وأجدادهم ولا مدخل فيها للفهم والرأى والترجيح ولم يستمسك المقلدون بمتابعة مقلديهم إلا بعد أن فشت الجهالة بين الناس .

لذلك نجد العلماء وأصحاب الرأى لا يقلدون ولا يرضون لغيرهم أن يقلد .

من ذلك أن أحمد بن حنبل كان يقول : « من ضيق علم العالم أن يقلد فى اعتقاده رجلا » . وذكر له رأى لابن المبارك فقال : « إن ابن المبارك لم ينزل من السماء . وقيل له : قال إبراهيم بن أدهم ، فقال : جئتمونى ببنيات الطريق ، عليكم بالأصل . فلا ينبغى أن يترك - أى الأصل - لقول معظم فى النفس ، فإن الشرع أعظم ، والخطأ فى التأويل على الناس يجرى » .

وقد نهى الإمام الشافعى عن التقليد . وروى عنه وعن غيره من الأئمة قوله : إذا صح الحديث فهو مذهبى ، وأضربوا بقولى عرض الحائط .

بل إن بعض العلماء - كأبى الفرج ابن الجوزى - يرى أن يجتهد العامى أيضا ، لا العلماء وحدهم ، واجتهاد العامى فى اختيار من يقلده : « وأما الفرعيات فإنها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامى عرفانها ، وقرب له أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامى

التقليد فيها لمن سبر ونظر ، إلا أن اجتهاد العامي في اختيار من يقلده » [١] .

ويقول ابن الجوزي في التقليد رأيا هو : « إعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد . وفي التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتدبر والتأمل . وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة » .

وكذلك يقول : « واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال ، وهذا عين الضلال . لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل » [٢] .

ثم يروي أبو الفرج أن الحارث بن حوط قال لعلي رضي الله عنه : أيظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل ؟ فقال له علي : « ياحارث : إنه ملبوس عليك . إن الحق لا يعرف بالرجال ، إعرف الحق تعرف أهله » .

ويقول الإمام ابن حزم : المقلد راض أن يغبن في عقله » .

ومن الذين وقفوا موقف الخصومة من التقليد العالم المجتهد الذي كان فخر عصره علما وعملا وخلقاً : الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، الذي يقول :

ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه ، بحيث لايجد لضعفه مدفعا وهو مع ذلك يقلده فيه ، ويترك من شهد الكتاب والسنة له ، ويتأولهما بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا عن مقلده » .

ثم يصف الشيخ عز الدين كيف كان المتقدمون يتعبدون ويعرفون أمور دينهم فيقول :

« لم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تقيد بمذهب ، ولا إنكار على أحد من السائلين ، إلى أن ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها من المقلدين ، فإن أحدهم يتبع إمامه مع بعد مذهبه عن الأدلة مقلداً له فيما قال ، كأنه نبي أرسل ، وهذا نأي عن الحق وبعد عن الصواب ، لا يرضى به أحد من ذوي الألباب » .

فالتقليد عند عز الدين بن عبد السلام : بعد عن الحق ، وعن الصواب ، لا يرضى بهما عاقل .

وعز الدين بن عبد السلام من أعظم علماء الشافعية في جميع العصور ، وكان أبرز علماء مصر في القرن السابع الهجري .

وفي شرح مسلم الثبوت لابن عبد الشكور البهاري أن من ألزم بالتقليد ، فقد ألزم بشرع لم يأمر الله أحدا بالتزامه ، فهو يقول إن إيجاب التقليد « تشريع شرع جديد » .

---

[١] ص ٨٧ من كتابه : « نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس » السعادة ١٣٤٠ هـ .

[٢] ص ٧٦ - ٨٧ من المصدر السابق .

وأن إلزام العمل بمذهب معين نقمة على الناس وشدة .

كانت المذهبية والتقليد تعصبا وعوجا ابتلى به الفكر الديني عند ما ضعف العلم وفشا الجهل . حتى رأينا من ( أوجب ) هذا التقليد . كصاحب الجوهرة الذي يقول : وواجب تقليد حبر منهم .

وقد كان لهذه العصبية المذهبية الضيقة أثرها في حياة المجتمع الإسلامي حتى رأينا بعض الفقهاء يجعل من مسائل فقهه هذا السؤال : الابن الذي أبوه شافعي المذهب ، هل هو كفؤ للزواج من بنت الحنفي ؟ .

وحتى رأينا من يعرض بحنفي المذهب فيقول : إذا وقع النبيذ على طعام أو عجين ، فارم به إلى كلب أو إلى حنفي ، يريد أن بعض الحنفية يرى تحليل النبيذ وطهارته .

فانظر ماذا تفعل العصبية وضيق الفهم بأواصر المسلمين الذين جعلهم الله أمة واحدة وجعلهم الحديث الشريف كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

وقد قلنا أول هذا المقال إن هذا الانحراف في الفكر الديني أخذ يتحول ويزول ، عندنا على الأقل ، وبقي أن يعمل رجال الفكر الديني على القضاء على ما بقي منه فيها وفي غيرها وقد رأينا وجه الحق ورأي العلماء فيه .

**حدود المذاهب الأربعة :**

ننتقل بعد ذلك من ( المذاهبية والتقليد ) إلى أفق أوسع : إلى حدود المذاهب الأربعة فقد مضت على الفكر الديني عصور من التخلف والضيق كان يرى فيها أن ( الشريعة ) هي مذهب أبي حنيفة ، كما كانت ترى دولة الخلافة العثمانية في عصور طويلة . وكما كان غيرها يرى الرأي نفسه في مذهب الشافعي ، أو مالك ، أو مذهب الشيعة ، كما فعلت الدولة الفاطمية زمنا ما . وكما يرى غيرهم الرأي نفسه في مذهب الزيدية ، أو الوهابية .

ولكن هذه النظرة خاطئة بقدر ما هي ضيقة . وشريعة الله أفسح وأرحب من حدود هذه المذاهب ، ونحن لا نريد أن نفصل أمر هذه المذاهب الأربعة وما بعد الأربعة ولا أن نذكر أمر نشأتها وتداولها ، واستقرارها وأسباب الغلبة التي جعلت بعضها يشيع ويثبت ويستقر وبعضها الآخر يضيق ويتهافت ويضعف ، أو يتلاشى لا نريد أن نستطرد إلى شيء من ذلك الذي يستطيع أن يعرفه من يريده في تاريخ التشريع

ولكن الذي نقوله إن العمل برأي ضعيف أو مرجوح في هذه المذاهب ، وترك العمل بالراجح القوي فيها ، ليس خروجا على الشريعة ، وما دامت المصلحة هي الدافع على

ترك القوى الراجح إلى الضعيف المرجوح وترك العمل برأى فى هذه المذاهب بعضها أو كلها، إلى رأى قيل به فى مذهب آخر وراء هذه المذاهب الأربعة ليس كذلك خروجا على الشريعة ما دامت المصلحة هى الدافع والغرض ، أو أن يرى صاحب الأمر ذلك لخير الجماعة . وصاحب الأمر الآن هو الدولة . وعلى رجال الفكر الدينى الفاقهين ، أن يهيئوا لها ذلك وأن يمكنوها منه .

## أسباب السيادة لبعض المذاهب

ونحن نعرف أن السيادة قد تقررت لهذه المذاهب بشيوعها وغلبتها على بقية المذاهب وتداول كتبها ودراسة رجالها ومعرفة الناس لهم وتلبسهم بهذه المعرفة السنين الطوال . ولكننا نعرف بعد ذلك أن هذه السيادة المقررة وهذا الشيوع والغلبة على بقية المذاهب لم تكن لتفوق الأولى على الثانية من الوجهة العلمية أو الدقة فى الفهم ، بل لذلك أسباب هى إلى السياسة أقرب منها إلى العلم .

ونعرف أيضا أن بعض هذه المذاهب - غير الأربعة - كانت له فى يوم من الأيام وفى أزهر العصور من دول الإسلام مثل هذه الغلبة وهذا التفوق اللذين نجدهما الآن للمذاهب الأربعة . فقد بقيت السيادة فى الذهن وفى الحكم لأصحاب مذهب الاعتزال أكثر من خمسين سنة فى زمن الدولة العباسية .

يقول أبو بكر الصيرفى ، الفقيه الشافعى الأصولى ، «كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى أظهر الله أبا الحسن الأشعرى فجحزهم فى أقماع السمسم . ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضى عبد الجبار ، علم ما كانوا عليه من العدد والقوة» .

ونحن ليس من همنا أن نوازن بين المذاهب الأربعة وغيرها من وجهة التاريخ والسيادة بل نحن نزنها من جانب الفائدة العلمية وإمكان الاستفادة مما عند أهلها من الفروق والاختلاف عن المذاهب الأربعة الشائعة فى السعة واليسر ، «وكلهم من رسول الله ملتمس» . كما قال صاحب البردة .

هذه النظرة إلى هذه المذاهب وموازنتها بالمذاهب الأربعة والاستفادة مما قد يكون فيها من اليسر والسعة . سيظهرنا على ميادين فسيحة ، نجد فيها آراء ذات قيمة فى عصرنا الحاضر ، ومجتمعنا الحاضر . وقد نجد لهذه الآراء أيضاً رجحانا فى الفهم والحجة .

## أربعة عشر مذهبا :

نحن واجدون أن فى الفكر الإسلامى القديم مذاهب لا يقل بعضها فى القيمة والقوة عن هذه المذاهب الأربعة ، وواجدون

فى هـذه المذاهب من الكثرة ومن السعة ما نستطيع أن نفيد منه أكبر الفائدة فى تجديد تفكيرنا الدينى وإمداده بالطريف الصالح مما يوافق العصر والحاجة .

فقد كانت المذاهب فى العصر العباسى نحو أربعة عشر مذهبا كلها من الإسلام وكلها مفيد وكلها مستمد من كتاب الله .

نجد غير هذه المذاهب الأربعة مذهب الأوزاعى فقيه أهل الشام . ومذهب الحسن البصرى ، ومذهب سفيان الثورى ، ومذهب ابن عيينة ، والليث بن سعد فقيه مصر الذى قال فيه الشافعى : « الليث أفقه من مالك ولكن أصحابه أضاعوه أى لم يدونوا فقهه ومذهبه . وهناك مذهب إسحق بن راهويه وأبى ثور . والطبرى وهناك من المتأخرين من لم يشتهر بأنه صاحب مذهب فقهى » . ولكن له آراء يخالف بها أصحاب المذاهب الأخرى ، كابن تيمية وابن حزم .

وبعض هذه المذاهب شاع فى بلاد الإسلام كما شاع مذهب الظاهرى فى فارس والأندلس وكان القضاء فى القرن الرابع للشيعة حتى نقله صلاح الدين إلى الشافعية لأنه شافعى .

ونجد فوق ذلك — وهو ما يهما لأنه مناط الفائدة — نجد من الفوارق بين هذه المذاهب ما يمكننا من نيل أكبر الفائدة حين ندرسها ونقتبس منها ما يوافق حاجة عصرنا ونحن فى كل ذلك ملتزمون حدود الإسلام وأصوله ما دامت هذه المذاهب منه .

وهذه الفوارق بين المذاهب تعد من دلائل اليسار والسعة ، وهى كنز لا يفنى للتجديد الدينى ومطاوعة الشريعة الإسلامية لكل عصر وجيل .

لست أقصد فى هذا البحث أن أتقصى هذه الفوارق بين المذاهب وما نجد فيها من الآراء الموافقة لعصرنا وحاجتنا من غير المذاهب الأربعة التى عكفنا عليها . بل إن مقصدى الأول هو لفت الأنظار إلى هذه المذاهب والفوارق بينها وأنه من الضرورى أن نعترف بها وأن ندرسها لنستفيد مما فيها . وأنا الضمين بأننا سنجد فى ذلك فائدة لا ندرك قيمتها الآن ، وهى تفوق كل ما يخطر على بالنا فى ذلك .

وأخص بالنص ولفت النظر من المذاهب ما يمتاز تفكير الرجال فيه بميزات فائقة من رجاحة العقل وحرية البصر وحدة الفهم ونفاذ الذهن والقوة فى الجدل والبراعة فى الإحاطة بالرأى ونقده وتقديره كمذهب المعتزلة ، وهذه الميزات التى نحتاج إليها لنلقح بها تفكيرنا الدينى الحديث .

وليس بدعا أن ندرس كتب المذاهب المختلفة ولا أن نعرف مقدار رجالها ونستفيد من مذاهبهم وتفكيرهم . فهم مسلمون

كأصحاب المذاهب الأخرى التى نعكف عليها . بل فيهم كثيرون هم الذين حملوا لواء الدفاع عن الإسلام وصمدوا فى خصومة المغيرين عليه من رجال التفكير النصرانى واليهودى فى عصرهم .

وبعض هذه المذاهب قريب غاية القرب من المذاهب الأربعة فى العقيدة والشريعة ، كما نجـــد فى مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية .

### نظرة إلى الماضى :

وإذا نظرنا إلى تاريخنا الإسلامى بعد العصر الأول خاصة رأينا ما كان لهذه الخلافات المذهبية من الأثر فى تفتيت المجتمع الإسلامى وتوهين وحدته التى أمر بها القرآن ، حين تمادى أصحاب الخلافات فيها ، فاستحالت بعد ذلك إلى خصومات . استغلتها المطامع والأهواء حتى وقعت بسببها حروب ، وجرت دماء .

نجد فى نظرتنا إلى هذا التاريخ أن الخصومات المذهبية لج فيها أصحابها وتمادوا وأخشوا حتى خشى منهم الفتنة ، فأصدر الحاكم الفاطمى مرسوما بأن يترك الناس هذا الجدل الفقهى والمذهبى .

ونجد فى فترة من تاريخ مصر أن الحاكم ، وهو المستنصر ، وأبوه وجده كانوا رافضة ، وكانت الخلافة العباسية فى بغداد ، فى نفس الوقت ، على مذهب أهل السنة . وكان الناس فى كلا البلدين الإسلاميين تمزقهم هذه الخصومات المذهبية الحادة .

ولا أريد أن أسترسل فى أخبار هذه الخصومات المذهبية التى كان لها أثر بالغ السوء فيما وقع من الخصومات السياسية والحروب بين البلاد الإسلامية فى تاريخها الطويل . فتلك أخبار مبسوطة فى كتب التاريخ ، ولو أنها تسردها وترويها وتقص عنها دون أن تستبطن أسبابها أو تستخلص عبرتها . وقد أوشكنا ولله الحمد أن نفىء إلى أمر الله ، ونستمسك بحبله ، ونعلو بديننا وعقيدتنا عن هذه الخصومات المفرقة .

لا أريد أن أسترسل فى ذلك . ولكنى أقول إنه ليس من المبالغة القول بأن هذه الخصومات المذهبية أفسدت فى الماضى حياتنا ، وسودت فترات من تاريخنا ، بل ملأته فى بعض الأوقات ، بالشرور والآثام والدنس والخصومات والحروب والمظالم - ويكفى أن نذكر محنة ابن حنبل فى فتنة خلق القرآن وما يشبهها - .

وقد ظهر قليلون من عباقرة العقول والقلوب فى ظلمات هذه الأيام ضاقوا ذرعا بهذه الخصومة السوداء واستطاعوا أن يظهروا

على الملأ بحطهم عليا ومنهم البيرونى (١) ، فقد كان يلبس فى إصبعه خاتما رسم عليه شعارين : أحدهما لأهل السنة والآخر للشيعة.

ونريد من رجال الفكر الدينى فى عصرنا الحاضر أن ينظروا إلى هذه الخلافات المذهبية كما يجب أن ينظر أهل العلم إلى الرأى المجرد ، نظرة التقدير وحسن الظن والإفادة من خلافاتها لمصلحة الشريعة نفسها ومصلحة الناس . وأن يكون تقديرهم لأصحابها الأول تقدير المجتهد الذى جعل الله له أجرين إن أصاب ، وأجراً إن أخطأ ، كما جاء فى الحديث الشريف . وأن ينظروا إلى أصحابها ومعتقديها الآن نظر الأخ إلى أخيه . وهو النظر الذى جدده قول الرسول الكريم : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

ونحن نعرف أن هناك مذاهب متعددة ونحلا كثيرة أدعو لدراسة هذه المذاهب دراسة موضوعية مجردة .

وأعتقد أن أحداً لا يجادل فى أن هذه الدراسة ، على الأسس التى بيناها ، كفيلة بأن نحقق للفكر الدينى ، وللحياة العامة جملة من الفوائد ، فهى ، فى الفكر الدينى ، تزيده نماءاً وخصباً وعمقاً وسعة ، هى ثروة من المعرفة يحتاج لها الفكر الدينى أكبر الحاجة وهى كفيلة بأن تظهر ما فى شريعة الإسلام من السعة والمرونة والكفاية لتحقيق حاجات مجتمعنا الحاضر ووضع الحلول لمشكلاته ، سيجد فيها المقنن والمشرع ما يبتغى أن يجد من القوانين والتشريعات لتنظيم مجتمعنا المعاصر على أسس الشريعة ، بدلا من تنظيمه على أسس دخيلة . وهى — بعد ذلك — ستكون عاملا قوى الأثر فى التقريب بين عواطف الناس فى الجماعة الإسلامية كلها ، وفى الأمة العربية التى تريد أن تبنى قوميتها وتقيم أسسها على عواطف الفهم والمحبة والقربى.

محمود الشرقاوى

(١) أبو الريحان البيرونى : من عباقرة الفكر الإسلامى ، أصله فارسى ولد بخوارزم سنة ٣٦٢هـ [ سبتمبر سنة ٩٧٣ م ] نبغ فى الفلك والرياضيات والطب والتقويم والتاريخ . وكان يراسل ابن سينا . وضع فى الفلك « القانون المسعودى » للسلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين فظل حجة فى علم الفلك قرونا . ورحل إلى الهند فأقام بها سنين طويلة يدرس الثقافة اليونانية واللغة السنسكريتية ثم وضع كتابه فى تاريخ الهند : « تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة » فكان أشمل وأكمل كتاب عن تاريخ الهند وثقافتها القديمة ، قد طبع وترجم إلى الانجليزية فى لندن سنة ١٨٨٧ بإشراف المستشرق سخاو وله كتاب « آثار باقية عن القرون الخالية » كان ثمرة من ثمرات رسائله مع ابن سينا ، وقد طبعه سخاو أيضاً مع ترجمته الانجليزية فى ليبزك سنة ١٨٧٨ ، وله رسائل ومؤلفات أخرى ، وكان كذلك بارعا فى اللغة الفارسية وله بها مؤلفات فى صناعة التنجيم ، وله عند الأوربيين منزلة عظيمة

توفى البيرونى فى اليوم الثالث من رجب سنة ٤٤٨هـ « ١٣ من ديسمبر سنة ١٠٤٨م » .

# عمر الفاروق
## فى بعض نواحيه الممتازه
### للأستاذ عباس طه

لحياة عمر رضى الله عنه مناح شتى ، دينية واجتماعية وسياسية ، ولعل من أحفلها بالطرافة ناحيتها الفلسفية . وللفلسفة معاييرها فى تقدير الملكات العقلية ، وطرقها فى التنقيب عما ينطوى فى أعمال العاملين من البواعث الدالة على ميزاتهم الأدبية ومراتبهم الروحية .

نشأ عمر وكبر فى الجاهلية ولم يظهر عليه شىء من السمو الذى ظهر به فى الإسلام ، فكل ما اشتهر به الشدة وقوة الإرادة فلما بعث النبى وبدأ يدعو إلى الله سرا ، بلغه أن أخته قبلت الإسلام دينا ، فغضب لذلك أشد الغضب ، فلما زارها فى دارها فلما أسرعت فناولته صحيفة فيها من القرآن . فلما قرأها (وكان من القلائل الذين يقرءون) وقع فى قلبه من سمو الإسلام ما حفزه على أن يجتمع بالرسول الأعظم ، فلما التقيا عرض الرسول عليه الاسلام ، وتلا عليه آيات من الفرقان . فآمن بها من فوره .

وكان أول ما عمله فى إسلامه أن قال : يا رسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فأجابه رسول الله « إنا قلة وقد رأيت ما لقينا » . فقال له عمر والذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان ! فلقبه النبى بالفاروق من ذلك اليوم .

قرر علماء النفس أن العبقرية لا تقتصر على العلوم والفنون والحروب ، ولكنها قد تكون فى الحكم أيضا . ولسنا نشك فى أن عمر وقد خلف أبا بكر كان عبقريا لما ظهر من ثمرات أعماله الماجدة الخالدة .

كانت الأداة الحكومية فى منتصف القرن السابع للميلاد على شىء من التركب الآلى ، بحيث تتأثر ما جريات الشئون وأطوارها الاجتماعية بوفاة عاهل وقيام عاهل آخر مقامه . وكانت الحكومات كلها من الضرب الاستبدادى الذى ترجع فيه الأمور إلى القائم بالأمر وخصائصه العقلية والخلقية .

والحكم فى الإسلام وإن كان حاصلا على جميع الأصول التى تدعو إلى إقامة أداة محكمة للحكم ، يكون من عملها تمثيل الأمة فى مجلس نيابى أو مجلسين ، وتقسيم السلطات على هيئات خاصة ، وضمان استقلال كل منها ، فإن الأحداث لا يمكن أن تسبق أزمنتها ،

فكان الحكم فى الإسلام موكولا لمن تراه الأمة أهلا لإقامة تلك الأصول ، اجتهادا من تلقاء نفسه .

وقد دلت الأحداث على أن عمر قد حقق الفراسة فيه ، وبلغ من إقامة الأصول الإسلامية مبلغاً رفعه إلى درجة العبقرية .

ليس من الهين فى دور الشكل الاستبدادى للحكومات أن يقيم القائم بالأمر جميع المثل العليا للتعاليم التى يصدر فى أعماله عنها تمثيلا كاملا ، مهما حرص على ذلك ، إلا إذا كان من الملهمين .

لأنه كيف يتسنى لعقل عادى فى أول عهد القرون الوسطى أن يفهم مغزى أصول مثالية لم نفهمها نحن اليوم إلا تحت ضوء العلوم الحديثة ، ولم ندرك مراسيها البعيدة إلا بعد ظهورها للعيان عقب انقلابات عالمية خطيرة .

نعم إن كلمات عدل وحق ومساواة إلخ ، كانت مدلولاتها معروفة منذ القدم ، ولكنها كانت مدلولات تنقص أهم مؤدياتها المطلقة ، حتى إن واضع الديمقراطية أرسطو لم يفهم مؤداها المطلق ، فقرر فى بحوثه السياسية حرمان العمال والأرقاء من الحقوق المدنية من الناحية السياسية ، الأولين : باعتبار أن نفوسهم ليست من نوع نفوس الأحرار ، والآخرين : لاشتغالهم بالمهن اليدوية ! فشتان بين ديمقراطية أمس وديمقراطية اليوم .

فنبوغ رجل كعمر يدركها وأمثالها على الوجه الذى أراده الإسلام مطلقة وخالصة من كل شائبة بشرية ، فوق ما كان يدركه منها فلاسفة النفس وعلماء الاجتماع على عهده وبعد عهده بأجيال ، أمر يستوقف النظر ويدعو إلى العجب العاجب ، ولا مخرج منها إلا بتعليلها بالعبقرية فى الحكم .

كل ما فى الإسلام من التعاليم الاجتماعية لا تخرج عن إقامة منارة الحق ، ومراعاة المساواة بين الخلق ، والحكم بالعدل ، واحترام حرية القول والعمل ، واللجوء إلى الشورى فى الأمور الجامعة ، فكان عمر مثلا أعلى فى تطبيق هذه الأصول الكلية ، وله فى كل منها مواقف وكلمات نابغة بقيت أعلاما منصوبة ومبادئ عرفية ومكتوبة حتى يومنا الراهن .

ومن أمثلة اعترافه بسلطان الأمة عليه وخضوعه لرقابتها قوله من خطبة : « أيها الناس إذا رأيتم فى إعوجاجا فقوموه » فقام إليه رجل من الحاضرين وقال « والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » .

فلو كان عمر اكتفى بسماع هذه الكلمة وتجاوز عن مؤاخذة قائلها لعد ذلك له منقبة ومفخرة يتناقلها الناس ويعدونها دليلا على

وفور عقله وسعة حلمه، ولكنه أجابه بقوله: « الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه » .

قال كعب الأحبار :

« نزلت على رجل يقال له مالك ، وكان جاراً لعمر بن الخطاب ، فقلت له : كيف بالدخول على أمير المؤمنين ؟ فقال : ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلى الصلاة ثم يقعد فيكلم الناس » .

وعن الحسن البصرى قال :

كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام فقال له الرجل : اتق الله ، فقال رجل من القوم : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر : دعه فليقلها لى ، نعم ما قال ، لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها » .

تأمل فى قوله : لاخير فيكم إذا لم تقولوها ! إنها والله لكلمة من أنبغ الكلمات الاجتماعية، وهى كما تدل على مبلغ احترام عمر للمعارضة وهى ركن من أركان الحياة السياسية ، تدل أيضاً على تجرد الأمة التى تتهيب هذا الركن من الخير . وقوله : « ولا خير فينا إذا لم نقبلها » تقرير بأن الحكومة التى لا تطيق المعارضة تكون مجردة عن الخير أيضاً .

أبلغ من كل ما مر فى الدلالة على فهم عمر الديمقراطيه الحقة ، أنه لما دعى إلى بيت المقدس ليتفق والمدافعين عنها على التسليم ، كما شرط عليه ذلك ، شخص إليها على بعير كان يتعاقب عليه هو وسائسه فى الطريق ، ولما شارفوا المدينة كان الدور للسائس فكان راكباً وأمير المؤمنين أخذ عقود الجمل . فقال له خادمه : لو نزلت أنا وركبت أنت حتى لا تقابل الناس على هذه الحال ! فلم يجبه أمير المؤمنين إلى طلبه ، وقدم على مستقبليه راجلا يقود البعير لخادمه . فكانت المفاجأة المذهلة ، ولكن أحداً لم ينبس بكلمة اعلمهم من هو عمر وما هى ديمقراطيته .

وأبلغ مما مر فى الدلالة على فهم عمر للديمقراطية ،كما يريدها الإسلام مطلقة ، أنه لما كان فى بعض انتقالاته بفلسطين عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيره وخلع نعليه فأمسكهما بيده ، فخاض الماء ومعه بعيره . فقال له أبو عبيدة كبير قواده : قد صنعت ياأمير المؤمنين صنعاً عظيما عند أهل الأرض فصكه عمر فى صدره وقال : « أواه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ! إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله » .

وأعظم مما مر وأحفله بالمعانى التى لايدركها إلا المستبصرون ما رواه الفضل بن عميرة : أن الأحنف بن قيس قدم على عمر بن الخطاب

فى وفد من العراق ، قدموا عليه فى يوم صائف شديد الحر وهو محتجر بعباءة ، يهنأ بعيراً من إبل الصدقة .

فقال عمر : « يا أحنف دع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين »

فقال رجل : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة يكفيك هذا .

فقال عمر « يا ابن فلانة وأى عبد هو أعبد منى ومن الأحنف هذا ؟ إنه من ولى أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين ، يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة » .

إن عمر رضى الله عنه بقوله من : ولى أمر المسلمين فهو عبد المسلمين ، وبتواليه عملا هو من مهن العبيد ، وبدعوته الأحنف ليعمل معه فيه . قد ضرب الأرسطقراطية ضربة قاصمة لن تقوم بعدها لها قائمة فى المسلمين باسم الإسلام قط . وقد تتبعنا سير جميع الحكام التابعين فلم نعثر على مثال فى الديمقراطية يشبه هذا المثال .

وهكذا ثمرات العبقرية تأتى على غير مثال سابق .

ولما أقبل سفراء بيت المقدس لمقابلة أمير المؤمنين عمر ، سألوا أين هو ؟ فأشاروا لهم إليه ، وكان نائما على الأرض فى ظل شجرة ، فهالهم ما رأوا وأبوا أن يتفقوا مع من هذه حالته ، استنكاراً لها ، حتى يستأنسوا برأى كبرائهم . فلما رجعوا وقصوا عليهم ما رأوا قال لهم بطريقهم : ارجعوا أدراجكم إنه طلبتنا ، وهذه حليته فى كتبنا .

نقول : ليس هذا من سقوط الهمة ، ولكنها الديمقراطية يضع عمر بيديه أركانها ويشيد بنيانها ، ويقيم بقدوته أعلامها . وإذا كان للعظمة معنى يرى بالعين ، فهو ما رآه الناس من أمثال هذا فى سيرة عمر عظمة عبر عنها ( أمن وكوتان[1] ) « إن هذا العاهل الذى كان يلبس ثوبا مرقعا كانت ترتعد فرائص الملوك عند ذكر اسمه » .

وخطب الفاروق يوما فقال « يا أيها الناس إنى والله ما أرسل عمالا[2] إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكنى أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ويقضوا بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شىء سوى ذلك فليرفعه إلى ، فو الذى نفس عمر بيده لأقصينه عنه » .

فوقف عمرو بن العاص فاتح مصر وواليها فقال « يا أمير المؤمنين أرأيت إن كان رجل من أمراء المسلمين أدب بعض رعيته أإنك لتقصينه عنه ؟ » .

(١) عالمان ومؤرخان فرنسيان فى كتابهما المسمى بالتاريخ العام .
(٢) ولاه .

فقال الفاروق :

« أى والذى نفس عمر بيده إنى لأقصينه عنه ، وكيف لا وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه » .

إذا ادعت حكومة بأنها تقيم مبدأ المساواة بين الناس فلتكن من هذا الطراز المطلق ، وإلا فهى صورة ناقصة لها كأكثر ما نسمعه عنها وما نراه منها .

**الديمقراطية تسوى بين السادة والعبيد :**

من أمثلة المساواة التى كان يقيم عمر حكمه عليها ما رواه الحسن البصرى قال :

حضر باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب فى نفر من قريش بين تلك الرءوس ، وصهيب وبلال من تلك الموالى[1] الذين شهدوا بدراً . فخرج إذن عمر لهم وترك أولئك .

« فقال أبو سفيان : لم أر كاليوم قط : يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينـــا .

« فقال سهيل بن عمرو وكان رجلا عاقلا : أيها القوم إنى والله أرى الذى فى وجوهكم ، إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم ، دعى القوم ودعيتم[2] . فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذ ادعوا يوم القيامة وتركتم ؟ » .

ومن أجل ما صدر عن الفاروق فى تنفيذ مبدأ الديمقراطية المطلقة قوله وهو يجود بنفسه وقد دعى لأن يعهد بالخلافة لمن يثق به : والله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ماجعلتها شورى . أى أنه كان يعهد إليه بالخلافة ولا يحيلها إلى شورى .

هنا لا نجد عبارة تصور إكبارنا لهذه الديمقراطية التى تمثل روح الإسلام فى أبدع وأروع صورة .

وشكا أحد أهل مصر إلى الفاروق ابنا لعمرو بن العاص واليها مدعيا أنه ضربه قائلا له : أنا ابن الأكرمين . فلما ثبت لعمر أنه صادق فى دعواه ، أعطاه درته وقال له : « اضرب ابن الأكرمين كما ضربك . ثم التفت للناس وقال لهم : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

إن الفاروق لم يرو بما فعل أن يذل ابن أحد ولاته ، ولكنه يرفع علم المساواة إلى أعلا ما يمكن أن يصل إليه ، وليس بعد هذا غاية .

ومن أمثلة حرص عمر على حفظ النظام ما رواه أبو ساعدة الهذلى قال : « رأيت عمر ابن الخطاب يضرب التجار بدرة إذا اجتمعوا على الطعام بالسوق حتى يدخلوا سكك أسلم ، ويقول لا تقطعوا علينا سابلتنا » .

(١) الذين كانوا أرقاء أو أبناء أرقاء

(٢) يريد دعوا إلى الإسلام .

أليس هـذا بعينه ما نكلف به الشرطة من تنظيم حركة المرور بالمواصم اليوم ؟ فلو كنت شرطيا لباهيت بوظيفتى التى وضع أساسها أكرم حكام الأرض فى أعظم أمة .

قال المسيب ابن دارم « رأيت عمر بن الخطاب يضرب جمالا وهو يقول : حملت جملك ما لا يطيق .

فمن لى بمن يبلغ جماعات الرفق بالحيوان أن عمر بن الخطاب سبقهم إلى سن هذا النظام قبل أكثر من ثلاثة عشر قرنا ؟

وبعد : فإن هـذه السيرة التى تتجلى فيها المثل العليا للحكم فى غاية أبهتها ، وتطبق إلى أقصى حدودها ، لا تتأتى إلا إذا كان القائم بها عبقريا .

نعم : إن عمر لم يفعل أكثر من أن نفذ الأصول التى دونت فى الكتاب ، والسنة ، ولكن تنفيذها على هذا النحو الباهر لا يتأتى إلا من طريق العبقرية ، فهى وحدها التى تلهم صاحبها المواقف الموفقة فى كل ما يعرض له من الشئون ، وللشئون مآزم لا يغنى فيها مجرد التشدد فى تطبيق حرفية المثل العليا ، فلا بد فيها من تصرف وجدانى يضع الامور مواضعها وهناك مجال فسيح للعبقرية .

وإلا فلم قرر علماء النفس وجود عبقرية للحكم ؟ أليست أصول الأحكام القويمة مقررة مرسومة ؟

نعم . ولكن تطبيقها على الحوادث إلى سبيلها القيم ، واستغلال الظروف لمصلحة الجماعة دون الإخلال بسلطان تلك الأصول والإفادة من مرونتها فى حدودها المقررة وتعيين مواضع هذه الرخصة وأوقاتها المناسبة ، كل هذه مجالات تتفاضل فيها النفوس وتجد العبقرية مكانها العالى منها .

هذه سيرة عمر وأنماطه فى الحياة المثالية .

وتلك همة نفس لو أراد بها
شم الجبال لما قرت رواسيها

عباس طه

---

# الوطن

بلد صحبت به الشبيبة والصبا
ولبست ثوب العيش وهو جديد
فإذا تمثل فى الضمير رأيته
وعليه أغصان الشباب تميد

# لغويات

للأستاذ محمد على النجار

---

**الأملوك :**

كتب إلى الأستاذ محمد فكرى كمال القدوسى بالقوات المسلحة يقول : « ثار جدل بينى وبين أحد مدرسى اللغة العربية فى المدارس الثانوية بوزارة التربية والتعليم حول كلمة ( أملوك ) التى وردت فى قول الحجية بن المضرب يمدح يعفر بن زرعة من ملوك اليمن :

فإن كنت سآلا عن المجد والعلا
وأين العطاء الجزل والنائل الغمر
فنقب عن الأملوك واهتف بيعفر
وعش جار ظل لا يغالبه الدهر

أهى مفرد أم هى جمع ، أم هى اسم جمع فيقول الأستاذ متشبثا : إنها مفرد . وحجته فى ذلك وجود الألف ، ولو حذفت لكانت جمعا . وقلت أنا : إنها اسم جمع بمعنى الملوك وبعد الرجوع إلى الجزء الأول من كتاب الأمالى للقالى ص ٥٣ ، والاطلاع على هذين البيتين ، وكتاب المزهر ص ٨٣ ، اتضح لى بأن ( كذا والصواب أن ) صوغ هذه الكلمة يمنىّ إنما تأثر بما جاوره من الصوغ الحبشى فى العهد الذى قيل فيه البيتان . إذ أن الجمع عند الأحباش يأتى فى الأعم على وزن أفعول . وقد ذكر السيوطى مما جاء على وزن أفعول ثلاث كلمات فى العربية ، هى أمعوز للقطيع من الظباء ، وأجعوش لجيل الحبش ، وأركوب لجماعة الركاب . وكنت أرى أنه لا يمنع أن تزيد كلمة ( أملوك ) على الثلاث التى ذكرها السيوطى ، أو ما يماثل هذه الكلمة » . والأستاذ يسألنى بعد هذا مزيدا من البحث فى هذه الكلمة .

ويحسن التعريف بالشاعر فهو حجية ابن المضرب السكندى ، والمضرب أبوه بفتح الراء المشدودة لا بكسرها ، كما جاء فى كتاب الأستاذ القدوسى تبعا لنسخة الأمالى ويقول البكرى فى اللآلى ٢٠٤ : « وإنما قيل لأبيه المضرّب لأنه ضُرب بسيف عدة ضربات

فما أحاك فيه » . وزرعة أبو يعفر ممدوح الشاعر كأنه زرعة الرهاوى الوارد ذكره فى سيرة ابن هشام على هامش الروض ( ٢ - ٣٤٦ ) .

وأقول بعد : إنه جاء فى الحديث : أن الرسول عليه صلاة الله وسلامه كتب إلى أملوك رَدمان ، وردمان : موضع باليمن . وأكثر اللغويين على أن الأملوك مقاول حِمير . والمقاول جمع مِقْوَل ، وهو الأمير دون الملك الأعلى . ويقال أيضا الأقيال جمع القيل ، والقيل أصله القيّل بتشديد الياء خُفِّفَت كما يقال : هَيْن فى الهيِّن . ومرجع ذلك إلى أن قوله نافذ ماض على رعيته لا يرد . فالأملوك على هذا من المُلْك فى معنى جمع الملك ، فإن القَيْل ملك صغير فى قومه : وقال قوم : إن الأملوك مفرد وهو دون الملك كما ذكره الخطابى فى تفسير الحديث ، وقال آخرون : إن الأملوك هو مالك من تبابعة اليمن ، ويريد الشاعر بقوله فنقب عن الأملوك . عن بنى هذا التبع . وعند بعضهم أن الأملوك قبيلة من حمير ، وهذا راجع إلى ما قبله ، فإن المراد قبيلة تسمى باسم أبيها الأملوك .

وإنى أسوق إليك بعض النصوص فى هذه الكلمة .

جاء فى القاموس : « والأملوك بالضم : اسم للجمع — أى لجمع ملك ، وقوم من العرب ، أو هم مقاول حمير » . وفى اللسان « والأملوك قوم من العرب من حمير . وفى التهذيب : مقاول حمير » . ويقول القالى فى يعفر بن زرعة : « أحد الأملوك أملوك ردمان » ، فيقول أبو عبيد البكرى فى اللآلى ٢٠٥ : « فالأملوك قبيلة من حمير . وقال الخطابى : « الأملوك واحد . وهو دون الملك » ، ويقول السهيلى فى الروض الأنف ٢٣/١ فى مالك الذى هو أبو شمر أحد التبابعة ومالك هو الأملوك . وفى بنى الأملوك يقول الشاعر :

فنقب عن الأملوك واهتف بيعفر
وعش جار عز لا يُساليه الدهر

وقد قيل : إن الأملوك كان على عهد منُوشِهرْ . وذلك فى زمن موسى عليه السلام » .

وأظهر هذه الأقوال أن الأملوك مقاول اليمن ، وهم كالولاة ورؤساء الأقاليم . وإذا صح أن الأفعول من صيغ الجمع فى لغة الحبش فالقريب أن هذه الصيغة كانت فى اليمنية إما بالأصالة أو بالاستعارة من الحبشية ، فيكون الأملوك جمعا لملك ، ويكون من هذا القبيل ما ذكره السيوطى ، فالأمعوز والأركوب والأحبوش صيغ يمنية وبقيت

فى المضرية : ويقابل هذه الصيغة فى المضرية الأفعال فيقابل الأملوك الأملاك والأحبوش الأحباش وقد جاء عن اليمنية أبنية لم تعهد فى المضرية :

فمن أسماء المواضع عندهم حوريت ، وهو لا يأتى على بناء من أبنية الأسماء التى دونها سيبويه فى كتابه ، وفى الخصائص ٣/٢٠٧ : « وأما حوريت فدخلت يوما على أبى على ـ رحمه الله ـ فحين رآنى قال : أين أنت أنا أطلبك . قلت : وما هو ؟ قال : ما تقول فى حوريت .؟ فخضنا فيه فرأيناه خارجا عن الكتاب ( يريد كتاب سيبويه ) . وصانع أبو على عنه بأن قال : إنه ليس من لغة ابنى نزار ، فأقل الحفل به لذلك » . ويريد بابنى نزار ربيعة ومصر .

## شىء ملذ :

أنكر (١) اليازجى هذا الاستعمال . وذلك أنه يقال : لذذت الشىء أى أحسست له شهوة ومالت النفس إليه .

ويقال أيضاً : لذلى الشىء ، فهو لذ ولذيذ وفى الكتاب العزيز فى صفة خمر الجنة : يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين . وفى المصباح : « لذ الشىء يلذ لذاذا ولذاذة ـ بالفتح ـ : صار شهيا ، فهو لذ ولذيذ . ولذذته ألذه : وجدته كذلك ، يتعدى ولا يتعدى » . ولم أقف فى اللغة على ألذه من الإلذاذ .

على أن بعض الباحثين يرى صواب الملذ لما يحدث اللذة : وقد جاء فى الأساس فى مادة رذذ : « وباتت السماء ترذنا وتقول : إن السماء مرذ ، وإن السماع ملذ ، فهل أنت إلينا مغذ . أراد سماع الحديث والعلم ، لا سماع الغناء » . والظاهر أن الذى أوقع الزمخشرى فى هذا رغبته فى السجع وكلفه بالازدواج . فاستعمال الملذ إنما سوغه مشاكلته المرذ والمغذ . ويدل على هذا أنه لم يذكر الملذ فى مادة ( لذذ ) . والسجع والازدواج يجوزان ما لا يجوز فى غيرهما .

وفى حديث (١) ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين بهذه الكلمات : أعيذكما بكلمة الله التامة ، من شر كل سامة ، ومن كل عين لامة ، قال أبو عبيد : قال : لامة ولم يقل ملمة ، وأصلها من ألممت بالشىء تأتيه وتلم به ليزاوج قوله : من شر كل سامة . وقد ذهب اليازجى فى مجلة الضياء ٨/٤٢١ هذا المذهب فى تخريج كلام الزمخشرى ، فهو يقول : « استدرجه إليه

---

(١) انظر لغة الجرائد ٤٦ .

(١) انظر اللسان فى [ لمم ] .

قصد التجنيس بين سماء وسماع ، ومرذ وملذ ولذلك عدل إلى تذكير السماء وهى أضعف اللغتين » .

فلان منتدب من وزارة التربية :

عاب بعض النقاد هذا الأسلوب ، وذلك أن الفاعل قد حذف حين بنى الوصف للمفعول ، وقد ذكر بعد ( من ) فإن الوزارة هى التى قامت بالندب ، فنى هذا شبه النقض للغرض الذى ابتدئ به الكلام . وقد قيل : إن هذا ترجمة لأسلوب افرنجى ناب عن العربية .

ولم أر من نص من القدماء على إنكار هذا الأسلوب . فأما الحذف للفاعل ثم ذكره فقد يكون له غرض صحيح ، وهو الإجمال ثم التفصيل ، وهو من مقاصد البلغاء . وقد جاء قريب مما نحن فيه فى قول الشاعر :

ليُبْكَ يزيدُ ضارع لخصومة
ومختبط مما تطيح الطوائح

وجاء قوله تعالى فى سورة النور : « يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » ، بفتح الباء من ( يسبح ) فى قراءة أبى بكر عن عاصم ، وقراءة ابن عامر . فالفعل فى البيت والآية مبنى للمفعول ، ثم ذكر الفاعل مرفوعا بفعل محذوف . وهذا وإن كان الكلام فيه من جملتين فهما كالجملة الواحدة فى الاتصال ، فهو لا يختلف عما نحن فيه .

وقد جاء من هذا الأسلوب كثير فى الكتاب العزيز . فمنه قوله تعالى : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » . إذا أريد بالأخ ولى المقتول ، ويقدره بعض المفسرين : من دم أخيه أى المقتول فلا يكون من بابنا . ومنه قوله تعالى : « قل إنما أتبع ما يوحى إلىّ من ربى » ، وقوله تعالى : « أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه » . ؟

محمد على النجار

# ما يقال عن الإسلام

## "الله" فى العقيدة الإسلامية وفى أقوال علماء المقارنة بين الأديان

للأستاذ عباس محمود العقاد

علم « المقارنة بين الأديان » يسمى علماً مع الحيطة المتفاهم عليها بين الباحثين والقراء لأنه من المعارف التي يقيمها المشتغلون به على أسس مختلفة كاختلافهم فى العقيدة الدينية وفى النظر إليها .

فمن علمائه من يؤمن بعقيدة يصدقها ولا يصدق غيرها ، فهو يبتدئ البحث بحكم قاطع على العقائد الأخرى يجزم بتكذيبها قبل الموازنة العلمية بين أدلة التصديق وأدلة التكذيب .

ومن علمائه من يؤمن بعقيدته ويؤمن بصدق العقائد الأخرى فى أوقاتها ومناسباتها ، ويرجع بالخطأ والنقص فيها إلى انتهاء زمانها أو إلى عوامل التشويه والتبديل التي طرأت عليها ، فهذا العالم يواجه البحث مفتوح العينين مستعداً لقبول الحسنة والسيئة ولكنه يرتبط بنتيجة سابقة لا يسمح للمقدمات أن تذهب به إلى نتيجة غيرها .

ومن علماء المقارنة بين الأديان من يؤمن بالغيب ويؤمن بالإله ، ولكنه يحكم على الأديان كأنها أعمال إنسانية تقاس بمقاييس النظر إلى الرسل والأنبياء وإلى التابعين لهم من الأمم والجماعات أو الآحاد . فهو يحفظ لموضوع البحث حرمته وقداسته ويقبل التفصيلات بعد ذلك أو يرفضها على حسب أسانيدها الإنسانية وظروفها الواقعية ، فيعالجها تارة بمقاييس الغيب المجهول وتارة أخرى بمقاييس الواقع المشهود التي تتردد بين الأنبياء والأفكار .

ومن علماء المقارنة بين الأديان من ينكر الأديان أصلا ولكنه يؤمن بصلاحها لسياسة الأمم وتعزية النفوس . ومنهم من ينكرها أصلا وينكر فائدتها وصلاحها ، بل يرى أنها خدعة مقصودة وغير مقصودة يخترعها الرؤساء وتمالئهم على اختراعها البديهة الشعبية فلا تستحق بعد فوات الخدعة غير التفنيد والتجريح .

وهؤلاء المنكرون جميعاً يبحثون العقيدة غير معتقدين . فيخفى عليهم جوهر العقيدة فى صميمه ولا يتأتى لهم أن يحكموا على شيء يجهلونه أو إحساس لا يشعرون به حكماً يصدر عن فهم واع وإدراك محيط ، فإنهم

لمن يحكم على الكائن الحى بعد وصوله إلى مائدة التشريح مفقود الحياة ، فــلا يخلو حكمهم من النقص الذى يتعرض له كل حكم على مجهول غير محسوس به على وجهه الذى يتم به وجوده فى عالم العمل والحياة .

ومن أولئك الباحثين من يقارب موضوعه كما يقارب الشاعر موضوع ملحمة تاريخية يؤمن بحدوثها إيمانا لا شك فيه ولـكنه يتصوره كما يتصور ملاحم البطولة بين المجاز والخيال والواقع ، فلا يعرضها ليقول للقارئ هل يؤمن بها أو يرفضها ولـكنه يعرضها ليشهد القارئ ما فيها من بواعث الروعة والجمال وما تحدثه فى الخواطر من دواعي الشعور والتأثير ، وهؤلاء الباحثون يقرأهم القارئ فلا يحاسبهم بحساب الدين ولا بحساب العلم ، وإنما يحاسبهم بحساب الأسلوب، أو بحساب العرض الفنى، ولا يعطيهم من العناية فوق هذا المقدار .

من هؤلاء الأخيرين الأستاذ استاس هايدون Eustace Haydon صاحب كتاب « تراجم الأرباب » Biography of the Gods وقد كان أستاذا لعلم تاريخ الأديان بجامعة شيكاغو عند تأليف هذا الكتاب ، ويظهر أسلوبه وموضوعه من عنوانه القصصى، لأنه يتكلم عن حياة الإله المعبود كأنها ترجمة تبدأ بظهور الديانة التى تدعو إليه وتتقدم بين النشأة والشباب والبقاء أو الزوال على حسب مصير الديانة من الشيوع والانتشار أو من الخمول والتبدل والانقراض .

وفى هذا الكتاب تتابعت تراجم أرباب الديانات المجوسية والصينية واليابانية ، ثم انتهى الكتاب بالكلام على « الله » بعد الكلام على « يهوا » كما يصفه كتاب العهد القديم ، فكانت فاتحة الكلام على الإله فى العقيدة الإسلامية أن الاعتقاد به غير مستعار من ديانات الأمم الأخرى ، وأن الدعوة إلى الايمان بالله كان يمكن أن تظهر حيث ظهرت ولو لم تدخل الجزيرة العربية عبادة من خارجها ، لأن وحدانية الله فى الإسلام لم يسبقها مثيل لها فى صفة الوحدانية التى لا هوادة فيها ولا فى غيرها من جملة الصفات المستفادة من أسماء الله الحسنى .

ولا حاجة إلى بيان الخلاف بين المفهوم من صفات الله فى عقيدة المؤمن المسلم وبين المفهوم من هذه الصفات فى هذا الكتاب ، ولـكن المؤمن المسلم لا ينتظر من غير المسلمين ولا من الـكاتبين بهذا الأسلوب الذى يسوق الدراسات مساق القصة فكرة عن « الله » هى أقرب إلى « الاحترام » من فكرة الله فى كتاب تراجم الأرباب .

إن « الله » الذى يدين به المسلمون لم يخذلهم فى حياة البادية ولم يتركهم فى حياة الحضارة الممتزجة من بقايا الدول الفارسية والبيزنطية التى انتقل إليها المسلمون بعد انتشار الإسلام فى الأقطار الآسيوية والإفريقية ، وقد وصل إلى أبعد أقطار العالم المعمور فى هذه القارات قبل انتهاء

المائة الثانية من تاريخ قيام الدعوة المحمدية .

وفى خلال هـذه الرحلات المتباعدة لقى المسلمون عقيدة الفلسفة اليونانية القديمة ، وسمعوا بإله يسميه أرسطو السبب الأول ، وتقول الأفلاطونية الحـديثة إنه يكل تدبير العالم الأرضى إلى فيض بعد فيض من خلائقه العليا حتى ينتهى إلى ما دون فلك القمر فيتصل بعالم الفساد على بعد ويمهل عباده على الأرض إلى حـين ، ريثما تعود عقولهم الهيولانية إلى الاتصال بعد الجهاد ، بالعقل الأول مصدر هذه الفيوضات .

ولو أن معبوداً آخر فهم المفكرون من عباده أنه لا يعـدو أن يكون « سبباً أول » أو علة رياضية بعيدة عن هذه الحياة الإنسانية لما بقيت لعبادته بقية فى عقول قراء العلم والفلسفة ، ولأصابه ما أصاب المعبودات المهجورة من ( الأنيميا ) القاتلة للأرباب الباطلة على حد تعبير الكتاب .

ولـكن الفلسفة اليونانية لم تزعزع عقيدة المسلم المفـكر فى ( الله ) بل استطاع الضمير الإسلامى أن يخرج لتلك الفلسفة أنداداً لها من المفـكرين على طريقة الإمام الغزالى : « برأس فيلسوف ، وقلب ناسك » أو على طريقة الإمام الأشعرى بتسليم صاحب البحث وبحث صاحب التسليم ، فخرج الإيمان بالله وصفاته المتعددة سليما ، منزه الوحدانية بعيداً من شبهات الفلاسفة وأتباع الزندقة المثنوية ويتخلل الـكتاب خلط كثير يمتزج بالسخافة أحيانا كلما حاول تصوير الظروف الطبيعية، والاجتماعية ، التى يفسر بها ثبات المسلم على الإيمـان بإله أحد ( لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ) ولـكنه يعود حينا بعد حين إلى عناصر قوية تكمن فى ذلك الإيمان وتهيئ له أسباب النجاة من الشكوك والبـدع التى لا نسـوقها تقلبـات الزمن وعوارض الاحتكاك بالحضارات الأجنبية، وهذه العناصر القوية هى التى أنجدته مرة أخرى بعد محنة الفلسفة اليونانية عند ما واجهته العصور المتأخرة بمحنة كبرى لاتذكر محنة الفلسفة اليونانية بالقياس إليها ،ففى هذه العصور المتأخرة استطاع الضمير الإسلامى أن يخرج للمحنة الجديدة أندادا لها من المفكرين المؤمنين خلفاء الغزالى والأشعرى وورثة الحكمة والتصوف وأعلام المحافظة والإصـلاح . « وأعظمهم الإمام المصرى الشيخ محمـد عبده . فإنه حفـظ العقيـدة الموروثة دون أن يمس بها وجدد الإيمان بإله الإسـلام السرمـدى بـلا أول ولا آخر ، فردا لا مثيل له فى قدرته وكماله ، حيا عالما مريدا سميعا متكلما بصيرا ، يخيل إلى من ينظر إلى هذه الصفات لأول وهلة أنها حكاية معادة من بقايا المـاضى ، لولا أن الشيخ محمد عبده ينفض عن الدين ما علق به من جمود القدرية ويقرر نصيب الإنسان من التبعة وواجبه فى إصلاح العالم معتمدا على عون

الله له فى إقامة النظام الاجتماعى الصالح والقيم الأخلاقية الملائمة لذلك النظام ».

* * *

ومن متاعب علماء المقارنة بين الأديان من يعولون أولا وآخرا على طبيعة الأرض والسكان فى تعليل العقائد أن يعللوا هــذه القوة - قوة العقيدة الإلهية فى الإسلام - بعلة طبيعية يتواضعون عليها ويطبقونها على سائر العقائد، إذا كان المسلمون قد انتشروا فى بقاع كثيرة بين أمم مختلفة فى أزمنة متفاوتة فلا تصلح العلل المتفرقة بين هــذه البقاع والأزمنة لتعليل عقيدة واحدة، ولا معنى للتفسير إذا اشتركت جميع هذه العلل فى أثر واحد ...

ولكنهم - على وضوح الخطأ فى الاستناد إلى سبب طبيعى واحد لتفسير هذه الظواهر المتعددة يتلاقون عند وجهة يكررونها على نحو متشابه. ولا يقع الخلاف فيها كثيرا بين مدارسهم المتناقضة، ومنها المدارس التى تعطى الأديان حقها من أدب الرعاية والاحترام والمدارس التى تستخف بأسبابها ونتائجها، ولا تتكلف لها ما ينبغى لموضوعها من التثبت والإمعان فى المراجعة والتحقيق.

تلك الوجهة الواحــدة هى غلبة العوامل « الجسدية » على عقائد الديانة الإسـلامية، وبرهان هذه الفلسفة الحسية عندهم هو الاعتماد على السيف فى نشر الدعوة وأوصاف النعيم السماوى فى الدار الآخرة.

وقد يكفى لإسقاط هـذا الرأى ما ألمعنا إليه من استحالة تفسير العـوامل المتناقضة بعلة طبيعية واحـدة. أو يكفى لإسقاطه إحصاء المسلمين والمقابلة بين عددهم فى البلاد التى فتحت بالسيف، والبلاد التى لم تحارب المسلمين ولم يحاربوها، أو إحصاء عـــدد الداخلين فى الإسـلام على أثر الفتح وعـدد الداخلين فيه مختارين بعد ذلك بعصور متطاولة ولكننا نكتب هذا المقال بين معالم شهر رمضان ونقنع منه بصبغة واحدة تدل على حكم الإسلام فى مسائل الحس وواجب المسلم نحوها، ولا تحتاج إلى دلالة أخرى لتقرير موقف الإسلام بين الحياة الروحية، والحياة الجسدية، وتلك الصفـة هى تخصيص شهر كامل من شهور السنة، تقوم فيه حياة المسلم خلال هـذا الشهر على حكم شهوات الحس وإخضاعها للإرادة فى أقوى مطالب الجسد من طعـام ومتاع، وهى فريضة تعلم المسـلم واجبه فى سائر أيام حياته، وتلهمه أنه صاحب ضمير يملك زمام نفسه ويأخـذ من الحس بما يشاء الإنسان العاقل المريد.

وكل فريضة من فرائض الإسـلام هى فى الواقع صورة أخرى من صور هذه الرياضة العامة فى جميع أوقات الحياة فالمسلم لا يقف

بين يدى الله خمس مرات فى اليوم ليكون ( مخلوقا حسيا ) مستغرقا فى مطالبه الجسدية ولا تجب عليه الزكاة لأنه ( مخلوق حسى ) ينقاد لمطامع النفس وشهوات الجسد ، وليس الحج بواجبه عليه لأنه ( مخلوق حسى ) يستسلم للدعة ويطمئن إلى الراحة ويحجم عن مشقة السفر وبذل المال والتضحية بشئ منه وهو مرتحل أو مقيم ، بل هو لا يشهد بوحدانية الله ليشرك معبودا آخر مع الله يتمثل فى عبادة الدنيا والاستسلام لغوايتها على وجه من الوجود .

إنما العقيدة الإلهية فى الإسلام عقيدة حسية روحية كما ينبغى أن تكون كل عقيدة يؤمن بها كائن حى عاقل له جسد وروح .

والله خالق الحياتين ومانح السعادتين فى الدارين ، فلا ينبغى أن يكون قوام عبادته مسخ الجسد وازدراء الدنيا ، ولا أن يكون قوام عبادته تسليم الدنيا للشيطان والابتعاد منها كأنها من عمل عدو لله وليست من عمل الله ولا من نعمه التى ارتضاها لعباده بتدبيره وهـداه .

* * *

ونختم هذا المقال كما بدأناه فنعيد فى ختامه أن علم ( المقارنة بين الأديان ) يسمى علماً مع الحيطة ... لأنه معارف شخصية يقيمها المشتغلون به على أسس مختلفة ، ولكننا نعيده لنضيف إليه شاهداً من الشواهد « المحسوسة » على وجوب الحيطة فى تناول آراء الباحثين فى هذا العلم ، فإن بها لنقصاً يتبين للناظر فيها كلما قابل بينها وبين الحقائق الثابتة عن تاريخ الإسلام . فلا مناص من تغييرها أو تغيير التاريخ الثابت الذى لا ينكرونه إذا عادوا إليه بالتمحيص النزيه .

إذا صدق علم المقارنة بين الأديان على أسس الأسباب الطبيعية التى تنهجها مدرسة التعليل الطبيعى وجب أن يكون اعتقاد المسلم بالله كالاعتقاد ( بشيخ عربى ) كبير تضاعفت قواه الحسية عن النسبة التى تكون بين رئيس قبيلة وبين رئيس الخلائق جميعاً .

وصاحب الأمر والنهى فى السماوات والأرضين .

ولكن علم المقارنة بين الأديان لا يصدق الحكم فى هذه القضية ، لأن « الله » فى عقيدة المسلم ينسخ آداب الشيخ العربى القديم وأولها العصبية وإيثار الآل والبنين . وأين يجد الباحثون أثراً من آثار الشيخ العربى فى معبود سرمدى لم يلد ولم يولد ولا فضل لأحد من العالمين عنده بغير التقوى ، وليس يحب العدوان والمعتدين ولا يأمر بغير البر والإحسان .

فإن دليل المقارنين بين الأديان ليتخبط فى طريق مضلة لا تهديه إلى شيخ ولا إلى شئ لأنه يولى وجهه إلى قبلة غير القبلة وعلى سبيل غير السبيل فإذا أدار وجهه عنها فأينما يول فثم وجه الله .

عباس محمود العقاد

مختار من الشعر القديم والحديث

# نجد

للأستاذ حسن جاد

مبعوث الأزهر بالرياض

---

تلك الرياضُ وهــذه نجدُ     الشعرُ والتاريخُ والمجــدُ

ماضى العروبة فى مفاخرها     وعلى رُباها رفرف الخُلد

وأرومة الفصحى وقد درجتْ     فى حجرها وصفا لها الوِرْدُ

شبّ البيانُ العبقريُّ بها     فرعتــه وهى لعبقرٍ مَهْدُ

وعلى ثراها من مشارعه     هطل الحيا وتفجــر الصلد

عُصمٌ إذا ( ثهلان ) رجّعها     صغت الرُّبا وتلفت الوَهْد (١)

يا نجد أين صباك مُلهمةً     للشعر وهى رقيقةٌ رَوْدُ (٢)

مسكيّةُ النفحات ضمخها     العَبْهرُ المنضور والرَّند (٣)

والبرق حزّ لخفق وامضــه     قلبُ المشــوق فكاد ينقد

كم شاقهُ اللهفانُ مُدّكراً     وتوهمتـه حليّها الخَوْدُ

وشميمُ ذياك العرارِ وقــد     رقّ العشىُّ وراق يا نجــد

طــارتْ إليك بنا مجنحــة     كالبرق أعجل ومضه الحفْدُ (٤)

ركبتْ سراة الريحُ ملجمة     فعنا الجماحُ وذُلّل القوْدُ (٥)

---

(١) الوهد : الأرض المنخفضة وثهلان : جبل بنجد . (٢) رود : لينة .

(٣) العبهر : النرجس أو الياسمين ـ الرند : شجرة طيب الرائحة .

(٤) الحفد . الإسراع (٥) السراة : الظهر . والقــود : القيادة .

تطوى الفضاء فلا يعوقها بحر طغى موجا ولا طودُ
وتشق جيب السحب عانية وأزيزُها فى جوفها رعـد
تنقض جارحة فإن صعدت فمُسدَّد لم يُخطه القصـد (١)
وكأنما الجبل الأشم يُرىَ منها كثيب رمْلُه مَهدُ (٢)
حتى أظلتنـا سماءُ رُبا فى ظلها يستروح الجهد
يا ساهر الأشـواق أرقه طولُ الحنين وشفه الوجد
يصبـو لأهل بمصر وقد شط المزارُ وأوغل البُعْد
أقبلت من وطن إلى وطن حان فلا بُغض ولا حقد
أهلوه أهلونا يظللنـا علم ويجمع بيننا الود
هوِّن عليك فلست مغترباً تلك الديار لنا بها عهـد
سبق الخيال إلى مطارحها شوقا وطار بأفقها يشدُو
كم قد غدا والصبح منبلج وسرى وجنح الليل مُرْبَد
ولكم حكى عنها وصـورها فكأنها لعيوننا تبدو
حملت صباها منه راوية يحدوه من نفحاتها النَّد (٣)
وعلى ضفاف النيل سامِرُهُ قد شاقه الإنشادُ والسَّرْدُ (٤)
اليوم رأىَ العين نُبصرها بعد الخيال ويصدُق الوعدْ
وعلى رمال البيد لاح لنا واد فسيحُ الأفق مُمْتد
مشت الحضارةُ فى جوانبـه فصبا إليها السَّهل والنَّجْدَ
وبدت حواشيـه مطرزة فكأنه من وَشْيها بُرْد
يجلو ( الرياض ) على ترائبه ركنا وطيداً ليس ينهد
مُشماً بواذخ كلما نهضت عصماءُ منها طالها ندُّ (٥)
طلعتْ نجومُ الكهرباء بها وزانت الشرفاتُ والعُمْد

---

(١) الجارحة : واحدة الجوارح وهى سباع الطير . والمسدد : السهم .
(٢) المهد : الأرض المستوية . (٣) الند : الطيب والعنبر .
(٤) السرد : جودة سياق الحديث .
(٥) طالها : فاقها فى الطول . والند : المماثل . والمراد بذلك تصور الرياض وعمائرها الضخمة

وترى الموارق فى طرائقها ... زُمراً ينوء بحصرها العد (١)
مجنونة الأبواق نافرة ... نفرَ الظباء يروّعها الصيّد
أين النواجى فى مفاوزها ... قُلصاً وأين عتاقها الجُرْدُ (٢)
أنا من صبا للبيد يأسره ... منها فضاء ما له حدُّ
وسكونها ذاب الضجيج به ... إلا رسيمُ النوق والوخد (٣)
ومساؤها الساجى يهيم به ... سارى الخيال ويقدحُ الزندُ (٤)
ونجومها حبباً على ثبج ... والليل مدَّ عبابه المد (٥)
ورمالها تبر يفضضه ... بعد الأصيل من الضحى رأدُ
وخيامها السجواء قد سعدت ... فيها الحياة وأسعف الجد
والشاء والراعى ومعزفة ... والشيح والقيصوم والمردُ (٦)
قف سائل الطلل المحيل بها ... إن كان فيه لسائل رد
أين المهلهل فى ملاعبها ... غزل الشباب يروح أو يغدو
وعلى (عنيزة) أو بذى حُسُم ... كم شدَّ وهو الفارسُ الجلد (٧)
يا نابغةَ الليل كيف ترى ... ليلا ليوم الحشر يمتد (٨)
كم ضاق قبلك ذو القروح به ... فى (إثمد) وأمضه السُّهدُ
ناما بليل ما لأوله ... من آخر أو يأتى الوعد
أغفى به الأعشى وكان بها ... صنّاجة بسرى الدجى تحدو
شدت أنامله على وتر ... يطويه فى (منفوحة) لحدُ (٩)

---

(١) المقصود بالموارق: السيارات الكثيرة الصاخبة الأبواق بمدينة الرياض.

(٢) النواجى: جمع ناجية وهى الناقة تنجو براكبها وتجتاز المفاوز والقلص: جمع قلوص وهى الشابة القوية والعتاق الجرد: الخيل الأصيلة.

(٣) الرسيم والوخد: نوعان من سير الإبل.

(٤) الساجى: الساكن الهادى والزند: ما يقدح به الشرر. والمراد تفتح القريحة وتوقدها.

(٥) الحبب: ما يعلو الماء من فقاقيع والثبج: وسط الماء أو اضطرابه.

(٦) المرد: الغض من ثمر الأراك والجلد القوى.

(٧) عنيزة وذو حسم من مواقع حروب البسوس.

(٨) كان النابغة وذو القروح (وهو امرؤ القيس) مشهورين بالشكوى من طول الليل. والمراد بالليل الآخر الموت.

(٩) منفوحة: قرية بجوار الرياض بها قبر الأعشى. وكان يسمى صناجة العرب لتغنى بشعره.

أيك البيان الحُرُّ منذ نما — في الجاهلية غُصنُه الملد (١)
ما زلت في الإسلام حليته — وبه تدفق نبعُك العد (٢)
حتى أظلك بعد منبهة — ليلُ الخمول وأطبق الرقد (٣)
فالنبع شحّ وغاض دافقه — والروض جفّ وصوح الوَرْد
والجهل أطفأ من خرافته — نور العقول فأبهم القصد
ثم انتبهت على مُجَلجِلة — للبعث يطلقها فتى نجْدُ (٤)
فسلي ( عُيينة ) كيف ردّدها — مثل الأذان إمامُها الفردْ (٥)
( والدّرعيّة ) كيف رنّ بها — صوتُ البشير ورفرف البند (٦)
درع حبتْه حين لاذ بها — وجنودها للوائه جند
والمشرفيةُ للهدى سند — والدين نعم العونُ والأيدُ (٧)
تقوى السيوف الفاتحاتُ به — وبدعوة الإصلاح تشتد
والملك ما لم يستقل على — أسسٍ من الأخلاق ينهد
قد ينهض الشعبُ الجريح إذا — لم ينطفئ من رُوحه الوقْدُ
ويعود مرفوع اللواء وما — لمُضيع أخلاقه عودُ
والعبدُ حرٌ من تخلقه — والحُرُّ من شهواته عبد
قلْ للمدنّ بكل مخترع — يُشقي الحياة ورُوحهُ صلدُ (٨)
أعماه عن نور الهدى صلف — وأضله الإلحاد والجحد
أين السعادة في مدمرة — تفني ؟ وأين العيشةُ الرّغد
قالوا : السلام فقلت : ينشدهُ — يا للأسى أعداؤه اللد
ويحكوه موءوداً ومنْ عجب — يبكيه من بيمينه الوأدُ

---

(١) الملد : الناعم اللين . (٢) العد : الكثير الماء . (٣) الرقد : النوم

(٤) النجد : الشجاع ، والمقصود به هو الإمام الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » الذى نهض بدعوة الإصلاح الديني في نجد بعد رقدتها الطويلة في ليل الجهل والخرافات ، وذلك حوالى عام ١١٥٠هـ

(٥) عيينة : هي البلدة النجدية التي انبعث منها صوت إمام الدعوة « محمد بن عبد الوهاب » .

(٦) الدارعية : بلد الأمير سعود الذى ناصر دعوة الإمام « ابن عبد الوهاب » عليه رحمة الله الكبير .

(٧) الأيد : القوة .

(٨) [illegible]

مدنيّة تُخدعَ الغريرُ بها ... لى فى بريق طلائها زُهْدُ
قلق تعقّدت النفوسُ به ... وتوقع للشر مُمْتَدّ
وصراعُ غاب من شريعته ... أن يستبدّ بأعزل وَرْدُ (١)
ولربما جر الخرابَ على ... دنيا الخلائق أحمق وغْدُ
السيفُ لم يعتد حامله ... بعقيدة أولى به الغمد
والعِلمُ ذو حدين: نافعهُ ... حدٌ وجانبُ شره حد
إنّا ودينُ الله عدتنا ... لسنا بغير الله نعتد

* * *

زمن أدالك فى تداوله ... لجرى عليك النحس والسعد
والدهر صفو بعده كدر ... والعيش صاب بعده شهد
قد أذّن الفجر المضىء فلا ... يحجبْك عن أضوائه سَدٌ
صُبْحُ العروبة لاح بعد دُجى ... من ليلها وتبين الرشد
فخذى مكانك فى انتفاضته ... نهضَ الأسير وحطّمَ القيْد
قومى انهضى وابنى ولا تهنى ... كيما يعود لأرضنا المجد
حيا صباح علاك مُطّلعه ... وله الثناء الجمّ والحمد
( وسقى ديارك غير مفسدها ) ... غدق عميمُ السّح يا نجد

حسن جاد
المدرس بكلية اللغة العربية
ومبعوث الأزهر ( بالرياض )

---

(١) الورد: الأسد القوى.

# الكتب

للأستاذ محمد عبد الله السمان

## ١ – تاريخ الإسلام فى الهند :

للأستاذ عبد المنعم النمر

للإسلام والمسلمين تاريخ حافل فى الهند استقر هناك خلال أكثر من ثمانية قرون ، والأستاذ عبد المنعم النمر المدرس بالأزهر الشريف حين كان مبعوثا للمؤتمر الإسلامى والأزهر فى الهند عام ١٩٥٦ جعل هدفه أن يكتب تاريخ الإسلام فى الهند ، حيث المراجع ميسرة والآثار الإسلامية قريبة منه والعلماء المؤرخون الهنود من المتأخرين لا زالوا على قيد الحياة .

ونحن نتعجب مع المؤلف لهذا الإهمال فى العناية بتدريس تاريخ الإسلام فى الهند ، فى الوقت الذى نعنى بتدريس تاريخ أوربا والغرب المزدحم بالصليبية الحمقاء .

لقد قدم المؤلف لسفره الضخم ببحث ألقى أضواء على الهند عامة تشمل أوضاعها السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية وحضارتها ومراحل الغزو الأجنبى منذ الغزو الآرى إلى قبل الميلاد بقرون طويلة إلى الغزو الانجليزى الأخير ، ثم تحدث عن الأديان العديدة التى استقرت فى الهند قبل الإسلام ، وأبرزها الهندوكية والبوذية وعن تسرب الإسلام عن طريق العلاقات التجارية وعن فتح الإسلام للهند على يد الدولة الغزنوية وبطلها الفاتح محمد الغزنوى أواخر القرن الرابع الهجرى إلى أن صفى الاستعمار الانجليزى هذا الحكم الإسلامى فى متوسط القرن التاسع عشر .

وعرض المؤلف لمزايا الحكم الإسلامى فى الهند ، حيث استقر العدل والسلام والأمن وغرس فيها ضروبا من الحضارة فى أرقى أطوارها ، كما عرض لنماذج من البطولات الإسلامية التى صنعت بسواعدها أروع ما عرفته البشرية من الفدائية والتضحية .

وختم المؤلف مؤلفه الذى جاء فى زهاء خمسمائة صفحة ، ببحث عن الثورة الهندية

ضد النفوذ الانجليزى فى مايو عام ١٨٥٧ حيث استمرت أربعة شهور ، استقرت بعدها السيطرة الانجليزية التامة على شبه القارة الهندية وانهارت آخر لبنة فى الحكم الإسلامى .

وفى هذا البحث الأخير قدم المؤلف وصفا دقيقا للوحشية الانجليزية خلال الثورة الهندية ومهما بحثت عن مرادفات للخسة والنذالة والهمجية فى قواميس اللغة بأسرها ، فلن تفى بما هو أهل للوحشية الانجليزية القذرة ولقد تجلت وقاحة الانجليز فى معاملتهم بعد إخماد الثورة لآخر ملوك المسلمين (بهادور شاه) وأبنائه ، مما يجل عن الوصف ، ولا تحتمله الأعصاب .

والواقع أن الأستاذ عبد المنعم النمر قد منح المكتبة الإسلامية العربية مؤلفا كانت فى مسيس الحاجة إليه ، حيث سد فراغا كان لابد أن يملأ ، كما أدى إلى جانب مهمته - كمبعوث للأزهر والمؤتمر الإسلامى - واجب الوفاء ، فقد حقق هدفا أدبياً دينيا ، وليت مبعوثينا فى شتى البلاد الإسلامية يقتدون به فيستطيعون أن يسدوا للتاريخ والإسلام أجل الخدمات .

* * *

## ٢ — ديوان ابن الدمينة :

### للأستاذ أحمد راتب النفاخ

تحقيق هذا الديوان شطر من رسالة الماجستير للمؤلف والشطر الآخر دراسة مطولة للشاعر والديوان معا ، وفى هذا المؤلف جعل دراسته ذات شطرين :

الأول عن ابن الدمينة الرجل ، والآخر عن ابن الدمينة الشاعر ، وجعل الشطر الأول فى فصلين ، أولها عن مصادر ترجمة ابن الدمينة وقيمتها التاريخية ليعتمد فى الحديث عن حياته على أساس نقدى صحيح . والآخر عن حياة ابن الدمينة نفسها . وأما الشطر الثانى من الكتاب فقد جعله المؤلف فى ثلاثة فصول ، عن رواة شعر ابن الدمينة وتدوينه ، وعن اختلاط شعره بغيره ، ثم عن أغراض الشاعر الشعرية ومذاهبه فيها .

وابن الدمينة شاعر عربى ينتمى إلى قبيلة خثعم ، ولكن مولده ووفاته مقتولا مجهولان اضطربت فى إثباتهما آراء المؤرخين ، وبذل المؤلف المحقق فى هذا الصدد جهوداً ضخمة مضنية ، وخرج بأن الشاعر لم يكن إسلاميا ولا من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وإنما كان شاعراً عباسياً محدثا .

وحقق الأستاذ النفاخ شعر الشاعر تحقيقاً دقيقاً عميقا ، وقد اعتبر - كما ذكر فى المقدمة - أن الشطر الأكبر من شعر الشاعر جاء نسيباً عذريا وهو الذى اختلط بشعر غيره ، وأما الباقى فقد جاء نسيباً مشوبا بموضوعات وصفية

من أغراض أهل البادية ، ثم ألم ببعض عيوب القافية فى شعر ابن الدمينة ، وتناولها بالتحليل والتفسير .

إن الأستاذ النفاخ أديب متعمق من الإقليم الشمالى ، وفى تحقيقة لهذا الديوان قدم للمكتبة أثراً أدبيا له قدره ، والتقدير اللائق به ليس لأنه حقق ديوانا ، وإنما لأنه اختار شاعراً مغموراً لم تتفق روايتان على تاريخ مولده ووفاته والعصر الذى عاش فيه ، ولذلك بذل مجهوداً مضنياً وحسبنا دليلا هذه الأمهات من المراجع الأدبية والتاريخية والمخطوطات والمعجمات وهى مائة وستون مرجعا أثبتها فى تحقيقه عدا غيرها مما ضاق به الحصر، ومع هذا فالأديب النفاخ يرى أن بين عمله وبين ما يريده لهذا الديوان بونا بعيدا ، وهو يأمل أن يجد من آراء الزملاء الدارسين ما يعين على استكمال أسباب التحقيق وفوق كل ذى علم عليم .

### ٣ — وجهة العالم الإسلامى :

للأستاذ مالك بن نبى

ترجمة الأستاذ عبد الصبور شاهين

الأستاذ مالك بن نبى أحد أبناء الجزائر المناضلة . وهو من المفكرين القلائل الذين نشئوا فى أوربا وأفنوا زهرة شبابهم فى طلب العلم هناك ، وكان تعمقهم فى الثقافة الأوربية سببا فى تحررهم من نفوذها ومعرفتهم لمصادرها ومواردها .

وللأستاذ مالك مجموعة من المؤلفات القيمة اختار لها عنوان : مشكلات الحضارة ، وبحوثه جميعها ربطها دائما بالثقافة الإسلامية، ويقدمها ناضجة واعية ، تبدو عليها هندسة البناء ، فأصبحت تؤسس مدرسة على مستوى أعلى فى الأفكار الإسلامية ...

وكتابه هذا « وجهة العالم الإسلامى » دراسة عميقة ، قسمها إلى ستة فصول :

مجتمع ما بعد الموحدين ناقش فيه نظرية الظاهرة الدورية ، وقدم إنسان ما بعد الموحدين ، والاتصال الأول بين أوربا والإسلام ، والفصل الثانى : النهضة وناقش فيه « حركة الإصلاح » التى بدأت بكتب ابن تيمية وكانت الحركة الوهابية امتداداً لها ، ثم جاءت عقلية جمال الدين الأفغانى التى كان هدفها الأول تقويض نظم الحكم الموجودة آنذاك كما يعيد بناء التنظيم السياسى فى العالم الإسلامى على أساس الأخوة الإسلامية ، أما هدفه الثانى فهو مكافحة المذهب الطبيعى الذى كان متفشيا ، كما ناقش فى هذا الفصل « الحركة الحديثة » التى ليس لها فى الواقع نظرية محددة كما يذكر المؤلف ـ لا فى وسائلها ولا فى أهدافها ، وهى لم تتجه نحو الأعمال بل اتجهت إلى الأفكار [illegible] بعناصر

ثقافية جديدة لعدم اتصالها الواقعي بالحضارة الحديثة .

وفى الفصل الثالث تحدث المؤلف عن فوضى العالم الإسلامى الحديث وعواملها الداخلية والخارجية ، وفى الفصل الرابع عن فوضى العالم الغربى ، وفى الفصل الخامس عن الطرق الجديدة لبناء النهضة الشاملة ، وفى الفصل السادس عن بواكير العالم الإسلامى التى تبشر بمستقبل زاهر ، وختم المؤلف كتابه ببحث موجز عن الكمال الروحى لعالم الإسلام .

والحقيقة التى لا نكران فيها أن الأستاذ مالك بن نبى وثيق الصلة بالثقافة الغربية ، ووثيق الصلة بالأفكار الحديثة ، وواسع الاطلاع إلى درجة تفوق الوصف ، وهو فى مؤلفاته يعنى بالتخطيط الهندسى والتعمق فى الدراسة ، والواقعية فى معالجته المشكلات والقضايا .

٤ — أشعة خاصة بنور الإسلام :

للمسيو إيتين دينيه

ترجمة الأستاذ راشد رستم

هذه الرسالة هى العدد السابع عشر من سلسلة الثقافة الإسلامية ، أما المؤلف فهو فنان فرنسى عاش زهرة شبابه فى خضم الفكر الإسلامى ، وبعد بحث وروية وتيقن وتفكر أعلن إسلامه عام ١٩٢٧ ، وجعل مهمته الانتصار للحق ، فبذل جهدا مشكورا فى الدفاع عن الإسلام ودحض المفتريات التى ألصقها بالإسلام - عن قصد - بعض المستشرقين الموتورين ، وأخرج للمكتبة الإسلامية عدداً من المؤلفات الجليلة .

وفى هذه الرسالة عرض المؤلف لمناقشة المعجزات وطابع الإسلام والإصلاحات الدينية إزاء حركة مصطفى كمال أتاتورك ، كما عرض المؤلف لمسائل : الخمر ، والوسيلة ، والعلم ووضعه فى الإسلام ، وتعدد الزوجات وغير ذلك ، وفى كل مسألة ينفى عن الإسلام الأباطيل التى صاغتها الأهواء .

ويقدم المؤلف لرسالته بأنه لا عدوان فى الإسلام . وأن وصية الله لنا معشر المسلمين ألا نعتدى على أحد مسالم لنا ، أما أهل السوء الذين لا ينفكون يهاجمون الإسلام بالأباطيل ويحاربونه بالمفتريات فليس علينا جناح بعد ذلك أن نظهر من نوع سلاحهم ، وندفع عن بيضة الإسلام بهتانهم فواحدة بواحدة والبادى أظلم .

والواقع أن السيد « ناصر الدين دينيه » وهذا هو الاسم الجديد بعد اعتناقه الإسلام، ناقش بعنف الزيغ فى بعض العقائد ، وكان لكتبه أثر بالغ سواء فى فرنسا مسقط رأسه ، أو فى الجزائر وطنه الثانى ، والذى أوصى أن يدفن فيـــه وقد نفذت وصيته عام ١٩٢٩ م .

محمد عبد الله السمان

# بريد المجلة

**الرئيس يشيد بالأزهر فى الهند :**

الكلمة التى ألقاها السيد / الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى حفل الاستقبال الذى أقامته جمعية علماء الهند تكريما لسيادته :

« أيها السادة العلماء » :

إننى أحمل إليكم من القاهرة ـ مقر الأزهر الشريف ـ تحية إخوان لكم يعملون معكم لنفس الأهداف التى يسعى إليها مجتمعنا، وهى فى الواقع نفس القيم الإنسانية العالية التى يوصى بها ديننا، وهى فى الوقت نفسه جزء من التراث الروحى للجنس البشرى ـــ ذلك التراث الخالد الذى استطاع به الجنس البشرى أن يعبر على جسر من الإيمان فى عصور الظلام الأولى إلى الآفاق الروحية المشتركة .

« أيها السادة العلماء » :

إن الشعوب الإسلامية مدعوة اليوم للمساهمة بنصيب وافر فى خدمة المبادىء العليا السامية التى نريد لها أن تسود ، وإن أممنا لتجد من عقائدها حوافز تدفعها إلى العمل مع غيرها من الأمم التى تسعى خلال عقائدها الخاصة إلى نفس المثل العليا، التى أرادها الله للعالم الذى خلقه وأبدعه ؛ وأراد له الخير وأراد له الهدى . وفقكم الله إلى أن تقوموا مع إخوانكم من علماء الإسلام فى النهوض بجزء من أعباء الرسالة العظيمة التى تعمل الشعوب الإسلامية على إقامتها مع غيرها من شعوب العالم المتطلعة إلى الحرية والعدل .

والسلام عليكم ورحمة الله .

**شكر الأستاذ الأكبر للسيد الرئيس :**

بعث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى الرئيس جمال عبد الناصر فى الهند يشكره على الكلمة السابقة :

أحمد إليك الله وأشكره على ما أمدك من عونه وتوفيقه فى جمع كلمة العرب والمسلمين على التواصى بالخير والتعاون على البر والتناصر فى الشدة ثم أقدم إلى سيادتكم أخلص الشكر وأصدق الدعاء على تنويهك

برسالة الأزهر فى كلمتك الكريمة الملكية للسادة علماء الإسلام فى الهند ، وعلى دعوتك وارثى الدعوة المحمــــدية وقادة الشعوب الإسلامية إلى العمل معا على نشر مبادئ الرسالة الخالدة: رسالة الوحدة والوئام رسالة الهدى والسلام : رسالة الله العامة التى لا تفرق بين دين ودين، ولا بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون . وعلماء الدين وزعماء الدنيـا حريون أن يستجيبوا لهـذه الدعوة الجامعة فيتضافروا على رفع المنارة الروحية فى طريق القافلة البشرية ؛ لتهتدى بنور الله إلى السبيل الواضحة وتنتهى إلى الغـاية الجامعة ، أيدك الله بنصره وأمدك بروح من عنده وجزاك جزاء المصلحين المخلصين .

## رسالة الأستاذ الأكبر

إلى مسلمى الفيلبين :

يحرص إخواننا مسلمو الفيلبين على أن يسمعوا صوت إمام المسلمين وشيخ الأزهر فى الشئون الدينية ، فهم لا يصومون إلا إذا أشار ، ولا يفطرون إلا إذا أفتى ، وقـد اتصل بهم فضيلته فى يوم عيـد الفطر عن طريق اللاسلكى وأبلغهم هذه الرسالة .

إخوانى فى الدين وفى الله مسلمى الفيلبين .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد .

فإنه ليسرنى ، ويشرح صدرى أن أتـود إليكم لأتحدث معكم مرة أخرى حديثا متصلا بحديثنا السابق فى غرة رمضان المعظم ، وكان موضوع حـديثنا السابق التهنئة بحلول شهر رمضان أما موضوع حديث اليوم فهو التهنئة بحلول عيد الفطر المبارك .

إخوانى :

استقبلنا بالأمس القريب شهر رمضان وتلونا وسمعنا قول الله فيه « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وكنا أمام هذا الأمر الإلهى فريقين: فريقا آمن بربه وعرف مكانة الشهر عنده فقام بواجبه فيه فصامه . وأخلص فى صومه ، واستمر الشهر كله صائما حتى أتم الله عليـه نعمته بالامتثال والطاعـة ، وفريقا آخر انحرف قلبه عن أمر الله . فانتهك حرمة الشهر بفمه ، فأكل وشرب ، وبقلبه ، فحسد وحقد ودبر الكيد ، وبنفسه فامتدت شهوته إلى ما حرم الله عليه واستمر هكذا حتى ودع رمضان ورمضان ساخط عليه .

فإلى الفريق الأول الذى قام بواجب الصوم نوجه التهنئة له بهذا التوفيق الذى ظفر به ، وتهنئة أخرى باستقبال العيد: عيد الفطر المبارك

الذى نستقبله بفرحة العبادة . وشكر المولى على ما أنعم به علينا . وأما الفريق الثانى فإننا ندعو الله أن يوجه قلبه إلى الهداية وأن يأخذ بيده إلى الطريق المستقيم .

أيها السادة :

إن يومنا يوم عيد وقد انقضى شهر رمضان وثبتت رؤية هلال شوال عندنا فى مساء السبت ٢٦ من مارس وبهذا صار يوم الأحد ٢٧ من مارس عيد الفطر صلينا فى صباح العيد وأفطرناه وهنأ به بعضنا بعضا بعد أن ثبتت رؤية هلال شوال فى الجمهورية العربية المتحدة . وإذا لم تعلموا أنتم برؤية هلال شوال إلا بعد ظهر يوم الأحد المذكور فإن اليوم التالى وهو يوم الاثنين ٢٨ من مارس يكون هو العيد عندكم وعليه يجب أن تعزموا من الآن على صلاة العيد صباح الغد وبهذا صحت الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم ، واختاره جمهور الفقهاء وبه نعمل ونفتى .

وإنى أنتهز هذه الفرصة فأبعث إليكم ، وإلى سائر المسلمين فى جميع بقاع الأرض خالص التهنئة داعيا الله لنا جميعا بالألفة والمحبة ، واتحاد الكلمة ، وجمع الشمل وأن يؤيدنا تعالى فى نشر ديننا والعمل بما يرضيه ويقربنا إليه .

فلتفرحوا وليهنئ بعضكم بعضا متحدين قلبا وهدفا ، وغاية وسلوكا وأمنا وطمأنينة وليمد بعضكم إلى بعض - على ما بينكم - من بعد المسافات ، واختلاف اللغات وتباين الأقاليم - يد التهنئة والتعاون والتكتل ، والتآلف والمحبة التى تجمع قلوبكم وتوحد كلمتكم وتطهر أرضكم من أشواك الاستعمار وظلمه ومكايده والله معكم أينما كنتم « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**عيد الفطر عيد مبادئ ومثل :**

أبرق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة بمناسبة عيد الفطر المبارك يقول :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد فإن عيدنا اليوم عيد مبادئ ومثل لأنه عيد القيام بالواجب الذى فرضه الله علينا . هو عيد التواد والتآلف والتحاب والتعاطف والتراحم والوحدة الجامعة بين القلوب والسلام لجميع الناس .

المعانى الفاضلة* للصيام :

ففرحة المسلمين إنما هى فرحة زينة وعبادة تجمع بين حظى الجسم والروح فتبق على

المعانى الفاضلة التى اكتسبها المسلمون فى شهر الصيام من إيمان وصبر وعزم وقوة وإرادة ، وما أحوجنا إلى هذه المعانى تستقر فى نفوسنا لتكون لنا النور المشرق الذى نهتدى به فى نهضتنا الحديثة التى أرسيتم قواعدها وأقمتم بناءها الأشم .

الدين أساس القوة والمجد :

وإن مثل هذا البناء الضخم ليحتاج إلى أسس من الدين وقواعد من الخلق قوامها التربية الروحية الأصيلة ؛ لأن قوة الروح هى القوة الدافعة إلى الخير المحققة للنصر فى جميع الميادين .

وما أحرى أمتنا بالشكر تقدمه إلى مولانا وبارئنا على ما أولاها به من نعم النصر وجمع الكلمة ووحدة القلوب على يديكم .

وإنى إذ أهنئكم بالعيد — باسم الأزهر علمائه وطلابه — فإنما أهنئ فيكم المبادئ القوية التى آمنتم بها وآمن بها شعب من ورائكم يؤمن بالبناء والتعمير ولا يعرف التخريب ولا التدمير وبذلك سرتم بنا من نصر إلى نصر .

وإن المبادئ التى تتركز فى النفوس وتؤمن بها القلوب تصبح عند أصحابها أعز من نفوسهم ومن أموالهم ومن كل ما يملكون .

فسيروا على بركة الله تكلؤكم رعايته ، وتحدوكم عنايته والله معكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

## بدعة استحضار الأرواح :

كانت الروحية الحديثة أو الدعوة الخبيثة قد شغفتنى ردحا من العمر كنت أحسب خلالها أنى أحسن صنعا — وزين لى باطلها ما روجه لها المروجون وزيف لها الداعون . إما عن حسن نية وسذاجة تفكير وإما عن سوء طوية وخبث تدبير ، فألبسوها ثوب العلم المتحرر والتجريب المتكرر حتى شغلت على تفكيرى وأفسدت على تدبيرى ؛ كيف لا وهى تزعم أنها تقتحم الغيب المجهول وكل غيب يستهوى الفؤاد وتتوق إليه العقول ؟ . حتى لجأنى الحق جل جلاله فى لحظة فأزال الله جل وعز ببركة روحانية رمضان المبارك عن عين قلبى غشاوة الضلال وأبان لى الحرام من الحلال فعلمت ما فى هذه الدعوة الخطيرة الماكرة من سموم تستهدف تمييع العقيدة وتهوين سلطان الدين فى النفوس وعدم الاكتراث بفرائض الله وأوامره بل وامتهانها والتشكيك فى قيمتها ويكفى ما يبثه ما يسمونه سلفربرش أو نبى

الروحية من عقائد زائفة فهو الذى يقول « إن ولاءنا لا لكتاب ولا لنبي ولا لعقيدة ولكن لله وحده » ويقول « دلونى على الرجل الذى لم يحن ركبته قط لله فلم يعترف به ولم يؤمن به بل أنكر وجوده وألحد فيه وهو مع ذلك يعامل الناس بخلق حسن لأقول لكم إنه هو الشخص السعيد الناجى فى عالم الروح » .

ولقد ثبت لى أخيراً ثبوتا قاطعاً لا شك فيه أن الشخصيات التى تحضر فى جلسات التحضير وتزعم أنها أرواح من سبقونا من الأهل والأحباب إن هى إلا شياطين وقرناء من الجن يلبسون على الناس ما يلبسون .

والآن وقد انقشع عن قلبى زيف الباطل ببركة إلحاحى فى الدعاء بقولى: اللهم أرنى الحق حقا فأتبعه وأرنى الباطل باطلا فأجتنبه ، لست أشك أن وراء هذه الحركة منذ نشأتها يهودى خبيث كابن سبأ شأن كل الدعوات الزائفة البراقة من إخوان الصفا قديما إلى الشيوعية والماسونية حديثا .

ولقد آليت على نفسى إبراء للذمة وانخلاعا مما كتبت أوحدثت ، ما جلست مجلساً دعوت فيه لهذه الدعوة الخبيثة عن حسن نية إلا جلست مثيله لهدمها ونقضها ولا كتبت فى صحيفة مؤيدا لها إلا كتبت مستنكرا معتذرا متبرئا ومحذرا إخوانى المسلمين من خداعها وزيفها مقررا بعد هذا الشوط الطويل أنى ما وجدت طريقا صحيحا إلى الله حقا إلا فى كتابه العزيز وسنة رسوله النبي الأمى الذى لا ينطق عن الهوى والتعلق بأهل البيت وعترته الطاهرين .

والآن وأنا أودع هذه الحقبة الشقية من عمرى أجدد فيها إسلامى وأستعيد فيها إيمانى أودع معها زملاء أعزاء وأصدقاء شرفاء لا أحمل لهم فى قلبى إلا كل عطف وإشفاق ورثاء ملحا على الله فى الدعاء أن ينير بصيرتهم وينقذهم من أوحال هذه العقيدة الفاسدة مؤكدا لهم أمرين . أولها أنه كقاعدة لا تتخلف ما من مشتغل بهذه الحركة إلا أصيب بفقد أحب أهله لديه وأعزهم عليه ويمكنهم تتبع ذلك فى كل من يعرفون وأنا أولهم . وثانيهما أن معتنق هذه العقيدة لا يموت حين يموت مسلما أو مؤمنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فاللهم إنى أعتذر إليك مما كتبت أو حدثت أو فعلت وأبرأ إليك من ذلك كله ومن كل عقيدة تخالف الإسلام فى أية صورة من الصور .

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد .

**حسن عبد الوهاب**

السكرتير السابق لجمعية الأهرام الروحية

# فهرس أبجدى عام

## لموضوعات المجلد الحادى والثلاثين

### حرف (أ)



### (ب)

( غ )



( ف )



( ق )



( ك )



( ل )



( م )

# ISLAM: ITS ORIGIN AND ITS FUTURE

*This is a rejoinder to Series number II of All-Union Society for Propagation of Political and Sicentific Knowledge which discusses the same topic under the same caption, and which appeared in Moscow in 1956 and was introduced to the Arab readers as "The Grey Note-Book."*

*An old Campaign.*

The war waged against religions is not the outcome of the present age nor is it the innovation of the materialistic Marxism which assumes that religion is an opium given to the people. Voltaire, the French writer, had expressed such an idea long before the time of Marx, the Jewish thinker, when he said that deification had been an idea contemplated by clever priests to win the hearts of simpletons who enthusiastically took it to heart and believed in it. In such an attitude Voltaire in fact was following the example of the Greek Sophists who had denied or at least suspected the genuineness and naturalness of things. They propagated fallacies and diffused doubts. They alleged that man, since the dawn of humanity, had submiited only to power and not to any code of laws or set of values. Later on when laws were instituted the explicit performance of such chaotic and primitve deeds disappeared. This apparent features gave way to the prevalence of secret crimes which were incessantly committed. Such behaviour inspired certain genius - minded men to initiate the idea of an unforeseeble power which controls the lives of all creatures and masters their fates ; an eternal power all-seeing and all - hearing so as to convince the masses to behave well secretly and in public.

However, it is unwise to deny the assumption that at a certain historical period a new belief or a set of laws of worship had been institnted, for such assumption does not oppose reason or contradict facts. Such concession does not at all give any ground to convince us that the idea of religiousness was not as old as humanity itself.

*Religiousness is innate instinct :*

Twentieth Century Larousse

Dictionary states the following: "religious instinct is unanimously shared by all human races. It is even shared by the barbrous and savage races. The humanity at large takes great interest in pondering upon the heavenly concepts as well as the metaphysical concepts."

The philosopher Henrie Bergson says: "there had existed and still exist some human groups without sciences, arts and philosophies, but there had never existed any group of individnals without religion or belief."

Earnest Renan in a treatise on the *history of religion* says "it is feasible that any thing we like may decay and the freedom to use [illegible] sceience and industry may [illegible]ctioning, but it is quite [illegible] that religion can be abolished. It rather stands as a conclusive argument against the fallacious doctrines of materialism which desirously attempt to confine human thought to mean and narrow passages of the mundane life."

Mr. Muhammad Farid Wagdi comments on this quotation by saying: " Nay; It is impossible that the idea of religiousness can be eradicated because it represents the most sublime centiments of the human-being. Therefore the natural tendency to religion will continue deeply [illegible]ted in the heart of man so [illegible] has sound mind to differentiate between beauty and ugliness."

*Faith in God is an intellectual requirement.*

It is evident that faith in a Supreme Power, which initiated this universe and maintained its discipline, is an intellectual necessity. This is because the naive human mind firmly believes in the principle of causation and always inclines to justification and reasoning. If there is no religion or faith, the question aroused by the Qur'an will have no answer; which question reads as follows: " or were they created out of nothing ? Or are they the creators ? " ( Surah. 52, V. 35 ).

Evidently they were not created from nothing nor did they create themselves, then it is inavoidable to recognize the existence of one God who is the Creator, the Knowing and the Wise.

As for those who evaded from the recognition of the creative Divinty because it is unseen, intangible and not subject to experimental tests could not deny utterly the existence of managing power. So they resorted, however, to another vague and esoteric power i.e.

nature. Pagans and heathens as in this concern were more logical and reasonable. When they were asked to identify who had created both heavens and earth, they said: God;

"Say: 'Who provides you out of heaven and earth, or who possesses hearing and sight, and who brings forth the living from the dead and brings forth the dead from the living, and who directs the affairs? They will surely say, 'God.". [Surah 10, V. 31).

*Sending of prophets is a manifestation of God's mercy.*

Thanks to the conclusive wisdom and to the comprhensive mercy of God, the people were not left to go astray or to wonder aimlessly. He sent them messengers and prophets from amongst themselves to warn them and, at the same time, to give glad tidings about the boons of the Hereafter. Those Messengers were provided with heavenly Scriptures and commandments thereby they could set the people on the right path, to judge among them with equality and to lay down the foundations of a virtuous and dignified life. The Qur'an refers to that by saying: ". . . So that mankind might have no argument against God." (Surah. 4, V. 165).

Furthermore, the most pervaded wisdom of God necessitated that the messengers should be human individuals, not angels, selected from amongst their own people in order to be well-acquainted with their conditions, with their life, and to sympathise with their joys and sorrows. Some short-sighted persons, however, made an objection against the humanity of the prophets. The answer to this came in the Qur'an in the following verses: "Say, if there were settled, on earth, angels walking about in peace and quiet, we should certainly have sent them down from the heavens an angel for a messenger," (Surah. 12, V. 95) and: "God did confer a great favour on the believers when He sent among them a messenger from among themselves." (Surah 3, V. 164).

God purveyed those messengers with conclusive arguments as well as with clear proofs to show His app[illegible]ation and to back their messengership. Such backing was so clearly defined that it convinced all fair and just people and made them believe wholeheartedly in the call of those prophets. The Qur'an refers to such an attitude by saying: " Lord, we believe in that You have sent down, and we follow the messenger. Inscribe us therefore with those who bear witness. " (Surah. 3, V. 46)

Another striking example of turning to the right is that related by the holy Qur'an about the magicians of Pharoah who, for their good fortune, had given up blasphemy



and turned to sound faith. Saying, according to the Qur'an, : "We belive in the Lord of Aaron and Moses . . . " (Surah. 20, V. 70) and also saying : "Never shall we regard you as more than the clear signs that have come to us, or than Him Who created us." (Ibid V. 72).

Throughout all the ages God have sent prophets and messengers to be guiding lights to their peoples and sound educators and were counsellors to them. Such messengers were continuously sent to the people to lead them to the right path until God crowned religions by Islam and ended all messages by the ever-lasting mission of Muhammad son of Abdullah, who was sent to be a mercy to the whole universe; "We have not sent thee, save as a mercey unto all beings". (Surah 21, V. 105).

*The message of Islam*

It would be a serious mistake to depict Islam as an unheavenly message merely invented by a human mind, or to illustrate it as a social phenomenon emerging from some historical effects or some economical factors. Whoso believes in such an idea is only deceiving himself and lying to the people as well. He is shutting his eyes and eclipsing his reason to the true facts around him. Furthermore, he ignores the **authentic** history and misconceives the practical and social facts of the Arab peninsula before and after Islam ; simply because the conditions of the Arab tribes at Mecca and its outskirts are well-known in history. It was the life of nomadism and travelling, commerce and amusments, ventures and raids.

As for their belief it is known that each tribe had its own idol to which it devoted worship. The Kaaba ( Sanctuary ) was honoured and glorified by all tribes. It was their habit to bring their idols around the Kaaba until the number of these idols reached three hundred and sixty. Paganism was not a superficial phenomenon in the life of the Arabs but it was penetrating deeply theirein. The manifestation of this was obviously seen in their pilgrimage, their vows and all their rituals. The Qur'an in this connection says : " Out of what God has produced in abundance in tilth and in cattle, they assigned Him a share : They say , according to their fancies : 'this is for God, and this for our partners' ! But the share of their partners reaches not God , whilst the share of God reaches their partners ! " (Surah 6, V. 136 ).

Belief in one God ( Tahannof ) was not known before Islam except to a throng of individuals who were so sound and reasonable that they

rejected to fall into the abyss of heathenism. They deserted the worship of idols and either followed the path trod by Abraham or embraced a divine religion such as christianity. The pioneers of this trend before the advent of Islam were of four persons : three of them were from the tribe of Quraysh namely; Amer Ibn Nofayl Ibn Abdu Ozza, Warake Ibn Nawfal-who already knew the old scriptures and adhered to christianity - and Othman Ibn Howayrith, and the fourth was Obaydullah Ibn Gahsh Ibn Asad. However, those four monotheists had utterly no impact upon their fellow men at any rate. This is why the call of the prophet Muhammad to monotheism was met at first by utter frustration and by entire rejection. The Qur'an in this respect says : " Has he made the gods all into one God? Truly this is a wanderful thing. And the leaders among them go away (impatiently), (saying) Walk ye away, and remain constant to your gods! For this is truly a thing designed ( against you )! We never heard ( the like ) of this among the people of these later days : This is nothing but a made - up tale. " (Surah 38, Vs. 5 - 7 ).

It was rather wise under such circumstances that the messenger of God, who was fully aware of the fanatical adherence of his people to their idols, did not openly declare his call to monotheism, and instead he sought the way to the fulfillment of this sacred objective in secret for three years long. Shortly afterwards and in response to God's command he began to announce his call in public to his close kinsfolk. Neverthless he did not find but a scores of sincere individuals who believed in his message. Simultanuously he togather with his companions had suffered torments and persecution for thirteen years of time. This persecution obliged him to give order to his followers to immigrate twice to Abyssinia. It was followed by a bleading conflict at Medina made by the heathens to defend their cult and to impede the upserge of the monotheist religion.

Is it logical then to assume that the Arab peninsula was evolving towards monotheism as a result of the interaction of some social factors, and that the belief in one God (tahannof) was a general phenomenon before the advent of Islam ?

*The Qur'an is the clearest proof of the message of Muhammad.*

It was natural that peoples in olden times might harbour doubt about the missions of the prophets and therefore had asked for èvidence. God consequently had backed His messengers by cosmic miracles fashionable to their times and similar to dexterities exercised by their peoples such as magic vis-a-vis Moses and medicine in connection with Jesus.

Because the message of Muhammad is conclusive, ever-lasting and addressed to all mankind the wisdom of God had backed him by a comprhensive and immortal miracle as well; which is an abstract and intellectual sign i,e., the glorious Qur'an. God refers to this miracle in the Quranic texts by saying: "Yet they say: 'why are not signs sent down to him from his Lord?' Say: the signs are indeed with God and I am indeed a clear warner. And is it not enough for them that we have sent down to thee the Book which is rehearsed to them? Verily, in it is mercy and reminder to those who believe." (Surah 29, Vs. 50-51). The glorious Qur'an constitutes so many miraclous aspects which lie in its inimitatability and which had strongly retorted the pretexts of the unbelievers, silenced their tongues and brought their arguments to naught; "Let them then produce a recital like unto it,—If (it be) they speak the truth." (Surah 52, V. 34); "Or they may say: he forged it. Say; bring ye then ten suras (chapters) forged, like unto it, and call (to your aid) whomsoever ye can, other than God — If ye speak the truth." (Surah 11, V. 13); "And if you are in doubt as to what we have revealed from time to time to Our servant, then produce a Sura (chapter) like thereunto; and call your witness or helpers (if there are any) besides God; if your (doubts) are true." (Surah 2, V. 23).

Thus the unbelievers had met their utter defeat and faced thir impotence thanks to the startling challenge of the Qur'an. Such defeat was recorded in history and expressed by the Qur'an when saying. "Say: if the whole of mankind and the Jinns were to gather together to produce the like of this Qur'an, they could not produce the like thereof, even if they backed up each other." (Surah. 17, V. 88).

This clear Book had managed to create the most momentous revolution which turned the face of history. It was a psychological as well as social revolution which had led to the establishment of a strong nation by directing it to the right path and by unifying its scattered groups. Consequently it had attained, by virtue of the Qur'an, an integral status, an ideal legislation, morals to conduct its behaviour, means leading to prosperity, and a universal message to be addressed to the whole of mankind; "It is He Who has sent amongst the unlettered a messenger from among themselves, to rehearse to them His signs, to sanctify them, and to instruct them in Scripture and wisdom - Although they had been, before, in manifest error; - As well as (to confer all these benefits upon)

others of them, who have not already joined them: And He is exalted in might, wise". ( Surah 62, Vs. 2-3 ).

*The Qur'an is a miracle and guide.*

Apart from all other Scriptures the Qur'an stands unique by being a miracle as well as a guide; "a guide to mankind, also clear Signs", Howevere if the miraclous sign proved to be in accordance with the spirit of the message, then it would be more indicative of the truthfulness of the messenger and would give him more support than the outward miracle. To illustrate this idea some learned men gave the following example. If there be a man in a city-wherein diseases are spread-claiming to be a physican, and forwarding as a proof of his plea a book written by himself dealing with medicine and adding that patients will find their cure in such a book. If such a book on being examined by other physicians well versed in their subject proved to be the best book bearing on that subject, and if such a physician diagnosed the people's illness and prescribed for them the medicine leading to their recovery; could such a plea be disputed after being confirmed by practical as well as theoritical proofs ? Definetly no one can doubt the authenticity of such clear plea.

If in a likewise manner we apply this reasoning to a more sublte matter that is curing of spiritual and moral maladies the result should be more striking because the treatment of physical maladies is not easy as the treatment of physical ailment. It is rather more subtle and difficult to be attained.

It is a well attested fact that the Qur'an includes the sound creeds, the sublime morals and the origins of social and civil legislation. It is well known too that the prophet, may the blessings and peace of God be upon him, had successfully treated by the virtue of his holy book a people of long-established conflict illiteracy and idolatrous vices. Such people through his treatment recovered and became unified, sophisticated, wise and masters of numerous countries. However it is more striking to notice that the man who attained this success had been illiterate with no background either in science or politics. If the afore mentioned physician proved his claim by means of an action which is unfamiliar to the people and has no bearing on medicine, his claim would propably be suspected. Similar is the case with the prophet Muhammad in his claim that he was sent by God to guide the whole of mankind. His Book, which proved to be sound, is more indicative that it is a revelation from God than the rod of Moses which became snake and the dead womh

Jesus brought forth alive. Because these two miracles, though unusual, are not a means of instruction and guidance nor are they pertaining to medicine. Therefore their indication is not intrinsic.

However, the doing of supernatural miracles is less important than the making of supreme, divine and legislative sciences without having any sort of knowledge. Yet the Qur'an anticipates the hidden matters in the past and the future, and its teachings lead to success and prosperity. The Qur'an thus is a clear proof that its spiritual as well as social remedy is only revealed by God, the Wise, the Sustainer, and no person whosover can oppose or doubt it.

*Was there any opposition to the Qur'an ?*

After the shining success of the Islamic call in the Arab peninsula there appeared, for psychological as well as tribal reasons, some persons who claimed themselves to be prophets. What their proofs, their books and their achievements ? The following may give answer to this question.

In the nineth and tenth years after the Immigration there had been some individuals who claimed themselves as prophets. They were : Musaylama of the tribe of Hanifa which had envied Quraysh because the messenger of God belongs to it, Al-Aswad El-Ensi who appeared at Yamama, Talha Ibn Khowayled El-Asadi who appeared within the tribe of Asd and Sagah daughter of of El-Harith who had Known christianity before and who appeared in the tribe of Taghlib.

The different narrations, however, tell us that such pseudo prophets had made books to oppose the Qur'an. But history and literature did not preserve any trace of their works except that had been introduced as anecdotes or Jokes.

The false allegation of these feigned prophets had not managed to stand upright in face of the strong march of Islam. No sooner had they proclaimed their absurd calls than they had met their utter defeat and profane destiny. Some of them had died and others embraced Islam and became sincere believers such as Talha who had joined the army and fought heroically in the way of God to atone for his Past attitude against Islam; " Nay, We hurl the truth against falsehood, and it knocks out its brain, and behold, falsehood does perish ! " [ Surah. 21, V. 81 ].

In the Abbaside Caliphate some narrations stated that there had been an opposition to the Qur'an but these narrations were not backed by factual texts. For instance Ibn Kayyem al-Jozyyeh and al-Bakellani stated that Ibn al-Mokaffa had been reciting

the Qur'an until he reached at the following verse : "At length, behold ! There came our command, and the fountain of the earth gushed forth! " and went on reciting until God's saying : " Away with those who do wrong." ( Surah. 11, Vs. 40-44 ), then he said with admiration : this can not be challenged at all by any human being " and burnt what he had invented. Furthermore, El-Bakellani goes on to say : "there had been persons who assumed that Ibn El Mokaffaa had opposed the Quran in his book titled *the Unique pearl* -Aldurratul Yatim-"; but El Bakellani failed to find any thing in Ibn El-Mukaffaa's work that might be held as an imitation of the Qur'an.

There was also Aboul - Alaa El Maarri who had been accused by the sin of imitating the Qur'an. But-El-Rafei, the Egyptian writer, refuted this charge very strongly. Dr. Taha Hussein, the contemporary Arab writer, refuted as well what had been attributed to Aboul El-Alaa.

The latest attempt of such fraudulent prophets, who claimed to be in touch with the divine revelation, is seen in the assumption made by Mirza Gholam Ahmed El Quadyani-the Indian-, Mirza Ali El-Bab and his disciple El Bahaa.

Fortunately, the followers of those fabulous prophets do not show us what they assume to be Qur'anic verses and hide it in such a manner as it was something to be ashamed at. Whoever manages to read their books will see nonsense and absurd words and ideas. He will be profoundly confident that the Qur'an is the genuine revelation of God; "This is a Book, with verses basic or fundamental ( of established meaning ), further explained in detail from One Who is Wise and Well - Acquainted ( with al things ). " ( Surah. 11, V. 1 ).

*Islam is a belief as well as a system of life.*

Islam is not, as being held by short-sighted individuals, a theological religion nor is it a mere belief taking only into account the spiritual side of man while leaving aside the organization of his relations with the universe, with life and with his fellow human beings whether they are individuals or families or nations. In the contrary Islam is a comprehensive belief out of which an integral as well as a universal system comes forth on which a balanced and universal nation is based. Such nation is depicted in the Qur'an as follows: " And thus We have made you an exalted nation that you may be the bearers of witness to the people." (Surah. 2, v. 143) ; "You are the best nation raised up for men : you enjoin good and forbid evil and you believe in God." (Surah 3. V. 109).

*The merits of the Islamic belief.*

The Islamic religion has its own

merits and characteristics which other religions are lacking · It is a clear and simple belief which may be expressed in the idea that there is beyond this disciplined and unique universe One God who had created and regulated it, and who had destined every thing in this universe. This God has no associate, no counterpart, no wife and no son but "To Him belongs whoever is in the heavens and the earth." ( Surah. 21, V. 19.).

This belief is plain and acceptable. Because the human mind seeks always association and unity beyond the apparent variation and multiplication. It incessantly tends to refer all things to one cause. The uniform fact also proves that the multiplication of wills does not produce an integral conclusion or lead to a coherent system. The glorious Qur'an assures this fact when stipulating that: "God has not taken to Himself a son nor is there with Him any (other) god-in that case would each god have taken away what he created, and some of them would have overpowered others." ( Surah. 23, V. 92); "If there were in them gods besides God, they would both have been in disorder." ( Surah. 21, V. 22),

Moreover it is not a belief alien to human nature nor does it contradict this nature at any rate. It is rather in complete harmony and accordance with this nature. The Qur'an illustrates this notion plainly when saying: "So set your face for religion, being upright, the made by God in which He has created men. There is no altering God's creation. That is the right religion-but most people know not. (Surah. 30, V. 30).

It is as well a fixed and defined belief which is not subject to increase or decrease, distortion or change. No ruler whosoever or scientific synod or religious congregation is alowed to make addition or adjustment in this belief. Any addition or adjustment will be held invalid and will only express the point of view of such innovator. The messenger of God in this respect says: " Whoso produces any idea alien to our injunctions will be responsible for this and his innovation will be only ascribed to him " and the Qur'an says : " Or have they associates who have prescribed for them any religion that God does not sanction" (Surah 42. V. 21).

Thus all innovations, superstitions and supplements maliciously entered into Muslim beliefs or foisted into their books or treachrously propagated among uneducated masses are false, unreliable and thoroughly rejected by Islam.

*Misconception of predestination and choice*

Predestination and choice were

and still from amongst the most amazing and disputable topics which human mind failed to find out solution or reach a decisive conclusion, and in which philosophers, ethicalists, psychologists and educationalists had disputed so far as philosophy and research are concerned.

Islam in this connection is the balanced religion which is in complete harmony with sound nature and the tangible reality.

Man in view of the belife of predestination and choice is compl-etly free and responsible for his actions and self in the domian of his optional activities. He is at absolute liberty to do or abstain according to his own common sense and feelings.

The Qur'an gives full support to this attitude in the following verses : " So let him who please believe, and let him who please disbelieve." (Surah. 81, V.29). "There is no compulsion in religion — the right way is indeed clearly distinct from error. " ( Surah. 2, V. 256 ). " Surely this is a Reminder ; so whoever will, let him take away to his Lord. " ( Surah. 76, V. 29 ). " To him among you who will go forward or will remain behind " (Surah. 74, V. 37 ) " Whoever does good, it is for his own soul ; and whoever does evil, it is against it. And thy Lord is not in the least unjust to the servants. " ( Surah. 41, V. 46 ) " If you do good, you do good for your own souls. And if you do evil it is for them. ( Surah. 17. V. 7 ). " God imposes not on any soul a duty beyond its scope. For it is that which it earns ( of good ) and against it that which it works ( of evil ). " ( Surah. 2, V. 289 ).

In addition to the above mentioned verses there are many in the Qur'an which stipulate and decree man's liberty, gains and responsibility; "That no bearer of a burden bears another's burden : And that man can have nothing but what he strives for : And his striving will soon be seen. Then he will be rewarded for it with the fullest reward." (Surah, 53, V. .5. 38-41).

This positive attitude adopted by the Qur'an has been backed by a strong campaign against the determinists who ascribe their blasphemy and sins to Fate under the pretext that their actions are directed by the will of God.

In four Suras (chapters) of the Qur'an God, the Almighty, refutes this false assumption. In the Cattle chapter He says : "Those who are polytheists say : If God pleased we would not have set up (aught with Him) nor our fathers, nor would we

have made anythig unlawful. Thus did those before them reject (the truth) until they tasted our punishment. Say : Have you any knowledge so you would bring it forth to us ? You only follow a conjecture and you only tell lies." (V. 159). He also says in the chapter of th Bee : "And the idolators say : Had God pleased, we had not served aught but Him, (neither) we nor our fathers nor had we prohibited aught without (order from) Him. Thus did those before them. But have the messengers any duty except a plain delivery (of the message)." (V. 35). He further says in the chapter of Yasin : "And when it is said to them : Spend out of that which God has given you, those who disbelieve say to those who believe : Shall we feed him whom, if God please, He could feed ? You are in naught but clear error. " [ V. 47 ]. And finally He says in the Chapter of Gold : " And they say : If the Beneficent had pleased, we should not have worshipped them. They have no knowledge of this; they only lie. " ( V. 29 ).

By such strong and clear regoinders to the old determinists the decisive attitude taken by the Qur'an towards the question of *the human will and Divine will*, is obviously conceived.

Neverthless, man is not actually at absolut liberty or at complete choice in the sense that he does all what he pleases and abstains from all what he displeases; because if he were really free in that sense he would certainly be a God.

No one, whatever his staunch support to the human liberty may be, can deny the determinism of the human will. This is why the authorities concerned always refer it to hiriditary or environmental factors or to both of them. Some philosophors express this notion by saying: " Man is free in a domain of fetters and limits"

The dialictical materialists have even tied man to means of productions as well as to the economical phenomena which direct his way of thinking, his course of behaviour and his current affairs. Thus they degraded man and brought him to the most repugnant standard of determinism when they have made of him a humble slave of matter not a master of it as ordained by Islam.

This well attestad fact, the limitedness of the human will, is decreed by Islam in a way more honourable and dignified to man than that of the materialistic and traditional determinism. Man, from Islam's point of view, is at liberty and choice in the range of what God had ordained of rules being carried out by His will and power according to His knowledge

and wisdom, and which are applying to all creatures including man himself. Man is free because God wants him to enjoy liberty, and has his own will for God says: " But you will not except as God wills." (Surah. 76, V. 30.)

There is no wonder then when we read in the Qur'an the combination of both the liberty of the human will and the mastery of Divine will which appears in the following verses: " Verily, all things have We created in porportion and measure." (Surah. 54, V. 49): " And if thy Lord had pleased, all those who are in the earth would have believed." (Surah. 10, V. 99); "Doer of what He intends." (Surah. 85, V. 16) and " Surely thy Lord makes plentiful the means of subsistence for whom He pleases, and He straitens." (Surah. 17, V. 30).

Muslim's belief in Fate, however, does not represent any determinist dogma nor does it express the accidentalists trend. but it is rather the belief in that the universe is heading to an ultimate end and that it is regulated by a Supreme Power. How can it be otherwise while God's knowledge fully comprises every atom in heavens and earth, and directs it according to His conclusive wisdom and mercy? " And not the weigt of an atom in the earth or in the heaven is hidden from thy Lord, nor anything less than that nor greater, but it is (all) in a clear book". (Surah. 10, V. 61).

Belief in Fate as such depicted does not at any rate contradict the exertion of efforts and the search of whatever possible means to carry out one's own affairs. This is simply because God had ordained causes and means, introductions and conclusions. He had not destine success without any work, but had ordained it through its due means of unflagging efforts, of caution vigilance, patience, endurance and so forth.

Taking means then does not oppose Fate but in fact is implicitly included in God's Fate. Therefore when the messenger of God was asked this question: " could you prevent the occurance of God's Fate ? " in view of remedies and ways thereby evil might be evaded, his unequivocal answer was: " all happenings are ordained by God's Fate. " Furthermore when epidemic disease was prevailing in Syria Omar Ibn El-Khattab, after his consultation with the companions, had decided not to enter it and returned back with his company. Some companions said to him: " do you run away from God's destiny O Prince of Muslims ? " He said "yes; I run away from God's desting to face God's destiny in other from."

The messenger of God, though having the strongest faith in God's Fate, was fully aware of the necessary measures and means to be taken. He therefore, had taken necessary precauitons, mobilzed armies,sent reconnaissance patrols, fought full - armed and had followed the most advanced rules of tactics and strategy.

Although the question of predestination and choice was clear enough in Islam, as we have already seen- through texts, practice, theory and application- the messenger of God, peace be upon him, had ordered his companions to block the way of fruitless discussion about such delicate questions in which the human mind had failed to reach a sound solution for long ago, in order they might escape dissension and divergence of views.

Refering to this question Shaykh Muhammad Abdu had said : " unfortunately some persons who have evil intentions appeared among the Muslims from amongst the Persian and Roman subjects who feigned to be muslims and who brought to Islam what they have had of dissension and hypocrisy. They disobeyed God and his messenger when they violated Their order of forbidding discussion of Fate, and misled Muslims through their ambiguous and absurd words. They even disintegrated their unity and God says to His messenger concerning this attitude : " As for those who split up their religion and became sects, you have no concern with them." (Surah. 6, V. 160 ).

"Such was a group of determinists who were weak and helpless whose plea could not stand sound reasoning, and whose actions had been so repulsive that they were expelled from the domain of religion. It was left lagging behind until it was fully uprooted. This gave impetus to the prevalence of the tendency calling the majority of Muslims to adopt the trend of moderation between detereminism and choice which is the trend calling to serious activities and true faith.

*Faith In Resurrection* :

Some Materialist pedants often try to spread doubts about the belief in resurrection and other eschatolgical doctrines, like that of the Day of Judgement, Paradise and Hell-Fire to which doctrines references are made in the Qur'an and all the other Divine Scriptures. In a sarcastic manner they comment on the Qur'anic verse " Perhaps the Hour is nigh " ( Surah. 42, V. 17 ) by remarking that a period of more than thirteen centuries has elapsed yet, the Hour has not come as yet. They forget or overlook that measurement of time is a relative question, and that a thousand years or more is only a short time in the accouut of history,

especially if we take into consideration what geologists say about the estimated age of the world, which goes back millions and millions of years. The Materialists disregard another significant fact, when they do not realize that Muhammad is the last Prophet and his message is the final word from God to mankind. Should they conceive this fact, they would find it easy to clearly understand what the word " nigh " in the verse means, because they will then know that since there is no prophet after Muhammad nor is there any message after his until the day of Resurrection, the Hour is coming and nigh.

The Hereafter is another creation wherein every person will receive a fair return for what he or she has done in first life. In many cases this present life falls short of rewarding the good people for their deeds and punishing the mischievious for what they might have committed. Faith in a Wise, Just God leads by necessity to the belief in the existence of that other life to be. This is the logic of faith in God Who ordained the Hereafter " that He may reward those who do evil for that which they do, and reward those who do good with goodness" (Surah. 53, V. 31 ) Belief in Resurrection is the logical conclusion of man's creation and his responsibility; " Do you then think that We have created you in vain, and that you will not be returned to Us " ( 5. 23, V. 115 ) " And We created not the heaven and the earth and what is between them in vain. That is the opinion of those who disbelieve. So woe to those who disbelieve on account of the Fire. Shall We treat those who believe and do good like the mischief-makers in the earth ? Or shall We make the dutiful like the wicked ? ( Surah. 38, Vs. 27 — 28 ) . If there were no belief in Resurrection, the justice of God and the very principle of laying responsibility on man's shoulder would be very critically questionable; an attitude which could produce nothing but chaos and destruction.

It should be borne in mind, however, that belief in the Hereafter does not mean giving one's back to life and being indifferent to the serious course of events on dependent on others with indulgence in vain wishful thinking. Happiness in the Hereafter is not attainable except through persistent work and serious endeavours. " It will not be in accordance with your vain desires nor the vain desires of the people of the Book. Whoever does evil, will be requited for it and will not find for himself besides God a friend or a helper. And whoever does good deeds, whether male or femal, and he ( or she ) is a believer — these will enter

the Garden, and they will not be dealt with a whit unjustly " ( Surah. 4, Vs 123 — 124 ).

It is sufficient to support this argument that the Messenger of God-peace and blessings be upon him-and his Companions as well as their pious successors did not conceive life or live it except as an aspect of serious undertaking and earnest endeavour. It was this spirit that made them surpass other peoples in every field of life. They did not remain stagnant or lazy awaiting the peace of the Hereafter and the boons of the Garden. They could not do it because the Qur'an, their right guide, says: " And say, Work; so God will see your work and ( so will ) His Messenger and the believers. And you will be brought back to the Knower of the unseen and the seen, then He will inform you of what you did " ( Surah. 9, V. 105 ). " He it is Who made the earth subservient to you, so go about ( working ) in the spacious sides thereof, and eat of His sustenance. And to Him is the rising ( after death ) " ( Surah. 97, V. 15 ). Again it says: " O you who belive, when the call is sounded for prayer on Friday, hasten to the remembrance of God and leave off traffic. That is better for you, if you know. But when the prayer is ended, disperse abroad in the land and seek of God's grace, and remember God much that you may be successful " ( Surah. 62, V, 6 - 10 ).

*The System of Islam:*

Islam has a very unique and universal system which is closely associated with all aspects of life. It is concerned with the individual and the society and is interested in life at large. In a very fair manner and on a well-balanced scale Islam deals with all aspects of life, spiritual and material, personal and social, local and international. No matter is over-rated at the expense of another, but justice in all sides prevailes. Unlike other religions, it does not wear a material uniform or take a material view of life, nor does it over-estimate the spiritual elements of existence. It draws a balance-line between the individual and his society without making the former dominate the latter as is the case with capitalism, or vice-versa, as is the case with communism.

All this is because Islam is not the production of an unguided revolution resulting as a reaction to corrupt conditions or to oppose extreme right with extreme left, as was the case with the unguided revolutions which introduced weak and shaking systems that were the subject if common complaints and inevitable alterations. The system of Islam is not

**made by an individual or any group** of individuals directed by their cultural beckgrounds or environmental circumstances or legacies, not to mention their caprices or passions, to introduce a subjective system doomed to deficiency and change. Islam is the system of God Who is the Lord of men and is free from bias and partiality to any race or class or genertation. He is the Lord of them all and they are His servants. He knows their interest and His mercy is so comprehensive that He does not over-task them: "God desires ease for you, and He desires not hardship for you . . . " (Surah. 2. V. 185).

*Worship is God's Alone :*

The first article in the faith of Islam is the organization of relationship between God and His bondmen. Mankind do not create themselves nor do they invent any of the many embracing dooms and universal graces in the heaven and the earth. But it is God Who creates them, bestows favours on them and honours them from among his creatures. This leads to one logical conclusion, that is, they ought to be thankful to Him as to know His rights on them and worship Him alone without associating any partner to Him. And this exactly what Islam ordains in the words of the Qur'an "And they **are enjoined naught but to serve** God, being sincere to Him in obedience, upright, and to keep up prayer and pay the poor-rate, and that is the right religion" (Surah 98, V. 5).

Moreover, Islam does not only confine worship to God alone, but also purifies the rituals from all the idolatrous accretions and innovations invented by the followers of different sects to lay barriers between God and His bondmen and to establish a system of priestly intercession between the Heaven and the earth. Prayer in Islam is a devotion to God only in which man turns his face wherever he happens to be to the Lord without dependence on the permission of any relegious minister. The prayer-leader in a congregational service, which is more preferable to private worship, is not a man of priestly rights but is one of the congregation. They let him lead their prayers for his knowledge or piety and check his recitations to correct him, if he makes any mistake. He cannot assure any member of the congregation that his prayer will be accepted by God because the final word on acceptance is God's only Who knows the truthful from the otherwise, and Who "accepts only from the dutiful" (Surah 5, V. 27).

The Islamic prayers with their manners, their time-tables, their conditions and recitations are peculiar

to Islam as they were not known to any religion before Islam. They are the daily contact between the Muslim and his Lord. They are the effective means of purifying the body and the soul, of cultivating the sound conscience and developing decent morals; " Surely prayer keeps ( one) away from indecency and evil ... " ( Surah. 29, V. 45 ). They are, especially when performed in congregations, a strong social bond and a practical lesson by which Muslims practise discipline, brotherhood and equality. The condition which enjoins upon all Muslims to turn their face to one direction towards Mecca ( Makkah ) while praying is profoundly significant as it trains them to be whole-heartedly united in aim, opinion and tendency.

Pilgrimage, another fundamental pillar of Islam, is a journey in which the Muslim turns his heart and body to the House of God at Makkah, the House which was built by Abraham to be the symbol of monotheism and unity. When Abraham, father of the prophets and the enemy of idolatry, established it, God ordained him to proclaim to men the pilgrimage; " And when We pointed to Abraham the place of the House, saying : Associate naught with Me, purify My House for those who make circuits and stand to pray and bow and prostrate themselves. And proclaim to me the Pilgrimage : They will come to thee on foot and on every lean camel, coming from every remote path" (Surah. 22, Vs. 26-27).

This form of worship, started with Abraham as entirely pure for God, was abused and spoiled. The succession of time together with ignorance, caprices and superstitions drove the people out from the path of God to indulge in idolatry and associate images with God. They laid down idols in the House of God to worship them and offer oblations to them, mixing whatever was left of the monotheistic rituals with the accretion which they invented.

When Islam came to find the said condition, it removed all traces of idolatry and abolished the remaining forms of Pastnership in Divinity. Upon the triumphant return of the Prophet Muhammad to Makkah he smashed with his own hands the idols which were set around the House of God at Makkah (the Kaabah), saying : " The Truth has come and falsehood vanished. Surely falsehood is ever bound to vanish" (Surah. 17 V. 81). Thus the House was made pure for God alone and the institution of Pilgrimage restored to its fromer state in the days of Abraham. In forms and slogans, in intention and practice pilgrimage was one again designated to God.

The rituals of pilgrimage are associated with certain place in the sacred city of Makkah only because it is the land of remembrances, the legacy of Abraham and the cradle of the Call. All the rituals performed by the believers in the course of pilgrimage are indicative symbols of suggestive revelation. They have no value or significance in themselves because they are meant for the glorification of God and submission to His ordinances. It is reported that Umar, the Second Caliph and great Companion of the Prophet, stood before the Black Stone in the Kaabah and said : " I kiss you although I know that you are a stone incapable of doing any harm or causing any benefit. And had I not seen the Messenger of God kiss you, I would have never done so. "

In view of these explanations, would there be any ground for the superficial outlook of those who say that the Muslims make pilgrimage to a stone and bow down in prostration before it, seeking its blessings or graces? Any such allegation is a mere nonsense. Pilgrimage is a pointed mote in the eyes of the enemies of Islam because it is the most impersive Divine convention to which the Muslims come from everywhere in the globe to enjoy the mutual feelings of a common Islamic brotherhood and joint aims, and to dicusss their affairs in co-operative and most understanding manners as to return to their previous state of dignity and power; to be new the best nation raised up for men by enjoining good and forbiddding evil and by believing in God.

It is these Divine principles that vex the blind enemies of Islam and make them hit at random. The advocates of chaos and enemies of humanity stay restless when they face any organized course of relationship either between man and man or between man and God. This is why they look to Islam with unhappy eyes and shamelessly invent all sorts of lies and alle ations to set barriers between men and Islam. But we believe that all this will be in vain once Islam is properly presented and correctly represented. It is our hope, however, that the short account given of these two forms of worship (Prayer and Pilgrimage) will be a sufficient expression of the spirit of Islam in drawing the course of relations between God and man.

*Human Relations :*

Now let us consider how Islam organizes the course of human relations among people. Has Islam ever supported the feudalists, or recognized social injustice, or helped a class of society against another, or favoured the strong at the expense of the





weak? Has Islam left society to be dominated by artificial barriers of discrimination on the basis of race or colour or inherited nobility? This is what we shall give answers to in the following pages.

The lightest examination of the teachings of Islam demonstrates that it is not a religion of any particular class or any special group, but is a religion socially founded on the bases of fraternity, justice and equality. These bases are clearly represented in the rituals and worships of Islam as well as in its economical and political systems.

*The Relation Between the Rich and the Poor:*

Islam admits the instinctive dissimilarity of people in abilities and natural gifts, faculties and capacities, and it accepts, therefore, their reasonable and instinctive dissimilarity in sustenance. Islam as a religion which recognizes the natural instincts of man and things, sublimes them and does not conflict with them accepts individual ownership as long as it comes from lawful sources. By this attitude Islam means to satisfy the instinctive motives and human desires for ownership competition and saving. But it does not regard the individual property which is obtained through illegal means like usurpation and stealing whether this latter is in apparent or hidden forms such as gifts presented to rulers, exploitation of influence, accepting bribes and taking other people's properties by subtle manners. On the contrary, it confiscates all holdings of this sort however long they remain in the holders' hands, because length of time and succession of day and night do not allow the forbidden or make the prohibited lawful.

In Islam man is not the real owner of property and cannot do with it what he pleases. All holdings belong in fact to God alone. This statement means that they belong to the entire society, and the rich man is a mere employee appointed to take care of what he holds, invest it and spend it in such a way as to agree with the interest of society, without inflicting any harm upon it. In other words, as the Qur'an puts it, the *rich* person is only a successor; "and expend of that unto which He has made you successors" (Surah 47, V. 6); "and give them (the earnest slaves who seek emancipation) of the wealth of God that He has given you" (Surah. 24, V. 33).

Ownership, therefore, is a social function, and the wealthy person is tasked with financial duties to his society the least of which is giving *alms* (zakah). This is not a voluntary

contribution or a sort of kindness that would make the rich feel superior and exalted, and make the poor develop a sense of self-contempt and disdain. It is a known right, an ordained tax, which is to be collected by the government through appointed tax-collectors and is to be expended on the needy and the common interest "in the way of God and emancipation of slaves."

Alms-giving is not a supplementary principle of Islam, but is a fundamental pillar and without the distribution of which no man can be Muslim. If the State fails to collect the alms and expend it properly, it is not entitled to be called an Islamic state. It is a well-attested historical fact that when some Arab proprietors refused to pay their alms, Abu Bakr, the First Calif, showed no tolerance. He prepared eleven brigades to fight the greedy capitalists and said: " I swear by God, if they retain a camel's tether which they used to give to the Messenger of God, I will fight them for it. ".

*The Treasury Belongs to the State:*

Some biased people have spread vicious rumours about the Muslim Treasury and its contents of alms and other resources of the Islamic State. They pretend that the Treasury and its contents are nothing but personal propriety of the Califs and Sultans, who can expend of it as they please without any supervision or questioning. But the fact, which is well-known to anyone who has studied the law and history of Islam, is that the Treasury does not belong to the Calif but is a common property for all the people.

The Calif is only an entrusted treasurer who is entitled to nothing of it more than his regular and reasonable salary. It was Abu Bakr the First Calif who laid down this principle when he said: " Pay me as an average person of Quraysh, not like one of the low or one of the upper class. " This happend after he was sworn fealty to the people. He went on the following day to the market for his daily business to maintain himself and his family. Then the great Companion Umar met him and said: " Where are you going? He replied: I am going to the market to do business. Umar exclaimed saying: What! how can you do that after having been chosen to administer the affairs of Muslims? He said: How am I going to maintain my dependents? Umar answered: Go to the Treasurer Abu Abaydah and ask him to fix a regular salary for you. Abu Bakr went to the Treasurer who said to him. " I shall fix for you victuals sufficient for an average

man from among the Immigrants and supply you also with winter as well as summer clothes, which you will use till they are worn out and then bring back to take new ones instead of the old."

Moreover, Umar the Second Calif of Islam said : " My attitude towards the property of this Treasury is like that of the guardian of an orphan towards his property; when I am needless I will keep my hands off, but when I am in need I will satisfy my necessary needs therefrom without any excessiveness. Furthermore, Ali son of Abu Talib, the Prophet's cousin and Fourth Calif of the muslims, refused completely while in office to take anything from the Treasury for himself or his family.

This is the practice of the wise califs and pious leaders of Muslims. But the deviations from the right path of some *Muslims* rulers and their errors are not an argument against *Islam,* and Islam is, by no means, responsible for such errors.

*Islam Ordains Balance Between the Rich and the poor.*

The recognition by Islam of natural dissimilarity in sustenance does not mean that Islam lets the rich free to increase his wealth and the poor to worsen in his poverty. Nay, it interferes by virtue of its legislative system and moral instructions to narrow the gap between the rich and the poor. It has taken the necessary measures to prevent injustice from the former and to raise the standard of the latter.

Islam forbids the rich to make any wealth or earning through unlawful means. It forbids them to swallow usury in any form and by any quantity. It considers the swalawer of usury as fighting against God and His Messenger, and curses everyone who participates in a dealing of usury because it is an unjust deal in which the weak are exhaustively exploited for the interest of the strong. In support of this point the Qur'an says. "O you who believe, keep your duty to God and relinquish what remains (*due*) from usury, if you are *(true)* believers." "And God has allowed trading and forbidden usury." "God will blot out usury, and He causes charity to prosper" (Surah 2, Vs. 275-275, 278). In addition to that the Prophet said : "God will curse the recipient of usury, its giver, its scribe and its witnesses."

On the other hand, Islam forbids them to resort to monopoly which is the character of greedy capitalism. The Prophet of Islam declared that the *distributer of life stocks* would be sustained and the

*monopolizer* cursed. The rich people are strictly forbidden to squander, and the ruler is authorized to decree interdictions against the immature and squandering people. He is authrised to arrest their wasteful use of property. The Qur'an says: "And make not over your property, which God has made a *means of* support for you, to the weak of understanding" (Surah. 4, V. 5,) and "Surely the squanderers are the devil's brethren. And the devil is ever ungrateful to his Lord" (Surah. 17, V. 27.) Moreover, all kinds of luxurious squandering, which sopoils nations and individuals, are prohibited. This is why wine is strictly forbidden and this is why the lavish use of golden as well as silver articles and the adornment of men by wearing gold and silk are ordained unlawful. The Qur'an says: "And when we wish to destroy a town, we send commandments to its people who lead easy lives, but they transgress therein; thus the word proves true against it, so we destroy it with utter destruction" (Surah. 17, V. 16),

Furthermore, Islam prohibits the hoarding of gold, silver and the like. The Qur'an contains frightening warnings addressed to the hoarders; " And those who hoard up gold and silver and spend it not in God's way-announce to them a painful chastisement. On the day when it will be heated in the Fire of Hell, then their foreheads and their sides and their backs will be branded with it: This is what you hoarded up for yourselves, so taste what you used to hoard" ( Surah 9. V. 34-35 ).

Islam does not compaign against hoarding by words only; it prescribes practical measures one of which is the ordained alms which amounts to two and a half percent of the capital. This is in itself an alarm to the proprietor meaning an eventual exhaustion by prescribed alms of his property if he hoards it up or fails to invest it.

It is through these said measures of forbidding usury, monopoly, squandering and lavishness, on the one hand; and of combating all kinds of hoarding and enjoining alms, on the other hand, that the proprietor is compelled to invest his property in a legal way for the common weal of society. Thus the fair balance which Islam seeks can be realized.

Conversely, Islam gives the poor people opportunities equal to those of the rich. The former are entitled to all possibilities and means to attain the standard of the latter and stand with them on equal footing. The door of business and earning is open for all people poor and rich alike. It is not confined to or monopolized by any group nor is it inaccessible to anybody. It is a well-established principle of Islam

that *whoever* quickens a dead land it belongs to him, and *whoever* trades the profit goes to him ; and *whoever* comes across any source of property or treasure without a known owner and covered by the ground pays only one fifth of it to the State and the rest is his.

It is the duty of the ruler in an Islamic state to find work for the unemployed. If he fails to do so, or if any citizen becomes jobless owing to his disability, or if the worker's wage dose not suffice his needs — it is the responsibility of the ruler to take good care of him. The Muslim ruler must secure for such a citizen, be he a Muslim or otherwise, the due rights of diet, winter and summer clothes and a proper lodge. When the collected alms and ordinary resources of the state do not meet these demands, the ruler is authorized to impose new taxes on the wealthy people to ensure the interests of Muslims. The doctors of Islam have laid down the principle which states that should the Muslims be endangered, their holdings automatiecally become a common property and nothing of it belongs to anybody in particular. Moreover, Islam has taken useful steps to break the big capitals into small units of property. One of the most important measures in this respect is the law of inheritance according to which the wealth of the deceased person is distributed among his wife, parents, his children and other entitled heirs from amongst his kins. This distribution must be carried out in a just manner as to include the male and the female alike, not the former only as the Arabs used to do before Islam nor the eldest son as is practised in some modern nations of today like England.

### *The Rich Are Not a Class* :

The system of Islam accepts the rich as individuals who may ecquire properties by lawful means and use them in like ways without being niggardly or holding back in times of need. It accepts them as such, not as a privileged class of special prerogatives or endowed with social sovereignty inherited from generation to generation. This is because Islam consideresall people equal before God, the Law and the Qur'an; and no preference is granted to anyone except inasmuch as he is faithful to God, truthful to humanity and respectful of his general rights as the Qur'an says : " O mankind, surely We have created you from a male and a female, and made you tribes and families that you may know each other. Surely the noblest of you with God is the most dutiful of you " ( Surah. 49. V. 13 ). In addition to that the Prophet said : " Mankind are equal like the

teeth of a comb; no Arab is better than a non - Arab except by dutifulness."

The rich therefore, are mere individuals who make fortunes through their endeavours and enterprise, yet their fortunes may not last: they may get less or be transferred to new owners. So poverty and wealth in the Muslim society are not fixed or continuous phenomena. On the contrary, they are changeable and subject to the alteration of circumstances and chances of earning, and the change of ownership according to the laws of inheritance.

*There Are no Classes In Islam :*

Islam then does not recognize existence of social classes in the western terminology. It is free from any class of inherited rights and prerogatives. Its teachings are not familiar with the so-called classes of rulers or nobles or knights or clergy or the like.

The rulers are only individuals chosen by the nation and appointed to office either through the people of authority in it or through any other means the nation may choose. They are not of a special group and do not belong to any particular family. Nay, the Prophet said : " Listen and obey, even if you are ruled by an Abyssinian negro as long as he leads you in accordance with the Book of God; the Qur'an. Just before his death the Calif Umar said: " Had Salim, a former slave of Hudhaytah, been alive, I would have appointed him to succeed me."

The system of inherited rule and califate is alien to Islam. It is not recognized by its teachings or admitted to them. The jurists of Islam do not constitute a priestly class with alleged Divine powers as is the case with the clergy of other religions. They are only specialized doctors of the Islamic faith, law and morals. Their actual status is that they are scholars of religion and law, of ethics and sociology. They are not, by any means, intercessors between God and His bondmen nor are they in possession of the keys of Paradise or dealers in the *bonds* of God's contentedness and forgiveness.

It is clear, therefore, that if we apply Western terminology and Western conceptions, we shall find no classes in Islam because Western terminology in this respect is inapplicable to Islam. Once this classification is pointed out, it is no harm then if some people call the rich individuals in the Islamic State a *class*, because serious researchers classify mankind to three classes · rich average and poor. This classification is understandable; since it corresponds

with approximate similarity in colour according to which people are divided into white, black and yellow. The existence of classes in this sense is an indispensable matter resulting from the order of the whole univeerse which order necessitates differences and dissimilarities even among plants and minerals, not to mention mankind among whom there are differences the like of which is not found in anyone of the being species.

It is true that Russia succeeded in eradicating the *Capital* with which were gone the wealthy Russians; Russian riches and nobles. Yet there appeared, accordidg to Aqqad, a ruling class of experts and engineers, who exercise power and despotism unexampled with other rulining classes even in the most capitalist states. (The Truths of Islam . . . by A. M. al-Aqqad, P. 207 ).

Islam proves itself to be the religion of reality and sound nature, when it recognizes the differences which actually exist in all countries, Capitalist and Communist alike. This recognition is declared in God's words : " We portion out among them their livelihood in the life of this world, and We exalt some of them above others in rank, that some of them may take others in service " ( Surah. 43, V. 32 ) and "God has made some of you excel others in the means of subsistence ... " ( Surah,. 16, V. 71 ).

This is the order of God Who never does anything in vain. Whatever He does is done with utmost wisdom and for profound reason. The mentioned classification of mankind was ordered by God, according to the Qur'an, for two reason. First, *trial* of man which is the basis of responsibility and rewarding. Trial is frequently stated in the Qur'an as the objective of many injunctions and ordinances, i. e. " So that He may try you in what He has given you." Secondly, *taking in services* as already mentioned in the verse. But this is not the service of oppression and humiliation as might be derived from the ordinary sense of term *service*. It is the service of common interest and order. Had life been a factory, it could not have been successfully managed if all people working wherein were made mangers or engineers, but there must be the managers, the engineers, the clerks, the labour and the watchmen.

Excellence in the means of subsistence does not entitle its people to any merit or religious or legislative rank in the Muslim society. The real excellence and recognized merit are those which consist in knowledge, faith and good deeds. "Say :

Are those who know and those who know not alike ? Only men of understanding mind." (Surah. 39, V. 9.) "God will exalt those of you who believe, and those who are given knowledge, to high ranks" (Surah. 58, V. 11.) "And for all are according to their doings. And thy Lord is not heedless of what they do" (Surah. 6, V. 133).

It is on these bases of justice, equality and brotherhood that Islam has established the relationship between the rich and the poor. It equalizes them in right and public obligations, and provides them with fair opportunities to make earnings. Then, it says to the rich : ". . . Spend of the good things that you earn and of that which We bring forth for you out of the earth . . . (Surah. 2, V. 267,) It commands the Ruler to "Take alms of their (Muslim's) property-thou wouldst cleanse them and purify them thereby . . . ." (Surah. 9, V. 103), and tells the poor to shun spite and envy; "And strain not thine eyes toward that with which we have provided different classes of them, *of* the splendour of this world's life, that we may thereby try them. And the sustenance of thy Lord & better and more abiding" (Surah. 20, V. 131). And to all of them it appeals : "Be God's bondmen, brethren." "The believers are brethren" (Surah. 49, V. 10;) and ". . . remember God's favour to you when you were enemies, then He united your hearts so by His favour you became brethren" (Surah. 3, V. 102.)

Whenever Muslim society is guided by these Divine principles, mutual brotherhood prevails, and grudge against the rich does not find any means to the hearts of the poor nor does injustice to the poor develop in the rich. All will exchange feelings of mutual co-operation and brotherhood.

It is no wonder then that Bilal son of Rabah, Ammar son of Yasir, Abu Hurayrah and the people of Suffah-all belonged to the humble and poor section in the early Muslim society — stood side by side and worked with the richest and noblest people like Uthman son of Affan, Abd al-Rahman son of Auf and Saad son of Abadah. They did not develop feelings except of mutual love, co-operation and brotherhood. It is easily understood by now to know whether Islam supports the class-system or recognizes feudalism and the feudalists.

*The Attitude of Islam towards Slavery :*

Before the advent of Islam slavery was a universally recognized system. People practised it in various forms. Prisoners of war were

taken as slaves. So were the captives in tribal and nomadic raids and indebted people who failed to pay back their debts.

When Islam came to find these conditions, it did not advocate slavery or even make any statement in support of it. On the contrary, it took every possible meassure to mitigate the practice of slavery and produced numerous revealed texts urging emancipation of slaves and opening all the possible ways to freedom. From the very beginning Islam did not address individuals only as to set free slaves in atonement for their sins and in seeking God's contentedness, but also made it incumbent upon the State to partake in setting free the slaves by means of contributing some amounts of collected alms to those who are trying to secure freedom through certain payments to their masters (Surah. 9, V. 60 ).

Nearly fourteen centuries ago Islam organized the emancipation of slave, and gave it full support and utmost encouragement. It ordained emancipation by means of exhorting the masters to set free their slaves. To realize this aim Islam encourages voluntary emancipation from the master,s side. Besides this commendable practice, there are other froms designed to help the slaves gain their liberty. For example, there is the *tadbeer*, which is a pledge making the slave's freedom conditional to his master's death. In this case the master makes a statement like " if I die, my slave becomes free, " and upon his death his slave's libeity immediately becomes effective. Another case is the *Kitabah* whereby the master and his slave reach an agreement according to which the latter gains his freedom in return for some payments to the former. Moreoves, when a slave-woman gives her master a child, she enters a transitional period in which she cannot be treated as a slave but enjoys a considerable deal of liberty which becomes complete upon the death of her present husband - like master. Furthermore, emancipation of slaves is enjoined in many cases as the only acceptable atonements for committing sins or making mistakes in swearing or fasting or the like.

The rule of Islam in fostering freedom was never confined to opening the doors of emancipation of the already enslaved people. But it was always concerned with the prevention of slavery and interested in combating it before it would take place. Whatever form of slavery that Islam kept was nothing more than what the civilized world has maintained nowadays. It is a well - known fact that the nations which have

agreed to disallow slavery do allow taking prisoners of war and keeping them until a peace treaty is negotiated and the exchange of prisoners or ransom or heavy compensation is agreed to.

Nations at war develop very disturbing worries about their prisoners, and the ill-treatment received by these captives certainly justifies those worries. But with Islam it was a different story. During the propagation of the Islamic Call the prisoners taken by Muslims did not cause any worries to their people and states, because they were assured of fair treatment and did really enjoy it. we are told (Surah. 47, V. 4) that prisoners of war can only be taken after meeting an enemy in a regular battle, and even in that case they must be set free. either as a favour or after taking ransom. The former of these alternatives was the course adopted by the Prophet Muhammad in most cases. and there are many examples reported when thousands of prisoners were set free by the Prophet as a mere favour and with no reference whatsoever to redemption.

Prisoners of war were mentioned here because thier status is closely related to slavery. According to Islam. slaves are formerly prisoners of war taken after regular battles against disbelieving enemies who launch war against Muslims and try to hamper the spread of Islam. But as already stated. Islam encourages the course of setting the prisoners of war free, and even if they are justifiably made slaves, their freedom is commendable. Thus we see that Islam has come to narrow the sphere of slavery and confine it to the minimum circle, and to enlarge the scope of liberty and raise the standard of slaves. It honours the slave by considering him a member of his master's family so far as treatment is concerned.

This is the attitude of Islam towards slavery. It is clear, therefore, that Islam cannot be said to encourage slavery or support slave-masters. It meant to abolish the slavery-system from the world by gradual and most wise steps. It resorted to this course because it was impracticable to eradicate overnight a system which was deeply rooted in social and economical life.

*The Relation Between the Ruling and Ruled In Islam* :

Authority in Islam belongs to the Nation, which is the possessor of sovereignty and is empowered to elect the Head of State. help him by good advice and oust him should he deviate or do injustice. The Calif is not the representative of God nor

His viceroy on the earth. He is only a representative of the nation and its spokesman. The Four Wise Califs were clear about their position and knew that they were not successors to God but successors to His Messenger Muhammad in ruling the nation according to the Divine revelation. It is reported through Imam Ahmad that when it was said to Abu Bakr: O Calif of God, he said: I am the Calif of the Messenger of God, and I am satisfied with that. Moreover, when he was appointed to the Califate, he made a famous policy statement in which he said: "I have been chosen as your Head of State, but I am not the best of you. So if you find me right, help me; and if I am wrong correct me. The strong among you is weak with me until I take all dues from, and the weak among you is strong until I restore his right to him. Obey me as long as I obey God, but if I disobey Him, I have no right to your obedience."

Furthermore when Umar Ibn Abd-al-Azeez was appointed Calif, he made a public speech in which he said: "I am only like anyone of you, but God has shouldered me with a heavier burden." This is the real status of Califs in Islam. The Calif is not necessarily the best person, although he is charged with the heaviest responsibility. He is a representative of the nation and a paid employee. This fact was clear to the Califs themselves, to the learned men, the literary figures, the poets and finally to the majority of the public.

It is reported through the great authority of Traditions Imam Bukhari that Aishah, the prophet's wife and daughter of Abu Bakr the First Calif, said: "When Abu Bakr was appointed, he said: My people know well that my profession could produce sufficient provisions to maintain my family, but I have become concerned with the affairs of Muslims. So my family will depend in their livlihood on what they receive from the Treasury as I shall be working for Muslims."

This is the function and status of the Ruler in Islam. He is an employed servant paid by the nation which appoints him and supervises his deeds to help him when he is right and correct him should he deviate.

When Abu Muslim Khawlani, the reverend doctor of Islam, once came in where Muaawiyah the fifth Calif was sitting, he said to him in frank words; "Peace be upon you, O hired employee." The company of Muaawiyah suggested to Abu Muslim to say: Peace on you O prince, but he paid no attention

to them and repeated his earlier words with the same frankness. They tried again their suggestive remark and he insisted on what he had already uttered. Then Muaawiyah interfered and said: " Let Abu Muslim go his way, he knows better what he says. "

This Islamic principle is well-established and affirmed, and has been observed by Muslim rulers so much so that it became known to all sections of the people. Muslims of different backgrounds consider the Califs and rulers as ordinary men whose infallibility and superiority to other people is no article of faith, and whose injustice and corruption instigate severe criticism from all public sides. This is not only in theory but olso in practice. It has been exercised on many occosions. For example, the famous poet Abu Al-Ala Al-Maarri launched his attacks against his contemporary rulers and governors, when they went wrong and abused their power forgetting their real status as hired employees. Moreover, a nomad once was admitted to the audience of a cretain Caliph, who was sitting on a higher place while the people were below him. Then the nomad asked the Caliph: " Are you God ? " " No, I am not God, " he replied. " Are you Gabriel ? " " No, " he said. The nomad added: " You are neither God nor Gabriel, so why do you sit higher ? Step down and sit with the people ".

These are a few examples but are very significant. Thay prove the practicability of the mentioned principle of the Status of the ruler and the rights of the people. This principle was clearly conceived and properly observed by Muslims. The result was that every individual felt conscious of his responsibility and personality as to guard the truth and justice, command the good and shun the indecent. It is with such a spirit that an ordinary woman stood bravely in the mosque to oppose the Calif Umar who felt no humiliation or harm to declare to the people that the woman was right and he was mistaken.

### *The Policy of Islam in War:*

For thirteen years starting from the advent of Islam the Muslims suffered all kinds of harm and persecution. They fled twice to Abyssinia and were finally driven from their homes and properties without any just cause, leaving behind their weak brethren in Mecca to face torture and cruelty from the idolators. Then they felt inclined to take revenge from the wrong enemy, but the Messenger exhorted them to patience and asked them to await the decree of God as he was not by then ordained to fight.

Dictionary states the following : "religious instinct is unanimously shared by all human races. It is even shared by the barbrous and savage races. The humanity at large takes great interest in pondering upon the heavenly concepts as well as the metaphysical concepts."

The philosopher Henrie Bergson says : "there had existed and still exist some human groups without sciences, arts and philosophies, but there had never existed any group of individnals without religion or belief."

Earnest Renan in a treatise on the *history of religion* [illegible] feasible that any thing we [illegible] decay and the freedom to [illegible] sceience and industry may [illegible] ctioning, but it is quite [illegible] that religion can be [illegible] It rather stands as a co[illegible]u-ment against the fall[illegible] doctrines of materialism which desirously attempt to confine human thought to mean and narrow passages of the mundane life."

Mr. Muhammad Farid Wagdi comments on this quotation by saying: " Nay; It is impossible that the idea of religiousness can be eradicated because it represents the most sublime centiments of the human-being. Therefore the natural tendency to religion will continue d[illegible] ted in the heart of man [illegible] has sound mind to differ[illegible] ween beauty and ugliness.

*Faith in God is an intellectual requirement.*

It is evident that faith in a Supreme Power, which initiated this universe and maintained its discipline, is an intellectual necessity. This is because the naive human mind firmly believes in the principle of causation and always inclines to justification and reasoning. If there is no religion or faith, the question aroused by the Qur'an will have no answer, which question reads as follows: " or were they created out of nothing ? Or are they the creators ? " ( Surah. 52, V. 35 ).

Evidently they were not created from nothing nor did they create themselves, then it is inavoidable to recognize the existence of [illegible] God who is the Creator, the Kno[illegible] and the Wise.

As for those who evaded [illegible] the recognition of the [illegible] Divinty because it is unseen, in[illegible] ble and not subject to exper[illegible] tests could not deny utterly [illegible] existence of managing power, [illegible] they resorted, however, to an[illegible] vague and esoteric power [illegible]

nature. Pagans and heathens as in this concern were more logical and reasonable. When they were asked to identify who had created both heavens and earth, they said: God;

"Say: 'Who provides you out of heaven and earth, or who possesses hearing and sight, and who brings forth the living from the dead and brings forth the dead from the living, and who directs the affairs? They will surely say, 'God.''. [Surah 10, V. 31).

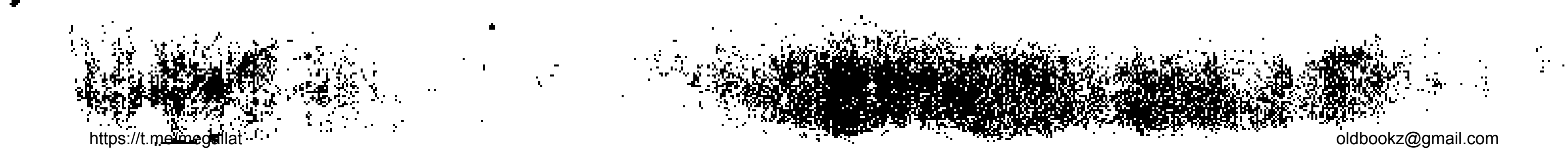
*Sending of prophets is a manifestation of God's mercy.*

Thanks to the conclusive wisdom and to the comprhensive mercy of God, the people were not left to go astray or to wonder aimlessly. He sent them messengers and prophets from amongst themselves to warn them and, at the same time, to give glad tidings about the boons of the Hereafter. Those Messengers were provided with heavenly Scriptures and commandments thereby they could set the people on the right path, to judge among them with equality and to lay down the foundations of a virtuous and dignified life. The Qur'an refers to that by saying: ". . . So that mankind might have no argument against God." (Surah. 4, V. 165).

Furthermore, the most pervaded wisdom of God necessitated that the messengers should be human individuals, not angels, selected from amongst their own people in order to be well-acquainted with their conditions, with their life, and to sympathise with their joys and sorrows. Some short-sighted persons, however, made an objection against the humanity of the prophets. The answer to this came in the Qur'an in the following verses: "Say, if there were settled, on earth, angels walking about in peace and quiet, we should certainly have sent them down from the heavens an angel for a messenger," (Surah. 12, V. 95) and: "God did confer a great favour on the believers when He sent among them a messenger from among themselves." (Surah 3, V. 164).

God purveyed those messengers with conclusive arguments as well as with clear proofs to show His approbation and to back their messengership. Such backing was so clearly defined that it convinced all fair and just people and made them believe wholeheartedly in the call of those prophets. The Qur'an refers to such an attitude by saying: " Lord, we believe in that You have sent down, and we follow the messenger. Inscribe us therefore with those who bear witness. " (Surah. 3, V. 46)

Another striking example of turning to the right is that related by the holy Qur'an about the magicians of Pharoah who, for their good fortune, had given up blasphemy



and turned to sound faith. Saying, according to the Qur'an,: "We belive in the Lord of Aaron and Moses . . ." (Surah. 20, V. 70) and also saying: "Never shall we regard you as more than the clear signs that have come to us, or than Him Who created us." (Ibid V. 72).

Throughout all the ages God have sent prophets and messengers to be guiding lights to their peoples and sound educators and were counsellors to them. Such messengers were continuously sent to the people to lead them to the right path until God crowned religions by Islam and ended all messages by the ever-lasting mission of Muhammad son of Abdullah, who was sent to be a mercy to the whole universe: "We have not sent thee, save as a mercey unto all beings". (Surah 21, V. 105).

*The message of Islam* :-

It would be a serious mistake to depict Islam as an unheavenly message merely invented by a human mind, or to illustrate it as a social phenomenon emerging from some historical effects or some economical factors. Whoso believes in such an idea is only deceiving himself and lying to the people as well. He is shutting his eyes and eclipsing his reason to the true facts around him. Furthermore, he ignores the authentic history and misconceives the practical and social facts of the Arab peninsula before and after Islam; simply because the conditions of the Arab tribes at Mecca and its outskirts are well-known in history. It was the life of nomadism and travelling, commerce and amusments, ventures and raids.

As for their belief it is known that each tribe had its own idol to which it devoted worship. The Kaaba (Sanctuary) was honoured and glorified by all tribes. It was their habit to bring their idols around the Kaaba until the number of these idols reached three hundred and sixty. Paganism was not a superficial phenomenon in the life of the Arabs but it was penetrating deeply theirein. The manifestation of this was obviously seen in their pilgrimage, their vows and all their rituals. The Qur'an in this connection says: "Out of what God has produced in abundance in tilth and in cattle, they assigned Him a share: They say, according to their fancies: 'this is for God, and this for our partners'! But the share of their partners reaches not God, whilst the share of God reaches their partners!" (Surah 6, V. 136).

Belief in one God (Tahannof) was not known before Islam except to a throng of individuals who were so sound and reasonable that they

rejected to fall into the abyss of heathenism. They deserted the worship of idols and either followed the path trod by Abraham or embraced a divine religion such as christianity. The pioneers of this trend before the advent of Islam were of four persons : three of them were from the tribe of Quraysh namely: Amer Ibn Nofayl Ibn Abdu Ozza, Warake Ibn Nawfal-who already knew the old scriptures and adhered to christianity - and Othman Ibn Howayrith, and the fourth was Obaydullah Ibn Gahsh Ibn Asad. However, those four monotheists had utterly no impact upon their fellow men at any rate. This is why the call of the prophet Muhammad to monotheism was met at first by utter frustration and by entire rejection. The Qur'an in this respect says : " Has he made the gods all into one God ? Truly this is a wanderful thing. And the leaders among them go away (impatiently), (saying) Walk ye away, and remain constant to your gods ! For this is truly a thing designed ( against you ) ! We never heard ( the like ) of this among the people of these later days : This is nothing but a made - up tale. " (Surah 38, Vs. 5 - 7 ).

It was rather wise under such circumstances that the messenger of God, who was fully aware of the fanatical adherence of his people to their idols, did not openly declare his call to monotheism, and instead he sought the way to the fulfillment of this sacred objective in secret for three years long. Shortly afterwards and in response to God's command he began to announce his call in public to his close kinsfolk. Neverthless he did not find but a scores of sincere individuals who believed in his message. Simultanuously he togather with his companions had suffered torments and persecution for thirteen years of time. This persecution obliged him to give order to his followers to immigrate twice to Abyssinia. It was followed by a bleading conflict at Medina made by the heathens to defend their cult and to impede the upserge of the monotheist religion.

Is it logical then to assume that the Arab peninsula was evolving towards monotheism as a result of the interaction of some social factors, and that the belief in one God (tahannof) was a general phenomenon before the advent of Islam ?

*The Qur'an is the clearest proof of the message of Muhammad.*

It was natural that peoples in olden times might harbour doubt about the missions of the prophets and therefore had asked for èvidence. God consequently had backed His messengers by cosmic miracles fashionable to their times and similar to dexterities exercised by their peoples such as magic vis-a-vis Moses and medicine in connection with Jesus.

Because the message of Muhammad is conclusive, ever-lasting and addressed to all mankind the wisdom of God had backed him by a comprhensive and immortal miracle as well; which is an abstract and intellectual sign i,e., the glorious Qur'an. God refers to this miracle in the Quranic texts by saying : " Yet they say : 'why are not signs sent down to him from his Lord ?' Say : the signs are indeed with God and I am indeed a clear warner. And is it not enough for them that we have sent down to thee the Book which is rehearsed to them ? Verily, in it is mercy and reminder to those who believe. " ( Surah 29, Vs. 50-51 ). The glorious Qur'an constitutes so many miraclous aspects which lie in its inimitatability and which had strongly retorted the pretexts of the unbelievers, silenced their tongues and brought their arguments to naught; "Let them then produce a recital like unto it,—If (it be) they speak the truth." ( Surah 52, V. 34 ) : " Or they may say : he forged it. Say ; bring ye then ten suras ( chapters ) forged, like unto it, and call ( to your aid ) whomsoever ye can, other than God — If ye speak the truth." ( Surah 11, V. 13 ) ; " And if you are in doubt as to what we have revealed from time to time to Our servant, then produce a Sura ( chapter ) like thereunto ; and call your witness or helpers ( if there are any ) besides God ; if your ( doubts ) are true." ( Surah 2, V. 23 ).

Thus the unbelievers had met their utter defeat and faced thir impotence thanks to the startling challenge of the Qur'an. Such defeat was recorded in history and expressed by the Qur'an when saying. " Say : if the whole of mankind and the Jinns were to gather together to produce the like of this Qur'an, they could not produce the like thereof, even if they backed up each other. " ( Surah. 17, V. 88,).

This clear Book had managed to create the most momentous revolution which turned the face of history. It was a psychological as well as social revolution which had led to the establishment of a strong nation by directing it to the right path and by unifying its scattered groups. Consequently it had attained, by virtue of the Qur'an, an integral status, an ideal legislation, morals to conduct its behaviour, means leading to prosperity, and a universal message to be addressed to the whole of mankind; " It is He Who has sent amongst the unlettered a messenger from among themselves, to rehearse to them His signs, to sanctify them, and to instruct them in Scripture and wisdom - Although they had been, before, in manifest error; - As well as ( to confer all these benefits upon )

others of them, who have not already joined them: And He is exalted in might, wise ". ( Surah 62, Vs. 2-3 ).

*The Qur'an is a miracle and guide.*

Apart from all other Scriptures the Qur'an stands unique by being a miracle as well as a guide; "a guide to mankind, also clear Signs ". Howevere if the miraclous sign proved to be in accordance with the spirit of the message, then it would be more indicative of the truthfulness of the messenger and would give him more support than the outward miracle. To illustrate this idea some learned men gave the following example. If there be a man in a city-wherein diseases are spread-claiming to be a physican, and forwarding as a proof of his plea a book written by himself dealing with medicine and adding that patients will find their cure in such a book. If such a book on being examined by other physicians well versed in their subject proved to be the best book bearing on that subject, and if such a physician diagnosed the people's illness and prescribed for them the medicine leading to their recovery; could such a plea be disputed after being confirmed by practical as well as theoritical proofs ? Definetly no one can doubt the authenticity of such clear plea.

If in a likewise manner we apply this reasoning to a more sublte matter that is curing of spiritual and moral maladies the result should be more striking because the treatment of physical maladies is not easy as the treatment of physical ailment. It is rather more subtle and difficult to be attained.

It is a well attested fact that the Qur'an includes the sound creeds, the sublime morals and the origins of social and civil legislation. It is well known too that the prophet, may the blessings and peace of God be upon him, had successfully treated by the virtue of his holy book a people of long-established conflict illiteracy and idolatrous vices. Such people through his treatment recovered and became unified, sophisticated, wise and masters of numerous countries. However it is more striking to notice that the man who attained this success had been illiterate with no background either in science or politics. If the afore mentioned physician proved his claim by means of an action which is unfamiliar to the people and has no bearing on medicine, his claim would propably be suspected. Similar is the case with the prophet Muhammad in his claim that he was sent by God to guide the whole of mankind. His Book, which proved to be sound, is more indicative that it is a revelation from God than the rod of Moses which became snake and the dead womb

Jesus brought forth alive. Because these two miracles, though unusual, are not a means of instruction and guidance nor are they pertaining to medicine. Therefore their indication is not intrinsic.

However, the doing of supernatural miracles is less important than the making of supreme, divine and legislative sciences without having any sort of knowledge. Yet the Qur'an anticipates the hidden matters in the past and the future, and its teachings lead to success and prosperity. The Qur'an thus is a clear proof that its spiritual as well as social remedy is only revealed by God, the Wise, the Sustainer, and no person whosover can oppose or doubt it.

*Was there any opposition to the Qur'an?*

After the shining success of the Islamic call in the Arab peninsula there appeared, for psychological as well as tribal reasons, some persons who claimed themselves to be prophets. What their proofs, their books and their achievements ? The following may give answer to this question.

In the nineth and tenth years after the Immigration there had been some individuals who claimed themselves as prophets. They were : Musaylama of the tribe of Hanifa which had envied Quraysh because the messenger of God belongs to it, Al-Aswad El-Ensi who appeared at Yamama, Talha Ibn Khowayled El-Asadi who appeared within the tribe of Asd and Sagah daughter of of El-Harith who had Known christianity before and who appeared in the tribe of Taghlib.

The different narrations, however, tell us that such pseudo prophets had made books to oppose the Qur'an. But history and literature did not preserve any trace of their works except that had been introduced as anecdotes or Jokes.

The false allegation of these feigned prophets had not managed to stand upright in face of the strong march of Islam. No sooner had they proclaimed their absurd calls than they had met their utter defeat and profane destiny. Some of them had died and others embraced Islam and became sincere believers such as Talha who had joined the army and fought heroically in the way of God to atone for his Past attitude against Islam; " Nay, We hurl the truth against falsehood, and it knocks out its brain, and behold, falsehood does perish ! " [ Surah. 21, V. 81 ].

In the Abbaside Caliphate some narrations stated that there had been an opposition to the Qur'an but these narrations were not backed by factual texts. For instance Ibn Kayyem al-Jozyyeh and al-Bakellani stated that Ibn al-Mokaffa had been reciting

the Qur'an until he reached at the following verse : "At length, behold ! There came our command, and the fountain of the earth gushed forth!" and went on reciting until God's saying : " Away with those who do wrong." ( Surah. 11, Vs. 40-44 ), then he said with admiration : this can not be challenged at all by any human being " and burnt what he had invented. Furthermore, El-Bakellani goes on to say : "there had been persons who assumed that Ibn El Mokaffaa had opposed the Quran in his book titled *the Unique pearl* -Aldurratul Yatim-"; but El Bakellani failed to find any thing in Ibn El-Mukaffaa's work that might be held as an imitation of the Qur'an.

There was also Aboul - Alaa El Maarri who had been accused by the sin of imitating the Qur'an. But El-Rafei, the Egyptian writer, refuted this charge very strongly. Dr. Taha Hussein, the contemporary Arab writer, refuted as well what had been attributed to Aboul El-Alaa.

The latest attempt of such fraudulent prophets, who claimed to be in touch with the divine revelation, is seen in the assumption made by Mirza Gholam Ahmed El Quadyani-the Indian-, Mirza Ali El-Bab and his disciple El Bahaa.

Fortunately, the followers of those fabulous prophets do not show us what they assume to be Qur'anic verses and hide it in such a manner as it was something to be ashamed at. Whoever manages to read their books will see nonsense and absurd words and ideas. He will be profoundly confident that the Qur'an is the genuine revelation of God: "This is a Book, with verses basic or fundamental ( of established meaning ), further explained in detail from One Who is Wise and Well - Acquainted ( with al things ). " ( Surah. 11. V. 1 ).

*Islam is a belief as well as a system of life.*

Islam is not, as being held by short-sighted individuals, a theological religion nor is it a mere belief taking only into account the spiritual side of man while leaving aside the organization of his relations with the universe, with life and with his fellow human beings whether they are individuals or families or nations. In the contrary Islam is a comprhensive belief out of which an integral as well as a universal system comes forth on which a balanced and universal nation is based. Such nation is depicted in the Qur'an as follows: " And thus We have made you an exalted nation that you may be the bearers of witness to the people." (Surah. 2, v. 143) ; "You are the best nation raised up for men : you enjoin good and forbid evil and you believe in God." (Surah 3. V. 109).

*The merits of the Islamic belief.*

The Islamic religion has its own

merits and characteristics which other religions are lacking · It is a clear and simple belief which may be expressed in the idea that there is beyond this disciplined and unique universe One God who had created and regulated it, and who had destined every thing in this universe. This God has no associate, no counterpart, no wife and no son but "To Him belongs whoever is in the heavens and the earth." ( Surah. 21, V. 19.).

This belief is plain and acceptable. Because the human mind seeks always association and unity beyond the apparent variation and multiplication. It incessantly tends to refer all things to one cause. The uniform fact also proves that the multiplication of wills does not produce an integral conclusion or lead to a coherent system. The glorious Qur'an assures this fact when stipulating that: "God has not taken to Himself a son nor is there with Him any (other) god-in that case would each god have taken away what he created, and some of them would have overpowered others." ( Surah. 23, V. 92): "If there were in them gods besides God, they would both have been in disorder." ( Surah. 21, V. 22).

Moreover it is not a belief alien to human nature nor does it contradict this nature at any rate. It is rather in complete harmony and accordance with this nature. The Qur'an illustrates this notion plainly when saying: "So set your face for religion, being upright, the made by God in which He has created men. There is no altering God's creation. That is the right religion-but most people know not. (Surah. 30, V. 30).

It is as well a fixed and defined belief which is not subject to increase or decrease, distortion or change. No ruler whosoever or scientific synod or religious congregation is alowed to make addition or adjustment in this belief. Any addition or adjustment will be held invalid and will only express the point of view of such innovator. The messenger of God in this respect says: " Whoso produces any idea alien to our injunctions will be responsible for this and his innovation will be only ascribed to him " and the Qur'an says : " Or have they associates who have prescribed for them any religion that God does not sanction" (Surah 42. V. 21).

Thus all innovations, superstitions and supplements maliciously entered into Muslim beliefs or foisted into their books or treachrously propagated among uneducated masses are false, unreliable and thoroughly rejected by Islam.

*Misconception of predestination and choice*

Predestination and choice were

and still from amongst the most amazing and disputable topics which human mind failed to find out solution or reach a decisive conclusion, and in which philosophers, ethicalists, psychologists and educationalists had disputed so far as philosophy and research are concerned.

Islam in this connection is the balanced religion which is in complete harmony with sound nature and the tangible reality.

Man in view of the belife of predestination and choice is completly free and responsible for his actions and self in the domian of his optional activities. He is at absolute liberty to do or abstain according to his own common sense and feelings.

The Qur'an gives full support to this attitude in the following verses: " So let him who please believe, and let him who please disbelieve." (Surah. 81, V.29). "There is no compulsion in religion — the right way is indeed clearly distinct from error." ( Surah. 2, V. 256 ). " Surely this is a Reminder: so whoever will, let him take away to his Lord. " ( Surah. 76, V. 29 ). " To him among you who will go forward or will remain behind " (Surah. 74, V. 37 ) " Whoever does good, it is for his own soul: and whoever does evil, it is against it. And thy Lord is not in the least unjust to the servants. " ( Surah. 41, V. 46 ) " If you do good, you do good for your own souls. And if you do evil it is for them. ( Surah. 17, V. 7 ). " God imposes not on any soul a duty beyond its scope. For it is that which it earns ( of good ) and against it that which it works ( of evil ). " ( Surah. 2, V. 289 ).

In addition to the above mentioned verses there are many in the Qur'an which stipulate and decree man's liberty, gains and responsibility; "That no bearer of a burden bears another's burden: And that man can have nothing but what he strives for: And his striving will soon be seen. Then he will be rewarded for it with the fullest reward." (Surah, 53, V. 5. 38-41).

This positive attitude adopted by the Qur'an has been backed by a strong campaign against the determinists who ascribe their blasphemy and sins to Fate under the pretext that their actions are directed by the will of God.

In four Suras (chapters) of the Qur'an God, the Almighty, refutes this false assumption. In the Cattle chapter He says: "Those who are polytheists say: If God pleased we would not have set up (aught with Him) nor our fathers, nor would we

have made anythig unlawful. Thus did those before them reject (the truth) until they tasted our punishment. Say : Have you any knowledge so you would bring it forth to us ? You only follow a conjecture and you only tell lies." (V. 159). He also says in the chapter of th Bee : "And the idolators say : Had God pleased, we had not served aught but Him, (neither) we nor our fathers nor had we prohibited aught without (order from) Him. Thus did those before them. But have the messengers any duty except a plain delivery (of the message)." (V. 35). He further says in the chapter of Yasin : "And when it is said to them : Spend out of that which God has given you, those who disbelieve say to those who believe : Shall we feed him whom, if God please, He could feed ? You are in naught but clear error. " [ V. 47 ]. And finally He says in the Chapter of Gold : "And they say : If the Beneficent had pleased, we should not have worshipped them. They have no knowledge of this; they only lie. " ( V. 29 ).

By such strong and clear regoinders to the old determinists the decisive attitude taken by the Qur'an towards the question of *the human will and Divine will*, is obviously conceived.

Neverthless, man is not actually at absolut liberty or at complete choice in the sense that he does all what he pleases and abstains from all what he displeases; because if he were really free in that sense he would certainly be a God.

No one, whatever his staunch support to the human liberty may be, can deny the determinism of the human will. This is why the authorities concerned always refer it to hiriditary or environmental factors or to both of them. Some philosophors express this notion by saying : " Man is free in a domain of fetters and limits"

The dialictical materialists have even tied man to means of productions as well as to the economical phenomena which direct his way of thinking, his course of behaviour and his current affairs. Thus they degraded man and brought him to the most repugnant standard of determinism when they have made of him a humble slave of matter not a master of it as ordained by Islam.

This well attestad fact, the limitedness of the human will, is decreed by Islam in a way more honourable and dignified to man than that of the materialistic and traditional determinism. Man, from Islam's point of view, is at liberty and choice in the range of what God had ordained of rules being carried out by His will and power according to His knowledge

and wisdom, and which are applying to all creatures including man himself. Man is free because God wants him to enjoy liberty, and has his own will for God says: " But you will not except as God wills." (Surah. 76, V. 30.)

There is no wonder then when we read in the Qur'an the combination of both the liberty of the human will and the mastery of Divine will which appears in the following verses: " Verily, all things have We created in porportion and measure." (Surah. 54, V. 49): " And if thy Lord had pleased, all those who are in the earth would have believed." (Surah. 10, V. 99): "Doer of what He intends." (Surah. 85, V. 16) and " Surely thy Lord makes plentiful the means of subsistence for whom He pleases, and He straitens." (Surah. 17, V. 30).

Muslim's belief in Fate, however, does not represent any determinist dogma nor does it express the accidentalists trend. but it is rather the belief in that the universe is heading to an ultimate end and that it is regulated by a Supreme Power. How can it be otherwise while God's knowledge fully comprises every atom in heavens and earth, and directs it according to His conclusive wisdom and mercy? " And not the weigt of an atom in the earth or in the heaven is hidden from thy Lord, nor anything less than that nor greater, but it is (all) in a clear book". (Surah. 10, V. 61).

Belief in Fate as such depicted does not at any rate contradict the exertion of efforts and the search of whatever possible means to carry out one's own affairs. This is simply because God had ordained causes and means, introductions and conclusions. He had not destine success without any work, but had ordained it through its due means of unflagging efforts, of caution vigilance, patience, endurance and so forth.

Taking means then does not oppose Fate but in fact is implicitly included in God's Fate. Therefore when the messenger of God was asked this question: " could you prevent the occurance of God's Fate ? " in view of remedies and ways thereby evil might be evaded, his unequivocal answer was: " all happenings are ordained by God's Fate. " Furthermore when epidemic disease was prevailing in Syria Omar Ibn El-Khattab, after his consultation with the companions, had decided not to enter it and returned back with his company. Some companions said to him: " do you run away from God's destiny O Prince of Muslims ? " He said "yes; I run away from God's desting to face God's destiny in other from."

The messenger of God, though having the strongest faith in God's Fate, was fully aware of the necessary measures and means to be taken. He therefore, had taken necessary precauitons, mobilzed armies,sent reconnaissance patrols, fought full-armed and had followed the most advanced rules of tactics and strategy.

Although the question of predestination and choice was clear enough in Islam, as we have already seen-through texts, practice, theory and application- the messenger of God, peace be upon him, had ordered his companions to block the way of fruitless discussion about such delicate questions in which the human mind had failed to reach a sound solution for long ago, in order they might escape dissension and divergence of views.

Refering to this question Shaykh Muhammad Abdu had said : " unfortunately some persons who have evil intentions appeared among the Muslims from amongst the Persian and Roman subjects who feigned to be muslims and who brought to Islam what they have had of dissension and hypocrisy. They disobeyed God and his messenger when they violated Their order of forbidding discussion of Fate, and misled Muslims through their ambiguous and absurd words. They even disintegrated their unity and God says to His messenger concerning this attitude : " As for those who split up their religion and became sects, you have no concern with them." (Surah. 6, V. 160).

"Such was a group of determinists who were weak and helpless whose plea could not stand sound reasoning, and whose actions had been so repulsive that they were expelled from the domain of religion. It was left lagging behind until it was fully uprooted. This gave impetus to the prevalence of the tendency calling the majority of Muslims to adopt the trend of moderation between detereminism and choice which is the trend calling to serious activities and true faith.

*Faith In Resurrection* :

Some Materialist pedants often try to spread doubts about the belief in resurrection and other eschatolgical doctrines, like that of the Day of Judgement, Paradise and Hell-Fire to which doctrines references are made in the Qur'an and all the other Divine Scriptures. In a sarcastic manner they comment on the Qur'anic verse " Perhaps the Hour is nigh " ( Surah. 42, V. 17 ) by remarking that a period of more than thirteen centuries has elapsed yet, the Hour has not come as yet. They forget or overlook that measurement of time is a relative question, and that a thousand years or more is only a short time in the account of history,

especially if we take into consideration what geologists say about the estimated age of the world, which goes back millions and millions of years. The Materialists disregard another significant fact, when they do not realize that Muhammad is the last Prophet and his message is the final word from God to mankind. Should they conceive this fact, they would find it easy to clearly understand what the word " nigh " in the verse means, because they will then know that since there is no prophet after Muhammad nor is there any message after his until the day of Resurrection, the Hour is coming and nigh.

The Hereafter is another creation wherein every person will receive a fair return for what he or she has done in first life. In many cases this present life falls short of rewarding the good people for their deeds and punishing the mischievious for what they might have committed. Faith in a Wise, Just God leads by necessity to the belief in the existence of that other life to be. This is the logic of faith in God Who ordained the Hereafter " that He may reward those who do evil for that which they do, and reward those who do good with goodness" (Surah. 53, V. 31 ) Belief in Resurrection is the logical conclusion of man's creation and his responsibility; " Do you then think that We have created you in vain, and that you will not be returned to Us " ( 5. 23, V. 115 ) " And We created not the heaven and the earth and what is between them in vain. That is the opinion of those who disbelieve. So woe to those who disbelieve on account of the Fire. Shall We treat those who believe and do good like the mischief-makers in the earth ? Or shall We make the dutiful like the wicked ? ( Surah. 38, Vs. 27 — 28 ). If there were no belief in Resurrection, the justice of God and the very principle of laying responsibility on man's shoulder would be very critically questionable; an attitude which could produce nothing but chaos and destruction.

It should be borne in mind, however, that belief in the Hereafter does not mean giving one's back to life and being indifferent to the serious course of events on dependent on others with indulgence in vain wishful thinking. Happiness in the Hereafter is not attainable except through persistent work and serious endeavours. " It will not be in accordance with your vain desires nor the vain desires of the people of the Book. Whoever does evil, will be requited for it and will not find for himself besides God a friend or a helper. And whoever does good deeds, whether male or femal, and he ( or she ) is a believer — these will enter

the Garden, and they will not be dealt with a whit unjustly " ( Surah. 4, Vs 123 — 124 ).

It is sufficient to support this argument that the Messenger of God-peace and blessings be upon him-and his Companions as well as their pious successors did not conceive life or live it except as an aspect of serious undertaking and earnest endeavour. It was this spirit that made them surpass other peoples in every field of life. They did not remain stagnant or lazy awaiting the peace of the Hereafter and the boons of the Garden. They could not do it because the Qur'an, their right guide, says : " And say, Work; so God will see your work and ( so will ) His Messenger and the believers. And you will be brought back to the Knower of the unseen and the seen, then He will inform you of what you did " ( Surah. 9, V. 105 ). " He it is Who made the earth subservient to you, so go about ( working ) in the spacious sides thereof, and eat of His sustenance. And to Him is the rising ( after death ) " ( Surah. 67, V. 15 ). Again it says : " O you who belive, when the call is sounded for prayer on Friday, hasten to the remembrance of God and leave off traffic. That is better for you, if you know. But when the prayer is ended, disperse abroad in the land and seek of God's grace, and remember God much that you may be successful " ( Surah. 62, V, 6 - 10 ).

*The System of Islam:*

Islam has a very unique and universal system which is closely associated with all aspects of life. It is concerned with the individual and the society and is interested in life at large. In a very fair manner and on a well-balanced scale Islam deals with all aspects of life, spiritual and material, personal and social, local and international. No matter is over-rated at the expense of another, but justice in all sides prevailes. Unlike other religions, it does not wear a material uniform or take a material view of life, nor does it over-estimate the spiritual elements of existence. It draws a balance-line between the individual and his society without making the former dominate the latter as is the case with capitalism, or vice-versa, as is the case with communism.

All this is because Islam is not the production of an unguided revolution-resulting as a reaction to corrupt conditions or to oppose extreme right with extreme left, as was the case with the unguided revolutions which introduced weak and shaking systems that were the subject if common complaints and inevitable alterations. The system of Islam is not

**made by an individual or any group** of individuals directed by their cultural beckgrounds or environmental circumstances or legacies, not to mention their caprices or passions, to introduce a subjective system doomed to deficiency and change. Islam is the system of God Who is the Lord of men and is free from bias and partiality to any race or class or genertation. He is the Lord of them all and they are His servants. He knows their interest and His mercy is so comprehensive that He does not over-task them: "God desires ease for you, and He desires not hardship for you . . . " (Surah. 2. V. 185).

*Worship is God's Alone :*

The first article in the faith of Islam is the organization of relationship between God and His bondmen. Mankind do not create themselves nor do they invent any of the many embracing dooms and universal graces in the heaven and the earth. But it is God Who creates them, bestows favours on them and honours them from among his creatures. [illegible] that is, they ought to be thankful to Him as He [illegible] on them and worship Him alone without associating any partner to Him. And this exactly what Islam ordains in the words of the Qur'an "And they **are enjoined naught but to serve** God, being sincere to Him in obedience, upright, and to keep up prayer and pay the poor-rate, and that is the right religion" (Surah 98, V. 5).

Moreover, Islam does not only confine worship to God alone, but also purifies the rituals from all the idolatrous accretions and innovations invented by the followers of different sects to lay barriers between God and His bondmen and to establish a system of priestly intercession between the Heaven and the earth. Prayer in Islam is a devotion to God only in which man turns his face wherever he happens to be to the Lord without dependence on the permission of any relegious minister. The prayer-leader in a congregational service, which is more preferable to private worship, is not a man of priestly rights but is one of the congregation. They let him lead their prayers for his knowledge or piety and check his recitations to correct him, if he makes any mistake. He cannot assure any member of the congregation that his prayer will be accepted by God because the final word on acceptance is God's only Who knows the truthful from the otherwise, and Who "accepts only from the dutiful" (Surah 5, V. 27).

The Islamic prayers with their manners, their time-tables, their conditions and recitations are peculiar

to Islam as they were not known to any religion before Islam. They are the daily contact between the Muslim and his Lord. They are the effective means of purifying the body and the soul, of cultivating the sound conscience and developing decent morals; " Surely prayer keeps ( one) away from indecency and evil ... " ( Surah. 29, V. 45 ). They are, especially when performed in congregations, a strong social bond and a practical lesson by which Muslims practise discipline, brotherhood and equality. The condition which enjoins upon all Muslims to turn their face to one direction towards Mecca ( Makkah ) while praying is profoundly significant as it trains them to be whole-heartedly united in aim, opinion and tendency.

Pilgrimage, another fundamental pillar of Islam, is a journey in which the Muslim turns his heart and body to the House of God at Makkah, the House which was built by Abraham to be the symbol of monotheism and unity. When Abraham, father of the prophets and the enemy of idolatry, established it, God ordained him to proclaim to men the pilgrimage; " And when We pointed to Abraham the place of the House, saying : Associate naught with Me, purify My House for those who make circuits and stand to pray and bow and prostrate themselves. And proclaim to me the Pilgrimage : They will come to thee on foot and on every lean camel, coming from every remote path" (Surah. 22, Vs. 26-27).

This form of worship, started with Abraham as entirely pure for God, was abused and spoiled. The succession of time together with ignorance, caprices and superstitions drove the people out from the path of God to indulge in idolatry and associate images with God. They laid down idols in the House of God to worship them and offer oblations to them, mixing whatever was left of the monotheistic rituals with the accretion which they invented.

When Islam came to find the said condition, it removed all traces of idolatry and abolished the remaining forms of Pastnership in Divinity. Upon the triumphant return of the Prophet Muhammad to Makkah he smashed with his own hands the idols which were set around the House of God at Makkah (the Kaabah), saying : " The Truth has come and falsehood vanished. Surely falsehood is ever bound to vanish" (Surah. 17 V. 81). Thus the House was made pure for God alone and the institution of Pilgrimage restored to its fromer state in the days of Abraham. In forms and slogans, in intention and practice pilgrimage was one again designated to God.

The rituals of pilgrimage are associated with certain place in the sacred city of Makkah only because it is the land of remembrances, the legacy of Abraham and the cradle of the Call. All the rituals performed by the believers in the course of pilgrimage are indicative symbols of suggestive revelation. They have no value or significance in themselves because they are meant for the glorification of God and submission to His ordinances. It is reported that Umar, the Second Caliph and great Companion of the Prophet, stood before the Black Stone in the Kaabah and said : " I kiss you although I know that you are a stone incapable of doing any harm or causing any benefit. And had I not seen the Messenger of God kiss you, I would have never done so. "

In view of these explanations, would there be any ground for the superficial outlook of those who say that the Muslims make pilgrimage to a stone and bow down in prostration before it, seeking its blessings or graces ? Any such allegation is a mere nonsense. Pilgrimage is a pointed mote in the eyes of the enemies of Islam because it is the most impessive Divine convention to which the Muslims come from everywhere in the globe to enjoy the mutual feelings of a common Islamic brotherhood and joint aims, and to dicusss their affairs in co-operative and most understanding manners as to return to their previous state of dignity and power; to be new the best nation raised up for men by enjoining good and forbiddding evil and by believing in God.

It is these Divine principles that vex the blind enemies of Islam and make them hit at random. The advocates of chaos and enemies of humanity stay restless when they face any organized course of relationship either between man and man or between man and God. This is why they look to Islam with unhappy eyes and shamelessly invent all sorts of lies and alle,ations to set barriers between men and Islam. But we believe that all this will be in vain once Islam is properly presented and correctly represented. It is our hope, however, that the short account given of these two forms of worship (Prayer and Pilgrimage) will be a sufficient expression of the spirit of Islam in drawing the course of relations between God and man.

*Human Relations* :

Now let us consider how Islam organizes the course of human relations among people. Has Islam ever supported the feudalists, or recognized social injustice, or helped a class of society against another, or favoured the strong at the expense of the




weak ? Has Islam left society to be dominated by artificial barriers of discrimination on the basis of race or colour or inherited nobility ? This is what we shall give answers to in the following pages.

The lightest examination of the teachings of Islam demonstrates that it is not a religion of any particular class or any special group, but is a religion socially founded on the bases of fraternity, justice and equality. These bases are clearly represented in the rituals and worships of Islam as well as in its economical and political systems.

*The Relation Between the Rich and the Poor :*

Islam admits the instinctive dissimilarity of people in abilities and natural gifts, faculties and capacities, and it accepts, therefore, their reasonable and instinctive dissimilarity in sustenance. Islam as a religion which recognizes the natural instincts of man and things, sublimes them and does not conflict with them accepts individual ownership as long as it comes from lawful sources. By this attitude Islam means to satisfy the instinctive motives and human desires for ownership competition and saving. But it does not regard the individual property which is obtained through illegal means like usurpation and stealing whether this latter is in apparent or hidden forms such as gifts presented to rulers, exploitation of influence, accepting bribes and taking other people's properties by subtle manners. On the contrary, it confiscates all holdings of this sort however long they remain in the holders' hands, because length of time and succession of day and night do not allow the forbidden or make the prohibited lawful.

In Islam man is not the real owner of property and cannot do with it what he pleases. All holdings belong in fact to God alone. This statement means that they belong to the entire society, and the rich man is a mere employee appointed to take care of what he holds, invest it and spend it in such a way as to agree with the interest of society, without inflicting any harm upon it. In other words, as the Qur'an puts it, the *rich* person is only a successor; "and expend of that unto which He has made you successors" (Surah 47, V. 6); "and give them (the earnest slaves who seek emancipation) of the wealth of God that He has given you" (Surah. 24, V. 33).

Ownership, therefore, is a social function, and the wealthy person is tasked with financial duties to his society the least of which is giving *alms* (Zakah). This is not a voluntary

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٢٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الأول — القاهرة : المحرم سنة ١٣٧٨ — يوليو ( تموز ) سنة ١٩٥٨ — المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

## فى عامنا الجديد

«نسميه «عاما» تبعا لما اصطلح الناس عليه من قياس أعمار الأمم بدورات الأفلاك ، ولو أنصفنا العهد الذى نعيش فيه من ستة أعوام ، معتبرين السنة بما تنطوى عليه من أحداث ، وما تقطعه الأمة فيها من مفاوز نحو الهدف الأعظم ، لاعتبرنا العام الواحد عصرا كاملا . وكم من أمة تتمنى لو تقدمت نحو أهدافها العظمى فى عصر كامل ، بمقدار ما تقدمنا نحن نحو هدفنا الأعظم فى العام الهجرى الذى ودعناه ، لنستقبل أخاه الذى احتفلنا بمولده ، وبذكرى هجرة قدوتنا الأعلى صلوات الله وسلامه عليه .

تواترت علينا نعم الله وآلاؤه فى العام المنصرم كالعين الثرة الدافقة بالحياة والبركة والقوة ، وكان من أبرك هذه النعم امتداد يد الشام ليد مصر — بصدق وإخلاص وإيمان — للاتحاد والتعاون على تحقيق رسالة العروبة والإسلام والتعايش الكريم . وكان المتمردون على الله من صنائع الاستعمار فى العراق يريدون أن يظهروا العراق بمظهر المعوق لتلك الرسالة الإلهية ، فقصم الله ظهورهم ، وجعلهم عبرة ونكالا لكل متمرد جبار . وها قد امتدت يد العراق الأصيلة للتعاون مع يد مصر والشام ، على توجيه القافلة فى صراط الله المستقيم ، فكان لنا من نعم الله السابغة فى يوم واحد ، ما كنا نرجو أن يكون فى أعوام طويلة ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . . .

وفى فاتحة العام الجديد نضرع إلى الله سبحانه أن يديم علينا آلاءه متوالية نامية ، وليذكر بعضنا بعضا بأن النعم تدوم بالشكر عليها ، وأصدق أساليب الشكر على النعم حسن استعمالها ، والتقرب إلى الله بطاعته والتماس مرضاته . وإلى اللقاء على هذه الصفحة فى العام الآتى إن شاء الله »

« المجلة »

# صاحب ذكرى الهجرة

## فى بعض ما امتاز به على جميع رسل الله

---

امتازت الرسالة المحمدية ، على جميع ما تقدّمها من رسالات الله إلى الناس ، بامتيازات لا تزال العقول تقف منها على الشئ بعد الشئ ، ما تعاقب التفكير ، وما تجدّدت ذكريات صدر الإسلام ، وما تحرّى البشر حقائق الأشياء معترفين بها ومغتبطين .

وقد سبق لى فى مقال « الجيل المثالى [١] » أن استعرضت شعوب التاريخ ، وتلاميذ الأنبياء والحكماء والمصلحين : من موسى ، إلى كونغ فوتس ( الذى يسميه الإفرنج كونفوشيوس ) ، إلى حواريى المسيح ، فانتهت المقارنة بين تلك الأجيال والجيل المحمدى إلى أن الإنسانية ـ من أقدم أزمانها ، وفى مختلف أوطانها ـ لم تشهد « الجيل المثالى » إلا مرّة واحدة حين فوجئت بإقبال تلاميذ محمد عليها من صحارى أرض العرب ، يدعون إلى الحق والخير ، بالقوة والرحمة ـ قوة الأخلاق وهى من عناصر إيمانها ، ودعوة الرحمة وهى روح ذلك الإيمان ـ فكانت المفاجأة عجيبة بمصدرها ، وكيفيتها ، وأطوارها . ثم كانت عجيبة العجائب بنتائجها التى لا تزال إلى اليوم من معجزات التاريخ . وإن الإنسانية وقد وقفت يومئذ تتساءل ، ولا تزال إلى اليوم تتساءل : أين كان هؤلاء ، وكيف تكوّنوا على حين غفلة من الأمم ؟ وما هذه الرسالة التى يحملونها ، وكيف نجحت ، وما هى وسائل نجاحها ؟ سلسلة من الأسئلة ، لا يكاد الناس يتساءلون بأوّلها ، حتى يفاجئوا بما ينسيهم تاليه أوّله . . .

إن تلاميذ صاحب هذه الهجرة وحدهم ـ دون غيرهم من أهل الكتب السماوية فى رسالات الله ـ قد حفظوا للانسانية كتابهم الإلهى كما أوحى به إلى رسولهم ، فكانوا يذخرونه فى صدورهم : الآية مع الآية ، والسورة بعد السورة ، ويكتبون ذلك فى الرقاع والعسب واللخاف ، ثم يجمعونه ويرتبون آياته فى سورها كما كان يعلمهم الهادى الأعظم .

---

[١] مجلة الأزهر ، جزء جادى الآخرة سنة ١٣٧٣ : ص ٦٤١ — ٦٥٠ .

فكان للإنسانية مصحف التنزيل الإلهي بمخارج حروفه يومئذ ونبراتها ، وإمالاتها ومدودها ، وغنتها وإشمامها وإدغامها ، بدقة وأمانة لم يسبق لها نظير في أمة من الأمم . ثم تناقلوا ذلك بالتلقي والتلقين ، حافظا عن حافظ ، من الفم إلى الفم ، كما لا نزال نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا إلى زماننا هذا ، وسيبقى ذلك ما دام في الأرض بشر ، حتى لقد اعترف أشنأ الشانئين ـ فضلا عن جماهير المسلمين ـ بأنه لم يحفظ « نص » على تعاقب الأجيال ، من آدم إلى الآن ، كما حفظ هذا القرآن الحكيم . ولا تستطيع ملة من الملل التي كانت قبل الإسلام أن تدعي لكتابها مثل هذه المزية ، ولا قريبا منها ، ولا أدنى من ذلك ، ما دامت للتاريخ مقاييس، وللعقول أنظمة وقواعد، وللعلوم سنن وضوابط .

وكما كانت للقرآن هذه العناية الدقيقة من نفوس الجيل المحمدي ، كذلك كان لهم الشغف العظيم بحفظ كل ما يتصل برسالة الهادي الأعظم من سيرته وأحواله وأقواله وأفعاله وتوجيهاته وتصرفاته . وإن سيرته ـ صلوات الله عليه ـ وأحواله ، وأقواله ، وتوجيهاته ، وتصرفاته خزينة وثائق ونصوص كان من أعظم الخير للإنسانية أن تحفظ ، وأن يتواصى الناس بالعمل بها . وقد بلغ من اهتمام ( غير المسلمين ) بهذه الخزانة الثمينة من وثائق الإنسانية أن عمدوا إلى كل لفظة من ألفاظها فجعلوا لمجموعها معجما مفهرسا سيكون بأضعاف حجم ( النهاية ) لأبي السعادات بن الأثير ، لا ليذكروا معاني الغريب من ألفاظ السنة ، بل ليدلوا على مكان كل لفظ من ألفاظها بالجزء والصفحة ، أو بالكتاب والباب ، من صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد . فإذا كشف الباحث عن أي لفظة من أي حديث فسيجد في هذا المعجم مكان استعمالها في هذه الأمهات العظيمة من كتب السنة المعتبرة . وقد بدأ بتأليف هذا المعجم المفهرس أ . ى . ونسنك الهولندي إلى أن مات ، فقام على المضي فيه صديقه وتلميذه ى . ب . منسنك إلى أن مات ، فواصل عملهما من بعدهما ك . أدريانسي و و . ب . دى هاس و ى . ب . فن ، ويساعدهم على إكمال طبعه بالإعانات المالية المجامع العلمية البريطانية والدنيمركية والسويدية واليونسكو والهيئة الهولندية للبحث العلمي البحت والاتحاد الأممي للمجامع العلمية . وآخر ما علمت قد طبع منه بمطبعة بريل في ليدن بهولندا سنة ١٩٥٦ الجزء الثالث والعشرون إلى حرف العين ( مادة : عدو ) ، وهذا المعجم شهادة عملية من الإنسانية على أهمية هذا التراث المخلد في تاريخ العلم والتشريع والتوجيه الإنساني .

إن كتاب الله المنزل على خاتم رسله ، والذخيرة الإنسانية التي اذخرها تلاميذ محمد لأجيال المسلمين من أقوال الهادى الأعظم وأفعاله وتوجيهاته ، تتألف منهما رسالة الإسلام . ولتحقيق هذه الرسالة وتعميمها وتخليدها ، هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى دار الهجرة والنصرة ، وسنرى في اللمحات الآتية - وهي لمحات موجزة خاطفة بقدر ما يتحمله المقام - كيف عنى الصحابة بحفظ السنة المحمدية وتحميل أماناتها لتلاميذهم من التابعين ، إلى أن تولى رجال التدوين تسجيلها في أصح ما يمكن للبشر أن يدونوه من تراث الإنسانية التاريخي والأدبي .

روى أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى في صحيحه ( كتاب المظالم ٤٦ ، الباب ٢٥ ) عن عبد الله بن عباس أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال له : « كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم ، فينزل هو يوما وأنزل يوما ، فاذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره ، وإذا نزل فعل مثله » .

وقال البراء بن عازب الأوسي : « ما كل حديث سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشتغلين برعاية الإبل ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون مافاتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمعونه من أقرانهم وممن هو أحفظ منهم ، وكانوا يشددون على من كانوا يسمعون منه » .

وكان من حرص الصحابة على حفظ السنة المحمدية والتثبت منها وتعميم العلم بها ، أن الواحد منهم لا يقتصر على ما سمعه بنفسه ، بل ينشر ما حدثه به إخوانه . وقد رأيت كيف كان عمر يتناوب مع جاره الأنصاري النزول من عوالي المدينة إلى مجالس الرسول صلوات الله عليه ، ورأيت قول البراء بن عازب إن الصحابة كانوا يطلبون ما فاتهم سماعه من رسول الله فيسمعونه من أقرانهم وممن هو أحفظ منهم ويشددون على من كانوا يسمعون منه . وأورد الحافظ ابن حجر في ترجمة عبد الله بن أنيس من كتاب الإصابة عن الإمامين أحمد والبخاري وغيرهما أن الصحابي ابن الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال : بلغني حديث في القصاص وصاحبه بغزة ، فرحلت إليه مسيرة شهر .

وروى الإمام النووي شارح صحيح مسلم في كتابه ( بستان العارفين ) ص ٤٣ بسنده إلى جابر بن عبد الله أنه خرج على بعير له يجوب الآفاق في البحث عن صحابي بلغه أنه سمع

من النبي صلى الله عليه وسلم حديث « من ستر على أخيه المؤمن فكأنما أحياه » ولما دخل البلد الذى قيل له إن ذلك الصحابى مقيم فيه أرشده بعضهم إلى منزل أحد الصحابة ، فلما سأله عن الحديث قال له : لست أنا ذاك ، ولكن ذاك رجل يقال له شهاب ، فخطر على بال جابر أن يسأل حاكم البلد - واسمه مسلمة - عن شهاب هذا ، فأتى بيت الحاكم وقال للبواب : قل للأمير ينزل إلىّ . فدخل البواب على الأمير وهو يبتسم ، فقال له الأمير : ما شأنك ؟ قال : رجل على بعير قال « قل للأمير ينزل إلىّ » . فقال الأمير : ألا سألته من هو ؟ فرجع البواب فسأله ، فقال له : أنا جابر بن عبد الله الأنصارى . فرجع إلى الأمير وأخبره . فوثب الأمير من مجلسه فأشرف عليه وقال : اصعد . فقال جابر : ما أريد أن أصعد ، ولكن حدثنى أين منزل شهاب؟ قال : اصعد فأرسل إليه فيقضى حاجتك . قال : لا أريد أن يأتيه رسولك ، فان رسول الأمير إذا جاء رجلا راعه ذلك ، وأنا أكره أن يروع رجل من المسلمين بسببى . فنزل الأمير يمشى مع جابر بن عبد الله حتى أتى شهابا فسمع منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على أخيه فكأنما أحياه » .

هذه صورة من عناية أصحاب رسول الله فى حفظ أمانة السنة ، والسفر فى الصحارى وقطع المفاوز لتلقى الحديث الواحد من فم الذى سمعه مباشرة من رسول الله . ومثل هذه الجهود للحصول على الحديث الواحد قبل أن يضيع بوفاة صاحبه ، دليل على عظيم عناية الصحابة بالنصوص الصادرة عن نبيهم صلوات الله عليه ، وبذل الجهد فى نشرها وتعميمها .

قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى ( ٣٢١ - ٤٠٥ ) فى كتابه ( المدخل إلى كتاب الإكليل فى أصول الحديث ص ٧ - ٨ ) وقد ألف قبل أكثر من ألف سنة : « روى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة صحبوه نيفا وعشرين سنة : بمكة قبل الهجرة ، ثم بالمدينة بعد الهجرة ، حفظوا عنه أقواله وأفعاله ، ونومه ويقظته ، وحركته وسكونه ، وقيامه وقعوده ، واجتهاده ، وعبادته ، وسيرته ، وسراياه ، ومغازيه ، ومزاحه وزجره ، وخطبته ، وأكله وشربه ، ومشيه ، وسكونه ، وملاعبته أهله ، وتأديبه فرسه ، وكتبه إلى المسلمين والمشركين ، وعهوده ومواثيقه ، وألحاظه ، وأنفاسه ، وصفاته . هذا سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة ، وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام ، أو تحاكموا فيه إليه » .

وفى عصرنا هذا ، ألقى علامة مسلمى الهند السيد سليمان الندوى رحمه الله ثمانى محاضرات على الجامعيين من جميع الأديان فى جامعة مدراس الهندية ، قارن فيها بين الرسالة المحمدية ورسالات جميع الأنبياء والمصلحين ، وأعلن أن محمدا وحده هو ( الإنسان

التاريخى ) الذى عرف الناس دخائله ومظاهره وجميع أحواله ، وحفظوا عنه ما لم تحفظه أمة عن أحد غيره من الأنبياء والقادة . ومما قاله ( الرسالة المحمدية ص ٧٧ - ٧٨ ) : « إن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لأصحابه ولمن يحضر مجالسه أن يبلغوا عنه لمن غاب عنها ، وهذا الإذن عام لما يكون عنه فى بيته وبين أهله وعياله ، أو ما يصدر عنه فى حلقته مع أصحابه ، أو ما يقفون عليه من أعماله وأقواله ، عند تعبده فى مسجده ، أو قيامه على منبره خطيبا ، أو جهاده فى ساحة الحرب تجاه أعدائه وهو يسوى صفوف المجاهدين فى سبيل الله ، أو إذا خلا إلى ربه فى حجرة منعزلة فى بيته يعبد الله ويتضرع إليه ، فكان أزواجه وأصحابه يتحدثون جميعا بكل ما يصدر عنه من قول أو عمل . ثم إنه كان تجاه مسجده صفة يأوى إليها فقراء الصحابة ، ولم يكن لسائرهم عمل غير صحبة النبي ولزوم مجالسه ليحفظوا عنه ما يقول وما يعمل ، ثم يروونه للناس بعناية وأمانة . وقد بلغ عدد أهل الصفة هؤلاء سبعين رجلا كان منهم أبو هريرة الذى لم يكن صحابى أكثر منه حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء السبعون كانوا كأنهم جواسيس الحكومة وعيونها فى نشاطهم وإخلاصهم لما يسرهم الله له من حفظ كل ما يستطيعون حفظه مما يدخل فى موضوع الحديث النبوى . وإذا ارتحل الرسول عن المدينة فى غزوة أو حج كانوا معه ، وكذلك غيرهم من الصحابة ، حتى لم تخف عنهم خافية من أمره . ولما كان فتح مكة كان معه من أصحابه عشرة آلاف ، ولما سار إلى تبوك كان فى معسكره ثلاثون ألفا ، ولما حج حجة الوداع حج معه فى تلك السنة مائة ألف مسلم ينطبق عليهم عنوان « الصحابة » . وما منهم إلا من يحرص على الوقوف على شئ من هداية نبيه صلى الله عليه وسلم أو أى أمر من أموره فيتحدث عنه . بل هو الذى أمرهم أن يبلغوا عنه ما يسمعون منه أو يرون من تصرفاته . فما ظنكم به بعد ذلك ، هل يخفى عن التاريخ وجه من وجوه حياته أو ناحية من نواحيها ؟ هذا من جهة أصحابه ، وأما أعداؤه فإنهم أفرغوا جهدهم واستنفدوا سعيهم ليقفوا على دخيلة من دخائله وليؤاخذوه بحقيقة يعلمونها عنه ، فلم يستطع أحد منهم أن يجد له ناحية ضعف . وأقصى ما استطاع أعداؤه فى كل زمان أن يقولوه : إنه سل سيفه للقتال ، وإنه كان كثير الأزواج ، وقد تبين لهم أن حياته الطاهرة هى العصمة من كل نقص » .

إن محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبيُّ الوحيد من أنبياء الله الذى كانت حياته كلها مكشوفة للتاريخ : فى منزله ، وفى المجتمع . ويقول المؤرخ الانجليزى جيبون إن محمدا كان من حياته فى امتحان نجح فيه النجاح الأعلى دون غيره من عظماء الأرض . والمنصفون من غير المسلمين قالوا فى نبينا مثل هذا وأكثر منه . وقد كان من رسالته صلوات الله عليه أن يبين القرآن للناس ، فالسنة والحديث مجال هذا البيان ، ومن كمال هذا البيان

الوضوح البليغ فى عرضه وتبليغه . روى الإمام أحمد عن وكيع عن سفيان عن أسامة عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : « كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلا ، يفهمه كل أحد ، ولم يكن يسرد سردا » . ورواه أبو داود عن أبى شيبة عن وكيع . وكان ذلك ليحسنوا وعيه منه ، وتبليغه للناس ، وقد كانت أوامره قطعية فى حجة الوداع : « ليبلغ الشاهد الغائب ، فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه » ، « فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

من هنا نشأ الحديث النبوى ، فيما بين صاحب الرسالة والذين أرسله الله إليهم . ومن هنا كان لصاحب هذه الهجرة الامتياز على جميع رسل الله فى حفظ تراثه العظيم الذى لو اعتبرناه مادة من مواد التاريخ لما رأينا فى مواد التاريخ الأخرى ما يدانيه فى الصحة وتحرى الأمانة فى نقله من جيل إلى جيل . وإذا كان الذين يطيلون ألسنتهم بالتشكيك فيما صح عند المسلمين من حديث نبيهم يحابون مواد التاريخ الأخرى ، فلا يلمزونها بما يلمزون به الحديث النبوى ، فلا شك أن ذلك منهم إما عن جهل بما امتاز به تمحيص الحديث النبوى على كل حديث غيره ، والجاهل لا ينبغى له أن يتعرض لما هو جاهل به . أو لأنهم مدفوعون إلى ذلك بإحنة أو سخيمة ينطوون عليها للإسلام وصاحب رسالته وجهود أمته ، فهم إذن أعداء ، والعدو لا يقبل قوله فيمن يعاديه . أما المدسوس فملا على رسالة الإسلام من الأحاديث الموضوعة والواهية ، فعلماء هذا الشأن من أسلافنا وأئمتنا هم الذين فضحوه وأعلنوا سقوطه وألفوا الكتب فيه وفى الذين اجترءوا على وضعه من أعداء أو جهلاء ، فالتذرع بالموضوعات والأحاديث الواهية للتشكيك فى الأحاديث الصحيحة والحسنة لا يجوز صدوره عن رجل يحترم التاريخ ، لأن حظ الحديث النبوى والسنة المحمدية من التمحيص والتحرى أسمى من حظ كل ما يحترمه الناس ويعتمدون عليه من مراجع التاريخ فى جميع أمم الأرض . والفضل فى تمحيص الحديث ، وتمييز الطيب منه عن الخبيث يرجع إلى أئمتنا وعلماء حديث نبينا ، وإنهم قد أحاطوا بذلك واستقصوه ولم يتركوا بعدهم مقالا لقائل ، من عالم أو جاهل .

ومما لغطوا به ولاكته ألسنتهم من أساليب التشكيك أن الحديث نقل من جيل الصحابة إلى تلاميذهم من التابعين بالحفظ والتلقى والتلقين ، لا بالكتابة والتدوين . وهل اختار الله لحفظ القرآن إلا طريقة التلقى والتلقين قبل الكتابة والتدوين ؟ وليخجل هؤلاء من مصطفى صادق الرافعى وهو يقول لهم : كانت العرب أمة أمية لا يقرءون إلا ما تحفظه

الطبيعة ، ولا يكتبون إلا ما يلقنون من معانيها . فيأخذون عنها بالحس ، ويكتبون باللسان فى لوح الحافظة ، فكان كل عربى - على قدر وعيه وحفظه - كتابا أو جزءا من كتاب . وكانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمنى فى إحصاء الأخبار والآثار . ولو أن الكتابة كانت فاشية فيهم ما عداوا إليها ، ولا استغنوا بها عن الحفظ . لأن سبيل تلك المعانى الطبيعية أن تجىء من أداة طبيعية أيضا ، حتى تكون عند الخاطر إذا خطر ، والهاجس إذا بدر . وليس لذلك غير اللسان .

وقال أبو عمر بن عبد البر فى جامع بيان العلم ( ١ : ٦٩ ) بعد أن استعرض أقوال الذين كانوا يمنعون من كتابة الحديث فى الصدر الأول : ومن ذكرنا قوله فى هذا الباب فانما ذهب فى ذلك مذهب العرب ، لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ ، مخصوصين فى ذلك . والذين كرهوا الكتابة - كابن عباس والشعبى وابن شهاب والنخعى وقتادة ومن ذهب مذهبهم ، وجبل جبلتهم - كانوا قد طبعوا على الحفظ ، فكان أحدهم يجتزئ بالسمعة ( أى يحفظ من السماع مرة واحدة ، وبعد أن ضرب المثل على ذلك قال ) : وهؤلاء كلهم عرب ، وقال : النبى صلى الله عليه وسلم : « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » . وهذا مشهور أن العرب قد خصت بالحفظ : كان أحدهم يحفظ أشعار بعض من سمعة واحدة . ومن أقوالهم « حرف فى تامورك خير من عشرة فى كتبك » . والتامور : علقة القلب .

وروى أبو حاتم عن الأصمعى أن يونس بن حبيب سمع رجلا ينشد :

استودع العلم قرطاسا فضيعه ... وبئس مستودع العلم القراطيسا

فقال يونس : قاتله الله ما أشد صيانته للعلم إن علمك من روحك ، وإن مالك من بدنك ، فصن علمك صيانتك روحك ، وصن مالك صيانتك بدنك .

وانشد عمر بن أبى ربيعة المخزومى عبد الله بن عباس قصيدته :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد ، أم رائح فمهجر ؟

وهى تقرب من سبعين بيتا ، وكان نافع بن الأزرق الخارجى يسمع ، فلما انتهى عمر بن أبى ربيعة من إنشاد قصيدته قال ابن الأزرق : لله أنت يابن عباس ، أيضرب الناس إليك أكباد الإبل يسألونك عن الدين ، ويأتيك غلام من قريش ينشدك سفها

فتسمعه ؟ قال ابن عباس : تالله ما سمعت سفها . قال ابن الأزرق : أما أنشدك :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزى ، وأما بالعشى فيخسر ؟

قال ابن عباس : ما هكذا قال ، إنما قال « ... فيضحى ، وأما بالعشى فيخصر »

فقال ابن الأزرق : وتحفظ الذى قال ؟ قال ابن عباس : والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أردها لرددتها . قال نافع : فارددها . فأنشده ابن عباس القصيدة وهى سبعون بيتا . قال الحافظ بن عبد البر : وليس أحد اليوم على هذا ، ولولا الكتابة لضاع كثير من العلم .

وهكذا لما كان الصحابة ومن لهم مزية الحفظ من تلاميذهم يكتفون بالحفظ ، كان من مصلحة السنة والحديث النبوى أن يتلقى الراوى عمن يثق به و بأخلاقه من الحافظين ، وأن يلقن الأستاذ من يثق بأمانته ووعيه من المتعلمين . فلما ضعف الحفظ حل محله التدوين والكتابة ومع ذلك فإنه فى الدور الذى امتاز أهله بالحفظ كانت توجد الكتابة ، وفى الدور الذى غلبت فيه الكتابة بقى كثيرون من الممتازين بالحفظ إلى زماننا هذا ، ولولا أن يتسع بنا القول لضربنا الأمثال والشواهد التاريخية على ذلك .

أما الكتابة فى العصر النبوى فالشواهد عليها كثيرة ، منها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده ( ٢ : ١٩٢ الطبعة الأولى ) ومثله فى ١٦٢ ، وأبو داود فى سننه ( ٢ : ٢٢ ) والحافظ ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ( ١ : ٧١ ) عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتنى قريش عن ذلك وقالوا : تكتب و رسول الله يقول فى الغضب والرضا ؟ فأمسكت حتى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اكتب ، فو الذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق » وأومأ بإصبعه إلى فيه .

وكان ابن فاتح مصر يسمى ما كتبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الصادقة ) ، انظر طبقات ابن سعد ( ٢ : ١٢٥ القسم الثانى طبعة ليدن ) وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ( ص ٩٣ ) وجامع بيان العلم لابن عبد البر ( ١ : ٧٢ ) . ومن الصادقة كان يروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . والذين يرون الحفظ أثبت من الكتابة كانوا يرون أحاديث عمرو بن شعيب دون المحفوظ .

وكان عبد الله بن مسعود يكتب . أخرج الحافظ ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ( ١ : ٧٢ )

عن مسعر عن معن قال : أخرج لى عبد الرحمن بن عبـد الله بن مسعود كتابا وحلف لى أنه بخط أبيه بيده . وكان لسعد بن عبادة كتاب أو كتب . روى الإمام أحمد فى المسند ( ٥ : ٢٨٥ الطبعة الأولى ) عن اسماعيل بن عمرو بن قيس بن سعد بن عبادة عن أبيـه ( عمرو بن قيس بن سعد ) أنهم وجدوا فى كتب ـ أو فى كتاب ـ سعد بن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد . وفى ترجمة عبـد الله بن عباس من كتاب الإصابة للحـافظ ابن حجر : روى محمد بن هارون الرويانى فى مسـنده عن عبيد الله بن على ابن أبى رافع قال : كان ابن عباس يأتى أبا رافع فيقول : ما صنع النبى صلى الله عليه وسلم يوم كذا ؟ ومع ابن عباس من يكتب ما يقوله أبو رافع . وفى طبقات ابن سعد (٥ : ٢١٦ طبعة ليدن ) عن موسى بن عقبة ( صاحب المغازى، المتوفى سنة ١٤١ ) قال : وضع عندنا ابن كريب مولى ابن عباس حمل بعير من كتب ابن عباس . قال : فكان على بن عبد الله ابن عباس إذا أراد الكتاب بعث إليه : ابعث إلى بصحيفة كذا . والصحيفة عنـــدهم الكتاب المحتوى على كراريس . وفى كتاب الأدب المفرد للبخارى (رقم ١١٣١ طبع السلفية ) صورة كتاب من زيد بن ثابت إلى معاوية فى خلافته عن ميراث الجد والجدة ، أورده البخارى لبيان آداب المراسلة بين الصحابة رضوان الله عليهم . وتاريخ كتاب زيد ابن ثابت إلى معاوية يوم الخميس اثنتى عشرة بقيت من رمضان سنة ٤٢ . وفى ( توجيه النظر ) لشيخنا الشيخ طاهر الجزائرى رحمه الله ( ص ٨ ) أن زيد بن ثابت ألف كتابا فى علم الفرائض . ولجابر بن عبدالله منسك صغير أورده مسلم فى كتاب الحج من صحيحه مطولا . وله صحيفة (كتاب ) ذكرها ابن سعد ( ٥ : ٣٤٤ طبع ليدن ) فى ترجمة مجـاهد ، وذكر أنه كان يحدث عنها . وفى جامع بيان العلم لابن عبد البر عن الربيع بن سعد قال : رأيت جابرا يكتب عند ابن سابط فى ألواح . ونقـل ابن القيم فى كتاب القياس فى الشرع الإسلامى (آخر ص ١٠٨ طبع السلفية سنة ١٣٧٥ ) عن الترمذى أن قتادة كان يحدث عن صحيفة سليمان اليشـكرى التى كتبها عن جابر عبد الله . وأبو هريرة صار يكتب ما حفظه قبل أن ينساه ، وكان قبل ذلك لا يكتب حتى أنه قال « لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم أكثر حديثا منى ، إلا عبد الله بن عمرو بن العـاص فإنه كتب ولم أكتب » ( جامع بيان العلم ١ : ٧٠ ) . فلما صار أبو هريرة يكتب بعد ذلك جعل يعتمد على كتابته . قال الفضل بن حسن بن عمرو الضمرى : تحدثت عند أبى هريرة بحديث فأنكره ، فقلت له : إنى سمعته منك ، فقال : إن كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى . فأخذ بيدى إلى بيته فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

قد أخبرتك أنى إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى . والذين يشككون أمة محمد صلى الله عليه وسلم بما حفظه عنه أبو هريرة من الحديث النبوى يتجاهلون أن الذين رووا عن أبى هريرة كان فيهم أقطاب التابعين وأعلام الإسلام كسعيد بن المسيب والحسن البصرى ومحمد بن سيرين وهذه الطبقة ، وهؤلاء ممن خالطوا أبا هريرة وعرفوه فى السراء والضراء ، وكانوا أحرص على حديث نبيهم وشريعته من أن يستقوها إلا من أصفى وأطهر ينابيعها ، وهم - بمعاصرتهم وواسع علمهم بالسنة المحمدية ، وصدق أمانتهم للاسلام - أعرف بصدق أبى هريرة من كل من يعصى الله - بعد أربعة عشر قرنا - بالبغى على هذا الصحابى الحافظ الصادق الذى يريد منا هؤلاء أن نعطل ما حفظه رضى الله عنه من سنة نبينا وأحكام شريعتنا ، فالله حسبهم ... ورأينا من يطعن فى أحاديث أبى هريرة يتابع أهواء مؤلف يسىء القول فى من هو أعظم من أبى هريرة ، فهل يريد مقلده أن يلقى الله بمقالة السوء فى أبى هريرة وحده ، أم بمن هو أعظم منه أيضا ؟

إن صاحب ذكرى الهجرة صلوات الله عليه إنما عاش ما عاش بمكة ، ثم تجشم ما تجشم للهجرة بأصحابه منها إلى المدينة ، ليحفظ للانسانية أمانة القرآن الحكيم ، وأمانة بيانه بالسنة المطهرة والحديث النبوى . وقد كان الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان يبذلون من مهجهم وجهودهم لحفظ هاتين الأمانتين كما كانوا يبذلون منهما فى مواقف الجهاد ، ولا نعرف فى كل ما نعرفه من محفوظ الخلف عن السلف - فى تاريخ أو أدب أو علم أو سياسة - شيئا حيط بالصيانة والعناية كما حاط بهما علماء الإسلام هذه الشريعة المطهرة ونصوصها الأولى . وهذه الميزة من أهم ما امتاز به صاحب ذكرى الهجرة على جميع أنبياء الله ، ومن أهم ما امتاز به الجيل الذى تولى تربيته هذا الرسول الكريم . وإذا شك أحد فى صحة ما صح عند أئمتنا من حديث نبينا فأجدر به أن يشك فى صحة كل ما نقلته الأمم من تاريخها وحكمتها وتراثها الإنسانى ، ولا يجرؤ على ذلك إلا معتوه ، أو عدو لا يستحى .

محب الدين الخطيب

# العـــام الهجرى

فى آخر لحظة من شهر ذى الحجة ، وأول لحظة من شهر المحرم ، يطوى سجل خاص لعام من أعوام التاريخ الهجرى ويفتح سجل آخر ، هـذا السجل الذى طوى قد حوى أحداثا للأمة العربية يقرؤها منهم المبصر والكفيف ويطالعها الأمى والقارئ ، ويتأمل فيها العالم والجاهل ، وقد صار هذا السجل الخاص جزءا من ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين جزءا من السجل العام للتاريخ الهجرى ولن تمتد إلى هذا السجل يد المحو والإثبات لا من الخالق القوى القادر ولا من المخلوق الضعيف العاجز ، فهو أشبه باللوح المحفوظ عند الله وكل ما يستطيعه المخلوق أن يعتبر بما فيه خاصة العقلاء المطلعين عليه ، فان رأوا الفساد والشر فيما فات ، أمكن أن يمنعوا حصوله فيما هو آت ، وتلك حكمة الحكماء والأثر الصحيح لتفكير العقلاء ، يستعرضون الأحداث ، ويبحثون بتدقيق ما دعا إليها وما نتج عنها وما يعود عليهم وعلى شعوبهم من بقائها ، كما يبحثون أنجع السبل لملاقاة ما قد يكون لها من أخطار ويسارعون لوضع الخطط الكفيلة للتخلص من شرورها ويعملون على تجنيب البشر ويلاتها ، وبمقدار حظ الأمة من هؤلاء العقلاء يكون حظها من الخير والرقى والفلاح ، ولنا أعظم الرجاء عند الله أن يكون للمسلمين عامة وللعرب خاصة من هؤلاء الأخيار العدد الوفير ، وأن يوفقهم الله ويوفق الأمة معهم لبلوغ أعلى الدرجات فى العلم والقوة وإسداء الخير للمسلمين والناس أجمعين .

ويجدر بنا قبل أن نستعرض بعض ما قد سطر فى سجل العام الذى انقضى من أحداث ، أن نذكر الناس بحدثى الهجرة والتاريخ الهجرى فنقول :

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من أول نبوته ثلاث سنين يدعو إلى الإسلام سرا ثم أعلن الدعوة فى الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافى موسم الحج كل عام ومواسم عكاظ ومجنة وذى المجاز ، يدعو الناس إلى الإيمان بالله ، وأن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، ويعرض نفسه على القبائل فلم يجد من ينصره ، وكان الأوس والخزرج يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيا من الأنبياء مبعوث فى هذا الزمان وسيخرج فنتبعه . فلما قدموا للحج ورأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الله عز وجل وتأملوا أحواله قال بعضهم لبعض والله إن هـذا للذى توعدكم به يهود المدينة فلا يسبقنكم إليه فلقيهم النبى صلى الله عليه وسلم عند العقبة فى الموسم وكانوا ستة من الخزرج فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا ، ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا إلى الإسلام فيها حتى لم يبق

بها دار إلا كان فيها ذكر للاسلام ، وفى العام التالى أقبل منهم اثنا عشر رجلا فبايعوا رسول الله على السمع والطاعة وأن ينصروه إذا قدم عليهم ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم ولهم الجنة . وفى العام الثالث قدم منهم سبعون أو خمسة وسبعون فبايعوا رسول الله على مثل ما تقدم بيعة العقبة الكبرى ، وأمر رسول الله بعدها المسلمين بالهجرة إلى المدينة ومكث ينتظر الإذن له ، وأذن له بالهجرة وأن يستصحب معه أبا بكر رضى الله عنه وكانت المدة التى أقامها بمكة بعد الرسالة ثلاثة عشر عاما .

فخرج من مكة لهلال ربيع الأول ووصل المدينة لاثنتى عشرة خلت منه ، فتلقاه الأنصار بسلاحهم وكبروا فرحا بقدومه وأحدقوا به فى مسيره حتى نزل بقباء ، فأقام أربع عشرة ليلة أسس فيها مسجد قباء ، ثم ركب إلى المدينة ، ولم تزل ناقته سائرة لا تمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه فى النزول عليهم وأمسكوا بخطام الناقة فيقول دعوها فإنها مأمورة حتى وصلت إلى موضع مسجده وبركت ، ولم ينزل عنها فنهضت وسارت قليلا ثم التفتت فرجعت وبركت فى موضعها الأول فنزل عنها وكان سرور الأنصار بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحيط به الوصف وفى ذلك يقول قائلهم :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لا يلقى حبيبا مواتيا
ويعرض فى أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فلما أتانا واستقرت به النوى ... وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وأصبح لا يخشى ظلامة ظالم ... بعيد ولا يخشى من الناس باغيا
بذلنا له الأموال من جل مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم ... جميعا وإن كان الحبيب المصافيا
ونعلم أن الله لا رب غيره ... وأن كتاب الله أصبح هاديا

ويفيض المؤرخون فى حديثهم عن الهجرة ، والباعث عليها ، وما كان لها من آثار سياسية وغير سياسية .

وإنما الذى يعنينا كرجال دين أن نبين أن هجرة رسول الله وأصحابه ما كانت فرارا بالدين فما كان محمد وخيرة أصحابه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من النخبة الطاهرة يخشون أن يفتنوا فى دينهم أو أن تزيغ قلوبهم بالاضطهاد والعذاب بعد إذ هداهم الله للاسلام فيفروا بدينهم فرقا وفزعا ، أجل ما كان محمد والمصطفون الأخيار من صحابته قد هاجروا فرارا بدينهم ولكنهم هاجروا ليكونوا فى موضع المهاجم بدعوة الإسلام حتى تكتسح أرض الجزيرة العربية ، ثم تنتفض فتعبر البحار والمحيطات إلى ما شاء الله من الأقطار

والآفاق ، وكان محمد وأصحابه يرون بنور الله فهو أعينهم التي بها يبصرون وآذانهم التي بها يسمعون وأطرافهم التي بها يبطشون و يمشون، وقد حقق الله كل ما كانوا يرجون فبعد أن كان يدخل الإسلام الفرد أو الاثنان والمتخفى الخائف أو الظاهر المستجير بدل الله كل ذلك وجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ؛ وانتشر نور الإسلام مع نور الشمس فأضاء العامر والخراب ، وانبسط سلطان التوحيد حتى على معابد الأوثان وبيوت النيران وتبخر الشرك فى الهواء ونضب معين الضلال فى الأرض وزلزل المضلون والجاحدون وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وقالوا آمنا برب العالمين .

ذلك حدث الهجرة - أما حدث التاريخ الهجرى فنجمله فيما يأتى : -

روى الثقات من المؤرخين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رفع إليه صك محله ( أى وقت حلوله ) شعبان فقال عمر أى شعبان هو - الذى مضى أم الذى هو آت أم الذى نحن فيه ، ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لهم ضعوا للناس شيئا يعرفونه ( أى يعرفون به التاريخ ) فقال قائل اكتبوا على تاريخ الروم فقيل إنه يطول لأنهم يكتبون من عهد ذى القرنين وقال قائل اكتبوا على تاريخ الفرس كلما قام ملك طرح ما كان قبله وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه نكتب منذ خرج النبى صلى الله عليه وسلم من أرض الشرك فاجتمع رأيهم رضوان الله عليهم على هذا مع اختيار اللفظ الجزل المختصر : من الهجرة : ثم نظروا كم أقام النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فوجدوه قد أقام بها عشر سنين فكتب أول التاريخ على هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لسنتين ونصف من خلافة عمر رضى الله عنه ، وكانت مدة خلافة أبى بكر رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال ، فيكون أصحاب رسول الله قد بدءوا التاريخ الهجرى بعد الهجرة بمدة أربعة عشر عاما وتسعة أشهر وعشر ليال .

والتاريخ الهجرى المنسوب إلى الهجرة لا يبدأ من الهجرة وإنما يبدأ من عامها لأن الهجرة كانت فى ربيع الأول كما قدمنا ، ومبدأ العام هو المحرم .

ويجدر بنا بعد أن ذكرنا حدثى الهجرة ، والتاريخ الهجرى أن نذكر بعض أحداث العام الماضى لنأخذ منها العظة والعبرة ، ونسترشد بها فى العام الآتى وما بعد الآتى فنقول :

أخطر أحداث العام الماضى وأعظمها الوحدة بين مصر وسوريا وما أفاء الله عليهما من نعمة الاستظلال بعلم واحد والاندماج فى جمهورية إسلامية واحدة تتآزر على النهوض بالإسلام والعروبة وتبذل النفس والنفيس لتحقيق كرامتها وعزتها ، وإنا لعلى يقين بأن الشعب السورى عريق التدين قوى الإيمان شديد الحفاظ على الأعراض يعطى الأسرة

حقها من العناية والرعاية ، كما يمنح المتجرو المصنع كل ما يحتاجان من مجهـود ونصب ، وهو مع هذا عزيز الجانب قوى الشكيمة لا يرضى بالضيم كما لا يرتضى الجور ، فهو بحق شعب للدنيا والدين .

وكم حمدنا الله على التوفيق لهذه الوحدة ودعوناه مخلصين أن تكون خيرا ويمنا للشعبين العظيمين ومبعث عز وكرامة للاسـلام والعروبة ، وتباشير الصباح الصبوح قـد ظهرت لذى عينين .

ولنا هنـا رغبات نسأل الله أن يوفقنا فيها وأن يمنـح أولى الأمر التوفيق لتحقيقها ولكن قبل أن نذكرها يجدر بنا إن نذكر ماصرح به الرئيس العاهل الحازم جمال عبد الناصر أن الثورة لا تدعى العصمة بالنسبة لجميع ما باشرته من أعمال وأن علينا أن نصحح ما قد يكون من أخطـاء ويكفى الثورة ورجالها أنه خطـأ كذلك نذكر ما أعلنه السـيد أنور السادات فى المؤتمر الشعبي بقنا أن الرئيس : جمـال عبد الناصر يطلب من كل مواطن أن يبلغـه عن الخطأ ويقترح طريق الإصلاح وعلل ذلك بقوله لأن الرئيس ورفاقه فى الحكم لا يمكنهم الإحاطة بكل شيء .

وقد رأينا رجال الدولة فى مصر وسوريا يبذلون الجهود فى سبيل توحيد القوانين ولو على سبيل التدرج ، وتوحيد القوانين بين القطرين اللذين أصبحا يكونان جسما واحدا هو الجمهورية العربية المتحدة أمر طبعى وصنن سياسى ممتاز ، ولكن هل المراد بتوحيد القوانين أن تسرى قوانين مصر على سوريا أم قوانين سوريا على مصر . المنطق والعقـل والحزم فى السياسة أن يبحث ذوو البصيرة والنور والعرفان فى القانون فما كان خيرا من غيره أتبع فى القطرين سواء أكان مصريا أم سوريا بل من الحزم أنه إذا ظهر فى القانون المختار بعض النقص أن يعدل بما يتلافى ذلك النقص .

ولهـذا نرجو ورائدنا الإخلاص لله وللدين والوطن أن يعاد النظر فى قانون توحيـد القضاء الذى هو فى الواقع إلغاء للمحاكم الشرعية وتحويل للفصل فى الأحـوال الشخصية إلى جهة غيرجهة رجال الدين وقطع لصلة الأزهر بهذا الفرع من القضاء وهو به أجدر .

وقـد امتلأت المجالس بالاعتراف بأنه لا يحسن القضاء فى الأحوال الشخصية غير رجال كلية الشريعه من الأزهر ولهذا جرى العمل فى وزارة العدل على أن القضاء المنفرد فى المحاكم الجزئية لا يباشره إلا القاضى الشرعى وفى القضاء الـكلى والعـالى يباشره القاضى

الشرعى بجوار القاضى الوطنى مع الاستعانة بمذكرات عضو النيابة الذى يجب أن يكون من رجال القضاء الشرعى ، وهذا يعطى صورة قوية الوضوح للشعور بضعف القاضى الوطنى فى ناحية الأحوال الشخصية و إن رجال القضاء الشرعى كأنما يقومون الآن بدور الأستاذ لتعليم القاضى الوطنى هـذا الفرع من القضاء - ولكن الواقع من ناحية أخرى أن هذا الدرس فى المحكمة لا يخرج القاضى الذى يجب أن يكون فى مستوى القاضى الذى درس هذه الناحية فى التعليم الابتدائى والثانوى والعالى وفى تخصص القضاء فى مدة خمسة عشر عاما .

و إنا لنهيب بلجنة التنظيم للقضاء وعلى رأسها رئيس محكمة النقض وهو رجل عليم بالقوانين محنك فى القضاء دقيق فى البحث والتحرى عن أحكم السبل الموصلة للعدالة أن تختار القاضى ذا القدرة البارزة على الفصل فيما يرفع إليه من قضايا الناس فى الأحوال الشخصية ، ونحن مطمئنون إلى أنها لن تجد ذلك القاضى إلا فى كلية الشريعة بالأزهر أو كلية الشريعة بسوريا .

ونعود من ناحية أخرى فنقول : إن الأزهر يرحب بكل إصلاح وتنظيم يرفع من شأن هذا القضاء و يدعم أركانه و يفسح المجال للعدالة .

و إذا كان للجنايات دائرة وللجنح دائرة وللأحوال المدنية دائرة وللأحوال التجارية دائرة ، فلماذا لا يكون للأحوال الشخصية دائرة يباشر الفصل فيها القضاة من كلية الشريعة ليسجلوا كما سجل أسلافهم من الأزهر تاريخا قضائيا مجيدا وليظهروا كما أظهر أسلافهم أفكارا متزنة نيرة تعتبر نبراسا فى العدل والإنصاف وقديما قيل أعط القوس باريها .

على أنه إذا كان أولو الأمر قد ارتاحوا إلى الوضع الحالى الذى يسير على أن يباشر هذا الفرع من القضاء القاضى الشرعى وحده فى القضاء المنفرد و يباشره مع غيره فى القضاء المشترك فلا مانع من بقاء هذا النظام واستمراره وذلك إنما يكون ببقاء تخصص القضاء بكلية الشريعة .

ولا يصح الاكتفاء بهذا النظام على أن ينتهى بانتهاء مدة الخدمة لرجال القضاء الشرعى الحاليين ثم ينفرد بالقضاء بعدهم القضاة من خريجى كلية الحقوق فان فى ذلك هدم صرح شامخ من العلم والفقه الإسلامى يقدره حق قدره علماء القانون وفى مقدمتهم رئيس لجنة تنظيم القضاء ، كما أن فى ذلك تعريض العدالة لخطر وشيك الوقوع .

ورئيس لجنة تنظيم القضاء الذى يرى تخصيص القاضى بناحية فى جميع مراحل القضاء لاشك أنه يرى أن من مصلحة العدالة تخصيص قاض بالأحوال الشخصية وأنه لا يصح

أن يملأ ذلك المركز إلا من مارس الأحوال الشخصية فى الدراسة خمسة عشر عاما ثم فى الكتابة بالمحاكم ثم فى عمل الموظف القضائى .

بهذا نتوجه إلى رجال الثورة و إلى الضمائر الحرة لرجال تنسيق القضاء بين مصر وسوريا ، و إلى كل ذى رأى حر والله الغيور على دينه وعلى العدالة نسأله أن يلهم الجميع الصواب و يوفقهم لإعلان كلمة الحق إنه سميع مجيب .

ومن أهم أحداث العام الماضى وأخطرها زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لجمهوريات الاتحاد السوفيتى تلك الزيارة التى زادت أواصر الصداقة بين الجمهورية العربية وجمهوريات الاتحاد السوفيتى توثقا وقوة ، وأعلن فيها كل منهما لصاحبه الحب و بادله الود والإخلاص ، ووقعت بينهما اتفاقات تجارة وتصنيع ، وبدأت فعلا ترد إلى مصر آلات المصانع وتتلاحق ، و يفد الخبراء والفنيون على الجمهورية العربية وفى تقدير رجال المال والأعمال، أنه لا تمضى فترة وجيزة إلا وتكون الجمهورية العربية قد شغلت المركز اللائق بها فى التصنيع والتجارة والزراعة ، وتصبح من الدول الكبرى فى الشرق ، وهذه بعض آثار تلك الصداقة هذا إلى مساندة روسيا التى تعتبر الدولة الأولى فى العالم لجمهوريتنا فى ميادين السياسة وفى مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وفى ميادين الحرب الباردة وفى كل موطن تحتاج فيه الجمهورية العربية بشطريها إلى سند قوى ومعين مخلص يساعدها فى درء قوى الشر والعدوان عنها .

وليست هذه الزيارة الكريمة تستدعى التجرد عن مبادئنا وخلع ديننا والتقمص بالمبادئ الشيوعية بل ولا تستدعى الصداقة بيننا و بينهم ذلك ولكن آثارها كما قلنا مبادلة الحب والإخلاص ، ولكل مبادئه وعقيدته بل ولكل سياسته ، ولهذا ما ترك الرئيس جمال عبد الناصر فرصة تمر إلا أعلن فيها سياسته الحيادية ورفع صوته جهوريا فى خطابه باستمساكه الشديد بسياسة الحياد الإيجابى على رءوس الأشهاد وعلى العالم أجمع ،تحت سمع و بصر أصدقائه الروسيين ، وقد عظم بذلك فى نظر ساستهم وقدروه حق قدره بشخصيته الفذة المستقلة ، فهو والحق يقال ، سافر إلى روسيا وقلبه يفيض بالإيمان بربه والتمسك بدينه ومذهبه فى سياسة الحياد الإيجابى والحرية التامة فى الرأى والاستقلال فى السياسة ، ثم عاد كما ذهب وقلبه مطمئن بالإيمان ومذهبه السياسى أقوى وأوثق وصلاته برجال السياسة فى العالم أوسع وأشمل .

فلله الحمد أعظم الحمد على هذه النتيجة الباهرة السعيدة ، فقل للذين يخشون علينا الشيوعية من اتصالنا بروسيا ، اطمئنوا فالرئيس الحازم ورفاقه من رجال الثورة أقوياء الإيمان بربهم وثيقو التمسك بدينهم و يحتفظون لجميع الأديان السماوية بحقها ، و يمنحون الحرية لمن يدين بها كما يسمح بذلك الإسلام ، قل للذين يخشون علينا الشيوعية من اتصالنا

بروسيا اطمئنوا على دينكم ودولتكم ، فما دام الأزهر قويا يؤدي رسالته ، وما دام الأزهر عزيز الجانب فلا خوف على الجمهورية العربية بشطريها ولا على سائر بلاد العروبة من الشيوعية والمذاهب الهدامة وإني أسأل الله من أعماق قلبي أن يديم الأزهر في مصر قويا عالى المكانة وضاءا يشع نوره على جميع الأقطار الإسلامية والعربية إن ربي لسميع لدعاء.

وآخر الأحداث الخطيرة في العام الهجري المنقضي حدث الثورة العراقية فهو بحق مسك الختام لحوادث هذا العام .

ففي الساعة الثالثة صباحا من يوم الاثنين المبارك السادس والعشرين من ذى الحجة سنه ١٣٧٧ هـ ( ١٤ يولية سنة ١٩٥٨ م ) بدأ زحف الجيش العراقى الباسل بقيادة فريق من الضباط الأحرار يتقدمهم الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ولم تمض أكثر من ساعة حتى كانت الثورة قد سيطرت على جميع المرافق الهامة .

وفى الساعة الرابعة أعلن مذيع محطة بغداد ما يأتى :

فى ليلة ١٤ يولية سنة ١٩٥٨م بدأ الزحف المقدس ــ الجيش العراقى الباسل نفض عبء الاستعمار عن كاهله ــ أفاق العرب من نومهم ــ سطعت أنوار الحرية ــ عمت الابتسامات أبناء الشعب ــ كان تحرير العراق حلما أصبح الآن حقيقة .

ثم أعلنت إذاعة بغداد أن الجيش قرر انتهاء عهد الملكية وبدء الحكم الجمهورى ــ وتأليف مجلس سيادة برياسة الفريق الركن نجيب الربيعى ويتمتع هذا المجلس بسلطات الجمهورية ويقوم بانتخاب الرئيس ــ وتألف مجلس وزراء برياسة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم .

واستمرت الثورة تمتد إلى بلاد العراق وتستولى على المرافق ودور الحكومة وثكنات الجيش وما أن انتصف النهار حتى كانت جميع بلاد العراق قد بسطت الثورة يدها على جميع ما فيها واستقرت فيها الحال وتبادل الناس التهانى وبدأ سيل التهانى من هيئات الشعب وأفراده من جميع الطبقات ينساب على قائد الثورة ومجلس السيادة ، وباركت الشعوب العربية كلها ثورة العراق وعمها السرور بتأييد الله لها ونجاحها لأن فى نجاحها انتصارا رائعا للقومية العربية .

ولكن دول الاستعمار أذهلها النبأ وكانت تظن أنها سحقت فى العراق حركة التحرر الوطنى وخيل إليها أن السكون الذى ساد العراق هو سكون الخضوع والاستسلام ولكن خاب ظنهم فقد كان هذا السكون سكون التحفز والانتفاض لإزالة الحكام الذين وضعهم الاستعمار لحكم الشعب لمصلحته فى سبيل المنافع الشخصية والذين جهدوا لإخراج الشعب العراقى من محيط القومية العربية المتحدة فدالت دولة عملاء الاستعمار فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شىء قدير » .

أجل إن هذا الحادث من أخطر أحداث هذا العام ، وهو منها كما قد قدمنا مسك الختام إذ تألق فى تاج القومية العربية نجم جديد، ورجاؤنا فى فضل الله أن يتلوه نجم بعد نجم للدول العربية حتى تتم وحدتها ويرتفع علمها الموحد مرصعا بالنجوم لكل دولة منها نجم يتألق فى الأفق وكما بدأ الإسلام غريبا حيث قام على أفراد قلائل ثم أخذ يزداد شأنه إلى أن انبسط سلطانه فى مدة وجيزة على كثير من آفاق المعمورة كذلك تعود جدته ويقوى شأنه ثانيا شيئا فشيئا ولا تزال دويلاته ودوله تتحرر وتقوى وتتجمع وتتحد حتى يعود فى مدة وجيزة سلطانه وينبسط على ما كان ينبسط فى المعمورة أو يزيد ويضيء نوره فى الآفاق على ما كان يضيء أو يزيد وتتحقق بذلك غرابة الإسلام فى عودته كما تحققت فى مبدئه ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ .

وبعد : فإن مجلة الأزهر تفتتح باسم الله عامها الثلاثين فى الدعوة إلى الله ودرء الشبهات عن الدين وهدم ما يشيده الملحدون حتى يظهر وجه الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ، كما خلقه الله صبوحا وضاء يجذب قلوب العالمين ويهديهم الصراط المستقيم ، وذلك أول واجبات مجلة الأزهر لتطمئن إلى دخول الناس فى الإسلام أفواجا إذ هو الدين عند الله ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه .

وكذلك تحرص مجلة الأزهر فى أداء الواجب المقدس نحو هداية الناس إلى الدين على إرشادهم للتخلق بالخلق الإسلامى الكريم ، وبذل المستطاع فى تهذيب النفوس وتكميلها بالفضائل وتطهيرها من الرذائل حتى يتحقق بعد توحيد الله المقصد الأسمى الذى صرح به صاحب الرسالة فى قوله ( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

وكما تؤدى ذلك مجلة الأزهر ، تؤدى معه بدقة واجبها نحو اللغة العربية لغة الكتاب والسنة ، ومفتاح كنوز الدين .

ولا تدخر جهدا فى القصص الحق عن رجال التاريخ الإسلامى وتنشر كل ما ترى فى نشره مصلحة تعود على الإسلام والمسلمين .

ونحمد الله جزيل الحمد على توفيق مجلة الأزهر لأداء واجبها كاملا ، ونرجوه أن يديم لها التوفيق فى المستقبل من أيامها ، وأن يمدها بعونه حتى نرى صورتها أتم وأكمل وأبهج وأجمل .

ونزجى جزيل الشكر لمن وفقهم الله لمساعدة المجلة على أداء رسالتها بأقلامهم وعلمهم وثقافتهم ، ونرجو الله أن يوفقهم فى المستقبل للمشاركة فى حمل ألوية الدعوة إلى دين الله ، والله المستعان ما

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

# نفحات القرآن

## — ٦١ —

# موقف الحق من الباطل

## الحاضر أشبه بالماضي

« وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناما آلهة ؟ إني أراك وقومك في ضلال مبين » .

إبراهيم الخليل كان في الطبقة العاشرة من أحفاد نوح عليهما السلام .

وبعد الطوفان بفترة غير وجيزة ، عمرت الأرض ثانيا بذرية كاثرة لمن كانوا مع نوح في سفينته الناجية من الغرق ، وظهر عمرانها كذلك بكائنات أخرى من حيوان وأطيار ، كانت مع نوح في السفينة ، ثم عاشت برعاية الله بعد ذلك ، تغدو وتروح في فجاج الأرض وسمائها .

وقد شاء الله لخليله إبراهيم ، أن يكون كالدوحة اليانعة ، تنفح الناس بنسماتها في الجو الهجير .

بعث الله إبراهيم ليجدد الحياة الروحية في معشره ، وليذهب من ضوء المعرفة ما يبدد جهالة قائمة وقاتمة فيهم ، وليجتاح وثنية ناجمة فيهم .

والدعوة إلى الحق لا يسهل ترويجها ، ولا تستغني أبداً عن جهود شاقة في سبيلها ، ولا عن مصابرة للغواة الذين يخاصمونها ، ويتبجحون في مقاومتها ، ويؤثرون أن يرتعوا دائما في وادي الباطل .

وإذا كانت الأنفس غير مطبوعة من أول أمرها على المعرفة ، ولا جانحة إلى الزهادة في شهواتها ، فلا عذر لها في العكوف على الغي بعد أن يجيئها الناصح الأمين يستنهضها إلى الخير ، دون أجر على هذا ، ويصابرها في التوجيه والإرشاد دون حرج عليها : إلا أنه تهذيب لهم ، وتطهير لدخائلهم ، وتقويم لحياتهم في ضوء المعالم التي يحملها من عند الله .

وهذا إبراهيم عليه السلام - يرى من قومه ومن أبيه - آزر - شركا بالله ، وعبادة للكواكب أو الأصنام فى إصرار على ذلك .

فيوجه إلى أبيه كما وجه إلى غيره ، ويخص أباه بشىء من الإقناع ليكون فى ذلك استدراجاً للآخرين إذا لحظوا أن تقبيح الوثنية أمر يشملهم كما يشمل أبا إبراهيم أو لحظوا أن وراء الدعوة خيراً يريده لهم كما أراده لأبيه « آزر » .

دعا إبراهيم أباه إلى توحيد الله ، وساجله الحديث غير مرة حتى داخله اليأس من مطاوعته ، ولمس منه الزهادة فيما نصح به ، اشتد عليه فى الجدل وأغلظ فى الإنكار ، وقال له : « أتتخذ أصناما آلهة ؟ » وكأنه سمع جواباً غير حميد ، وصادف نقاشاً غير لين ، فقال له : « إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » .

ومن سنن الأنبياء والمصلحين أن يترفقوا بالناس فى دعوتهم ، ليتألفوهم ، ويهونوا عليهم ترك ما اعتادوا ، والأخذ بما لم يعهدوا ، ولكن إذا لقيت الدعوة مكابرة ، وصادفت جموداً ، واقتضى الحال أن يصارح الداعى أهل الباطل بباطلهم فى أعنف ما يكون من القول فحينذاك لا يقال : إن الداعى أغلظ فى دعوته ، أو قسا فى لهجته ، فإن الداء الدفين يحتاج إلى استئصال ، ولا يقتلعه غير العلاج الحاسم بعد أن يكون الرفق غير مجد فيه .

وهنا لا يكون إبراهيم إلا داعياً رفيقاً بأبيه حينما صارحه بقوله : « إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » ! ! والرفق فى الدعوة ، مع الأخذ بجانب من الشدة حين الحاجة إليها هو المنهج المشروع فى تبليغ الرسالات ، وهو المنهج المفروض على كل ذى دعوة يواجه الناس فى شأن دينى أو دنيوى .

وهو المنهج الذى يلائم الفطرة ؛ لأن الإنسان إذا نشأ على نزعة ، أو شب على عادة فهى أحب إليه من سواها حتى يردعه عنها رادع فى لين أو قسوة ، وذلك مفروغ منه . . .

هذا : وقد كانت محاولة إبراهيم أن يجارى قومه فى تقديس الكواكب ، حتى يبدو من شأنها ما لا يتفق مع صفات الألوهية المزعومة عاد بالإنكار على قومه فيما اعتقدوا من باطل نحو هذه الكواكب : رأى بالليل كوكبا واضحا ، فقال هذا ربى . فما لبث الكوكب أن أفل ، وخبا نوره فسارع إبراهيم وقال على مسمع من القوم « لا أحب الآفلين » يعنى لا يصلح هذا أن يكون ربا ، .

ثم رأى القمر ساطع النور فقال « هذا ربى » فما لبث القمر أن تضاءل . وأفل ، فأعلن إبراهيم أنه بحاجة إلى الهداية للحق وأن القمر لا يصلح أن يكون ربا .

وقال « لئن لم يهدني ربى ، لأكونن من القوم الضالين » وفى هذا الندم إشعار للناس بما هم عليه من باطل واستدراج إلى الصواب الذى يغيب عنهم فى زحمة الخواطر الفاسدة .

ثم يرى إبراهيم الشمس بازغة فى ضوئها وبهجتها فيقول : « هذا ربى . هذا أكبر » ولكنها أفلت آخر النهار ، كما هو شأنها ، وكما يعلم القوم ، وحينذاك نهضت حجته وصارحهم بالبراءة من معتقدهم ، ومن شركهم ، وقال فى رفق « يا قوم ! ! إنى برىء مما تشركون » .

ثم اتجه إلى تعريفهم بالله الذى خلق تلك الكواكب ، بقدرته ، وسخرها بحكمته وأخضعها لأمره وإرادته « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ، حنيفا - مائلا عن الباطل - وما أنا من المشركين » .

يعنى أنه لا يتابع قومه فى تركهم ، وأنه يتجه بقلبه فى إيمانه ، ويتجه بقلبه فى عبادته إلى الله حالة كونه حنيفا آخذا بالحق فيما هو عليه مائلا عن الباطل كله .

وبهذا وصل إبراهيم فى جدال أبيه وقومه إلى دحض مفترياتهم ، وإقامة الحجة عليهم فى بيان الحق ، فمن كانت وجهته الاهتداء فقد وضحت سبيله ، ومن كانت وجهته العناد فليس بعد الحق إلا الضلال .

هذه شرعة إبرهيم فيما علمه ربه ، وهى شرعة النبيين من بعده وشرعة الإسلام فى الدعوة إلى الخير كله .

وإبراهيم هو الشجرة المورقة التى تفرعت عنها النبوة من بعده فى إسماعيل ومحمد ، وفى إسحاق وبنيه من أنبياء بنى إسرائيل عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

والقصص عن إبراهيم وغيره من الأنبياء قصص حق لا مرية فيه . . وقد لا يراه البعض جديداً ، ولا حديثا ذا بال .

ولكن التوجيه الدينى الذى يساق لأجله القصص يرسم لنا طريق العبرة ويضع لنا تعاليم الهداية .

وما دمنا نعيش فى دنيانا ، ونختلط فى مجتمعنا أو نستقبل أزمنة متجددة ، أو أحداثا طارئة ، وتطالعنا الحياة فى ألوان متعاقبة ونستهدف لأوضاع ، وشئون نحتاج فيها إلى أسباب

السلامة من المكاره ، والاستظلال بظلال النعيم والطمأنينة . فلا يعتبر القصص الذى تتلوه وتسمعه حديثاً معاداً ، ولا تعليماً مفروغاً منه .

بل هو جديد دائماً ، بتجدد الحياة ، مخافة أن تستبد بنا الحياة الدنيا ، وتشغلنا عن الأخذ بما رسمت لنا سياسة السماء ، فتنقطع الصلة بين الناس وربهم .

والله تعالى قد أقام دنيانا على مقتضى علمه وحكمته ، وتعهدنا فيها بالإرشاد ، ونبهنا إلى أن ذلك الإرشاد ضرورى لنا كأناس لهم قدر عند ربهم ، ولهم ميزة على سواهم ممن خلق ، وفى هذا يقول سبحانه « أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟ ؟ » « ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين » ـ طريق الخير وطريق الشر ـ « ولقد كرمنا بنى آدم . . وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وهل يعتبر القصص لمجرد التذكير بما سلف ، دون أن يكون له واقع بيننا ، فنأخذ من ماضينا لحاضرنا ، وننتقل فى ضوئه من حاضرنا إلى مستقبلنا ؟ ؟ .

ربما ظن بعض الأغرار أن القصص تاريخ محض لا صلة له بحياتنا ، ولكن نظرة يسيرة تكشف عن قرب الشبه بيننا وبين أولئك الأسلاف القدامى .

وربما وجدت كثرة مثقفة تقف من القصص هذا الموقف عينه فهم تعلموا ، ولم يتعلموا . . تعلموا هوس الملاحدة ، وتبجح بعض المتفلسفة وطربوا لما هناك من نزعات طائشة هدامة ، ولم يتعلموا شيئاً مما يكفل سعادة ، أو يهذب روحاً ، أو يربى ضميراً .

تركوا الأدب المشروع ، والثقافة الخالدة ، واتجهوا نحو الأدب الموضوع ، وأدخلوا فيه كل موبقة ، وحسبوا منه المجاهرة بالإباحية التى تأباها الفطرة حتى فطرة الحيوان الأعجم .

كان الانحراف قديماً أثراً من آثار الجهالة التى حاربها الأنبياء ثم أصبح فى عهودنا هذه أثرا من آثار التعليم المدنى الذى اقتاد الناس إلى العدوان على مقومات الإنسانية باسم الفلسفة وباسم الحرية ونحو هذا مما لا يصح أن يدخل فى نطاق التربية ، ولا يجوز أن يحمل اسم العلم إطلاقا ، وإلا كان هذا استهتاراً بالعلم ووضعا من قدره .

فليت نفحة من نفحات الله ترطب تلك العقول التى ألهبتها وساوس الشياطين ، وتقف بتلك الأفكار عند حد الاعتدال ، فتكون الدعوة إلى الصواب مقبولة عند أولئك المعاصرين الذين يعارضون الحق بالباطل ، وتكون دعوة المصلحين منهجاً يأخذون به ، ويؤازرونه فى التوجيه . والله يهدينا ويهدى الجميع ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

# الهجرة الميمونة

لقد دار الفلك دورته . وأعاد العام الهجرى سابغ نعمته وسيرته . وأظلنا عام هجرى جديد . رائحته ذكية . وشذاه يملأ جميع البقاع الإسلامية ، يحمل معه أمجاد الإسلام الخالدة ، ومفاخره السامقة . التى لها أصل ثابت وفرع فى السماء . وهو حادث يذكرنا بما أفاء الله على خاتم رسله من الخير لسائر الأنام ، رحمة وذكرى لأولى العقول والأحلام ! وإنا لنضرع إلى الله مخلصين فى الدعاء أن يهل علينا هذا العام الجديد حاملا بين طياته الأمن والطمأنينة لبنى الإنسان ، فى كل بقعة من بقاع الأرض وفى كل مكان ، كما نسأله أن يتم على الأمم المستعمرة نعمة الحرية والكرامة والعزة ، وأن يرفع عن أعناقها نير العبودية ، ويعزها بفخر الحرية ، وأن يجنب العالم ويلات الدمار والفناء ، ويجمع قلوب البشر على شرعة من المساواة والإخاء والعدل والسلام .

ولئن عدت الحوادث الجسام التى هزت الإنسانية فى تاريخها الطويل منذ وجدت ، لجاء حادث الهجرة فى الصدارة وفى الذروة منها ، فهو الحادث الذى غير وجه التاريخ ، وأنقذ العالم من ظلمات الجهل والفوضى والاضطراب ، وطهره من فساد العقيدة ، ووصل به إلى نور العلم والاستقرار ، وسلامة العقيدة التى أنارت القلوب وطهرت النفوس ، فأحكمت سير الجوارح وأقامتها على الطريق القويم ، والصراط المستقيم ، صراط من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

فحادث الهجرة يبعث فى النفوس ذكريات البطولة والعظمة . بطولة فى أجلى مظاهرها ، وعظمة فى أعز سلطانها ، كما يبعث ذكرى الصبر فى أكمل معانيه ، والتضحية فى مثلها العليا ، والإيثار فى أوضح صوره ، وإنكار الذات فى أرفع مثله ، وعزة النفس فى بليغ ثقتها . فقد ظل الرسول عليه السلام بمكة ثلاثة عشر عاما يبشر وينذر ، ويدعو قومه سراً وجهراً ، فما لانت لهم قناة ولا رق لأكثرهم قلب ، ولا انشرح لدعوته صدر ، لأن الحفاظ على القديم والاعتصام بالوثنية التى وجدوا عليها آباءهم لم تزدهم إلا عناداً لهذا الدين الجديد ، ولم تبلغ بهم إلا فرارا واستكبارا ، وكلما أمعن الداعى فى تبليغ رسالته أمعنوا فى المكر به . وصدق الله تعالى إذ يقول : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

فالهجرة أمر محتوم استدعته الظروف والملابسات ، لأن الموقف أصبح محصوراً في أمرين إما نزول الداعي عن دعوته والرجوع عن التبشير بهذا الدين الجديد . أو الخروج إلى مكان يطمئن فيه إلى نشر دعوته ، وأداء رسالته ، في بلد طيب يتقبل أهله هذه الدعوة بالقبول الحسن. وكيف يكون النزول عن الدعوة من مصلح ، بله رسول صمم على القيام بواجبه والجهاد في سبيل دعوته ، وهو الذي صور دعوته أروع تصوير حينما دعاه عمه أبو طالب للكف عما هو سائر عليه من تبليغ الرسالة ، فقال عليه السلام قولة ملأت سمع الدنيا « والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وإذا ما أردنا الانتفاع بعظات الهجرة وجب علينا أن نتعلم منها كيف يكون الحفاظ على العقيدة ، وكيف يكون البذل في القيام بواجبها ، فصاحب العقيدة الحقة يجب عليه ألا يتقيد بزمان ولا بمكان ، بل بقاع الأرض كلها ميدان له يركض أنى استطاع أن يركض ، ويوجف حيث استطاع الإيجاف، فسيره يتكيف تبعاً للظروف والأحوال، فأنت ترى النبي عليه السلام حينما أمر بالجهر بالدعوة بعد أن نزل عليه قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » يشعر بعظم الأمر ويقول لزوجه خديجة رضى الله عنها : ( ياخديجة قد انقضى زمن النوم والراحة ، فقد أمرني جبريل أن أنذر الناس، وأن أدعوهم إلى الله تعالى وإلى عبادته. فمن ذا أدعو ومن ذا يستجيب لي ؟ ) . فهذه المقالة تدل على كل ما جال بخاطره عليه السلام مما تستلزمه دعوته من جد وعمل مع من أرسل إليهم من عباد الأصنام والأوثان ، وما هم عليه من فوضى واضطراب في العقيدة الباطلة التي ورثوها ، وأصبحت طبيعة لهم لا يتزحزحون عنها ، وإن أروع مثال للتضحية في سبيل المبدأ والعقيدة ما قام به في عرض دعوته على ثقيف بالطائف، ورجوعه منها بشر جواب ؛ إذا أغروا به سفهاءهم يضربونه ويسبونه ، فلجأ إلى بستان لعقبة وشيبة ابني ربيعة فاحتمى به من شر هؤلاء السفهاء ، وتحمل ذلك الإيذاء بصبر وجلد ، وجعل تلك الهزيمة وسيلة لمضاعفة الجهد ومضاء العزيمة .

وإن محاصرة محمد ومن تبعه في شعب أبي طالب ، وقطع موارد التموين عنهم حتى يموتوا جوعا أو يرجعوا إلى دين آبائهم وأسلافهم، تلك المحاصرة التي استمرت ثلاث سنوات، قاطع فيها المشركون محمداً وصحبه، فلم تلن لهم قناة ، ولم تضعف لهم عزيمة ، ولم تتزعزع لهم عقيدة ، رغماً من أكلهم أوراق الشجر، فلم تزدهم الشدة إلا صلابة ولم يزدهم التعذيب إلا ثباتاً . ففي الهجرة وفي مقدماتها وفي آثارها عظات تبنى عليها دعائم أقوى الأمم وأعز الشعوب ، ومن الهجرة يجب أن نتعلم واجب الجندي مع قائده ، فالجندي يفتدي قائده بماله وروحه ، ولنا في الحديث عن أبي بكر

رضى الله عنه وعما أداه للجندية من وفاء وإخلاص أعظم عبرة ، فهو الذى ترك ماله بمكة ليفر بدينه ، ويكون بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتديا له بائعا نفسه بيع السماح : فقد وصل الرسول عليه السلام وأبو بكر إلى الغار ، فدخل أبو بكر يفتش الغار مخافة أن يكون فيه ما يؤذى من الحشرات، فقال له الرسول: مالك يا أبا بكر؟ فقال بأبى أنت وأمى! الغيران مأوى السباع والهوام ، فإن كان فيه شيء من الأذى كان على لا عليك ، وقد وضع عقبه على جحر فى الغار خشية أن يخرج منه ما يؤذى الرسول عليه السلام . وفى الإيثار الذى ظهر من الأنصار فى المدينة عظة وأى عظة ! فهؤلاء الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهم الذين قال لهم النبى إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم ، وقسمت لكم من الفيء كما قسمت لهم ، وإن شئتم كان لهم القسمة ولكم دياركم وأموالكم . فقالوا: لا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالفيء ولا نشاركهم فيه ، فأى سخاء يعلو على هذا السخاء ! وأى جود يصل إلى هذا الجود ! وليس عجيباً أن يكون الأنصار على هذا السمو الخلقى ، وهم الذين ارتضعوا من ثدى التعاليم الإسلامية وأشرقت قلوبهم بنورها ، ومعلمهم الرسول الأكرم ! الذى كان أجود بالخير من الريح المرسلة ! فقد عمل الإخاء الإسلامى الذى وضع الرسول أساسه بين المهاجرين والأنصار ، ما لا تعمله وسائل القهر والاضطهاد ، لأن الإخاء النابع من القلوب ينبت أطيب الثمار من المودة والألفة والمحبة ، فإذا سمينا عيد الهجرة عيد الحرية والنصر ، فذلك قول الصدق وكلمة الحق قال تعالى: « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

ولقد صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده . فى العام التاسع من الهجرة خفقت راية الإسلام على أكثر بلاد العرب ، وأمن أهلها على أنفسهم ، وخرج النبى عليه السلام إلى غزوة تبوك يقود جيشاً عدته ثلاثون ألفاً ، وصالح أهلها على الجزية ، وقد كانت هذه البقاع تابعة للروم ، وفى السنة العاشرة حج النبى مع أصحابه حجة الوداع ، وخطب خطبته الجامعة التى ضمنها من التعاليم ما يكفل للمسلمين نظاما ثابتاً لدينهم ودنياهم ، فيها الخير والرشد وقد نزل عليه فى يوم الحج الأكبر قوله تعالى ( اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا ) ولم يكن خاتم الرسل عليه السلام أول من هاجر فراراً بدينه ودعوته من بيئة الظلم والشرك والاضطهاد والأذى . فالقرآن الكريم يحدثنا عن كثير من الرسل

هاجروا بعد أن أبلوا وجاهدوا فى دعوة قومهم وأهلهم إلى الإيمان بأقوم حجة، وأفصح منطق، وأبلغ قول. وكانهم كانت هجرته تخلصا من الأمكنة التى عميت أبصار أهلها عن رؤية الحق، وصمت آذانهم عن سماع دعوة الصدق، وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب. وأى تضحية تصل إلى تضحية على وأبى بكر رضى الله عنهما لنجاح هذه الهجرة، فكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على تبليغ دعوته ورسالته، كان على وأبو بكر حريصين على حياة الرسول وسلامته مهما لقيا فى سبيل ذلك من الشدائد والمخاطر؛ فقد نام على رضى الله عنه فى موضع يعلم المشركون أن النبى عليه السلام ينام فيه، وكان على يعتقد أن المشركين لا يغفلون طرفة عين عن محاصرة الرسول وعدم تمكينه من الخروج من مكة، ومع ذلك فقد استعد للتضحية والفداء، وأدى هذه المهمة التى تحيطها الأخطار والأهوال.

ولقد كان أبو بكر يتقدم الرسول أحيانا فى السير، ويتأخر عنه أحيانا أخرى. فقال له النبى لم تفعل ذلك يا أبا بكر؟ فقال أتذكر الرصد الذى أمامك فأتقدم عليك دفعا لمكروه يلحقك، وأتذكر الطالبين لك فأتأخر عنك مواجهة للأخطار قبل أن تصل اليك. فقصة الهجرة رهيبة فى بدايتها، جليلة فى نهايتها. فقد كانت الدعامة القوية فى بناء الدعوة الإسلامية.

ولقد أدرك أمير المؤمنين الفاروق عمر رضى الله عنه بثاقب حكمته - وهو الملهم بشهادة الرسول عليه السلام - أدرك رضى الله عنه ما للهجرة من فضل وخير على الإسلام والمسلمين. فاختار الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامى؛ لأنها أروع حوادث الإسلام، وأحفلها بجلائل الأعمال. ولما نزل النبى عليه السلام يثرب سرعان ما ألف بين قلوب أهلها من الأوس والخزرج وكانوا متباغضين فأصبحوا بنعمة الله إخوانا. ثم آخى بين الأنصار والمهاجرين أخوة فى الدين ربطت الأرواح، وجمعت القلوب، وكانت السبيل إلى إعلاء كلمة الإسلام. ولم تطل الأيام التى قضاها الرسول عليه السلام بالمدينة، فقد كانت ما يقرب من عشر سنوات، عاد المسلمون فى أواخرها إلى فتح مكة؛ ليطهروها من الشرك، ويزيحوا عنها دنس الأصنام، وليرفعوا كلمة الله فى بيت الله. والمشركون لا يطيقون لهم رداً ولا دفعاً، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرا: ودخل الرسول عليه السلام مكة ظافراً قاهراً، مع أنه خرج منها قبل ذلك فاراً بدينه، ولقد جمع خصومه المشركين من أهل مكة وسألهم ما يظنون أنه يفعل بهم؟ فقالوا. خيرا أخ كريم وابن أخ كريم. فعفا عنهم وقال لهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء): وإن الحفاظ على العروبة والإسلام فى هذه المحنة الحاضرة لهو أنجع علاج لهذه الشرور وتلك المخاطر. فقد عمل الاستعمار على

البقية بالصفحة التالية

# نحن والصيف

لقد مضى الربيع وأقبل الصيف « ويقلب الله الليل والنهار » ، « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس » . . . وإذا كان الربيع يذكر الإنسان بموسم الورود والرياحين ، واعتدال الجو ولطف النسيم ، فإن الصيف يذكره بفترة من فترات الاختبار والابتلاء ، لما فى الصيف من شدة وعنف . ولقد كان الصيف يمر على أجدادنا فيرحبون به ويفرحون فيه ، ويتخذونه فرصة من فرص التدريب للعزائم على الثبات ، والتمرين للنفوس على الاحتمال ، فكانوا يحبون الصوم فيه راضين بما يذوقونه خلاله من شدة وظمأ ، ولذلك نسبوا إلى الإمام على رضى الله عنه أن من أحب الأشياء إليه أن يصوم فى الصيف . . . وكانوا يرحبون بالجهاد فيه ، ويرون فى العرق المتصبب من جباههم أثناء كفاحهم طهوراً يذهب ذنوبهم وضراءهم ، ويحقق سعادتهم وسراءهم ، وهذه غزوة تبوك تأتى فى وقت الحر والفقر والجوع معاً ، فيسارع إليها أبناء الإيمان مستخفين بالتعب والنصب معرضين عن الراحة والهدوء ، ويخرجون فى الظمأ واللظى ليؤدبوا أعداء الله وأعداء الإسلام .

وكان المنافقون يحرضون المسلمين حينئذ على عدم النفير فى الحر ، ويغرونهم بالبقاء فى الظلال والرياش ، فلا يصغون إليهم ، ولا يسمعون منهم ؛ لأنهم يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى ، وأن عقاب الله على التفريط والتقاعس أشد وأنكى : « وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون » .

---

تفريق الدول الإسلامية بعضها عن بعض ؛ ليقوى سلطانه ويشتد نفوذه ، ويسيطر على ميزان القوى فى جميع البلاد العربية والإسلامية . وإنا لنرجو للمخلصين فى هذه البلاد توفيقاً وعوناً من الشعوب التى استيقظت بعد سبات طويل ، وانتفضت انتفاضة قوية بعد رقاد ، بتخدير المستعمرين . فليس أطيب لنفس المستعمر من جهل الأمم المغلوبة وضعفها وذلها ، لأنه بمقدار ضعفها وذلها يزداد عزه وقوته وسلطانه فيها . وكلما رأى المستعمر يقظة من الشعوب المستعبدة خنق قلبه واصطكت أسنانه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، فمكر مكراً بهذه الأمم ليفوت عليها فرص اغتنام حريتها وعزتها وسلطانها . وإن فى الحركات القوية المتعددة فى الشعوب المستعمرة لتباشير قوية ، تؤذن بانبثاق فجر جديد بعد ليل طويل اشتدت ظلمته ، حتى كادت النفوس أن تيأس من انتهائه ، وليس على الله بعزيز أن يبدل عز المستعمر ذلا ، وسلطانه ضعفا ، إنه على ما يشاء قدير .

عبد الله مصطفى المراغى

# نحن والصيف

لقد مضى الربيع وأقبل الصيف « ويقلب الله الليل والنهار » ، « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس » . . . وإذا كان الربيع يذكر الإنسان بموسم الورود والرياحين ، واعتدال الجو ولطف النسيم ، فإن الصيف يذكره بفترة من فترات الاختبار والابتلاء ؛ لما فى الصيف من شدة وعنف . ولقد كان الصيف يمر على أجدادنا فيرحبون به ويفرحون فيه ، ويتخذونه فرصة من فرص التدريب للعزائم على الثبات ، والتمرين للنفوس على الاحتمال ، فكانوا يحبون الصوم فيه راضين بما يذوقونه خلاله من شدة وظمأ ، ولذلك نسبوا إلى الإمام على رضى الله عنه أن من أحب الأشياء إليه أن يصوم فى الصيف . . . وكانوا يرحبون بالجهاد فيه ، ويرون فى العرق المتصبب من جباههم أثناء كفاحهم طهوراً يذهب ذنوبهم وضراءهم ، ويحقق سعادتهم وسراءهم ، وهذه غزوة تبوك تأتى فى وقت الحر والفقر والجوع معاً ، فيسارع إليها أبناء الإيمان مستخفين بالتعب والنصب معرضين عن الراحة والهدوء ، ويخرجون فى الظمأ واللظى ليؤدبوا أعداء الله وأعداء الإسلام .

وكان المنافقون يحرضون المسلمين حينئذ على عدم النفير فى الحر ، ويغرونهم بالبقاء فى الظلال والرياش ، فلا يصغون إليهم ، ولا يسمعون منهم ؛ لأنهم يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى ، وأن عقاب الله على التفريط والتقاعس أشد وأنكى : « وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون » .

---

تفريق الدول الإسلامية بعضها عن بعض ؛ ليقوى سلطانه ويشتد نفوذه ، ويسيطر على ميزان القوى فى جميع البلاد العربية والإسلامية . وإنا لنرجو للمخلصين فى هذه البلاد توفيقاً وعوناً من الشعوب التى استيقظت بعد سبات طويل ، وانتفضت انتفاضة قوية بعد رقاد ، بتخدير المستعمرين . فليس أطيب لنفس المستعمر من جهل الأمم المغلوبة وضعفها وذلها ، لأنه بمقدار ضعفها وذلها يزداد عزه وقوته وسلطانه فيها . وكلما رأى المستعمر يقظة من الشعوب المستعبدة خنق قلبه واصطكت أسنانه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، فمكر مكراً بهذه الأمم ليفوت عليها فرص اغتنام حريتها وعزتها وسلطانها . وإن فى الحركات القوية المتعددة فى الشعوب المستعمرة لتباشير قوية ، تؤذن بانبثاق فجر جديد بعد ليل طويل اشتدت ظلمته ، حتى كادت النفوس أن تيأس من انتهائه ، وليس على الله بعزيز أن يبدل عز المستعمر ذلا ، وسلطانه ضعفا ، إنه على ما يشاء قدير .

عبد الله مصطفى المراغى

وهذا هو الصحابى « أبو خيثمة » يتأخر قليلا عن الخروج مع رسول الله عليه صلوات الله فى غزوة تبوك ، ويعود أبو خيثمة إلى بيته فيجد امرأتين له فى عريشين بداخل حديقته وكل منهما قد رشت عريشها ، وبردت له ماء . وهيأت طعاما ، والجو حار ، والرحلة عسيرة فنظر أبو خيثمة إلى امرأتيه وما صنعتا ثم قال : « رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح ( الشمس ) والريح والحر ، وأبو خيثمة فى ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء ! ! ما هذا بالنصف ( الإنصاف ) والله لا ادخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيئا لى زادا » . وخرج حتى لحق بالرسول الذى قال له : أولى لك يا أبا خيثمة ! ولما قص عليه أبو خيثمة أمره . قال له الرسول خيرا ودعا له بخير . . .

* * *

نعم جاء الصيف وفيه ترتفع درجة الحرارة ، وتتمدد الأشياء ، فتتحرك الجراثيم من مراقدها ، وتكثر الحشرات والهوام ، مما يستلزم الحيطة والحذر ، ويدعو إلى النظافة والوقاية والحرص على التطهر والنقاء . . . وبجوار هذه الحشرات والقاذورات الحسية الحقيرة تنطلق فى الصيف جراثيم بشرية وحشرات أخرى من الخلق ، لها خبثها ونجسها ، ولها شرها وضررها ؛ فمن هذه الحشرات طوائف من النساء ينتهزون موسم الصيف للتعرى من الثياب والحياء معا ، ويتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، ويبدين من الزينة والأطراف والعورات ما يثير ويفتن ، ويلبسن تلك الملابس المخزنة ، الضيقة الملصقة ، التى يعجب الناس منها ويتساءلون عنها : كيف استطاعت هذه المرأة المتبرجة أن تحشر جسمها حشرا فى ذلك الثوب الشفيف الضيق ؟ ولأى غرض أبدت من جسمها ما أبدت ، وضغطت ما ضغطت وحددت ما حددت ؟ . . . إنما فعلت ذلك لتزيد العيون الجائعة نهما وشراهة ، وتغرى الذئاب المترصدة بالهجوم والاعتداء ، وتثير فتنة جنسية ليست دواعيها قليلة . . . والأزواج ساكتون ، والآباء غافلون ، والأمهات لاهيات ، وولاة الأمور لا يتدخلون ، وليكن ما يكون ! ! . . .

وإذا وجهت اللوم أو النقد إلى فريق من هؤلاء أجابوك بقولهم : « إن للصيف حكمه » . فلا كان هذا الصيف الذى يفتح علينا أبواب البلاء بهذه الصورة ، ولا كان هؤلاء الذين يسيئون استغلال الصيف ، ، فيجعلونه موسم تحلل وفجور ، لا موسم راحة وهدوء ! . . .

* * *

ويقبل علينا الصيف فتقبل معه مأساة المصايف على الشواطئ ، حيث يفتح الشيطان

اللعين عند كل شاطئ ملهبا خطيرا خبيثا من ملاعب الإثم والفتنة ، يعرض فيه لحوم النساء المسلوخة من صيانتها وعفتها أمام أنظار الرجال المتجردين من ثيابهم وغيرتهم ، وهناك يكون ما يكون مما أصبح الحديث عنه موصوفا بالتكرار والسأم والملال ، وإن كان الواجب على دعاة الخير ألا يسأموا من معاودة النصح وتكرار التذكير ، وخصوصا أن البلاء يزداد عاما بعد عام . . . ففي الماضي كان الناس يقصدون المصايف على خجل واستحياء ، ويخلعون ثيابهم في نوع من التستر والمواراة ، وأما اليوم فلا خجل ولا حياء .

وبالأمس كان هناك من علماء الإسلام من يقاومون وباء المصايف ، ويناهضون مافيها من فجور ، وكان هؤلاء العلماء يلقون التقدير والإعجاب من الكثيرين ، وأما من ينكر اليوم في مقاومة المصايف وفجورها فإنه يكون موضع السخرية والاستهزاء ، وهكذا أصبح الحق غريبا مهضوما في دنيا الباطل العريض الأثيم . . . وبالأمس كانوا يخصصون في الشواطئ أماكن أو أوقاتا للنساء ، فأصبح النساء اليوم حريصات على ترك أوقاتهن وأماكنهن ليمتزجن بكتل الرجال العراة ، وانقلب بعض الرجال إلى تيوس ، حتى سمعنا بمن حمل زوجته حملا على التجرد من ثيابها لتنزل البحر مع مجموعة من أصدقائه ، ولما تمنعت بحكم حيائها الموروث وصفها بأنها لا تصلح لحياته الراقية ما دامت متأخرة بهذه الصورة ! ! . . .

ليت الذين يهرعون إلى المصايف في اختلاط فاحش ، وتحلل واضح ، وفجور وقح ، يستمعون إلى القصيدة المنثورة التي صاغها الرافعي وفيها يخاطب النساء على الشاطىء فيقول فيما يقول :

« يا لحوم البحر ، سلخك جزار من ثيابك .. جزار لا يذبح بألم ولكن بلذة ، ولا يحز بالسكين ولكن بالعاطفة ، ولا يميت الحي إلا موتاً أدبياً . . . إلى الهيجاء يا أبطال معركة الرجال والنساء ، فهنا تلتحم نواميس الطبيعة ، ونواميس الأخلاق ; للطبيعة أسلحة العرى والمخالطة والنظر والأنس والتضاحك ، ونزوع المعنى إلى المعنى ، وللأخلاق المهزومة سلاح من الدين قد صدئ ، وسلاح من الحياء مكسور .. يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار . الشاطىء كبير كبير يسع الآلاف والآلاف ، ولكنه للرجل والمرأة صغير صغير حتى لا يكون إلا خلوة ، وتقضي الفتاة سنتها تتعلم ، ثم تأتي هنا تتذكر جهلها وتعرف ما هو ; وتمضي المرأة عامها كريمة ، ثم تجيء لتجد هنا مادة اللؤم الطبيعي ... لو كانت حجاجة صوامة للعنتها الكعبة لوجودها في ( استانلي ) ... الفتاة ترى في الرجال العريانين أشباح أحلامها ، وهذا معنى من السقوط ... والمرأة تسارقهم النظر تنويعاً لرجلها الواحد وهذا معنى من المواخير ... أين

تكون النية الصالحة لفتاة أو امرأة بين رجال عريانين ؟ . . . يا لحـــوم البحر سلخك من ثيابك جزار . . . !

هناك التربية وهنا إعلان الإغفال والطيش، وهناك الدين وهنا أسباب الإغراء والزلل ؛ هناك تكلف الأخلاق ، وهنا طبيعة الحرية منها ، وهناك العزيمة بالقهر يوماً بعد يوم ، وهنا إفسادها بالترخص يوماً بعد يوم ، والبحر يعلم اللآلى والذين يسبحون فيه كيف يغرقون فى البر ... لو درى هؤلاء وهؤلاء معرة اغتسالهم معاً فى البحر لاغتسلوا من البحر ، فقطرة الماء التى نجستها الشهوات قد انسكبت فى دمائهم ، وذرة الرمل النجسة فى الشاطئ ستكبر حتى تصير بيتاً نجساً لأب وأم ... يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار ...

يجيئون للشمس التى تتقوى بها صفات الجسم ، ليجد كل من الجنسين شمسه التى تضعف بها صفات القلب ؛ يجيئون للهواء الذى تتجدد به عناصر الدم ، ليجدوا الهواء الآخر الذى تفسد به معانى الدم . . يجيئون للبحر الذى يأخذون منه القوة والعافية ، ليأخذوا عنه أيضاً شريعته الطبيعية : سمكة تطارد سمكة ، ويقولون : ليس على المصيف حرج ؛ أى لأنه أعمى الأدب ، وليس على الأعمى حرج ! . . يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار » ! ! .

إن فوضى الاختلاط بين الرجال والنساء ـ وبخاصة فى الشواطئ والحمامات ـ يجب أن يوضع لها حد ، وأن تعالج بما يحفظ الحرمات والأعراض ، فبالأمس كان فى الناس خجل وحياء ، فيستحى الرجل من المرأة ، وتستحى المرأة من الرجل ، وأما اليوم فيصل الأمر إلى أن رواد أحد الحمامات فى فندق كبير مشهور يحتجون على صاحب الفندق ويشاجرونه ، لأنهم يريدون سيدات لتدليكهم أثناء الاستحمام فى الحمام ؛ ولما أحضر لهم صاحب الفندق رجالا أمثالهم ليقوموا بهذا التدليك رفضوا وتشاجروا مع صاحب الفندق وتضاربوا ، وانتهى الجميع إلى دار الشرطة ، ونشرت الصحف القصة المخزية المخجلة على الناس . .

وليس ببعيد أن نسمع أن النساء فى الحمامات النسائية يتشاجرون ، لأنهن يطالبن برجال ليقوموا بتدليكهن فى هذه الحمامات ! ! .

إن بعض مراجع الحديث تنسب إلى رسول الله عليه صلوات الله حديثاً يصور ـ برغم ما فيه من مقال ـ ما بلغته الحال من سوء المآل ، فيقول : « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم ، وفسق شبانكم ، وتركتم ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله . قال : نعم والذى

نفسي بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفا ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله . قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : يقول الله تعالى : بي حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران » !! ...

وأحب أن أسأل : هل بقي حليم غافل ولم يشعر بمرارة الحيرة والحسرة مما صار إليه أمر الأمة الإسلامية من خروج على قواعد العفة والخجل والحياء ! ؟ .

وأين حالنا اليوم في هذا المجال من حال أسلافنا ؟ . . وهذا مثلا هو الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يتزوج فاطمة بنت عبد الملك ربيبة القصور والترف ، وبنت الخلفاء العظام ، ومع ذلك يحملها على منهج الصيانة والعفاف والبعد عن الشبهات وعن الاختلاط فلا تعارض ولا تقاوم ، ويأخذ أولاده وبناته بالحزم والعزم ، فلا تبرج ولا تحلل ولا اختلاط ولا اظهار لما حرم الله أن يظهر . وكان عمر في هذا المنهج قويا صارما ، حتى تريد إحدى بناته أن تتجمل فترسل إليه لؤلؤة ليرسل إليها بأختها حتى تجعلهما قرطا ، فيضع بين يديها جمرتين من النار ويقول لها : إن استطعت أن تجعلي هاتين الجمرتين في أذنيك بعثت إليك بأخت لها ! ! . . وكأنما كان يريد أن يبعد بيته عن كل ريبة حتى يصير مثلا أعلى لبيوت المسلمين ! .

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ... إن الله تبارك وتعالى قد هيأ لنا أثناء الصيف أشياء يمكننا التنعم بها والتمتع بخيراتها في طهارة وصفاء ... هيأ لنا البحار والأنهار ، والأشجار والأزهار ، والهواء الرقيق والنسيم العليل في الأصائل والأمسيات ، ومن الممكن للمسلم أن يأخذ من كل هذه الأشياء نصيبه الملائم في اعتدال واستقامة وعائشة الصديقة بنت الصديق رضوان الله عليهما تخبرنا بأنه ما تمتع الأشرار بشيء إلا تمتع به الأخيار وزادوا عليه رضا الله ... فلنقف على أبواب الصيف متدبرين مفكرين ، متذكرين أن لنا دينا ، وأن لنا أخلاقا ، وأن لنا حرمات ، وأن كلا منا راع ، وكل راع مسئول عن رعيته ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ؟

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

# الاسلام والطب الحديث

## على هامش المؤتمر الطبي للسرطان

يتقدم العلم كل يوم خطوات تكشف من أسرار الكون ما يبهر ويدهش ، وتفتح من مغاليق الغيب ونواميس الوجود ما يسوق النفوس إلى الإيمان بوحدة الديان .

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

وفى كثير مما يكشفه العلم من الحقائق والأسرار ما يطابق ما قرره الإسلام وكان محجبا بالأستار حتى فض العلم خاتمه وأوضح مبهمه .

وهذه الحقائق جديرة أن يتدبرها المنصفون وبخاصة الماديين الذين أخلدوا إلى الأرض ودانوا بالحسيات ، فلا يؤمنون إلا بما يرون ويسمعون ، وتخبطوا فى ظلمات الشك وتشعبت بهم مسالك الضلال .

لقد نهج الإسلام بالبشرية مناهج تحوطها بالرعاية والعناية ، وقرر لها أحكاما ظهرت الحكمة فى كثير منها وخفيت علينا فى بعضها ، وكان ذلك الخفاء مثار تشكك وجدل من مدخولى الإيمان وذوى الأغراض والأهواء والمفتونين ببعض المعارف . ولطالما نادى المؤمنون هؤلاء المغرورين أن يقتصدوا فى الحكم ، ويلتزموا جانب الحيطة والحذر والأدب فيما لا يفقهون من علل الأحكام ، حتى تواتيهم آيات الله وتستبين لهم مقاصدها وحكمها ، ولكن سائق الغرور كان يلهب ظهورهم فيمعنون فى الغى ثم لا يقصرون .

لقد جاء الإسلام بتعاليم تتصل بالطب ، التقت فى غاياتها بما قرره الطب وأثبت فائدته ، فلم تعد مجالا للمناقشة والجدال ، وكان يكفى فى تقدير الإنصاف أن يقاس عليه ما لم تستبن فائدته ، فيقتنع المنصف بما فيه من خير ، وما يدعو إليه من رشاد ، مادام المصدر واحدا ومبعث النور والهدى واحدا . لقد حرم الإسلام الميتة والدم والخمر ولحم الخنزير ، وظل الناس أحقابا يجهلون البواعث على ذلك والسر فيه حتى جلاها العلم ، وكشف عن وجه الأذى فيها ، فازداد المؤمنون بها إيمانا ، وأقصر من فى قلوبهم مرض عن التشكك فى جدواها والمكابرة فى مزاياها ، ومنع الإسلام من تلويث المياه بالفضلات ، وظللنا نجهل السبب فى ذلك أيضاً حتى كشف العلم من مقدار الخطر فيها ، وأن الماء الملوث مباءة الجراثيم لأمراض البلهارسيا والإنكلستوما

وغيرهما . فكان ذلك التوافق مبعث الدهش والإعجاب من العلماء والأطباء ، وممن يصدعون بالحق ولا يعاندون الحقائق .

وفى تعاليم الإسلام مما يتصل بالطب ما لم يصل العلماء بعد إلى تبيان وجـــه المصلحة فى تقريره ، وما زال العلم يواصل الخطى فيه ، ويأتى كل يوم بجديد يثلج النفس ، ويشرح الصدر ، ويقرر وجه الإعجاز فى تعاليم أتى بها نبى أمى لم يتل من قبلها من كتاب ولم يدرس فى جامعة ولا كتاب .

لقد انعقد فى القاهرة فى شهر مايو من هذه السنة المؤتمر الأول للجمعية العلمية للسرطان ؛ للبحث فى شئون مرض السرطان وما يتعلق به من وقاية وعلاج ، وهذا المرض - ونسأل الله العافية - من الأمراض المستعصية،التى لم يتوصل العلم والعلماء رغم الجهاد المتواصل إلى كشف حاسم فى علاجه ولا إلى الأسباب التى تحدثه وكشف المؤتمر فى هذا الصدد عن حقائق خطيرة تتلاقى مع نظر الإسلام فى بعض تعاليمه،وإنها لحقائق ما كانت تدور فى خاطر الأطباء ورجال الدين وعلماء النفس من قبل لولا هذه الصدف العلمية الموفقة ، وكثيراً ما كانت الصدف خيراً على الإنسانية،فأفادت منها وجنت من ثمارها .

لقد كشف هذا المؤتمر عن وجـه الحكمة فى امتداد إرضاع الطفل حولين كاملين ، فقرر « أن فى هذا الامتداد وقاية فى كثير من الأحيان من سرطان الثدى فى النساء ، لكثرة امتصاص الطفل لثدى أمه ، وأنه لهـذا يرى أن من أكبر الخطأ أن تضن الأم على طفلها بالإرضاع ، وهى بهذا تعرض نفسها لهذا المرض الخطير ، وقد ثبت من الإحصاء فى اليابان أن اليابانيات من أقل نساء العالم المتحضر إصابة بهذا النوع من السرطان ؛ لأن الأم اليابانية ترضع ابنها حولين كاملين ، ولعل فى هذا ما يعلل ازدياد حالات سرطان الثدى فى بلادنا - مصر - لضن الأمهات الملحوظ فى العصر الحديث على أولادهن بالرضاعة الطبيعية أو تعجلهن بالفطام » .

وقد التقى المؤتمر فى هـذه الحقيقة بما قرره الإسلام من جعل مدة الرضاع عامين حيث جاء فى الكتاب الكريم : « ووصينا الإنسان بوالديه ؛ حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين » . ومما كشفه المؤتمر فى هذا الصدد « أن ختان الصبيان واق من سرطان القلفة وهى الجلدة التى تزال بالختان ، فقد اتضح أن الفضول التى تتجمع فى هذه القلفة بها مادة لذاعة قادرة على إحداث السرطان » .

وأدعى من ذلك إلى التأمل أن وجود القلفة بما فيها من الفضول يزيد من احتمال إصابة الزوجة بسرطان عنق الرحم من تأثير هذه الفضول» . وقد التقى المؤتمر فى هذه الحقائق بما سنه الإسلام من الختان دفعا لما أسفر عنه الكشف العلمى من الأضرار ، وقد أخرس المؤتمر بما قرره ألسنة الذين كانوا يجادلون فى جدوى هذه السنة ، تأثرا بما جرت به العادة فى بعض الأمم وفى بعض الأديان ، حتى كابر بعضهم فزعم أن فى تلك الشعيرة أضرارا صحية ينبغى لها الإقلاع عنها .

ومما كشفه المؤتمر أيضا « أن عامل النظافة للجهاز التناسلى فى المرأة يقلل كثيرا من احتمال تعرضها لسرطان عنق الرحم » . وقد تلاقى فى هذا مع تعاليم الإسلام التى شرعت الاستنجاء للمرأة والرجل كمقدمة للصلاة .

هذه بعض الحقائق الطبية التى كشف عنها مؤتمر السرطان ، قرأناها مبهورين مأخوذين بما تلاقت فيه مع تعاليم الإسلام ، ويلاحظ أنه مؤتمر خاص فى فرع من فروع الطب ، كشف ما كشف من هذه الحقائق الخطيرة . فكيف إذا تظاهرت مؤتمرات لعرض ما تمخضت عنه عقول العلماء فى سائر نواحى الكون ، ونواحى النفس الإنسانية ، وما يعرض لها من شئون نظمتها تعاليم الإسلام مرشدة مرة ، وآمرة أخرى ، وناهية مرة ثالثة ، إنها إذن بما تكشف عنه مما يتفق وتعاليم الإسلام ستأخذ بيد الحيارى ممن يؤمنون بالعلم ، ويجافون دعوة الدين إلى النهج المستقيم ، وتطامن من غرورهم ، وتجديفهم فى الحقائق التى أسدلت حجبها دون أهل المعرفة الحقة ، وتدعوهم إلى التسليم فيما لا يعرفون إلى من يعرفون . وخاصة فى حقائق الأديان التى ثبتت ثبوتا قاطعا بما كشفه العلم وحققته التجربة .

إننا إذ نرحب بالمكتشفات التى أسفر عنها مؤتمر السرطان ، لا نعنى بذلك أن نلتمس منها الأدلة على صحة ما جاء به الإسلام من تعاليم ، وحاشانا ذلك فهو دين الله الذى ارتضاه ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ، وإنما نرحب بها لنضعها أمام الحائرين وذوى القلوب المريضة، تجلية لمصالح البشر فى بعض ما شرع الإسلام . عسى أن يكون ذلك داعيا إلى تعديل مناهجهم فى البحث العلمى، والتحلى بشيم العلماء ، والوقوف دون ما لا يعرفون ، وتسليمه إلى أهل الذكر ممن يعلمون .

**أبو الوفا المراغى**

# حصوننا مهددة من داخلها

## فى الجامعة العربية

— ٤ —

كنت فى الجزء الماضى من هذه المجلة على موعد مع قرائها بتقديم الأمثلة على الدعوة الهدامة فى كتاب ( مختارات من إمرسون ) الذى ترجمته جامعة الدول العربية بمشورة السفارة الأمريكية ، و ( قصة الحضارة ) الذى أوصت به اليونسكو .

يقول إمرسون مخاطبا قراءه ( وإنى أنصحكم قبل كل شيء أن تسيروا وحدكم وأن ترفضوا النماذج الطيبة ، حتى تلك التى يقدسها الناس فى خيالهم . وتشجعوا على محبة الله بغير وسيط أو حجاب . وسوف تجدون من الأصدقاء من يكفى لأن يطلعكم على أمثال وزلى وأوبراين والقديسين والأنبياء — وتأمل أين يضع هذا الملحد الهدام الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه — لكى تقتدوا بهم . اشكروا الله على هؤلاء الرجال الأخيار ، ولكن ليقل كل منكم « أنا كذلك إنسان » . . . إن التقليد لا يمكن أن يرتفع فوق النموذج . . . كل منكم منشد من منشدى الروح القدس ولد حديثا . فلينبذ وراءه كل تقليد وليعرفه الناس مباشرة بالله — ص ٨٥ ) . وواضح من هذا الكلام أن ذلك المفسد المضل يريد أن يجعل كل الناس أنبياء ، معتمدا على ضعف المغرورين والمفتونين ، الذين يريد أن يخيل إليهم أنهم لا يثبتون وجودهم إلا عن طريق نبذ الدين ، ويزعم لهم أنهم جميعا على صلة صحيحة وثيقة بالله ـ سبحانه وتعالى ـ تمكنهم من معرفته ومن تعريف الناس به .

ومن أمثلة هذه الآراء الهدامة التى تستتر وراء الدعوة الخلابة إلى التحرر الفكرى كذلك قوله : ( من أراد أن يكون رجلا ينبغى أن ينشق على السائد المألوف . ومن أراد أن يجمع ثمر النخيل الخالد ينبغى أن لا يعوقه ما يسميه الناس خيرا . بل يجب عليه أن يكتشف إن كان ذلك خيرا حقا . لا شيء فى النهاية مقدس سوى نزاهة عقلك . حرر

نفسك لنفسك يؤيدك العالم . . . الخير والشر اسمان يمكن فى سهولة شديدة أن ينتقلا إلى هذا أو ذاك . والشىء الوحيد الصحيح هو ما يتبع تكوينى . والشىء الوحيد الخطأ هو ما يقاومه ص ١٣٢ ) .

ومن سفسطة ذلك المفسد الهدام قوله ( إن الثبات على رأى واحد هو غول العقول الصغيرة الذى يقدسه صغار السياسيين والفلاسفة ورجال الدين . أما الروح العظيمة فليس لها ألبتة شأن بهذا الثبات ، وإلا فإنها تأبه لظلها فوق الحائط . انطق بما تفكر فيه الآن فى ألفاظ قوية . وانطق بما تفكر فيه غدا فى ألفاظ قوية كذلك ، حتى إن ناقض ما قلته اليوم . وإذن فثق أنك سوف يساء فهمك . وهل من شر الأمور أن يساء فهمك ؟ لقد أسىء فهم فيثاغورس وكذلك سقراط ويسوع وكوپرنكس وغاليلو ونيوتن وكل روح طاهرة عاقلة تجسدت . لكى تكون عظيما لابد أن يساء فهمك - ص ١٣٩ ) .

فلينظر القارىء أى دعوة هذه إلى التخبط والغرور ، وإغراء ضعاف العقول بما يجرئهم على خوض كل مجهول ، وتناول كل مغيب مستور ، وهتك كل مقدس مصون والخبط فى كل تيه واعتساف كل طريق ، بما يفسد عليهم وعلى الناس الحياة ويحولها إلى جحيم لا سكن فيه ولا قرار ، يتنابذ أهلها ويتدابرون ويعتركون ولا يتفقون على رأى ولا يسكنون ولا يطمئنون ، حتى لكأنهم أهل جهنم ( كلما دخلت أمة لعنت أختها ) .

على مثل هذا الغرور الشديد الفاسد المفسد فى تقدير الفرد يقوم الكتاب كله . ويبلغ هذا الفساد وهذا الغرور حد الكفر المجنون فى بعض الأحيان . وذلك فى مثل قوله ( إن من ينبذ الدوافع العامة الإنسانية ويجرؤ على الثقة العامة فيما تمليه عليه نفسه لابد أن يتميز ببعض صفات الآلهة ص - ١٥٤ ) .

فهل تعرف خرفا وراء هذا الخرف ؟ ومع ذلك فقد يظن بعض صغار العقول وضعاف النفوس هذا الجنون ضربا من ضروب الفلسفة ، لأنهم لا ينسبون عجزهم عن فهمه إلى فساده ، ولكنهم ينسبونه إلى ضعف عقولهم عن إدراكه . وهذا الكاتب وأمثاله يعتمدون على أن الأذكياء سوف يجدون فى كلامه ما يرضى غرورهم .

أما الأغبياء فسوف يقفون أمامه مشدوهين كأنهم أمام معجزة . أما الشباب فسوف يجدون فيما يتضمنه من الثورة التي تحطم ولا تبقي ولا تذر مجالا للتنفيس عن نشاطهم ونزوعهم إلى إثبات وجودهم من كل وجه .

ويتعقب ذلك الصهيوني الهدام شعائر الدين كلها بالتسفيه والسخرية اللاذعة . فالصلاة عنده وهم ليس فيه من الشجاعة أو الرجولة بمقدار ما فيه من القداسة ( ص١٥٦ ) . والتوبة والندم نوع آخر من الصلاة الزائفة ونقص في الاعتماد على النفس وعجز في الإرادة ، والرحمة والعطف لا تقل عن الندم وضاعة ( ص ١٥٧ ) ، و ( العقائد الدينية الشائعة قد تفوقت على الخرافات التي حلت محلها في الظاهر فقط لا في المبدأ – ص ١٧٣ ) . ألا ترى من ذلك كله أن هـــذا المفسد يريد ثورة تقلب موازين الدين والخلق وكل شيء ؟ بلى . وهو نفسه يعرف ذلك ، فهو يفسد ويعلم أنه يفسد ، أي أنه هدام محترف يفسد عن وعي منه وقصد ، والدليل على ذلك قوله ( نريد رجالا ونساء يجددون الحياة ويجددون حالتنا الاجتماعية . ولكننا نجد أن أكثر المطابع مفلسة – ص ١٥٤ ) وقوله ( إن تدبيرنا المنزلي ضعيف ، وفنوننا ، وأعمالنا ، وزواجنا ، وديننا ، لم نختره لأنفسنا . وإنما نحن جنود في غرفة الاستقبال ، نتحاشى معركة القدر الحامية التي تتولد فيها القوة – ص ١٥٥ ) . وقوله ( ومن اليسير أن نرى أن مزيداً من الثقة بالنفس لا بد أن يحدث انقلابا في جميع وظائف الناس وعلاقاتهم ودياناتهم ، وفي تربيتهم ، وفي أهدافهم وأساليب عيشهم واجتماعهم وفي امتلاكهم . وفي آرائهم التي يتدبرون – ص ١٥٦ ) .

ذلك هو لب الكتاب الذي أوحت به السفارة الأمريكية لطه حسين ، فترجمه بأموال العرب ، وأهداه إلى شبابهم ومفكريهم . ولعنة الله على شياطين الجن والإنس « يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » .

وقد يبدو في بعض مقالات الكتاب – كما هي العادة في كل نشرات الهدامين – صورة خداعة للإيمان ، في مثل مقالات ( الحب ) و ( الصداقة ) . ولكن هذا الإيمان الزائف ليس إلا الشرك الخداع الذي يجذب الأغرار ، إذ يوهم القارئ أن الرجل صادق الإيمان ، وأن ضلالاته وإلحاده ليست إلا ضربا من التصوف ، وأن سخطه على الأديان وطقوسها

هو ضرب من السمو الروحى الذى يستهدف إصلاحها وتنقيتها من الشوائب كما يزعم كل أمثاله من الهدامين .

أما ( قصة الحضارة ) لول ديورانت ( Will durant ) فقد أصدرت منه اللجنة الثقافية حتى الآن ستة عشر جزءاً ، ويكفى أن نراجع من هذه الأجزاء العديدة الجزءين اللذين تناولا حياة سيدنا عيسى وحياة سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام لنتبين أن اختيار هذا الكتاب للترجمة جريمة دبرتها الصهيونية الهدامة المتخفية فى زوايا اليونسكو ونفذتها بيد طه حسين وأمثاله فى جامعة الدول العربية .

يتساءل مؤلف الكتاب إن كان المسيح عليه السلام قد وجد حقاً (١١ : ٢٠٢ - ٢٠٥) ويثير حول الأناجيل مختلف الشبهات ( ١١ : ٢٠٦ - ٢١١ ) ، ويشكك فى نسبه وفى أنه ولد من عذراء ( ص ٢١٤ ) . وينكر كل معجزاته فينسبها جميعاً إلى الكذب والتلفيق ، أو يردها إلى خداع الحواس والوهم أو ما سماه « العلاج النفسى» (ص ٢٢١-٢٢٢) ويتناول شخص المسيح عليه السلام وكلماته وروايات الأناجيل بالسخرية ، فيقول مثلا ( إن الإنسان ليجد فى الأناجيل فقرات قاسية مريرة لا تواثم قط ما يقال لنا عن المسيح فى مواضع أخرى منها ، ويبدو أنه قبل دون بحث وتمحيص أقسى ما كان يؤمن به معاصروه عن جهنم السرمدية التى يعذب فيها من لا يتوبون من الكفار والمذنبين بالنار التى لا تنطفىء أبداً والديدان التى لا تشبع من نهش أجسامهم .

وهو يقول دون أن يحتج عليه أحد إن رجلا فقيراً فى الجنة لم يسمح له بأن يترك نقطة واحدة من الماء تسقط على لسان غنى فى الجحيم . . . ويلعن شجرة التين التى لم تكن تحمل ثمراً . ولعله كان قاسيا بعض القسوة على أمه . وكان يتصف بحماسة النبى العبرانى المتزمت أكثر من اتصافه بالهدوء الشامل الذى يمتاز به الحكيم اليونانى - ص ٢١٩ ) . وأكثر هذه المفتريات التى حشدها ذلك الصهيونى الهدام فى كتابه ، مروية عن المؤرخ اليهودى يوسيفوس .

ويمثل هذا الأسلوب الإلحادى الهدام عالج المؤلف حياة نبينا عليه الصلاة والسلام فى الجزء الثالث عشر . ففى هذا الجزء من الكتاب أخبث أساليب الكيد والدس للإسلام . والمؤلف

لا يلجأ هنا إلى الهجوم البذىء الصريح كما فعل مع شخص المسيح الكريم عليه السلام . ولكنه يتظاهر هنا بالإنصاف ، بل يبدو فى بعض الأحيان كأنه معجب بشخص النبى عليه الصلاة والسلام . فيقول مثلا ( وكان محمد ، كما كان كل داع ناجح فى دعوته ، الناطق بلسان أهل زمانه والمعبر عن حاجاتهم وآمالهم - ص ٢٤ ) . ويقول فى موضع آخر ( ذلك أن النبى كان ينشئ حكومة مدنية فى المدينة . واضطر بحكم الظروف أن يخصص جزءا متزايدا من وقته للمشاكل العملية المتصلة بالتنظيم الاجتماعى والأخلاقى والعلاقات السياسية بين القبائل ص ٣٣ ) ويقول ( وحتى شئون الحياة العادية كانت أوامره فيها تعرض فى بعض الأحيان كأنها موحى بها من عند الله ) .

وكان اضطراره إلى تكييف هذه الوسيلة السامية بحيث تتفق مع الشئون الدنيوية مما أفقد أسلوبه بعض ما كان يتصف به من بلاغة وشاعرية . ولكن لعله كان يشعر بأنه بهذه التضحية القليلة جعل كل تشريعاته تصطبغ بالصبغة الدينية الرهيبة - ص ٤٢ ) . وهو فى هذه المواضع كلها يتحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثه عن أى مصلح سياسى تصدر دعوته عن حاجات عصره وتشكلها ظروفه . ومع ذلك فإن كلامه هذا قد يخدع ضعاف المسلمين وأغرارهم حين يرون الكاتب - وهو غير مسلم - يبدى ميلا مصطنعا إلى إنصاف نبى لا يدين هو بدينه . فهذا الكلام المشبع فى ظاهره بروح المودة يخدع كثيرا من المسلمين فيتقبلونه بقبول حسن . وينتهى بهم ذلك إلى اعتبار نبيهم واحدا من الزعماء والفلاسفة والمفكرين والمصلحين الذين يزخر بهم تاريخ الشرق والغرب فى العصور القديمة والحديثة ، فيخرجهم ذلك عن إسلامهم لا شك . لأنهم لا يسلمون حتى يعتقدوا اعتقادا خالصا لا يدخله ريب أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانت بوحى يلاحقه ويقوده ويصحح كل أعماله . ولست أبالغ ولا أدعى غير الحق حين أقول إن هذه الروح اللادينية - مع شديد الأسف - قد أصبحت هى التى تسود دراسات التاريخ الإسلامى فى الجامعات . وذلك شىء يلمسه كل من تخرج فى كليات الآداب أو اتصل بها عن قريب . ومالى أذهب بعيدا وهذا هو محمد بدران - مترجم هذا الجزء - يقدم لى الدليل نفسه على صدق ما أقول ، حين يقرر فى مقدمته أن ( المؤلف قد أنصف الحضارة الإسلامية فشاد بفضلها ) .

يقرر المترجم المسلم ذلك فى سذاجة تبلغ حد الغفلة والبله ، مع أن ذلك الصهيونى الخبيث لا يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا الغرائب التى يخلعها من سياقها وظروفها حتى تبدو

لغير الخبير بالتاريخ الإسلامى فى صورة تثير السخط وتدعو إلى الاشمئزاز . كالذى يصف المجرم وهو يساق إلى القتل ويلتى فى الحبل . ويخفى ما اجترح من مفاسد وما أزهق من أرواح بريئة . تجد ذلك فى مثل كلامه عن قتله صلى الله عليه وسلم امرأة ، وعن قتله شيخا ناهز المائة ، لأنهما هجواه ( ص ٣٥ ) . وهو يسوق ذلك فى أسلوب هادئ رزين كأنه يسوق خبرا من الأخبار العادية دون أن يعلق عليه أو يحتفل به ، فلا يكاد القارئ المسلم يتنبه إلى غرضه الخبيث الذى هو فى حقيقة الأمر التشنيع بالنبى عليه الصلاة والسلام عند المخدوعين بما تزوره الصهيونية الهدامة من كلمات براقة ، حين تدعو إلى ( حرية الهدم ) وإلى ( حرية الإفساد ) وتسمى ذلك ( حرية الرأى ) ، وليوهم أنه - عليه الصلاة والسلام - لم يكن يرعى حرمة للنساء ولا للشيوخ . ومثل ذلك أيضا قوله ( وضمت صفية - وهى فتاة يهودية فى السابعة عشرة من عمرها كانت مخطوبة لكنانة - إلى نساء النبى - ص ٣٩ ) .

فمثل هذه الألغام التى يدسها الرجل فى ثنايا سطورة تترك أسوأ الأثر فى نفوس القراء من الغربيين ومن ضعاف الإيمان من المسلمين ، والمتحللين منهم للحضارة الغربية المتخلقين بها خاصة . شيخ جاوز الخمسين يتزوج فتاة فى السابعة عشرة ! وليس هذا فحسب . بل إنها كانت مخطوبة لرجل يهودى من بنى جنسها فأضافها إلى نسائه العديدات ! هل هذا تاريخ ؟ أم أنه تشنيع فى أخطر صوره ، لأن صاحبه يتصنع الهدوء ويتظاهر بالاتزان والإنصاف ، ويخدع الناس بمثل كلامه عن براعة النبى فى القيادة وفى شئون الحكم وفى التنظيم الاجتماعى .

ومن أمثلة هذا الأسلوب الخبيث وصفه النبى صلوات الله وسلامه عليه بأنه كان ( يعنى بمظهره الشخصى ويقضى فى تلك العناية كثيرا من الوقت . فكان يتعطر ويكتحل ويصبغ شعره ويلبس خاتما نقش عليه « محمد رسول الله » . وربما كان الغرض من هذا الخاتم هو توقيع الوثائق والرسائل . وكان صوته موسيقيا حلوا يأسر القلوب . وكان مرهف الحس إلى أقصى حد ، لا يطيق الروائح الكريهة ولا صلصلة الأجراس والأصوات العالية . . . وكان قلقا عصبى المزاج . يرى أحيانا كاسف البال ، ثم ينقلب فجأة مرحا كثير الحديث - ص ٤٥ ) . فهذا الأسلوب المسموم فى التصوير إنما يريد أن يصور النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة المتصابى وفى صورة العصبى المزاج المريض الأعصاب المصاب بالصرع . ويؤكد هذا الصهيونى الهدام تلك الصورة المفتراة بعد ذلك بقوله ( وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء واجبات الحب والحرب . ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره . وظن

أن يهود خيبر قد دسوا له السم فى اللحم قبل عام من ذلك الوقت [١] . فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة . وتقول عائشة إنه كان يخرج من بيته فى ظلام الليل ، ويزور القبور ، ويطلب المغفرة للأموات ، ويدعو الله لهم جهرة ، ويهنئهم على أنهم موتى . ولما بلغ الثالثة والستين من عمره اشتدت عليه الحميات ـ ص ٤٦ ) .

وجاء فى هذا الجزء من الكتاب أيضا ( وهاجرت إلى المدينة مائتا أسرة من مكة فنشأت فيها من جراء هذه الهجرة مشكلة الحصول على ما يكفى أهلها من الطعام . وحل محمد هذه المشكلة كما يحلها كل الأقوام الجياع بالحصول على الطعام أنى وجد . ومن ذلك أنه أمر أتباعه بالإغارة على القوافل المارة بالمدينة ـ ص ٣٤ ) . ويحاول المؤلف أن يلبس هذه الأكاذيب وهذا التشنيع المفترى ثوب العلم فيقول ( واجتمعت أسباب عدة عملت كلها على انساع ملك العرب . فمن الأسباب الاقتصادية أن ضعف الحكومة النظامية فى القرن السابق لظهور النبى قد أدى إلى انهيار نظم الرى فى جزيرة العرب فضعفت من جراء ذلك غلات الأرض الزراعية وحاقت بالسكان المتزايدين أشد الأخطار . ولهذا فقد تكون الحاجة إلى أرض صالحة للزرع والرعى من العوامل التى دفعت جيوش المسلمين إلى الفتح والغزو ـ ص ٧١ ، ٧٢ ) .

أترى إلى هذا الكلام المسموم الذى يصور المسلمين الأولين ـ وعلى رأسهم النبى صلى الله عليه وسلم ـ فى صورة عصابات اللصوص وقطاع الطرق ، والذى ينزل بدوافع الفتح النبيلة إلى أغراض مادية ، فينقلب ذلك النفر الكريم من المجاهدين الأولين فى نشر كلمة الله ، الذين لم يكونوا يبالون بحياتهم الدنيا فى سبيل ما أعده الله لهم من ثواب الجهاد فى نشر دينه ، ينقلب ذلك النفر الكريم إلى جماعة من اللصوص وقطاع الطرق . لماذا تؤدى جامعة الدول العربية المسلمين والعرب بإذاعته ؟ لماذا تنفق على نقله إليهم من أموالهم ، كأن مهمتها هى إسماعهم ما يكرهون وإحصاء ما قيل فيهم من الشتائم وإذاعته على الناس ؟ إن الحكومات تمنع شعوبها من الاستماع إلى الدعايات التى تفترى عليهم والتى تثبط عزائمهم وتفرق كلمتهم ، وتنفق فى مقاومة مثل هذه الإذاعات الآلاف والملايين فى بعض الأحيان . فهل دين الناس أقل قداسة وأهون مقاما ؟ .

لا يكفى فى دفع ضرر هذا الكتاب وأمثاله أن تكلف الإدارة الثقافية الدكتور الشيخ محمد يوسف موسى بالتعليق على ما يراه مستحقاً للتعليق ، فيعلق على بعض ويهمل بعضا ،

---

١ ـ تأمل حرص هذا الصهيونى على تبرئة اليهود من التهمة المفتراة إذ يقول « وظن أن يهود خيبر » .

لأن السذج والغافلين وقليلي الخبرة بتاريخ المسلمين - وليست لدينا وسيلة لمنع وصول الكتاب إلى أيديهم - إن قرءوا ما فى هذه الحواشى واقتنعوا به مرة فقد يهملونها وقد تستغويهم أباطيل الكتاب مرات . فما هى حاجتنا أصلا إلى ترجمة مثل هذه المفتريات ؟ أى فائدة تعود على العرب من نقل مثل هذا الكلام ، حتى يغضوا الطرف عما فيه من الأذى ؟ هل هذا مما يزيد العرب تماسكا ؟ أم هو مما يعينهم على النهوض ؟ لماذا تنقل إلى لغتنا هذه الكتب التى تتكلم عن نبينا عليه الصلاة والسلام بوصفه مصلحا لا نبيا ، وقد كان من آثار مثل هذه الدعايات - ولا أقول البحوث - أن افتتن بها جماعة من المسلمين فاتخذوها نموذجا لبحوثهم الإسلامية ، وظنوا أن تجردهم من إسلامهم شرط لسلامة البحث وعلميته ، كما زعم لهم طه حسين فى كتابه ( الشعر الجاهلى ) الذى سيق بسببه إلى المحاكمة . وقد أصبح التاريخ الإسلامى ، بل الدراسات الإسلامية فى كل فروعها ، لا تدرس فى الجامعات العربية الآن على اختلافها إلا على هذا النمط الفاسد المفسد الهدام . إن طه حسين الذى بدأ حياته العلمية متهما فى دينه ، يتسلق إلى الشهرة بمخالفة كل مقدس مصون وكل مقرر ثابت ، حين كان الإلحاد بدع العصر يجاهر به الملحدون ويتظاهر به صغار النفوس والعقول من الأدعياء ، هذا الرجل نفسه هو الذى يشرف على اختيار مثل هذه الكتب لتترجم على نفقة العرب ، وليثقف بها ناشئتهم ويشد بها أزر جامعتهم . وأى جامعة قد بقيت للعرب ، ولجنتهم الثقافية تؤذى إيمان المؤمنين مسلمهم ومسيحيهم ؟ تؤذى المسيحيين مرة وتؤذى المسلمين مرتين . تؤذيهم فى نبيهم عليه الصلاة والسلام مرة وتؤذيهم فى شخص المسيح الكريم عليه السلام مرة أخرى ، ثم تعتذر لهم عن جرأة المؤلف على الإسلام وافترائه على نبيه الكريم بجرأته على اليهودية والمسيحية وافترائه على رسوليهما الكريمين ( ص ٢١ ) . فهل سمع الناس عذراً أقبح من هذا العذر الذى لا يصدر إلا عن جهول ؟ هل يعتذر عن رجل سب أبى بأنه لم يسب أبى وحده ، ولكنه سب آبائى كلهم أجمعين ؟ !

وبعد فإنى أستغفر الله سبحانه وتعالى لنفسى ولقارىء هذه المفتريات ، فإنما قصدت أن أضع بين يديه جسم الجريمة ، ليرى رأى العين طه حسين يحمل أوزاره فوق ظهره ، وليطالب الناس المسئولين بكف أذاه إن كان فيهم بقية من غيرة على إسلامهم وعلى شخص نبيهم الطاهر الكريم ؟

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

# صلات مصر الثقافية
## بلاد آسيا وغيرها

ادخر الله - جلت قدرته ، وسمت حكمته - مصر لتكون معقلا لدين الإسلام ومنارة للهدى والعرفان ، منها تشع أضواء التوحيد ، وتنتشر تعاليم الشريعة السمحة إلى ربوع الأرض فى كل مكان ، كما حملت فى القديم مشعل الحضارة ، والعلم للإنسانية جمعاء . ففيها الأزهر . تلك الجامعة العتيقة ، تأذن الله أن يجعلها نبع العلوم والمعارف ، وحصن الإسلام الخالد ، ومعقل لغة الضاد من قديم الزمن ، وعلماؤه قدوة الشرق والغرب ، وهم الهداة الذين لا يشق لهم غبار ، وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر الدكتور عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر ، الذى لا يألو جهدا فى العمل على رفع شأن الأزهر والإسلام ، والدعوة إلى السلام ، لإسعاد الإنسانية .

والذى يعنينا فى هذه الكلمة هو أن نبين حاجة العالم الإسلامى إلى هذا المعهد العظيم ، وأثره فى حياة الأمم الإسلامية عموما ، والآسيوية خصوصا ، وعناية رجاله بأحوال هذه الأمم .

فإذا كانت مكة المكرمة بكعبتها المباركة ، مهوى أفئدة المسلمين للعبادة والنسك ، فيها المثابة والأمن ، فكذلك أضحت مصر بأزهرها محط الرحال ، وقبلة رواد العلوم والمعارف ، ومركزاً للثقافة الفكرية والإسلامية ، بعد أن قضى التتار على التراث الإسلامى فى بغداد .

لذلك اتجه العالم الإسلامى على اختلاف ألسنته وألوانه ، منذ قرون عديدة ، فأخذ يرسل فلذات أكباده إلى الأزهر ، إذعانا لقوله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

ذلك الأزهر الذى قام على حفظ اللغة والدين آمادا طويلة ، ونيف على الألف عام وهو يؤدى رسالته الخطيرة إلى الإنسانية فى الشرق والغرب ، رغم ما يتعرض له فى كثير من الأحيان ، من عواصف وأحداث على مر الزمن . وفى كلمة اللورد كرومر حين عاد إلى « بريطانيا » : « ما دام الأزهر فى مصر فلن يثبت قدم الاستعمار فى بلاد الشرق » ما يدل على ذلك .

والأزهر لم يخلق لمصر وحدها ، بل هو الدعامة الكبرى التى ترتكز عليها الحياة الروحية والخلقية للعالم الإسلامى ، فلتعد عنى أشد العناية بخدمة هـذا الجانب من الحياة الإنسانية فى آسيا وفى غيرها .

فأنشأ لذلك « مراقبة البحوث والثقافة » التى تقوم بإرسال المصاحف والمؤلفات العلمية إلى المكتبات فى كثير من الدول ، وترسل مناهج الدراسة إلى المؤسسات العلمية وتقوم بالفصل فى كثير من المشاكل الدينية والثقافية الدراسية ، التى تتعلق بحياة الناس التعبدية والعملية ، وتقوم باستقبال وفود الزائرين من كبار الشخصيات الإسلامية وبعثات المعاهد العلمية من سائر الأقطار ، وتقوم بالإشراف على المعاهد الدينيه فى البلاد الإسلامية : بإرسال المبعوثين إليها ، مثل معهد الكويت وغيره .

وأنشأ الأزهر « مراقبة البعوث الإسلامية » وتقوم بالإشراف الإدارى على الطلاب الوافدين على الأزهر ، وترعاهم من الناحية النظامية والمادية ، وتسهر على راحتهم .

كما أنشأت مشيخة الأزهر « مجلة » تحمل رسالة تلك الجامعة إلى بلاد الا
لتكون حلقة اتصال فكرى وثقافى ، بين الأزهر وتلك البلاد التى [illegible]
ومرآة صافية يرى فيها المسلمون أسرار دينهم ، ومحاسن تشريعهم ، ومدى اتساع أفق هذا الدين لكل ما يجد فى الكون من المستحدثات ، التى تعود بالخير والصلاح على الإنسانية ، ولتحمل ماتنتجه قرائح أعلام العلماء ، وحفاظ الشريعة من الأحكام والآراء ، فى مختلف شئون الحياة ، مما ينصب للناس معالم الهداية ، ويرسم لهم طريق الخير والشر .

كما تعنى « مجلة الأزهر » بدفع الشبه والمفتريات والأفكار الهـدامة ، التى تدسها أقلام الملاحدة ، وذوو الأهواء والبدع ، باسم حرية الفكر تارة ، وباسم التجديد والإصلاح تارة أخرى ، مما يفسد على الناس عقائدهم ، ويشككهم فى دينهم .

وتعتبر المجلة معينا صافيا ، يتلقف منه العلماء والكتاب شذرات لترجمتها ، ونشرها فى أمهات الصحف والمجلات .

وأنشأ الأزهر « لجنة للفتوى » مكونة من جهابذة العلماء على المذاهب الأربعة وغيرها ، تقوم بالإجابة على الاستفتاءات الكثيرة المتنوعة ، بفتاوى مستفيضة على جانب كبير من الأهمية ، يتلقى المسلمون حكمها فى إذعان وتسليم ، لثقتهم العظيمة فى رجال الأزهر .

وفى شهر رمضان من كل عام ، يقوم الأزهر بإرسال أفاضل الهداة والمرشدين إلى مختلف البلاد الإسلامية ، الآسيوية وغيرها ، لإحياء ليالى هذا الشهر المبارك ، بالمحاضرات التى تدعم الحياة الروحية ، وتزكى الجوانب الخلقية فى نفوس المسلمين .

والأزهر يستقبل الوافدين من الطلاب ، من مختلف بلدان العالم . وقد بلغ عددهم خمسة آلاف طالب من بلدان آسيا وغيرها ، ولكل جماعة من عنصر واحد رواق يعين له شيخ منهم يرعى مصالحهم ، وعدد الأروقة ٢٢ رواقا ، تمثل البلاد الإسلامية المتعددة ، كأندونيسيا والصين والفليبين والملايو والهند وسيلان ومالديف وأفغانستان ، وغيرها من البلاد العربية والإسلامية ، وقد أنشأت حكومة الثورة لهم مدينة ، تعتبر أضخم مدينة لطلاب العلم .

وقد تخرج من هؤلاء الطلاب فى ربع القرن الأخير ما يقرب من ألف متخرج من آسيا وحدها ، وكثير منهم يشغلون مناصب خطيرة ، فى بلادهم وغيرها ، فمنهم الوزراء والسفراء .. . الجامعات ، وعمداء الكليات ، والمستشارون والمفتون ، والقضاة والأساتذة ... ذلك من المناصب الدينية والعلمية والسياسية والاجتماعية ، ويضيق ...هم وبلادهم .

هذا ولم يكتف الأزهر بتلقى البعثات الوافدة ، والقيام بتعليمها ، بل أوفد كذلك بعثات من خيرة أساتذته إلى بلاد آسيا وغيرها منذ سنوات عدة ، تشاركه فى ذلك وزارة التربية والتعليم ، والجامعات المصرية .

فأوفد بعثة إلى الصين عام ١٩٣٣ م ، مكثت هناك أربع سنوات ، قامت فيها بأعمال جليلة فأنشأت مكتبة بكين الإسلامية الكبرى ، وأوفد بعثة إلى اليابان عام ١٩٣٦ م ، وأوفد بعثة إلى الهند عام ١٩٣٦ م لدراسة أحوال المسلمين هناك ، والتوفيق بين طوائفهم . ويقوم الآن بإرسال مبعوثيه إلى معظم البلاد الإسلامية ، ولا سيما الآسيوية لمثل هذه المهمة .

هذا هو الأزهر بثقافاته ، وعلومه ومعارفه وجهوده ، يلم شعث المسلمين ، ويوجههم إلى خير الدنيا والآخرة .

ومن العجب أنه مع هذا كله يدور فى أذهان بعض دعاة الاستعمار ، فكرة يريدون بها انتزاع الزعامة الدينية ، والثقافة الفكرية والإسلامية من مصر . وأنى لهم ذلك ! فقد توفر للأزهر العتيق ما لم يتوفر لغيره ، فهو جامعة مصر الكبرى ، التى تزعمت العالم فى القديم بحضارتها التاريخية الخالدة ، وفى الحديث بثقافتها الإسلامية المتمثلة فى الأزهر .

وأنى لغير مصر بحافظ القرآن عن ظهر قلب ، وأدائه فى طلاقة وفصاحة ، من مئات الألوف على هذه الصورة من الجلال والجمال ، التى ينتظرها ملايين المسلمين فى الصباح والمساء من إذاعة مصر ، والقرآن هو المحور الذى تدور عليه زعامة الإسلام .

ولا غرو فقد حبا الله مصر موقعاً جغرافيا يعتبر فى قلب الدنيا ، ومناخا طيبا جميلا يناسب جميع الوافدين من مختلف الأقطار ، لم يتوفر لبلد غير مصر .

وإزاء تلك الخدمات التى أدتها مصر عن طريق الأزهر للعالم الإسلامى قروناً عديدة ، كان الواجب على هؤلاء الدعاة أن يعملوا على تدعيم الأزهر ، وعلى مساندة مصر فى شخص الأزهر ، وليعلموا أن زعامة مصر للعالم الإسلامى وراثية ، ورثتها جيلا بعد جيل وفيها الخير كل الخير للإسلام والمسلمين ، وسجلتها الوقائع التاريخية ، فقد سجلها صلاح الدين برد الصليبيين عن بلاد العروبة والإسلام ، كما سجلها من بعده الملك المظفر سيف الدين قطز ، والظاهر بيبرس بصد جحافل المغول والتتار كذلك ، والتاريخ حافل بمواقف كثيرة لمصر فى الذود عن بيضة الإسلام ضد أعدائه فى كثير من البلاد الإسلامية .

وقد تأكدت هذه الزعامة بإنشاء المؤتمر الإسلامى ، لمؤازرة الأزهر فى القيام برسالته ، فى صيانة العقيدة الإسلامية ، ودفع خطر الاستعمار السياسى والدينى واحتضان البعوث الإسلامية ، الوافدة على مصر من أربع وخمسين دولة .

وقد تجلت مظاهر هذه الزعامة فى التفاف المسلمين ، ومؤازرتهم لمصر إبان الهجوم الثلاثى الغادر عليها . وقد ازدادت تبعات هذه الزعامة بعد أن استكملت مصر أسباب القوة ، وظلت حفيظة على مقدسات الإسلام مذ زوت ثقافته من جميع البلاد ، واحتضنتها مصر ، وصانها الأزهر هذه الحقبة الطويلة .

فمصر تعتبر بحق أستاذ العالم الإسلامى ، منذ أنشئ الأزهر ، وعمرت حلقاته بدروس الدين والفكر واللغة .

وإن على حكومة الثورة فى عهدها الزاهر ، وعلى رأسها محرر مصر وحامى القومية العربية « الرئيس جمال عبد الناصر » .

أن تؤكد هذه الزعامة ، وتعمل على إبقائها بما تتطلبه تلك الزعامة من تدعيم للأزهر ومساندة له فيما يريد من إصلاح ، والله ولى التوفيق ؟

محمد حسن درويش
شيخ معهد البعوث الإسلامية بالأزهر

# حرية الفكر

## كما قررها الاسلام

لقد أتى على جماهير الناس حين من الدهر ، كان مبلغهم من العلم بالدين أنه مجموعة من العقائد والأعمال التى لا مجال فيها للعقل ، ولا متسع فيها للبحث والنظر ؛ لأن القادة الدينيين الذين استمدوا قيادتهم من وحى الأهواء وطغيان الشهوات ، كانوا يقولون لمن يلقنونه هذه العقائد والأعمال ، « أطفىء مصباح عقلك ثم اعتقد وأنت أعمى » فلا يباح له أن ينظر فيها بعقله وفكره ، وإنما عليه أن يتلقاها بالتسليم المطلق والتقليد الأعمى ، وبذلك سيطروا على عقولهم وأفهامهم ، وسلبوهم حرية الفكر واستقلال الإرادة ، وفرضوا عليهم ماشاءوا من العقائد التى اختلقوها بأهوائهم ، والشرائع التى ابتدعوها بجهلهم وضلالهم ، وبقى هذا الضلال شائعا فى عقائدهم وأعمالهم ، حتى جاءهم الإسلام فى جلال الحق وصفاء النبع ، ليضع عنهم تلك الأغلال التى كانت جاثمة على عقولهم وأفكارهم ، ويزيل هذه الأكنة التى كانت مضروبة على قلوبهم وأبصارهم ، فنادى بصوت ملأ الخافقين وأسمع الثقلين ، أنه الدين الذى يساير الفطرة والوجدان ، ويحكم الحجة والبرهان ، ويطالب العقلاء بالبحث والنظر ، وتحكيم العقول ومراجعة الضمائر ، والاهتداء بنور العلم والمعرفة ، وأقام صرح هذه الدعوة التحريرية على الدعائم الآتية : —

الدعامة الأولى : تحرير الإنسان من الحجر العقلى والكبت الفكرى ؛ لكى يكمل بذلك عقله ويستقيم تفكيره ، وتكتمل له شخصيته وإنسانيته ، فإن كمال العقل هو الدعامة الأولى لصحة العقائد وكمال الأخلاق وصلاح الأعمال ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر ، وإنما يرتفع العباد غداً فى الدرجات الزلفى عند ربهم على قدر عقولهم » ، « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى ، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله » .

ولقد عنى القرآن ببناء هذه الدعامة عناية كبرى ، فاستنهض العقول والأفهام ، وأيقظ

الحواس وتنبه المشاعر . وطالب العقلاء بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ، والتعرف على أسرار العوالم الكونية ونواميسها . وما فيها من الدلائل على وجود الله ووحدانيته فى ألوهيته وربوبيته . كما قال جل شأنه « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » ، « افلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » ، « وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون » وأكثر من ذكر الآيات الكونية ومطالبة العقول بالنظر فيها ، كما يتجلى ذلك فى التعقيب عليها بمثل قوله جل جلاله « لقوم يعقلون » ، « لقوم يتفكرون » « أفلا تعقلون » ، « أفلا تبصرون » وذم الغافلين ونعى عليهم غفلتهم وإعراضهم عن دلائل هذه الآيات ، كما فى قوله تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها . ولهم آذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » ، « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » وبشر الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ومدحهم وأثـ[illegible] كما قال تعالى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك [illegible] وأولئك هم أولو الألباب » .

الدعامة الثانية : تحرير الإنسان من رق التقليد الأعمى ، وتربيته على حرية الفكر واستقلال الإرادة ، واحتقار التقليد والتبعية العمياء ؛ فإن التقليد الأعمى من شر ما تبتلى به الأفراد والجماعات ، فإنه هو السبب الأول فى الجمود على الأباطيل الموروثة ، وإهمال مواهب الفكر والنظر ، وعدم التمييز بين الحق والباطل . وفى ذلك جناية على الحق وتدسية للنفس ، وقتل للمواهب وامتهان للعقول ؛ وهو الباعث القوى على الوقوف فى طريق الإصلاح والمصلحين . وقيام التعصب الجماعى لحماية المعتقدات والعادات الموروثة ، ومحاربة كل جديد يكشف عن زيغها وباطلها ؛ لأن العقائد والمذاهب إذا قامت على أساس الوراثة وتقليد الآباء والأجداد ، فإن ذلك يضفى عليها قداسة تستحوذ على عواطف الوارثين لها ، وتصرفهم عن التفكير فى مدى صحتها أو بطلانها ، وتحملهم على التعصب الجماعى لحمايتها والإبقاء عليها ومعارضة كل جديد يخالفها أو ينتقص من قداستها ، ولو كان ذلك الجديد أهدى منها سبيلا وأقوم طريقا ، وقد قرر القرآن هذه الحقيقة فى آيات كثيرة ، كقوله تعالى : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم

مقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم . قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون »
« وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا
إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد »
فانظر كيف يفعل التعصب الجماعي بأهله . فقد كانت صناديد قريش يعرفون رسولهم كل المعرفة
ويعلمون صدقه وأمانته حق العلم . ولكن التعصب القائم على تقديس ما وجدوا عليه آباءهم ،
هو الذي حملهم على التنكر لنبوته ورسالته . ورميه بأنه ساحر كذاب ، ووصف التوحيد
الذي جاءهم به بأنه شيء عجاب . والتواصي بالصبر والثبات على شركهم وضلالهم . ولو أنهم
سلكوا طريق التحرر من سلطان التعصب الجماعي . الذي أرشدهم إليه القرآن بقوله
« قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا . مابصاحبكم من جنة ،
إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » وقاموا لله مثنى وفرادى . وخلا كل منهم
بصاحبه أو بنفسه ، يستطلع رأيه ويستكشف سره . ويستوحى عقله ويستفتى قلبه . لزالت
... الت عقدها التعصب على القلوب والأبصار . ولعلموا أن صاحبهم صلوات الله
...يس به من جنة كما يفترون ، وما هو إلا نذير لهم بين يديه عذاب شديد .

ومن هنا يتجلى لنا الأثر في تمسك الأمم بالعقائد والمذاهب الموروثة ، وإن كانت
لا تقوم على أساس من الحق ، ولا تعتمد على نظر صحيح ، ولا تتفق مع ما بلغته من الرقى
العقلي والتقدم العلمي . وفي أن التقليد الأعمى من شر ما تبتلى به الأفراد والجماعات
كما قلنا ، ولهذا كان لابد للإسلام وهو يقيم دعائم التحرير ويبنى قواعد الإصلاح ، أن يحمل
حملة قوية على التقليد والمقلدين ، فعاب على المقلدين إعراضهم عن الحق ، وجمودهم على متابعة
ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال والانحراف ، ونعى عليهم جهلهم وافتراءهم على الله
الكذب ، كما قال تعالى « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ،
أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا
والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون » وسجل عليهم
ما يقع منهم في الدار الآخرة ، من الاعتراف بما جنته عليهم الطاعة العمياء لسادتهم
وكبرائهم . كما قال تعالى « يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا
الرسولا ، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين
من العذاب والعنهم لعنا كبيراً » .

وهكذا كشف الإسلام عن مدى جناية التبعية العمياء على الأتباع والمتبوعين ، وقضى على سلطة المتألهين من ذوى القيادة الضالة والزعامة الزائفة ، وخلع عنهم رداء القداسة التى انتحلوها لأنفسهم . والتى جعلتهم فى نظر المخدوعين فيهم أربابا من دون الله تعالى ، وأهاب بأسرى التقليد والتبعية العمياء . أن يحرروا أنفسهم من هذه العبودية التى أهدرت كرامتهم وإنسانيتهم . وأن يعلموا أن الإشقاء والإسعاد . وربوبية التشريع والعبادة . أمور خالصة لله ملكا واستحقاقا . وأن أساس الإيمان الصادق والدين الخالص . هو التسليم الكلى لشرع الله الذى أنزله على رسوله ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » « أفحكم الجاهلية يبغون . ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

الدعامة الثالثة : تحرير الإنسان من عبادة الأهواء والخضوع لسلطانها . فإن الهوى مضلة للعقل . ومضيعة للحق . لا يستقيم لصاحبه رأى . ولا يعتدل له قصد . ولا تسلم له طوية . ولا يخضع لحق ليس فى جانبه . ولهذا عنى القرآن بتحرير الإنسان من عبودية الأهواء عناية كبرى . فندد بالعاكفين على تأليه الأهواء وعبادتها . كما قال تعالى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة . فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » « فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين » ونعى عليهم أخلاقهم وسوء طوياتهم . كما فى قوله تعالى « وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، إذا فريق منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ، أفى قلوبهم مرض ، أم ارتابوا ، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل أولئك هم الظالمون » هذه هى أخلاقهم فى الماضى وفى الحاضر . يستفتونك فى الأمر وصدورهم منطوية على رأى دفين ، فإن أفتيتهم بما فى أنفسهم فرحوا ورضوا ، وإن أفتيتهم بغيره سخطوا وأعرضوا ، وسخروا منك ما شاءوا وشاءت أخلاقهم ، وإذا دعوتهم إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلتهم بالتى هى أحسن ، ركبوا رءوسهم ولجوا فى عتو ونفور ، وخاضوا فى جدال عنيف ونقاش عقيم ؛ لأنهم ليسوا طلاب حق وهدى ، وإنما هم أصحاب غرض وهوى ، لأن طالب الحق يطلب ما يطلب من حكم ورأى وهو مجرد عن كل هوى يطاوعه أو غرض

يتابعه ، ومستعد لقبول الحق والتسليم به متى ظهر له ، وذلك هو منطق العقل وطريق الوصول إلى الحق ، أما أن يضع المستفتى نصب عينيه رأيا معينا . ويطوى نفسه على هوى دفين ، ويأبى إلا أن يكون الحق تابعا لرأيه وهواه ، فذلك هو منطق القلوب المريضة ، ومسلك النفوس العليلة ، ووحى الأهواء المؤلهة . « ولو اتبع الحق أهواءهم ، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » .

الدعامة الرابعة : تحرير الإنسان من مرض الجهل وظلمته . فإن الجهل يطفئ نور القلب ، ويقتل مواهب الفكر ، ويميت فى الأمم عناصر الحياة والقوة . ويفقدها قوة الإرادة وصدق العزيمة ، وقد عنى الإسلام بهذه الدعامة عناية كبرى ، فرفع شأن العلم وحث على طلبه ، وعظم شأن العلماء وأعلى منزلتهم ، وجعلهم رواد الحق ودلائل الهدى ، كما فى قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . إنما يتذكر أولو الألباب » « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة » . « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها . ولا يضره من أى وعاء خرجت » .

وأنحى باللائمة على الذين يتبعون الظنون والأوهام ، ويجادلون فى الله بغير علم ، كما قال عز وجل « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ، إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » وبذلك فتح الإسلام لأهله طريق المعرفة وأعد قلوبهم للحياة بنور العلم ، ووجه عقولهم للبحث والنظر . وأرشدهم إلى أن العلم هو سبيل سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، فإن الإسلام إذ يمتدح العلم ويرفع من شأنه ، ويحث المسلمين على طلبه والاهتداء بنوره ، إنما يريد به العلم الذى يوضح لهم معالم السعادة فى المعاش وفى المعاد ، ويكشف لهم عن أسرار الكائنات ، ويعد لهم وسائل الحياة والقوة ، ويبنى لهم قواعد السيادة والمجد ، ولقد عمل المسلمون الأولون بهذا التوجيه الإسلامى ، فكانوا رسل الهداية وقادة الإصلاح وأساتذة العالم بلا منازع .

هذه هى الدعائم التى رفع الإسلام قواعدها ، وفتح بها للإنسان طريق التحرر الفكرى والاستقلال الإرادى ، وبوأه المنزلة اللائقة بكرامته ، وعرفه أن الله لم يخلقه عبدا يقاد كما تقاد الأنعام ، ولم يجعل لأحد حق السيطرة على عقله وقلبه . وإنما خلقه حرا مالكا

لأمره ، يفكر بعقله ويعمل بإرادته ، ويستمع إلى دعوة الحق ، ويهتدى بنور العلم ، ويسترشد بدلائل الكائنات ، ويعتبر بما يجرى فيها من الحادثات .

« وبعد » فقد تبين لنا من كل ما تقدم .

(١) أن التقليد الذى ذمه الإسلام وشدد النكير على أهله ، إنما هو التقليد الذى يقوم على العصبية الوراثية والنعرة الطائفية ، والذى لا يميز بين الحق الذى أنزله الله على رسوله ، والباطل الذى أوحت به الشياطين إلى أوليائهم ، ولا يفرق بين التقليد فى الخير والتقليد فى الشر ، وأما تقليد الأئمة الذين استنارت قلوبهم بهدى الكتاب والسنة ، وامتلأت نفوسهم رهبة الخوف من القول فى دين الله بغير حجة ، فليس من قبيل التقليد والتبعية العمياء ، وإنما هو من قبيل القدوة الصالحة المستبصرة ، والأسوة الحسنة الواعية ، ومتابعة غير العالم لأهل العلم والمعرفة ، لقوله تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث العرباض بن سارية « فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » فالاعتصام بكتاب والسير على سنن الخلفاء الراشدين والأئمة الراسخين فى العلم ، هما سبيل النجاة من والاختلاف ، وطريق العصمة من ضلال الرأى وطغيان الهوى .

(٢) أن حرية الفكر التى قررها الإسلام وجعلها حقا للإنسان ، هى التى تنبثق من نضوج العقل ونور العلم واستقامة التفكير ، وتقوم على قضايا الحق والمنطق ، وتحكيم الحجة والبرهان ، واحترام النصوص الشرعية وتقديسها ، والتزام قواعد الاستدلال التى جرى عليها أئمة المسلمين فى فهمها والاستنباط منها ، اذ لو وكل أمر الدين إلى الناس يحكمون فيه أهواءهم وأفهامهم كما يشاءون ، ويقبلون ويردون منه كما يشتهون ، لصار أمر الدين فوضى لا ضوابط له ولا حدود ، واختلت موازين الحق والباطل ، فإن العقول والأفهام متفاوتة ، والنوازع والأهواء متحكمة ، والكملة من أهل الحق فى كل زمان ومكان قليلون . وبالجملة هى الحرية التى تصلح العقائد ولا تفسدها ، وتبنى المجتمعات الصالحة ولا تهدمها . وتجعل من أهل الرأى قادة مصلحين لا قادة مضللين .

أما الحرية الفكرية التى لا تتقيد بقضايا الحق والمنطق ، ولا تلتزم قواعد النظر والاستدلال ، ولا تعبأ بحرمة النصوص الشرعية وقداستها ، ولا تبالى بالخروج على الأصول

الإسلامية المتررة ، ولا تعتمد إلا على الجهل والسفسطة ، والغرور والغطرسة ، إذ ليس لها رائد من الحق تلتزم طريقه ، ولا هدف من الإصلاح تسلك سبيله . وإنما رائدها مرض القلوب وطاعة الأهواء ، وهدفها الإفساد والهدم والإغراق فى الفجور والتحلل . فتلك حرية متحللة فاجرة . لا يبيحها الإسلام ولا يرضاها لأهله . لأنها سبة للعقل وعار على العلم ، وضلال فى التفكير وفساد فى الأرض .

فيامن أوسعتم لحرية الرأى مجالا غير محدود . واصطنعتم لها معنى غير معقول . وأطلقتم ألسنتكم وأقلامكم تهجم على قدسية الدين وتعاليمه ، وتشكك الناس فى أصوله ومصادره ، وتهدم صروح الفضائل باسم الإصلاح والتجديد . راجعوا عقولكم وضمائركم فيما تصنعون ، فما هكذا تكون حرية الفكر وقيادة الرأى ، وما هكذا يكون الإصلاح والتجديد ، واتقوا الله فى أنفسكم وأممكم وأوطانكم ، فإن الدنيا متاع قليل وإن جل فى أعينكم ، ... نيا قريب وإن بعد فى أمانيكم ، وساعة الحساب آتية لا ريب فيها . ولا مفر ... ب من الجزاء ، « يأيها الناس إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة ... يغرنكم بالله الغرور » ؟

يس سويلم طه

المفتش بالأزهر

---

# من وحى الهجرة

| | |
|---|---|
| هجـــرة كان بها أسمى الظفر | لك يا من رمت تحرير البشر |
| جمعت كل عظات وعـــبر | تمـــلأ النفس بأنوار اليقين |

من قصيدة للأستاذ

عبد الرحمن نجا

في الميزان :

# نقد كتاب

## « أضواء على السنة المحمدية »

---

في رمضان من عام ١٣٦٤ أغسطس عام ١٩٤٥ نشر الأستاذ محمود أبو رية مقالا بالرسالة العدد « ٦٣٣ » تحت عنوان « الحديث المحمدي » ضمنه آراءه في بعض مباحث الحديث وذكر أنها خلاصة كتاب سينشر . فلما قرأته وجدت فيه عزوفا عن الحق والصواب في بعض ما كتب . فأخذت بالقلم وكتبت ردا أرسلت به إلى « الرسالة » فنشر بالعدد « ٦٤٢ » وقلت في ختام الرد « وحيث أن المقال خلاصة كتاب سينشر ، فإني لأهيب بالأستاذ أن يراجع نفسه في بعض هذه الحقائق التي تكشفت له ، وليكر بالتمحيص والتدقيق ، وعلم الحديث ليس بالأمر الهين ، والبحث فيه وتمحيص وتدقيق » وقد أبى الكاتب أن يسلم بكل ما أخذته عليه فكتب ردا نشر بالرسالة العدد « ٦٥٤ » وذكر في مقدمة رده أن مقالي « ينزع إلى الحق ويطلبه . وأنه يستحق العناية ويستأهل الرد » ثم تريث الأستاذ في نشر ما عن له من فصول هذا الكتاب فقلت : لعله راجع نفسه .

وفي عامنا هذا « ١٣٧٧ — ١٩٥٨ » طلع علينا الأستاذ أبو رية بكتاب تحت عنوان « أضواء على السنة المحمدية » فقرأت الكتاب قراءة باحث متثبت مستبصر فإذا هو صورة مكبرة لما أوجز في مقاله القديم ، وإذا بالمؤلف لم يغير من أفكاره إلا في القليل النادر . فعزمت على الرد عليه ردا مسهبا . ولا سيما وأن الكتاب أحدث بلبلة في الأفكار عند من لم يتعمقوا في دراسة السنة . وقوى عزمي على الرد رغبات الكثيرين من الفضلاء . الذين لا يزالون يذكرون ردي الموجز القديم وحسن ظنهم بي .

وقد رأيت أن أنشر هذه الردود على صفحات مجلة الأزهر « الزهراء » وأي مجلة أحق بمثل هذه البحوث من مجلة الأزهر ؟ وهي لسان الأزهر وحاملة لواء الإسلام والتعريف به والذب عنه . وإليها يسكن المسلمون في جميع أقطار الأرض ؛ وقد آثرت أن أقدم بين يدي

النقد التفصيلى للكتاب صورة موجزة ، وإن شئت فقل خطوطا عريضة تعطينا فكرة عن الكتاب وطريقة مؤلفه ومنهجه فى البحث ، وإليك البيان :

(١) إن المؤلف يدعى دعاوى عريضة ولا يدلل عليها . أو يحاول أن يدلل عليها ، فيعوزه الدليل ، أو يستدل فيأتى الدليل قاصرا عن الدعوى . . . وذلك مثل ما ذكره فى ص ٥ من ( أن علماء الحديث قد بذلوا أقصى جهدهم فى دراسة علم الحديث من حيث روايته . . . على حين أهملوا جميعا أمرا خطيرا كان يجب أن يعرف قبل النظر فى هذا العلم ودرس كتبه ـ ذلك هو البحث عن حقيقة النص الصحيح لما تحدث به النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وهل أمر بكتابة هذا النص بلفظه عند إلقائه أو تركه ونهى عن كتابته ؟ وهل دونه الصحابة ومن بعدهم أو انصرفوا عن تدوينه ؟

وهل ما روى منه قد جاء مطابقا لحقيقة ما نطق به النبى ـ لفظا ومعنى ـ أو كان
والراسخون فى العلم أن كل ما ادعى أنهم أهملوه جميعا قد قتلوه بحثا
ـ ثل ما ذكره فى ص ٧ من ( أنه وجد أنه لا يكاد يوجد فى كتب
ـ سموه صحيحا أو حسنا ـ حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه . . )
ومثل قوله فى ص ١٣ « ولما كان هذا البحث لم يعن به أحد من قبل . . رأيت أن أسوى منه كتابا مبوبا جامعا أذيعه على الناس حتى يكونوا على بينة من أمر الحديث المحمدى ، وفى الحق أنه ما من بحث عرض له إلا قد أشبع العلماء فيه القول . ولندع التدليل إلى مقام التفصيل . . .

(٢) إن المؤلف اعتمد فى التدليل على بعض ما ذهب إليه على كلام المستشرقين ! ! ! أى والله المستشرقين ، وذلك كما فعل فى ص ٨١ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، وكيف خفى على المؤلف الحصيف أن المستشرقين ـ إلا القليل منهم ـ يحملون الضغن للإسلام والمسلمين ، وأنهم نفثوا سمومهم فى بحوث ادعوا أنها حرة نزيهة ؟ ـ وما هى من النزاهة فى شىء ـ وأن من مقاصدهم تقويض صرح الإسلام الشامخ ، وذلك بتقويض دعامتيه ـ القرآن والسنة ؟ ـ وأنهم لما عز عليهم التشكيك فى القرآن ـ على كثرة ما حاولوا ـ ركزوا معظم جهودهم فى السنة بحجة عدم تواترها فى تفصيلها ؟ فلبسوا الأمر على بعض الناس حتى كان من أثر ذلك ما يطلع علينا به بعض الباحثين فى الأحاديث النبوية بين الحين والحين ومنهم الأستاذ المؤلف من

آراء مبتسرة جائرة ، ويشهد الله أنها مصنوعة فى معامل المستشرقين ثم استوردها هؤلاء فيما استوردوا من أفكار وادعوها لأنفسهم زورًا وبهتانا .

(٣) إن المؤلف أفاض فى بعض المباحث وأكثر من النقول وذلك لكى يرتب عليها ما يريد من نتائج هى أبعد ما تكون مترتبة عليها ، وذلك كما صنع فى مبحثى الرواية بالمعنى وضررها الدينى واللغوى والأدبى ، بينما أوجز إيجازا مخــلا فى بعضها كما فعل فى مبحثى العدالة والضبط !! وهل تعلم أن هذين المبحثين اللذين يقوم عليهما علم الرواية ونقد المرويات فى الإســلام لم يحظيا من الكتاب إلا ببضعة أسطر ؟ والذى يظهر لى أنه أمر مقصود من المؤلف ، ذلك أنه لو ذكر شروط العدالة والضبط على ما أصلها وقعدها أئمـــة الحديث وصيارفته ، لعاد ذلك بالنقض على كثير مما ذكره المؤلف فى كتابه من استنتاجات لا تسلم له . ولا أكون مغاليا أو متعصبا إذا قلت : إن الأصول التى وضعها علماء أصول الحديث لنقد المرويات ، هى أرقى وأدق ما وصل إليه العقل البشرى فى القديم والحديث وسأفيض فى بيان ذلك عند النقد الموضوعى إن شاء الله .

(٤) من عجيب أمر هذا المؤلف أنه يستشهد بأحاديث موضوعة ما دامت تساعده على ما يريد ويهوى من آراء .

وذلك مثل ما فعل فى ص ٢٩ من استشهاده بما روى أن عمر حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء فى المدينة على الإكثار من الحديث فإنه خبر ظاهر الكذب والتوليد ـ كما قال ابن حزم ـ ونسبته روايته إلى ابن حزم ليس من الأمانة العلمية فى النقل . ومثل حديث عرض السنة على القرآن فهو موضوع باتفاق الأئمة على حين حاول أن يشكك فى أحاديث صحيحة ثابتة مثل حديث « ألا إننى أوتيت الكتاب ومثله معه » فقد نقده من ناحية متنه موهما اختلاقه ص ٢٥٢ . وطعن فى حديث الإسراء والمعراج وحمل موسى محمداً عليهم الصلاة والسلام على مراجعة ربه ، واعتبر ذلك من الإسرائيليات ص ١٢٣ . كما اعتبر ذكر المسجد الأقصى فى حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . . . » من الإسرائيليات ص ١٢٩ . والإمام ابن تيمية وهو من أئمة المنقول والمعقول وينقل عنه المؤلف كثيراً فى كتابه . احتج بهذا الحديث ولم يبد عليه أى مأخذ من المآخذ ، وهو من الأحاديث التى اتفق عليها الشيخان البخارى ومسلم إلى غير ذلك مما ستعلم الكثير منه عند ما نتعرض للنقد التفصيلى . ولا أكاد أعلم للمؤلف سلفاً فى الطعن فى هذه الأحاديث من الأئمة اللهم إلا أن يكون

السادة المستشرقون وهى شنشنة نعرفها من أخزم ». ولعل مما يؤسف ويدهش أنه اعتبر حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذى رواه البخارى وغيره « إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن » خرافة من خرافات كعب الأحبار امتدت إلى تلميذه عبد الله بن عمرو (ص ١١٤) . ولا أدرى كيف يتفق هذا وقول الحق تبارك وتعالى « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل الآية » الأعراف ١٥٧ .

٥ — جارى المؤلف المستشرقين حينما تكلم عن العصبية المذهبية والسياسية فى فصل الوضع فحكم على كل ما يدل على فضيلة لصحابى أو يشهد لفكرة أو رأى بأنه موضوع وهو تصرف لا يرتضيه المنصفون المتثبتون ، ولا ترتضيه قواعد البحث النزيه المستقيم ، فمن ثم طعن فى كثير من الأحاديث الصحيحة فى الفضائل ، وغير معقول ألا يكون لصحابة النبى الذين مثلهم فى التوراة والإنجيل - فضائل فى جملتهم وألا يكون لبعضهم من الفضيلة والمزية ما ليس للآخر . فادعاء أن كل ماورد فى الفضائل أو كل ما يشهد لفكرة أو رأى موضوع - إفراط وإسراف فى الحكم بغير دليل . وكذلك ادعاء أن كل ما ورد فى الفضائل ونحوها صحيح ، تفريط وتقصير فى البحث ، فلم يبق إلا الطريق الوسط العدل وهو الطريق الذى يهتدى فيه الباحث بصحيح النقد وصريح العقل إلى التمييز بين الصحيح وغير الصحيح ، وبيان المقبول من المردود ، وهذا هو ما صنعه جهابذة الحديث وأئمة النقد فى موقفهم من أحاديث الفضائل ونحوها .

٦ — لقد تحامل المؤلف تحاملا لا يرتضيه المنصفون لذى دين وخلق - على صحابى من صحابة رسول الله وهو أبو هريرة رضى الله عنه ، ونحن لا ندعى العصمة لأحد من البشر حاشا الأنبياء ، ولكننا نريد أن ننزل الناس منازلهم فى الفضل والعلم ، ولانحجر على العقول فلكل باحث أن ينتقد ويبدى ما يشاء من آراء فى حدود قواعد النقد الصحيحة ، ولكننا نحب للناقد أن يأخذ نفسه بأدب النقد ، وأن يراعى النصفة ، وأن يكون عفيف القول ، كريم التعبير مترفعاً عن الإسفاف ، كما هو الشأن فى العلماء ، وقد كان سلفنا الصالح يختلفون ويتجادلون ، ولكنهم كانوا يحلقون فى سماوات من العفة والترفع عن الهجر من القول ، والإنصاف وعدم التجنى .

ولا أدرى كيف استباح المؤلف لقلمه فضلا عن أدبه أن يرمى أبا هريرة بكل جارحة

من القول تعليقاً على كلمة لسيدنا أبي هريرة قالها تحدثا بنعمة الله عليه [1] . قال المؤلف ما نصه ص ١٨٧ « ولقد استخفه أشره وزهوه ـ يعني أبا هريرة ـ ونم عليه أصله ونحيزته فخرج عن حدود الأدب والوقار ! مع هذه السيدة الكريمة ، فكان يقول بعد هذا الزواج الذي ما كان يحلم به : إني كنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني ، فكنت إذا ركبوا سقت بهم وإذا نزلوا خدمتهم والآن تزوجتها ، فأنا الآن أركب فإذا نزلت خدمتني .. الخ .

ومما أخرجه ابن سعد أنه قال : أكريت نفسي من ابنة غزوان على طعام بطني وعقبة رجلي . فكانت تكلفني أن أركب قائماً وأورد حافيا . فلما كان بعد ذلك زوجنيها الله . فكلفتها أن تركب قائمة وأن تورد حافية .

ويعلق الباحث الأديب على هذه العبارة . فيقول بالهامش ما نصه : انظر إلى هذا الكلام الذي تعرى عن كل مروءة وكرم ، واتسم بكل دناءة ولؤم . فتجده يباهي بامتهان زوجه والتشفي منها . وهل يفعل مثل ذلك رجل كريم خرج من أصل عريق[2] ! . وبحسبي أن أضع هذه العبارات . التي نضحت بها نفس المؤلف الأديب بين يدي القراء . وسأدع الحكم عليه . لمحكمة الأدب السامي . والضمير الإنساني . وسيكون الحكم ـ ولا ريب ـ قاسيا .

هذا إلى ما جاء في تضاعيف كتابه من رمي المنتصرين للسنة المخالفين له في آرائه بالحشوية حينا . وبالمقلدة والجامدين حينا آخر ، إلى غير ذلك مما ينبغي أن ينزه التأليف والنقد عنه .

هذا وليطمئن المؤلف أبو رية . أني لن أتعرض لعقيدته ومذهبه ونشأته ، ولا لكرم أصله أو عدم كرمه . ولا لمروءته أو عدم مروءته ، إلى غير ذلك مما تناول به السيد الجليل أبا هريرة ، فقد أخذت نفسي منذ أمسكت بالقلم أن أترفع عن مثل هذه السفاسف ... ! والسباب والشتم إنما هما بضاعة العاجز الذي لا يسعفه المنطق السليم والحجة الدامغة . ولن يرى مني إلا النقد الموضوعي للكتاب . ومن الله أستمد العون والتوفيق . فاللهم أعن وسدد ؟

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[1] في الإصابة عن مضارب قال كنت أسير من الليل فإذا رجل يكبر فقلت ما هذا قال : كثير شكر الله على أن كنت أجيرا لبسرة بنت غزوان ثم ذكر القصة .

[2] هذا ما قاله أبو رية في السيد أبي هريرة . وقال الإمام ابن إسحق فيه : كان وسيطا في دوس ، فانظر فرق ما بين المقالتين !

# زين العابدين

## على بن الحسين

٣٨ — ٩٤ هـ

---

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد . ولعمر الله العظيم لقد كان المسلمون الصادقون يتوارثون حب النبى صلى الله عليه وسلم وقرابته وتكريمهم ، والنظر إليهم نظرة التقدير لأنهم بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضيه ما يرضيهم ، ويؤذيه ما يؤذيهم فمن آذى واحدا منهم فقد آذى الله ورسوله إلا أن يكون بحق الإسلام .

لجدير بكل مسلم أن يعرف لهؤلاء حقهم وأن يقدرهم قدرهم .

يروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان يقول ! ارقبوا محمدا فى أهل بيته ، وكان يقول والذى نفسى بيده لقرابة محمد صلى الله عليه وسلم أحب إلى من قرابتى .

ويقال : إن الخليفة المهدى عمر بن عبد العزيز لما وفد عليه عبد الله بن حسن بن على فى حاجة قال له : إذا كانت لك حاجة فأرسل إلى أحضر أو اكتب إلى فانى أستحى من الله أن يراك على بابى .

وما لا مجال لتحقيقه فى هذا المقام ولا داعى للخوض فى تفصيله أنهم كانوا يظفرون بهذه المنزلة الكريمة فى نفوس الصديقين ومن خلصت نفوسهم من الشوائب والأغراض لأنهم متمسكون بسنة جدهم النبى صلوات الله عليه معتصمون بدينه محتفظون بمزاياه التى خص بها الله سبحانه هذا البيت الكريم من التعرف إلى الله والاعتزاز به واللجوء إلى حماه والمروءة والكرم والفداء والتضحية وما إلى ذلك من معانى الإسلام التى اختارها الله للصفوة من عباده .

ومما لا مجال لتحقيقه أيضاً والخوض فى تفاصيله أننا لا ننشد لهم بذلك تعظيما لم يأذن به الله، مما يتشبث به كثير من العامة الذين يفرط كثير منهم فى أصول الإسلام وأسسه، فلا يقيم صلاة ولا يؤدى زكاة ولا يتورع عن الخوض فى أعراض الناس ومظالمهم، ثم يزعم أنه يحب آل البيت، وحسبه من ذلك أن يطوف حول قبر أو يمسك بحلقة مقصورة أو يدعو أحداً منهم بما خص الله سبحانه به نفسه.

كل هذا هراء وباطل وانحراف عن الجادة وسبيل محمد صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأكرمين.

وبعد فقد كان على زين العابدين وذو الثفنات الزكى الأمين[1] صفوة هذا البيت الكريم بعد آبائه، وانحصرت فيه ذرية السبط الكريم حسين بن على رضى الله عنهم أجمعين.

ومن حديث هذه الذرية الكريمة أن الحسين رضى الله عنه كان له ستة أولاد على بن الحسين الأصغر وهو هذا الذى نتحدث عنه اليوم وأمه شاه زنان بنت يزدجرد بن كسرى أنوشروان ملك الفرس.

وقد تربى فى حجر أبيه الحسين بن على يأخذ عنه ما ورث عن أبيه وجده من آيات الله والحكمة ويحاكيه فى أدبه وسخائه وكرمه وحلمه حتى كان مضرب المثل والمورد العذب

وما زال هذا الإمام العابد الزاهد يأخذ نفسه بما تركه أبوه عليه من المعارف والمكارم فهو عالم فقيه ومحدث جليل وزاهد مبذال ورع.

وقد عده الحافظ الذهبى من الطبقة الوسطى من التابعين فى رجال الحديث وقال إنه روى عن أبيه وعمه الحسن وعائشة وأبى هريرة وابن عباس والمسور وبن عمر وغيرهم.

وأخذ عنه بنوه أبو جعفر محمد بن على وزيد وعمر وزيد أسلم وعاصم بن عمر والزهرى ويحيى بن سعيد وأبو الزناد وآخرون.

---

(١) هذه الأربعة ألقاب كان يدعى بها.

وذو الثفنات على التشبيه بثفنة البعير وهى ركبته وذلك أن مساجده كانت كثفنة البعير من كثرة صلاته ذكره شارح القاموس.

قال الزهرى : ما رأيت أفقه من على بن الحسين إلا أنه كان قليل الحديث وكان من أفضل أهل بيته وأعظمهم طاعة وأحبهم إلى عبد الملك وفى حب عبد الملك إياه ما يدل على أنه كان يؤثر التقية ويتجنب الخلاف إبقاء على جماعة المسلمين كعمه الحسن رضى الله عنه ولأنه يرى فيما هو فيه من الصلة بالله والتوجيه الصالح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ما يشغله عن ذلك الخلاف الذى يرى أن الله سبحانه يفصل فيه بعدله ، ويقضى فيه بحكمه ، على أنه كان مهيبا شجاعا لا يبالى ما يواجهه فى الحق .

ويروى الذهبى عن مالك أنه قال : بلغنى أنه كان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة إلى أن مات . وقد يكون فى ذلك شىء من المبالغة على أنه يلقى ضوءا على ما كان فيه من طول القنوت والإنابة إلى دار الخلود .

وكان يسمى زين العابدين لعبادته .

وكانت وفاة على بن الحسين سنة ٩٤ هـ ودفن بالبقيع فى خلافة الوليد بن عبد الملك فى قبر عمه الحسن رضى الله عنه فى القبة التى فوق قبر العباس رضى الله عنه كما رواه ابن خلكان فى وفياته .

وقد نصت جميع الكتب التى رأيت فى تاريخ الإمام على بن الحسين أن وفاته كانت فى سنة ٩٤ هـ منها تواريخ ابن خلكان والذهبى والشبلنجى فى كتابه نور الأبصار ومعنى ذلك أنه توفى فى خلافة الوليد بن عبد الملك كما رأيت .

وإذا كان ذلك فلا صحة لما يشاع فى كتب الأدب وبعض الكتب التى لا تحقيق فى رواياتها من أنه حج مع هشام بن عبد الملك وأن هشاما جهد أن يصل إلى الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزحام وأن الناس تنحوا لزين العابدين حين رأوه وأن هشاما سئل عنه فادعى أنه لا يعرفه وأن الفرزدق كان حاضرا فقال أنا أعرفه وأنشد :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

ونحن لا ننكر أن يكون ابن الحسين جديرا بهذا الشعر ولا بما هو أروع منه ، وإنما نذكره للتحقيق التاريخى . فإن سياق القصة يدل على أن هشاما يومها كان خليفة ، ونحن نعلم

أن خلافته تبتدئ منذ سنة ١٠٥ للهجرة أي بعد وفاة السيد زين العابدين بما يجاوز عشر سنوات .

فإن تكن الحادثة صحيحة أولها أصل فلعلها كانت مع غير هشام من الخلفاء ، أو مع غير زين العابدين من آل البيت ، أو بينهما في غير خلافة هشام .

وإليك بعض صفات زين العابدين وأخباره وطرفا مما نقل من أقواله مما له دلالة على مبلغ بصره ومعرفته ومزاياه الكريمة .

١ — كان علي بن الحسين رضي الله عنه يخاف الله ويخشاه خشية من أيقن بالموت ، ورأى الدار الآخرة . وعرف الله حق المعرفة ، وورث صفات النبوة فكان مصليا صواما ، معرضاً عن الفضول مشتغلا بما يعنيه وحده ، وقد رأيت ما نقل عن مالك رحمه الله من أنه كان يصلي ألف ركعة ، وذلك عمل من لا يجد فراغا لغير الله . ولا يعرف وجهة سواه .

ويروى أن رجلا لقيه فسبه فقال : يا هـذا ، بيني وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالي ما قلت . وإن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول . ويروى أنه كان إذا حضرت الصلاة اصفر لونه فيقال : ما هـذا الذي نراه يعتريك عند الوضوء فيقول : أما تدرون بين يدي من أقف . . !

ولعلك أيها القارئ الكريم تعرف من هذا وأمثاله كيف كان هؤلاء الصديقون من أهل بيت النبوة ؟ وأنهم لم يغتروا يوما بالصلة بالله ورسوله ، ولكنهم كانوا أشد الناس خوفا من الله ، وإشفاقا من غضبه . واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في معرفة حق الله وهضم نفوسهم وتهذيبها .

٢ — كان علي بن الحسين يعرف حق الله والإنسانية في السائل والمحروم ، والعاثر والمكدود فيتعهد الفقير وينفق مما آتاه الله سبحانه بالليل والنهار سراً وعلانية . ويجهد نفسه ويعنيها في تحمل أعباء الناس . عن ابن عائشة قال : سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت علي بن الحسين .

وعن محمد بن اسحق قال : كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم . فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم . وكان يحمل

جراب الخبز على ظهره يتصدق به ، فلما غسلوه جعلوا ينظرون إلى سواد فى ظهره فقيل : ما هذا ؟ قالوا : كان يحمل جراب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة .

وعن سفيان قال : أراد على بن الحسين الحج فأنفذت إليه أخته سكينة ألف درهم ، فلحقوه بها بظهر الحرة فلما نزل فرقها على المساكين .

وهكذا يتجلى الإسلام على حقيقته فى آل البيت النبوى الكريم ، والإسلام بذل وتضحية وإيثار وجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس ، وبذل لكل ما عند المرء فى سبيل الإنسانية طاعة لله وليس مجرد صلاة وصوم ودعاء وذكر .

٣ — كان زين العابدين أديبا مهذبا عف اللسان حليما متواضعا متسامحا ، يتصدق بعرضه على المسلمين ، كما يتصدق بماله على المعوزين .

وقد مر بك ما كان من إعراضه عن مجاراة من سبه ومجازاته وعن سفيان قال : جاء رجل إلى على بن الحسين فقال : إن فلانا وقع فيك بحضورى فانطلق إليه معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه منه ، فلما أتاه قال : يا هذا إن كان ما قلته حقا فأنا أسأل الله أن يغفر لى ، وإن كان باطلا فالله تعالى يغفره لك ثم ولى عنه .

وهكذا كان الأدب والحكمة فى العلماء الراسخين من هذه الأمة الكريمة ، فلم يكن فراغ نفوسهم يدفعهم إلى الكبرياء ويوقعهم فى الحماقة الرعناء ؛ ليكثروا خصومهم فى الناس وليضاعفوا مشاكلهم فى الحياة . وما أجمل البساطة وسلامة الصدر ونسيان السيئات ! والصفح عن الزلات تحقيقا لمعنى الأخوة ، وحرصا على إشاعة السلام ! وفى الحديث الشريف : والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا .

٤ — على أن زين العابدين لم يكن جبانا فى الحق ولا ضعيفا أمام الجبابرة من الأمراء والمسلطين .

وكانت تعرض له مشاكل منذ حداثته يطير فيها فؤاد النكس ويخشع لها قلب الصنديد . فما يبالى ما يصيبه إذا قال الحق وشفى نفسه لله .

روى فى عدة مصادر أن ملك الروم ، كتب إلى عبد الملك بن مروان يهدده ، فرأى أن يهدد على بن الحسين ليرى ما يقول فيبعث به إلى ملك الروم فكتب إلى الحجاج أن توعد على بن الحسين واكتب إلى بما يقول :

فكتب الحجاج إليه يتوعده .

وكان جواب علي بن الحسين أن قال :

إن لله عز وجل لوحا محفوظا يلحظه كل يوم ثلثمائة لحظة ليس منها لحظة إلا يحيي ويميت ويعز ويذل . ويفعل ما يشاء ، وإني لأرجو أن يكفلك منها بلحظة واحدة . فأرسله الحجاج إلى عبد الملك ، ثم كتب به عبد الملك إلى ملك الروم رداً على تهديده ، فلما قرأه ملك الروم قال : ما خرج هذا إلا من كلام النبوة .

فانظر كيف كان ثبات زين العابدين، ثم تأمل كيف احتاج كل من عبد الملك والحجاج ـ مع غزير علمهما ووافر ثقافتهما وفصاحتهما ـ إلى الانتفاع بما يكتب زين العابدين في موقف الإثارة .

٥ ـــ أما علمه ومعرفته ، وأما إحاطته بشئون الدين ، فقد كان إماما ومرجعا يفيء الناس إلى ظله ، ويتداوون به من الجهل ، ويشعرون به ظلمات الحرمان ، وقد بالغ فيه بعض الصوفية ، فادعوا أن لديه من علوم الكشف وما لا يطلع عليه الناس الشيء العجيب .

٦ ـــ ولكن حسبنا أن ننقل إليك بعض فقرات من كلامه لترى فيها صورا من علمه وأدبه إلى صور من بيانه وبلاغته .

روى أنه كان يقول لابنه: يا بني إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي ، ورضيني لك فحذرني منك ، واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط فيه ، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له ، وكان يقول له يا بني اصبر على النوائب ، ولا تتعرض للحتوف ، ولا تجب أخاك من الأمر إلى ما مضرته عليك أكثر من منفعته لك .

ومن كلامه : إذا نصح العبد لله تعالى في سره أطلعه الله على مساوئ عمله فتشاغل بذنوبه عن معايب الناس . عبادة الأحرار لا تكون إلا شكراً لله لا خوفا ولا رغبة . عجبت لمن يحتمي من الطعام لمضرته ، ولا يحتمي من الذنب لمعرته . أربع عزهن ذل : البنت ولو مريم ، والدين ولو درهم ، والغربة ولو ليلة ، والسؤال ولو أين الطريق .

وفي الفصول المهمة أن جماعة من البادية دخلوا عليه ، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان فقال لهم : ألا تخبروني من أنتم ؟ ، أأنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم

وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ؟ ، قالوا : لا ، قال : فأنتم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ قالوا : لا ، قال : أما أنتم الذين قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين ؟ ، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا » اخرجوا عنى فعل الله بكم وصنع .

رحم الله زين العابدين وجعل فيه مثلا للصالحين ؟

محمود النواوى

---

## « حنين »

سما بى شوق للحجاز شديد ... فإنى محب ، والمحب مريد ! !
أحب رسول الله حبا إخاله ... حنينا ، وهل بعد الحنين مزيد ؟!
وأهفو إلى البيت الحرام وزمزم ... وطيبة ، والمولى على شهيد !
مواطن حفت بالجلال وهيبة ... ومجد لنا فى العالمين تليد !
بنفسى أفديها ، ونفسى عزيزة ... وكل محب بالعزيز يجود !!
لقد طال شوقى للحبيب محمد ... وطال انتظارى والحبيب بعيد !
إليك رسول الله أشكو تخلفا ... كأنى به عبر الزمان طريد !!
أحاول أن أسعى ولكن حالتى ... تعوقنى عما لديك أريد !
وفى كل عام للحجيج قوافل ... تزور ، وإنى دونها لقعيد !
وتلك - لعمرى - حالة لا أطيقها ... يروعنى منها أسى ، وجمود !!
فجد لى بقرب منك يا سيد الورى ... فأشعر أنى فى الرحاب سعيد !

محمود طيره
رئيس بعثة الأزهر بالصومال

# الإسلام فى غانا

على الساحل الشرقى للمحيط الأطلسى ، وفى جنوب الصحراء الكبرى الإفريقية ، تقع دولة صغيرة تبلغ مساحتها حوالى ٩٢ ألف ميل مربع ، كانت تعرف فى المصورات الجغرافية باسم « ساحل الذهب » ، ثم عرفت بعد استقلالها فى ٦ من مارس سنة ١٩٥٧ م باسم « غانا » ، وهو الاسم الجغرافى للمناطق الساحلية فى غربى إفريقية ، والاسم التاريخى لمملكة قديمة كانت قائمة بين أعالى نهر النيجر ونهر السنغال منذ ٨٠٠ سنة . وظهرت هذه الدولة ، رغم حداثة استقلالها ، على مسرح الحياة السياسية بشكل بارز ، واشتركت فى المؤتمرات التى عقدت لصالح الشعوب الإفريقية والآسيوية ، وتوطيد أركان السلام العالمى .

وبمناسبة زيارة رئيس وزرائها الدكتور كوامى نكرومه Kwame Nkrumah لمصر ، وإعجابه بالدور الكبير الذى يقوم به الأزهر فى توثيق الروابط بين مصر والعالم الإسلامى ، أود أن أعرض لقراء مجلة الأزهر الغراء صورة مبسطة ، توضح لنا بعض معالم هذه البلاد ، وتكشف لنا بها أحوال المسلمين هناك ، قياما بواجب التعارف بين الجماعة الإسلامية ، ولنكون على بينة من الأمر فيما نقدمه من خدمات لإخواننا فى هذه المناطق التى باعد بيننا وبينها المستعمرون .

عرف العرب والمسلمون هذه البلاد منذ القرن الأول للهجرة ، فبعد أن وطدوا دعائم الحكم الإسلامى فى شمالى إفريقية ـ اتجهت قوافلهم نحو الجنوب ، واخترقت صحراء فزان والواحات ، ووصلت قبيلة « بنى حسن » إحدى قبائل « بنى هلال » إلى داخل بلاد السودان حاملة معها رسالة الإسلام مع ما يحملون من تجارة . ومن الشمال الغربى توجه المرابطون إلى داخل القارة لنشر الدعوة الإسلامية ، وغزوا مملكة « غانا » التى كانت قائمة بين أعالى نهر النيجر ونهر السنغال ، وأسس هناك أبو بكر بن عمر اللمتونى مملكة « السونغاى » ، وأصبحت مدينة « تمبكتو » التى اختطها الطوارق سنة ١٠٧٧ م ملتقى الوافدين من الشمال والشرق والغرب ، وصارت مركز الدعوة الإسلامية فى هذه الجهات . ولم يمت أبو بكر ابن عمر سنة ١١٢٠ م إلا بعد أن وصلت قبائل الديولا حاملة رسالة الإسلام إلى ساحل

الذهب « غانا » وساحل العاج وسيراليون والمناطق الساحلية الأخرى . ثم جاء رجال الطرق الصوفية الكبرى : الجيلانية والشاذلية والتيجانية ، وتابعوا نشر الدعوة حتى وصلوا بها إلى حدود الكونغو .

ولم يعرف الغربيون ساحل الذهب « غانا » إلا بعد منتصف القرن الخامس عشر ، عندما قام الأسبانيون والبرتغاليون يثأرون من العرب الذين حكموهم عدة قرون ، فطاردوهم وتتبعوا بلادهم فاتحين ، وتحركت أساطيلهم بزعامة الأمير هنرى ابن الملك جوان الأول ، متتبعة ساحل إفريقية الغربى حتى وصلت سيراليون ، وتابعت سيرها بعد وفاة الأمير حتى وصلت حدود الكونغو .

وكان نزول البرتغاليين إلى ساحل الذهب سنة ١٤٧١ م . فاشتغلوا هناك بالتجارة ، التى أسالت لعاب بقية الأوربيين ، فوفدوا إليها جماعات من كل منطقة ، وتنافسوا فى تجارة الرقيق إلى جانب التجارة فى منتجات البلاد المعدنية والنباتية ، ثم انسحب هؤلاء جميعا ، ولم يبق إلا البريطانيون الذين بسطوا سلطانهم على البلاد ، وتم لهم إخضاعها سنة ١٩٠٠ م بعد حروب دامية استمرت سنين عديدة ، وظلت البلاد ترزح تحت نير الحكم البريطانى ، يطبق فيها سياسته الاستعمارية التقليدية ، القائمة على الاستغلال والاستئثار بخيرات البلاد ، وإهمال شئونها وإحباط كل مجهود يرمى إلى النهوض ، وكبت الحريات والقضاء على كل حركة تحررية ، حتى كانت الانتفاضات الأخيرة التى اشترك فيها الدكتور نكروماه بعد عودته سنة ١٩٤٧م من امريكا وانجلترا ، حيث كان يكمل تعليمه هناك ، وبعد جهاد عنيف حصلت البلاد على استقلالها فى ٦ من مارس سنة ١٩٥٧م ضمن الممتلكات البريطانية وسيكون الحكم فيها ديموقراطيا جمهوريا فى هذا العام .

* * *

تتكون « غانا » الآن من أربع مناطق : منطقة الساحل حيث توجد عاصمة البلاد « أكرا » ومنطقة « أشانتى » شماليها ، ثم المناطق الشمالية بعد ذلك ، وأخيراً الجزء الانجليزى من « توجولاند » الألمانية القديمة . ويبلغ السكان حوالى خمسة ملايين ، معظمهم من الزنوج ، ليس فيهم إلا نحو مائة ألف أوروبى ونحو عشرة آلاف عربى من سوريا ولبنان . وهم خليط من عدة قبائل ، أشهرها : الأشانتى والفانتى ، وكل قبيلة لها لغتها الخاصة

التى تتفرع إلى عدة لهجات تبلغ جملتها نحو ٥٠ ، واللغات الرئيسية أربع ، تسود كل منها فى منطقة من مناطق الدولة .

وغالب السكان يدينون بدين الآباء والأجداد وهو الوثنية ، ونسبتهم أكثر من ٦٠ ./. ويوجد هناك مسيحيون تنصروا على يد الإرساليات التبشيرية التى وفدت مع الفاتحين والمكتشفين الغربيين ، ويبلغون حوالى ٣٠ ./. كما تتولى نشراتهم الدينية الرسمية ، ويبدو أن هذا التقدير مبالغ فيه ، يراد به إبراز نشاط المبشرين للجهات التى يعملون لحسابها حتى تقوى بذلك مراكزهم ، كما أكد ذلك كثير من المراقبين للشئون الدينية . أما المسلمون فقد اضطربت الأقوال فى تقديرهم ، نظراً لعدم وجود إحصاءات دقيقة للسكان . وتزعم المصادر الأجنبية أنهم لا يتجاوزون ٤ ./. من السكان ولكن يؤكد أحد كبار المسلمين الذين تخرجوا فى الأزهر وله مكان محترم فى الأوساط الرسمية هناك أن عددهم لا يقل عن مليون نسمة . وأن المستعمرين والمبشرين الذين يعملون لحسابهم يحاولون جهدهم أن يقللوا من شأن المسلمين تنفيذاً لخطة مرسومة . ويكثر المسلمون فى المناطق الشمالية ، ومظهر الإسلام هناك واضح جداً ، إذ يفوق عدد المسلمين هناك كل الطوائف الأخرى . ثم يقل عددهم فى أشانتى وغيرها .

وأكثر المسلمين غرباء وفدوا من غرب إفريقية وشرقها والمناطق المجاورة ، للعمل فى الزراعة والمناجم والتجارة ، وتعتبر مدينة « كوماسى » عاصمة إقليم أشانتى ، ومدينة « أكرا » عاصمة البلاد ، من أكبر المراكز لاستقبال هؤلاء العمال الوافدين . ويلاحظ أنه لا تخلو أية مدينة كبيرة من وجود حى إسلامى فيها ، كما لا تخلو أية قرية من القرى من وجود أحد التجار المسلمين ، وكل جماعة من المسلمين لهم زعيم يرعى شئونهم ، والزعيم الأكبر مقره مدينة « كوماسى » ، وتكاد تنحصر الزعامة فى أسرة « بريماه » التى يرجع أصلها إلى قبيلة جاويوروبا ، وثلاثة أرباع المسلمين من أهل السنة والجماعة ، ويوجد نحو اثنين وعشرين ألفاً ينتحلون نحلة القديانية ، ولهم نشاط بارز فى كافة النواحى ، ومدارسهم ناجحة بالرغم من أن تلاميذها لا يدينون جميعاً بمذهبهم . ومذهب أهل السنة مالكى ، نظراً لأن الوافدين قديماً وحديثاً هم من شمالى إفريقية وشرقيها وغربيها حيث يسود المذهب المالكى هناك . كما أن أكثر المسلمين ينتمون إلى الطريقة الصوفية التيجانية ، التى أسسها بالمغرب أحمد بن محمد التيجانى المتوفى سنة ١٧٨٢ م .

والخرافات منتشرة فى البلاد بشكل واضح ، والعادات الوثنية القديمة راسخة فى نفوسهم مسيطرة على تصرفاتهم ، والسحر والشعوذة والاعتقاد فى الأرواح الخفية والأسرار والألغاز يكاد يكون قـدراً مشتركا بين المواطنين جميعاً ، والسحرة هناك لهم مكانتهم واحترامهم ، ويخشى الناس بأسهم فيتوددون إليهم بإقامة الحفلات وتقديم القرابين ، لأنهم يوهمونهم أن لهم صلة قوية بالله ، أطلقت أيديهم فى الكون تتصرف كما تشاء .

ومستوى التعليم فى البلاد ضعيف جدا ، فكانت نسبة الأمية قبل خمس سنوات ٨٥ ٪ ولم يبدأ النشاط العلمى إلا بعد سنة ١٩٥١م ، فأنشئت المدارس الابتدائية والثانوية ومعاهد لتخريج المعلمين وبعض مدارس فنية ، وتوجد الآن كليتان جامعيتان ، إحداهما قرب أكرا ، وهى تؤهل الطلاب للحصول على الدرجات العلميـة والأدبية من جامعة لندن ، والأخرى فى كوماسى وهى للتكنولوجيا والعلوم والآداب . غير أن حظ المسلمين من التعليم ضئيل ، وأكثرهم مهتم بالناحية المادية مشغول بالزراعة والتجارة ، والكتاتيب التى تعلم القرآن ومبادىء الدين لا تكفى لتثقيف المسلم تثقيفاً صحيحا ، فالقائمون على أمرها تنقصهم الكفاية العلمية ، كما أن الموارد المالية ضئيلة .

وكانت مصر بفضل الأزهر أسبق الدول إلى تقـديم الخدمات للمسلمين فى غانا ، ففى كل عام يفد إليها كثير من الطلاب يتلقون العـلم فى الأزهر ، فى معهد أنشىء للطلاب الوافدين من أطراف العالم ، وينعمون فى رحابه كل عناية ورعاية ، وقد عاد كثير من هؤلاء الطلاب إلى بلادهم رسل هداية وثقافة ، وألسنة خير تشيد بمصر والأزهر كعبة العلم ، ومنبع الثقافة الإسلامية ، ومركز الإشعاع الدينى والروحى للمسلمين فى كافة أنحاء العالم .

* * *

هذا والمسلمون هناك يعيشون فى وفاق مع باقى المواطنين ، ويشاركون فى كل نشاط ، وكل حركة إصلاحية فى البلد ، وهم يسعون جاهدين لتحسين أحوالهم . وقد أنشئوا لهم اتحادا فى أوائل القرن العشرين ، يشرف عليه كبار المسلمين من كل أنحاء البلاد ، الغرض منه رعاية مصالحهم وتحسين وضعهم ، والقضاء على فوارق الجنس واللون والمذهب بينهم ، وقد أفاد هـذا الاتحاد فى توحيد جميع العناصر الإسلامية ، وإيقاظ قبائل غانا للعمل والنشاط والاشتراك فى المؤسسات المختلفة ، وقد تحول أخيرا إلى حزب سياسى ، مع الأحزاب الستة الأخرى ، وخاض المسلمون غمار المعارك الانتخابية . ولهم ممثلون فى المجالس البلدية ، وعضو فى برلمان غانا .

والواجب أن توجه عناية كبيرة إلى المسلمين فى هذه البلاد ، فهم فى حاجة ماسة إلى من يبصرهم بواجبهم فى وسط هذا العراك ، وإلى من يعطف قلوبهم نحو الشرق ويربطهم بالعرب ، ويقرب بينهم وبين إخوانهم فى الأقطار الإسلامية ، وذلك قبل أن توقعهم فى شراكها امريكا ، التى تبذل جهدها لسد الفراغ فى هـــذه المناطق التى تقلص عنها نفوذ الانجليز ، ويكفى أن نعلم أن امريكا تستورد ٣٩ ./. من محصول الكاكاو فى غانا ، وفى حاجة ماسة إلى المنجنيز والمعادن التى تكثر بها . كما أن بجامعاتها ١٤٠ طالبا يصنعون هناك صناعة خاصة ، لها أثرها بعد عودتهم إلى بلادهم وتقلدهم المناصب الكبيرة .

والغربيون عموما حريصون على أن يربطوا هذه البلاد بعجلتهم ، والمبشرون وهم دعاة الاستعمار يخشون تزايد عدد المسلمين لأن باب الهجرة الذى جاهدوا لإغلاقه ما زال مفتوحا ، وسيكون مشروع توليد الكهرباء من نهر الفلتا وما يتبعه من التقدم الصناعى ، مدعاة لجلب عـدد كبير من المسلمين المهاجرين فيزداد بذلك نفوذ المسلمين . وهناك عبارات شائعة متوارثة : الإسلام دين السود ، وعند ما يرحـــل البيض فإن المسلمين هم الذين سيحكمون البلاد . وهم يخشون جميعا ضعف النظام الاجتماعى الذى يؤازره نفوذ الزعماء الوثنيين فى المجالس البلدية ، لأن هـذا النفوذ آخذ فى الضعف ، وبالتالى سينهار النظام الاجتماعى ، وهنا تكون الفرصة سانحة لتدخل الإسلام وبسط نفوذه بين الوثنيين كنظام اجتماعى يتناسب وطبيعة البلاد وعقلية السكان ، وتكون الطامة الكبرى على التبشير والمبشرين وعلى الاستعمار والمستعمرين .

فجدير بالمسلمين شعوبا وحكومات ألا يدعوا هـذه الفرصة تفلت من أيديهم ، وأن يكونوا على حذر ويقظة وسط هذه الدوامات والتيارات السياسية التى يثيرها ويوجهها قوم يكيدون للشرق ، ويتربصون الدوائر بالمسلمين .

فلينزلوا إلى الميـــدان مسلحين بأسلحة العصر ، وليثبتوا وجودهم كأمة لها كيانها واعتبارها ، ولها مجدها الغابر وطاقاتها الحية القوية التى تغالب الزمان ، وتقهر أعظم قوة فى الوجود . إن أحسنوا استغلالها واعتصموا بها ، والله سبحانه ناصر عباده المؤمنين ، ولا يهدى كيد الخائنين .

عطية صقر

المدير الصحفى لمكتب شيخ الأزهر

# آمال متواضعة

## هل تتحقق خلال العام الجديد ؟؟

---

وندع الآمال الكبرى من تحقيق الاستقلال التام والوحدة الكاملة لبلاد العرب ، إلى قيام التعاون والتضامن بين ديار الإسلام . . . ندع هذه الآمال الكبرى فهى محل الإجماع ، وهى مما يتطلب اليقظة الدائمة ، والعمل الدائب الذى لا يقف عند سنة واحدة من السنين ، بل ولا يقف عند جيل بعينه من الأجيال .

ندع هـــذه الآمال الكبرى التى يلتقى عليها العرب والمسلمون ، ونتناول تخطيط آمال محدودة فى نواح جزئية متواضعة ، يمكن أن تتحقق بدايتها وتوضع أسسها فى خلال عام ، ثم لا تزال تؤتى أكلها بعد ذلك كل حين بإذن ربها .

ولن نتناول من هذه الآمال القريبة إلا ما يتعلق بالفكر والثقافة ، وهو مجال حيوى له أثره وخطره فى السلوك والأخلاق والتقاليد ، وفى العمل والإنتاج والنشاط .



ونبدأ بآمالنا فى أزهرنا العتيد ...

نريد أن نرى الأزهر مقبلا على الشطر الثقافى من رسالته العلمية ، لا يقصر نشاطه على الشطر التعليمى وحده .

ففى الأزهر مراقبة للبحوث والثقافة ، لا بد أن تكون لها خطتها السنوية فى الترجمة والتأليف ، ولا بد أن تكون لها نشراتها ومطبوعاتها وإنتاجها..

هذه كلها أمور مفهومة بداهة من وجود مراقبة للبحوث والثقافة ، والذى أؤمله اليوم أن يتضمن نشاط هذه المراقبة إنشاء قسم خاص « لنشر المخطوطات وإحياء التراث العربى » وهذا القسم له دور أساسى فى أى تخطيط يتناول ثقافتنا الإسلامية .

والمواد الخام لهذا القسم موجودة كلها : وأولها أن مكتبة الأزهر نفسها عامرة بالمخطوطات التى منها ما تنفرد به ، والتى منها ما لم يحقق وينشر بعد . فضلا عن المخطوطات الموجودة بدور الكتب الأخرى والجامعات .

والأساتذة الذين يباشرون تحقيق هذه المخطوطات موجودون فى الأزهر ، وبعضهم يحقق فعلا بعض المخطوطات لحساب دور النشر المختلفة ، وبعض خريجى الأزهر الذين يعملون فى جهات أخرى لهم مثل هذا النشاط المحمود ، على أنه لا حرج بعد ذلك فى أن يتعاون الأزهر - فى هذا العمل العلمى الضخم - مع المشتغلين بالتأليف والتحقيق أيا كانوا .

وأنا طبعاً لا أريد أن توقف الجهود الفردية ، ويكون هذا النشاط العلمى مقصوراً على الجهات الرسمية ، فإن هذا يؤدى إلى التعويق والتجميد بل ينبغى ألا نحول بين الأفراد ودور النشر وبين بذل الجهود الممكنة فى هذا الميدان ، بل ينبغى أن نشجع مثل هذه الجهود بكل قوة ، وفى الوقت نفسه نتولى تجميع وتنسيق قوانا كلها ، فيما تقصر عنه جهود الأفراد والمؤسسات الخاصة ، وما يحتاج إلى جهود وأموال الدولة ذاتها . ويكون البدء بأن يتخصص مجلس معين من قبل الأزهر لهذا العمل ، ويتفرع إلى لجان ، بعضها للعقائد ، وبعضها للفقه ، وبعضها للتاريخ ، وبعضها للغة والأدب ، وتتولى هذه اللجان حصر المخطوطات الموجودة وتحديد خطة نشرها .

فهل هذا أمل عزيز على التحقيق ؟؟

إنه ممكن جداً ، ولن يحتاج لكثير من المال فى أول مراحل المشروع ؛ فإن المجلس بلجانه سيقضى فترة فى الحصر والدراسة ، والاختيار والتوزيع .

وفى مراحل التنفيذ العملى يكفى البدء بكتاب واحد فى كل فرع من الفروع ، وبالتدريج تتزايد القوى المرصودة لتحقيق المشروع .

إن تكوين المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وتخصيص وزارة للثقافة والإرشاد ، يذكرنا بواجب الأزهر فى هذا السبيل . وعلى رأس الأزهر اليوم شيخ له دراساته وتآليفه ، ووكيل له دراساته وتآليفه ، وجماعة من كبار العلماء الذين اشتغلوا بالتدريس والتأليف ، وأساتذة جمعوا إلى ثقافتهم الأزهرية أرقى الدرجات العلمية من الجامعات الغربية . فهلا يقرب هذا كله تحقيق أملنا المتواضع ؟؟

☆ ☆ ☆

وثانى الآمال القريبة ، التى نعقدها على أزهرنا العتيد ، أن يقوم - تحقيقاً للجانب الثقافى من رسالته العلمية - بإصدار مجلة ( أكاديمية ) ضخمة ، تصدر كل ثلاثة شهور مثلا . . بجانب المجلة الحالية التى تصدر للقراء عموما من الجمهور .

إن هيئات الاستشراق الغربية لها مجلاتها ومطبوعاتها . . . والمجمع العلمى فى دمشق ، وزميله فى بغداد لهما مطبوعاتهما الدورية وغير الدورية ذات الطابع العلمى العميق . وليس فى مصر أولى من الأزهر بإصدار مثل هذه المجلة ( الأكاديمية ) التى تتخصص فى الدراسات الإسلامية ، والتى تفسح فى صفحاتها مجالا لأساتذة التاريخ الإسلامى والفلسفة الإسلامية والأدب العربى فى الجامعات ، ولغيرهم من المتخصصين فى أمثال هذه الدراسات ، ثم تراسل العلماء الشرقيين والمستشرقين ، لتستكتبهم أبحاثاً فى مختلف الموضوعات . ومثل هذه المجلة تكون رابطة بين هؤلاء العلماء والباحثين ، وتكون نوراً تكشف عن أهم المخطوطات والمطبوعات المتناثرة بين مكتبات العالم والتى تتناول جوانب الثقافة الإسلامية المتعددة المتنوعة . فهل هذا مطلب بعيد ؟ ؟

لا أظنه كذلك . . فإن تزويد مجلة كل ثلاثة شهور بالمواد اللازمة ليس مما يعز على الأزهر والأزهريين وغيرهم من العلماء المتخصصين ، وأما تكاليف الورق والطباعة ، فما أزهدها إذا قيست بالنفع المتحقق من وراء هذا الأمل القريب .

* * *

ونحن نؤمل فى قسم ( نشر التراث القديم ) بإدارة الثقافة ، الذى كان تابعاً لوزارة التربية وأظنه ألحق بوزارة الثقافة والإرشاد فى تصميمها الجديد ـ نؤمل فى هذا القسم القائم ، أو فى زميله بالأزهر إذا أنشئ ، أو فى مجلس الفنون والآداب ، أو فى الجامعة العربية . . نؤمل فى أحد هؤلاء ، أو فى هؤلاء معاً متعاونين ـ أن يخرجوا لنا الموسوعة الأمينة فى تاريخنا الإسلامى ، التى ما فتئ المخلصون يلحون فى الاهتمام بها والارتكاز عليها ، ونعنى ( تاريخ الأمم والملوك ) لابن جرير الطبرى .

هذا الكتاب يحتاج إلى جهود من نوع جديد ، غير الجهود التى بذلت فى طبعة ليدن تحت إشراف المستشرق الهولندى دى غويه ... الجهود المرتقبة لا يفهمها ولا يهضمها غير العرب والمسلمين ، فهم الذين يعرفون مهمة الرواية والإسناد فى نقل تراثنا من السلف إلى الخلف ، ويعرفون قيمة التعديل والتجريح ، ويستطيعون أن يلحقوا تحقيق كتاب الطبرى بتعريف بالرجال الذين نقلت خلالهم الروايات ، ثم يوازنون بين الروايات المختلفة فى الكتب التاريخية الأخرى الأصيلة ـ مثل ابن عبد الحكم فى فتح مصر ، أو ابن عذارى فى فتح المغرب ـ فى إشارات مجملة ، وهكذا .

هذا الجهد أساس وهام بالنسبة للتاريخ الإسلامى بل بالنسبة للثقافة الإسلامية عموما ... وهو إذا بذل فى كتاب كتاريخ الطبرى فإنما ليكون نموذجا ودليلا ، للسير على هديه فى تحقيق ونشر سائر المخطوطات العربية ... وأمامى تجربة نشر ( تاريخ ابن عساكر ) الذى تولاه المجمع العلمى فى دمشق ، يمكن أن نستلهم منها الخطة . ومن أهم ما ظهر لنا من دروس فى هذه التجربة ، أن مثل هذه التواريخ الموسوعية الضخمة ينوء بأعباء نشرها عالم واحد مهما كان علمه وفضله . فتاريخ ابن عساكر لم يظهر منه إلا مجلدتان خلال سنوات، والكتاب كله فى ثمانين مجلدة ... فهل يتسع عمر فرد لظهور هذه المجلدات الضخام ؟ ؟

إن من الواجب أن تتعاون لجنة من العلماء فى هذا المضمار فهذا أعون على إحكام الخطة وتبادل الرأى وتوزيع العمل ، وإذا كثر العدد استطاع العلماء أن يتجاوزوا التحقيق البحت فيضيفوا إلى ذلك شيئا من التعليق اللازم ، فقد رأيت فى ( تاريخ ابن عساكر ) أن التعليق ـ وفقا للخطة التى وضعها مجمع دمشق ـ تحصره حدود ضيقة ، فى حين أن بعض الكتب ـ خاصة الكتب الأمهات ـ تحتاج إلى التوسع فى التعليقات ، فإن طالت التعليقات ألحقت بالكتاب فى صورة ذيول وملاحق .

إن هذه الجواهر النفائس من تاريخنا ، بيننا وبينها زمان طويل ، ولكى نفهمها حق الفهم لابد من أن يراعى فى نشرها أن تسلط عليها الأضواء ، وأن تنشر فى صحبة طائفة من الدراسات والشروح والتوضيحات تعين على فهم المقصود .

وإن لمصر دورها التاريخى بالنسبة لتاريخ الإسلام ... وينبغى أن تصون مصر الحاضرة بالعلم ، ما حققته مصر الماضية بالعرق والدم . فدور مصر فى صد الصليبيين والتتار دور حاسم ، ولكن معظم المؤلفات التى تدور حول هذا الدور من أقلام الأوربيين . ونحن نحتاج إلى تحقيق ونشر ما لدينا من تراث تلك الحقبة ، ونحتاج كذلك إلى إصدار الدراسات العميقة الجادة من المتخصصين فى هذه الموضوعات .

* * *

بقى فى الصدر أمل آخر ، ننشد تحقيقه فى العام الجديد ...

إن القرآن والسنة ، والمغازى والفتوح ، تحتاج إلى عرض جغرافى يقدم البيئة التى أشارت بها النصوص ، ويوضح طبيعتها ويكشف عن سكانها .

والدراسات الغربية حافلة بالكتابات المستفيضة عن جغرافية الكتاب المقدس وبخاصة

التوراة وهذه الدراسات تقدم شرحا لجغرافية فلسطين الطبيعية ، ولجغرافيتها التاريخية والجنسية والاجتماعية ، حتى يطالع القارئ الكتاب المقدس وهو مغمور بالنور . فلا يكاد يمر بذكر مكان من الأرض أو قوم من البشر حتى يعرف ما يستبين به ما ذكر فى كتابه المقدس .

فعل الغربيون هذا وهم فى بيئة غير البيئة التى نزل فيها الكتاب ، وهم يعيشون فى حضارة مادية ما أبعدها فى الكثير عن روح الدين . ولعل مما أثر فى هذا المضمار العروق اليهودية فى العقل الأوربى والأمريكى ، فانها دفعت إلى الاهتمام بهذا التراث ( السامى ) بين الآريين ، وهذ الأصل ( الدينى ) بين الماديين ! !

ونحن فى الشرق العربى نعيش فى بيئة النبى والصحابة ، وفى أيدينا الكثير من مواقع الأرض وسلالة القوم الذين كانوا أعلام التاريخ ، فأين جهودنا العلميه الأصيلة فى شرح ماجاء فى آيات القرآن عن البيئة العربية ، وعن رحلة الشتاء والصيف ، وعن رحلة ذى القرنين ، وقصة أهل الكهف ، وعن رحلة الرسول فى هجرته ومواقع مغازيه ، وعن قبائل العرب وهجراتها ومسالكها وعلاقاتها فى أرجاء العالم العربى منذ زمن الفتوح بل منذ ما قبل الفتوح .

إن بين يدى القارئ العربى نموذجا لمثل هذه الدراسة عن ( شمال الحجاز ) قد كتبه المستشرق موسل وترجمه الدكتور عبد المحسن الحسينى ( اسكندرية ١٩٥٢ م ) ، والمؤلف وإن كان تناول مراجعه بصفة عامة بما فيها المراجع الإسلامية إلا أن اهتمامه بالتوراة أظهر وأبرز ومعلوماته عنها أدق وأوضح ، وقد طالعت مع المطالعين كتاب الأستاذ مظفر الندوى عن ( التاريخ الجغرافى للقرآن ) الذى ترجمه الدكتو عبد الشافى غنيم ضمن مطبوعات ( الألف كتاب ) والذى أثير حوله ما أثير ، والكتاب عموما لا يعد إلا بداية يسيرة . ولن يستطيع التعريف ( بالجغرافيا الإسلامية ) على وجهها إلا من يهضم العربية ، ويحسن الرجوع إلى شعر العرب فيما تحدثوا به عن الديار والأطلال جاهلية وإسلاما . أنا أعلم أن الدكتور عبد العزيز كامل مدرس الجغرفيا بمعهد الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ، لديه مشروع كتاب أعد مسوداته فى هذا الموضوع ، وأعرف عن الدكتور دأبه العلمى ومثابرته على التحقيق ، ولعله بكتابه يشجع غيره على ارتياد هذا السبيل .

هذه آمالى ... لم أسرف فيها ولم أغتر ، فاللهم حقق الآمال ؟

فتحى عثمان

# حق الجــوار

## فى تقــدير الشريعة الإسلامية

---

لقد وضع الإسلام نظاما للاجتماع يجعل من الأمة الإسلامية جمعاء أسرة واحــــدة مترابطة الآحاد ، ترابطا لا تنفصم له عروة ، ولا تنحل له لحمة . فشرع شرعة التعـاون فى الحياة لتذليل عقباتها ، وقطع مفازاتها ، وجعل ذلك أساسا لمدنيته الفاضلة فقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعـدوان » . ثم لم يدع فضيلة من الفضائل التى تحقق معنى هـذا التعاون إلا دعا إليها وحث عليها ، ولا مشاحة فى أن مراعاة حقوق الجوار من أمهات تلك الفضائل ، بل لو تحققت هى وحدها لجعلت الأمة كالبنـاء المرصوص يشد بعضه بعضا ، لا يجـد التداعى سبيلا إليه بحال من الأحوال ـ لذلك جاء فى وجوب مراعاة هذه الحقوق من الأوامر ما يتفق وعظم خطره . فأول حجر وضعه النبى صلى الله عليه وسلم فى بناء صرح حقوق الجوار قوله بين رهط من صحابته فى مسجد يثرب « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن . قال قائل منهم : من هو يا رسول الله ؟ قال الذى لا يأمن جاره بوائقه » رواه مسلم فى صحيحه . والمراد أنه لا يتم له إيمان ولا تنمو له عقيدة حتى يتحقق هـذا الشرط ، وهو الحفاظ على مبدأ الجوار ومميزاته وشرائطه ، فإن الإيمان غاية كل متدين وعليه يتوقف استحقاقه للكرامة فى الدنيا والآخرة . فإذا كان اكتمال هذا الإيمان يتوقف على أن يأمن جار المؤمن أذاه ، فإنه لا شك منصرف بكليته للقيام بهذا الشرط ضناً بنفسه وطلباً لنجاتها .

والجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق . فالجار الذى له ثلاثة حقوق : الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم . والذى له حقان : الجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام . والذى له حق واحد : الجار المشرك » . حقاً إن هذا سمو فى الآداب الاجتماعية ليس وراءه مذهب ، فإن ثبوت حقوق الجوار حتى للمشركين لم يقل بها قبل الإسلام مصلح فى الأرض . ويفهم من هذا أن الإسلام

إنما يراعى فى الآداب الاجتماعية ما يشمل الإنسانية كلها ، وهذا غاية ما يرمى إليه أعلى نمط من أنماط الإنسانية الفاضلة . فالإنسان لا يخلو وهو يعيش فى الحواضر أو البوادى أن يكون له جيران من ذوى نحل مختلفة يبادلهم التعامل ، فهل أبيحت للمسلم معاملتهم أو حرمت عليه مجاملتهم ؟ كلا كلا ، بل أوجب عليهم الإسلام أن يسوى بينهم وبين إخوانه المسلمين فيها ، وقد حث النبي على مبادلة أهل الكتاب الزيارة وحضور أعراسهم ومآتمهم ومؤاكلتهم حتى الإصهار إليهم . وقد وجد أصحاب الأديان الأخرى من مجاورة المسلمين ما تلمناه القلة من العطف وحسن المعاملة فى وسط كثرة قائمة على أحكم أصول المدنية ، وأقدم سبل الإنسانية .

قال مجاهد : كنت ذات يوم عند عبد الله بن عمر وله غلام يسلخ شاة فقال : يا غلام ، إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى ، حتى قال ذلك مراراً . فقال الغلام : كم تقول هذا ؟ فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أن يورثه . فانظر كيف اعتبر ابن عمر اليهودى جاراً ولم يفرق بينه وبين إخوانه فى الدين ، بل انظر كيف أمر خادمه أن يبدأ به قبلهم . لا شك فى أنه فعل ذلك حتى لا يسبق إلى ذهن خادمه أن ليس له شىء من حقوق الجوار ليهوديته ، فأمره أن يبدأ به ثم ذكر للخادم ما ورد عن النبي من التشديد فى وجوب مراعاة هذه الآداب الاجتماعية .

وفى السنن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعنته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت إليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه ، وإذا اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله » .

إن هذا الأثر جامع فى حقوق الجوار لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فلعل من الناس من يخيل إليه قياساً على حالة أهل المدنية اليوم أن هذه الحقوق لا تتفق والحياة الاجتماعية الراهنة ، وهو وهم باطل ، فإن هذه الحقوق طبيعية يؤدى إليها العقل لو ترك وشأنه ، وتقضى بها الإنسانية لو تجردت من شبح الحيوانية وأثرة البهيمية .

وكما بين الإسلام ما يجب للجار من الإحسان والعطف على جاره على أتم وجه كما رأيت ، حرم إيذاء الجيران أشد تحريم وأبلغه ، حتى جعل هذا الإيذاء مبطلا للأعمال الصالحة . فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال عليه السلام : هى فى النار . ومن أبلغ ما يؤثر من الزجر عن إيذاء الجار قول النبى صلى الله عليه وسلم « إن أنت رميت كلب جارك فقد آذيته » ، فأخذ المسلمون بهذا الأدب وجروا على سنته ، فكانوا يتحرجون حتى من مقابلة أذى جيرانهم بمثله .

روى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له : إن لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على . فقال له : اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه . ولم يشر عليه بالانتصاف لنفسه ، فإن التغاضى عن أذى الجار ربما أداه للندم والاعتذار مصداقا لقوله تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . ولكن لو قابل جاره بالمثل كان ذلك صدعا فى بناء المجتمع لا يلبث أن يتوسع بانضمام بعض الجيران إلى أحدهما والبعض الآخر إلى الثانى ، فحسما لمادة هذا التصدع رأى ابن مسعود أن يحصر الشر فى أصغر دائرة فينصح المجنى عليه بالصبر ، وقد اقتدى المسلمون فيه بالنبى صلى الله عليه وسلم فقد روى أنه جاءه رجل يشكو جاره فقال له النبى : اصبر ، فجاءه ثانية وثالثة فكان يأمره بالصبر ، فلما جاءه الرابعة قال له : أخرج متاعك فى الطريق . ففعل الرجل ما أمره به ، فجعل الناس يمرون به ويسألونه عما نابه ، فيقال لهم : له جار يؤذيه ، فكانوا يقولون : لعنة الله ! فأثر ذلك فى قلب جاره المشاكس فأتى صاحبه وقال له : رد متاعك فوالله لا أعود !

وفى تاريخ المسلمين أغرب الحوادث وأدعاها للاعتبار فى مراعاة حقوق الجوار ، فقد روى أنه بلغ ابن المقفع أن جاراً له يبيع داره فى دين ركبه ، وكان يجلس هو فى ظل داره فقال : ما قمت إذن بحرمة ظل داره إن باعها معدما ، ودفع إليه ابن المقفع ثمن الدار قائلا له : لا تبعها .

روى العلامة السيد عبد المغنى الضرير الأندلسى المشهور صاحب كتاب « زهر الآداب » هذه القصة الطريفة فقال « كان للإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان جار ملاصق وكان الإمام يقوم هزيعا من الليل للتهجد والإسحار فيسمع جاره يقول :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

استمر هذا الرجل ينشد هذا البيت من الشعر ويسمعه الإمام بضع ليال ثم اختفى هذا الصوت فجأة ، فلما أصبح الصباح سأل الإمام عن هذا الرجل الذى كان ينشد هذا البيت ، فقيل له إن هذا الرجل كان مديناً لأحد الناس فشكاه الدائن للوالى ، فأمر الوالى بحبسه حتى يقضى دينه ، وما أسرع أن امتطى الإمام بغلته ثم ذهب إلى الوالى فبعد أن حياه الوالى وأكرم مثواه سأل الإمام ما حاجتك ؟ فقال أبو حنيفة لنا جار ملاصق كنت أسمعه ينشد هذا البيت :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

واليوم أفتقده فلا أجده ، فقيل لى إنكم حبستموه لدين عليه ، فضحك الوالى حتى بدت نواجذه فقال : يا مولاى الإمام سأرسل إلى دائنه ليسامحه فى دينه ، وكان عشرين ديناراً ، فلم يقبل الإمام هذا العرض فدفع من خالص ماله دين الدائن ، وما أسرع أن أحضر إليه المدين من السجن وأخذه معه ، ثم أردفه على بغلته وهو يردد « والله يا فتى ما أضعناك ، ولن نضيعك إن شاء الله » .

هذا بعض ما يقال فى حقوق الجوار فى الإسلام وحرمته ، فلعل القارئ يلقى عليه نظرة فاحصة ثم يقارن بين ذاك العهد الدابر وعهده الحاضر ليتبين الفرق الشاسع بين عهدين عهد كانت أواصر الجوار فيه قائمة ، وعهد انزوت فيه حرمة الجار ، بل برزت فيه مساوئه ومعايبه ، ولعل سواد المعاصرين فى عهدنا الحاضر يساكن منهم أسر أسراً أخرى فى مبنى واحد ، فلا يحدث بينهم تعارف ولا توادد ، وتنقطع علائق الجوار انقطاعا لا هوادة فيه ، وذلك مجاف لروح الشريعة الغراء ، ومناف لأبسط قواعد الحنيفية البيضاء :

إن دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

عباس طه المحامى

## « مسئولية الإنسان »

جاوز بطرفك عالم الإنسان ، ثم ارجع البصر كرتين مصعدا منحدرا ، فيما شئت من العوالم التى تشاهدها فى السماء والأرض ، وانظر هل ترى من بينها مسئولا واحدا عن حاله فضلا عن حال غيره ؟ أما الإنسان ذو العقل والإرادة والاقتدار ، فهو الذى رشحته فطرته لهذه الأعباء فأصبح ذا مسئولية ، وموضع أمانة .

الدكتور محمد عبد الله دراز

صوت من وراء الدنيا :

# أبو هريرة

## حافظ الصحابة ، وأكثرهم رواية عن رسول الله

في صباح يوم السبت الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٧ انتقل إلى رحمة الله العلامة الكبير الشيخ أحمد شاكر أعلم علماء السنة المحمدية بمصر في هذا العصر ، وأوسعهم إحاطة بأطرافها ، وتحقيقاً لمتونها ، ووقوفا على دخائل رجالها وتراجم رواتها ، حتى كأنه كان يعيش معهم . وقد رأينا أن ننشر من علمه الغزير هذا الفصل عن حافظ الصحابة أبي هريرة رضي الله عنه ، لمناسبة ما وقع أخيراً من التشويه الذميم لجهود هذا الصحابي الجليل ، والتشكيك في مروياته . قال رحمه الله يتحدث عن أعداء السنة بحديثه العذب بعد أن صار في العالم الآخر :

لهج أعداء السنة ، أعداء الإسلام ، في عصرنا ، وشغفوا بالطعن في أبي هريرة وتشكيك الناس في صدقه وفي روايته . وما إلى ذلك أرادوا ، وإنما أرادوا أن يصلوا - زعموا - إلى تشكيك الناس في الإسلام ، تبعا لسادتهم المبشرين ، وإن تظاهروا بالقصد إلى الاقتصار على الأخذ بالقرآن ، أو الأخذ بما صح من الحديث في رأيهم . وما صح من الحديث في رأيهم إلا ما وافق أهواءهم ، وما يتبعون من شعائر أوربة وشرائعها . ولن يتورع أحدهم عن تأويل القرآن ، إلى ما يخرج الكلام عن معنى اللفظ في اللغة التي نزل بها القرآن ، ليوافق تأويلهم هواهم وما إليه يقصدون !

وما كانوا بأول من حارب الإسلام في هذا الباب ، ولهم في ذلك سلف من أهل الأهواء قديما . والإسلام يسير في طريقه قدما ، وهم يصيحون ما شاءوا ، لا يكاد الإسلام يسمعهم ، بل هو إما يتخطاهم لا يشعر بهم ، وإما يدمرهم تدميرا ،

ومن عجب أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون ، يكاد يرجع فى أصوله ومعناه إلى ما قاله أولئك الأقدمون ! بفرق واحد فقط : أن أولئك الأقدمين - زائغين كانوا أم ملحدين - كانوا علماء مطلعين ، أكثرهم ممن أضله الله على علم .

أما هؤلاء المعاصرون ، فليس إلا الجهل والجرأة ، وامتضاغ ألفاظ لا يحسنونها ، يقلدون فى الكفر ، ثم يتعالون على كل من حاول وضعهم على الطريق القويم !

ولقد رأيت الحاكم أبا عبد الله - المتوفى سنة ٤٠٥ - حكى فى كتابه المستدرك (٣ : ٥١٣) كلام شيخ شيوخه إمام الأئمة أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة - المتوفى سنة ٣١١ - فى الرد على من تكلم فى أبى هريرة فكأنما هو يرد على أهل عصرنا هؤلاء . وهذا نص كلامه :

« وإنما يتكلم فى أبى هريرة - لدفع أخباره - من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معانى الأخبار :

إما معطل جهمى ، يسمع أخباره التى يرونها خلاف مذهبهم - الذى هو كفر - فيشتمون أبا هريرة ، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه ، تمويها على الرعاء والسفل ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة !

وإما خارجى ، يرى السيف على أمة محمد ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم خلاف مذهبهم الذى هو ضلال لم يجد حيلة فى دفع أخباره بحجة وبرهان ، كان مفزعه الوقيعة فى أبى هريرة !

أو قدرى اعتزل الإسلام وأهله ، وكفر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التى قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلى أخبار أبى هريرة التى قد رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم فى إثبات القدر ، لم يجد حجة تؤيد صحة مقالته التى هى كفر وشرك كانت حجته عند نفسه أن أخبار أبى هريرة لا يجوز الاحتجاج بها !

أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبى هريرة فيما يخالف مذهب من اجتبى مذهبه واختاره ، تقليدا بلا حجة ولا برهان ، تكلم فى أبى هريرة ، ودفع أخباره التى تخالف مذهبه ، ويحتج بأخباره على مخالفيه ، إذ كانت أخباره موافقة لمذهبه !

وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبى هريرة أخبارا لم يفهموا معناها ، أنا ذاكر بعضها بمشيئة الله عز وجل ... الخ »

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعليقا على حديث الذباب :

وهذا الحديث مما لعب به بعض معاصرينا ، ممن علم وأخطأ ، وممن علم وعمد إلى عداء السنة ، وممن جهل وتجرأ :

فمنهم من حمل على أبى هريرة ، وطعن فى رواياته وحفظه ، بل منهم من جرؤ على الطعن فى صدقه فيما يروى ! حتى غلا بعضهم فزعم أن فى الصحيحين أحاديث غير صحيحة ، إن لم يزعم أنها لا أصل لها ! بما رأوا من شبهات فى نقد بعض الأئمة لأسانيد قليلة فيهما ، فلم يفهموا أغراض أولئك المتقدمين الذين أرادوا بنقدهم أن بعض أسانيدهما خارجة عن الدرجة العليا من الصحة التى التزمها الشيخان ، لم يريدوا أنها أحاديث ضعيفة قط .

ومن الغريب أن هذا الحديث بعينه - حديث الذباب - لم يكن مما استدركه أحد من أئمة الحديث على البخارى . بل هو عندهم جميعاً مما جاء على شرطه فى أعلى درجات الصحة .

ومن الغريب أيضاً أن هؤلاء الذين حملوا على أبى هريرة - على علم كثير منهم بالسنة ، وسعة اطلاعهم رحمهم الله - غفلوا أو تغافلوا عن أن أبا هريرة رضى الله عنه لم ينفرد بروايته ، بل رواه أبو سعيد الخدرى أيضاً عن النبى صلى الله عليه وسلم عند أحمد فى المسند ( ١١٢٠٧ ، ١١٦٦٦ ) ، والنسائى ( ٢ : ١٩٣ ) ، وابن ماجه ( ٢ : ١٨٥ ) ، والبيهقى ( ١ : ٢٥٣ ) بأسانيد صحاح . ورواه أنس بن مالك أيضاً ، كما ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ٥ : ٣٨ ) وقال : « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبرانى فى الأوسط » . ورواه الحافظ فى الفتح ( ١٠ : ٢١٣ ) وقال : « أخرجه البزار ورجاله ثقات » .

فأبو هريرة لم ينفرد برواية هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه انفرد بالحمل عليه منهم ، بما غفلوا أنه رواه اثنان غيره من الصحابة .

والحق أنه لم يعجبهم هذا الحديث لما وقر فى نفوسهم من أنه ينافى المكتشفات الحديثة من المكروبات ونحوها . وعصمهم إيمانهم عن أن يجرءوا على المقام الأسمى فاستضعفوا أبا هريرة .

والحق أيضاً أنهم آمنوا بهذه المكتشفات الحديثة أكثر من إيمانهم بالغيب ، ولكنهم لا يصرحون ! ثم اختطوا لأنفسهم خطة عجيبة : أن يقدموها على كل شىء ، وأن يؤولوا

القرآن بما يخرجه عن معنى الكلام العربى ، إذا خالف ما يسمونه « الحقائق العلمية » ! وأن يردوا من السنة الصحيحة ، ما يظنون أنه يخالف حقائقهم هذه ! افتراء على الله ، وحباً فى التجديد !

بل إن منهم لمن يؤمن ببعض خرافات الأوربيين وينكر حقائق الإسلام أو يتأولها . فمنهم من يؤمن بخرافات استحضار الأرواح ، وينكر وجـــود الملائكة والجن بالتأول العصرى الحديث . ومنهم من يؤمن بأساطير القدماء ، وما ينسب إلى القديسين والقديسات ، ثم ينكر معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، ويتأول ما ورد فى الكتاب والسنة من معجزات الأنبياء السابقين ، يخرجونها عن معنى الإعجاز كله ، وهكذا وهكذا . . .

وفى عصرنا هذا صديق لنا . . . كنا نعجب بقلمه وعلمه واطلاعه ، ثم بدت منه هنات وهنات على صفحات الجرائد والمجلات ، فى الطعن على السنة ، والإزراء برواتها ، من الصحابة فمن بعـــدهم . يستمسك بكلمات المتقدمين فى أسانيد معينة ، يجعلها - كما يصنع المستشرقون - قواعد عامة ، يوسع من مداها ، ويخرج بها عن حدها الذى أراده قائلوها . وكانت بيننا فى ذلك مساجلات شفوية ، ومكاتبات خاصة ، حرصاً منى على دينه وعلى عقيدته .

ثم كتب فى إحدى المجلات كلمة على طريقته التى ازداد فيها إمعاناً وغلواً ، فكتبت له كتاباً طويلا فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ ، كان مما قلت له فيه ، من غير أن أسميه هنا أو أسمى المجلة التى كتب فيها ، قلت له :

« . . . وقد قرأت لك كلمة فى مجلة . . . لم تدع فيها ما وقر فى قلبك من الطعن فى روايات الحديث الصحيحة . ولست أزعم أنى أستطيع إقناعك ، أو أرضى إحراجك بالإقلاع عما أنت فيه .

وليتك درست علوم الحديث وطرق روايته دراسة وافية ، غير متأثر بسخافات فلان رحمه الله وأمثاله ممن قلدهم وممن قلدوه ، فأنت تبحث وتنقب على ضوء شىء استقر فى قلبك من قبل ، لا باحثا حراً خاليا من الهوى .

وثق أنى لك ناصح مخلص أمين . لايهمنى ولا يغضبنى أن تقول فى السنة ماتشاء . فقد قرأت من مثل كلامك أضعاف ماقرأت . ولكنك تضرب الكلام بعضه ببعض .

وثق أن المستشرقين فعلوا مثل ذلك فى السنة ، فقلت مثل قولهم ، وأعجبك رأيهم ، إذ صادف منك هوى . ولكنك نسيت أنهم فعلوا مثل ذلك وأكثر منه فى القرآن نفسه . فما ضار القرآن ولا السنة شىء مما فعلوا .

وقبلهم قام المعتزلة وكثير من أهل الرأى والأهواء ، ففعلوا بعض هذا أو كله ، فما زادت السنة إلا ثبوتا كثبوت الجبال ، وأتعب هؤلاء رءوسهم وحدها وأوهوها !

بل لم نر فيمن تقدمنا من أهل العلم من اجترأ على ادعاء أن فى الصحيحين أحاديث موضوعة ، فضلا عن الإيهام والتشنيع الذى يطويه كلامك ، فيوهم الأغرار أن أكثر ما فى السنة موضوع ! هذا كلام المستشرقين ...

غاية ماتكلم فيه العلماء أحاديث فيهما بأعيانهما ، لا بادعاء وضعها والعياذ بالله ، ولا بادعاء ضعفها . إنما نقدوا عليهما أحاديث ظنوا أنها لاتبلغ فى الصحة الذروة العليا التى التزمها كل منهما . وهذا مما أخطأ فيه كثير من الناس ، ومنهم أستاذنا السيد رشيد رضا رحمه الله ، على علمه بالسنة وفقهه ، ولم يستطع قط أن يقيم حجته على مايرى . وأفلتت منه كلمات يسمو على علمه أن يقع فيها . ولكنه كان متأثراً أشد الأثر بفلان وفلان وهما لايعرفان فى الحديث شيئا . بل كان هو - بعد ذلك - أعلم منهما وأعلى قدما وأثبت رأيا ، لولا الأثر الباقى فى دخيلة نفسه ، والله يغفر لنا وله .

وما أفضت لك فى هذا إلا خشية عليك من حساب الله . أما الناس فى هذا العصر فلا حساب لهم ، ولا يقدمون فى ذلك ولا يؤخرون . فإن التربية الإفرنجية الملعونة جعلتهم لايرضون القرآن إلا على مضض ، فمنهم من يصرح ، ومنهم من يتأول القرآن أو السنة ، ليرضى عقله الملتوى ، لا ليحفظهما من طعن الطاعنين . فهم على الحقيقة لايؤمنون . ويخشون أن يصرحوا فيلتوون ، وهكذا حتى يأتى الله بأمره ... فاحذر لنفسك من حساب الله يوم القيامة ، وقد نصحتك وما ألوت . والحمد لله » .

وأما الجاهلون الأجرياء فهم كثر فى هذا العصر . ومن أعجب ما رأيت من سخافاتهم وجرأتهم أن يكتب طبيب فى إحدى المجلات الطبية فلا يرى إلا أن هذا الحديث لم يعجبه ، وأنه ينافى علمه ، وأنه رواه مؤلف اسمه البخارى ، فلا يجد مجالا إلا الطعن فى هذا البخارى ،

ورميه بالافتراء والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو لا يعرف عن البخارى هذا شيئاً ، بل لا أظنه يعرف اسمه ولا عصره ولا كتابه إلا أنه روى شيئاً يراه هو ـ بعلمه الواسع ـ غير صحيح ! فافترى عليه ماشاء ، مما سيحاسب عليه بين يدى الله حساباً عسيراً .

ولم يكن هؤلاء المعترضون المجترئون أول من تكلم فى هذا ، بل سبقهم من أمثالهم الأقدمون ، ولكن أولئك كانوا أكثر أدباً من هؤلاء . فقد قال الخطابى فى معالم السنن ( رقم ٣٦٩٥ من تهذيب السنن ) : « وقد تكلم فى هذا الحديث بعض من لاخلاق له وقال : كيف يكون هذا ؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء فى جناحى الذبابة ؟ وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء وما أربها فى ذلك ؟ قلت ـ القائل الخطابى ـ : وهذا سؤال جاهل أو متجاهل ، وإن الذى يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وهى أشياء متضادة إذا تلاقت تفاسدت ، ثم يرى أن الله سبحانه قد ألف بينها وقهرها على الاجتماع ، وجعل منها قوى الحيوان التى بها بقاؤها وصلاحها ، لجدير أن لاينكر اجتماع الداء والشفاء فى جزءين من حيوان واحد ، وأن الذى ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وأن تعسل فيه ، وألهم الذرة ( أى النملة ) أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه ، هو الذى خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جناحا وتؤخر جناحا ، لما أراد الله من الابتلاء الذى هو مدرجة التعبد ، والامتحان الذى هو مضمار التكليف وفى كل شىء عبرة وحكمة ، وما يذكر إلا أولو الألباب » .

وأما المعنى الطبى ، فقال ابن القيم ـ فى شأن الطب القديم ـ فى زاد المعاد (٣ : ٢١٠ - ٢١١) « واعلم أن فى الذباب قوة سمية ، يدل عليها الورم والحكة العارضة من لسعه ، وهى بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه . فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله فى جناحه الآخر من الشفاء فيغمس كله فيقابل المادة السمية بالمادة النافعة فيزول ضررها . وهذا طب لايهتدى اليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة . ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الاطلاق ، وأنه مؤيد بوحى إلهى خارج عن القوى البشرية » .

قال الشيخ أحمد شاكر : وأقول ـ فى شأن الطب الحديث ـ إن الناس كانوا ولا يزالون تقذر أنفسهم الذباب وتنفر مما وقع فيه من طعام أو شراب . ولا يكادون يرضون قربانه . وفى هذا من الإسراف ـ إذا غلا الناس فيه ـ شىء كثير . ولا يزال الذباب يلح على الناس فى طعامهم وشرابهم ، وفى نومهم ويقظتهم ، وفى شأنهم كله . وقد كشف الأطباء والباحثون عن المكروبات الضارة والنافعة ، وغلوا غلواً شديداً فى بيان مايحمل الذباب من مكروبات ضارة ، حتى لقد كادوا يفسدون على الناس حياتهم لو أطاعوهم طاعة حرفية تامة . وإنا لنرى بالعيان أن أكثر الناس تأكل مما سقط عليه الذباب وتشرب ، فلا يصيبهم شىء إلا فى القليل النادر .

ومن كابر فى هذا فإنما يخدع الناس ويخدع نفسه . وإنا لنرى أيضا أن ضرر الذباب شديد حين يقع الوباء العام ، لا يمارى فى ذلك أحد . فهناك إذن حالان ظاهرتان بينهما فروق كبيرة : أما حال الوباء فما لاشك فيه أن الاحتياط فيها يدعو إلى التحرز من الذباب وأضرابه مما ينقل المكروب أشد التحرز . وأما إذا عدم الوباء ، وكانت الحياة تجرى على سننها فلا معنى لهذا التحرز . والمشاهدة تنفى ما غلا فيه الغلاة من إفساد كل طعام أو شراب وقع عليه الذباب . ومن كابر فى هذا فإنما يجادل بالقول لا بالعمل ، ويطيع داعى الترف والتأنق ، وما أظنه يطبق ما يدعو اليه تطبيقا دقيقا ، وكثير منهم يقولون ما لا يفعلون .

أحمد محمد شاكر

---

## أمريكا فى لبنان

قالت مجلة ( نيوستيتسمان ) الانجليزية : يستطيع أيزنهاور أن يزعم أن لديه من الحجج القانونية ما يبرر استجابته لنداء شمعون ، ولكن هذا ليس فى الواقع إلا نفاقا لا يخفى أن جريمة قد ارتكبت . ولهذا فإنه يتعذر على الإنسان أن يعرف سببا حقيقيا يبرر تدخل أمريكا فى لبنان وخاصة بعد أن طلبت أمريكا من الأمم المتحدة أن تحقق فى الأزمة اللبنانية ، وبعد أن أكدت الأمم المتحدة أن هذه الأزمة داخلية بحتة ، وبعد أن ترك تقرير الأمم المتحدة أثرا طيبا فى بيروت ، إذ كان الثوار قد بدءوا يبحثون مع رجال الحكومة عن حل وسط لإنهاء هذه الأزمة ، ولكن أيزنهاور لم يعبأ بذلك لأن الذعر استولى عليه بمجرد أن علم بثورة بغداد . فمزق تقرير الأمم المتحدة ، ولم يكترث لرأى همرشلد فى المسألة ، وضرب ضربته التى جددت أزمة لبنان بعد أن كانت فى نزعها الأخير .

# لغويات

## ساهم فى عمل البر

كثرت هذه الصيغة صيغة المساهمة وما تصرف منها فى معنى المشاركة ، وقد أنكرها الناس أن تكون موافقة لما جاء فى اللغة ، وجعلوا لها صيغة الإسهام ؛ فيقولون : أسهم فلان فى هذا الأمر . وأسهم فى الأصل : أعطى سهما أى نصيبا ، تقول : أسهمت لمحمد من مالى ، وفى الأم للشافعى ـ رضى الله عنه ٧ / ٣١١ : « وقال الأوزاعى : أسهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للنساء بخيبر » والمراد : أعطاهن من السهمان . ومن اشترك فى عمل يحتاج إلى مال فقد بذل سهما من ماله فى قيام العمل ، ثم توسع فيه فأريد المشاركة فى الأمر وإن لم يكن هناك بذل مال . وإذا قال القائل : أسهم فى شركة الحديد والصلب المصرية فالمراد أنه دفع من ماله نصيبا أو أكثر لقيام الشركة ، وإن كان المعروف أن يقال : أخذ سهما ، إذ يراد بالسهم الصك والوثيقة بما دفع من مال .

وقد رأيت فى عبارة الشافعى ـ رضى الله عنه ـ أسهم له بالتعدية باللام . وترى فى المقامة الخمسين ( البصرية ) من مقامات الحريرى فى الحديث عن أبى زيد السروجى : فحينئذ انكفأ بى إلى بيته ، وأسهمنى فى قرصه وزيته » أى أعطانى جزءا أو نصيبا فى ذلك ، والظاهر أن هذه التعدية جاءت من قبل تضمين الإسهام معنى الإعطاء أو الإشراك .

وإنكار القوم المساهمة وإيثار الإسهام لأن المساهمة : المقارعة ، أى الأخذ فى عمل القرعة عند التنازع على حق من الحقوق ، وأصل ذلك أنهم يقترعون بالسهام أى العيدان المبرية والنصال التى لم تهيأ لأن تكون سلاحا . ويقولون : ساهمته فسهمته أى قارعته فكانت القرعة لى وغلبته ، وساهمه فلم يظفر فى المساهمة ، ومنه ما جاء فى الكتاب العزيز فى سورة الصافات فى الحديث عن يونس عليه الصلاة والسلام : « فساهم فكان من المدحضين » وكان ذلك لما ركب ـ عليه الصلاة والسلام ـ السفينة فركدت وتحبست ، وقد قيل : إن من عادة

القوم حين ذاك إذا حدث مثل هذا أن يتساهم من فى السفينة بإلقاء سهامهم فى الماء فمن طفا سهمه ألقى فى الماء ومن رسب سهمه نجا ، وكان حظ سهم يونس أن طفا .

على أن المقارعة قد يعقبها المشاركة ، أو هى بسبيل من المشاركة والتنازع فيها . وهذا المعنى يسوغ استعمال المساهمة فى المشاركة وتصحيح ما جرى فى هذا الباب .

وللباحث أن يحتج فى هـــذا بما جاء فى اللآلئ للبكرى المطبوع مع السمط ١ / ٦٦ : « اختلف الناس فى الذى قال : يديرونى عن سالم وأديرهم . فقال قوم : أبو الأسود الدؤلى ، بقوله فى غلام له اسمه سالم :

يديرونى عن سالم وأديرهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم
ولو بان من كفى لبت مسهدا ... ونبهان عما بى من الشجو نائم
أبا ثابت ساهمت فى الحزم أهله ... فرأيك محمود وعهـــدك دائم

ونبهان بن عـــدى جار لأبى الأسود ، كان يديره على بيع سالم ، ويروم ذلك منه ، وأبو الأسود يأباه . ثم مات سالم فقال أبو الأسود هـــذا الشعر . وظاهر فيه أن قوله : ساهمت فى الحزم أهله : شاركت فى الحزم أهله ، وهو الاستعمال المشهور نفسه ، وفى معجم الشعراء للمرزبانى ٣٦٦ لمالك بن أعـــين الجهنى فى رثاء الإمام جعفر الصادق المتوفى فى سنة ١٤٨ هـ .

فيا ليتنى ثم يا ليتنى ... شهدت وإن كنت لم أشهـد
فآسيت فى بثـــه جعفراً ... وساهمت فى لطف العـــود
ومن قبل نفسك قلت الغداء ... وكف المنية بالمرصد
عشية يدفن فيه الندى ... وغرة زهر بنى أحمـــد

فقوله : ساهمت فى لطف العود ، أى شاركت :

## مصر تقع شمال السودان . واليمن تقع جنوب الحجاز

يجرى هـذا الاستعمال بين النـاس . وأرى أن الصـواب أن يقـال : مصر تقع

شمالى السودان ، واليمن تقع جنوبى الحجاز . وهكذا أرى أن الصواب أن يقال : ليبية [1] غربى مصر ، وتقع تونس شرقى ليبية ، ولا يقال فى ذلك غرب وشرق .

وذلك أن الشمال والجنوب من الرياح لا من الجهات ، فإذا أريد المكان قيل شمالى أى المكان الذى تهب فيه الشمال ، وجنوبى أى المكان الذى تهب فيه الجنوب ، والجنوب هى الريح القبلية ، والشمال : التى تقابل الجنوب . والشرق : حيث تشرق الشمس ، والغرب : حيث تغرب ، فترى أنهما ينسبان إلى الشمس ولا ينسبان إلى شىء خاص ، فإذا أريد المكان الذى ينسب إلى شىء خاص قيل شرقى وغربى . ويقول سيبويه فى الكتاب ١ / ٢٠١ فى عد ظروف المكان : ومن ذلك أيضا : هو ناحية من الدار ، وهو ناحية الدار ، وهو ناحيتك ، وهو نحوك ، وهو مكانا صالحا ، وداره ذات اليمين وشرقى كذا ؛ قال الشاعر - هو جرير - :

هبت جنوبا فذكرى ما ذكرتكم     عند الصفاة التى شرقى حورانا

انتهى كلام سيبويه . وحوران : إقليم من أعمال دمشق ، والصفاة : الحجرة العريضة الملساء . نعم يقال : مصر تقع جهة الجنوب من السودان أى الجهة التى تهب فيها الجنوب . وجاء فى كلام البيرونى - على ما نقله ياقوت فى معجم البلدان فى لوبية - : « كان اليونانيون يقسمون المعمورة بأقسام ثلاثة تصير أرض مصر مجتمعا لها . فما مال عنها وعن بحر الروم نحو الجنوب فاسمه لوبية ، ويحدها بحر أوقيانوس المحيط الأخضر من جانب المغرب وبحر مصر من جهة الشمال وبحر الحبش من جهة الجنوب وخليج القلزم وهو بحر سوف أى البردى من جهة المشرق ، وهذا كله يسمى لوبية » .

وجاء فى القاموس فى مادة ( نوب ) فى الكلام على النوبة : « وبالضم : بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد » . فترى أنه جاء على الاستعمال المشهور . وعبارة ياقوت فى معجم البلدان : « النوبة بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر » فهذا جاء على الجادة .

وجاء فى اللسان ( نصب ) هذا البيت فى وصف الناقة :

كأن راكبها يهوى بمنخرق     من الجنوب إذا ما ركبها نصبوا

---

[1] هكذا اشتهر الرسم فى عصرنا . وفى معجم ياقوت : « لوبية » .

نصبوا : جدوا فى السير أو ساروا يومهم ، فالجنوب هنا : الريح ومنخرقها حيث تهب ، فترى أن الجنوب بفتح الجيم .

وجاء فى شعر أمية بن أبى عائذ الهذلى :

أفاطم حييت بالأسعد متى عهدنا بك لاتبعدى
تصيفت نعمان واصيفت جنوب سهام إلى سردد

سهام وسردد : موضعان . وقد ضبط ( جنوب ) بفتح الجيم فى نسختى معجم البلدان المطبوعتين فى أوربة ومصر ، وهذا الضبط لا وجه له ، فإن الجنوب ـ كما عرفت ـ من الرياح ولا معنى لتصيفها ، وإنما ( جنوب ) بضم الجيم جمع جنب بمعنى الناحية ، وهذا الضبط فى اللسان وفى شرح السكرى لشعر الهذليين ، فهذا له معنى صحيح ، تقول : تصيفت جنب إسكندرية أى ناحيتها . وهكذا ماجاء فى معجم البلدان فى الكلام على زخة موضع فى بلاد طيء ابهكنة الفزارى يخاطب عامر بن الطفيل :

أحسبت أن طعان مرة بالقنا حلب الغزيرة من بنات الغيهب
عصبا دفعن من الأبارق من قنا لجنوب زخة فالرقاق فينقب

جنوب زخة بضم الجيم : نواحيها وجهاتها .

**محمد على النجار**

## مع جمال عبد الناصر

### على مائدة خروشوف فى موسكو

أراد رئيس الخدم أن يقدم لخروشوف من خمر الفودكا ، فمنعه خروشوف والتفت إلى الرئيس جمال عبد الناصر وقال له : ـ حينما تكون معى ، فأنا لا أشرب أبدا . أنا أعلم أنك مسلم متدين ، وأنا أحترم عقيدتك . والتفت إلى وزير خارجيتنا الدكتور محمود فوزى وقال :

ـ إنهم يعتبرون أن المعركة كلها هى شخص هذا « الشاب » ، إنهم يعلمون أنه أصبح رمزاً لكفاح العرب ، ولسوف يدفعون نصف عمرهم فى فرصة تمكنهم منه . ( وهز رأسه وقال ) : ولكنهم لن ينالوا هذه الفرصة ، وسينتصر هذا الكفاح .

وأخذ قدحا من الماء المعدنى ووقف يقول :

إننى أشرب نخب ( كفاح الشعوب العربية ) نخب قائد العرب ، نخب انتصار العرب .

وجلس وهو يقول : أنا لا أتكلم عن الغيب ، ولكنى أؤمن بمنطق التاريخ .

# تعليقات

## يتسع الخرق على الراقع

كانت محاولات المرشدين قديماً تتجه نحو الجهلاء ، وتتعلق بإصلاح المعوج من أمرهم ، وتهذيب الشذوذ من أنفسهم وفى أخلاقهم .

فلما تفتحت أكمام الثقافة ، وانبعث ضوءها ، واتسعت رقعتها ، وكثر الناهلون من وردها ، حسبنا أن لذلك آثاراً إيجابية فى تقليل الجريمة ، ومؤازرة الفضيلة ، والنهوض بالخلق ، وصيانة المجتمع من شرور كانت تهدده ، وتجذبه إلى الوراء ، بعيداً عن المستوى الإنسانى الكريم .

حسبنا ذلك ، ولكننا فوجئنا ، ولا نزال نفاجأ من جانب الثقافات الحديثة بما هو شر من الجهل قديمه وحاضره .

توافر للإنسان فى حاضره نصيب كبير من التوجيه إلى جانب ما لديه من دين ، وتجارب ، غير أن العوامل السلبية تجد مرتعها خصيبا فى صدور المجددين من أبناء الثقافة المدنية المنقولة إلينا من منابع غير صافية ، إذ لم يعد للثقافة التى يرددونها بيننا غير مقاومة الحياء فى وجوه الخيرين ، ومحاربة القيم الروحية ، والطغيان على العقائد ، والتقاليد ، والنشاط فى اقتياد الشباب كله إلى مساقط الرذيلة فى غير اكتراث ولا حساب لما وراء هذا كله من هدم لكيان المجتمع الذى يطالبنا الدين وتقتضينا الوطنية أن نحرص على سلامته من كل آفة .

من كان يظن أن نسمع فى الأوساط الإسلامية مجاهرة بالتحلل من الحشمة ، وبالدعوة السافرة إلى حرية غير محدودة للمرأة ، وإلى إجازة للبنات أن يخالطن الأصدقاء من الشبان ، بل إلى استحسان البعض من الآباء أن يكون لبنته صديق أو أكثر ، تسايرهم فى الطرقات ، وتتردد معهم على كل مكان يروقهم ؟ ؟

من كان يظن أن يعلن أستاذ جامعى يقوم على تربية أبنائنا أنه يحبذ لبنته تلك الحرية ، وأنه ينكر على المتشائمين من هذه الفوضى غيرتهم ، وتنديدهم بهذه الميوعة ؟ ؟

أليست هذه إباحية تتجاوز إباحية كنا نسمعها أو نقرأ عنها فى الكتب عن بعض المغرقين فى الجهل يوم كانت الدنيا بحاجة قصوى إلى علم كثير ، ويوم كان الناس يستجيبون للفطرة فى التمييز بين الخير والشر ، وكانوا يتريثون فى ارتكاب النقيصة ؟ ؟

تجاوز الأمر قدره ، وأصبحت المجانة والدعارة ومحاربة النزعات الكريمة ، مذهبا يتمذهب به نفر من المثقفين فى عصر مفروض فيه أنه عصر حضارة وتقدم ، بل وصل الأمر إلى مغالبة الماجنين لأهل الكرامة ، ومحاولتهم أن يسكتوا أصحاب الدعوة الرشيدة ليكون صوت الشيطان وحـــده مدويا فى آذان القوم ، ولتكون الدنيا مرتعا للفساد والمفسدين .

إن المصلحين من رجال الأمة يجاهدون حقا للنهوض بها ، وجهادهم مشكور ، ولكنه بحاجة إلى مؤازرة من كل هيئة ، ومن كل فرد فليس من المستساغ أن نحملهم فوق ما يحملون ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

---

## الدستور العراقى

أذاع الزعيم عبد الكريم قاسم فى فجر ٩ المحرم ( ٢٦ يوليو ) دستور جمهورية العراق المؤقت وهو فى ٤ أبواب تنطوى على ٣٠ مادة . جاء فى مادته الأولى « العراق جمهورية مستقلة » وفى الثانية « العراق جزء من الأمة العربية » . وفى الثالثة « الكيان العراقى يقوم على أساس التعاون بين المواطنين ويعتبر العرب والأكراد شركاء فى هذا الوطن » . وفى الرابعة « الإسلام دين الدولة » . وفى الخامسة « بغداد عاصمة الجمهورية العراقية » وفى الباب الثانى « الأحكام تصدر وتنفذ باسم الشعب » وفى المادة ١٣ « الملكية الخاصة مصونة » وفى المادة ١٤ « الملكية الزراعية تحدد وتنظم بقانون » .

وسيتولى مجلس النواب العراقى الذى ينتخب انتخابا حرا إقرار الدستور العراقى فى صيغته النهائية .

# كلمة

## بمناسبة الذكرى العاشرة لاغتصاب فلسطين

---

فى كل عام نستقبل بهذا اليوم ( يوم ١٥ مايو ) ذكريات كنا نتمنى أن تكون ذكريات سرور وغبطة ، وموجبات فرح وبهجة ، وكنا نتمنى أن يكون هذا اليوم لفلسطين عيد استقلال وحرية ، إذ كان هو اليوم الذى انزاح فيه كابوس الانتداب الثقيل ، عن هذه البلاد فى سنة ١٩٤٨ ، وجلت فيه بريطانيا عن أرض هذا الوطن العربى العزيز ، الذى مكث يرزح تحت ضغط الاحتلال والاستعمار سنين عدة وأعواما طويلة .

نعم كان يمكن أن يكون يوم ١٥ مايو ، يوم عيد تنثر فيه الزينات ، وتعلن فيه مظاهر الفرح والابتهاج ، لو كان جلاء بريطانيا عن أرض فلسطين قد أريد به ترك البلاد خالصة لأصحابها ، ورد الأمانة سليمة إلى أهلها ، ولكنه كان جلاء مبنياً على تدبير سيئ ، واتفاقات غادرة ، بين بريطانيا ومن مالأها من دول الاستعمار ، اتفاقات مكنت لإسرائيل أن تقيم دولة فى فلسطين ، لتكون دائماً عامل قلق واضطراب ، ومبعث شر وفتنة ، بين دول الشرق العربى جميعاً ، ولتكون أيضاً مخلب قط أو نقطة ارتكاز يستخدمها ويعتمد عليها المستعمرون ، كلما أرادوا أن يسيروا فى خطة عدوان على أهل هذا الشرق العربى أو غير العربى .

وإنه ما كان لليهود فى سنة ١٩٤٨ أن يكسبوا حرباً ، أو يستقر لهم أمر ، أو تقوم لهم دولة حتى مع ضعف الأسلحة التى كانت فى أيدى المجاهدين العرب أو فساد هذه الأسلحة ، وما كانوا ليكسبوا حرباً أو يستقر لهم أمر أو تقوم لهم دولة ، حتى مع تلك الخيانة التى افتضح أمرها ، واشتهرت بإضافتها إلى أسماء أصحابها ، كما اقترنت أيضاً باسم اللد والرملة .

نعم ما كان لإسرائيل أن تصل إلى ما وصلت إليه فى فلسطين حتى مع كل هذه الاعتبارات لولا اتفاقات الشر ، وتدبيرات الغدر التى بيتها المستعمرون لشعب فلسطين وكل من يحنو من العرب على شعب فلسطين .

ولكن هل هذه هى النهاية التى ليس بعدها نهاية ؟ وهل يمكن أن يبقى كذلك أهل فلسطين مشردين لاجئين إلى غير ملجأ ، هائمين إلى غير مستقر ؟ .

إنه قد مضت عشر سنوات على تلك النتيجة الظالمة الغاشمة ، تغيرت فيها الأوضاع فى البلاد العربية ، وقضى على أكثر عوامل الفساد ، التى كانت تئن منها البلاد ، وقد أخذ الشعب العربى دروسا قاسية من تجربة سنة ١٩٤٨ التى لا تزال آثارها المؤلمة ماثلة أمام أعيننا فى هؤلاء اللاجئين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق ، وفى هذه القلاقل والتحرشات التى تثيرها عصابات اليهود على حدود الدول العربية .

الآن وقد تغيرت الأوضاع ، وشعر العرب جميعاً حكومات وشعوباً بمرارة الواقع ، وبالحاجة إلى عمل جدى حاسم ـ يجب علينا أن نستأنف الجهاد من جديد لاستعادة أرضنا المغصوبة ، وأن نتابع الكفاح ونحن أشد قوة وأصلب عوداً ، وأقوى أملا ، ينبغى أن يقف كل فرد منا فى الميدان يجاهد بنفسه وسلاحه وماله ورأيه وجاهه وبكل ما يستطيع من قوة .

ونحن بحمد الله قد حققنا بعد جهادنا الطويل جزءاً من آمالنا فى جمع كلمة العرب وضم صفوفهم ، فقامت الجمهورية العربية المتحدة ، التى ضمت شعب مصر وسوريا على أساس من الشعور المنبعث من نفس الشعب ، لتحقيق أهداف يحس بضرورتها الشعب الذى يريد أن يحيا حياة عزيزة كريمة تقوم على أساس التعاون والتناصح والإخلاص المتين . والواجب يقتضينا أن نحمى هذه الوحدة ونضع فيها ثقتنا الكاملة ، وألا ندع للدخيل مجالا ينفث فيه سمومه ، وينصب شراكه ، وأن تكون عيوننا يقظة ساهرة لمكايد المستعمرين وعملائهم الذين يريدون أن يطيحوا بهذا الصرح الشامخ الذى بنيناه بدمائنا وأرواحنا ، وأوينا إليه بعد رحلة طويلة شاقة مليئة بالأشواك والآلام والعقبات .

جاهدوا فى الله أيها المواطنون حق الجهاد ، وخذوا من أبطالكم مثلا علياً فى التضحية وإنكار الذات ، واعلموا أيها اللاجئون أنكم بمشيئة الله عائدون عائدون ، وأن النصر قريب والله مع الصابرين .

عاشت الأمة العربية عزيزة كريمة ، وعاشت الوحدة قوية متينة ، ووقانا الله جميعا أسباب الفتنة ، ويسر لنا السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

# ضـــيوف الأزهر

---

فى يوم الأحد ٢٠ من ذى القعدة ١٣٧٧هـ (٨ من يونيه ١٩٥٨م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر سيادة الأسقف مكاريوس الزعيم الدينى لقبرص . وقد دار الحديث حول واجب رجال الدين فى توجيه الشعوب وقيادتها إلى الخير ، والاشتراك الفعلى فى العمل على رفع الظلم والوقوف صفا واحداً أمام الاستعمار ، فهذا النشاط من رجال الدين هو من صميم واجبهم الذى كلفتهم به الديانات السماوية . فعملهم ليس قاصراً على المساجد والكنائس وبيوت العبادة ، بل مجال نشاطهم واسع ، وكل عمل مشروع يؤدى إلى الخير العام له منزلته وثوابه . والمستعمرون قد حاولوا أن يحصروا عمل رجال الدين فى دائرة ضيقة ، ومنعوهم من التدخل فى الأمور السياسية ، واضعين حداً فاصلا وحاجزاً منيعاً بين النشاط الدينى المحض فى بيوت العبادة ، وبين النشاط خارج هذه البيوت .

وقد أشاد سيادة الأسقف بما وصلت إليه مصر والجمهورية العربية المتحدة من تقدم بفضل رجال الثورة الأحرار وزعماء العروبة المخلصين ، وقال : لا أمان لهذه الجمهورية الناشئة ولا لقبرص إلا إذا حطم الاستعمار وتطهرت البلاد من هؤلاء الدخلاء .

وقد دعا سيادته فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة قبرص ومشاهدة شعور المواطنين هناك نحو العرب والجمهورية العربية المتحدة .

* * *

وفى يوم الاثنين ٢٨ من ذى القعدة ١٣٧٧هـ (١٦ من يونيه ١٩٥٨م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر فضيلة الشيخ مصطفى بن عبد العزيز خليل مفتى صوفيا ببلغاريا بمناسبة مروره بمصر لأداء فريضة الحج ، وذكر أن ببلغاريا مايقرب من مليون مسلم ، لهم ٢٢ مفتياً موزعون فى أنحاء البلاد ولهم مدارسهم الخاصة التى يتلقون فيها علوم الدين باللغة المحلية . وأن المسلمين هناك مقبلون على العبادة ، ومساجدهم تضيق بالمصلين وتبدو فى مظهر رائع فى شهر رمضان ، كما ذكر سيادته أن المسلمين هناك يحبون العرب كثيراً ويحرصون على سماع الإذاعات العربية . معجبين بنهضة مصر وزعماء الجمهورية العربية المتحدة .

وفى يوم الأحد ٥ من ذى الحجة ١٣٧٧ﻫ (٢٢ من يونيه ١٩٥٨م) استقبل فضيلته الدكتور كوامى نكروماه رئيس وزراء غانا وكان يصحبه السيد وزير التربية والتعليم وشخصيات أخرى ، وبعد التحدث عن نظم الدراسة فى الأزهر والدور الذى يقوم به فى ربط الشعوب الإسلامية عن طريق المبعوثين الموفدين والطلاب الوافدين من جميع الأقطار . زار الجامع الأزهر والمكتبة وقاعة المحاضرات الكبرى ثم انصرف شاكراً لفضيلته وللسادة العلماء والموظفين حسن استقبالهم وكريم شعورهم .

* * *

وفى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٧٧ ﻫ (١٣ من يوليه سنه ١٩٥٨ م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمكتبه وفد الحجاج الصينيين برئاسة السيد/ محمد على وكيل الجمعية الإسلامية الصينية ، ودار الحديث حول الشئون الدينية العامة وأحوال المسلمين فى الصين بصفة خاصة ، وأكد الوفد حب الصينيين العميق لمصر وللثقافة العربية ، وإعجابهم بدور الأزهر فى نشر الثقافة الإسلامية ، وتأكيد الروابط بين الشعوب .

وقد دعا الوفد فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة الصين فوعد بذلك عند إتاحة الفرصة ، وبعد إهداء فضيلته إلى الوفد الكتب والرسائل ، انصرفوا جميعا شاكرين حسن الاستقبال متمنين للأزهر وللجمهورية العربية المتحدة دوام التوفيق فى خدمة قضية السلام .

# تبرعات من الأزهر

بلغ مجموع ما تبرع به الأزهر بمناسبة أسبوع الجزائر لعام ١٣٧٧ ﻫ : م ٢٧٠و٣١٥١ ج سلمها فضيلة الأستاذ الأكبر على دفعات إلى الجهات المختصة .

كما بلغ مجموع ما تبرع به الأزهريون لمعونة الشتاء فى هذا العام ألف جنيه ، سلمت أيضاً للجهات المختصة .

وفضيلة الأستاذ الأكبر يشكر لجميع المساهمين فى هذه الأعمال الإنسانية الجليلة ، ويحيى فيهم روح الوطنية الصادقة ، آملا أن يكونوا دائما سباقين إلى الخير ، ومثلا أعلى فى كل عمل جليل .

# فى عيد الأضحى المبارك

من البرقيات والرسائل التى تبودلت بين فضيله الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وأساتذة وطلاب الأزهر وكبار الشخصيات فى العالم العربى والإسلامى والبرقيات التالية:

---

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهوريه العربية المتحدة القاهرة

يسرنى أن أرسل إلى سيادتكم باسم الأزهر خالص التهنئة بعيد الأضحى المبارك وأطيب التمنيات لكم ولجميع العاملين المخلصين ، راجيا من الله سبحانه أن يسبغ عليكم نعمته ، ويديم توفيقكم للنهوض بالجمهورية العربية المتحدة وخدمة قضية العروبة وتوطيد أركان السلام ؟

( عبد الرحمن تاج )
شيخ الجامع الأزهر



السيد الرئيس شكرى القوتلى دمشق

بمناسبة عيد الأضحى المبارك يسرنى أن أبعث إلى سيادتكم بأمانى الخالصة راجيا لكم موفور الصحة ودوام التوفيق لخدمة العروبة والإسلام ؟

( عبد الرحمن تاج )
شيخ الجامع الأزهر

شيخ الأزهر عبد الرحمن تاج القاهرة

إنى أهنئ فضيلتكم وجميع موظفى الأزهر بعيد الأضحى المبارك وأقدم إليكم جزيل شكرى وأسمى امتنانى لتفضلكم لعطفكم وعنايتكم فى الأزهر نسأل الله تعالى أن يكتب للشعب المصرى دوام الخير وأسعد الحياة فى ظل السلام ؟

( ضياء الدين بن إيشان بابا خان )
مفتى المسلمين
بطشقند

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر مصر

تلقيت بالامتنان برقيتكم المعبرين فيها باسمكم وباسم الأزهر عن كريم التهنئة وصادق الشعور بمناسبة عيد الأضحى المبارك وإنى لأبعث إليكم جميعا بموفور الشكر راجيا لكم الصحة والسعادة ومتمنيا للأمة العربية كل عز وسؤدد .؟

( جمال عبد الناصر )

سماحة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر القاهرة

أشكر لسماحتكم تهنئتكم الكريمة بعيد الأضحى المبارك راجيا البارى تعالى أن يعيده على العرب والمسلمين وقد تحققت أمانيهم فى الوحدة والحرية .؟

( شكرى القوتلى )

الشيخ ضياء الدين بن إيشان بابا خان مفتى المسلمين طشقند

لقد كان لتهنئتكم لنا بعيد الأضحى المبارك أثر عظيم فى نفسى ونفوس جميع علماء وموظفى الأزهر وإنى إذ أشكر لكم هذا الشعور الطيب أرجو الله أن يمتعكم بالصحة وأن يهب المسلمين فى آسيا الوسطى والعالم كله حياة طيبة فى ظل من الأمن والحرية والاستقرار .

( عبد الرحمن تاج )
شيخ الجامع الأزهر

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عبد الرحمن تاج القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لمناسبة عيد الأضحى المبارك يسرنى أن أتقدم إليكم وإلينا وإلى جميع المسلمين بالخير واليمن والعافية والتوفيق فى كل الأمور .

ونسأل الله أن يمدكم فى أموركم وينسج عليكم ثوب العافية إنه على كل شىء قدير مع أطيب التحيات .

( قمر الدين صالح )
شيخ جامع موسكو

الحاج قمر الدين صالح شيخ جامع موسكو

أشكر لكم تهنئتكم بعيد الأضحى المبارك وتمنياتكم الطيبة لنا وأرجو الله لكم ولجميع المسلمين فى الاتحاد السوفيتى والعالم كله حياة طيبة ، وحرية شاملة ، وتوفيقاً مطرداً لخدمة قضية السلام .

( عبد الرحمن تاج )
شيخ الجامع الأزهر

فضيلة شيخ الجامع الأزهر القاهرة الجمهورية العربية المتحدة

بمناسبة عيد الأضحى المبارك أتمنى لكم الصحة وطول البقاء ، والتوفيق فى جهودكم من أجل السلام .

( مؤسسة فيينا الدولية للسلام )

المؤسسة الدولية للسلام فيينـــا

أشكر لكم تهنئتكم بعيد الأضحى المبارك وأرجو الله للعالم أمناً واستقراراً ولجميع العاملين المخلصين توفيقاً دائماً لخدمة السلام .

( عبد الرحمن تاج )
شيخ الجامع الأزهر

## حمداً لك اللهم . . . !

فقد تردد نسيم الحرية فى رئة عزيزة من الجسم العربى ، بعد أن ظن الخونة المارقون أنها تعطلت تماماً ، لما بالغوا فيه من سد المنافذ وتسميم الجو . . . ! حمداً لك اللهم . . . ! فقد تحرر العراق الشقيق . . . !

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ينوب عن الأزهر فى التهنئة بنجاح الثورة العربية فى العراق .

السيد الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزارة العراقية بغـــداد

أحيي فيكم روح الوطنية العالية وأهنئكم بنتيجة الثورة الباهرة ، وأرجو للجمهورية العربية العراقية كمال العزة والقوة والتمكين كما أرجو لجميع الشعوب العربية المكافحة فى سبيل تحريرها أن تنال استقلالها وتتمتع بثمار كفاحها وأن تقوى على طرد المستعمرين من ديارها والله ولى المؤمنين المخلصين .

( عبد الرحمن تاج )
شيخ الجامع الأزهر

# الأدب والعلوم

## المستوى الاجتماعى للمدرسة

أوصى المؤتمر الأول للتخطيط الاجتماعى المدرسى بتنظيم دراسات لإعداد القادة والرواد واكتشاف الطلبة ذوى المواهب لإعدادهم قادة فى المدرسة ، وتشجيع الهوايات المدرسية الصالحة . ودعا المؤتمر إلى تقديم الخدمات النفسية والاجتماعية للتلاميذ غير القادرين على التكيف الاجتماعى ، ونوه بفائدة مجالس الآباء . وأوصى بأن يدخل فى الاعتبار - عند تقدير قيمة الأساتذة والمدرسين - مدى مساهمتهم فى تحقيق أهداف التربية الاجتماعية .

## حصر القوى المتعلمة

تقوم وزارة التربية والتعليم بإعداد حصر شامل للقوى البشرية المتعلمة التى تلزم المرافق المختلفة فى إقليمى الجمهورية المتحدة خلال السنوات العشر القادمة .

## مراكز بحوث لكل صناعة

تعنى وزارة الصناعة بإعداد مراكز بحوث علمية لكل صناعة من الصناعات القائمة فى الجمهورية العربية المتحدة ، بحيث تكون مختصة بجميع مرافق العلم من صناعية وهندسية وزراعية . وقد اقترح إقامة « معمل بحوث » لكل صناعة تساهم الشركات بتمويله باعتمادات سنوية فى ميزانياتها ، وستوزع مراكز البحوث على مناطق التصنيع ، والمقترح إقامة خمسة عشر معملا مركزيا لأبحاث الطاقة الذرية ، والبترول ، والأسمدة الكيماوية ، والثروة المعدنية ، والصناعات الحديدية ، والصناعات الكيماوية ، وأبحاث الغزل والنسج والصباغة والطبع ، وأبحاث الخيوط الصناعية ، والزجاج ، والأسمنت ، والمستحضرات الطبية ، ومنتجات الألبان ، والورق ، والصناعات الغذائية ، وصناعات البلاستك .

وأهم مايعنى به لتحقيق ذلك تخريج جيل جديد من العلماء يتخصص كل فريق منهم فى أبحاث صناعة معينة لتعتمد عليهم الصناعات فى خطوات تقدمها فى المستقبل القريب .

## ناجحو المدارس الثانوية

قرر المجلس الأعلى للجامعات المصرية قبول ٨٥٩٥ طالباً من الناجحين فى شهادة الثانوية العامة هذا العام ، منهم ٣٢١٥ لجامعة القاهرة ، و ٢٤٠٥ لجامعة الاسكندرية ،

و ٢٦٧٠ لجامعة عين شمس ، و ٣٠٥ لجامعة أسيوط . ومن المنتظر أن تزداد هذه الأعداد ١٠ ٪ بالنسبة للكليات النظرية و ٥ ٪ بالنسبة للكليات العملية . وباقى الناجحين فى امتحان الشهادة الثانوية العامة يوزعون على الكليات والمعاهد العليا التابعة لوزارة التربية والتعليم .

## الأزهر فى باريس

تقدم المسلمون المقيمون فى باريس بطلب إلى مشيخة الأزهر لإيفاد أحد العلماء إلى العاصمة الفرنسية لتعليم أبناء الجالية الإسلامية فيها أحكام الشريعة . ولما كان أكثرهم من أبناء الأقطار الشقيقة فى شمال إفريقية وهم على مذهب الإمام مالك ، فستكون الأحكام الفقهية التى يتلقونها فى الفقه المالكى .

وقد رشح الأزهر أحد الأساتذة الوعاظ للقيام بهذه المهمة ، واتخذت الأسباب لتعجيل سفره لتسلم عمله .

## الثقافة الإسلامية

### فى كوبا وكولومبيا

بعث الأزهر بمجموعات من المصاحف والكتب الإسلامية والرسائل الثقافية والمجلات إلى اللجنة السياسية للجمهورية العربية المتحدة فى كوبا وكولولمبيا من بلاد أمريكا اللاتينية ، وذلك لتمكين المسلمين هناك من أن يتزودوا من الثقافة الإسلامية والعربية .

## جوائز للبحوث العلمية

قرر المجلس الأعلى للعلوم برياسة وزير التربية والتعليم اعتماد ١٦ جائزة تشجيعيه قيمة كل منها خمسمائة جنيه تمنح لأحسن البحوث العلمية التى لم يمض على نشرها أو تنفيذها أكثر من ثلاث سنوات ، توزع بين البحوث العلمية الزراعية والهندسية والطبية والكيمائية والجيولوجية ، والبيولوجية ، والرياضية ، والطبيعية .

## معلومات عن العراق

مساحة العراق ١٧٥ ألف ميل مربع ، ويزيد عدد سكانه على خمسة ملايين ، وهو سادس دولة تنتج البترول ، وإيراد العراق منه أكثر من ٣٠٠ مليون دولار سنوياً . وجوه حار صيفاً ، بارد شتاء .

والإقليم الشمالى منه جبلى وفيه آبار البترول وأهم مدنه الموصل ، وأوسطه منطقة الرافدين ( ما بين النهرين ) وفيه العاصمة ( بغداد ) ، وفى الجنوب ملتقى النهرين ويسمى شط العرب وفيه مدينة البصرة .

والأمة العراقية تكاد تكون أمة عسكرية ، وسيكون لجيشها شأن بعد تحررها من الدمى التى كان الاستعمار يستعملها لأغراضه .

# أنباء العالم الإسلامي

## جمال عبد الناصر

### بين يوغوسلافيا ومصر

فى مساء السبت ١١ ذى الحجة (٢٨ يونية) غادر الرئيس جمال عبد الناصر ميناء الاسكندرية على الباخرة المصرية (الحرية) فى طريقه إلى يوغوسلافيا بدعوة من رئيس جمهوريتها، فودعته الجماهير وداعا رائعا، وكان فى حراسة الباخرة (الحرية) المدمرتان المصريتان (الناصر) و (الظافر). وفى يوم الأربعاء ١٥ ذى الحجة (٢ يوليو) وصل الرئيس إلى ميناء (دوبروفنيك) فاستقبله فيها الرئيس تيتو والشعب اليوغوسلافى.

وفى يوم الأحد ١٩ ذى الحجة (٦ يوليو) بدأت المحادثات الرسمية بين الرئيسين فى جزيرة (بريونى)، وكانت مشاكل الشرق الأوسط وأزمة لبنان فى مقدمة هذه المحادثات التى تمت فى تفاهم كامل، فاتفقوا على اتخاذ إجراء مشترك فى كل مشكلة دولية، وعلى تدعيم العلاقات السياسية والثقافية والصناعية بين البلدين. وتحدث الرئيس جمال عبد الناصر من إذاعة راديو بلغراد فقال: إن القومية العربية كانت فكرة وأملا، فأصبحت اليوم حقيقة. وعقب المحادثات العربية اليوغسلافية حضر وزير خارجية اليونان إلى يوغوسلافيا وتجـددت محادثات بين الدول الثلاث على أساس المحادثات الأولى ولمثل أغراضها.

ولما أشرقت شمس يوم الأثنين ٢٧ ذى الحجة (١٤ يوليو) بدأت الأنباء تصل تباعا إلى الرئيس جمال عبد الناصر فى بريونى عن قيام ثورة العراق وسقوط التاج والعرش فى بغداد وإعلان الجمهورية العراقية، وكان يوم غد (الثلاثاء) موعد سفر الرئيس جمال عائدا إلى مصر، فقرر التعجيل بعودته حالا، وعند غروب شمس الإثنين كانت الباخرة (الحرية) تشق بحر الادرياتيك بحراسة المـدمرتين المصريتين ومدمرتين يوغوسلافيتين، ومضت هذه القافلة البحرية تشق العباب بأقصى سرعتها، وفيما هى على وشك الخروج من الادرياتيكى إلى البحر الأبيض وردت الأنباء بنزول القوات الأمريكية فى لبنان، ثم تلقت إحدى المدمرتين اليوغوسلافيتين رسالة سرية عاجلة من المارشال تيتو باسم الرئيس جمال عبد الناصر

يقول فيها : « أناشدكم ألا تتقدموا فى البحر إلى أكثر من الحد الذى وصلتم إليه الآن . إن الخطر شديد بعد التطورات الأخيرة . أرجوكم العودة إلى أقرب ميناء يوغوسلافى ، أرجو أن يكون الرد بالموافقة » . فأجابه الرئيس جمال عبد الناصر بالموافقة . وفى صباح الثلاثاء وردت برقية أخرى من تيتو : « أقترح قدومكم إلى بريونى . أرجو لسرعة أن تنتقلوا إلى إحدى مدمراتكم لتصلوا إلينا بعد ثمانى ساعات . أتطلع بشوق إلى أن أراك مساء اليـــوم » .

ولما تقررت فكرة العودة إلى بريونى تشاور الرئيس جمال مع وزير خارجيته فى زيارة موسكو للتحدث مع خروشوف فى جميع احتمالات الموقف الدولى ، ومن المدمرة المصرية ، بعث الرئيس جمال رسالة إلى خروشوف عن موقف الشرق العربى بعد ثورة العراق يقول فيها « قررت قبل أن أعود إلى القاهرة أن أراك فى أى مكان يناسبك ، وأنا الآن فى طريقى إلى بريونى » . ومن المدمرة المصرية أبرق الرئيس جمال إلى نهرو وشواين لاى ، وسوكارنو ، ورئيس وزارة سيلان ، ونكروما ، ورئيس وزارة الأفغان يشرح لهم تطورات الموقف فى الشرق الأوسط ولا سيما العـــراق ، وبعث الدكتور محمود فوزى تعليمات إلى جميع سفراء الجمهـــورية العربية المتحدة ليتصل كل منهم بحكومة البلاد التى يعمل فيها ، ويطالب بسرعة الاعتراف بالجمهورية العراقية .

ولما وصل جمال إلى بريونى وجد فى انتظاره برقية من خروشوف بأنه فى انتظاره فى موسكو أو أى مكان آخر يلائمه . وفى بريونى جمع تيتو أهم رجال دولته للاجتماع برئيس الجمهورية العربية ووزير خارجيتها للتحدث معاً فى آخر تطورات الموقف الدولى ، وامتد الاجتماع إلى منتصف الليل . وفى فجر يوم الخميس ٣٠ ذى الحجة ( ١٧ يوليو ) استقل الرئيس جمال ووزير خارجيته الطائرة الجبارة التى كانت فى انتظاره بمطار بولا متوجها إلى موسكو بسرعة ألف كيلو متر فى الساعة ، ونزل فى موسكو بقصر داتشا بالضواحى ، واجتمع بخروشوف مدة ثمانى ساعات .

وفى الصباح المبكر من يوم الجمعة غرة المحرم ( ١٨ يوليو ) استقل الرئيس الطائرة الروسية T.U.104 من موسكو ، وهى تتسع لسبعين راكبا ، فسلكت فى طريقها المدر الهوائى التجارى العادى ، ولم يخطر ببال المشرفين على مطارات العالم أن هذه الطائرة هى طائرة جمال عبد الناصر . مرت فوق طهران ثم طارت فوق بغداد ، وفى جو بغداد دنت الطائرة من المبانى والمعالم ، حتى كان الرئيس يرى بنظارته سكان بغـــداد وهم يمشون فى الشوارع .

وبينما العالم ينتظر وصول الرئيس بحراً إلى مصر ، إذا به يفاجأ بهبوط طائرته فى مطار دمشق فى الساعة الواحدة بعد ظهر الجمعة ، فذهب إلى قصر الضيافة ، وعرف الوزراء بوصوله ، وذهلت مخابرات العالم وهى تسمع الخبر ، إنهم كانوا يظنونه عائداً إلى مصر بطريق البحر . ومن شرفة قصر الضيافة بدمشق مساء الجمعة خطب على مسامع سكان العاصمة السورية ، فكان الوطن العربى كله يسمع خطابه كلمة كلمة ، كانت كلماته كلها أقوى من المدافع . ومما قاله : كانت راية الحرية قد ارتفعت فى دمشق والقاهرة ، واليوم ترتفع فى بغداد ، وسترتفع غداً فى بيروت وعمان والجزائر . إننا انتصرنا فى بورسعيد ، وسننتصر فى جميع المعارك . إن القومية العربية لا يمثلها جمال عبدالناصر ولا أى شخص آخر. من كان يسمع عن عبد الكريم قاسم ، أو عبد السلام عارف ؟ إن شعلة القومية العربية ستبقى أبد الدهر عالية مرتفعة ، إن سياستنا أن نسالم من يسالمنا وأن نعادى من يعادينا : القومية العربية أقوى من القنابل الذرية ، لقد انتصرنا فى معركة ١٩٥٦ ، وسننتصر فى هذه المعركة ، وقلوبنا كلها مع العراق . إن أمريكا تحتل لبنان وتحملنا مسئولية حماية جنودها المحتلة ! هذا هو الاحتلال ، وهذا هو الاستعمار . أنا أقول لإخوانكم فى بغداد إننا معكم أيها الإخوان جميعاً ، إننا نحمل السلاح معكم أيها الإخوة جميعاً ، إن كل قطرة من دمائنا مع كل قطرة من دمائكم . والله يوفق الأمة العربية جمعاء .

وسمع قادة الجمهورية العراقية صوت جمال عبد الناصر من دمشق فوفد عليه منهم فى صباح يوم السبت ٢ المحرم ( ١٩ يوليو ) وفد برأسه العقيد الركن عبد السلام عارف نائب رئيس الوزراء ، ومعه محمد حبيب وزير المالية وصديق شنشل وزير الارشاد ، وعبدالجواد جومرد وزير الخارجية . وأراد شعب دمشق أن يمتع أنظاره بمشاهدة قوى العروبة ممثلة بأبطال مصر والعراق والشام ، فأشرف على الجماهير جمال عبدالناصر ، وشكرى القوتلى ، وعبد السلام عارف ، وعبد الجبار جومرد ، وصديق شنشل ، ومحمد حبيب ، وتداولوا إلقاء الخطب القوية . وفى ذلك اليوم عقد فى دمشق بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية العراق هذا الاتفاق :

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية

فى اليوم الثانى من شهر المحرم سنة ١٣٧٨ ( ١٩ من شهر تموز « يوليو » عام ١٩٥٨ ) اتفق وفدا الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية على :

أولا - تأكيد ما يربط البلدين من عهود ومواثيق ، وفى مقدمتها ميثاق الجامعة العربية وميثاق الدفاع المشترك بين الدول العربية .

ثانيا - تأكيد ما أعلنته حكومتا البلدين من ارتباط وثيق بينهما إزاء الموقف الدولى ، وأنهما مصممتان على الوقوف كبلد واحد فى الدفاع ضد أى عدوان عليهما أو على أى منهما ، والبدء حالا فى اتخاذ ما يقتضيه ذلك من خطوات عملية .

ثالثاً - التعاون الكامل فى المحيط الدولى المحافظة على حقوق البلدين والمشاركة الفعالة فى تأييد ميثاق الأمم المتحدة وفى دعم السلام فى الشرق الأوسط وفى العالم .

رابعا - اتخاذ الخطوات العاجله العملية لتنمية التعاون الاقتصادى والثقافى بين البلدين .

خامسا - الاتفاق والتشاور المستمرين بين البلدين فى كل الشئون التى تعنى كلا من البلدين .

وقد وقع هذا الاتفاق عن الجمهورية العربية المتحدة الرئيس جمال عبد الناصر ، ووقعه عن الجمهورية العراقية العقيد عبد السلام محمد عارف نائب رئيس الوزراء .

وفى يوم الأحد ٣ المحرم ( ٢٠ يوليو ) زار الرئيس خطوطنا الأمامية بالقرب من الحدود اللبنانية ، وناقش الضباط والجنود الذين يحمون هذه الخطوط فى مهماتهم . وكان استقباله فى خطوط الحدود أروع استقبال . والغرض من هذه الزيارة الاطمئنان على الخطة الدفاعية المرسومة للمحافظة على الإقليم الشمالى من الجمهورية ضد أى عدوان أو تدخل أجنبى .

وكان مع الرئيس فى زيارته بعض الوزراء واللواء جمال فيصل قائد الجيش الأول ومعاونه أمير الألاى عبد المحسن أبو النور . وسر الرئيس بما رآه ، وعاد بالارتياح والاطمئنان التام .

وفى طريق عودته زار قبر الشهيد يوسف العظمة بميسلون ، ووضع على ضريحه باقة من الزهر تخليدا لنضاله فى سبيل الحرية والكرامة

وفى مساء الاثنين ٤ من المحرم عاد الرئيس إلى القاهرة ، واجتمع فور وصوله بالمشير عبد الحكيم عامر والسيد عبد اللطيف البغدادى نائبى رئيس الجمهورية ، والسيد على صبرى وزير شئون رياسة الجمهورية ، وبحث معهم مسائل عسكرية وسياسية هامة .

وفى مساء اليوم التالى ( ٥ المحرم - ٢٢ يوليو ) ألقى الرئيس خطابه الخطير فى ميدان الجمهورية بالقاهرة ، وقد لخصناه فى مكان آخر من هذا الباب .

## أسهم قناة السويس

تم فى جنيف يوم الأحد ٢٦ ذى الحجة (١٣ يوليو) توقيع الاتفاق النهائى الخاص بتعويض حملة أسهم قناة السويس السابقة، وكان التوقيع فى المقر الأوربى للأمم المتحدة بجنيف. وتم التوقيع فى اجتماع أحيط بالكتمان، حتى أن الصحفيين لم يعلموا بعقده إلا فى آخر لحظة، فلم يحضر أحد منهم هذا الاجتماع. وقد بينا الأسس التى قام عليها هذا الاتفاق فى ص ٩٧٢ — ٩٧٣ بالجزء الأخير من السنة الماضية.

## انتفاضة العراق

كان يوم الإثنين ٢٧ ذى الحجة (١٤ يوليو) موعداً لاجتماع حلف بغداد فى اسطنبول، للنظر فى مساعدة كميل شمعون الموالى للغرب، والتنكيل بالشعب اللبنانى الثائر على صنائع الاستعمار.

وبات ملك العراق، وخاله عبد الإله، ونورى السعيد وهم على أهبة السفر بالطائرة فى ذلك الصباح إلى اسطنبول للاشتراك فى ذلك الاجتماع. وكانت الترتيبات قد عملت ليشترك جيش العراق فى إخماد ثورة اللبنانيين على عملاء الاستعمار من حكامهم. وبالفعل خرج إلى مطار اسطنبول كبار حكام تركيا وأعضاء البعثات الأجانب وضباط وجنود حرس الشرف بموسيقاهم ليستقبلوا ملك العراق ومن معه.

ولكن القومية العربية التى تصبر، ثم تثب وثباتها المفاجئة للتاريخ، كانت فى ساعة الفجر من ذلك اليوم فى بغداد، قد أعدت المفاجأة التى فاجأت بها الدنيا، فصدرت الأوامر العسكرية من العقيد عبد الرحمن عارف (شقيق العقيد عبد السلام عارف) بتطويق قصر الرحاب قبل أن يفر الخونة الذين كانوا فيه، وتقدمت وحدات الجيش للعمل وعلى رأسها اللواء العشرون بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم وكان نورى السعيد قد أمر هذا اللواء بالذهاب إلى حدود الأردن لمصلحة الاستعمار، واشترك مع اللواء العشرين فى الثورة اللواء التاسع عشر وكتيبة الهندسة، وكتيبة الدبابات، وكان العقيد عبد السلام عارف فى قيادة إحدى فرق المدرعات التى طوقت القصر، وذهب أخوه عبد الرحمن بنفسه للاشراف على تنفيذ الخطة المرسومة، وكان أول عمل قاموا به بعد تطويق القصر قطع التيـــار الكهربائى والاتصال التليفونى، واحتلوا دار الإذاعة، ومناطق البترول، ومطار البصرة، وجميع المنشآت العسكرية، والمؤسسات المدنية والمالية التى تحتاج إلى حماية وحاصروا القواعد الانجليزية بخطة رسمت بإحكام، فأصبحت القواعد الانجليزية عاجزة عن أى إجراء نحو الثورة.

وفى قصر الرحاب لما رأى فيصل القوات المسلحة وأدرك موقفه قرر الاستسلام ، فبادره خاله عبد الإله بلطمة شديدة على وجهه ليثنيه عن ذلك ، وتناول من حرسه مدفعاً رشاشاً وأخذ يطلقه على جنود الثورة ، فقتل جنديين ورئيس عشرة ، وكان من المصلحة أن يقبض عليه هو والملك وهما على قيد الحياة ، لكنه تعمد أن تكون نهايته الموت لا الاعتقال ، فاضطر رجال الثورة إلى قتله ، وجر الشعب جثته فى الشوارع ، ثم صلب على باب وزارة الدفاع فى المكان الذى كان عبد الإله قد أمر أن يصلب فيه القائد المجاهد صلاح الدين الصباغ من قادة جيش العراق فى ثورة رشيد عالى الكيلانى أثناء الحرب العالمية الثانية . أما الملك فيصل فوجدت جثته مطروحة فى أرض القصر وكان المظنون أن خاله قتله ، لكن لم يوجد فى جسمه أثر للرصاص ، وكان هو مريضا بالربو ولعله مات متأثراً بالخوف والضعف . إن جبابرة الاستعمار فى الأرض لم تنقذ عبيد الكراسى من قضاء الله المبرم ، فويل لجبابرة الأرض من جبار السماوات .

إن أروع ما فى ثورة العراق قيامها على قوة الأخلاق ، فعجزت استعلامات الغرب وأذنابه عن أن تشعر ببوادر الثورة ، حتى فوجئت بصدمتها العنيفة التى أذهلت لندن وواشنطون وجميع أوكار الطغيان الاستعمارى الذى كان يعلق آماله فى خنق النهضة العربية على الأسرة الهاشمية التى أفسد الشيطان قلوب الأموات والأحياء من رجالها ونسائها ، ولا سيما صنيعتها المجرم الأول نورى السعيد ، وقد استطاع نورى السعيد أن يمضى الليلة الأولى بعد الثورة مختبئاً فى حى الباب الشرقى إلى أن علمت الثورة بالجهة التى هو فيها ، وفى أثناء البحث عنه بدا له أن يغير مخبأه فخرج فى ملابس امرأة تصحبه امرأة أخرى فلفتت حركتهما أنظار الناس ، وظن نورى السعيد أن امره افتضح فاستل مسدسه وجعل يطلقه بغير وعى ، فهاجمه جندى وصرعه برصاصه ، وبعد سقوطه تبين أنه نورى السعيد فحملت جثته إلى وزارة الدفاع ، وبعد تشريحها دفنت فى منطقة أبى غريب على بعد ٢٠ كيلو مترا من بغداد .

وفى اليوم نفسه قبض على فاضل الجمالى وهو متنكر فى زى أعرابى يحاول الخروج من العراق بطريق البادية ، فاعتقل توطئة لمحاكمته مع أمثاله .

وكان أول مقررات الثورة العراقية فى صباح يومها الأول صدور مرسوم بإلغاء النظام الملكى فى العراق ، وإزالة شاراته وأسمائه عن الأوضاع والمرافق العسكرية والمدنية وغيرها .

ومرسوم بإعلان الجمهورية العراقية .

ومرسوم بتكوين ( مجلس السيادة ) ، واختيار الفريق الركن نجيب الربيعى رئيسا له .

وتولى رياسة الوزارة فى الجمهورية العراقية لأول مرة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ، الذى كان فى قيادة اللواء العشرين عند تحطيم الأصنام التى أقامها الاستعمار لاستعباد العراق .

وبعد دقائق من إعلان الجمهورية العراقية قررت الجمهورية العربية المتحدة الاعتراف بها والتعاون معها ، ثم أعلنت رسمياً أنها «ستقوم بالتزاماتها كاملة تجاه جمهورية العراق وفقاً لميثاق الضمان الجماعى العربى ، وأن كل عدوان على جمهورية العراق يعتبر عدوانا على الجمهورية العربية المتحدة» . وهذا النص كتبه الرئيس جمال عبد الناصر بخطه وهو فى المدمرة ( الناصر ) فى بحر الادرياتيك وبعث به فى برقية مفتوحة ليذاع من القاهرة .

إن الشعب العراقى عن بكرة أبيه كان يدا واحدة مع الجيش فى تثبيت العهد الجديد والابتهاج به ، وعقد القلوب على حياطته بالأرواح والدماء والعزائم ، وقد أثبتت انتفاضة العراق لكل مكابر فى الأرض أن العروبة خرجت من القمقم ، وستستأنف رسالتها فى التاريخ .

## يطلب الاحتلال للأردن

اجتمع حسين حفيد الملك عبد الله بكبار مستشاريه العسكريين والسياسيين يوم الأربعاء ١٦ يوليو ، وتم الاتفاق على الاستنجاد ببريطانيا وأمريكا لتحتلا بلاد الأردن ، فيحتفظ بالكرسى الذى تزلزل بثورة العراق ومصرع فيصل وعبد الاله ونورى السعيد . وقد وجه حسين نداء لبريطانيا وأمريكا كانت نتيجته أن بادرت بريطانيا بإرسال قوة كبيرة من جنود المظلات إلى عمان ، كما كان من نتيجته تمهيد الطريق لإرسال قوات أمريكية إلى الأردن . وقد تأكد أن القوات البريطانية التى وصلت إلى عمان مرت فوق إسرائيل بموافقة الحكومة الإسرائيلية .

## مهزلة حراسة ملك الأردن

وجه النائب العمالى ايمرز هيوز سؤالا فى البرلمان البريطانى إلى مكميلان رئيس الوزارة : أليس من الأفضل لتأمين حراسة حسين ملك الأردن أن يقيم فى بريطانيا فى حماية البوليس الانجليزى ، بدلا من إرسال قوات بريطانية إلى الأردن لحمايته هناك ؟

فأجابه رئيس الوزارة : أعتقد أن الملك حسين يشعر بأنه يجب ألا يغادر بلاده فى الوقت الحاضر ، ولذلك فإنى لا أفكر الآن فى دعوته لزيارة بريطانيا . . .

## لا توجد قوة

توقف قوة القومية العربية

قال زعيم حزب العمال البريطانى فى خطاب ألقاه على مؤتمر شعبى كبير بمدينة درهام : إننا نخدع أنفسنا إذا كنا نظن أن بريطانيا وأمريكا سوف تتمكنان من وقف قوة القومية العربية المتزايدة .

ولا يمكن لأحد أن ينكر أن هناك حركة ضخمة ضد حكم الملك حسين، كذلك لا يمكننا أن ننكر أن قواتنا أجبرت على الانسحاب من الأردن قبل سنتين بسبب الشعور الشعبى الجارف المعارض لتحالف الأردن مع بريطانيا ويخطىء كل الخطأ من يظن أن هذا الشعور قد تبخر

## خطبة جمال عبد الناصر

فى الذكرى السادسة للثورة

خطب الرئيس جمال عبد الناصر فى مساء الثلاثاء ٥ المحرم ( ٢٢ يوليو ) فى ميدان الجمهورية بالقاهرة .

حضر من بغداد وفد برياسة السيد مصطفى على وزير العدل للاشتراك فى هذه الذكرى . وبلغ عدد الذين احتشدوا لسماع الخطبة أكثر من ٧٥٠ ألف مواطن .

قال الرئيس إن هذا العيد عيدان: عيد ذكرى ثورتنا ، وعيد قيام الثورة العراقية . لقد وقعنا الاتفاق مع العراق فورا . ولم نكن فى حاجة إلى ميغاد لتوقيعه ، فإنه كان موقعا بيننا منذ الأزل .

طالب الرئيس من دول الأرض الاعتراف بحياد الشرق الأوسط العربى ، وأنه لا بد من احترام إرادة الشعوب . وأن العالم وصل إلى حافة الحرب بسبب الشرق الأوسط ، ولكن الأزمة مفروضة على الشرق الأوسط من خارجه ، ولو تركت شعوب الشرق الأوسط لنفسها لما اختارت إلا السلام .

إننا نريد صداقة الجميع ، ولكننا لا نريد أن نجعل فى بلادنا قواعد أجنبية تهدد غيرنا وتعرضنا للتهديد .

لقد عجزت مدافع الاستعمار عن حماية العملاء الذين لا يعيشون إلا فى ظلالها ، ولكن مدافع الاستعمار لم تعد أقوى المدافع فى الدنيا .

إن كفاح شعب الأردن انتكس بسبب انحراف ملك الأردن وتنكره لشعبه، ولكن كفاح الأردن سوف ينتصر ، لأن انحراف أى فرد لا يمكن أن يؤثر فى كفاح شعب .

إن حسينا يواصل الآن فى عمان الرسالة التى حملها جده عبد الله من قبله ، رسالة الخيانة فى فلسطين ، وإن حسينا هو سر جده ، والخيانة فى الأردن ستنتهى وينتهى معها الاحتلال . وسوف ينهزم الاستعمار الأمريكى فى لبنان ، ويلقى نفس المصير الذى سيلقاه الاستعمار البريطانى فى الأردن ، إنه نفس مصير الاستعمار فى العراق . لقد انتهى عهد العملاء ، وبدأت ثورة الأحرار من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى .

لماذا يخافون من القومية العربية ؟ هل

أغلقنا قناة السويس بعد تأميم شركتها كما كانوا يخشون ؟ هل سيمنح العراق بتروله بعد تحرره كما يتصورون ؟

لقد تركنا أعوان الاستعمار فى العراق لشعب العراق ، لقد رد شعب العراق عليهم . باسمكم فى هذا المكان ، باسم دمشق والقاهرة أرحب برجال بغداد الشقيقة العزيزة ، باسم الأمة العربية جميعا أرحب بوفد جمهورية العراق . إننا نعتمد أولا وأخيراً على الله ، وعلى قوة الشعب التى نعتبرها من قوة الله .

إن العالم اليوم أصبح إما أن يتجه إلى سلام ، أو أن يتجه إلى حرب . إما أن يتجه إلى بقاء ، أو أن يتجه إلى فناء . نحن نبذل كل جهدنا من أجل السلام ومن أجل البقاء . وفى نفس الوقت نحمل السلاح جميعا من أجل المحافظة على كياننا ، ومن أجل صد أى عدوان على أى جزء من الوطن العربى .

نحن فى هذا نؤمن بالله ، ونؤمن بالوطن ، ونؤمن بأنفسنا ونؤمن بكفاحنا . وبعون الله سترتفع دائما أعلام النصر على كل جزء من أجزاء وطننا كما ارتفعت قبل ذلك فى القاهرة ، وكما ارتفعت فى دمشق ، وكما ارتفعت فى بغداد . والله يوفقكم . والسلام عليكم » .

## جمال وحركة التحرر العربى

خطب خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى فى حفل أقامته سفارة جمهورية بولونيا بموسكو ، فتحدث عن اجتماعه الأخير بالرئيس جمال عبد الناصر ، وقال عنه : « إنه قائد حركة التحرر فى العالم العربى وليس شيوعيا مثلى ، ومع ذلك التقينا فورا وفهم كل منا حقيقة الآخر ، وجمعنا العمل المشترك من أجل السلام . وقد اتفقنا على مواجهة مؤامرات الاستعمار بكل طاقتنا ، وعلى منعهم من إشعال الحرب فى الشرقين الأدنى والأوسط .

« إن الاستعمار لن يستطيع وقف حركة التحرر العربى . وإنى أرحب بجمهورية العراق وقادتها . ويجب سحب القوات الأمريكية والبريطانية من لبنان والأردن . ولن تستطيع الحراب الأجنبية أن تحول دون سقوط الحكام الذين يفقدون ثقة شعوبهم » .

وقال خروشوف يصف الزعيم الركن عبد الكريم قاسم : « إنه رجل شجاع ذو صفات رائعة ، لأنه لم يخف من الاستعماريين »

وقال عن حسين حفيد عبد الله « إن مصيره سيكون مصير قيصر روسيا » .

وقال عن شمعون « إنه معلق فى الفضاء ، لا يقف على أرض » .

# الفهـرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ للطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الثالث – القاهرة : ربيع الأول سنة ١٣٧٨ – سبتمبر ( أيلول ) سنة ١٩٥٨ – المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

# ذكرى مولود

## وحياة رسالة



ولد في عام الفيل ...

كانت العربية السعيدة ، البلاد التي أنجبت هوداً ويعرب وسبأ والحارث الرائش وبلقيس وشمر يرعش ، تلك البلاد العريقة بالبطولة والمجد والمواهب السامية والسؤدد ، كانت يومئذ محتلة بـ ... الحبشة !

وكانت الكعبة ، بنية ابراهيم وإسماعيل ، أول بيت أقيم في الأرض لعبادة الله وتوحيده في احتقار الوثنية ، قد دنسها عمرو بن لحى الخزاعي منذ عهد قريب بما حمل إليها من وثنية الأردن ، فعوقب أهلها بالغزاة البغاة أصحاب الفيل ، إيقاظاً لهم وإنذاراً وتحذيراً ...

وكان تراث قصي في مكة ، وأنظمته في قريش البطاح وقريش الظواهر ، قد اعتراهما الوهن والتعطيل ، بما طرأ على أم القرى في وقعة الفيل ...

بل كانت آفاق الشمال التي أنجبت صالحا وشعيبا وقرونا بين ذلك كثيرا ، قد قبعت بأهلها

بين الأودية والأطواد ، منزوية بعقولهم ومواهبهم ، لئلا تدنسها حضارة فارس والروم بما ابتليتا به من الكذب والسرف والرياء ، والهلع والشهوات والاستخذاء .

إن العروبة ـ من عدن وسواحل حضرموت إلى مشارف الشام ، ومن سيف الخليج العربى إلى شطآن القلزم ـ كانت فى سنة هذه الذكرى ، أى فى عام الفيل ، غارقة فى بداوتها ، وفى كل ما فى البداوة من فطرة وبساطة ، وتقشف وخشونة ، وحرية وأريحية ونبل . غير أن بداوة العروبة امتازت على كل بداوة أخرى عرفتها الإنسانية فى الأرض ، من أوغل دهور الإنسانية فى القدم إلى أن تقوم الساعة . لقد كانت الأمم الأخرى وهى فى طور بداوتها هزيلة المدارك ، ضئيلة العقول ، فقيرة فى لغاتها التى هى ترجمان المدارك ، فلم تكن لأمة من الأمم وهى فى بداوتها لغة يزيد عدد مفرداتها على المائة أو المئات ، أما هذه الأمة التى ظهر منها فى عام الفيل هذا المولود الممتاز ـ الذى تحتفل الدنيا الآن بذكرى ولادته ـ فانها امتازت فى بداوتها بسعة المدارك وألمعيتها ، ووفرة المواهب ونضوجها ، وسلامة الأخلاق وكرم معدنها ، وثراء لغتها الدقيقة الأنيقة التى هى مقياس الإنسانية ، لأن النطق صفة الإنسان ، وعراقته بعراقته ، وأصالته بأصالته ، وشرفه بشرفه .

من هذه الأمة الممتازة بألمعية العقل وبلاغة المنطق ، وأريحية الفطرة ونبلها وحريتها ، ظهر هذا المولود الممتاز بكل ما ميزه الله به على كل مولود غيره من بنى البشر . ثم ازدادت هذه الأمة ـ إلى شرف أنه منها ـ شرفا آخر ، وهو أنه لم يستوف أيام حياته فى الدنيا حتى كانت كلها له ولرسالته ، فاضطلعت بها ، وحملت أعباءها ، وزحفت بأماناتها شرقا وغربا إلى ما شاء الله لها أن تنشئ من مآذن لحى على الفلاح ، وقلاع للحق والخير ، فى مشارق الأرض ومغاربها .

وبلغة هذه الأمة نطق هذا المولود أول ما نطق ، فكانت لغة التنزيل التى اختارها الله لكتابه الحكيم ، ثم كانت ـ بكتابه الحكيم ـ لغة الإنسانية المشتركة بين جميع الأمم التى تشرفت بالإيمان المحمدى ، وكان منها أعلام العلم الإسلامى ، وكبار المحدثين والمؤلفين والدعاة والهداة والصالحين .

والذين يلاحظون حكمة الله فى كل ما يقع تحت أنظارهم ومداركهم من خلقه وأمره مطمئنة قلوبهم إلى أن اختيار هذا المختار لأكمل رسالات الله كان مقرونا باختيار أمته الأولى

لحمل رسالته إلى آفاق الأرض . وكما أن الإسلام بنفسه كان معجزة من معجزات الله فى رسالاته ، فإن أصحاب رسول الله والتابعين لهم بإحسان كانوا كذلك معجزة من معجزات الله فى أخلاقهم وسيرتهم ، وفى حفظهم لكتاب الله وسنة رسوله ، وفتوحهم الخاطفة الخارقة لعادات التاريخ ، ونجاحهم فى تغيير أنظمة الدول والناس فى الممالك والمنازل والأسواق والنفوس ، وتعريبهم الألسنة والعقول والاتجاهات ، مما لم يسبق له نظير من غيرهم .

كان العرب قبل أن يتحملوا الرسالة المحمدية قد اعترى مواهبهم القومية الأصيلة شىء من الانحراف الطارئ ، ومنه وثنية عمرو بن لحى الخزاعى ، ولكن ما من عيب طارئ كان فى العرب فى زمن ولادة هـــذا المولود العظيم ، إلا كان ذلك العيب فى غيرهم أصيلا وأضعاف أضعاف ما نجده فى العرب . وكان يقابل ذلك فى العرب فضائل وسجايا قلما يوجد بعضها فى أمة أخرى غيرهم . ومن الإنصاف الاعتراف بأنه ما كانت أمة من أمم الأرض لتستجيب للرسالة المحمدية كما استجاب لها العرب ، وما كانت أمة من أمم الأرض - بعد أن تستجيب لهذه الرسالة العليا - لتحفظها على أصلها فلا تشوبها بما هو غريب عنها كما حفظ العرب من الصحابة والتابعين هذه الرسالة على ما هى عليه فى أصلها ، ومنعوا أن تصل إليها أية شائبة .



فى هذه البيئة وبين عقول أهلها ومواهبهم وقابلياتهم شب هذا المولود الذى نحتفل بذكراه ولم يكن لمكة والحجاز ملك متوج ، ولا كان فيها شرطة ومحاكم وسجون ، وقلما كان الناس هناك يبغى بعضهم على بعض ، وإذا وفد عليهم الحجيج كان له فيهم وفادة ورفادة وإكرام ، وكان الحجاج يتمونون من أسواقهم التى تجلب إليها البضائع والأرزاق من اليمن والشام فى رحلتى الشتاء والصيف . وإذا نزلت بهم نازلة أو حزبهم أمر أو احتاجوا إلى الدخول فى حرب أو الرجوع إلى السلم فقد كانت لهم دار ندوة كان من نظام جدهم قصى الذى رسمه لهم أن يجتمع فيها ذوو الرأى والحجى والرآسة فيهم فيتشاورون فيما تقتضيه مصلحتهم . واتفق أن وقع مرة شىء من الضيم لحاج يمنى جاء بتجارة له ، فمطله حقه بعض الذين تعاملوا معه ، فاجتمع شباب قريش فى منزل عبد الله بن جدعان التيمى من رهط أبى بكر الصديق ، وكان المولود الذى نحتفل فى هذا الشهر بذكراه قد بلغ يومئذ سن الفتوة فكان أحد المجتمعين مع عمومته فى دار ابن جدعان ، وعقدوا بينهم حلف الفضول ، أن لا يعلوا بمظلوم أو بمطول الحق فى مكة إلا تعاونوا على رد مظلمته واستخراج حقه من مطله . وقال صلوات الله عليه بعد أن بعثه

الله بالرسالة العظمى يذكر اغتباطه بذلك الحلف واشتراكه فيه : ولو دعيت اليوم إلى مثله لأجبت .

هكذا كان مولودنا سلام الله عليه - حين بلغ سن الشباب - يتلفت حوله ذات اليمين وذات اليسار ، فيتطلع إلى حقائق الأشياء من بين يديه ومن خلفه ، ويستجلي ما يقع عليه نظره من حق وخير فيغتبط بهما ، ويتأمل فيما يلمحه من باطل وشر فيستنكرهما وينكرهما .

سافر مع عمه في تجارة إلى الشام ، ثم سافر بأوسع من ذلك في تجارة لخديجة ، فعامل الناس ، وشارك بعض الناس ، ومنهم السائب بن الحارث السهمي من رهط عمرو بن العاص الذي دخلت مصر في الإسلام على يده ، قال السائب يصف معاملة شريكه صلوات الله عليه كان خير شريك ، لا يشاري ولا يماري ولا يداري (١) .

وأراد أن يتجرد عن مؤثرات البيئة ومألوف الناس ، فكان يهيم على وجهه في البادية وبين الجبال ينظر في آفاق هذه الطبيعة وما خلق الله فيها من دقيق وجليل ، وشامخ وذلول . وما تنبت أرضها ، وما يزدهر في سمائها من كواكب ثابتة ومتنقلة تشرق وتزهر وتغيب في الجانب الآخر من ملكوت الله الأعظم . وبلغ به السير إلى جبلي حراء وثبير فيما بين مكة وعرفات ، فكان يرتقي حراء فتنبسط بين يديه آفاق الأرض وجبالها في مدى بصره ، ويرنو بمقلتيه إلى القبة الزرقاء فوقه ، فيكتشف في نفسه عظمة الخالق بما يتأمل فيه من عظمة المخلوق .

في هذه البيئة البعيدة عن الناس من أخيار وأشرار ، كان يخلو بنفسه ، فيتصل قلبه وعقله بالله سبحانه ، فيخلص الضراعة والعبادة له ، ويتحرى ما ينبغي أن يكون فيه رضاه ، إلى أن أوحى الله إليه برسالته العظمى التي إذا قارناها بجميع رسالات الأنبياء والرسل كانت بلا ريب أكمل رسالات الله ، وهي رسالة كل من يؤمن بها من بني الإنسان إلى يوم القيامة .

إن سريرة هذا المولود العظيم فيما بين ولادته ورسالته كانت أمراً عظيماً ، وسيرته فيما بين رسالته وهجرته كانت أمراً أعظم ، وجهاده فيما بين هجرته والسنة التي أكمل الله فيها للمسلمين دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، ورضي لهم الحنيفية السمحة ديناً ، كانت أعظم وأعظم . هي أدوار

(١) المشاراة : اللجاج . ومنه استشرى إذا لج في الأمر .

لاثة : دور الاستعداد والتكوين ، ودور الدعوة بالإعداد والتكوين ، ودور بناء الأمة لمثالية التى كان ينبغى للمسلمين فى كل عصر من عصورهم وكل طبقة من طبقاتهم أن يختطوا ناء مجتمعهم على أساسها وعلى مثالها .

لو أن محمداً صلوات الله عليه لم يحرص فيما بين نشأته ورسالته على أن يسير فى طريق لكمال لا يحيد عنه فى دقيق أو جليل ، ولو أن الله عز وجل لم يسدد خطاه فى ذلك الطريق يما بين صباه وسن الأربعين ، لكان شأنه كشأن غيره من الناس ، ولما كان عظيم العظماء ن زمنه إلى زمننا وما دامت الإنسانية باقية ، إلى أن يكون عظيم العظماء يوم البعث الأعظم ، «والله أعلم حيث يجعل رسالته » .

إن هذا الدور الأول فيما بين زمن الصبا إلى سن الأربعين كان مدرسة هذا الأمى الذى يحرى الحق والخير فى ظروفه كلها ، وكان الامتحان فى غار حراء ، وكانت الشهادة العظمى له الفوز والنجاح بالوحى والتنزيل ، ثم خاض غمرات البلاغ والتخيير ، كان يتخير الصخرات لعظام التى سيبنى عليها قلعة الإسلام ، كان يضع الأساس الذى يقيم عليه الأمة المثالية ، وكان مثال أبى بكر الصديق ، وما أقل أمثال أبى بكر الصديق فى الدنيا ، هم الذين بنى عليهم صاحب لرسالة العظمى قلعة الإسلام ، وهم الذين أقام على عواتقهم الأمة المثالية .

لقد دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكانوا يستجيبون له لواذا بعضهم إثر بعض ، ن أوائلهم استجابة للإسلام ـ بعد خديجة وعلى وأبى بكر وجعفر بن أبى طالب ـ : طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وعثمان بن عفان ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن الأسود ، وعبد الله بن مسعود ، وخباب بن الأرت التيمى ، وعتبة بن غزوان ، والأرقم بن أبى الأرقم لمخزومى وفى منزله كانت الدعوة والاستخفاء . وكم من عظيم تأخرت استجابته ثم كانت حياته ركة وخيراً على الدعوة ، كعمر بن الخطاب ، وعمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد . ومن عجيب أمر هذه الرسالة والأمة التى استجابت لها أن الذين ماتوا منهم على العداوة للإسلام والكفر به عدد قليل جداً لو شاء مؤرخ أن يحصيهم ويستقصيهم بأسمائهم ، لكانت منهم أئمة قصيرة لا تعد شذوذاً فى مجموع الأمـــة العربية التى زحفت تحت رايات أبى بكر وعمر

وعثمان لنشر الدعوة فى الأقطار البعيدة . ولم ينتقل حامل هــــذه الرسالة العظمى إلى الرفيق الأعلى إلا وهو قرير العين بمن كان يصلى فى مسجده خلف أبى بكر من رجالات كان أستاذهم أعرف الناس برجولتهم وبطولتهم وصادق إخلاصهم لله ورسوله . ولا تعرف الإنسانية فى جميع تواريخها أمـــــة مثالية خرجت للتاريخ من تحت يد رجل واحد ، تولى تربيتها وتكوينها وإعدادها لحمل رسالته ، كالأمة التى صحبت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وحملت رسالته .

وكانت الحقبة الأخيرة من حياة صاحب هذه الذكرى هى حقبة الوفود عليه من القبائل القاصية فى الشمال وفى الشرق إلى الخليج العربى ، ومن أعظمها بركة وفود الجنوب من أهل اليمن الذين لهم ماض عريق فى العظمة وأمجاد الفتوح ، فتجدد ظهور جوهرهم وكريم معدنهم تحت رايات الخلفاء بما تمت به المعجزة فى أعجب انقلاب اجتماعى وعقلى تكون به هذا العالم الإسلامى .

إن الإسلام - وتكوينه الأمة المثالية - كان يكون رهنا بحياة صاحب هذه الرسالة لو أن الرسالة بقيت بعده مجهولة ، فكان ينحصر قيام الدعوة وتكوين الأمة المثالية فى مدة حياته ثم يزول أثر ذلك بعده . أما والرسالة قد تولى الله حفظها ، والكتاب المنزل ببيان هذه الرسالة وبالدعوة إلى تكوين الأمة المثالية موجود الآن بنصه فى يد كل مسلم ، وألوف من المسلمين يحفظونه عن ظهر قلب فى كل جيل ويتلونه على مسامع الناس فى الغدو والآصال ، فإنه لا عذر لأى جيل من أجيال المسلمين فى أن يتخلف عن الانطباع بطابع الجيل المثالى المعاصر للسلف الأول ، معلم الناس الخير ، الذى نحتفل الآن بذكرى مولده ، صلوات الله وسلامه عليه .

كتاب هذه الرسالة الذى عمل به الجيل الأول فكان به جيلا مثالياً ، قد تولى الله حفظه لكل جيل ، ليكون حجة لله قائمة على الناس ليسعدوا به ويكونوا أمة صدق متينة الأخلاق قوية العزائم ، مقيمة للحق ، مغتبطة بالخير ، متعاونة عليه .

كل توجيه بذله مولودنا الأعظم صاحب هذه الذكرى عاملا به على تكوين الجيل المثالى الذى غير وجه المعمورة فى زمانه ، قد دونه علماء هذه الملة وأئمتها فى دواوين السنة

وهو معروض الآن على أنظار كل من يحب أن يسير بسيرة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وأبى عبيدة وطلحة والزبير وسعد وسعيد وابن مسعود وإخوانهم ومن جاء بعدهم . ولماذا لا يتخير كل مسلم قدوة له من الصحابة فيدرس سيرته ويحاول السير عليها والتزام ما فيها من حق وخير ؟

إن فى هذه الأمة من ينطوى قلبه على محبة أبى بكر أو محبة عمر أو محبة على أو محبة خالد بن الوليد ، فلماذا لا يتحرى من يحب منا واحداً من هؤلاء أن يدرس سيرته ويقتدى بها ويجدد حياة محبوبه بإظهارها للناس كما كان عليها ذلك الصحابى فى مدة حياته ؟

إن من يحيى سيرة صحابى لأنه كان محبوباً من رسول الله لا شك أن رسول الله سيحب الذى يحيى سيرة ذلك الصحابى كما كان يحب ذلك الصحابى . وإذا كثر الذين يفعلون ذلك منا أوشك أن يتجدد فى عصرنا هذا كل ما كان فى العصر النبوى من حق وخير .

وهذا ممكن ، ولا يحول بيننا وبينه إلا ضعف الهمة عن تحقيقه . بل نحن مأمورون بأن يكون لنا فى حياة رسول الله صلوات الله عليه أسوة حسنة ، فمحاولة كل محمدى أن يتأسى برسول الله ويتحرى سيرته ويعمل بها هى مفتاح التجديد العظيم فى حياة الإسلام ، وبها يكون البعث الجديد للإسلام على الأرض .

لقد نجم فى بعض عصور الإسلام الماضية ناس من الملاحدة والشعوبيين تظاهروا بالانتماء إليه ، وكانوا فى سرائرهم أعداء له ، فكان من أخبث ما دسوه فى الإسلام ليبطلوا العمل به تسوىء سمعة أصحاب رسول الله ، وتحريف سيرتهم ، وتأويل محاسنهم بما يوهم أنها سيئات ، فأفسدوا على المسلمين طريق الأسوة بهؤلاء الأكابر لئلا نجدد للإسلام شبابه الذى كان له فى زمن الجيل المثالى ، الجيل الذى رباه صاحب هذه الذكرى بيده ، وأعده لمواصلة المهمة التى جاء بها الإسلام . وهذه الدسائس التى دسها الشعوبيون والملاحدة فى تاريخ العصر الإسلامى الأول مكشوفة مفضوحة لكل من يحاول تصحيحها من النصوص المحفوظة فى كتب أئمة الحديث وأعلام الإسلام . وسيكون من ثمرات تصحيح التاريخ الإسلامى ورده إلى حقيقته الأولى أن نعنى بالحرمة والإجلال لذلك العصر ، وأن نتأسى بسجايا أهله ، وأن نعمل على تجديده .

الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاق ونظام اجتماعى ، ومن أعظم ما يغالط به المسلمون أنفسهم أن يزعموا أن تجديد رسالة الإسلام من عمل الحكومة لا من عمل الأمة .

إن الحكومة تقوم بواجبها ما أقامت العدل والأمن فى الناس ، وما أحسنت الدفاع عن حياض الأمة وحصنت الوطن الإسلامى بأسباب القوه . أما تجديد شباب الإسلام وبعثه فى عقائدنا وشعب إيماننا ، وطاعتنا لله فى أخلاقنا وسيرتنا ، فى بيوتنا وأسواقنا وأنديتنا ومجتمعنا ، فهذا من واجب كل مسلم ومسلمة ، وهو الآن أوجب من كل وقت آخر بعد أن صار لنا فى المحيط الدولى هذا الصوت المرتفع ، والمكانة المحترمة ، والكلمة التى تحسب الدول حسابها . فإذا لم يكن لنا من وراء ذلك قلوب مؤمنة ، ونفوس مطيعة لله ورسوله ، وأخلاق إسلامية نتعامل بها فى بيوتنا وأسواقنا ومجامعنا وفى كل شئوننا ، فإن ذلك يعتبر تقصيراً منا فى التجاوب مع ولاة أمور بلادنا الذين عملوا من جانبهم فى أقصر مدة أقصى ما يمكن أن يعمله من كان فى مركزهم ، إنهم عملوا ويعملون من جانبهم ما يجب عليهم من أسباب القوة ، وأنا وأنت ، وزوجتى وزوجتك ، يجب علينا أن نعمل من جانبنا ما يجب علينا من هذه الأسباب ، وفى طليعتها الأخلاق التى هى من صميم رسالة الإسلام ، والتى بها بلغ المسلمون الأولون مستواهم الرفيع ، وبها وبالإيمان الصادق انتشر الإسلام واتسعت رقعة العالم الإسلامى .

خير ما نهديه إلى رسول الله فى ذكرى مولده ، وفى كل ذكرى من ذكريات حياته ، إحياء رسالته وتجديد شبابها . والأخلاق من رسالته ومن أسباب نجاح هذه الرسالة . وإذا كان فى الصحف المنتشرة والمجلات الماجنة ما يفسد على الناس أخلاقهم ، فإن فى يد الناس أن يكفوا عن قراءتها وعن إدخالها بيوتهم فتموت بلا رجعة ، وهل تعيش هذه الصحف إلا من القروش التى يمدها بها أناس نسمعهم يشكون منها ويتذمرون من سوء أثرها فى ذويهم ؟ بل إن هذه الصحف تتقرب إلى قرائها بالفحشاء استدراجا لقروشهم ، واعتقاداً منها بأن الفحشاء بضاعة رائجة ومطلوبة ، ولو أمسك الناس عن إمدادها بهذه القروش . وتبين لأصحاب هذه الصحف أن التقرب إلى القراء وإلى قروشهم لا سبيل إليه إلا نشر الفضيلة ، لكانوا فى طليعة الناشرين للفضيلة والداعين إليها . . .

أيها المحتفلون بذكرى المولد المحمدى الكريم إن خير ما تحتفلون به لإحياء هذه الذكرى إحياء رسالة صاحبها ، فليعمل لذلك كل واحد منا ما يستطيعه من جانبه ، حتى نلتقى جميعا فى العام القادم فى ملتقى نحمده إن شاء الله ؟

محب الدين الخطيب

# نفحات القرآن

## - ٦٣ -

## إذا تمادى الإنسان فى أعمال الشر سمى شيطانا

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا : شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » .

مما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبى ذر صاحبه : - يا أبا ذر ! هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن ؟ فقال أبو ذر : يارسول الله ! وهل للإنس من شياطين ؟ قال عليه السلام : نعم ، هم شر من شياطين الجن !

وقال مالك بن دينار : إن شيطان الإنس أشد على من شيطان الجن ، وذلك أنى إذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجن ، وشيطان الإنس يجيئنى فيجرنى إلى المعاصى عيانا .

والقرآن الكريم يسبق هذه المأثورات ويؤيدها فى الآية التى معنا ، فيحدثنا أن الله جعل لكل نبى من أنبيائه عدواً من الشياطين ومن الإنس ، ويسمى الإنس المعادى لدينه ولأنبيائه ، شيطانا ، فهو سبحانه يجمع الفريقين تحت اسم واحد « الشياطين » لأنهم يقومون بعمل واحد فى الفساد ، والإفساد ، ومحاربة الدين ، ومعارضة الرسل . . .

والله سبحانه - يبين لرسوله محمد صلوات الله عليه - كيف كانت عداوة الشياطين من الفريقين . فيذكر أن بعضهم يوحى إلى بعض زخرف القول : يعنى أن شيطان الجن يوسوس لشيطان الإنس فيطرح فى خياله وخواطره زخرفة الأقوال الباطلة التى يعارضون بها دعوة الرسل ، والتى يتحدثون بها إلى الناس فى ترويج المعاصى ، وتهوين المفاسد . وهذه الزخرفة والتحسين يروجان عند صغار العقول ، وعديمى الإيمان ، فينقادون لها وينشطون فى العمل بها ، ظانين أنها مستحسنة وصواب ، أو مستحسنين لها وهم على علم بمخالفتها للحق الذى ينادى به كتاب الله .

وبهذا يكون المفسدون من الناس قائمين بوظيفة الشياطين الذين عرفوا بنزغات الإنسان والوسوسة فى خواطره ، وكل ذلك من شأنه أن يكون خفيا ، لاجهرا ، ولهذا سمى وحيا كما فى قوله تعالى : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » .

والله تعالى يحدث نبيه بأن هذه سنة قديمة فى معاداة الشياطين من الفريقين للأنبياء منذ القدم ، وحكمة الله فى ذلك : أن يشجع رسوله على احتمال الأذى من أعدائه ، كما احتمله رسل سابقون ، وحكمته تعالى فى تسليط الشياطين من الفريقين على أناس آخرين أن يختبر عباده ، لا ليعلمهم ويعرف أمرهم فهو أعلم بهم من أنفسهم ، بل ليكشف لهم عن مقدار إيمانهم ، وعن استعدادهم للثبات على دينهم ، أو سرعة انحرافهم عند البلاء .

فقد يغتر الإنسان بنفسه ، ويظن أنه مطمئن الإيمان ، وأنه يساوى غيره من الصادقين المجاهدين الصابرين .

ولا يكاد يفهم درجة نفسه فى تدينه ، ولا مقام نفسه بين المؤمنين حقا إلا إذا عرضت له أسباب تكشف له ما خفى عليه من أمره . . . وعندئذ يحاول الكمال إن تبصر وأحسن الاختيار ، أو يدرك أن تفاوت المنازل بين العباد عند الله منوط بتفاوت الإيمان كمالا ونقصا فلا يكون لأحد عند الله حجة ، وهذا أقصى ما نستطيع تصوره من عدل الله تعالى مع خلقه .

ثم نعود فنقول : ماذا يقصد الشياطين من زخرفة القول ، وتحسين القبائح ؟ ! صرح الكتاب العزيز بذلك فى قوله « غرورا » يعنى لتغرير الناس ودفعهم إلى الباطل المزخرف .

وصرح به ثانيا فى قوله « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة . . . يعنى لتميل إلى هذا الباطل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فيتخذوه ديناً ومعتقداً لهم .

وصرح به ثالثا ، فى قوله « وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون » يعنى ليفرحوا به ويعكفوا عليه ، وليرتكبوا من المعاصى ماهم مرتكبون ، مستبيحين لهذا الباطل ، معرضين عن الحق الذى ينادى به الرسل ، وتحفل به الكتب ، وخاتمها القرآن الكريم .

وإنما فعل الله ذلك ببعض عباده لسابق علمه أن استعدادهم سيئ ، وأن الهدى لا ينفع فيهم ، فترتب على ذلك معاملة الله لهم بما هم أهله .

وهنا مناقشة فلسفية يتطرق إليها الكلام : وهى هل قدر الله عليهم الانحراف أولا ثم وجد منهم سوء الاستعداد بسبب ما قدر عليهم ؟؟ وما ذنبهم فى هذا وقد قدر عليهم ؟؟

وللعلماء توجيهات لا نطيل فيها ، ويكفى أن نأخذ برأى مقبول ، وهو أن الله تعالى علم أزلا أن الكفار مثلا يسيئون الاختيار لسوء استعدادهم الفطرى وسوء الاختيار منهم فقدر عليهم ذلك الانحراف لما يعلمه من حالهم بعد ، : فهناك علم سابق بسوء اختيارهم ثم قضاء عليهم بالمخالفة والانحراف ، ثم وجدت منهم المخالفة تنفيذا للقضاء المبنى على سابق العلم

وكيفما كان فقد أرشد الله إلى التحفظ من وساوس الشيطان فقال سبحانه « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم » .

وواضح من هذا أن العبد إذا أحس بخواطر فاسدة تدور فى خياله وذهنه فليتنبه إلى أنها وساوس الشياطين ، وليسرع إلى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والاستعاذة بالله حصن يحتمى به العبد وينجو من مكايد الشيطان كما وعد الله بهذا فى قوله « إنه ليس له سلطان على الذين آمنو وعلى ربهم يتوكلون » .

وأما شيطان الإنس ، وهو رفيق السوء ، فسهل على المرء أن يتجنبه إذا عرف منه سوء الصحبة ، والأمر أمر يقظة وحسن تقدير ، فمن راعى جانب الله استطاع أن يتحفظ ، ومن غفل عن جانب الله زلت قدمه وساءت عاقبته ، ولن ينفعه صاحب ، ولا ولد ، ولا مال ولا ندم .

وبعد ـ فقد عرضت الآية الكريمة لذكر الإنسان والشيطان فى نمط واحد :

( ا ) ونحن إذا وقفنا إزاء كلمة إنسان ، لنستوحى معناها ، وخصائصها ، وما لها عند الله من قدر ، وجدناها فى جانب علوى ، وفى إطار كريم من الجلال والرعاية .

(ب) وإذا وقفنا إزاء كلمة شيطان ، وما يحيط بها من شناعة ، وما اقترن بها من مهانة وجدناها فى مهبط سفلى ينحدر فى الخسة حتى لا ينتهى عند غاية سوى اللعنات اللاحقة به من الله ، وعلى كل لسان .

فإنسان : عنوان كريم يشعرنا بالأنس ، ويوحى بالطمأنينة ، ويثير عاطفة الإخاء والمحبة ، وإنسان : هو ذلك المخلوق الذى كرمه ربه ، ومجده لدى ملائكته ، وشغل الدنيا به ، وخلق ما فيها لأجله ، وهيأه بعقله ، ومواهبه للإيمان ، وكرر نداءه ، وأطمعه فى مرضاته ، والخلود

فى نعمائه ، وحذره من سخطه ، ولم يترك له من وسائل الهداية أمراً يتعلل بجهله ويعتذر به عن تخلفه .

وشيطان : عنوان بغيض ، يثير التشاؤم ، ويشعر بالغضاضة ، ويخيف من المكاره ، ويزعج من خطرها حتى كأنها قرينة لذكر اسمه ومحدقة بالمرء ولا مفر .

ويمكن أن نوجز هذه المقارنة فى اعتبار كلمة إنسان مرادفة لكلمة خير . . وفى اعتبار كلمة شيطان مرادفة لكلمة شر ، وبين اللفظين فى مدلولها بعد ما بين المشرق والمغرب . أو بعد ما بين العافية والبلاء .

فما الذى جمع بين مدلوليهما حتى دمجهما فى لفظ واحد ، وسمى الإنسان شيطاناً ؟ . . وما الذى هبط بالإنسان من عليائه ، وجرده من جلاله ، حتى أصبح رجيما ، لا كريماً ؟ ؟

جواب ذلك : أن الإنسان خرج من إطاره ، ونسى صلته بربه ، وتجاهل عداوة الشيطان له ولأبيه آدم من قبل ، ثم طرح جانباً ما أوصاه به ربه : من حذر ، وحيطة ، ومجانبة لإغواء هذا العدو المبين ، وأخذته وساوس الشيطان ، وراقت له مفاتنه فانحدر إليها ، وانغمس فيها ، بل تجاوز هذا إلى القيام بما يقوم به عدو الإنسان ، وأصغى إلى وحيه واستجاب لتنفيذه نحو أخيه الإنسان ، فكان هذا المفتون جندياً بل كان فى مسلكه شيطاناً حتماً ، ولو أن المرء ركن إلى ربه ، واستعاذ به من غواية الشيطان ، واستنهض عقله ومواهبه فى التحرز من الوساوس ، ومن زخرفة الأباطيل ، واحتفظ بمكانته عند ربه لكان فى مصاف الأخيار ، وفى عداد الأبرار . . وليس يحول بين المرء وهذا سوى غفلة وشهوة ، وجهالة ، وضلالة . . ومن خلال ما ذكرنا يتضح أن المرء مسئول عما اختاره لنفسه ، ومحاسب على صنيعه ، ولو عالج قصوره بالرجوع إلى ما جاء من عند الله ، وعالج تقصيره بالتوبة والإنابة لكان له من عفو الله نصيب ، وقد جعل الله بابه مفتوحا لكل قاصد ، وقبوله ، ورضوانه وإحسانه مرجوا لكل منيب .

فاللهم اجعلنا فى ديننا ودنيانا على خير ما دعوتنا وعودتنا الخير كله ، ولا تجعلنا من شياطين الإنس ، ولا من أتباع الشيطان فى شىء .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

# السنة

## الواصل والمكافئ

قدرت وقدر الله - رحم الدين ، ورحم القرابة - رحم الأخوة العظمى - سيد الواصلين فى قومه - القطع فى الله وصل - أصناف الناس فى المعاملة - الإحسان الحق - الواصلون حقا .

عن عبد الله بن عَمْرو رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
ليس الواصل بالمكافئ . ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها .

رواه البخارى (*)

ودعت الكتابة فى السنة إلى أجل كنت قدرته عاماً أو عامين ، ولكن قدر الله ألا يزيد على شهرين . . . فإن يكن العود أحمد ، فالفضل لمن بيده الفضل سبحانه ، ثم لأسرة هذه المجلة وقرائها ، فما فتئوا يذكروننى أن أصل رحما ربطتها المجلة بيننا ، ثم جاءت السنة فشدت رباطها . . وكأن الرحمن جلت آلاؤه ، ألهم عبده السيد مدير المجلة ، أن يكتب حديث السنة السابق فى صلة الرحم ، تجديداً للتذكرة ، وتوكيداً لما بيننا من آصرة . . .

* *

ذلك ، والرحم عامة وخاصة . وكل ما أمر الله به أن يوصل ، فى غير محادة لله ورسوله :

فأما الرحم الخاصة . فهى القرابة على اختلاف درجاتها ، فإذا اشتدت فإن قطيعتها لغير الله أعظم جرما ، كما أن صلتها لله أكبر درجات وأكبر تفضيلا . .

---

[*] فى الصدارة من كتاب الأدب . والرواية بتشديد « لكن » ويجوز تخفيفها . وأكثر الروايات فى « قطعت » بفتحات ، وفى بعضها بضم القاف وكسر العين .

وتكون صلة الرحم العامة بالعدل والإنصاف ، وتأدية الحقوق الواجبة ثم المستحبة .

وتمتاز صلة الرحم الخاصة بمزيد العناية والرعاية فى النفقة والمودة والتناصح والتسامح ، وتفقد أحوالهم ، والتغافل عن زلاتهم ، والسعى فى مصالحهم ، فى حدود الوسع والطاقة ، ولا سيما أهل الصلاح منهم والاستقامة ، فأما الكفار والفجار ، فأهم صلتهم بذل الجهد فى إصلاحهم . . ثم إنذارهم بالقطيعة إن تمادوا فى غيهم . . مع إعلامهم بأن القطع فى الله تعالى هو عين الوصل ، ومع الدعاء لهم بظهر الغيب أن يهديهم الله إليه صراطا مستقيما . . .

وقد نال سيد الواصلين صلى الله عليه وسلم من أذى قومه ما لم ينله أحد ، فعف وعفا وقال : اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون . .

ووصى صلوات الله وسلامه عليه فشدد الوصية بأهل بيته خيراً . وقال فى بعض رحمه : إن آل أبى فلان ليسوا بأوليائى ، إنما ولى الله وصالح المؤمنين ، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها .

ولما نزلت هذه الآيه : « وأنذر عشيرتك الأقربين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا ، فعم وخص فقال : يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذى نفسك من النار ! فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها . رواه مسلم عن أبى هريره رضى الله عنه [١] .

وجاءه رجل فقال يا رسول الله : إن لى قرابة أصلهم ويقطعوننى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلى ، وأحلم عنهم ويجهلون على ، فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك [٢] .

* * *

[١] روى البلال بالفتح والكسر مصدر بل كرد ، ويجوز على الكسر أن يكون جمع بلل كجمل شبه قطيعة الرحم بالحرارة ، وشبه صلتها بالماء الذى يندبها ثم يطفئها ، وهو من بديع التشبيه ، ومنه الحديث : « بلوا أرحامكم ولو بالسلام » وانظره فى الجامع الصغير .

[٢] شبه ما يلحقهم من آثام القطيعة بما يلحق طاعم الرماد الحار من الغيظ والألم ، وقد تكفل الله للواصل المطعم بالبر والمعونة والرعاية والكفاية .

والرحم الخاصة هـذه هي موضوع حديثنا هـذا والحديث السابق ، وهي التي تراد عنـد الإطلاق ، وقد أعظم الله شأنها ، ورفع مكانها ، حتى اشتق اسمها من اسمه ، وصفتها من صفته ، وأجابها وهي في مقام العائذ به من القطيعة : أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب ! قال فهو لك . . ثم قرنها بذكره ، في مقام تقواه ومراقبته ، فقال جل سلطانه : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » ، ولو لم يكن لها من عظيم الشأن عند الله إلا هذا لكفى .

وأما الرحم العامة ، فهي رحم الدين الحق . .

وقد تقوى هذه الرحم حتى تكون أعظم من الرحم الخاصة شأناً وأعلى مكاناً .

فإذا تعارضت الرحمان في رغبة قدمت رحم الدين على رحم القرابة ، فلا طاعة لمخلوق ـ كائناً من كان ـ في معصية الخالق ؛ والله ورسوله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ومن الوالدين والأقربين .

وهذه الرحم العامة شعب وضروب شتى :

فمنها رحم العلم ، ومنها رحم العمل ، ومنها رحم الجوار أفراداً وأمماً ، وممالك وشعوباً وأرفعها درجة وأعظمها قرباً ، ما اجتمعت فيه هذه المعاني كلها ، ثم هي بعد ذلك درجات لا تحصى عدداً .

وهذه الرحم العامة في حقيقة أمرها ، واختلاف شعبها ، تمثل الجانب الأعظم ، من رحم أعم وأشمل ، رحم الأخوة العظمى ، والإنسانية الكبرى ، التي خلقها الله من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء . . ثم جعلهم شعوباً وقبائل ، ليعرف بعضهم بعضاً ، فيصلوا أرحامهم ، ويتبينوا أنسابهم ، ويتعاونوا على البر والتقوى . .

* * *

وكما تختلف الأرحام قرباً وبعداً ، يختلف الواصلون كذلك ضيقاً ووسعاً ، وقدرة وعجزاً ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها « فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى » .

* * *

ومهما يختلف الناس فى معاملتهم للأرحام فهم أصناف ثلاثة :

صنف قاطع ! وعياذاً بالله منه ومن القطيعة معاً ! وحسب هـذا وعيداً على عظيم إثمه وكبير جرمه ، قول الصادق المصدوق صلوات الله عليه وسلامه : « لا يدخل الجنة قاطع » رواه الشيخان عن جبير بن مطعم رضى الله عنه (١) .

وصنف مكافئ ، وهو الذى يصل من وصله ويقطع من قطعه ، فهو فى جملة أمره واصل ، وإن كان يقارض ويبادل ، فإن فى المبادلة صلة ، وإن لم تكن كاملة .

وإنما ألغى صلوات الله وسلامه عليه صلة المكافئ ، ولم يعد صاحبها فى الواصلين حقاً لأن الصلة على سبل المبادلة فقط ، ليست من تمام المكارم التى بعث لها صلوات الله عليه : ولأن صاحبها ليس من الراشدين الكاملين ، الذين يعدهم المربى الأعظم صلى الله عليه وسلم . لأن يكونوا سادة وقادة فى خير أمة أخرجت للناس .

ونفى الشيء أو إثباته مراداً منه جنسه الكامل ، من الأساليب المعروفة فى ألسنة المربين والبلغاء ، ومن ذلك قول بعض السلف : ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك فإن ذلك متاجرة ، وإنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك .

وأبلغ من هذا قول إمام المربين وأبلغ الناطقين صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب . ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس . ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان إنما المسكين الذى يتعفف . . . » روى الشيخان ثلاثتها عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وصنف واصل ، وهو المتفضل الكامل ، مراد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومقصوده الأعظم فى هذا الحديث .

ذلك الصنف الثالث أقل المتقين عدداً ،وأكثرهم إحساناً ورشداً . ذلك هو الأتقى « الذى يؤتى ماله يتزكى .وما لأحد عنده من نعمة تجزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى. ولسوف يرضى» ؟

طه محمد الساكت

---

(١) وتقدم شرحه وافياً فى مثل هذا الشهر من عام المجلة الأول .

# حقائق فلسفية
# فى ميلاد الرسول الأعظم
## ورسالته الخالدة

---

ماذا طالعت الإنسانية قبل أربعة عشر قرناً من الزمن ، وماذا حملت إلى الناس بين أطوائها إلا ذلك الوليد اليتيم الذى ألقته الإنسانية بين أحضان والدته آمنة وأسمته محمداً .

ومن الذى يستطيع أن يتصور أن هذا الطفل اليتيم سيكون شغل العالم فى هذه المجموعة الشمسية بعد سنين معدودات ، ويبقى ذكره خالداً خلود الإنسانية ، وتعاليمه قائمة حية مع حياتها الأبدية .

إن محمداً صلى الله عليه وسلم أعظم آية من آيات الله فى الخلق يزداد أثرها فى قلوب الناس ، ويشتد تأثيرها فى عقولهم ، كلما ارتقت المعارف الإنسانية والكمالات البشرية ، وأدرك الناس مبلغ قوة الفرد ، تلقاء الطبيعة والمجتمع ، وغاية ما تستطيع أن تحدثه قواه المحدودة فيهما .

نعم إن محمداً كان رسولا يعمل بوحى من الله ، ويعتمد فى ممارسة خصائصه على تأييده سبحانه ، وقد وعده الحق بالنصر المؤزر ومحمود العاقبة ، فمن حمل هذه العقيدة أيقن أن ما بلغه محمد فى أكناف هذه الرعاية الإلهية لم يكن عجبا ولا فريداً فى ناموس هذه الإنسانية ، ولكن الذى يعجب فى صورة التشكيك لما التبس عليهم من حقائق هذا الكون وأسراره أولئك الذين لا يعتقدون برسالته من الأمم ويعدونه عبقريا فحسب .

نعم هؤلاء هم الحيارى المترددون الخياليون الواهمون الذين يحق لهم أن يعجبوا وأن يحاروا فى تعيين المنزلة التى يضعون فيها محمداً بين المراتب الإنسانية الخالصة .

لا مرية فى أن تاريخ الانقلابات الاجتماعية أفصح برهان على أن جميع الأفراد من أعلام الرجال الذين قاموا بتلك الأحداث الخطيرة فى تاريخ البشرية أعلام ولدوا فى جماعات محكمة

الروابط مستحصدة العرى فدفعوا بها إلى ضروب من الحركات الانتقالية الجريئة الواعية ، عدوا معها - بغض النظر عن المظالم التي قارفوها - من أعلام التاريخ : فبختنصر البابلي ، وقيروش الفارسي ، والإسكندر المقدوني ، وجنكيز خان المغولي وغيرهم ، كل هؤلاء كانوا عباهل في أقوامهم ، وقد ولدوا في شعوب متماسكة الآحاد ولا يعوزها غير التوجيه إلى الغايات البعيدة مصحوبة بحنكة في القيادة .

وكذلك الحكم في الرسالات الدينية نفسها ، فموسى بن عمران عليه السلام الذي أرسل إلى بني إسرائيل في مصر استمهل منهم كي ينقذ لهم مما هم فيه من صنوف الضلالة فلم يبذل في استمالتهم إلى تعاليمه جهداً كبيراً ، واضطر أن يقف في التيه ولم يزحف بنو إسرائيل إلى فلسطين إلا بعد وفاته . وعيسى عليه السلام نشأ في أمة مستكملة شرائط الاجتماع ، ومع ذلك لم يؤت تعاليمه الحكيمة الرشيدة التي تطلبها أتباعه إلا بعد أن اختمرت في مدى نحو أربعة قرون .

ولكن محمداً الذي كان أكبر آيات الله في الخلق ولد في أمة كانت على الحالة القبلية فلم يجد معيناً له حتى من القبيلة التي هو منها ودفع لأن يلتمس المعونة على أداء مهمته من جماعة ينشئها إنشاء ، فتم له ذلك في بني الأوس وبني الخزرج سكان يثرب .

لقد كانت هذه عجيبة وكل ما حدث بعدها سلسلة من العجائب التي تلا بعضها بعضاً ، اتسعت لها الأيام القليلة اتساعاً محيراً العقل البشرى حتى تم له في ثلاث وعشرين سنة من تعاليمه الدينية وإرشاداته الخلقية وقضاياه الإنسانية في مختلف آفاق الدنيا مستقصية الحياتين حياة الزاد وحياة المعاد ، بل حياة الابتلاء وحياة الجزاء ، مالا يعقل أن يستكمل وينمو إلا في عديد من القرون .

فلما آنس صلى الله عليه وسلم خذلان القبائل كلها حنقاً عليه وتبرماً به وتنكراً لعظم شأن رسالته حسبما تبين له من عرض رسالته عليها في كل موسم من مواسم الحج شرع يلتقط بهم في زوايا الإهمال ويبتني لنفسه أمة فتية جديدة ، نعم أمة جديدة !

ابتنى محمد صلى الله عليه وسلم للوجود كله أمة عالية في أهدافها وسمو مطالبها فلا تقوم مثلا على وحدة الجنس ، ولا على وحدة اللغة ، ولا على الحاجات الجثمانية الملحة ، ولكن

على ما يصلح أن يكون ملاكا للبشرية الفاضلة كافة من الأصول الأدبية السامية والمبادئ الإنسانية الخالدة الكاملة .

فإن تعجب لذلك فأعجب منه أن يتم تأليف هذه الأمة فيصبح فيها الصناديد من قريش وخزاعة ، واللهاميم من تميم وأسد وهوازن ، وبعدهم الفرس والديلم والروم والسود والحبشان ومن لم يعرف له ضئضئ من جاليات الجماعات المختلفة فى مستوى واحد من الحقوق والواجبات الاجتماعية .

أو تتوم مثل هذه الأمة فى مثل تلك البيئة وقد عجز الفلاسفة والمصلحون والقادة فى العصور الأخيرة عن تأليف أمة عالمية ، وهى مما لا يمترى اثنان فى أنها المثال الأعلى للاجتماع ؟ .

وإن تعجب فأعجب منه أنها قامت فى تلك البيئة ، وآتت من الثمرات ما لم تؤته أمة فى الأرض من أول عهد البشر إلى اليوم وفى مدى لا يذكر إلى جانب أعمار الأمم .

وغنى عن البيان أن محمداً غير ديانة القبائل العربية قاطبة ، وأبدلها منها دينا لا نسب بينه وبين تلك الوثنية التى كانت سائدة قبل هـذه البعثة ، والدين أعلق الأشياء بالنفوس وأقواها سلطانا على القلوب . فأحال أخلاقها من جفوة البداوة وظلمة الجاهلية ، إلى لطافة الحضارة ورقة الطبائع ، وشيوع الدينية الفاضلة المهذبة فى مختلف آفاقها ، وقلب مبادئها من تأليه الأقوياء وتسخير الضعفاء والتقلب مع الأهواء إلى الأخـذ بمبدأ المساواة وتقرير الحق لصاحبه ، بغض النظر عن جميع الاتجاهات ، مع الثبات على إقامة الأصول مهما اعتورت المكلف بإقامتها المصانعات وتجاذبته المسولات ، ولا يسيغ عقل عاقل عند كل مفترض أن يكون ذلك قد استكمل عناصره بواسطة الحديد والنـار .

فهل سمعت فيما سمعت أنه أرسل الجيوش الجرارة حيث سار ، أو بالجـلاوزة تلقى كل من يعصيه فى النـار ؟ ألم تحط علماً أنه صلى الله عليه وسلم بعث وليس له قوة من الأرض ولا ناصر ، حتى اضطر أن يدعو إلى دينه سراً ، فلما أعلن الدعوة عودى وأوذى ، واضطر من آمنوا به إلى الهجرة إلى الحبشة دفعتين ، ثم اضطر هو نفسه ـ وقد تحالف قومه على قتله ـ أن يهاجر إلى المدينـة فى جنح الظلام . فلما أشرق الصبح وهو فى الطريق ، اضطر هو وصاحبه أن يتواريا فى الغـار ؟ .

فلو أن الأمر قد اطمأن إليه بطريق الإعنات والإكراه ، لما بقيت رسالته خالدة ما بقي الفرقدان ، وإلا فهل سمعت أن طرائق تفرض على قوم فرضاً دون أن يقتنعوا بها ولا أن يعرفوا لها مورداً ولا مأتاة ، تبقى بعد وفاة من جاء بها يمارسها الخلف عن السلف ويتلقاها جيل عن جيل ، وتتوارثها أمة عن أمة ، حتى يكسف القمران ، وتسكن هذه الأرض من دوران . اللهم لا .

إنى أشفق على الذين يدعون أن ما عمله محمد أثر من آثار العبقرية وأرثى لعقولهم أبلغ الرثاء ، ويحز فى نفسى أن الذى يسند إلى محمد وصف العبقرية يجهل معناها أعمق الجهل فيظن أنها بمدلولها تعنى درجة رفيعة من الذكاء الخارق . والحقيقة التى لا شية فيها أن العبقرية فى مدلولها الصحيح إلهام يتنزل على صاحبه لا يعرف له مصدرا ولا وازعا فيندفع لعمل من الأعمال فيجىء مثلا أعلى لا يمكن تقليده . فإن كان محمد عبقرياً ، فهل يندرج تحت محيط العقل أن يكون مع عبقريته غير صادق يدعى بين الناس أنه رسول قد أوحى اليه من عند الله ، وهو يقول جل علاه « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً . أو قال أوحى إلى ولم يوح اليه شىء » .

بقى أن فريقا من المتقولين يدعون أنه كان ذكيا أبلغ الذكاء ولم يكن رسولا ، وهؤلاء الفرق كانت من المعاندين فى أول دعوته والمكابرين يوم جاءهم يطالبهم بالتزام هذه الدعوة وهم مشركو القبائل وصناديدها فى الكفر والإلحاد الذين كانوا ينفسون على محمد رسالته ودعوته ، وإلا فما هو قول المتعنتين الخارجين على رسالته فى قول سبحانه « من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة ، فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ؟ » أو لم يقل « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » أو لم يقل أيضاً « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » أو لم يقل أيضاً « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ، إن الله قوى عزيز » وأيضاً يقول « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء » .

إنى لأرثى لهؤلاء المكابرين الذين كابروا الحق إعراضا وعنادا وهم يعرفون فى دخائل نفوسهم أن الأنبياء إنما أرسلوا إلى أممهم حججاً قواطع وبراهين سواطع حتى لا تكون لهم حجة على الله وإلى ذلك يشير الله بقوله « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » . محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ونبوته خاتم النبوات وإعجازه فى القرآن ومعجزاته فى الأكوان شاهدة على صدق دعواه أصدق شهادة وأبلغ برهان وما أصدق قول العلامة البرعى الكبير : ـ

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها ... على البركان البر أندى من البحر

وما أصدق قول البوصيرى : ـ

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

حتى آدم أبو البشرية لأن محمدا أبو الروحية والبشرية معراج إلى الروحية .
ولذلك يقولون عن رسول الله بلسان الحال لا بلسان المقال .

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة ... فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

عباس طه
المحامى

# سيادة الحق

نشر التوحيد طه فى الوجود ... مخلصا لله فيما قد فعل
لم يكن يطلب إلا أن تسود ... دعوة الحق ويعلو من عدل
ولذا ساد وذو الحق يسود ... بجهاد واعتزام للأمل
فاذكروا شهور ربيع والعهود ... نبهوا من نام منا أو غفل
نحن إن لم نسهر الليل فما ... كتب الله لنا أن نرتقى

محمود رمزى نظيم

# من وحى المولد النبوى

إن الحديث عن المولد النبوى الشريف حديث، متشعب الأطراف ، يتجه الفكر فيه إلى نواح مختلفة ، تتصل بالرسول الأعظم ، صلوات الله وسلامه عليه ، ففى شهر ربيع الأول ، ومنذ أكثر من أربعة عشر قرنا طواها التاريخ ،تشرف العالم أجمع بإمام المصلحين وخاتم النبيين والمرسلين ، ورحمة الله تعالى للناس أجمعين ، سيدنا ومولانا « محمد » بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، وظهر نوره بمكة فلسع فى الخافقين ، ورأى الناس لمولده المبارك الآيات البينات ، وشاءت الحكمة الإلهية أن يولد يتيما ، حتى يتولاه الله تعالى بالعناية والرعاية منذ نعومة أظفاره ، وأن يعده للنبوة والرسالة خير إعداد ، وشب وترعرع بعيداً عن الأصنام والأوثان ، وعما غرق فيه الجاهليون إلى آذانهم ، وتجمل بحميد الخلال، حتى عرف بين قومه بالصادق الأمين .

ويتصل حديث المولد النبوى بما كان عليه العالم قبل الدعوة الإسلامية ، فقبل هذه الدعوة الغراء اضطربت الأحوال الاجتماعية والخلقية ، على ظهر البسيطة ، اضطرابا لم يعهد له مثيل ، وانحطت الأمم إلى مهاوى الرذيلة والفساد ، وعبثت يد الإنسان بما جاء به الأنبياء والرسل السابقون ، فأصاب الكتب السماوية ما أصابها من التحريف والتبديل ، وحجبت كلمات الله سبحانه عن العقول البشرية ، وحورب العلم فى كل مكان ، وانقلبت الفضائل بين الناس رذائل اتصفوا بها وأقبلوا عليها، وحل الشقاق بين الأفراد والجماعات محل الألفة والوئام ، وشبت الحروب لأوهى الأسباب ، حتى ذهبت بقوة الغالب والمغلوب ، وعبدت الأصنام ، وقطعت الأرحام ، ووئدت البنات ، واعتدى القوى على الضعيف ، وإذا لم يجد الظالم من يناصبه العداء ، حارب أخاه الوادع المسالم ، وها هو القطامى الشاعر الجاهلى ، يحدثنا عن الحالة عندهم ، وما راء كمن سمع ، فيقول :

ومن تكن الحضارة أعجبته ... فأى رجال بادية ترانا ؟
ومن ركب الخيول فإن فينا ... قنى سلباً وأفراساً حسانا
وكن إذا أغرن على قبيل ... فأعوزهن رهط حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال وضبة ، إنه من حان حانا
وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

ويتصل حديث المولد النبوى بالدين الإسلامى العظيم ، الذى رضيه الله تعالى ديناً لجميع الناس ، والذى يكفل لهذا العالم نظاما ، يجعل الكون كله أسرة ، والناس جميعهم متوادين متحابين ، ترى فيهم الغنى ولا ترى المحروم ، وتجد بينهم الضعيف ولا تجد المظلوم ، لأن الإسلام أنشأ بين الغنى والفقير سبباً هو البر ، وأوجد بين القوى والضعيف نسبا هو الرحمة . وله من ديمقراطيته الأصيلة ، واشتراكيته المعتدلة ، وأخوته الشاملة مناعة من كل سوء ، وأمنة لكل جنس ، ومودة لكل دين . وسيمحو نوره المتخلف من نور غيره كما يمحو لسان الصبح المنير المتخلف من جيوش الظلام .

ويتصل حديث المولد النبوى بالقرآن العظيم ، الذى أنزله الله على أشرف الورى من فوق سبع سموات ، يهدى به العلى القدير من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وقد ضمن الله لهذا الكتاب الكريم الحفظ والبقاء ، لأنه ينمو من نفسه كما ينمو الحى ، ويضىء من ذاته كما تضىء الشمس ، ويتجدد من طبعه كما يتجدد الربيع ، ولم تستطع الإنسانية إلى الآن ، على ما جربت من تجارب ، وبلغت من حضارة ورقى ، وعرفت من فنون الحكم وألوان الحكومات ، أن تنشىء نظاما سياسياً يتجلى فيه العدل بأروع صوره كما فى القرآن الحكيم ، ولقد ذهبت الإنسانية فى الحكم مذاهبها المختلفة ، فاستظلت بحكم الملوك ، وسعدت به قليلا ، وشقيت به كثيراً ، ثم عرفت النظام الديمقراطى ، الذى يرد إلى الشعب أمور الشعب ، فنالت به قسطا من العدل ولم تنل به العدل كله .

وسلكت الإنسانية فى سبيل الوصول إلى الحكم الصالح جميع الطرق فلم تنته إلى غاية ، وما زالت هذه الإنسانية تشكو الظلم ، وتبحث عن النظام القويم الذى يضمن للناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، الحرية والعدل ، والإخاء والمساواة ، وهذا النظام القويم هو الذى نادت به آيات التنزيل الحكيم ، ورفع لواءه إمام المرسلين ، وعز به المسلمون فى فجر الإسلام وضحاه ، وظهره وعصره ، فنبتوا فى رياض الإسلام أعزة كراما ، وعاشوا فى رحابه أعزة كراما ، وواجهوا الدنيا أعزة كراما ، لم ينهزم لهم جيش ، ولم ينكس لهم علم ، بل فتحوا فتوح الجبارين ، ودونوا تاريخهم بمداد من الفخر على صفحات من نور .

ويتصل حديث المولد النبوى بالأمة الإسلامية وهى خير أمة أخرجت للناس ، وقد حملت مصباح النور حين عم الكون الظلام ، وأرشدت العالم إلى بر السلامة وشاطىء النجاة ، حين تاه فى عباب الجهل ، حتى أمسى تاريخها تاريخ الكمال الإنسانى على وجه الأرض ، وقد كانت من قبل أمة بدوية ، ثم نهضت بفضل الرسول الأعظم نهضة الأسد ، وهب المسلمون يحملون فى يمناهم نور القرآن العظيم ، يضيئون به للشعوب طريق العزة فى الدنيا ، والسعادة فى العقبى ، وفى يسراهم السيف يردون به الضالين إلى طريق الحق والرشاد ، فامتلأت الأفئدة خوفا منهم ، وثلوا العروش ، وتهاوت أمامهم التيجان ، وحسب لهم ألف حساب وحساب .

وإذا كان على المسلمين فى المشارق والمغارب ، أن يحتفلوا بذكرى المولد النبوى الشريف ، ويعدوها مصدر عزهم ، ومنبع مجدهم ورفاهيتهم ، فإن على العالم أجمع أن يطرب لهذه الذكرى الكريمة ، ويقابلها بما تستحق من إجلال وإعظام ، لأن الحياة طابت حقاً برسالة النبى العربى ، وغدا الإنسان إنسانا يشعر بكرامته ، فى قلبه طمأنينة ، وفى نفسه رضا ، وفى روحه شعور جديد بالكون وخالقه ، وإمام الأنبياء ، وحاكمها العادل ، وسيدها المطاع ، ورئيسها الأمين المأمون ، ورحمة الله للناس أجمعين .

هكذا تكون الذكريات العاطرات ، وهكذا تتجدد على مر السنين والأعوام والشهور والأيام ، وستبقى ذكرى الرسول الأعظم قوية كالبحر ، ودائمة دوام السموات والأرض ، فقد ولدت بمولده الطاهر مبادىء ونظريات ، وفلسفات وحضارات ، لم ير لها العالم مثيلا من قبل ، ولن ير لها مثيلا من بعد ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد كشف الغطاء عن أعين الشعوب العربية ، فلم تعد تطيق اليوم ما كانت تحتمله بالأمس ، من ذل واستعباد ، وأدركت ما جنته من وراء التفرق والاختلاف ، والبعد عن سنة الله وهدى رسوله ، وتطلعت إلى ما كان لأسلافها ، من مجد باذخ ، فحنت إليه ، وتوثبت لإحيائه ، وفى الجو بارقة من الأمل ، وحسبنا ما نراه اليوم من جهود رجال الثورة الأبطال ، وعقلاء الأمة فى كل مكان ، فى توحيد كلمة العرب ، وجمع صفوفهم ، ورفعة شأنهم ، وما شاهدناه اليوم - ولا نزال نشاهده - من صراع بين الشرق والغرب ، وما قررته الجمعية العامة للأمم المتحدة من الموافقة الإجماعية على مشروع الدول العربية ،

وما قام به أهل العراق الأحرار ، وجيشهم الباسل لاستعادة مجد البلاد المسلوب ، وتطهيرها من الاستعمار وأعوانه ، وما نعرفه من موقف اليمن المشرف ، وأهل محميات عدن ، وثورة أبطال الجزائر المغاوير ، كل ذلك يجعلنا نوقن بأن الفلك قد استدار ، وأن الطريق قد استبصر ، وأن الفجر قد لاح ، وأن العقل قد اهتدى ، وأن دين الإسلام الأغر الميمون ، الذى أنقذ الخليقة منذ قرون ، من ضلال كسرى ، وغى قيصر ، حرى أن يخلصها اليوم ، من مطامع الصهيونيين وبغى المستعمرين .

وأضرع إلى الله عز شأنه أن يكتب لهذا الدين العظيم الذيوع والانتشار ، وللشعوب العربية نصراً مؤزراً ، وللمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها عزاً ومجداً ، وسعادة ورفاهية ، وللعالم أجمع سلاما شاملا ، أساسه العدل ، وقوامه الرحمة .

**أحمد على منصور**

أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم



---

## بناء المجد

| | |
|---|---|
| نبى البر بينه سبيلا | وسن خلاله وهدى الشعابا |
| تفرق بين عيسى الناس فيه | فلما جاء كان لهم متابا |
| وكان بيانه للهدى سبلا | وكانت خيله للحق غابا |
| وعلمنا بناء المجد حتى | أخذنا إمرة الأرض اغتصابا |
| وما نيل المطالب بالتمنى | ولكن تؤخذ الدنيا غلابا |
| وما استعصى على قوم منال | إذا الإقدام كان لهم ركابا |

شوقى

# ميلاد الخير للإنسانية

من نظر إلى العالم كله نظرة فاحصة مدققة شاملة ، قبيل ميلاد محمد عليه السلام وقبل بعثته رأى أحواله مضطربة غاية الاضطراب ، وأنظمته مختلة أشد اختلال ، وقواعده منهارة انهياراً عظيما يؤذن تبعاً لسنة الحياة بمغيب شمس عصر مظلم دامس ، وطلوع فجر مشرق وضاء الجبين ، ينير للناس سبيل حياتهم ، ويحفظ عليهم أنظمتهم .

فنظرة إلى العقائد والملل والنحل المنحلة والعادات المنكرة وعبادة الأوثان الشائعة المتكاثرة ، فقد عبد الشجر والحجر واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، وتناحرت النصرانية واليهودية وانطمست معالمهما وأصابهما تحريف وتبديل على أيدى رجال الدين الذين اتخذوا العقيدة وسيلة لإرضاء الشهوات والأطماع والنزوات ، حتى لقد بلغ بالبعض منهم الصلف والكبرياء والعظمة أن جعل نفسه حارساً على أبواب الجنة يدخل من شاء فيها ويحرم من شاء .

وعلى هذا النحو من الضعف فى العقيدة وفى نظام الاجتماع وفى الأخلاق كانت الإنسانية قبيل ميلاد محمد عليه السلام. واشتكى الوجود إلى ربه طالبا منه أن يخرج العالم من الظلمات إلى النور ، فأجيبت دعوته ، وبعث الله فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين .

وهكذا جرت الحكمة الإلهية فى تنظيم هذا الوجود وعمارة هذا الكون على أن لا يترك الناس سدى يهيمون على وجوههم بدون مرشد ، بل لا بد أن يرسل للناس الفينة بعد الفينة رسولا يبين الطريق المستقيم والصراط السوى ، لذلك اصطفى الله من بين عباده رسلا مبشرين ومنذرين يرسلهم الواحد يقفو الآخر سراجاً منيراً ونذيراً وبشيرا .

وما كانت البشرية فى تاريخها الطويل المديد أشد احتياجاً إلى الرسول مثل ما كانت قبيل مبعث محمد عليه السلام ، ومن سنة الله تعالى أن يختار رسله ممن طهرت نفوسهم وصلبت أعوادهم وكانوا أهل كفاح وجلد ومصابرة واحتمال ، وأهل جد وعمل .

ولقد اختار محمداً عليه السلام من أشرف أنساب العرب وأرفع قبائلها ، فقد قال عليه السلام « بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذى كنت فيه » ، ويقول عليه السلام « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدى لواء الحمد ولا فخر » وفوق هذا يقول عليه السلام « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

ولا فخر يعلو فخر من كانت أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فقبيلتها شامة من شامات العرب ، ومن كان أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذى عرف حجيج مكة فضله وما كان يقوم به من خدمة للحجيج وإطعامهم وإسقائهم ، وأى نسب فى العرب يعلو هذا النسب أو يدانيه ، والصادق الصدوق خاتم الرسل يقول « ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح » .

ولقد كانت كل حقبة من حياة محمد عليه السلام ممتازة بعمل جليل خطير غير عادى ولا مألوف فى حياة الناس ، فقد سارع اليتم إليه وهو جنين فى بطن أمه قبل أن تدب فيه الحياة أو تنفخ فيه الروح . إذ أن والده بعد أن تزوج آمنة وحملت به سافر بعد حمله بقليل إلى الشام فى تجارة له فأدركته الوفاة بالمدينة أثناء رجوعه فدفن بها عند أخواله بنى عدى ابن النجار ، وكان ذلك بعد شهرين من حمل أمه به عليه السلام ، وإذا ما تركنا هذه المأساة الموجعة الأليمة التى أصابت هذا الجنين وانتقلنا إلى أيام إرضاعه بعد الولادة رأينا الأمور الغريبة والأحوال العجيبة التى أحاطت به . رأينا المراضع يأتين من البادية ليأخذن أطفال أشراف العرب يرضعنهم فى البادية ذات الهواء الطلق والآفاق الفسيحة، ليتربوا على النجابة والشهامة وقوة العزيمة والبنية القوية والأخلاق الطاهرة ، ولم يرق لواحدة منهن أن تأخذ هذا اليتيم لشدة فاقة أهله وما هم عليه من خفض العيش ورقة الحال ، وبعد تردد من حليمة بنت أبى ذؤيب وخوفها من الرجوع بدون طفل ترضعه تراودت مع زوجها أن كبشة فى أخذه . وأخيراً أخذته مكرهة تحت ضغط الملابسات التى ألمت بها ورجعت به إلى البادية ، وقد أرسل الله عليها وعلى زوجها الخير مدراراً وجاءتهما البركة فى الضرع تسعى ، وبعد انتقاله من دور الرضاعة إلى دور الصبا لم تطل متعته بحنان الأمومة الذى بقى له ، ولم تمهله الأيام طويلا بل ضاعفت عليه اليتم وضاعفت عليه الرزء وهو لا يزال عاجزا عن كسب قوته . فلم تمض على ولادته سوى سنوات ست حتى حرم من عطف الأمومة كما حرم

قبل ذلك من رعاية الأبوة وفى مألوف العادة وسنة الحياة الواقعية أن يكون اليتم المبكر المزدوج سببا من أسباب الضعف والانحلال والإهمال لليتيم ، ولكن محمداً عليه السلام قد كان على عكس ذلك وعلى خلاف تلك السنة والعادة ، فقد كان يتمه سببا فى نجابته وفى نبوغه وفى قوته وحزمه وعزمه فقد حفظته العناية الإلهية وأمدته بألطاف خفية وأعدته لحمل رسالة للإنسانية : فيها الرحمة وفيها الرأفة ، فهاهو ينتقل بعد موت أمه إلى كفالة جده عبد المطلب ، ثم إلى كفالة عمه أبى طالب دراكا وتظهر عليه مخايل الذكاء المبكر والعبقرية النادرة الفذة فهو يسافر للتجارة مع عمه أبى طالب إلى الشام وسنه فى الثانية عشرة ، فيكتسب من تلك السفرة خبرة واسعة فى التجارة تمكن له من أن يسافر بعد ذلك للتجارة فى مال خديجة بنت خويلد التى صارت زوجا له فيما بعد .

وقد أصبح محمد عليه السلام بين أهل مكة علما خفاقا معروفا بين قومه وعشيرته بسداد الرأى والحكمة والعفاف والصدق والأمانة ، واكتملت رجولته ونضج عقله وبلغ أشده فى سن مبكرة لم يعرف العرب لها ضريبا من قبل ، فاستدعى ذلك أنظارهم واستلب تفكيرهم واسترعى انتباههم ، فها هم يرتضونه حكما فيما بينهم يخضعون لرأيه ويذعنون لمشيئته عند المشورة وعند النصح ، فحينما اختلفت قريش فى وضع الحجر الأسود فى موضعه عند تجديد بناء الكعبة قبل الإسلام اتفق رأيهم على تحكيم أول قادم من باب الصفا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارتاحوا له جميعا لما يعهدونه من أمانته وحكمته وصدقه وإخلاصه للحق وقالوا : هذا هو الأمين رضيناه ، هذا محمد فلما وصل إليهم وأخبروه الخبر بسط رداءه وتناول الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال : ليأخذ كبير كل قبيلة بطرف من الرداء ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا ، حتى وصلوا به إلى موضعه فوضعه فيه بيده ، وبذلك انحسم النزاع الذى كاد يؤدى إلى حرب شعواء تأكل الأخضر واليابس وتفنى من العرب أبطالا وصناديد كثيرة .

ولما بلغ عليه السلام سن الأربعين نزل عليه جبريل الأمين يبلغه رسالة ربه ، فقام بالدعوة سراً ثلاث سنوات ، اتبع دعوته فيها السابقون الأولون إلى الإسلام الذين استنارت بصائرهم وأشرقت فى قلوبهم دعوة التوحيد ، ثم نزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » فجهر بالدعوة واستعد لملاقاة الخطوب والأهوال ، ولقد عبر عن

ذلك أصدق تعبير إذ قالت له زوجه خديجة فى وقت من الأوقات : نم قليلا ، فقال لها « قد انقضى زمن النوم يا خديجة » حقا لم يبق إلا الجد والعمل والمجالدة والنزال بين الحق والباطل وبين الخير والشر وبين عبادة الأوثان وعبادة الواحد الديان ، وما زال عليه السلام يجد ويجتهد فى الدعوة إلى توحيد الله تعالى وترك عبادة الأوثان ونبذ ما عليه أهل الجاهلية .

وظل ينافح ويكافح ويجاهد ويجالد حتى أتم رسالته بعد أن لاقى العذاب ألوانا والمعارضة والمكابرة والعناد من أهل مكة وأهل الطائف على السواء ، ولقد كانت شجاعته عليه السلام فوق ما كانت عليه الشجاعة العادية إذ وصفه أحد أصحابه فقال « كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه » وما لنا نذهب بعيداً والواقع يملى علينا براهين قاطعة وحججا دامغة ، فها هى رباعيته تكسر وها هو المغفر تدخل حلقاته فى وجنتى الرسول عليه السلام ولا يفت ذلك فى عضده ، فينهض محرضا للمسلمين على القتال والوقوف فى وجه العدو ، دون وهن أو ضعف أو خور فكان يجعل من مواقف الهزيمة انتصاراً له وظفرا بعدوه ، فأنت تراه فى غزوة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة بعد أن خالف الرماة فيها أمر النبى عليه السلام وتركوا الموضع الذى وضعهم فيه فوق الجبل لحماية ظهر الجيش وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم نصرنا أو هزمنا ، فلما رأوا فرار المشركين ترك أكثرهم مكانه متأولا أمر الرسول عليه السلام بأن الغاية منه العمل على نصر المسلمين وقد تم النصر بفرار المشركين ، فكر المشركون عليهم وكادت الدائرة تدور على المسلمين إبادة وإفناءاً لهم لولا حكمة الرسول عليه السلام وبراعته الحربية الفذة التى جعلت العاقبة للمسلمين فيما بعد : نصرا لهم واستردادا لهيبتهم وعزتهم ، وأشد من ذلك عجبا ما صنعه الرسول عليه السلام فى غزوة الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة التى انتهت صلحا على أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين أربع سنوات ، ومن جاء من المسلمين إلى قريش كافرا قبلوه ومن جاء من قريش إلى المسلمين مؤمنا ردوه ، وأن يرجع الرسول فى عامه هذا بدون عمرة ثم يأتى فى العام القابل لأدائها ، ومن أراد أن يدخل فى حلف قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فى حلف محمد دخل فيه .

ولقد اعترض كثير من الصحابة على بعض هذه المبادئ فقالوا : كيف نرد إلى قريش من جاءنا مسلما وهم لا يردون من جاءهم منا كافرا ؟ فقال الرسول عليه السلام قول الحكمة

والإحاطة ببواطن الأمور - أما من ذهب إليهم كافرا فقد أبعده الله ، ومن جاءنا مسلما فسوف يجعل الله له فرجاً . وهكذا كان صلح الحديبية فتحا مبينا للإسلام .

ولئن كان ميلاد محمد عليه السلام باعثا للذكرى العزيزة الحبيبة إلى قلوب من يعرفون الحق ويعرفون العدل ، فالجدير بنا أن نحرص كل الحرص على اتباع القواعد والأسس التي تركها فينا وجاء بها ، فقد دعا إلى العدل وبدأ بتنفيذه على نفسه وأهله ثم على القريب والبعيد والعدو والصديق إذ يقول لمن أراد أن يشفع في حد من حدود الله « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم يقول « لقد أهلك من كان قبلكم من الأمم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الوضيع أقاموا عليه الحد » ويكفينا أن ندلل على أن العدل ركيزة لإصلاح الحياة فنذكر قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ولقد طلب محمد عليه السلام من المؤمنين المساواة إذ يقول « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب » فليت الذكريات الإسلامية وذكرى ميلاد محمد عليه السلام وهجرته تبعث فينا روح الاقتداء والاهتداء بهديه والسير على سنته والتخلق بأخلاقه حتى نحقق فينا قول الله تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

وإنا لنرفع أكف الضراعة إلى المولى القدير أن يعيد علينا هذه الذكرى العزيزة الحبيبة والمسلمون والعرب أشد وحدة وأصلب قناة وأقوى عوداً مما هم عليه الآن ؛ حتى يدركوا مايدبره لهم المستعمر من مكر وخديعة ويعملوا على تقويض أركان الاستعمار إنه قوي عزيز .

عبد الله مصطفى المراغي

## مولد الهادي

تجلى مولد الهادي وعمت ... بشائره البوادي والقصابا
وأسدت للبرية بنت وهب ... يدا بيضاء طوقت الرقابا
لقد وضعته وهاجا منيرا ... كما تلد السماوات الشهابا
فقام على سماء البيت نورا ... يضيء جبال مكة والشعابا

شوقي

# مفتاح الشقاء

أذاعت « روتر » شركة الأنباء المعروفة خبرا لعل الكثيرين لم يقفوا عنده ولم يحفلوا به ، مع أن له قيمته ودلالته . وهو أن سكان قرية هندية تسمى « كودولى » وضعوا قانونا للقضاء على الخمر ، وهو يقضى على شارب الخمر بأن يحلق له أهل القرية نصف شاربه ، ثم يركبوه حمارا ويطوفوا به فى أزقة القرية وحاراتها ، لإعلان فضيحته والسخرية به ، ثم يغرموه خمس عشرة روبية بعد هذه الفضيحة . ومنذ قليل نشرت صحيفة « برافدا » الروسية أن غرامة ستوقع على كل من يضبط مخمورا أو مقامرا . . . ومنذ حين نشرت الصحف أن أكثر من ستين فى المائة من الطيارين الأمريكيين يشكون اضطرابات عصبية ، بسبب الإفراط فى المسكرات ، والإسراف فى لعب القمار ، وبسبب الانحرافات الجنسية ! ! . . .

ذكرتنا هذه الأنباء بعلة مستعصية من عللنا ، وهى علة انتشار الخمور فى بلادنا ، واعتياد الكثيرين من المتحللين والمترفين لتناولها جهرا أو سرا ، وتلطخ الكثير من الحفلات والسهرات فى الأفراح والملاهى والأندية الليلية الخبيثة بالخمر على اختلاف الأنواع والألوان ، وهناك مع الأسف من يصرح بأن المخدرات كالحشيش والأفيون هى التى يجب أن تقاوم وتحارب ، وتبذل فى محاربتها الجهود وتجند الجنود ، وأما الخمر فلا خوف منها ولا خطورة بل هناك من يقترح محاربة المخدرات بنشر شرب الخمر ، أو شرب نوع منها ، ولسنا ندرى ماذا نصنع لو أخذنا بهذا الاقتراح العجيب . . . إننا ندلل للناس على حرمة هذه المخدرات بأنها تشبه الخمر فى أنها تسكر أو تفتر ، فكيف ندلل لهم على هذه الحرمة إذا صارت الخمر وهى أم التحريم فى الباب مباحة منشورة ؟ ! . . .

ومن أعجب العجب أن بعض هؤلاء يفترون على الله الكذب وهم يعلمون ، فيقولون : إن القرآن لم يصرح بتحريم الخمر ، مع أن ربكم وخالقكم هو الذى يقول : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » .

والخمور بمختلف أنواعها المسكرة المذهبة للرشد والعقل - حرام حرام بنص القرآن والسنة والإجماع ، ولو لم يحرمها الدين لحرمها العقل ؛ وإنما حرم الإسلام الخمر لما فيها من أخطار وأضرار ، وقد أراد من وراء تحريمها حفظ الأموال لأنها تتبدد في الخمر بسفه وجنون ، وحفظ الأجسام لأن الخمر تهدمها وتقوضها وتصيبها بوبيل الأمراض والعلل كضغط الدم والشلل وتحلل الأعصاب وفقد الوعي وتلف الكبد . وحفظ العقول لأن الخمر تذهب بها وتسبب لمدمنها الخبال والضلال ، وحفظ الأعراض لأن من سكر انفلت منه القياد فكان حيوانا أو كالحيوان ، ولقد رووا أن عجوزا من الأعراب جلست إلى فتيان يشربون نبيذا لهم فسقوها قدحاً فطابت نفسها وتبسمت . ثم سقوها قدحاً ثانيا فاحمر وجهها وضحكت ، فسقوها قدحاً ثالثا فقالت : خبروني عن نسائكم . أيشربن من هذا الشراب ؟ . قالوا لها : نعم . فقالت : زنين ورب الكعبة ! . . .

ومن لؤم الذين يشربون الخمر جهاراً أو من وراء ستار أنهم يخادعون الله وهو خادعهم ، فيوهمون الناس أن الأصناف التي يشربونها اليوم ليست هي الأصناف التي حرمها الإسلام ، لأن الإسلام لم يذكر تحريم « الويسكي والكونياك والشمبانيا » وأشباهها من الأسماء التي لم تكن موجودة في صدر الإسلام ؛ ولكن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يحدثنا عن هذا الاحتيال الذي وقع بعد عهده بأجيال فيقول : « ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها » . ثم وضع لنا قاعدة التحريم في هذا الباب ، فقال في الحديث الصحيح : « كل شراب أسكر فهو حرام » ، وقال : « كل مسكر خمر . وكل مسكر حرام » . وقال عمر بن الخطاب من فوق منبر الرسول صلوات الله عليه : « الخمر ما خامر العقل » أي غطاه وستره ، فيدخل فيه جميع أنواع الخمر بمختلف أسمائها وألوانها وأشكالها . . .

ومن لؤمهم كذلك أن يقولوا : إن « النبيذ » حلال ، وقد أباحه بعض الفقهاء . وهذا تضليل وتحريف ؛ لأن النبيذ المذكور في كتب السيرة الإسلامية هو نقيع التمر والزبيب الذي لا إسكار فيه ، فهو يشبه « الخشاف » المعروف اليوم . وعن أنس رضي الله عنه قال : سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحي هذا الشراب كله : العسل والنبيذ والماء واللبن . . . فهل يعقل أن يشرب نبي الطاهرين المطهرين شراباً مسكراً أو فيه شبهة إسكار ؟! . . .

وهـذا هو الحاكم العادل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يرى أن طائفة من المنحرفين يشربون نوعا من الخمر يسمونه « الطلاء » والطلاء جنس من الشراب كأنه ثخن حتى صار كالقطران الذى تطلى به الإبل، فحارب عمر ذلك الانحراف محاربة صارمة، وكتب إلى ولاته وعماله كتابا مطولا جاء فيه قوله : « ثم إن الطلاء لا خير فيه للمسلمين ، إنما هو الخمر يكنى باسم الطلاء . قد جعل الله عنه مندوحة وأشربة كثيرة طيبة ، وقد علمت أن ناسا يقولون : قد أحله عمر رضى الله عنه ، وشربه ناس ممن مضى من خيارنا ؛ وإن عمر إنما أتى منه بشراب طبخ حتى خثر ( أى استرخى ) فقال حين أتى به أطلاء هذا ؟ . يعنى به طلاء الإبل ؛ فلما ذاقه قال : لا بأس بهذا . فأدخل الناس فيه بعد عمر . . . أما من شربه من صالحيكم فإنهم شربوه قبل أن يتخذ مسكراً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرام كل مسكر على كل مؤمن ، فلا أرى أن يتخذ الفاجر البار دلسة ( أى خداعا وتضليلا ) ونرى أن يتنزه المسلمون عنه عامة ، وأن يحرموه ، فإنه من أجمع الأبواب للخطايا . وأخوفها عندى أن تصيب المسلمين منه جائحة تعمهم » ! . . .

ويكتب عمر إلى أيوب بن شرحبيل واليه على مصر خطابا فى الخمر منه قوله : « ثم إنه قد كان من أمر هذا الشراب أمر ساءت فيه رعة ( أى ملاحظة ) كثير من الناس ، وجمعوا مما يغشون به مما حرم الله فيه حراما كثيراً نهوا عنه عند سفه أحلامهم وذهاب عقولهم ؛ حتى استحل فى ذلك الدم الحرام ، وأكل المال الحرام ، والفرج الحرام ، وقد أصبح كل من يصيب من ذلك الشراب إنما علتهم فيه يقولون : الطلاء لا بأس علينا فى شربه ، ولعمرى إن ما قرب إلى الخمر فى مطعم أو مشرب أو غير ذلك ليتقى ، وما يشرب أولئك شرابهم الذى يستحلون إلا من تحت أيدى النهار الذين يهون عليهم زيغ المسلمين فى دينهم ، ودخولهم فيما لا يحل لهم ، مع الذى يجمع نفاق سلعهم ، ويسارة المئونة عليهم ؛ وما لأحد من المسلمين عذر أن يشرب ما أشبه ما لا خير فيه من الشراب ، فإن الله جعل عنه غنى وسعة من الماء الفرات ، ومن الأشربة التى ليس فى الأنفس منها حاجة من العسل واللبن والسويق والنبيذ والزبيب والتمر » .

ثم يقول عمر : « فإنا من نجده يشرب منه شيئاً بعد تقدمنا إليه فيه نوجعه عقوبة فى ماله ونفسه ، ونجعله نكالا لغيره ، ومن يستخف بذلك منا فإن الله أشد عقوبة ، وأشد بأساً ، وأشد تنكيلا » .

ثم يختم الكتاب بقوله : « أسأل الله أن يغنينا وإياكم بما أحل عما حرم ، وأن يزيد من كان فينا مهتدياً هدى ورشداً ، وأن يراجع بالمسىء التوبة فى عافية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ومن لؤمهم أيضاً أنهم يتعللون فى شربها بأنها دواء لمرض أو علاج لعلة . وهذا مكر يمكرونه بين الناس ، لأنهم يشربونها للسكر والإدمان ، ولمآربهم الخسيسة الأخرى ؛ وعلماء الطب لم يدعوا حالة من حالات المرض يستعمل فيها دواء مسكر إلا جعلوا مكانه دواء ليس مسكراً ، وفوق هذا سئل الرسول صلوات الله عليه عن التداوى بالخمر فأجاب : إنها داء وليست بدواء ! ! ...

ولما كانت الخمر بهذه الخطورة الخبيثة حذر الرسول منها أبلغ التحذير فقال فيما ينسب إليه : « اجتنبوا الخمر فإنه والله لايجتمع [1] والإيمان أبداً إلا يوشك أحدهما أن يخرج صاحبه » . ولا عجب فالخمر أم الخبائث ومفتاح الشرور وباب البلايا ؛ ولقد قص علينا بعض كتب السنة قصة فيها عظة وبلاغ ، وخلاصتها أن رجلا استدرجته امرأة فاجرة ، وغلقت عليه الأبواب ، وكأنها أرهبته حين خيرته بين أمور ثلاثة : أن يشرب كأسا من خمر كان عندها ، أو يقتل غلاما كان معها ، أو يزنى بها . . . وكأنما أراد الرجل أن يختار فى ظنه أخف الأمور ، فشرب من الخمر ، فلما دارت برأسه زين له الشيطان أن يواقع المرأة فأقدم على ذلك ، وكأنما خاف من الغلام أو ضاق به فقتله ؛ فكانت الخمر سبباً فى شر عظيم وبلاء مستطير . . .

ولذلك لايشرب الخمر إلا من ضل ضلاله وساء حاله ؛ وكأن هذا بعض السبب فى أن السنة المطهرة تخبرنا بأن شارب الخمر كان يجلد أربعين ، وكان الجلد بالنعال فى كثير من الأحيان ... نعم بالنعال ، لأن المرء الذى أهدر آدميته وأذهب عقله لايستحق إلا الحذاء يصفع به ويجلد ليتأدب ويرتدع ، وشتان بين إنسان يحافظ على عقله وكرامته وبين حشرة تأبى إلا إهلاك نفسها أو سواها :

إن عادت العقرب عدنا لها  بالنعل ، والنعل لها أنسب !

---

(١) فى كتب اللغة أن الخمر قد تذكر .

وهناك من يرى أن مقاومة الخمر ومهاجمتها الآن لون من الرجعية والجمود ؛ لأن الخمر قد ذاعت وانتشرت ، وأصبح من العبث الوقوف فى وجهها ، وهذا منطق غريب ! مقتضاه أن النار إذا زادت فى الاشتعال تركناها حتى تأتى على الأخضر واليابس ! . . . وما هكذا كان المصلحون ، ولا الذين يغارون على الفضائل والأخلاق ، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه نراه حينما شاهد أن عدد الذين ينحرفون فيشربون الخمر قد زاد عما كان عليه فى عهد النبوة يضاعف حد الشارب ، فيزيده من أربعين جلدة إلى ثمانين ؛ لأن التوسع فى الجرم يستلزم التشديد فى الجزاء والعقاب .

إن الله جل جلاله قد خلق لنا الحلو اللذيذ الطيب الحلال الطاهر من ألوان الشراب ، فخلق اللبن الذى يخرجه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، وخلق العسل الذى يخرجه من بطون النحل شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس ، وخلق الماء العذب الفرات الذى يروى ويمتع ، وخلق عصير الفواكه وما أكثرها وأكثر منافعها وخصائصها . .

ولقد كان النبى صلوات الله عليه يدخل بستان « بيرحاء » لأبى طلحة بجوار المسجد النبوى ، ويشرب من ماء فيه طيب كأنه يحبه ويتلذذ به ، وكان الماء العذب يجلب للنبى من عين تسمى « بيوت السقيا » على يومين من المدينة ، وقيل إنها قرية بين مكة والمدينة ، فأين هذا الهدى النبوى القويم من ولوع الإنسان اليوم بإفساد الصالح وتعويج المستقيم وتعقيد السهل ؟ ... كان الطعام لسد الجوعة فجعله للتخمة والبطنة ، فتعددت ألوان الأكل ، فكثرت الأمراض وتعددت العلل ؛ وكان الشراب للرى ودفع الظمأ ، فاصطنع الإنسان ألوانا منه لقتل العقل وإثارة الشهوة ، وكانت الثياب لستر العورة فجعلها الرجل للزينة الزائدة والفخر الكاذب ، وجعلتها المرأة كمصايد للشيطان . . . فأى شقاء جره الإنسان على نفسه بسبب هذا الانحراف وذلك الإسراف ؟ ! . . .

إن واجبنا أن نقطع الطريق على أم الخبائث ، وأن نبعدها عن مجتمعنا وعن ذرياتنا التى تتوزعها مناكب الحياة ، وأن نأخذ بهدى الإسلام فلا نقربها ولا نرضى بها ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

# حصوننا مهددة من داخلها

## فى الجامعة العربية

— ٤ —

بقى مما وعدت بالكلام عنه من النشاط الثقافى لجامعة الدول العربية الكلام عن المؤتمرات التى أعدت لها الإدارة الثقافية وأشرفت عليها أو شاركت فيها . وحديث المؤتمرات فى هذه الإدارة حديث يثير العجب . فلو عرض القارئ ما سجلته هذه الإدارة من نشاط المؤتمرات تحت عنوان ( التعاون بين الإدارة الثقافية واليونسكو والهيئات الثقافية الدولية - ص ٤٥ - ٥٣ من النشرة الثقافية ١٩٤٦ - ١٩٥٦ ) لخيل إليه أن هذه الإدارة فرع من اليونسكو يعمل تحت سيطرته وتوجيهه . وسيطرة أمريكا - واليهود خاصة - على اليونسكو شيء لا أحتاج إلى أن أنبه له فهو مشهور معروف ، يؤكده ما أثبتته النشرة الثقافية لجامعة الدولة العربية فى بيانها العام عن هذه المؤتمرات . فهى تستهدف السيطرة على توجيه الثقافة والتعليم فى البلاد العربية ، والترويج لآراء اجتماعية ومذاهب سياسية لا تخدم إلا مشاريع اليهود والغرب . فمن ذلك مؤتمر تبادل المدرسين بين البلاد العربية الذى انعقد فى القاهرة سنة ١٩٥٦ بدعوة من اليونسكو ( ص ٤٦ ) . ومؤتمر التعليم الثانوى فى مصر الذى انعقد فى مصر سنة ١٩٥٥ واشتركت فى الدعوة إليه الجامعة الأمريكية بالقاهرة ( ص ٤٩ ) والحلقة التربوية التى دعت إليها الجامعة الأمريكية فى بيروت سنة ١٩٥٤ وكان موضوعها « فلسفة تربوية متحدة فى عالم عربى متحد » ( ص ٥٠ ) . وحلقة دراسات التربية للتفاهم العالمى التى انعقدت فى قصر اليونسكو ببيروت سنة ١٩٥٥ ورأسها عبد العزيز القوصى ( ص ٥٠ ) فمثل هذه المؤتمرات لا يقصد بها إلا السيطرة على التعليم فى العالم العربى ، وتوجيهه وجهة لا دينية تؤدى إلى ضياع الجيل القائم والجيل القادم ضياعا لا تقوم معه نهضة فى هذه المنطقة ! مما يمكن لليهود ولشيعتهم الذين يتولونهم من دول الاستعباد الغربى والأمريكان منهم خاصة ، وذلك بترويج بعض الآراء والأساليب التربوية والنفسية المنحرفة الفاسدة . ومن هذه المؤتمرات ما يروج لأساليب أمريكية من التنظيم الاجتماعى تخفى فى ثناياها مذاهب فكرية هدامة باسم العلم الحديث من ورائها اليهودية العالمية ، مثل مؤتمر العلوم الاجتماعية الذى انعقد فى دمشق سنة ١٩٥٤ بدعوة من اليونسكو لدراسة الشئون الاجتماعية بالشرق الأوسط

( ص ٤٨ ) . فقد عنى هذا المؤتمر عناية شديدة بالترويج لما يسمونه ( علم الاجتماع ) ووضع تعاليمه وأوهامه فى مكان التقديس الذى كان يحظى به الدين ، وإسلام المجتمع برمته إلى نفر من الناس لا يمت للثقافة الإسلامية أو العربية بسبب ، يقدس تلك الأوهام التى تشيع فيها سموم اليهودية العالمية الهدامة ويتخذها دستوراً ، ولا يعرف أصولا يصدر عنها فى تفكيره وتشريعه سوى دعاواها . فحث على تأليف الكتب المدرسية فيها وروج لأصحاب هذه الثقافات التى يتسع فيها المجال أمام ذوى الأغراض والهدامين ، بالدعوة إلى ( تأمين العمل للإخصائيين فى الشئون الاجتماعية ، وضمان مستقبلهم المادى والأدبى ) . كما عمل على حماية الهدم والهدامين من كل صوت يرتفع للحد من نشاطهم الهدام باسم الدين فى دعوته إلى ( تأمين حرية الدرس والبحث والتفكير والتأليف فى الشئون الاجتماعية ) . ومن هذه المؤتمرات ما يتستر تحت اسم العلم والبحث ، ولكنه لا يبحث المسائل فى حقيقة الأمر إلا من زاوية تخدم اليهود خاصة . مثل الكلام عن (موقف الإسلام من العنصرية ـ ص ٤٥) . ومنها ما يدعم مشروعات الغرب السياسية مثل مؤتمر التضامن الثقافى والاقتصادى بين دول البحر الأبيض المتوسط الذى انعقد فى باليرمو سنة ١٩٥٤ . فالهدف الحقيقى من ورائه هو إقرار النفوذ الغربى فى حوض هذا البحر ، وربط دوله العربية بدول الاستعباد الغربية . فكل الذين يتحدثون عن رابطة البحر الأبيض وثقافة البحر الأبيض وحضارة البحر الأبيض ـ من طه حسين فنازلا ـ كانوا يروجون لمشاريع فرنسا التى تعتبر شمال إفريقية جزءاً لا يتجزأ منها . وقد زاحمتها إيطاليا وأسبانيا حينا ، ثم ورثتهم أمريكا جميعاً . فالكلام فى هذا لا يقصد به إلا صرف العرب عن جامعتهم العربية وصبغتهم الإسلامية . وأى رابطة بين فرنسا والمغرب سوى الدم المسفوك ؟ وأى رابطة بين إيطاليا وطرابلس ، وبين أسبانيا وريف مراكش ، سوى ما يحفظه التاريخ من مظالمهم ومفاسدهم وما سفكوه من دماء الشهداء ؟ هل نسى العرب عمر المختار الشهيد ؟ .

وأدع ذلك كله مما لا سبيل إلى الخوض فى تفاصيله ، لأنى لا أجد بين يدى نصوص ما دار فى هذه المؤتمرات من مناقشات ، لأنتقل إلى الكلام عن مؤتمر نشرت الجامعة العربية محاضر جلساته ، وهو مؤتمر يتوسم القارئ الخير فى عنوانه ولا يكاد يخطر له سوء الظن فيه ببال ، وذلك هو ( المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية ـ دمشق ١٩٥٦ ) .

اجتمع فى هذا المؤتمر مندوبون من المجامع اللغوية العلمية فى مختلف بلاد العرب : فشهده

وفد من مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، ووفد من المجمع العلمى العراقى ، ووفد من المجمع العلمى العربى فى دمشق ، كما شهده مراقبون من الدول العربية التى لم يؤسس فيها مجامع وهى الأردن والسعودية ولبنان وليبيا وتونس . وشهده مع ذلك كله وفد يمثل الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، ومندوب يمثل هيئة اليونسكو ( شفيق شماس ) .

واللغة العربية التى بحث هذا المؤتمر شئونها هى أقوى ما تقوم عليه الوحدة العربية من الروابط . وهى الرابطة التى ارتفعت حتى الآن فوق كل مراء : فقد مارى أعداء العروبة زمنا فى أن العرب ينتمون إلى جنس واحد ، فسمعنا أصوات المنكرين من الشعوبيين دعاة الجاهلية الأولى بين فرعونية وفينيقية وآشورية وبابلية . وماروا حينا فى ارتباط القومية العربية بالإسلام فسمعنا من يزعم أن هذه الصبغة تنفر غير المسلمين من العرب . وظلت رابطة اللغة بعد ذلك تسمو على كل مراء لا ينازع منازع فى أنها هى الرباط الأقوى بين العرب .

لذلك كان آخر ما يتوقعه القارئ فى الكتاب الذى جمع ما ألقى فى هذا المؤتمر من بحوث أن يجد فيه ما يعين على توهين هذه الرابطة ، أو تفريق المجتمعين عليها ، من مثل الدعوات المريبة الهدامة إلى مسخ اللغة الفصحى أو تبديل قواعدها وخطها .

ولكن واقع الأمر جاء مختلفا عما يتوقعه القارئ وما يرجوه . فامتلأ الكتاب فى مواضع مختلفة بالدعوة إلى العامية ، وإلى تبديل الخط العربى ، وقواعد النحو والصرف والبلاغة . إذا أعوزك أن تجد ذلك سافرا صريحا فستجده مستورا خفيا يلبس زى الناصح الغيور ، فى مثل مقال أحمد حسن الزيات عضو مجمع القاهرة عن ( مجمع اللغة العربية بين الفصحى والعامية : ص ٨١ — ٨٨ ) ، ومقال على حسن عودة مندوب الأردن ( بين اللغة العربية الفصحى والعامية : ١٨١ — ١٨٤ ) ، ومقال أحمد عبد السلام مندوب تونس ( الفصحى والعامية : ٢٠٢ — ٢١١ ) ، ومحاضرة منير العجلانى عضو مجمع دمشق عن ( أثر اللغة فى وحدة الأمة : ٢١٧ — ٢٢٧) ، واقتراح إبراهيم مصطفى فى ( كتابة الهمزة والألف اللينة : ١٦٠ — ١٦٥ ) ، ومقاله عن ( تيسير قواعد اللغة العربية : ١٦٦ — ١٧١ ) ، ومقال طه حسين مدير الإدارة الثقافية عن ( تيسير القواعد فى اللغة : ٢٢٨ — ٢٤٠ ) . ولم يشذ عن هؤلاء إلا صوت واحد بدا وسط هؤلاء غريبا فى دعوته إلى التزام الفصحى فى المدارس وفى القضاء وفى الصحافة وفى المجالس النيابية ، منبها إلى أن هذا هو السبيل الوحيد

إلى علاج ما يسمونه « مشكلة الفصحى والعامية » . ذلك هو صوت الأستاذ عارف النكدى عضو وفد مجمع دمشق فى بحثه ( اللغة العربية بين الفصحى والعامية : ٨٩ - ١٠٤ ) .

وسأعرض نماذج مما جاء فى هذا الكتاب ليتأكد القارئ أنى لا أتزيد فى القول ولا أبالغ فى التصوير ولا أتجنى على أحد . ثم أعود بعد ذلك إلى مناقشة بعض هذه الدعاوى العريضة التى انخدع بها كثير من السذج الغافلين . وقبل أن أشرع فى ذلك أحب أن أبادر ببعث الطمأنينة إلى قلوب من أزعجتهم هذه المقدمة فأقول : إن المؤتمر قد رفض الأخذ بشىء من هذه الآراء المعوجة والدعوات السقيمة . ولكنى أحب أيضا أن أنبه إلى أن الداعين بهذه الدعوات قد استطاعوا أن ينفذوا إلى بعض قرارات المؤتمر ، ويتركوا فيها أثرا من سمومهم ومسحة من أمراضهم وأسقامهم تكشف عن الخطر الذى يتهدد حصوننا من داخلها .

يروى أحمد حسن الزيات قصة مجمع اللغة العربية فى القاهرة بين الفصحى والعامية ، فيقول : إن المحافظين من شيوخ الأدب قد سيطروا عليه فى أول نشأته ، ثم انتهى زمامه إلى الكتاب والصحفيين الذين نبهوا المجمع إلى أهمية العامية وإلى خطورة جمود اللغة بتخلفها عن مسايرة الزمن ( ص ٨١ - ٨٢ ) . ويقدم مثالا من جهود هؤلاء ( المجددين ) بالبحث الذى ألقاه أحدهم فى دورة ٤٦ - ٤٧ عن ( موقف اللغة العامية من اللغة الفصحى ) فدعا فيه إلى التساهل فى بعض قواعد الإعراب وعدم التشدد فى قبول المستحدث من الألفاظ والأساليب التى تجرى على كل لسان لكى ( يسهل علينا تطوير الفصحى حتى تقترب من العامية ) ، ودعا كذلك إلى أن نشرع فى دراسة عاميات الأقطار العربية المختلفة لإقرار ما هو مشترك منها سواء صح فى معاجم اللغة وكتبها ( ص ٨٣ - ٨٤ ) . وذكر الزيات أنه ألقى بعد ذلك بحثا عن ( الوضع اللغوى وحق المحدثين فيه ) ذهب فيه إلى إباحة استعمال المولد ، وإزالة السد القائم بين الفصحى والعامية لكى ينتج ( من تداخل اللغتين وتفاعلهما لغة تجمع بين محاسن هذه ومحاسن تلك - ص ٨٥ ) كما اقترح ( لتقريب الخلاف بين العامية والفصحى أن يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيه . . . وأن يرد الاعتبار على المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة ، وأن يطلق القياس فى الفصحى ليشمل ما قاسه العرب ، وما لم يقيسوه ،

وأن يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذى حرفة - ص ٨٥ ) . ويقول الزيات إن مجمع القاهرة قد أقر هذه المقترحات وأخذ فى تطبيقها [١] .

أما على حسن عودة مندوب حكومة الأردن فقد ظن أن هدف هـذا المؤتمر هو ( أن نقضى على اللغـة العامية ونحل محلها لغـة تعبير وتخاطب عربية فصيحة سهلة التناول يستعملها الكبير والصغير ، ويكون فيها الغناء فى الحياة الاجتماعية فى كافة مرافقها - ص١٨١ ) . وتصور المسألة على هذا النحو خطأ كما سأبينه فيما بعد ، لأنه غير ممكن ولا ميسور ولا هو مطلوب ، ولأنه يخالف طبائع الأشياء .

ويكاد القارئ أن يطمئن إلى سلامة قصد الكاتب رغم خطأ تصوره حين يظن أن هدفنا هو القضاء على العامية . ولكنه لا يلبث أن يتبين أن هدفه فى حقيقة الأمر هو اختراع لغة عربية جديدة ونشرها بين الناس بكل وسائل النشر ( فإن لدينا اليوم من الوسائل الحديثة ما يضمن النجاح لجهود يبذل فى سبيل ترقية لغـة التخاطب فى البلاد العربية ويضمن البقاء والتقدم أيضا لكل لغة عربية فصيحة يتواضع عليها ، تستوعب مصطلحات المستجد من آثار العلوم والفنون - ص ١٨٢ ) . وهو يقترح تبسيط اللغة واختصارها ، كما يقترح على جامعة الدول العربية ( أن تعنى بوضع معجم يسمى معجم العامة ، أو غير ذلك من الأسماء ، يكتفى فيه بالمفردات التى يحتاج إليها فى كافة مرافق الحياة ، وتحشد فيه أوضاع جديدة للدلالة على مستحدثات العصر الفنية المتداولة . ثم يلجأ فى تعميم هذه اللغـة العربية الفصيحة العامة إلى كل الوسائل الكفيلة بتعميمها ابتداء من المدارس الليلية التى يحمل العمال والمشتغلون فى النهار على غشيانها ، وفى المدارس الابتدائية التى يتكفل القائمون فيها بتعليم الأطفال فى كتب خاصة تقيد مؤلفوها بألفاظ هذه اللغـــة ، وبتعويد هؤلاء الأطفال التحدث بالفصيح المقترح فضلا عن القراءة . ص ١٨٣ - ١٨٤ ) .

ومن الواضح أن هذا الرجل يريد أن يخترع لغة فصيحة جديدة ، ثم يدعو إلى تعميمها بتقييد مؤلفى الكتب المدرسية أن يكتبوا ( بالفصيح المقترح ) ، أى أنه يلزمهم أن لا يستعملوا

---

(١) اعترف منصور فهمى بذلك فى محاضراته التى ألقاها فى هـذا المؤتمر عن أهداف مجمع مصر فى خدمة اللغة العربية [ ص ٢٤١ - ٢٥٦ ] .

« الفصحى القديمة » التي يدعو إلى اختصارها واستبعاد غير المألوف من مفرداتها وإضافة ما يرى إضافته إليها . ولست أدرى ما هو الحد الفاصل بين المألوف وغير المألوف في اعتباره ؟ ومن هو الحكم في التمييز بينهما ؟ هل هو الأمي الجاهل ، أم هو المثقف من غير محترفي الأدب ، أم هو الكاتب الممارس للكتابة في الصحف اليومية ، أم هو الشاعر والناقد ، أم هو عالم اللغة ؟ أليس الأسهل تعميم الفصحى القائمة الموجودة الموروثة بدل التواضع على فصحى جديدة تتقيد بها الكتاب والمؤلفين ، مع وجود لغة متواضع عليها هي حقيقة قائمة ثابتة حية ماثلة فيما يتداول العرب جميعا من كتب ومن صحف يلتقون ويلتقي معهم المسلمون من غير العرب عند فهمها والتعبير بها ، وهي نفسها اللغة التي تفاهم بها العرب في مؤتمرهم هذا والتي عبر بها صاحب هذا الاقتراح العجيب ففهمنا وفهم كل الناس عنه ؟ .

واقتراح أحمد عبد السلام مندوب حكومة تونس قريب من اقتراح مندوب حكومة الأردن السابق حتى لكأن شيطانهما واحد : فهو يقترح على المجامع اللغوية ( أن تؤلف لكل قطر معجما صغيراً لا يتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التي بقيت مستعملة بمعناها الأصلي في لغة ذلك القطر . وأن يوصى معلمو الأحداث والعامة بالاقتصار عليها قدر المستطاع - ص ٢٠٨ ) . واقتراحه هذا ينتهي إلى إيجاد لغات عربية متعددة تمثلها هذه المعاجم المقترحة التي تحيي دارس اللهجات وميت اللغات بعد أن جمع الله العرب - بل المسلمين - على فصحى القرآن ويزيد في توسيع الهوة بين هذه المعاجم أن صاحب هذا الاقتراح يوصى بالتوسع في قبول الكلمات المولدة والدخيلة فيها كما يوصى ( لزيادة الخبرة بعربيتنا وبمدى حيويتها ، أن يشتغل عدد من علمائنا باللغات العامية وأن يدرسوها دراسة دقيقة - ص ٢٠٩ ) وهو يخفي حقيقة أهدافه وخطورة آرائه بالقناع الذي يتمنع به طه حسين وشيعته حين يتظاهرون بعدائهم للعامية ثم يزعمون للناس أن هناك خطراً على العربية الفصحى أن يهجرها الناس إلى العامية إذا لم تخضع لما يسعون إليه من تطور مزعوم !

والذي يفضح هؤلاء الناس ويكشف عن مصدر هذه الوساوس في نفوسهم وحقيقته الذي ألقى هذه الأوهام في رءوسهم وحرك بها ألسنتهم ودفعهم إلى ترويجها هو أنك تجد فريقاً منهم يفكرون بالإنجليزية أو بالفرنسية ثم يترجمون تفكيرهم إلى العربية . تجد ذلك في محاضرات أنيس فريحة عن ( اللهجات وأسلوب دراستها ) التي نشرها معهد الدراسات

العربية العالية بجامعة الدول العربية ، حين يفكر للغة العربية باللغة الإنجليزية ويريد أن يلبس لغتنا أثوابا لم تقد على قدها ولم تجعل لها . إذ يثبت الاصطلاح الإنجليزى ثم يصطنع لها اصطلاحاً عربياً يقابله . وتجده كذلك فى محاضرة منير العجلانى التى ألقاها فى مؤتمرنا هذا عن ( رابطة اللغة والأمة : ص ٢١٧ - ٢٢٧ ) ، حين يصب تفكيره فى قوالب فرنسية ، فلا يكاد يأخذ فى تعريف الدولة أو الحكومة أو الأمة أو الشعب أو أثر اللغة فى وحدة الأمة حتى يبنى كلامه على رأى لهريو أو رينان أو ما تسيتى أو فلان وفلان من أصحاب المذاهب الغربية عموما والفرنسيه خاصة . ومنير العجلانى هذا لا يعترف بأن الإسلام رحم وصلة بين المسلمين [1] وأنه جامعة من أوثق الجامعات ، لأنه يجرى فى تعريف القومية العربية على قياسها بمقاييس أوروبا اللادينية التى روجها اليهود منذ الثورة الفرنسية اليهودية . يقول عند كلامه عن الدين بوصفه عنصرا من مقومات القومية . (كان الدين فى العصور الوسطى يجمع الشعوب ويفرقها ، ولكن أثره فى تكوين الأمم تضاءل فى الزمن الحاضر . وربما أسقطه غلاة القومية من حسابهم [2] - ص ٢٢٤ ) .

وترديد المحاضر لاصطلاح « العصور الوسطى » هو أثر من آثار الاستعباد الغربى الذى يخضع له تفكيره . فتعبير « العصور الوسطى » تعبير أوروبى يقترن فى أذهان أصحابه بالتخلف والهمجية ، لأنه يقترن بالظلم وبالنظام الإقطاعى وبالرق وباستبداد الكنيسة وطغيانها . والذين يفكرون برءوس أوروبية يستعملون هذا الاصطلاح بمعناه ذاك ، رغم الاختلاف الواضح بين ظروفنا وظروفهم . فالعصور الوسطى تقابل عندنا عصر الرسالة المحمدية وأزهى عصور الإسلام . فهى بالقياس إلى العربى وإلى المسلم عصر النور والمجد والعدل ، فى الوقت الذى يعتبرها الأوروبى فيه عصر الظلام والظلم والتخلف . أليس ذلك ضربا من ضروب الاستعباد الفكرى ، وهو شر ألوان الاستعباد ، بل هو أخطر ما خلفه الاستعباد الفرنسى والاستعباد الإنجليزى فى الشعوب الإسلامية التى استعبدها ،

---

(١) المجلة — مع أنه من بيت علم إسلامى عريق ، ولكن الثقافة الأجنبية فصلت الكثيرين عن بيوتهم .

(٢) المجلة — هذا فى الغرب ، أما فى الشرق العربى فلدين أوسع أفقا من مدلوله فى الغرب ؛ والعروبة أكثر تعاوناً مع الإسلام فى ماضيهما وحاضرهما .

ذلك هو مجمل ما عرضه أصحاب ذلك المشكل الذى توهموه فابتدعوه . وزعموه ثم أوجدوه ، بين العامية والفصحى .

أما الاقتراحات التى تدعو إلى مسخ قواعدنا فى اللغة وفى النحو وفى الإملاء والخط ، فقد جاءت على لسان طه حسين ، وصفيه إبراهيم مصطفى الذى صدع بوحيه حين ألف منذ عشرين عاما كتاباً ميتاً فى النحو سماه « إحياء النحو » . ألقى طه حسين محاضرة دعا فيها إلى العدول عن قواعد النحو الثابتة المتدارسة التى اجتمع عليها العرب والمسلمون زاعماً أنها لم تعد صالحة وأنها هى السبب فى ضعف الطلاب وتخلفهم (٢٢٨ - ٢٤٠) . وتقدم إبراهيم مصطفى باقتراحين ، أحدهما فى ( كتابة الهمزة والألف اللينة : ص ١٦٠ - ١٦٥ ) دعا فيه إلى توحيد الصور الكتابية للهمزة ، والآخر فى ( تيسير قواعد النحو : ص ١٦٦ - ١٧١ ) مهد به لاقتراحات ( تيسير النحو والصرف : ص ١٧٢ - ١٨٠ ) المقدمة باسم مجمع القاهرة والتى تحمل طابع إبراهيم مصطفى المعروف فى ( إحياء النحو ) الذى دعا فيه إلى تبويب جديد للنحو من ابتكاره . وقد سحب إبراهيم مصطفى اقتراح الهمزة قبل أن ينظر فى جلسة المؤتمر العامة ، ويبدو أنه لم يجد الظرف مهيأً لقبوله فخشى أن يتخذ قرار برفضه وآثر أن يدع الباب مفتوحا حتى يستطيع هو أو آخر من عصابته العودة إلى ذلك فى فرصة أكثر ملاءمة . أما مقترحات تيسير النحو فقد قرر المؤتمر فى شأنها أنه ( نظر فى مقترحات تيسير النحو التى أعدتها وزارة التربية والتعليم فى مصر فوجد بعد دراستها أنها تحتاج إلى زيادة فى البحث والتمحيص ، وقرر تأجيل النظر فيها إلى مؤتمر آخر : ص ٢٧٨ ) . وقد كنت أرجو أن يقضى فيها المؤتمر قضاء حاسما صريحا يقرر فيه فسادها وضررها ، لأن هذا القرار الذى يظهر فيه نفوذ دعاة الهدم والتبديل لم يمنع القائمين على برامج التدريس فى مصر من أن يضعوا هذه المقترحات الفاسدة موضع التنفيذ .

وبعد فقد شغل هؤلاء المحاضرون والمقترحون بمشاكلهم الوهمية ما يقرب من نصف وقت المؤتمر [١] . على أن أكثر ما جاء فى مقالاتهم بضاعة مزجاة بارت فى كل سوق ، وكلام معاد مكرور ليس فيه جديد . ولكن أصحاب هذه المذاهب المنحرفة يعتمدون فى أسلوبهم على أن الناس إذا تكرر سماعهم للباطل أوشكوا أن يصدقوه . لذلك فهم يكررون القول حيناً بعد حين ودفعة بعد فترة ، ولا ينضب لهم معين فى إلباس مقالهم أليق الأثواب بالمقام وعرضه من جوانب جديدة تقربه من نفوس الناس .

---

[١] استغرقت محاضراتهم واقتراحاتهم تسعا وتسعين صفحة من سجل المؤتمر الذى يزيد قليلا على مائتى صفحة .

وهم لا يسئمون من هذا التكرار ؛ لأنهم يعرفون أنهم يخاطبون فى كل مرة جيلا جديداً غير الذى سمعهم من قبل . وقد ينجحون فى إغواء بعض من ضاقت عنه حيلهم من قبل . وهم يعتمدون مع ذلك كله على أفراد عصابتهم ممن وصلوا إلى مراكز تسمح لهم بمديد العون فى ترويج هذه الدعاوى وفى وضعها موضع التنفيذ ، وفيهم من يشغل مراكز خطيرة تسمح لهم بالسيطرة على الصحافة والإذاعة ووزارات التعليم والجامعات . لذلك كان فرضاً لازماً على كل عارف بحيلهم أن لا يمل من تكرار الرد عليهم ركوناً إلى أنه قد أذاع الرد من قبل ، حتى لا تنفرد دعاياتهم المفسدة بالشباب فتستأثر به ثم لا يجد ما يصححها وينتشله من تيارها ويبطل فعل سمومها .

وأول ما يلفت النظر فى هذه الكلمات والمقترحات ما انحدرت إليه مجامع اللغة العربية ـ ومجمع القاهرة منها خاصة ـ من ترويج الدعوات المريبة إلى تطوير اللغة وقواعدها ورسمها . وهو تطوير يختلف أصحابه فى تسميته ، ولكنهم لا يختلفون فى حقيقته . يسمونه تارة تهذيبا وتارة تيسيرا وتارة إصلاحا وتارة تجديدا ، ولكنهم فى كل الأحوال وعلى اختلاف الأسماء يعنون شيئا واحدا هو التحلل من القوانين والأصول التى صانت اللغة خلال خمسة عشر قرنا أو يزيد ، فضمنت لجيلنا وللأجيال المقبلة أن تسرح بفكرها وتمرح فى معارض فنون القول وآثار العبقريات الفنية والعقلية لا تحس قيود الزمان ولا المكان ، فكأنما القرآن قد أنزل فينا اليوم ، وكأنما شعراء العربية وفقهاؤها وفلاسفتها وكتابها وأطباؤها ورياضيوها وطبيعيوها وكيميائيوها على اختلاف أزمانهم قد كتبوا ما كتبوا وألفوا ما ألفوا فى الأمس القريب ، وكأنما المتنبى أو البحترى يخاطب جيلنا لا تميز بينه وبين شاعر معاصر كالبارودى أو شوقى أو حافظ ، وكأنما الرصافى يكتب شعره للقاهريين ، وكأنما الشابى يكتب شعره للشآميين ، وكأنما شوقى يخاطب بشعره أهل المغرب ، وهذه ميزة من الله بها علينا ولم تحظ بمثلها أمة من الأمم . فإذا تحللنا من القوانين والأصول التى صانت لغتنا خلال هذه القرون المتطاولة تبلبلت الألسن وأضاف كل يوم جديد تطلع على الناس شمسه مسافة جديدة توسع الخلف بين المختلفين ، حتى يصبح بين الشآمى والمغربى مثل ما بين الإيطالى والأسبانى ، وتصبح عربية الغد شيئا آخر يختلف كل الاختلاف عن عربية القرن الأول ، بل عربية اليوم والأمس القريب ، وتصبح قراءة القرآن والتراث العربى والإسلامى كله متعذرة على غير المتخصصين من دارسى الآثار ومفسرى الطلاسم ، وعند ذلك يصبح كل جهد

سياسى أو حربى أو أدبى مما يبذل اليوم فى جمع شمل العرب وتدعيم القومية العربية عبثا لا طائل تحته ، لأنه كالنفخ فى قربة مقطوعة أو بناء القلاع فوق الرمال أو الارتفاع بالأبراج التى تناطح السحاب على غير أساس .

وليس الخطر الكبير فى الدعوة إلى العامية ، ولا هو فى الدعوة إلى الحروف اللاتينية ، أو الدعوة إلى إبطال النحو وقواعد الإعراب أو إسقاط بعضها ، فالداعون بهذه الدعوات من صغار الهدامين ومغفليهم الذين ليس لهم خطر العتاة ممن يعرفون كيف يخدعون الصيد بإخفاء الشراك ، وكيف يستدرجون الناس بتزوير الكلام . إن الخطر الحقيقى هو فى الدعوات التى يتولاها خبثاء الهدامين ممن يخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها فى أحب الصور إلى الناس ، ولا يطمعون فى كسب عاجل ، ولا يطلبون انقلابا كاملا سريعا . الخطر الحقيق هو فى قبول مبدأ التطوير نفسه ، لأن التسليم به والأخذ فيه لا ينتهى إلى حد معين أو مدى معروف يقف عنده المطورون ، ولأن التزحزح عن الحق كالتفريط فى العرض ، فالذى يقبل التزحزح عن الحق قيد أنملة مرة واحدة يهون عليه أمثالها مرة ثم مرات، حتى يسقط إلى الحضيض ، ومن اعتراه شك فى حقيقة ما يراد بقرآننا وبلغته وبإسلامنا وكل تراثه فليقرأ قول طه حسين فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » : « وفى الأرض أمم متدينة كما يقولون ، وليست أقل منا إيثارا لدينها ولا احتفاظا به ولا حرصا عليه . ولكنها تقبل فى غير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التى تفكر بها وتصطنعها لتأدية أغراضها . ولها فى الوقت نفسه لغتها الدينية الخالصة التى تقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدى فيها صلواتها » فاللاتينية مثلا هى اللغة الدينية لفريق من النصارى ، واليونانية هى اللغة الدينية لفريق آخر والقبطية هى اللغة الدينية لفريق ثالث ، والسريانية هى اللغة الدينية لفريق رابع (١) . . . وبين المسلمين أنفسهم أمم لا تتكلم العربية ولا تفهمها ولا تتخذها أداة للفهم والتفاهم ولغتها الدينية هى اللغة العربية ، ومن المحقق أنها ليست أقل منا إيمانا بالإسلام وإكبارا له وذيادا عنه وحرصا عليه ـ الفقرة ٣٦ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ من طبعة المعارف ١٩٤٤ ) . فإذا وعى

(١) ليس هذا الكلام من صنع طه حسين فهو ترديد لما قاله القاضى الإنجليزى ولمور I. Selden. willmore من قبل فى كتابه « عامية مصر » The spoken Arabic of Egypt ص ١٥ من طبعة لندن ١٩٠١ .

القارئ هذا القول وما وراءه تليق بكل ما سواه فى وجه صاحبه ، لأنه ضرب من النفاق ، وأسلوب فى التكيد .

على أن تقديس لغة القرآن والتزام أصولها وقواعدها وأساليبها لم يكن فى يوم من الأيام داعيا إلى تحجر اللغة ، وجمود مذاهب الفن فيها ، ووقوفها عند حد تعجز معه عن مسايرة الحياة ، كما يشنع به الهدامون ويخدعون به الأغرار وصغار العقول وقصار الهمم . فليس التطور نفسه هو المحظور ، ولكن المحظور هو أن يخرج هذا التطور عن الأساليب المقررة المرسومة . وذلك يشبه تقييد الناس فى حياتهم الاجتماعية بقوانين الدين والأخلاق . فليس يعنى ذلك أنهم قد استعبدوا لهذه القوانين ، وأنها قد أصبحت تحول بينهم وبين مسايرة الحياة أو الاستمتاع بخيراتها ولذائذها . ولكنه يعنى أنهم يستطيعون أن يغدوا وأن يروحوا كيف شاءوا ، وأن يستمتعوا بخيرات الدنيا وطيباتها ويتصرفوا فى مسالكها ويمشوا فى مناكبها ، كل ذلك فى حدود ما أحل الله ، وكل ذلك مع التزام الوقوف عند حدود الله . كذلك اللغة ، وضع اللغويون والنحاة والبلاغيون لها حدوداً طابقوا بها مذهب القرآن وكلام العرب ، وتركوا للناس من بعد أن يستحدثوا ماشاءوا من أساليب ، وأن يتصرفوا فيما أرادوا من أغراض ، وأن يجددوا ما أحبوا مما يشتهون ومما تتفتق عنه عبقرياتهم . ولكن كل ذلك لاينبغى أن يخرج بهم عن الحدود المرسومة . فماذا فى ذلك غير ضمان الاستقرار والحرص على جمع الشمل ؟ وهل عاق ذلك عرب بغداد وعرب الأندلس عن الافتنان فى القول وفى مذاهب الفن ؟ وهل ضاقت معه عربية البدو عن الاتساع لما نقل العرب وما استحدثوا من معارف وعلوم ؟ .

أما ما جاء على لسان بعض المشتركين فى هذا فى المؤتمر مثل أحمد حسن الزيات ( ص ٨١ - ٨٨ ) . ومنصور فهمى ( ص ٢٤١ - ٢٥٦ ) فى تصوير انحراف مجمع اللغة العربية عن القصد فليس إلا قليل من كثير . ومن شاء فليرجع إلى مجلة المجمع ليرى صورة أوضح وأكثر تفصيلا لما يهدر من جهد فى الكلام عن العامية وعن مسخ الخط العربى وقواعد النحو . أليس ذلك عجباً من العجب ؟ وأعجب منه أن يصير إلى مركز القيادة فى ذلك الحصن رجل يشهد ماضيه الثابت المسجل فيما نشر على الناس من صحف أنه كان حربا على الجامعة الإسلامية وعلى الجامعة العربية لايراهما إلا وهما من الأوهام ، وأنه كان أول من رفع صوته بالدعوة إلى تمصير اللغة العربية . ألمثل هذه الغاية يعمل مجمع القاهرة وقد دارت الأيام واستقام عوج الزمان ؟

أما ما زعمه على حسن عودة مندوب حكومة الأردن فى المؤتمر ـ أو ماتخيله ـ من أن هدفنا هو توحيد العامية والفصحى وجعلهما لغة واحدة فهو خطأ أساسى فى تصور الموضوع. فليس مطلوبا أن تصبح لغة الحديث والأسواق والتعامل بين الناس هى نفسها لغة الشعر والأدب والعلم والفلسفة، لأن التعامل يحتاج إلى لغة سريعة الوفاء بالغرض، ولكنه لايحتاج إلى لغة دقيقة كحاجة العلم إليها، ولا يحتاج إلى لغة جميلة مؤثرة كحاجة الشعر والأدب عموما إليها. إذ يكفى فى لغة التعامل أن يفهم بعض الناس عن بعض من أقرب طريق وأخصره. وقد يستعين المتعاملون على إتمام ما فى العامية من قصور بإشارات اليدين وبتلوين نغمة الكلام وتنويعها، وبالتعبير بقسمات الوجه. ومن الواضح أن لغة الأسواق لا تناسبها لغة راقية معقدة التركيب ـ ككل ما هو راق، فالبساطة تلازم الحالات الفطرية الساذجة ـ لأن قواعد اللغة الراقية تضيع وقت المتعاملين الذين لايحتاجون للدقة أو الجمال حاجتهم إلى السرعة. فاستعمالهم الفصحى فى التعامل يشبه استعمال الموازين الدقيقة التى يوزن بها الذهب والأحجار الكريمة فى وزن الخبز والملح. أو استعمال المقاييس الهندسية الدقيقة فى قياس الأقمشة ومسح الطرقات، فهو إسراف فى التأنق وبعثرة للجهد وتضييع للوقت، لايصبر عليه البائع ولا المشترى. ثم إن اللغة الراقية التى تنظمها القواعد لاتصلح لحاجات الحياة اليومية من وجه آخر. فقواعد اللغة الفصحى تجعل تطورها بطيئا وصعبا، بينما لغة التعامل والأسواق تسد حاجات متغيرة يطرأ عليها كل يوم جديد لم يكن بالأمس. أما لغة الأدب فهى سجل لحالات عقلية ونفسية ثابتة متصلة، من الخير أن نحرص فيها على صلة الخلف بالسلف إلى أبعد مدى ممكن؛ لكى ينتفع بتجاربه فيزداد بذلك علما ودراية ومتعة وذوقا. نحن نقرأ ما كتب فى الأدب منذ آلاف السنين فنجد فيه صورة من تفكيرنا الراهن ومن أحاسيسنا الحية. ولذلك فالأدب محتاج إلى لغة أكثر استقرارا لتحقيق هذه الصلات بين القديم والجديد. وهو يحتاج إلى لغة مصفاة منتقاة، للكلمات فيها وللعبارات تاريخ وظلال تعوض بعض ما فى اللغة من قصور فى التعبير عن مكنونات النفس وخطرات الفكر. اللغة محدودة بكلمات المعاجم. أما الأحاسيس والأفكار التى يموج بها عالم النفس والعقل فهى خفية متعددة متجددة لاتكاد تدخل تحت حصر فى تنوعها وفى دقة الفوارق بين بعضها وبين البعض الآخر. لذلك كان لابد للأديب أن يستعين على إتمام قصور اللغة هذا باستغلال خصائص الكلمات الصوتية واستغلال ظلال الكلمات مفردة ومركبة. وإنما تنشأ ظلال

الكلمات مما ترتبط به فى تاريخها الطويل من استعمالات ومما فى طبيعة تركيبها الصوتى من أسرار . وذلك كله لا يتوافر إلا فى الكلمات التى صفاها طول الاستعمال فأثبت بقاؤها على تقلب الظروف والأحوال والأزمان صلاحيتها للبقاء ، والتى صقلتها ألسن القائلين وآذان السامعين وأذواق النقاد ، والتى شحنها وأغناها ما تراكم حولها من المعانى والأطياف التى تقلبت بينها فى تنقلها الطويل عبر التاريخ .

من ذلك كله يتضح أن لغة الأسواق شيء وأن لغة الأدب شيء آخر . وكل منهما صحيحة فى ميدانها . فهما كلباس المصنع أو المهنة ولباس المسجد أو المحافل ، يتخذهما العامل ويقتنيهما جميعا ، ولكنه يستعمل كلا منهما فى موضعه ، فلا يلبس للمصنع لباس المسجد والمحافل ، ولا يلبس للمساجد والمحافل لباس المصنع والمهنة . كذلك الشأن فى لغة التعامل اليومى وفى لغة الأدب ، تمتاز إحداهما من الأخرى حسب طبيعة كل منهما ووظيفتها . وهذه ظاهرة طبيعية مطردة التحقق واللزوم فى كل اللغات قديمها وحديثها ، شرقيها وغربيها . فقد كان للناس دائما لغة للأدب تختلف عن لغة الحديث والمساومة والتعامل منذ كان لهم أدب رفيع . لأن البدائيين وحدهم هم الذين يكتبون أدبهم بلغة الحديث . فإذا تطور هذا الأدب وسما ارتفع عن لغة الحديث وخلف لغة الأسواق والتعامل وراءه . ولو اتخذت لغة الأسواق لغة للأدب على ما يريده الخادعون والمخدوعون ، فتطورت وارتقت ، لنشأ إلى جانبها حتما لغة أخرى للأسواق تتحرر من قواعد اللغة الأدبية وقيودها ، وتنزع عنها ما لا تحتاج إليه مما يفيد الدقة أو الجمال حتى تسعف البائع والمشترى والصانع والزارع والسائل والمسئول من ناحية ، ولكى تساير حاجات الحياة وشئونها المتجددة من ناحية أخرى . وإذن لا نكون قد قربنا بين اللغتين على ما يزعم أصحاب ذلك المذهب ، ولكن كل ما نبوء به عند ذلك هو قطع الصلات بيننا وبين الماضى كله بما فيه من دين ومن علم ومن أدب ومن تاريخ ومن تجارب إنسانية متعددة ، فهو بمثابة إعدام هذه السجلات الحافلة ، مما يجعل مهمة الأحياء والأجيال المقبلة صعبة إلى درجة التعذر فى تقصى حقائق الأشياء وتأريخها .

ومع ذلك كله فالأدب بطبعه متعة عقلية وروحية . وهو بهذا الاعتبار ليس هواية شعبية وليست المشكلة فيه هى مشكلة الألفاظ فحسب ، ولكنها مشكلة الأفكار والأخيلة التى تحتاج فى تذوقها إلى مستوى ثقافى معين . فمهما نعمل على تيسير الألفاظ وجعلها فى متناول عامة

الناس فلن يستطيعو إلا فهم ما يلائم عقولهم وثقافاتهم من الآداب السطحية التى لا تعبر عن أغوار الحقائق وأعماقها . ذلك هو المدلول الحقيقى لكلمة ( الادب الشعبى ) . فالأدب الشعبى لا يتميز بلغته فحسب ، ولكنه يتميز أولا وقبل كل شئ بسطحيته فى التفكير وبساطته التى تلائم السذج من البدائيين ، ولكنها لا تشبع حاجات المثقفين وطلاب المعرفة من أصحاب الفكر الرفيع والذوق الرهيف والمزاج الصافى الصقيل .

زعم رئيف أبو اللمع الأمين العام المساعد للشئون الثقافية فى مقدمة الكتاب أن على اللغة ( أن تساير المجارى المتدفقة المسرعة من تحوير وتبديل وتعديل وتجديد ، فإذا لم تتبع اللغة العربية سنة النشوء والارتقاء فقدت عناصر الحياة - ص ٢ ) . وزعم الزيات عضو مجمع القاهرة أن إزالة السد القائم بين الفصحى والعامية سيقضى على ( مساوئ الفصحى أو عنجهيتها فتموت كما يموت الحوشى المهجور من كل لغة - ص ٨٥ ) ، والواقع أن هذا التطور الذى يتحدث عنه الأمين على ثقافة العرب حادث فعلا ، وهو يحدث كل يوم ، ولكنه يحدث من تلقاء نفسه ولا تحشد له المؤتمرات لتصطنعه .

والتطور على كل حال ينبغى أن يكون بالقدر الذى لا يقطع صلتنا بالماضى ، وبالقدر الذى لا يخشى معه أن يتطور إلى قطع صلة الأجيال المقبلة بالجيل الماضى أيضاً ، بحيث يتحول قرآننا وحديث نبينا وفقه فقهائنا إلى طلسم لا يقرؤه إلا طلبة من الكهان يحتكرون تفسير الإسلام . هذا التطور واقع ؛ لأن حاجات الحياة تدفع إليه ، فالناس مضطرون إلى التعبير عن أنفسهم وعن الحياة فى مختلف نواحيها : فى أدبهم وفى صحفهم وفى إذاعاتهم التى تحكى ما يجرى فى الحرب والسلم ، وفى قصصهم وفى كتبهم العلمية التى تضطر إلى استحداث الألفاظ لما يستحدث من آلات أو أدوات أو متاع ، ومن كشوف جديدة أو حقائق أو نظريات . والمهم فى ذلك كله هو أن يحرص العرب على استعمال لغتهم العربية فى كل هذه الميادين ، كما دعا إلى ذلك بحق وإخلاص عارف النكدى عضو الوفد السورى (ص ٨٩ - ١٠٤) ،وكما انتهى إليه المؤتمر فى توصياته ( ص ٢٧٨ ) ، فتحرص الإذاعات والصحف ومنابر العلم عامة والجامعات خاصة والقضاء والمؤتمرات على اللغة الفصحى . هذا هو السبيل الطبيعى لتطور ، وما عداه فهو وسائل صناعية لا تؤدى إلا إلى البلبلة ، وهى جعجعة بلا طحن .
أما ما زعمه عضو مجمع القاهرة من موت الحوشى وتصفية اللغة وتنقيتها فهو لا يتوقف على تفاعل الفصحى مع العامية كما يزعمه . فالحوشى يموت بطبعه كما يذهب كل باطل وكل ثقيل

وكل مستهجن غير صالح ، لأن الأدباء والشعراء والعلماء ينفرون من استعماله . وهؤلاء هم في الحقيقة - بما وهبوا من ذوق - صناع اللغة . وهم الذين يقومون بمهمة التصفية التي يتحدث عنها الكاتب ، ومن وراء هؤلاء الأدباء والشعراء والعلماء الذوق العربي العام الممثل في جمهور القراء والرواة ، فهم الذين يحكمون على الصالح بالبقاء لأنهم يتناقلونه خلفا عن سلف ، وينشرونه في الآفاق ، بينما يحكمون على الساقط والسخيف الركيك بالموت ، لأنهم يهملونه ولا يكترثون له . وهؤلاء هم المحكمة الصادقة التي لا تخضع للأهواء ، ولا يجوز عليها التزييف والتزوير .

وطه حسين ومن ذهب مذهبه مثل مندوب حكومة تونس في هذا المؤتمر يوهمون الناس بأن هناك خطراً على العربية الفصحى أن يهجرها الناس إلى العامية إذا لم تخضع لما يريدونه من تطور ( ص ٢٨٣ ، ٢٠٩ ) . ويبني مندوب الحكومة التونسية على هذا الوهم أو الإيهام اقتراحا بأن ( يشتغل عدد من علمائنا باللغات العامية وأن يدرسوها دراسة دقيقة - ص ٢٠٩ ) كما يقترح على المجامع اللغوية ( أن تؤلف لكل قطر معجما صغيرا - ص ٢٠٨ . والذي ينقض هذا الزعم الباطل من أساسه هو الواقع المشاهد في القديم السالف وفي الحاضر الراهن ، الذي أثبت أن العربية قد عاشت جنبا إلى جنب مع هذه اللهجات المحلية أكثر من ألف عام حتى الآن .

فالخوف من إعراض أصحاب اللغة العربية عنها هو وهم اخترعه هؤلاء المغرضون ، أو اخترعه لهم سادتهم ثم قاموا هم بترويجه . وينقض هذا الوهم أو هذا الزعم أن العربية قد استطاعت أن تحيا خلال بيئات متفاوتة وعصور متطاولة ودرجات من الحضارة والمدنية أدناها البداوة وأعلاها ما وصلت إليه في بغداد وفي الأندلس . استطاعت - وهي اللغة البدوية - أن تكفي حاجات ما جد من علوم ودراسات . وظلت مع ذلك كله هي هي . نقرأ القرآن بعد أربعة عشر قرنا من نزوله فكأنه أنزل اليوم ، ونقرأ الجاحظ والمتنبي بعد ألف سنة أو أكثر فكأنما نقرأ لكتاب ولشعراء معاصرين . وقد تجاورت لغة الأدب الرفيعة ولغة الحديث العامية طوال هذه القرون على اختلاف البيئات فلم تطغ إحداهما على الأخرى ، ولم تنفر إحداهما من مجاورة صاحبتها . ومع ذلك فإن هذا الخطر الموهوم المزعوم يكفي في دفعه - إن كان - أن تحسن الدولة القيام على تعليم العربية في مدارسها وأن تلزم باستعمالها في المجالس النيابية ، وفي دور القضاء وفي الإذاعة وفي المحافل والمجامع على اختلافها . ولا أظنني محتاجا إلى أن أنبه للخطورة التي ينطوي عليها اقتراح مندوب تونس .

وما أظن أحدا سينخدع بما يبدو فى ظاهر قوله من البراءة حين يتظاهر - مثل طه حسين - أنه معارض فى استعمال اللغة العامية للكتابة الأدبية ، وحين يشترط فى المعاجم المقترحة أن لا تتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التى بقيت مستعملة بمعناها الأصلى فى لغة ذلك القطر - ص ٢٠٨ ) فالمهم فى الأمر هو أن معاجم اللغة العربية سوف تختلف باختلاف بلاد العرب وأقطارهم ، وأن المعجم التونسى والمعجم المصرى والمعجم العراقى والمعجم الشامى والمعجم الحجازى والمعجم اليمنى سوف تصبح بتنفيذ هذا الاقتراح حقيقة واقعة . وهذه المعاجم المقترحة نفسها سوف تصبح بدورها موضع تنقيح وتغيير وتعديل ، وسوف ينأى بها كل تنقيح جديد عن أصلها الأول ، حتى يتناكر المتعارف ويتفرق المجتمعون ثم لا يرجى لصدعهم رأب . ذلك هو المصير المظلم الذى يبدأ بدعوة خلابة براقة بريئة الظاهر إلى دراسة اللهجات والعناية بما يسمونه تمويها على الشعوب بالآداب الشعبية .

وقد اعتمد طه حسين على هذا الأسلوب نفسه فى الدعوة إلى تبديل النحو والخط حين قال ( إن أبينا إلا أن نمضى كما كان النحو وكما كانت الكتابة فلا بد أن تنشأ عن هذه اللغة العربية الفصحى القديمة لغات مختلفة كما نشأت الفرنسية والإيطالية والبرتغالية عن اللغة اللاتينية القديمة - ص ٢٣٨ ) . وينخدع الناس عن حقيقة ما يدعوهم إليه حين يعقب ذلك بقوله ( وبعد فلا أدعو أن تهجروا القديم مطلقا ، وعلى أن أكون من أشد الناس محافظة على قديمنا العربى ، ولا سيما فى الأدب واللغة . ولكن لم لا يكون النحو القديم والكتابة القديمة والبلاغة القديمة وكل هذه العلوم العربية التى أنشئت فى عصر غير هذا العصر الذى نعيش فيه . . . لم لا يكون هذا كله متطورا كما تطورت اللغة ؟ نحتفظ بقديمه لدرس المتخصصين فى الجامعات وفى المعاهد ونتيح للملايين البائسة من الصبية والشباب أن يتعلموا تعلما قريبا سهلا - ٢٣٨ ) .

والعجيب فى الأمر أن منصور فهمى يشيد بعد ذلك فيما أحصاه من محاسن مجمع القاهرة بجهوده فى ( تيسير النحو والصرف والإملاء ) و ( ودراسة اللهجات العربية ) و ( وتيسير الكتابة والخط ) . فهل أصبحت مهمة مجمع اللغة العربية فى القاهرة هى دراسة اللهجات العامية وتبديل قواعد النحو والصرف والإملاء والكتابة بحيث يصبح أى أثر من آثارنا طلسما من الطلاسم ، بل بحيث يكون هذا نفسه هو مصير كل أثر عربى معاصر لا يتبع مذهب مجمع القاهرة فى التغيير والتبديل ؛ وماذا يحدث إذا نهج مجمعنا فى تيسير النحو والصرف والبلاغة على غير منهج المجامع العربية الأخرى ؟ بل ماذا يحدث إذا اتفقت مجامع العرب على أشياء

ورفضها المسلمون ؟ لأن المسلمين إنما يدرسون هذه العلوم للاطلاع على مصادر دينهم ، وهى جميعا تستعمل اصطلاحات النحاة والبلاغيين التى يسمونها قديمة . وإذا انصرف الناس فى مصر عن دراسة كتب ( النحو القديم ) و ( البلاغة القديمة ) كما يسميها طه حسين وحزبه ، وجروا وراء كل ناعق يزعم أن القواعد القديمة معقدة ، وذهب كل منهم مذهبه فى استنباط قواعد جديدة ، وتسمية المسميات بأسماء مبتكرة فقدت الاصطلاحات قيمتها . فإنما ترجع قيمة الاصطلاح إلى تواضع الناس عليه ، فإذا اختلف الناس فيه لم يعد اصطلاحا . فإذا قال مثلا ( هذا فاعل ) لم يفهم عنه الذى يسمى الفاعل فاعلا لأنه قد ابتكر له اسماً جديداً فسماه ( موضوعا ) أو ( أساسا ) أو ( مسنداً إليه ) . وإذا قال أحدهما هذا حال أو تمييز أو ظرف أو مفعول معه أو مفعول لأجله لم يفهم الآخر الذى لا يميز بين حالة من هذه الحالات لأنه يسميها جميعا ( تكملة ) . وقس على ذلك سائر قواعد النحو والبلاغة (١) .

والنحو العربى — ولا أقول « النحو القديم » كما يسمونه — ما عيبه ؟ وهل هو حقا كما يزعمون معقد صعب ؟ وهل ثبت فشله كما يزعمون فى تنشئة جيل عربى يقيم عربيته ويحسن تذوقها ؟ نحونا وبلاغتنا لا عيب فيهما . ومن الممكن تبسيطهما واختصار المطولات المؤلفة فيهما فى حدود القواعد والأقسام التى التزمها القدماء أنفسهم . فالواقع أن اجتماع الناس فى كل أمصار العرب - بل المسلمين - على قواعد موحدة ، دون أن تحملهم على ذلك قوة قاهرة أو تلزمهم به سلطة منفذة ، أو تقوم على نشره دعاية تروجه عصابات تسوق الناس إليه ، هذا الاجتماع على قواعد موحدة فى النحو والصرف والبلاغة بعد أن كانت مدارسها متعددة هو وحده الدليل الحى الذى لا ينقض على صلاحية هذه القواعد ، وعلى أن هذه الدعوات إلى تغييرها بدعوى التيسير أو الإصلاح هى دعوات مفتعلة يروجها هدامون وينساق وراءها مغفلون. ولو كان القصد هو التيسير حقاً لقنعوا بصنيع لجنة (حفنى ناصف ، ودياب، وطموم ، ومحمود عمر ، وسلطان محمد ) فى كتاب ( قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ) الذى ظلت مدارسنا تتداوله سنين طويلة . فقد نجحت هذه اللجنة فى حصر قواعد النحو والصرف والبلاغة فى كتيب صغير لا يتجاوز مائة وأربعين صفحة ، خال من التعقيد ، يفى بحاجة التلاميذ والمتعلمين . وقد كان صنيع الجارم من بعد ذلك حسنا حين يسر هذه القواعد ومهد

(١) راجع مجلة مجمع اللغة العربية ٦ : ١٨٨ وراجع كذلك كتاب القواعد الذى تداوله طلبة السنة الأولى من المرحلة الإعدادية فى العام الدراسى المنصرم .

لها بالأمثلة الكثيرة ، وأعان على إقرارها بالتمرينات المتعددة، وكان ذلك كله فى حدود القواعد التى أثبتت ألف سنة صلاحيتها ، والتى استطاع العرب بفضلها وحدها - ولا شيء سواها - أن يخرجوا فى القرن الأخير هـذا الجيش الضخم من الشعراء والأدباء والنقاد الذين بلغ بعضهم مستوى أندادهم الأقدمين فى أزهى عصور الشعر والأدب العربى . وذلك من بعد أن أدرك الضعف العربية حتى كاد يدنيها من القبر . كيف وجد البارودى وشوقى ؟ وكيف نشأ محمد عبده وطبقته من الكتاب ؟ وكيف وجد الرافعى والمنفلوطى ؟ بل كيف وجد المنادون بهذه البدع أنفسهم مثل طه حسين وإبراهيم مصطفى ؟ كيف استقامت ألسنتهم وصحت أساليبهم ؟ وذلك من بعد الركاكة التى تتمثل فى كاتب كالجبرتى يعتبر من أحسن كتاب عصره ؟ هل أتقن هؤلاء العربية عن طريق آخر غير قواعد النحو والصرف والبلاغة التى يزعم الزاعمون اليوم أنها معقدة وغير صالحة ؟ فأيهما نصدق ؟ هل نصدق واقعا قائما ماثلا راسخا قديما أثبته ألف سنة وأعادت إثباته وتأكيده تجربة القرن الأخير ؟ أم نصدق مزاعم لم نر من آثارها منذ ظهرت إلا الشر وإلا التدهور والانحطاط فى مستوى تدريس العربية ؟ إن انحطاط مستوى الجيل الحاضر فى اللغة العربية أمر واقع ، ولكن سببه ليس هو صعوبة القواعد ( القديمة ) ، بل إن سببه هو زعم الزاعمين أنها معقدة ، لأنه قد صرف الناس عن إتقانها إلى التنقل بين تجارب فجة غير ناضجة ، وأعان على إقرار ما يتوهمه التلاميذ والمدرسون من صعوبتها ، بل اختلق هـذا الوهم نفسه بعد أن لم يكن . والدليل على ذلك أن الجيل السابق لهذا الجيل - وهو جيل لايزال كثير من أفراده أحياءا - أحسن إتقانا للعربية ، رغم أنه قد نشأ فى ظل الاستعباد الإنجليزى وبرامجه ، أو فى ظل سياسة التتريك التى جن بها دعاة الطورانيـة من الاتحاديين . وحسب الداعين بهذه الدعوة هزالا وفشلا ما اقترحوه على المدارس الإعدادية فى العام الماضى من قواعد بينة الضعف والفساد والهزال ، مما أرجو أن أعود للحديث عنه فى غير هذا المقال . لم يزالوا يطبلون ويزمرون ويطنطنون ويهولون ، فلما رأى الناس المولود الذى كانوا يبشرون به من قبل قالوا ( تمخض الجبل فولد فاراً ) .

ولكى ندرك خطر هذه الدعوات ونفهم حقيقة مغزاها لابد لنا أن نقرنها إلى أمثالها ، فننظر إليها فى ظل ما نسمعه من الدعوة إلى تطوير عاداتنا وتقاليدنا ، وتطوير أدبنا شعره ونثره شكلا وموضوعا وأسلوبا ، وتطوير ألحاننا وأغانينا ، وتطوير زينا نساء ورجالا ، وتطوير قيمنا ومثلنا الأخلاقية والاجتماعية ، وتطوير تشريعنا بل تطوير إسلامنا نفسه .

من أجل النظر فى هذا كله وقرن بعضه إلى بعض عرف أن أصل هذه الفروع واحد ، وأن روح الدعوة فيها جميعاً واحدة ، وأن أصحابها لا يقنعون إلا بقطع كل ما يربطنا بإسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا من وشائج وصلات . عند ذلك نفقد طابعنا الذى يميزنا بوصفنا جماعة أو قوما أو أمة . وإذا فقدنا طابعنا فقدنا كياننا ، وفقدنا القدرة على التكتل والتجمع ، وأصبح من اليسير على الشرق أو الغرب أو كائنا من كان من خلق الله أن يلحقنا به ويجعلنا تابعين له ندور فى فلكه ونسبح بحمده من دون الله .

والقائمون على ترويج هذه الدعوات كالجراثيم ، تكمن حين تأنس من الجسم مقاومة حتى يظن المريض أن الداء قد ذهب عنه ، ولكنها تتحصن فى واقع الأمر حتى تجد فرصة أخرى ملائمة للظهور فتثور . وقد نشط أصحاب هذه الدعوات فى السنوات الأخيرة ؛ لأنهم يعرفون أن الثورات هى أكثر الظروف ملاءمة لبث سمومهم ، إذ يلبسون ثياب الناصحين ويندسون فى غمار الثائرين الذين يريدون أن يستبدلوا بأسباب الضعف والفساد أسبابا للحياة والقوة والبناء ؛ كما يندس المخربون والمأجورون من عملاء العدو وسط جموع المتظاهرات ، يحطمون المصابيح ويحرقون المنشآت ، فيقلدهم غيرهم فى صنيعهم دون تمييز بين ما يصلح تحطيمه وما يضر تحطيمه .

بقى بعد ذلك كله أن أشير إشارة موجزة إلى مصدر هذه الدعوة ، كيف بدأت ومن أين ثارت ، فقد يعين ذلك على تقديرها وعلى تصور ما تنطوى عليه من الصدق والإخلاص ، والبراءة من الهوى .

لم يسمع لداع بهذه الدعوة صوت قبل القرن الأخير . وكل ما كان قبل ذلك من إشارة إلى العامية أو ما كان يسميه قدماء المؤلفين ( خطأ العوام ) فقد كان المقصود به تقويم اللسان والتنبيه إلى الخطأ ، لا الاحتفاء بألفاظ العامة وأساليبهم وتسجيلها والدعوة إلى معارضة لغة القرآن بها . فالدعوة لم تنشأ إلا فى ظل استعباد الغرب لبلاد العرب والمسلمين وفى حماية من ناحية ، وفى حضانة التبشير من ناحية أخرى . ويكفى أن أذكر فى ذلك على سبيل الاختصار أسماء سبتا Wilhelm Spitta وفولارز K. Vollers وباول A. Powell وفيلوت D. C. Phillott وبوريان M. Bouriant وماسبيرو M. Gaston Maspero

الذين قادوا هذه الدعوة فى مصر منذ سنة ١٨٨٠ فظهر صداها فى صحيفة المقتطف الشهرية أولا سنة ١٨٨٢ (١) ثم انتقل إلى بقية السماسرة .

جمع بعض هؤلاء المؤلفين أو الدعاة على الأصح - وكلهم ممن شغل وظائف عامة فى ظل الاحتلال الإنجليزى لمصر - طائفة من الحكايات المتداولة بين طبقات العمال والكادحين فى مصر ممن لم يصيبوا حظا من التعليم ، ونادوا باتخاذ اللهجة التى كتبت بها هذه الآثار لغة للتدوين والتأليف والأدب الرفيع . ووضع بعضهم الآخر كتباً استنبط فيها قواعد للهجة مصر العامية - وقد اقتصر معظمهم على لهجة القاهرة - محاولا إقناع المصريين بأن لهجتهم هذه لها كل مقومات اللغة الراقية . ولاك الناس كلامهم من بعد ، فردده كل ببغاء وكل بوق وكل سمسار وكل فاسد العقيدة مزعزع الإيمان . وليس فى كلام هؤلاء جميعا على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم - من لطفى السيد وحزبه إلى طه حسين وشيعته - فكرة جديدة . فكل ماقالوه وما يقولونه ترديد لما قاله هؤلاء . حتى الذين أكثروا من الكلام فيما سموه ( الأدب الشعبى ) وادعوا أنهم جمعوا فيه ما جمعوا من آثار لم يكونوا إلا ناقلين مما جمعه أمثال ماسبيرو وبوريان . بل لقد اعتمدوا عليهم فى تصنيف ما جمعوه وفى ترتيبه وتبويبه أيضاً . ولولا خشية الإطالة وضيق المقام لأوردت النصوص التى تثبت ما أقول .

وبعد ، فقد وعد الله سبحانه أن يحفظ قرآنه ، إذ قال وقوله الحق ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) . وهل يكون حفظه إلا بحفظ لغته ؟ وإنى لأعرف أن الهدامين من الإنس والجن أضعف كيداً من أن ينقضوا ماقضاه الله سبحانه . وإنما أقول ما أقول إبراءاً للذمة ، واغتناما للأجر ، وخضوعا لسنة الله الذى يضرب الحق والباطل ، والذى ألزم أهل الإيمان محاربة أهل الكفر والضلال ومكافحتهم ليبلو بعض الناس ببعض . وإنما هو قضاء سبق فى علم الحكيم العليم وتقديره ، يشقى به المفسدون ومن تبعهم - وبعملهم يشقون - ويسعد به من هداهم الله للذود عن الحق والمنافحة عن الدين ، فى يوم يتبرأ فيه أئمة الشر ممن تبعوهم ، ويقول الذين اتبعوهم ( لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . وما هم بخارجين من النار ) .

محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

---

(١) صلة فارس نمر صاحب المقتطف بالاحتلال الإنجليزى مشهورة معروفة . وقد كان المستر سمارت مستشار السفارة الإنجليزية - أو دار المندوب السامى كما كانت تسمى وقتذاك - زوجا لابنته .

# نقد كتاب

## « أضواء على السنة المحمدية »

## ( ٣ )

ذكر المؤلف في ص ٨ أنه بعد أن لبث زمنا طويلا يبحث وينقب بعد أن أخذ نفسه بالصبر والأناة ؟ انتهى إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة « ذلك أني وجدت أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث ( كلها ) مما سموه صحيحا أو ما جعلوه حسنا ـ حديث ـ قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه كما نطق به الرسول ... وقد يوجد بعض ألفاظ مفردة بقيت على حقيقتها في بعض الأحاديث القصيرة وذلك في القلة والندرة ، وتبين لي أن ما يسمونه في اصطلاحهم حديثا صحيحا إنما كانت صحته في نظر رواته لا أنه صحيح في ذاته » .

وقد بلغ المؤلف الغاية في المجازفة في الحكم ، ونحن لا نقول : إن الأحاديث كلها رويت بألفاظها وكيف ؟ وقد ثبت أن القصة الواحدة أو الواقعة رويت بألفاظ مختلفة وإن كان المعنى واحدا ، ولا نقول : إن الأحاديث كلها رويت بالمعنى ـ كما زعم ـ وكيف ؟ ومن الأحاديث ما اتفقت الروايات على لفظها ، أفلا يدل اتفاق الروايات على اللفظ أن هذا حقيقه اللفظ المسموع من الرسول ؟ ومن الأحاديث ما لا يشك متذوق للبلاغة أنها من كلام أفصح العرب ، وأنها لن تخرج إلا من مشكاة النبوة ، ومن قبل أدرك أئمة في اللغة والبيان هذه الحقيقة فألفوا الكتب في البلاغة النبوية .

ومما ينبغي التنبه إليه أن أكثر ما ترد الرواية باللفظ في الأحاديث القصيرة ، على أن ورود الرواية بالمعنى في الأحاديث الطويلة إنما تكون في الكلمة والكلمتين والثلاث ، وقلما تكون الرواية بمعنى في جميع ألفاظ الحديث ، وهذا شيء نقوله عن دراسة واستقراء . وليس أدل على ذلك من أن حديث بدء الوحي المروى عن السيدة عائشة في الصحيحين وغيرها ـ وهو من الأحاديث الطويلة ـ لا تكاد تجد الرواة اختلفوا فيه إلا في بعض ألفاظ قليلة نادرة . وبحسبنا هذا الآن ، وعند مناقشته في بحث الرواية بالمعنى الذي عقده في كتابه سأفيض في الرد عليه ، وسأبين أن بعض ما استدل به هو دليل عليه لا له ، وإليك ما قاله

فى هذا الشأن إمام من أئمة الحديث ـ غير مدافع ـ وهو الحافظ ابن حجر قال « ومن أمثلة جوامع الكلم من الأحاديث النبوية حديث عائشة « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » . وحديث « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » متفق عليهما ، وحديث أبى هريرة « وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وحديث المقداد « ما ملأ ابن آدم وعاءا شرا من بطنه » الحديث أخرجه الأربعة وصححه ابن حبان والحاكم ، إلى غير ذلك مما ( يكثر ) بالتتبع ، وإنما يسلم ذلك فيما لم تتصرف الرواة فى ألفاظه ، والطريق إلى معرفة ذلك أن تقل مخارج الحديث وتتفق ألفاظه (١) » .

وأزيد على ما ذكره الحافظ حديث « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وحديث « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة » وحديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وحديث « ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم » الخ . وحديث « وهل يكب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم » ، وحديث « إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم » ، وحديث « الحياء من الإيمان » إلى غير ذلك من الأحاديث المتكاثرة التى جاءت على حقيقة لفظها ومحكم تركيبها .

أما ما ادعاه من أنه تبين له أن ما سموه صحيحا إنما هو فى نظر رواته لا أنه صحيح فى ذاته ، فشىء سبق به من ألف سنة أو تزيد فقد قال أئمة الحديث : أن الحكم على الحديث بالصحة أو الحسن أو الضعف إنما هو بحسب ما ظهر للإمام المحدث من تحقق شروط الصحة أو الحسن أو عدم تحققها ، وليس المراد أنه صحيح أو حسن أو ضعيف فى الواقع ونفس الأمر ، إذ لا يعلم ذلك يقينا إلا علام الغيوب ، وأنه يجوز ـ عقلا ـ أن يكذب الصادق ويصدق الكذوب ، وهذا التجويز العقلى دعاهم إليه التعمق فى البحث والتأنى فى النظر والتثبت فى الحكم وبلوغ الغاية فى النصفة .

* * *

قال فى ص (١٠) : ولو أن الحديث دون فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم كما دون القرآن واتخذ له من وسائل التحرى والدقة ما اتخذ للقرآن لجاء كله ( متواترا ) كذلك . ولما اختلف المسلمون فيه هذا الاختلاف الشديد الخ ما قال .

(١) فتح البارى ج ١٣ ص ٢١١ .

وكأن المؤلف منهم أن السبب فى تواتر القرآن كونه كتب فى العصر النبوى ، والحق خلاف ذلك . فالتواتر إنما جاء فى القرآن الكريم من جهة لفظه ونقله ، فقد تلقاه عن النبى صلى الله عليه وسلم وحفظه الألف من الصحابة ، وعن هؤلاء أخذه الألوف المؤلفة من التابعين ، وهكذا تلقاه العدد الكثير الذى يثبت بهم التواتر عن العدد الكثير حتى وصل إلينا متواترا وسيستمر كذلك حتى يرث الله الأرض وما عليها ، فالمعول عليه فى تواتر القرآن هو الحفظ والتلقى الشفاهى لا الأخذ من الصحف ، أما الكتابة فقد كانت من دواعى الثبوت والحفظ ليجتمع للقرآن الوجودان : الوجود فى الصدور ، والوجود فى الصحائف والصدور ، كما كانت معتمد الجامعين للقرآن فى الصحف والمصاحف فى عهدى أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما ، فقد كانوا حريصين أن يكتبوه من عين ما كتب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم . ولو أن السنة دونت فى العهد النبوى ولكن لم يحفظها من يتم بهم التواتر لما جاءت كلها متواترة - كما زعم -[1] فالعبرة فى التواتر وعدمه إنما هو رواية الكثيرين أو عدم روايتهم . ومع أن السنة لم تدون فى العصر النبوى فقد جاء بعضها متواترا ، وإن كان قليلا ، ولو أن المعول عليه فى التواتر الكتابة لكانت الكتب التى دونت وأحيطت بالعناية والدقة كلها متواترة وأنى هى ؟ .

* * *

ذكر فى ص (١٧) أنهم جعلوا السنة القولية فى الدرجة الثانية أو الدرجة الثالثة من الدين وأنها تلى القرآن فى المرتبة ، وبعد أسطر قال : وأما الذى هو فى الدرجة الثانية من الدين فهو السنة العملية ، ومفهومه أن السنة القولية ليست فى الدرجة الثانية . ولا ندرى ما منشأ هذا الاضطراب وعدم الثبوت على رأى حتى خالف عجز كلامه صدره ؟ !! ثم ساق كلام الإمام الشاطبى فى الاعتصام وليس فى كلام الشاطبى ما يمهد للتفرقة بين السنة القولية والعملية ، بل دل كلام الشاطبى على أن المراد بالسنة القول والفعل والتقرير ، ثم نقل السيد رشيد رضا قوله « والعمدة فى الدين كتاب الله تعالى فى المرتبة الأولى والسنة العملية المتفق عليها فى المرتبة الثانية ، وما ثبت عن النبى وأحاديث الآحاد فيها رواية ودلالة فى الدرجة الثالثة ، ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجياً فى الآخرة مقربا عند الله تعالى وقد قرر ذلك الغزالى » .

---

(١) عرف العلماء المتواتر بأنه مارواه جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب ، وقالوا : إنه يفيد العلم اليقينى ، والآحاد ما ليس كذلك .

فها أنت ترى أن ما نقله ليس فيه مايشهد لمااضطرب فيهمن كلامه ، والذى عليه المحققون أن السنة - قولا وعملا وتقريرا - هى الأصل الثانى ، والأصل الأول هو الكتاب ، على أن ما ذكره السيد رشيد وجعله فى المرتبة الثانية هو السنة العملية المتفق عليها لامطلق سنة عملية ومثل هذا كان فى حاجة إلى تحرير ، لا أن يدع القارئ فى مهمه من الشك والاضطراب .

فى ص ( ٢٩ ) تحت عنوان « الصحابة ورواية الحديث » قال : وفى رواية ابن حزم فى الأحكام أنه حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء فى المدينة على الإكثار من الحديث .

وقد تجنى المؤلف على الحقيقة ، وابن حزم ما تجنى . فقد أوهم القارئ أن ابن حزم رواه ، وليس من روايته قطعاً ، وإنما ذكره فى كتابه ، وفرق بين الذكر والرواية كما يعلم ذلك المبتدئون فى علم الحديث ، وأوهم القارئ أيضاً أنه ارتضاه ، وابن حزم برىء منه ، وإنما زيفه وبين بطلانه . وإليك ما ذكره ابن حزم فى الأحكام : « وروى عن عمر أنه حبس ابن مسعود من أجل الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وأبا الدرداء وأبا ذر » . فقد ذكره بصيغة « روى » الدالة على التضعيف ، ولو كان من روايته لقال : ورويناً ، وقد طعن ابن حزم فى الرواية بالانقطاع لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روايه عن عمر لم يسمع منه ، والمنقطع من قبيل الضعيف لا يحتج به ، لجواز أن يكون البلاء فى الرواية من المحذوف وأنه هو الذى اختلقها . ثم قال ابن حزم [١] : « إنه - أى الخبر - فى نفسه ظاهر الكذب والتوليد ، لأنه لا يخلو عمر من أن يكون اتهم الصحابة وفى هذا ما فيه ، أو يكون نهى عن نفس الحديث وعن تبليغ السنن وألزمهم كتمانها وجحدها وهذا خروج عن الإسلام ، وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل ذلك . وهذا قول لا يقوله مسلم أصلا ، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين لقد ظلمهم فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات المطعونة أى الطريقتين الخبيثتين شاء » . هذا ما قاله ابن حزم . فهل بعد هذا يزعم المؤلف لنفسه الأمانة فى النقل ؟ ! ولو أن القارئ المتثبت تشكك فيما ينقله هذا الرجل عن العلماء ألا يكون معذورا ؟ ؟ ومن دواعى تزييف الرواية أن ابن مسعود كان يتبع

---

[١] الأحكام ج ٢ ص ١٣٩ .

مذهب عمر وطريقته ، وكان يقول : لو سلك الناس وادياً وشعباً وسلك عمر وادياً وشعبا لسلكت وادي عمر وشعبه . وقد أرسله عمر إلى الكوفة ليعلم أهلها ، وقال لهم : لقد آثرتكم بعبد الله على نفسي . فكيف يعقل أن يخالف عمر فى التقليل من الرواية ؟ وكيف يعقل من عمر أن يحبسه ؟ ؟

ثم كيف غفل المؤلف عن هذا النقد للمتن وهو الذى أنحى على المحدثين باللائمة لأنهم أغفلوا جميعاً نقد المتن ، وأنه هو الذى جاء - فى نقـــد المتون - بما لم يبلغه الأوائل مما زعمه نقداً - والله أعلم - أنه تهجم وتطاول ؟ ؟ ! ! !

بل كيف غفل المؤلف عما يناقض هذا وهو ما ذكره بعد صحيفة واحدة فى ص ( ٣١ ) عن عمر بن ميمون قال : اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنه فما سمعته فيها يحدث عن رسول الله ولا يقول : قال رسول الله . وانه حدث ذات يوم بحديث فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبينه ؟ وهل يليق به - وقد زعم أنه شيخ النقاد - أن يأتى بروايات تناقض أولها آخرها وآخرها أولها من غير أن يعرض لبيان مفصل الحق فيها ؟

السر فى هذا يا أخى القارى أن المؤلف يأخذ ما يشاء بهواه ، ويدع ما يشاء بهواه ، وأنه خطف هذا الكلام خطفا من كلام بعض المستشرقين [١] الذين يتتبعون شواذ الروايات ومنحو لها ، ونسبه إلى ابن حزم كى يضفى عليه شيئاً من القبول .

وفى ص ٣٧ عرض لحديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وذكر ما قاله الحافظ ابن حجر من ورود الحديث فى بعض رواياته بدون « متعمداً » ، وفى بعضها بذكرها فى الصحيحين وغيرهما ، ثم قال : ولكن من حقق النظر وأبعد النجعة فى مطارح البحث يجد أن الروايات الصحيحة التى جاءت عن كبار الصحابة ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين لم تكن فيه تلك الكلمة « متعمداً » ، وكل ذى لب يستبعد أن يكون النبى قد نطق بها . . ولعل هذه اللفظة قد تسللت إلى هذا الحديث من طريق الإدراج المعروف عند العلماء ليسوغ بها الذين يضعون الحديث على رسول الله حسبة - من غير عمد - أو يتكئ عليها

---

[١] أنظر كتاب « نظرة فى تاريخ الفقه الإسلامى » ص ٧١ لترى أنه خطف هـذه الرواية المدسوسة من غير تثبت وتحر .

الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم أو بسوء الفهم لكى لا يكون عليهم حرج فى ذلك ، لأن المخطئ غير مأثوم : وهكذا نجده لا يقتنع بما قاله الحافظ الكبير ابن حجر ليطلع علينا بهذه الفروض والتمحلات ! ! !

وإليك بيان مفصل الحق فى هذا :

١ — روى هذا الحديث من طرق متكاثرة عن كثير من الصحابة فى الصحيحين وغيرهما ، حتى قد أوصلها بعض المحدثين إلى المائة ما بين صحيح وحسن وضعيف ، والحق أن الحديث روى بهذا اللفظ من طرق تصل به إلى درجة المتواتر ، كما حقق ذلك الحافظ فى الفتح [١] . وأما وصول طرقه إلى هذا العـــدد الضخم فذلك فيما ورد فى مطلق ذم الكذب على النبى لا فى هذا اللفظ بعينه ولا فى خصوص هـذا الوعيد ، ثم إنه لم يصح عن أحد من الخلفاء إلا عن على فى الصحيحين وعن عثمان فى غير الصحيحين . لا عن ثلاثة من الخلفاء كما زعم المؤلف [٢] ، وقد جاءت كلمة « متعمداً » فى أغلب روايات الصحيحين [٣] وغيرهما من الكتب المعتمدة وطرق ذكرها أكثر من طرق تركها وأقوى ، فقد وردت فى الصحيحين عن أنس وأبى هريرة والمغيرة بن شعبه وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ولم ترد فى رواية على ولا الزبير بن العوام . والقاعدة عند نقاد الحديث وغيرهم أنه إذا تعارضت الروايات رجح الأكثر والأقوى ، وهنا ترجح روايات ذكر اللفظ ويحمل المطلق على المقيد . ومن دواعى ترجيح الزيادة أنها جاءت عن الزبير بن العوام فى مستخرج الإسماعيلى وفى سنن ابن ماجة [٤] ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، كما أن الزيادة جاءت فى رواية عبد الله ابن عمرو بن العاص وكان قارئاً كاتباً ـ كما فى الصحيح ـ فروايته أوثق من غيره .

٢ — ما زعمه من أن هذه الكلمة وضعت ليسوغ بها الخ غير معقول ، ولا أدرى ـ ولا أحد يدرى ـ كيف يجتمع الوضع حسبة مع عدم التعمد ؟ إن معنى الحسبة أن يقصد الواضع وجه الله وثوابه وخدمة الشريعة ـ على حسب زعمه ـ بالترغيب فى فعل الخير

---

[١] ج ١ ص ١٦٤ وما بعدها .

[٢] المرجع السابق فقد سرد فيه أسماء من روى عنهم من الصحابة بطريق صحيح أو حسن .

[٣] صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم ، صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١ ص ٦٥ — ٧٠ .

[٤] فتح البارى ، ج ١ ص ١٦٢ .

والفضائل ، وهم قوم من جهلة الصوفية والكرامية جوزوا الوضع فى الترغيب والترهيب ، فكيف يجامع قصد الوضع عـــدم التعمد ؟ ! ! وتفسير الحسبة بأنها عن غير عمد غير مقبول ولا مسلم .

وأما تجويزه أنها أدرجته ليتكئ عليها الرواة الخ فمردود . ذلك أن رفع إثم الخطأ أو السهو ليس بهذه الكلمة وإنما ثبت بأدلة أخرى وقد تقرر فى الشريعة أنه لا إثم على المخطئ والناسى ما لم يكن بتقصير منه ، فذكر الكلمة لا يفيد هؤلاء الرواة شيئاً ما دام هذا أمرا مقررا ، والسر فى ذكرها أن الحديث لما رتب وعيداً شديداً على الكذب ، والمخطئ والساهى والناسى لا إثم عليهم ، كان من الدقة والحيطة فى التعبير التقييد بالعمد وذلك لرفع توهم الإثم على المخطئ والغالط والناسى ، قال الإمام النووى فى شرحه على مسلم (١) « وأما الكذب فهو عند المتكلمين من أصحابنا : الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه عمداً كان أو سهواً ، هذا مذهب أهل السنة . وقال المعتزلة : شرطه العمدية . ودليل خطاب هذه الأحاديث لنا فإنه قيده عليه السلام بالعمد لكونه قد يكون عمداً وقد يكون سهواً ، مع أن الإجماع والنصوص المشهورة فى الكتاب والسنة متظاهرة على أنه لا إثم على الناسى والغالط فلو أطلق عليه السلام الكذب لتوهم أنه يأثم الناسى أيضاً فقيده . وأما الروايات المطلقة فمحمولة على المقيدة بالعمد والله أعلم » .

على أن أئمة الحديث وإن قالوا برفع الإثم عن الخاطئ والناسى والغالط ، فقد جعلوا ما ألحق بالحديث غلطا أو سهوا أو خطأ من قبيل الشبيه بالموضوع فى كونه كذبا فى نسبته إلى الرسول ، ولا تحل روايته إلا مقترنا ببيان أمره ، وإلى هذا ذهب الخليلى وابن الصلاح والعراقى وغيرهم (٢) ، وقد اعتبره بعض أئمة الجرح ـ كابن معين وابن أبى حاتم ـ من قبيل الموضوع المختلق ، وذهب بعض الأئمة إلى أنه من قبيل المدرج ، ومهما يكن من شيء فقد جعلوا هذا النوع من الغلط أو الوهم مما يطعن فى عدالة الراوى وضبطه .

٣ ـــ من عجيب أمر هـــذا المؤلف أنه يتبع طريقة « لا تقربوا الصلاة » ويترك « وأنتم سكارى » ، وقد رأيت آنفا ما صنعه فيما نقله عن ابن حزم من حبس عمر رضى الله عنه لثلاثة من كبار الصحابة على التحديث ، وقد صنع هنا فى حديث ( من كذب على متعمداً الخ )

---

(١) ج ١ ص ٦٩ .
(٢) مقدمة ابن الصلاح بشرح العراقى ص ١١٠ .

مثل ما صنع سابقا ، فقد نقل عن الحافظ ابن حجر أنه لايرى تواترحديث من كذب على الخ حيث قال - فى ص ٤٢ - « ولأجل كثرة طرقه أطلق عليه ( جماعة ) أنه ( متواتر ) ونازع بعض مشايخنا فى ذلك ؛ لأن شرط المتواتر استواء طرفيه وما بينهما فى الكثرة ، وليست موجودة فى كل طريق منها » . واقتصر على هذا القدر ، وقد ترك ما ذكره الحافظ عقب هذا وهو ما نصه [1] بالحرف الواحد « وأجيب بأن المراد بإطلاق كونه متواترا رواية المجموع عن المجموع من ابتدائه إلى انتهائه فى كل عصر ، وهذا كاف فى إفادة العلم ، وأيضاً فطريق أنس وحدها قد رواها عنه العدد الكثير وتواترت عنهم ، نعم وحديث على رواه عنه ستة من مشاهير التابعين وثقاتهم .

وكذا حديث ابن مسعود وأبى هريرة وعبدالله بن عمر . فلو قيل فى كل منها : إنه متواتر عن صحابيه لكان صحيحا ، فإن العـــدد المعين لا يشترط فى المتواتر ، بل ما أفاد العلم كفى ، والصفات العلية فى الرواة تقوم مقام العدد أو تزيد عليه كما قررته فى نكت « علوم الحديث » وفى شرح « نخبة الفكر » وبينت هناك الرد على من ادعى أن مثال المتواتر لا يوجـــد إلا فى هذا الحديث ، وبينت أن أمثلته كثيرة منها حديث ( من بنى لله مسجدا ) والمسح على الخفين ، ورفع اليدين ، والشفاعة ، والحوض ، ورؤية الله فى الآخرة ، والأئمة من قريش وغير ذلك . والله المستعان » .

والظاهر أن قوله وأيضاً الخ ، من كلام الحافظ لا من نقله . فهل بعد هذا الكلام الصريح الذى تعمد المؤلف تركه يزعم أن الحافظ ابن حجر لا يقول بتواتره كما هو فحوى كلامه ؟ ! !
أما ما ذكره فى حاشية ص ٣٩ من أن أدعياء السنة وعبيد الأسانيد فى عصرنا لا يزالون يكابرون فى إثبات الزيادة وكأنهم أعلم بالحديث من ابن قتيبة والبخارى والنسائى والمنذرى والخطابى وابن حجر وابن القيم والسيوطى وغيرهم » فهراء لا أرد عليه ، ولكنى أقول له : ألا تستحى من ذكر البخارى وهو الذى خرج الزيادة فى أكثر رواياته ؟ بل ومن ذكر الحافظ ابن حجر الذى أفاض فى بيان ثبوتها ؟ وصدق النبى الحكيم حيث يقول : ( إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ) ؟

**محمد محمد أبو شهبة**

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

---

[1] ج ١ ص ١٦٠ ط الأزهرية .

# هل من جديد

## فى تأليف السيرة النبوية ؟؟

يحتفل المسلمون فى شتى أقطارهم بذكرى مولد رسولهم ، وهى ذكرى توجهنا إلى سيرة الرسول الكريم وحظها من الدراسة والعلم ، فضلا عن الاقتداء والاتباع .

وكتب السيرة التى بين أيدى الناس متعددة منها القديم والجديد ، ومن أشهر القديم مغازى الواقدى ( المتوفى ٢٠٧ أو ٢٠٩ ﻫ ) ، وسيرة ابن هشام ( المتوفى ٢١٨ ﻫ ) ، وطبقات ابن سعد ( المتوفى ٢٣٠ ﻫ ) وكل هذه الكتب من أقدم ما كتب فى السيرة ، وقد أعقبتها تآليف أخرى مثل جوامع السيرة لابن حزم ( المتوفى ٤٥٦ ﻫ ) وإمتاع الأسماع للمقريزى ( المتوفى ٨٤٥ ﻫ ) . فضلا عما استهل به المؤرخون المسلمون تآليفهم فى التاريخ الإسلامى العام من فصول فى السيرة ، تقرأها فيما كتبه الطبرى وابن الأثير ... الخ ثم شهدت المكتبة الحديثة مؤلفات متعددة فى السيرة النبوية ، منها ما كتبه علماء المسلمين بالعربية وغيرها من اللغات الشرقية ، ومنها ما كتبه علماء المشرقيات من الأوربيين بلغاتهم .

* * *

وللسيرة النبوية مكانها الممتاز من الدراسات الإسلامية ، إذ لها أهميتها الشرعية « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ، ولها أهميتها التاريخية كمنهج داعية ، وخطة دعوة ، وسياسة دولة .

ولقد تأثر التأليف فى السيرة النبوية منذ أقدم عهوده بظروف معينة ، تعرض لها تدوين التاريخ الإسلامى عموما ، من ذلك ارتباط التأليف التاريخى بمنهج الرواية فى الحديث التى تستدعى بصراً ثاقبا بالرواة والمرويات يؤهل للتعديل والتجريح ، ومن ذلك انصراف معظم الجهود للفصل فى إسناد ( أحاديث الأحكام ) التى يحتاج إليها المسلمون فى عباداتهم ومعاملاتهم

وترك حقل ( الإخباريات ) بكراً يتطلب الجهود فى تمحيص المادة الخام المتخلفة من عديد الروايات ، والاهتداء بعلم الرجال فى الحكم على ما نأخذه وما ندعه من الأخبار المتباينة .

لذلك يحتاج التاريخ الإسلامى عموما - والسيرة النبوية جزء منه - إلى مناقشة وعرض على الأسس العلمية التى اتبعها نقاد الحديث ، والغريب أن بعض المستشرقين قد انتبهوا إلى ذلك فى حين فات هذا كثيراً من المسلمين . والمستشرق الألمانى يوليوس فلهاوزن يقول فى مقدمة كتابه عن الدولة العربية الذى نشرت ترجمته مؤخراً فى مصر بين مطبوعات الألف كتاب - وتاريخ المقدمة يرجع إلى ١٩٠٢ م - « إن الروايات القديمة المتعلقة بعصر بنى أمية توجد حتى اليوم على أوثق ما تكون عليه عند الطبرى ... » ثم يناقش المؤلف رواة الطبرى ويقول عن أبى مخنف « ... وسلسلة الرواة الذين يذكرهم هى دائما قصيرة جداً ، وهى أخيرا تنكمش انكماشا تاماً نظراً إلى أن المسافة التى تفصل بينه وبين الأحداث التاريخية التى روى أخبارها كانت لا تزال تقصر شيئا فشيئا ، هذا إلى أن سلسلة الرواة تتنوع بحسب اختلاف الأحداث وتنوع الروايات الخاصة بها ، بحيث نجد أمامنا طائفة كبيرة جداً من أسماء رواة نجهلهم جهلا تاما ... وكيف كان يمكن أن يسلك أبو مخنف فيما كتب طريقا غير الذى سلكه ؟ فلم تقدم له المصادر المكتوبة مادة كبيرة يستطيع أن يعتمد عليها ، وهو قد انتفع بها ما كانت فى متناول يده ، ولكن من غير أن يجتهد فى البحث عنها وفى جعلها أساساً على نحو منظم ، وأهم ما صنع من حيث تقدير قيمة الروايات هو أنه جمع طائفة كبيرة من روايات متنوعة ومن أخبار عن الشىء الواحد مختلفة فى مصادرها ، بحيث يستطيع الإنسان أن يوازن بينها ويعرف الصحيح المؤكد منها من غيره ... » ا . هـ

هذا كلام أجنبى عن لغة العرب وثقافتهم ، يلقى العنت فى فهمها وهضمها وتذوقها ، أما مؤلفونا العرب فما أكثر ما ينقلون دون أن يكلفوا خاطرهم تحقيق رواية أو تمحيص سند ، وكثير منهم قد لا يعرفون ( حكاية الرواية والإسناد ) على وجه الإطلاق . والذى يرى ما تكبده مستشرق مثل بروفنسال فى تحقيق كتب أنساب العرب - مثل كتابى ابن حزم وأبى عبد الله الزبيرى اللذين نشرتهما دار المعارف فى مصر - يتبين كم نحتاج من عزم وعلم وأمانة لنتبين تاريخ أسلافنا .

وتاريخ السيرة النبوية يرجع فى أقدم مصادره الموجودة إلى ابن اسحق ( المتوفى حوالى سنة ١٥٢ ﻫ ) وهو الذى أخذ عنه ابن هشام . كما يرجع إلى الواقدى الذى أخذ عنه كاتبه ابن سعد فى كتابه ( الطبقات ) .

والذى يقرأ ما تناقلته الآراء عن ابن اسحق والواقدى ، يجد أن منزلتهما بين الرواة ليست كمنزلة رجال الحديث ، ويجد أن ( السيرة ) ما زالت تحتاج إلى جهود كثيرة فى جمع المادة التاريخية من مصادرها الوثيقة ، فضلا عن تحليلها وتركيبها .

فتقول الروايات عن ابن اسحق « وقد عاداه فى المدينة عالمان كبيران : هشام بن عروة ابن الزبير ، ومالك بن أنس . وكان ابن شهاب الزهرى وغيره يثنون عليه ، وقد اتهم بالتشيع والقول فى القدر » .

ولما رحل إلى العراق اختلف العلماء فيه هناك كما اختلفوا فيه فى المدينة من مجرح ومعدل ، وقد عقد الخطيب البغدادى فصلا طويلا حكى فيه الأقوال التى قيلت له والتى قيلت عليه ، ولم يحكم بينها كعادته ، ووقف بعضهم فى ذلك موقفا وسطا فقالوا : إن سعة علمه لا تنكر ، وإنه لم يكن كاذبا ، ولكنه كان قدريا وكان يتشيع ، وكان لا يتقيد بالقيود الكثيرة التى لا يتقيد بها ثقات المحدثين ، فيقول فيه ابن حنبل «كان رجلا يشتهى الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها فى كتبه » والمحدثون لا يرضون هذا ويشترطون السماع ، و « كان يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل ذا من ذا » والمحدثون يكرهون ذلك ويشددون فى نسبة كل جزء من الحديث إلى قائله » . . . ونكتفى بهذه المآخذ العلمية التى أجملها صاحب ( ضحى الإسلام ) نقلا عن المراجع التاريخية .

وتقويم ( ابن اسحق ) كراوية أمر شديد الأهمية فى دراسة السيرة ، إذ هى منهل توارد عليه مؤرخو السيرة ، فسيرة ابن هشام – وهى مصدر له خطره فى هذا الباب – مستمدة مما رواه ابن اسحق ، وكذلك الحال فى سيرة ابن حزم . يقول محققا السيرة الأخيرة – الدكتوران إحسان عباس وناصر الدين الأسد – فى تقديم الكتاب « ويدلنا البناء العام لكتاب السيرة على أن ابن حزم يتكئ كثيراً على سيرة ابن اسحق وخاصة حين أخذ فى الحديث عن غزوات الرسول واحدة واحدة ، وعد فى كل غزوة أسماء من شهدها من

المسلمين والمشركين وأسماء من استشهد من المسلمين . حتى إن شدة اتباعه لرواية ابن اسحق في هذه المواطن لتطلعنا على ظاهرة عجيبة ، فقد حافظ ابن حزم على النسب الكامل لأكثر من ذكرهم من الأشخاص ، وليس هذا مما يستغرب منه وهو صاحب ( الجمهرة فى الأنساب ) ، إنما الغريب حقا أنه فى السيرة اختار رواية ابن اسحق نفسه فى النسب بينما لم يأخذ بها في الجمهرة ، فلعله ألف الكتابين فى فترتين متباعدتين ، أو لعل مصادره فى الجمهرة كانت كتبا أخرى . . . » .

وأما الواقدى فيجمل الآراء فيه صاحب الضحى فيقول : « وقد وقف فى الواقدى المحدثون موقفهم من ابن اسحق من معدل ومجرح ، وحكى أقوالهم أيضا على اختلافها الخطيب البغدادى . فكان يثق به مالك ولا يثق بابن اسحق ، وكان يثق به محمد بن الحسن من الحنفية . ولقبه بعضهم بأمير المؤمنين فى الحديث ، ويثق به ابن عبيد القاسم بن سلام اللغوى الشافعى ، كما كان يطعن عليه على المديني ويقول « عند الواقدى عشرون ألف حديث لم يسمع بها » ويقول يحيى بن معين « أغرب الواقدى على رسول الله عشرين ألف حديث » وقال أحمد ابن حنبل : « الواقدى يركب الأسانيد » وقال الشافعى « الواقدى وصل حديثين » أى لا يصح أن يوصلا . . . والظاهر أن مطعن المحدثين عليه كمطعنهم على ابن اسحق : أنه يأخذ من الصحف والكتب ، وأنه كان يجمع الأسانيد المختلفة ويجيء بالمتن واحدا ، مع أن جزءا من المتن لبعض الرواة وجزءا آخر لرواة آخرين . . . » .

والواقدى هو مصدر ابن سعد ، لكن الأخير حظى من الخطيب البغدادى بهذا التقدير « محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة ، وحديثه يدل على صدقه ، فإنه يتحرى فى كثير من رواياته » .

* * *

لست أريد أن أفصل فى قضية توثيق ابن اسحق أو الواقدى ، ففى الموضوع كلام كثير يستطيع من يتطلب هذا المقصد أن يراجعه فى كتب التاريخ والتراجم ، وفى الأبحاث التى عقدها بعض المحققين فى معرض تقديم طبعات حديثة من كتب السيرة القديمة ،

ولست أريد أن « أشوش » على قيمة المادة التاريخية الموجودة بيننا من سيرة الرسول ، بل إننى لأردد مع علامة الهند السيد سليمان الندوى « لقد شهدت الدنيا أصدق شهادة ،

ثم ازداد ثبوتاً على الأيام بأن الإسلام لم يقتصر على حفظ سيرته صلى الله عليه وسلم ، بل توسع فى ذلك إلى ما يتعلق بها من كل النواحى وصان هذه الأمانة القدسية فلم تلمسها يد الضياع إلى درجة أن العالم كله يقف من ذلك موقف العجب والاستغراب ! » ،

ما السبيل إذن إلى هذه الكنوز المذخورة ، ومؤرخو السيرة يقال عنهم ما يقال ؟ .

يجب أن يعرف كل دراس للإسلام حقيقتين مهمتين فى هذا الصدد :

الحقيقة الأولى : أن كتب السيرة ليست هى المصدر الفرد الذى تنحصر فيه مادة السيرة التاريخية ، بل وليست هى أول المصادر وأهمها . فالسيرة مثبوثة فى كثير من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول صحيحى البخارى ومسلم وغيرهما من دواوين الإسلام المعتبرة .

الحقيقة الثانية : أن هناك فارقا بين تدوين السيرة ــ وما فيه من مآخذ ــ وتدوين الحديث وما فيه من قواعد ضابطة مضبوطة : والعلمان وإن كانا يتعلقان بشخصية الرسول الكريم إلا أن ظروف التأليف فيهما ليست واحدة .

ولقد بذل الأستاذ محمد عزة دروزة جهداً طيباً فى كتابة السيرة معتمداً على نصوص القرآن الكريم أساساً وينبغى أن تتعدد المحاولات فى هذا الباب . كما ينبغى أن تبذل محاولات لكتابة السيرة بالاعتماد على ما ورد فى صحاح الأحاديث والسنن وهى المصدر الأول لها :

ولا يحسبن القارئ أن مادة السيرة التاريخية ستنضب مواردها إذا تركنا كتب السيرة المتداولة ــ وأنا لا أدعو إلى هذا الترك على كل حال ــ بل إننا سنجد ذخيرة موفورة فى كتب الحديث . ولو تأملنا كتابا للحديث كصحيح البخارى مثلا فإننا سنجد فيه كثيراً من الأبواب التى تتناول المادة التاريخية للسيرة النبوية من قريب أو بعيد مثل « بدء الوحى . فضائل المدينة . الجهاد والسير . المناقب . فضائل أصحاب النبى . مناقب الأنصار . المغازى . الفتن ، الأحكام . الخ » ، وسنجد المادة التاريخية مثبوثة فى تضاعيف بعض أبواب الأحكام نفسها ففى الصلاة والأذان والجمعة وصلاة الخوف وصلاة العيدين وقصر الصلاة والزكاة والحج والصوم والنكاح بيان لمناسبات فرض هذه الأحكام مما يتعلق بالسيرة النبوية على وجه من الوجوه .

وكى أزيد القارئ بيانا ويقيناً سأضع أمام عينيه نموذجا تطبيقيا . وضع الأستاذ فنسنك معجما للكشف عن الأحاديث النبوية ومواضعها فى الكتب المعتمدة ، فلو فتحنا

مادة ( محمد صلى الله عليه وسلم ) لوجدنا أحاديث صحيحة فى كتب السنة تدور حول كثير من موضوعات السيرة أقتطف منها ما يلى ليتبين القارئ غزارة المادة التى نصيبها لو اعتمدنا على كتب الحديث :

« نسبه ... لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله فيهم قرابة ... ولادته عام الفيل . الترتيب التاريخى للوقائع فى حياة الرسول ... ما حصل وقت ولادته ... رضاعه فى بنى سعد . شريك النبى فى الجاهلية فى التجارة . عنايته بشد إزاره وهو ينقل الحجارة مع عمه العباس . أشد ما لقى من قومه يوم عرض نفسه على ابن عبد ياليل . كيف ألقى سلى جزور على ظهره وهو ساجد ... الخ » .

ويطول بى الأمر لو أردت ( عناوين ) فقط استغرقت خمساً وعشرين صفحة من القطع الكبير ، وتحت هـــذه العناوين إشارات لأحاديث متعددة وردت فى كتب السنة تتناول الموضوعات التى تعبر عنها هذه العناوين ، هذا فضلا عن إحالات لموضوعات بحثت فى مواد أخرى غير مادة ( محمـــد ) التى نحن بصددها ، مثل ( قريش ... الهجرة ... الشفاعة ... الحديبية ... فاطمة ... الخ ) .



وعلماء السيرة يعرفون هذه الحقيقة البديهية ويوضحونها ، يقول علامة الهند سليمان الندوى فى محاضراته عن ( الرسالة المحمدية ) : « وأريد أن ألفت أنظاركم إلى المصادر التى أخذت عنها سيرة النبى وهديه ، وإن أهم ما فى سيرته وأوثقها هو ما اقتبس من القرآن الحكيم ، والمصدر الثانى كتب الحـــديث ، وهى كتب حفظت لنا من أقوال النبى وأفعاله وأحواله ما يبلغ مائة ألف حديث ، ومن الكتب المصنفة فى الحديث الكتب الستة الصحاح التى محص العلماء كل ما ورد فيها وذكروا شواهده ومتابعاته ، حتى لم يتركوا فى النفوس منزع ظفر لمحقق منصف بل ولا لمدقق جائر ، ويتلو الكتب الستة كتب المسانيد ... » وقد ذكر بعد ذلك كتب المغازى والتاريخ والدلائل والشمائل .

وبالنسبة لوفرة المادة التاريخية فى كنوز السنة يذكر الأستاذ الندوى « . . أما المحدثون الكرام من علماء المسلمين فقد جمعوا كل ماله علاقة بالنبى صحيحا كان أو سقيما ، وجعلوا لنقده قواعد وأصلوا لتحقيقها أصولا ، وهم قد حفظوا شئون حياة النبى وأحواله وأخباره كلها

ولم يتركوا أمراً من أموره ولا شأناً من شئونه إلا ذكروه ، حتى لقد وصفوه فى قيامه وجلوسه ونهوضه من النوم ، وهيئته فى ضحكه وابتسامته ، وعبادته فى ليله ونهاره ، وكيف كان يفعل إذا اغتسل وإذا أكل ، وكيف كان يشرب ، وماذا كان يلبس ، وكيف يتحدث إلى الناس إذا لقيهم ، وما كان يحب من الألوان ومن الطيب ، وما هى حليته وشمائله ، ووصفوا جسده الطاهر وصفاً كاملا كأنك تراه ، ووصفوا حياته العائلية من معاشرة الرجل أهله وحليلته ، وأتبعوا ذلك بذكر الطهارة من الغسل . . . وأستعرض لكم فهرسة أقدم كتاب فى الشمائل للترمذى ، لتعلموا كيف ضبط المسلمون أحوال النبى وأحصوا أخباره جليلها ودقيقها . . . الخ » وذكر المؤلف قائمة تشمل ٥٢ موضوعا وردت فى الشمائل للترمذى . وفى المكتبة الإسلامية نموذج من السيرة المعتمدة على السنة الصحيحة ، نقرؤها فى الكتاب النفيس « زاد المعاد فى هدى المعاد » للإمام ابن القيم . غير أن هذا الكتاب تمتزج فيه وقائع السيرة بأحكام الفقه ، مما لا يسد الحاجة لكتاب يتفرد لمعالجة السيرة على أساس من صحاح السنة .

وما مصير كتب السيرة المتداولة ؟؟ .

لست أدعو بحال لأن نطرح كتب ابن هشام أو الواقدى أو ابن سعد فى استخفاف وسذاجة ، وإنما أقول إن من شأن تحقيق وقائع السيرة على أساس من القرآن الكريم ، كما فعل الأستاذ دروزة فى كتابيه ( عصر النبى قبل البعثة ) و ( سيرة الرسول ) - ثم على أساس من السنة الصحيحة - كما نرجو أن يتم - فمن شأن هذا وذاك أن يقيم بين أيدينا ميزان الحق الذى نمحص به مرويات ابن إسحق والواقدى ومن أخذ عنهما إذا اضطربت أمامنا الروايات ، ولم نستطع القطع والترجيح . وليس الأمر مقصوراً على كتاب واحد فى هذا الاتجاه أو ذاك ، فكما أن للقرآن عدة تفاسير ، وللبخارى عدة شروح ، فلا حرج أن نقرأ عدة كتب تستقى السيرة النبوية من معين القرآن أو جداول الحديث ، ومن اجتهد فهو مأجور على كل حال .

وفقنا الله للإفادة من سيرة نبينا ورسالته ؟

فتحى عثمان

# التفسير العلمي للقرآن

إن الذي يدفعنا إلى الخوض في هذا البحث هو ما نراه بين ظهرانينا من الشغف المسرف في تأويل آيات القرآن الكريم بتوافق النظريات الحديثة . والتفنن في استنباط كل اختراع وابتكار من نصوصه ، ظانين أن هذا فتح جديد في التفسير ، وأسلوب مبتكر في الفهم ، وهم يحسبون أنهم بعملهم هذا يحسنون صنعاً ويسدون يداً للإسلام .

إن التفسير العلمي هو الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في فهم آيات القرآن ، ويجتهد في استخراج العلوم والآراء الفلسفية فيها بتحميل الألفاظ ما لم تعرفه العربية ولا يقره أسلوبها من قوانين طبيعية ونظريات كيميائية ورموز ومخترعات إلى غير ذلك من كل ما يمت بسبب إلى علم الطب والفلك وعلوم الحيوان والنبات .

انقسم العلماء بإزاء هذا النوع فريقين :

فريق أخذ بهذا الرأي واتسع فيه حتى جعل من القرآن إعجازاً علمياً باشتماله على كل المخترعات والمستحدثات من طيارات وغواصات وقنبلة ذرية وأجهزة للتدمير وآلات للتخريب . ولو أدى ذلك إلى قطع الآية من أخواتها في السياق وسلخها مما قبلها وما بعدها ، مستدلين في ذلك بقوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

فانظر إليهم مثلا حيث يستدلون على حركة الأرض ودورانها بقوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » . ناسين موقع الآية وسياقها . ولو قرءوا ما قبلها وما بعدها لعلموا أن هذا الوصف خاص بيوم القيامة ، قال تعالى : « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين . وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون . من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » . أرأيت إلى جملة الوصف فهو مشهد من مشاهد يوم القيامة . وقد تكرر هذا في وصف الجبال حيث قال تعالى : « يوم تمور السماء موراً . وتسير الجبال سيراً » ، « وإذا الجبال سيرت » ، « يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلا » إلى غير ذلك من الآيات .

وهنا نقرر مبدأ التفسير الصحيح وهو استقراء الآيات وتتبعها وجمعها كلها ما دامت تتكلم عن موضوع واحد ، ثم النظر إليها جملة فإذا هي أشعة يلقي بعضها ضوءاً على بعض فيبرز المعنى واضحاً صحيحاً . وهذا هو معنى قول القدماء : إن خير نوع من التفسير أن يفسر القرآن بعضه بعضا ، وهو منهج قد بدأ به صلوات الله عليه عند تفسيره لكلمة ( الظلم ) فيما رواه الشيخان والترمذي : لما نزلت : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » قال بعض الصحابة يا رسول الله وأينا لم يلبس إيمانه الظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بذلك ، ألا تسمع إلى قول لقمان : « إن الشرك لظلم عظيم » .

مثال آخر من إسرافهم فى التأويل ، والشغف بإقحام الآيات وإخضاعها للنظريات الجديدة .

قال تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » فيحملون وصف الرياح باللواقح على أنها لواقح للزرع والشجر ، وهذا منهم إغفال النصف الثانى من الآية وهو : « فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » إذ لو كان ما ذهبوا إليه هو المراد لترتب عليه إزكاء الزرع وإخراج الثمر للناس يأكلونه ، لا إنزال الماء من السماء للناس يشربونه ويخزنونه . ثم ما فائدة « الفاء » فى قوله تعالى : « فأنزلنا من السماء ماء » ثم « الفاء » فى قوله : « فأسقيناكموه » . فالملاقحة هنا هى بين قطيرات وقطيرات أو بين سحاب وسحاب لا بين زهر وزهر أو نبات ونبات .

فالآية الكريمة المذكورة هى مظهر من مظاهر الإعجاز المتجدد للقرآن لأن تلاقح السحاب وأثره فى نزول المطر أمر كان يجهله الإنسان حتى كشف عنه العلم الحديث . وفى هذا تطابق تام بين العلم والقرآن الكريم .

إلى غير ذلك من الأمثال مما لا حاجة فيـــه إلى كل هذا الإغراق فى الفهم والبعد فى التأويل . إذ لا يتوقف فهم هذه الآيات ومثيلاتها على مثل هذه التوجيهات والالتجاء إلى الحقائق العلمية والنظريات الطبيعية . بل أسلم طريق فى ذلك هو السلوك فى فهمها مسلكا سهلا يتمشى مع ما تدل عليه الألفاظ دلالة لغوية ويتلاءم مع سياق الآيات تلاؤما طبيعياً فى غير ما توسع ولا إطلاق مما لم تعرفه اللغة ولم يستعمل فيها ومما لا حاجة بالتشريع والهداية إليه .

وأما ما استدلوا به من قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » فقد روى ابن عباس فى تفسير ( الكتاب ) هنا أنه اللوح المحفوظ ـ وهو خلق من عالم الغيب أثبت الله فيه مقادير الخلق ما كان منها وما يكون بحسب النظام المعبر عنه بالسنن الإلهية .

ومنهم من يفسر ( الكتاب ) بالعلم الإلهى المحيط بكل شىء شبه بالكتاب بكونه ثابتا لا ينسى .

وقال بعضهم أن المراد ( بالكتاب ) هنا القرآن . والمراد بقوله ( من شىء ) الشىء الذى هو من موضوع الدين الذى يرسل به الرسل وينزل به الكتاب ، وهو الهداية ، لأن العموم فى كل شىء بحسبه . أى ما تركنا فى الكتاب شيئا من ضروب الهداية التى ترسل الرسل لأجلها إلا قد بيناه فيه .

وفريق آخر أنكر هذا النوع من التفسير ـ وهو التفسير العلمى ـ ولم يأخذ بمثل هذه التوجيهات ، مستدلين على مذهبهم :

أولا : بأن هذه الشريعة المباركة أمية لأن أهلها كذلك فلا يحتاج فى فهم كتابها وتعرف أوامرها ونواهيها ، إلى العلوم الكونية ، والرياضيات الهندسية وما إلى ذلك .

ثانيا : أن هذا القرآن موجه إلى من نزل فيهم من العرب وهم ليس لهم عهد بهذه العلوم التى لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جازت آمادا فسيحة ، فإذا قصد القرآن إليها ، وآياته لا تفهم إلا بالوقوف عليها يكون حينئذ كلاما غير مطابق لمقتضى الحال ، وحاشاه أن يكون كذلك . فوجب إذن أن نقف بعباراته عند فهم العرب الخلص ، ولا نتجاوز ما ألفوه من علومهم ، وأدركوه من معارفهم .

ثالثا : أن النظريات العلمية ، والحقائق الطبيعية عرضة للتبديل والتغيير ، فإذا أخذنا بها فى هذا النوع من التفسير كان فهم الآيات أيضاً عرضة للتغيير والتبديل ، مما يبعث على الشك ، ويؤدى إلى الريبة والبلبلة والاضطراب .

والرأى الذى نميل إليه هو أننا فى حاجة شديدة إلى أضواء من العلم تكشف لنا عن حكم وأسرار جاءت بها الآيات الكريمة ، ولا ضرر من عدم قصر فهمه على ما عند العرب فى علمها ومألوف معارفها ، لأن القرآن أنزل للناس كافة يأخذ كل على قدر استعداده وحاجته ما دام ذلك لا يتنافى مع ما قصده القرآن من الهداية ، وما يهدف إليه من الإرشاد .

فكم من حكمة فيه إذا ما مستها يد العلم أسفرت أسرارها وظهرت أنوارها وأبانت عن سر إعجازها وسحر بيانها . وفى هذا نوع من الإعجاز العلمى فان للكلام — كما ذكر عالم من كبار علماء عصرنا عليه رحمة الله — غايتين متباعدتين عند الناس فلو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذى تخاطب به الأغبياء لنزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم فى الخطاب ، ولو أنك خاطبت العامة باللمحة والإشارة التى تخاطب بها الأذكياء لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم . فلا غنى لك — إن أردت أن تعطى كلتا الطائفتين حظها كاملا من بيانك — أن تخاطب كل واحدة منهما بغير ما تخاطب به الأخرى كما تخاطب الأطفال بغير ما تخاطب به الرجال . فأما أن جملة واحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء وإلى الأذكياء والأغبياء وإلى العامة والخاصة فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته فذلك مالا تجده على أتمه إلا فى القرآن الكريم . فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير ، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم لا يلتوى على أفهامهم ، ولا يصعب على إدراكهم ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة ، فهو متعة العامة والخاصة على السواء ، ميسر لكل من أراد ( ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ) ، ( كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ) .

وقال الإمام الراغب الأصفهانى فى مقدمة تفسيره : —

« أخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جلتها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ويفهم الخواص من أثنائها ما يوفى على ما أدركه فهم الحكماء . ومن هذا الوجه ، كل من كان حظه فى العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر ولذلك إذا ذكر تعالى حجة على ربوبيته ووحدانيته أتبعها مرة بإضافتها إلى أولى العقل ، ومرة إلى أولى العلم ، ومرة إلى السامعين ، ومرة إلى المفكرين ، ومرة إلى المتذكرين ، تنبيها على أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها » .

فالقرآن لا يصادم شيئا أثبته العلم الصحيح بل كثيرا ما يكون فيه إشارة إليها .

فمن ينكر أننا فى حاجة ملحة إلى علم الأجنة يحدثنا عن قوله تعالى ( فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ) .

وإلى علم الحياة يبين لنا أدوار الجنين فى قوله تعالى ( ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ) .

ومن ذا يحدثنا إذا لم يحدثنا علم الطب عن قوله تعالى « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى » فيبين لنا مبلغ هذا الأذى وهل هو جسمى أو عصبي أو مزاجى أو نفسى .

وإليك ما كتبه فى تفسير هذه الآية أحد الأطباء المعاصرين فى كتاب له ( وحى وبيان من لب القرآن ) .

نزلت هذه الآية تمنع الرجال من مباشرة نسائهم أثناء حدوث الحيض كمثال صادق ملزم بتحديد الأوقات المناسبة لمباشرة النساء التى يراعى فيها قبول المرأة كما يراعى شعور الرجل ، وهى فترة إجباريه على الرجال يعاملون نساءهم فيما يماثلها من فترات بأدب القرآن الذى شرعه فى هذه الآية .

والأذى فى هذه الآية لفظ عام يحتمل معنيين :

( أذى ) بمعنى إيذاء وضرر ، و ( أذى ) بمعنى قذر ممجوج تعافه النفس . والمواطأة أثناء فترة الحيض فيها ، وهذان النوعان من الأذى لكل من المرأة والرجل ، إذ يتسبب عنها فى المرأة زيادة فى احتقان جهازها التناسلى بما قد ينشأ عن ذلك من آلام أو مضاعفات كنزف دموى أو اضطراب فى دورة الحيض أو التهابات بالأعضاء التناسلية . هذا فضلا عن أن إحساس المرأة بالألم إذا ما بوشرت أثناء الحيض ، نظراً لما تعانيه من احتقان بأعضائها التناسلية يسبب لها إرهاقا عصبيا ، إذ أن أعصابها تكون حينذاك مرهقة غير طبيعية ، كما أن رغبتها للمباشرة الجنسية تكون خاملة راكدة فى هذه الفترة بسبب حدوث شىء من الاضطراب فى إفراز الهرمونات الداخلية لبعض الغدد الصماء ، وهذا من شأنه أن يولد فى نفس المرأة حالة جفاء نفسى بالنسبة للرجــــل . فترى فيه حيواناً نهماً لا يكترث بشعورها ، ولا يحس بألمها ، ولا يبالى بتهيئة أسباب الراحـــة اللازمة لها ، فى هذه الفترة العصبية .

وليس الأذى الذى يلحق بالرجل بأقل مما يلحق بالمرأة ، إذا ما أتاها فى أثناء المحيض إذ قد يصاب بالتهاب صديدى بمجرى البول نتيجة لانتقال بعض الجراثيم المتأقلمة فى جهاز المرأة التناسلى ، وناهيك بما ينتاب الرجل من شعور عميق بالاشمئزاز الذى قد يسبب له عقدة نفسية تؤثر على قواه الجنسية .

لذلك كان لزاما أن يأمر الله المحيط العليم الحكيم باعتزال النساء فى المحيض والابتعاد عن غشيانهن حتى يطهرن بانقطاع دم الحيض والاغتسال . أرأيت إلى ما اشتملت عليه كلمة ( أذى ) من أسرار وحكم ، وهذا هو معنى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم .

فالحق أن كل ما يساعد من العلوم على الكشف عن أسرار التشريعات الإسلامية ، والدلالة على قدرة الصانع الحكيم ، والإبانة عن مبلغ آياته ونعمه ، ولا يتعارض مع أسلوب اللغة ومألوف تعبيرها من غير إغراب ولا تكلف ولا إغراق فى التأويل وإسراف فى التجديد فهو مما يجوز أن يستخدم فى تفسير آيات القرآن الحكيم ، فهو لا تفنى عجائبه . ولا تحصى أسراره ؟

عبد الوهاب حموده

## من وحى الثورة العراقية

واستيقظت ( بغداد ) تشهد مولد البعث الجديد
نفضت رداء الذل عنها ثم ضجت بالنشيد
ومضت تشق الصخر تحفر فيه آيات الخلود
عملاقة الخطوات تقتلع الحواجز والسدود
صخابة ، هدارة الأمواج تعصف بالقيود
بعروش من باعوا العروبة واستهانوا بالعهود
بالخائنين ، عبيد الاستعمار أذناب اليهود
( بغداد ) حى ثورة الأحرار قد طلع الصباح
قد أشرقت شمس العروبة فى روابيك الفساح
وقد انقشمت من الليالى السود مزقت الوشاح
وصرعت أقطاب الخيانة فى ( الرحاب ) المستباح
سيعيد ( حطين ) الرهيبة عند ( بيروت ) ( صلاح )
ويسير زحف الشعب اعصارا يطوق بالرياح

أبو السعود الجهنى

# عـــبر

عين الله لا تغفل ، ولكن خلق الإنسان عجولا ولو اعتصم المظلوم بالصبر لرأى فى الظالم يوما - قرب أو بعد - فكم من الأحداث ما يكاد ينسى الحليم حلمه ، ويذهب عن العاقل لبه ، ويبعث فى ضعاف النفوس القلق والشك ، ثم الضلال والإلحاد ، ثم يكون من تصاريف القدر ما يرد الدمع فى العين ، ويعيد الرضا إلى القلوب ، واليقين إلى النفوس . فكم من ظالم أسرف فى ظلمه ، وبالغ فى هذا الإسراف ، ونسى كل شىء إلا أنه قادر مسلط . وتذكر كل شىء إلا أن وراءه رقيباً شديد الحساب . وزاده طغيانا وجبروتا أن مد له القدر . وأمهلته السماء ، ومكن له فى الأرض ، ثم تنزل به المحنـــة فيصبح ذليلا مهينا ، ولله تدبير لا تدركه عقولنا الضيقة ، ولا تصل إليه أفهامنا القاصرة ...

ومن رزقه الله العقل الحصيف ، والقلب السليم ، تفطن لعواقب الأمور ، وتنبه لمراتع الظلم ، وأدرك أنها مراتع وخيمة ، ومصاير أثيمة « وما يذكر إلا أولو الألباب » .

ومن طمس الله على بصيرته ، وألقى على بصره غشاوة ، لم ينظر أبعد مما تحت قدميه . ولم يتبصر فيما حواليه ، ولم يراجع أحداث التاريخ ، ثم يقرن بين المتشابهات ، ويوائم بين النظائر ، فيعرف بذلك سنة الله فى الكون ، ونواميسه فى الحياة .

وقد جرد الله أولئك الذين يمرون على أحداث التاريخ فلا يأخذون منها العظة ، جردهم من العقل ، حيث يخاطب مشركى العرب من أهل مكة ، ويلفت أنظارهم إلى ما نزل بقوم لوط ، وإنه لأمام أعينهم ، يرونه وافدين إلى الشام ، وراجعين منها ، مصبحين وممسين ، ولكنهم لا يعقلون : « ثم دمرنا الآخرين ، وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ، وبالليل أفلا تعقلون » .

ودعا القرآن إلى التدبير ، والتفكير ، والنظر « أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم

وما كان لهم من الله من واق . ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا ، فأخذهم الله ، إنه قوى شديد العقاب » .

وقديما قيل : العاقل من اتعظ بغيره ، ولكننا نرى فى زماننا هذا ، كما قرأنا فى كل أدوار التاريخ ، الغافلين الذين لا يتعظون بمصاير الآخرين .

كان فى مصر حكم فاسد ، وملك مستبد ، سام الشعب ألوان العذاب ، وجر على البلاد أصناف الخراب ، وطغى وبغى ، ثم جاءه المصير المشئوم ، والحساب العادل ، فهوى عرشه وزال ملكه ، ولفظته البلاد ، ولعنه العباد ، فكان حريا بأمثاله أن يأخذوا من مصيره عبرة ، ومن يومه المشهود نذيرا ، ولكنهم استمروا فى غلوائهم ، وأسرفوا فى التنكيل بشعوبهم ، ولم تمض غير سنوات ست حتى شهدنا العبرة الأخرى ، وكانت هذه المرة على أرض الرافدين ، فتنفست الأمة العربية كلها الصعداء ، ومع ذلك لا نزال نرى رؤسا قائمة على أجسادها تسلك نفس السبيل الذى سلكه الطغاة الذاهبون ، وتمارس نفس الأعمال والمظالم التى كانوا يمارسونها ، ( أفلا يعقلون ) ؟ !

والذى ينزل بالحاكمين الظالمين ، ينزل بكل من يقترف فى حق الشعوب أو الأفراد أى نوع من أنواع الظلم ، وربما عجل العقاب .



قرأت أخيرا أن الماجور كلود الذى أمر بإلقاء أول قنبلة ذرية على مدينة (هيروشيما) أصيب بالأرق ، فيتهز فى نصف الليل ويعود كالذئب المسعور ، وقد توالت عليه نوبات الجنون ، ثم راح يرتكب سرقات أودع بسببها السجن .

ويحدثنا التاريخ الإسلامى أن الذين اشتركوا فى قتل الحسين بن على رضى الله عنه ، يوم كربلاء ، لقوا جميعاً جزاءهم العادل فى الدنيا ، وحسابهم يوم القيامة إلى الله. فالفارس الذى احتز رأس الحسين لم يطل به الأمد ، ذلك أنه كان حريصا على أن يكون أول مبشر للأمير لينال عنده يدا ، ومضى بالرأس بين الفخر والخيلاء ، والفرح والغبطة ، ويقف على عبيد الله بن زياد ، وهو ـ يومئذ ـ والى الكوفة ، وينشد :

أوقر ركابى فضة وذهبا إنى قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فيغضب الأمير غضبته ، ويصيح فى الرجل : إذا كان خير الناس أما وأبا فلم قتلته؟ ثم يأمر بضرب عنقه .

وقد جاء فى كتب التاريخ القديمة أنه وجد فى عسكر الحسين طيب انتهب ، فما تطيبت به امرأة إلا ذهلت .

وكان خاتمة أمر قتلة الحسين أن سلط الله عليهم جبارا عنيدا هو المختار الثقفى ، فكان لا يعلم برجل اشترك فى قتل الحسين أو شهده إلا قتله ، أو هدم داره ، وربما حرقه تحريقا .

وعبيدالله بن زياد ، قتل ، بعد أن طرده أهل العراق ، وأرسل رأسه إلى على بن الحسين فوجده الرسول يتغدى ، فلما وضع الرأس بين يديه قال : سبحان الله ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله فى عنقه نعمة ، لقد جىء برأس أبى إلى ابن زياد وهو يتغدى .

وبعد ، فهل يرجع الضالون إلى عقولهم ، ويستضيئون بالأحداث التى وقعت للآخرين ؟ وهل يكف كل ظالم عن ظلمه ، ويعلم علم اليقين أن لله عينا لا تنام ، وأن الله يمهل ولا يهمل وهل يجلس فى بيته مغمضا عينيه ، ويسبح بفكره فيرى العبر حواليه ، تملأ الفضاء ، وتفيض بها بطون الكتب ؟ .

عبر كلها الليالى ، ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ ؟ !

على العمارى
المدرس بالأزهر

# فى مولد الهادى

رجعت لله أشدو فوق قيثارى ... وأنشد الشعر للهادى بأشعارى
يامنقذ الناس من طغيان أنفسهم ... لولاك صار جميع الناس فى النار
ذكرى وفيها عظات وهى مدرسة ... للقانتين وآيات لأحرار
وأمة الضاد فى أفراحها لبست ... لأجل عيدك هالات لأنوار

محمد فهمى توفيق

# دعائم المنهج الخلقى الاسلامى

يقوم المنهج الخلقى الإسلامى ، الذى أشرنا إلى ميزاته فى حديثنا السابق ، على الدعائم الخلقية الآتية :

الدعامة الأولى : قوة الشخصية وكمال الرجولة ، وهى صفة تبعث صاحبها على الاعتداد بالنفس ، والاعتزاز بالكرامة ، والوقوف بجانب الحق ولو على نفسه ، والانتصار له مهما احتمل فى سبيل ذلك من جهد ومشقة ، والترفع عن سفساف الأخلاق وذميم الأفعال ، فقد عنى الإسلام ببناء هذه الدعامة وتنميتها فى المجتمع الإسلامى ، وأظهر هذه العناية فى أساليب قوية رائعة ، تثير فى النفس الحماسة والشجاعة ، وتلهب فيها العواطف والمشاعر .

فأوجب على المسلمين أن يكونوا رجالا أقوياء فى دينهم ودنياهم ، أعزة كراما فى مجتمعاتهم وأوطانهم ، يدافعون عن عزتهم وكرامتهم ، وينتصرون ممن يبغى عليهم أو يعتدى على سيادتهم ، وجعل ذلك من لوازم الإيمان وصفات المؤمنين . كما فى قوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا» « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ، « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز » .

وحرم عليهم الضعف والاستكانة والاستسلام ، كما قال جل جلاله « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم» « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا » فالإسلام لا يبيح لأهله أن يقيموا على الضيم والهوان ، ولا أن يضعفوا أمام أعدائهم فى الدفاع عن دينهم ووطنهم ، ويدعوا إلى الصلح والمسالمة خورا وتذللا لهم ، ولا يرضى لهم أن يكونوا أذلة مستضعفين ، ولا يقبل منهم الاعتذار

بأنهم كانوا مستضعفين فى الأرض ، لأن ذلك كله لا يتفق مع عزة الإسلام وكرامة المسلمين ، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يتمدح بمظاهر الرجولة والقوة ، والاعتزاز بالإباء والكرامة ، ويعمل على تنمية هذه المظاهر فى المجتمع الإسلامى ، وكان يقول فى ذلك ، « يعجبنى الرجل إذا سيم خطة ضيم أن يقول لا بملء فيه » .

فليس من شأن المسلم أن يرضى بالضيم والهوان ، أو يستكين للبغى والعدوان ، وإنما شأنه أن يكون رجلا كاملا فى رجولته ، قوياً فى دينه وخلقه ، عزيزاً فى مجتمعه ووطنه ، شجاعا لا يهاب الإقدام ولا يخشى اللقاء ، إذ غاية ما يصيبه فى سبيل الاحتفاظ بعزته وكرامته والدفاع عن دينه ووطنه ، إنما هو الاستشهاد فى ساحة الكرامة والشرف ، وما الموت إلا نقلة من دار الفناء إلى دار البقاء ، وهو ميت يوماً ما لا محالة .

وإذا لم يكن من الموت بد  فمن العار أن تموت جبانا

وكيف لا يكون المسلم قوياً فى رجولته وخلقه ، عزيزاً فى مجتمعه ووطنه ، وكل تعاليم الإسلام تتمثل فيها الرجولة والقوة ، ، وتتجلى فيها مظاهر الكرامة والعزة ، وكيف يخاف الموت فى سبيل الدفاع عن دينه ووطنه ، وهو يؤمن بأن الموت نهاية كل حى ، وأن الأجل عند الله مكتوب ومحدود ، فحرص الحريص لا ينجيه ، وإقدام الشجاع لا يرديه ، وأن الآجال بيد الله يصرفها كيف شاء ، فلا يعرف أحد متى يحين حينه ، ولا بأى أرض توافيه منيته . وكيف لا يؤمن بهذه الحقائق والسنن الإلهية ، وهو يتلو فى الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . قول الله جل جلاله : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا » . « وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير » .

هذه هى الشخصية الإسلامية كما قررها القرآن الكريم ، وقررها النبى صلى الله عليه وسلم تقريراً عملياً ، فقد تجلت هذه الشخصية القوية بأروع صورها وأكمل معانيها . فى أخلاقه وأعماله ومواقفه الخالدة ، وتمثلت من أول يوم حمى فيه وطيس الجهاد العنيف والكفاح المرير ، فى كلمته الباقية على وجه الزمان ، والتى صاح بها فى وجه الإغراء والطغيان : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ماتركته » فكانت هذه الصيحة القوية المدوية ، لساناً ناطقاً ، وتعبيرا صادقا

عما انطوت عليه نفسه الشريفة من قوة الشخصية وكمال الرجولة ، ومثلا أعلى للثبات على الحق والوقوف بجانبه مهما كانت العاقبة ، والتضحية بالنفس والمال والسلطان فى سبيل المبدأ والعقيدة ، ورائدا للمسلمين الأولين فى جهادهم وكفاحهم ، فكانوا مثلا عليا للجهاد والكفاح فى سبيل الدين والوطن .

فعلى المسلمين فى كل زمان ومكان ، أن يعلموا أن هذه الشخصية التى قررها الإسلام وطالب المسلمين أن يتخلقوا بها ، لا تختص بعصر دون عصر . ولا بفريق من المسلمين دون فريق ، بل تعم كل عصر من عصور المسلمين ، وتشمل كل جانب من جوانب حياتهم ، ويطالب بها كل فرد من أفرادهم ، وكل طبقة من طبقاتهم ، وعليهم أن يعلموا أن هذه الرجولة التى ملأت قلوب الرعيل الأول من المسلمين ، واستولت على أحاسيسهم ومشاعرهم ، هى التى أتاحت لهم أن يقيموا لأمتهم دولة عزيزة الجانب مرهوبة السلطان .

الدعامة الثانيـة : الحياء ، وهو خلق يبعث فى النفس الشعور بكمال الفضيلة ونقص الرذيلة ، ويحملها على الترفع عن سفساف الأخلاق وذميم الخلال ، واجتناب كل مايوجب المذمة والملامة . ولهذا عنى الإسلام بتنميته فى المجتمع الإسلامى عناية كبرى .

فامتدحه وحث على التخلق به ، وجعله مصدراً لكل خير وفضيلة ، وشعبة من شعب الإيمان وخصاله ، كما قال صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله » . « الحياء لا يأتى إلا بخير » « الحياء شعبة من الإيمان » .

وأكبر من شأنه ورفع منزلته ، فجعله الخلق الخاص بالإسلام ، كما قال صلى الله عليه وسلم « لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء » ولهذا لاترى مظاهر الحياء والاحتشام متجلية بأجلى معانيها ، إلا فى المجتمعات الإسلامية المحافظة على تقاليد الإسلام وآدابه .

والحياء جدير بهذه العناية وتلك المنزلة ؛ لأنه هو الذى يبعث صاحبه على كبح جماح الغرائز والشهوات ، والوقوف بها عند حدود التوسط والاعتدال ، ويحمله على مراعاة قوانين الأخلاق وآداب السلوك ، ويطبعه على التحرج من كل مايوجب تأنيب الضمائر الحية واستنكار النفوس الأبية ، وهو الظهير الذى يعتمد عليه قادة الإصلاح فى تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق ، وتنبيه الغافلين وإرشاد المنحرفين ، إذ لولا الحياء الكامن فى أعماق النفوس لما أثمر نصحهم وإرشادهم ؛ لأن الإنسان إذا نضب معين الحياء من وجهه ،

وأزال عنه حجاب التحفظ والاحتشام ، وارتدى رداء الفجور والتحلل ، وفقد الإحساس بكمال الفضيلة ونقص الرذيلة ، واختلت لديه موازين الحسن والقبح ، فإنه لا يفيد فيه وعظ ولا إرشاد ، ولا يجدى معه لوم ولا تقريع ، ولا يقتنع بحجة ولا دليل ، ولا يبالى بما يصدر عنه من أقوال وأفعال ، كما يشير إلى ذلك الحديث النبوى ، « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » ، فالحياء هو عنوان الإنسانية الكاملة ، ورائد الكمال والفضيلة ، وعماد الأخلاق الكريمة ، ومبعث الأعمال الصالحة . والمنبت الطيب لبذر الهداية والإصلاح ، ومن لاحياء فيه لاخير فيه .

الدعامة الثالثة : الأمانة ، وهى من أجل أخلاق الإسلام ودعائمه العظام ، فقد أكبر الإسلام من شأنها وأعظم أمرها ، وطالب المسلمين برعايتها والمحافظة عليها ، فأمر بتأدية الأمانات إلى أهلها . كما قال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » وجعل رعايتها من صفات المؤمنين الموجبة لفلاحهم ، كما قال تعالى : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وقرن النهى عن خيانتها بالنهى عن خيانة الله ورسوله تعظيما لشأنها ، كما قال عز شأنه : « يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » وجعل انتفاء الأمانة مستتبعا لانتفاء الإيمان ، وعلامة من علامات النفاق ، كما قال صلى الله عليه وسلم ، « لا إيمان لمن لا أمانة له . ولا دين لمن لاعهد له » ، « آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب . وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » ، وإنما تتحقق أمانة المؤمن بتحقق الجوانب الثلاثة الآتية : —

١ — أن يكون أمينا على دينه ، يؤمن بعقائده ويعقد عليها عقد اليقين والإذعان ، ويأتمر بأوامره وينتهى بنواهيه ، ويتخلق بأخلاقه ويتأدب بآدابه ، ويسير فى تعرف أصوله وفروعه وفهم نصوصه . على هدى ماتوارثه المسلمون عن الرعيل الأول من أئمة المسلمين وعلمائهم وحفاظهم ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة بكتاب الله وسنة رسوله ، وأعمقها علما بشرائع الإسلام ومقاصده . وأقلها تكلفا فى الاجتهاد والاستنباط ، وأقومها هديا واتباعا للكتاب والسنة . فلا يسير فى فهمها وراء الظنون والأهواء . فإن الهوى آفة الرأى ، ومضلة للعقل ، ومفسدة للقلب ، ولا يقول فى دين الله بغير علم ولا حجة ، ولا يدلس على الناس فى الدين ولا يضللهم . فإن ذلك ضلال بعيد وفساد كبير .

٢ — أن يكون أميناً على الحقوق والواجبات ، والعقود والمعاملات ، إذا حكم فى حق حكم فيه بالعدل ، وإذا وجب عليه حق من حقوق الله أو حقوق العباد ، أداه كأحسن مايكون الأداء ، وإذا عاقد أحدا أو عامله ، وفى بالعقد وأحسن المعاملة .

٣ — أن يكون أميناً على الروابط والصلات ، والأعراض والكرامات ، فلا يتقول على الناس الأقاويل ، ولا يفترى عليهم الأكاذيب ، ولا يشيع عنهم مقالة السوء . ولا يتتبع عوراتهم ، ولا يهتك لأحد ستراً ، ولا ينتهك له حرمة ، ولا يخدش له كرامة ، ولا يثلم له عرضاً .

ومن هنا يتضح لنا أن الأمانة التى طالبنا الله برعايتها ، ليست خاصة بشأن خاص من شئون الحياة ، بل تعم جميع الشئون الدينية والدنيوية ، ويطالب بها كل فرد من أفراد المسلمين ، يطالب بها المتدينون فى تدينهم ، والمرشدون فى إرشادهم ، والعلماء فى بحوثهم ، والمعلمون فى أداء رسالتهم ، والحكام والرؤساء فى إدارتهم ، والجنود فى ميادينهم ، والصناع فى مصانعهم ، والتجار فى متاجرهم ، والزراع فى حقولهم ، وكل راع فى رعيته وولايته .

الدعامة الرابعة : الوفاء بالعهد ، فقد عنى به الإسلام عناية كبرى ، لما له من عظيم الخطر وجليل الأثر ، فأوجب على المسلمين الوفاء بعهودهم ومواثيقهم ، وحث على رعايتها والمحافظة عليها ، وحرم نقضها والغدر بها ، كما قال الله تعالى : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون » ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » وجعل الوفاء بها من لوازم الإيمان وصفات المؤمنين كما قال تعالى فى وصف المؤمنين « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » ، « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » كما جعل نقضها والغدر بها من لوازم النفاق وصفات المنافقين ، كما قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها ، إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » ، فالعهود التى طالبنا الله بالوفاء بها . تعم العهود الدينية التى أوجبها الله على عباده وتعبدهم بها ، والعهود الدنيوية التى أذن الله لهم فيها وأرشدهم إليها ، وقضت بها حاجة الاجتماع والتعاون بين الأفراد والجماعات ، سواء كانت هذه العهود قائمة بين الأفراد أو بين الجماعات من المسلمين ، أو كانت قائمة بين المسلمين وغيرهم ، فعناية الإسلام بالعهود الدنيوية المصلحية ،

لا تقل عن عنايته بالعهود الدينية التعبدية ، لأن الوفاء بها من أهم دعائم التعاون بين الأفراد والجماعات ، واستقرار الثقة فى العقود والمعاملات ، واستتباب الأمن والسلام فى الجوار والصلات ، فإن أكثر ما يقع بين الأفراد من الخصومات الجامحة والأحداث الدامية ، التى تملأ الصدور بالحقد والضغينة ، وتبذر فيها بذور الفرقة والقطيعة ، وما يقع بين الأمم من حروب طاحنة ، تسفك الدماء المعصومة ، وتحصد الأرواح البريئة ، وتنشر الخراب والدمار ، يرجع فى بواعثه إلى عدم الوفاء بالعقود والعهود ، والاستهانة بحرمتها وقداستها ، وعدم قيامها على الصراحة والإخلاص وسلامة القصد ، كما يشاهد ذلك فى المعاهدات والمحالفات التى تعقدها دول الاستعمار ، فإنها تقوم على الغش والخديعة ، والتمويه وسوء القصد ، وعدم المبالاة بنقضها والغدر فيها ، متى كان ذلك محققا للأغراض الخفية التى عقدت لأجلها ، لأنها مستمدة من وحى الأهواء لا من وحى السماء ؟

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر



## تحية للجمهورية العراقية

في ساعة الصفر وقت الفجر ناداه ... والنصر فى الأوج بعد الصبر وافاه
هبوا سراعا كأسد هاجها شبح ... واستيقظ الغرب ذعراً فاغراً فاه
يا أهل بغداد ما للغرب فى فزع ... هل جد أمر خلاف النصر آذاه
أم أنه الزحف لم يترك له أملا ... فى العيش بين شعوب خصها الله
ماكان للشك فيما كان من أثر ... فالقوم فى الشرق كل الشرق أشباه
منا جمال ومنكم قاسم وغداً ... من أهل عمان ماضى العزم تياه
صبر تضيق به الأيام إن قدرت ... والعزم حتى قساة الجن تهواه
ما كنت أرتاب فى أهلى وإن هدءوا ... فالمعدن الحر قد يغبر أعلاه
بل كنت أوقن أن الأمر تصفية ... تزدى الخسيس وبئس النار مثواه

محمد كامل شلش

# تعليقات

## مسابقة العيون الجريئة

كانت فجيعة خلقية تثير الأسى عند كل ذى غيرة ، فما ظننا أن يبلغ الاستهتار والتبجح عند أناس أن يجتمع عدد من الفتيات ( من أى طبقة كانت ) على شاطىء البحر ثم يجعلن أنفسهن غرضاً للعيون الجريئة التى تسرف فى إمعان النظر إلى الفتيات ، ثم يكون لأكثر الفتيان وقاحة تقدير عند الفتيات ، وتمييز للراجح عن المرجوح .

لم تكن نظرة الناظر إلى امرأة من غير محارمه إلا ضرباً من المجون ، وقد سمى الله تلك العيون خائنة ، والخيانة أبشع ما يتصف به دنىء ، وما كانت النظرات الخائنة إلا سبيلا للخطيئة الجنسية التى اعتبرها القرآن قبل سواها من المآثم فاحشة ، ثم نهى عن الفاحشة بل عن قربان الفاحشة ، والقربان هو النظر وما يشبهه .

هذه النظرات الخائنة أصبحت عند فتيات من جيلنا الذى نعيش فيه نظرات مشروعة ، بل مطلوبة بالإغراء والألقاب المشجعة .

هذه مهزلة تقضى على الحياء وعلى الرجولة معاً ، فكان هناك فتيات تجردن من طبيعة الأنوثة فلم يعد لديهن حياء مما يزين الأنثى ، ويرفع شأنها ، وكان هناك فتيان فقدوا غيرة الرجولة واحتشام الأدب .

ولقد كان هؤلاء الفتيات والفتيان فى أغلب الظن من أوساط مهلهلة لا يردعهن أصل كريم ، ولا يبقين على سمعة طيبة يصونها عادة أبناء البيوتات . فالمسابقة بين الفريقين فى هذا الباب فجيعة لا يرضاها الحيوان فضلا عن أناس يظنون أنهم سبقوا فى المدنية والحرية .

وكان العلاج الناجع والرد الموفق على هذه المأساة ما صنعه المشير عبد الحكيم عامر فقد اقتاد الشبان إلى الجيش ليعلمهم الرجولة بدلا من التخنث ، ولينتفع بهم الوطن فى ميادين الكفاح والجد بدلا من الميوعة والهزل .

نعم ما صنع القائد عبد الحكيم عامر ! وليته يتتبع هؤلاء الرقعاء فيزج بهم فى الجيش مع مراقبتهم بين الجنود ، أو عزلتهم عن الجمهرة منهم لئلا ينفثوا سمومهم فى نفوس الشبان هناك .

وبقيت مسألة الفتيات جديرة بعلاج لائق يسد هذا الباب الخطر ، ويحمى البيئة من جراثيم الإسفاف ، والرقاعة والتبذل .

والحق أن الأمر بحاجة إلى عين ساهرة ، ولكن ماذا نصنع وبيننا من ينشط فى تشجيع الرقص بين الفتاة والفتى ، ويحسب ذلك فنا جميلا يخدم به الحضارة الحديثة فى شعب شرقى متدين ، يأبى دينه وتقاليده أن يحاكى غيره فى هذه المهازل الخليعة ، ووالله إنها لتوجيهات ضارة وتركها واجب .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



---

## الإنسان الكامل

بأى لفظ أصوغ الدر تبيانا ... وأسبك القول بين الناس عقيانا

وأمدح المصطفى جلت مواهبه ... محمداً خير خلق الله إنسانا

أنى لمثلى يطريه ويمدحه ... بعد الألى ذهبوا فى القول فرسانا

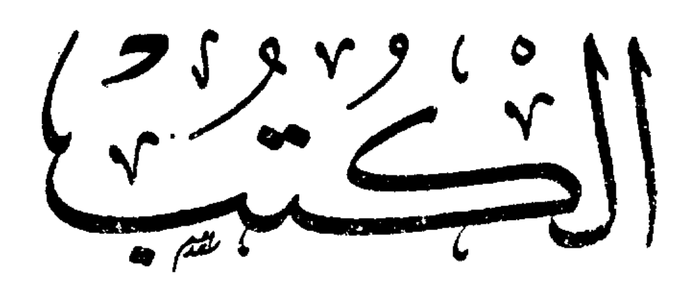
يا من طلعت على الأكوان أجمعها ... بدراً منيراً أنار الكون أزمانا

غزوت لله لا دنيا تؤملها ... وما أردت سوى إرضاء مولانا

مواقف كلها نبل ومفخرة ... يمضى لها الدهر مبهوتاً وحيرانا

لقد تركت رياض العلم يانعة ... تزكى جناها ثقافات وعرفانا

من قصيدة للأستاذ : إبراهيم أبو سعدة ــ واعظ القاهرة



# المسح على الجوربين

للشيخ جمال الدين القاسمي – ( ٦٦ ص ) – المطبعة السلفية بالقاهرة

عالم الشام الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ( ١٢٨٣ – ١٣٣٢ ) شغل حياته بالعلم ، وزين علمه بالعمل ، ولو لم يكن له إلا تفسيره الكبير الذي يطبع الآن لكفاه في تخليد فضله ، فكيف وقد عرف العالم الإسلامي فضله في حياته قبل أن يعرف له هذا التفسير ، ثم عرف له بعد وفاته سنة ١٣٣٢ كتباً أخرى نشرت بعده ، ومنها هذه الرسالة في المسح على الجوربين وأن ذلك كان مشهوراً عند الفقهاء من الصحابة والتابعين ورواة الحديث ، وقد أورد المؤلف الأحاديث الواردة في ذلك ، ورد ما ورد عليها من شبه ، وذكر أسماء من أثر عنهم المسح على الجوربين من الصحابة والتابعين ، وبعد أن بين أن أقوال الصحابة وفتاويهم أولى بالأخذ من غيرها استعرض مذاهب الأئمة الأربعة في ذلك .

وقد قدم له فقيد السنة والشريعة العلامة الشيخ أحمد شاكر مقدمة في تصحيح الأحاديث التي استدل بها المؤلف ، واستوفى هذا الموضوع في مقدمته .

# المسح على الخفين لابن تيمية

ويلي رسالة المسح على الجوربين للقاسمي فصل من الفتاوى المصرية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية في ( المسح على الخفين ) وهي دراسة دقيقة في الفقه لا يجدها طلاب العلم بأوفى مما يصدر عن قلم ابن تيمية ، ومما اشتملت عليه هذه الدراسة بيان خطأ أهل الظاهر – ومنهم العلامة ابن حزم – في عدم أخذهم بفحوى الخطاب . وهي في ٣٢ صفحة ( ٦٧ — ١٠٨ ) نشرت عن نسخة خطية علق عليها وعارضها بالفتاوى المصرية الكبرى المطبوعة العالمان الفاضلان الشيخ عبد الرحمن المعلمي والشيخ سليمان الصنيع من علماء الحجاز .

# الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس - للقاسمي

وقد ألحق بالرسالتين السالفتين هذا الكتيب من مؤلفات العلامة القاسمي ، في موضوع الحلف بالطلاق الذي ابتلي به أكثر العامة في اللغو من كلامهم والتافه من أمورهم. وقد أفاض المؤلف في بيان آداب التطليق المستمدة من الكتاب والسنة ، وهي عشرة : منها رعاية المصلحة في إيقاعه ، وأن لا يكون القصد من إيقاعه مضارة الزوجة ، وأن لا يكون في حالة غضب ، وأن يكون الفراق منويا مقصودا ، وأن يكون مأذونا فيه من الشرع ، وأن يكون بإحسان ، وأن لا يطلق ثلاثا دفعة واحدة . ولعل هذه الرسالة آخر مؤلفات العلامة القاسمي ، فقد ذكر في آخرها أنه ألفها وهو في رحلته إلى حوران وطبريا وحيفا وعكا سنة ١٣٣٢ وهي سنة وفاته . وهذه الرسالة الثالثة في ٥٩ صفحة ( ١٠٨ - ١٦٤ ) .

وقام بطبع هذه المجموعة نصير السنة والعامل في الحجاز على نشر علم السلف الشيخ محمد نصيف حفظه الله وجزاه عن العلم خيرا .

# مطابقة الاختراعات العصرية

## لما أخبر به سيد البرية

لأحمد بن صديق الغماري - ١٥١ ص - دار العهد الجديد للطباعة

هو كتاب زعم فيه مؤلفه أن في الأحاديث النبوية ما يدل على المخترعات العصرية ، كالسكة الحديد والسيارات والطائرات والتليفون والراديو والمطابع والغواصات والسيرك والكلاب البوليسية وتأميم البترول والمطر الصناعي وآلة التصوير والبنكنوت والشيوعية ودولة اليهود والرد على نظرية دارون الخ ... والذي نعتقده أن السنة النبوية وردت لتوجيه الناس إلى ما فيه رضا الله وتحويلهم عما يوجب سخطه ، ولاحاجة بالحديث النبوي إلى الدلالة على هذه المخترعات بأعيانها بعد أن أخبر الله عنها وعن غيرها بقوله سبحانه : « ويخلق ما لا تعلمون » . غير أن في صفحة ٦٤ من الكتاب قذفا بمجاهد كريم يعاقب عليه القانون ، وحكمه في الشريعة إقامة الحد على القاذف إن لم يأت بأربعة شهداء . وفي صفحة ١٣٢ قذف

آخر بالخيانة لذلك المجاهد ، واستيلائه بزعم المؤلف على الملايين من أسبانيا ثم من فرنسا ومن اليهود أيضاً ، مع أننا لا نعرف عن ذلك المجاهد إلا اضطهاد المستعمرين له واعتقاله وسجنه ومواصلة جهاده فيهم طول حياته ، وفى ص ١٠٩ عد من التلاعب تمسك العرب بعروبتهم ونصرهم اللغة العربية وبحثهم عن الدخيل منها وإبدال الكلمات الإفرنجية بما يؤدى معناها من العربية .

فإذا كان هذا تلاعبا فى نظر المؤلف ، فعلى العلم وعلى العروبة وعلى العربية وعلى التأليف السلام .

# المصابيح المباركة

للأستاذ محمد المهدى محمود على - ٧٢ ص - مطابع دار الكتاب العربى

والمصابيح المباركة التى جعلها المؤلف عنواناً لرسالته هى : القرآن الكريم ، وشهر رمضان ، والأزهر الشريف .

ومن فصول الرسالة عن القرآن فصل عنوانه ( نور من الله ) نوه فيه بمؤلفات بعض أعلامنا عن كتاب الله كالسيوطى فى ( الإتقان ) ، والشيخ طاهر الجزائرى فى ( التبيان ) ، والرافعى فى ( إعجاز القرآن ) ، وعبد العظيم الزرقانى فى ( مناهل العرفان ) ، ومحمد عبد الله دراز فى ( النبأ العظيم ) . وبعده فصل بعنوان ( الرسول والقرآن ) .

ومما جاء فى الرسالة عن المصباح الثانى رمضان فصل عنوانه ( المصطفى الكريم فى شهر رمضان ) . وفصل عن ( الصلة بين القرآن والصيام ) . وفصل بعنوان ( السلف الصالح ) .

وثالث المصابيح هو الأزهر تكلم فيه عنه وعن القرآن والاستعمار ومخلفاته والأقلام الهدامة . ثم عن الأزهر والاستعمار بألوانه ، وقد لخص فيه محاضرة الدكتور محمد البهى عن المؤامرات على الأزهر من تلاميذ المدرسة الاستعمارية ، ثم عن الأزهر والثورة ، وصيحة الحق ، ورسالة الأزهر فى رمضان الخ .

وهى رسالة لطيفة نافعة إن شاء الله ؟





# أنباء العالم الإسلامي

## أول حكومة لجمهورية الجزائر

فى يوم الجمعة المبارك خامس شهر ربيع الأول شهر المولد النبوى ، ولدت أول حكومة لجمهورية الجزائر الحرة ، وهى تتألف من ١٩ وزيراً يرأسهم السيد فرحات عباس ، الذى أعلن فى مؤتمر صحفى بالقاهرة عقب صلاة الجمعة ، أن تأليفها كان بقرار من لجنة التنسيق والتنفيذ ، بناء على السلطة المخولة لها من قبل المجلس الوطنى للثورة الجزائرية . وستكون هذه الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر مسئولة أمام المجلس الوطنى للثورة الجزائرية . وقد بدأ عملها رسميا فى الساعة الأولى بعد ظهر ذلك اليوم ( الجمعة ) .

وفى ساعة تأليف هذه الحكومة تلقت برقية تهنئة من الرئيس جمال عبد الناصر ، وتوالت الاعترافات بها من الجمهورية العراقية ، وليبيا ، واليمن ، وتونس ، والمغرب ، والعربية السعودية ، والأردن ، والسودان ، والصين الشعبية ، وأندونيسيا ، وفيتنام .

وصرح السيد عبد الحميد مهرى وزير شئون الشمال الإفريقى الجزائرى بأن حكومة الجمهورية الجزائرية تعتبر نفسها فى حالة حرب مع فرنسا ابتداء من يوم تأسيسها . وأضاف أن فرنسا تقع عليها مسئولية كل ما يترتب على هذا الوضع .

وستبحث الحكومة الجزائرية - فى أول اجتماع لها - مسألة طلب انضمامها إلى جامعة الدول العربية .

ويتكون العلم الجزائرى من اللونين الأخضر والأبيض متجاورين رأسيا ، ويتوسطهما هلال أحمر ونجمة حمراء .

## جهاد الجزائريين

فى قلب فرنسا

انتشر الرعب فى جميع أنحاء فرنسا من بسالة المجاهدين الجزائريين ، وقد لوحظ أن حملاتهم تزداد عنفا كلما اقترب اليوم المحدد للاستفتاء على دستور ديجول ، لحمل المقيمين فى فرنسا على التصويت ضده أو الامتناع عن الاشتراك فى الاستفتاء . وفى يوم غرة ربيع الأول ( ١٦ سبتمبر ) نسف المجاهدون الجزائريون معسكرا حربيا خارج مدينة مرسليا فقتل عامل مدنى وجرح ثلاثة جنود ومدنيان وقد حدث هذا الانفجار عقب محاولة المجاهدين

الجزائريين اغتيال جاك سوستيـــل وزير الاستعلامات الفرنسي في قلب باريس ، وكان الهجوم على سوستيل منظما واشترك فيه عدد من المجاهدين تمكنوا من الاختفاء وسط الجمهور . وتوجه سوستيل في اليوم التالي ـ بجبهته المضمدة ـ لمقابلة ديجول ثم قصد إلى مقر إدارة البوليس لمعاينة سيارته التي أصيبت أمس برصاص الجزائريين. وحاول الجزائريون نسف مصنع قريب من رصيف ميناء الهافر ولكن المتفجرات لم تنفجر كما يجب فأحدثت أضرارا طفيفة . وحوادث نشاط الجهاد الجزائري في فرنسا وإضرامهم الحرائق في المرافق الحيوية أكثر من أن يتسع المجال لإحصائها .

## رئيس لبنان الجديد

قبيل ظهر الثلاثاء ٢٣ / ٩ أدى رئيس الجمهورية اللبنانية الجديد السيد فؤاد شهاب ، اليمين الدستورية في مجلس النواب ، ثم ألقى كلمة قال فيها : إن إقرار الأمور وحكم الدولة في جميع المناطق اللبنانية يقتضي نزع السلاح من أيدي الجميع بلا هوادة ، وبناء ما تخرب من مرافق البلاد ومعالمها ، وإزالة التوتر في العلاقات بين لبنان وبعض شقيقاته العربيات ، وفوق ذلك كله تحقيق انسحاب القوات الأجنبية عن أرض الوطن بأسرع وقت ـ وبعد أن أشار إلى ضرورة إعادة الوحدة بين العناصر اللبنانية عاهد الأمة وطالبها بالوفاء بعهدها للدستور غير المكتوب وهو الميثاق الوطني في تعاون لبنان ـ بصدق وإخلاص ـ مع شقيقاته الدول العربية إلى أقصى حدود التعاون لما فيه خيره وخيرها جميعا ، متمما علاقاته مع العالم أجمع على أساس الصداقة والكرامة والتعامل المتكافئ الحر .

وقال : وإذا كان ميثاق جامعة الدول العربية التي نغتبط جميعا بازدياد نشاطها . وميثاق هيئة الأمم المتحدة ، هما الدعامتان القويتان لاستقلال لبنان ، فإن الدعامة الكبرى تبقى في ميثاقنا الوطني في وحدة صفوفنا واجتماع قلوبنا .

ثم قال : إن ما يجري في المحيط العربي من نهضة في جميع نواحي الحياة لا بد من أن يقابله في هذا الوطن الذي كان دائما صاحب المبادرة في كل نهضة عربية ، بروح جديدة للتحرر والتوثب .

ولما انتهى خطابه مع دوي التصفيق أطلقت المدافع ٢١ طلقة تحية له . وانتقل مع رتل عظيم من سيارات الوزراء ورجال الجيش والنواب وأعضاء السلك السياسي إلى القصر الجمهوري فتسلم مفتاح القصر من كميل شمعون الذي خرج من قصر الجمهورية مواطنا عاديا .

وخرج شعب لبنان إلى الشوارع يعلن فرحته ، فانطلقت الأعيرة النارية من الشعب والجيش تحية للعهد الجديد ، وعلقت فى كل مكان صور الرئيس الجديد ، والبطريرك المعوشى ، وجمال عبد الناصر ، وشكرى القوتلى . وألقت الطائرات الحربية اللبنانية منشورات طالبت فيها المواطنين بالمحافظة على الوحدة والقيام بأعباء الوفاء للوطن وسعادته .

## سامى الصلح فى تركيا

لفظ الوطن العربى ابنه الآبق سامى الصلح ، فحملته طائرة الأميرال جيمس هولواى الأمريكى تحت ستار الليل قبل فجر يوم السبت ٦ ربيع الأول ( ٢٠ سبتمبر ) من منزله فى قرية المنصورية قرب مصيف برمانا الجبلى فى شمال بيروت إلى قاعدة حلف شمال الأطلنطى الجوية فى أضنة بتركيا . وأغلب الظن أنه سيقضى فيها بقية عمره كما أمضى فيها سنوات صباه ، لأن أباه كان مدير البريد والبرق فى تلك المدينة فى بداية هذا القرن ، ولعله ولد هناك . ولما توفى والده والتحق سامى الصلح بالمدرسة الثانوية التركية فى بيروت كان يؤثر الاختلاط بأبناء الأتراك أكثر مما يأنس بصحبة أبناء العرب ، وكان يحسن التركية أكثر مما يحسن العربية ، وكان معروفا يومئذ عند زملائه ـ ومنهم رئيس تحرير هذه المجلة ـ بأنه لا يصلح إلا للوظائف ، وأنه لن يرتجى منه خير لقوميته العربية ، وهكذا عاد سامى الصلح إلى بيئته الأولى التى منها نشأ وفيها درج .

## مؤامرات الخيانة والاستعمار

تبين من التحقيقات والمحاكمات والوثائق المكتشفة فى العراق أن سوريا كانت مطمح أنظار الاستعمار ، لسحق الحيوية العربية الكامنة فيها . وقد اشترك فى التآمر عليها ست دول : أمريكا ، وانجلترا ، وتركيا ، واسرائيل ورجال الحكم البائد فى العراق ، ورجال الحكم الآيل إلى الزوال فى الأردن . وكان دور أمريكا وبريطانيا فى المؤامرة المشاركة فى وضع الخطط وتقديم المساعدات المالية اللازمة ومد عناصر المؤامرة بالسلاح . وكان دور تركيا حشد قواتها على حدود الإقليم السورى عند بدء تنفيذ المؤامرة . أما دور إسرائيل فهو الاشتراك فى الهجوم على الحدود السورية . وكانت الأردن تشارك فى تكديس الأسلحة على حدود سوريا والعراق ، وتساهم فى توزيعها على العشائر البدوية ، وتهيئ قوات من الجنود البدو المسرحين من الجيش الأردنى ليتطوعوا فى عمليات الفتنة التى كانت الدول الست ترسم لها مختلف الخطط .

## مشكلة اللاجئين العرب

نشرت صحيفة ( تاج زايتونج ) النمسوية حديثاً للجنرال بيرنز قائد قوة الطوارىء الدولية قال فيه : « إن الاضطرابات قد تشتعل من جديد فى الشرق الأوسط قبل مضى وقت طويل ، والسبب الرئيسى لذلك هو مشكلة اللاجئين العرب فى فلسطين ، إذ مادامت هذه المشكلة باقية بغير حل سيصبح من المستحيل إزالة المرارة التى يحس بها اللاجئون العرب »

## تقرير نظام العراق

قال الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس وزراء الجمهورية العراقية فى حديث له مع فريق من كبار الشخصيات : إننا نجتاز الآن فترة انتقال وسوف نجرى استفتاء شعبيا بعد رفع مستوى الشعب ، حتى تتمكن الأمة من تقرير شكل الحكومة التى ترغبها .

وقال فى جمع من كبار رجال الدين المسلمين إننا سنعمل جاهدين على أن نتحد كأمة ، فإن الأجانب يحاولون إيجاد ثغرة فى صفوفنا لتحقيق مطامعهم فى التفرقة بيننا وتقسيمنا إلى شيع متقاتلة .

إننا لن ندع الأجانب وأذنابهم ينجحون فى إحداث صدع فى جبهتنا ، ولن نمكنهم من التدخل فى شئوننا الداخلية أو الخارجية . إن العراق يرغب فى أن يكون صديقا للجميع ولكننا نرفض أى اعتداء على سيادتنا .

وسأله أحد رجال الدين : ماهى الإجراءات التى تتخذها الحكومة لمكافحة الشيوعية والمبادىء الهدامة ؟ فأجابه : إن الاستعماريين دأبوا على اتهام كل حركة وطنية بأنها نشاط هدام ، ولكننا شعب له دينه وعقيدته وإيمانه بالله ، ولن ترهبنا المبادىء الشيوعية أو الأمريكية أو البريطانية .

## اتحاد تعاونى عام

اتفق قادة الحركة التعاونية فى إقليمى الجمهورية العربية المتحدة على الاشتراك فى وضع القاعدة الأساسية للاتحاد التعاونى العام للمنطقة العربية من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى

فقد استقر الرأى على توحيد النظام التعاونى فى الأقليمين ، وصدر بذلك قرار جمهورى يسمح بإقامة اتحاد عام للجمعيات التعاونية فى الجمهورية ، وستنص لائحة هذا الاتحاد على أن الباب مفتوح لانضمام كل اتحاد تعاونى فى جميع البلاد العربية .

# عـــدد ممتاز

## الجزءان ( الرابع والخامس )

ربيع الآخر ، جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ هـ

المجلد الثلاثون



---






زعيم العروبة والإسلام

الرئيس جمال عبد الناصر



# قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

## رقم ١٣٥٧ لسنة ١٩٥٨
## بتعيين شيخ الجامع الأزهر

---

رئيس الجمهورية :

بعد الاطلاع على المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنه ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له .

وعلى القرار الجمهوري رقم ١٠١١ لسنة ١٩٥٨ بتعيين ممثلى الجمهورية العربية المتحدة فى مجلس اتحاد الدول العربية .



## قــــرر

### ( المادة الأولى )

عين الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر شيخاً للجامع المذكور بدلا من الشيخ عبد الرحمن تاج الذى عين عضوا فى مجلس اتحاد الدول العربية .

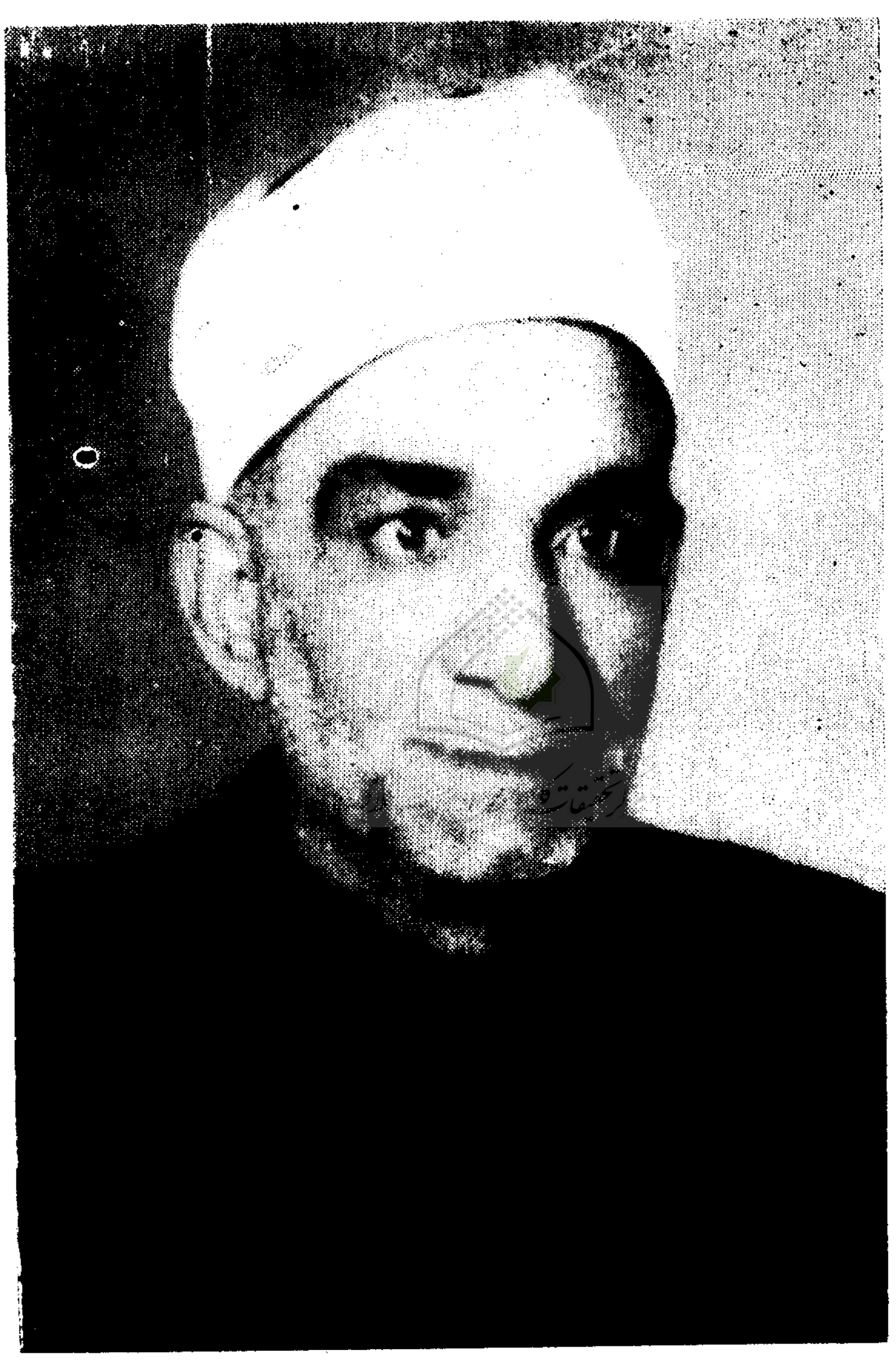
### ( المادة الثانية )

على وزير الدولة تنفيذ هذا القرار .

صدر برياسة الجمهورية فى ٨ ربيع الثانى سنة ١٣٧٨ ( ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٨ )

( جمال عبد الناصر )

**صورة مرسلة إلى مشيخة الجامع الأزهر**



صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

# إلى فضيلة الأستاذ الأكبر
## شيخ الجامع الأزهر

لقد أدبك ربك وهذبك وعلمك ، وزادك بسطة فى العلم ونبوغا فى فهم كتابه ، وإدراك أسرار سنة نبيه ، ووجهك للاتصال بكل الهيئات ، وتعرف أحوال جميع الطبقات ، ومنحك عقلية فحول العلماء وذكاء الحكماء ، وآتاك كل مؤهلات الاستنباط والاجتهاد حتى صرت بحق إماما فى هذا العصر ، وحجة فى دين الإسلام لجميع المسلمين . ولقد أسبغ الله عليك النعمة بإسناد منصب مشيخة الأزهر إليك . وهو منصب جد خطير ، ولكنك وأيم الله له أهل وبه جدير .

وكأن الله قد ادخرك لهذا المنصب فى هذا الوقت الذى تكاثرت فيه الفتن وأحداث الشر فى الدنيا والدين ، وأحيط بالأزهر فضعف وضعف وبلغ منه الضعف حتى افتقر فى الرجال أو أقفر ، وكاد يتهالك ويلفظ النفس الأخير ، ولكن عناية الحكيم العليم شملته ، ولطف اللطيف الخبير أدركه بتعيينك شيخاً له أحوج ما يكون إلى مشيختك ، وإماما للمسلمين أحوج ما يكونون إلى إمامتك . وكان ذلك على يد زعيم العروبة والإسلام : جمال عبد الناصر الذى يجزل له المسلمون الشكر على هذا الاختيار الموفق .

أى شيخ الأزهر :

أنت فذ فى عبقريتك ، مكين فى عقيدتك ، قوى فى دينك ، كريم فى خلقك ، شجاع فى الحق ، وقد آتاك الله سلطان الدين ، ووضع فى يدك راية الإسلام ، فارفعها فى الخافقين بمحاربة الإلحاد والضلال ، وبيان الحرام من المعاملات والحلال . وإبلاغ دعوة الإسلام على وجهها الصحيح إلى الناس كافة ، ونشر الثقافة الدينية فى جميع بقاع الأرض حتى تعود للدين جدته وقوته ، وللأزهر عظمته ومكانته .

هذا يا فضيلة الأستاذ الأكبر مطلبى الوحيد منك وقد بلغت منتهى ما يصبو إليه رجال الدين ، وإن تحقيقه ليحتاج إلى مجهود جبار وعمل متواصل بالليل والنهار .

لهذا أضرع إلى الله الكريم الوهاب أن يمنحك السلامة والعافية ، ويتم لك الشفاء ، ويهبك كمال الصحة ، ويبعث فيك مزيداً من النشاط بعد أن قاسيت من المرض ما قاسيت ، وأن يجزيك عن هذا أجر الصابرين .

وإنى إذ أهنئك بمنصبك أو فى الحقيقة أهنىء بك المنصب الجديد ، أسأل الله أن يديم لك الرأى السديد ، ويمنحك المعونة والتأييد .

**عبد الرحمن عيسى**

مدير المجلة

# شيخ الجامع الأزهر

فضيلة الأستاذ محمود شلتوت فقيه واسع الأفق . بصير بالأحكام الشرعية الملائمة لحاجات الناس ومقتضيات العصر . ومفسر ملم بكتاب الله وسنن الكون ، وعالم اجتماعي يعرف أمراض المجتمع ووسائل علاجها ، حارب الجمود والعصبية المذهبية التي جعلت من المذاهب أديانا ، وفرقت بين المسلمين . وندد بفكرة غلق باب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية واعتبره غلقا للعقول ، وتعطيلا لكتاب الله ، ومجافاة لنصوصه الداعية إلى البحث والنظر ، وله مدرسة في كل ذلك دفعت قافلة الفكر الإسلامي إلى الأمام . وله آراؤه الإصلاحية في النهوض بالأزهر الذي كافح في سبيل إصلاحه منذ سنة ١٩٢٤م حتى الآن .

ولد في ٢٣ أبريل سنة ١٨٩٣ م ، ببلدة منية بني منصور مركز إيتاي البارود مديرية البحيرة ، وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة ١٩٠٦م . وكان أول فرقته في جميع سني الدراسة ، وقد نال شهادة العالمية النظامية عام ١٩١٨ م ، وكان ترتيبه أول الناجحين فيها .



وبعد تخرجه عين مدرساً بمعهد الإسكندرية الديني عام ١٩١٩ م ، وقد تابع نشاطه العلمي في المعهد وفي الأوساط العلمية ، وفي الصحافة فيما يتصل بعلوم اللغة والتفسير والحديث وسائر العلوم الدينية ، ونادى بوجوب إصلاح الأزهر . واستقلاله عن الجهات التي يخضع لها .

وفي سنة ١٩٢٧ م نقل مدرساً بالقسم العالي في القاهرة .

ولما عين المرحوم الشيخ المراغي شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٨م تجاوبت فكرته الإصلاحية مع فكرة الشيخ المراغي في إصلاح الأزهر ، وأيد ذلك في عدة مقالات نشرت في صحيفة السياسة اليومية ، وغيرها من الصحف .

ثم نقل مدرساً للفقه الإسلامي بأقسام التخصص في الأزهر ، وفي سنة ١٩٣١م تعارضت آراؤه الإصلاحية مع المشرفين على سياسة الأزهر في ذلك الوقت ، وانتهى الأمر بفصله في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣١ م مع بعض زملائه ممن يؤمنون بفكرته الإصلاحية .

# شيخ الجامع الأزهر

وبعد فصله تابع فضيلته نقده لسياسة الأزهر ، ونشر أفكاره الإصلاحية بالصحف اليومية والمجلات ، واشتغل بالمحاماة ، والبحوث العلمية أثناء هذه الفترة إلى أن أعيد إلى الأزهر سنة ١٩٣٥ م وعين وكيلا لكلية الشريعة الإسلامية ، ثم مفتشاً بالمعاهد الدينية .

وفى سنة ١٩٣٧ م مثل الأزهر فى مؤتمر لاهاى الدولى للقانون المقارن ، وألقى بحوثا فى التشريع الإسلامى ، وكان من أثرها أن قرر المؤتمر أن الشريعة الإسلامية ، تشريع مستقل ، وقائم بذاته ، ويصلح مصدراً للتشريع فى كل زمان ومكان .

وفى سنة ١٩٤١ م قدم رسالة فى المسئولية المدنيـة والجنائية فى الشريعة الإسلامية ، نال بها عضوية جماعة كبار العلماء بالإجماع ، وكان أصغر الأعضاء سناً .

وفى سنة ١٩٤٢ م ألقى محاضرته الإصلاحية فى السياسة التوجيهية التعليمية بالأزهر .

وفى سنة ١٩٤٦ م اختير عضواً فى المجمع اللغوى .

وفى سنة ١٩٥٠ م عين مراقباً عاماً لمراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر ، ووضع أسساً لإصلاح المراقبة ، ولعلاقة مصر الثقافية مع العالمين العربى والإسلامى ، وغيرهما .

وفى سنة ١٩٥٧ م عين مستشاراً فى المؤتمر الإسلامى ، ثم وكيلا للجامع الأزهر . وظل فى منصبه حتى صدر القرار الجمهورى باختياره شيخاً للأزهر .

وفضيلته فوق ذلك عضو فى اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التربية والتعليم ، وعضو بالمجلس الأعلى للإذاعة ، ورئيس للجنة العادات والتقاليد بوزارة الشئون الاجتماعية ، وعضو فى اللجنة العليا لمعونة الشتاء .

وله محاضرات فى تفسير القرآن الكريم بدار الحكمة ، ودور التعليم ، والجمعيات ، والهيئات .

كما يتابع فضيلته تفسيره فى مجلة رسالة الإسلام التى تصدرها دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ويتابع بحوثه الإسلامية ، والاجتماعية على صفحات الجرائد ، والمجلات وفى الإذاعة .

وله كتب ورسائل فى الدين ، والاجتماع ، والتشريع ، من بينها :

فقه القرآن والسنة . كتاب مقارنة المذاهب . كتاب يسألون . الذى طبعته وزارة الثقافة والإرشاد ، وكتاب منهج القرآن فى بناء المجتمع الذى طبعته وزارة الأوقاف . والمسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية ، والقرآن والقتال ، والقرآن والمرأة ، وتنظيم النسل ، وتنظيم العلاقات الدولية فى الإسلام ، والإسلام والوجود الدولى للمسلمين .

# صدى تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر
# الشيخ محمود شلتوت شيخا للأزهر

---

استقبل العالم الإسلامي والعربي قرار زعيم العروبة والإسلام السيد الرئيس جمال عبد الناصر بإسناد منصب مشيخة الأزهر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بمظاهر الفرح والابتهاج والثناء والشكر للسيد الرئيس ، وبالآمال الكبار التي يعقدها المسلمون على رائد الفكر الإسلامي في العصر الحديث الشيخ شلتوت في النهوض بجامعتهم الإسلامية الكبرى لتؤدي رسالتها على الوجه الذي يقوي الروابط الروحية والثقافية بين جميع الدول العربية والإسلامية .

وقد وفد على مكتب فضيلته ومنزله كثير من الشخصيات الكبيرة للتهنئة . وكذلك ورد على رياسة الجمهورية وعلى مكتب فضيلته ومنزله سيل غامر من البرقيات والرسائل من الجمهورية العربية المتحدة وجميع الدول العربية والإسلامية التي بعث بها الأمراء والوزراء ووكلاء الوزارات ومديرو الجامعات وعمداء الكليات وأساتذتها وشيوخ المعاهد الدينية وأساتذتها وموظفوها وطلابها ومديرو ورؤساء وموظفو المصالح الحكومية ، وكبار رجال الدين على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم ورجال العلم والفكر والأدب والقانون والطب والاقتصاد وسائر الهيئات والجمعيات والأفراد من مختلف الطبقات من مسلمين وغيرهم .

وهذه البرقيات والرسائل من أبرز الظواهر التي تدل على رقي الوعي العربي والإسلامي ونضوجه وكلها تدور حول أمور ثلاثة على جانب عظيم من الأهمية والسمو والخطورة .

أولها : شكر زعيم العروبة والإسلام الرئيس جمال عبد الناصر على هذا الاختيار الموفق .

ثانيها : تعلق المسلمين بجامعتهم الأزهرية وعظم مكانتها في قلوبهم .

ثالثها : تقديرهم الكريم عن جدارة لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت وآمالهم العظيمة فيه ، بعد إسناد منصب مشيخة الأزهر إليه .

ونورد هنا بعض الكلمات الشعرية والنثرية التي اتسع لها المقام في هذه المناسبة الكريمة ثم نتبعها ببعض مقتطفات من البرقيات معتذرين عن عدم نشر باقي الرسائل والبرقيات العديدة مع تقديرنا لشعور مرسليها وصدق عاطفتهم نحو الدين والأزهر وشيخه الجديد .

# تهنئة وأمل

## لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

### شيخ الأزهر الجديد

---

هل أنت آس جراح الأزهر العانى ... وموقظ لعلاه كل وسنان ؟

وهل لليل الحيارى فى غياهبه ... فجر بعهدك يهدى كل حيران ؟

وهل تعيد له ما ضاع من ثقة ... وما تبدد من عز وسلطان ؟

وهل ترى ينهض العملاق منتفضاً ... حراً أبياً عزيز الشأو والشان ؟

يعنو له الدهر إجلالا ويرهب أن ... يغشى حماه وما يعنو لإنسان

محمود عذر القوافى فى تساؤلها ... فلست مهما جفا قولى بخوان

كم راح غيرك مزهواً بمنصبه ... والتهنئات ولم ينهض ببنيان

لكن مثلك لا يزهى بتهنئة ... إلا على عمل مجد وإحسان

لما تجاوبت البشرى حملت لها ... قيثارتى بعد ما طهرت ألحانى

تزاحمت فى فمى للحق واستبقت ... لظل روض من الآمال فينان

أقول : ياشعر هذا الروض فانش به ... على الوفاء شذا روح وريحان

حق عليك فكم أعلاك منزلة ... وطالما شرفتنى منه أذنان

من لو يحس على طرس يراعته ... ثناك تعثر فى إغضاء خزيان

الألمعى الذى تكفيك لمحته ... فطنه ويقين الناس سيان

ومرهف الحس لم تخطئ مشاعره ... مشى النمال على ملساء صفوان

هنئه يا شعر واهتف فى خمائله ... واصدح بعصماء يرويها الجديدان

إن المعالى للأكفاء مفخرة ... وللدعيين نقص أى نقصان

ما كل من نالها أهل لتهنئة ... فقد تعزى إذا ما نالها وان

إن العلا لعروس إن خطبت لها ... من ليس كفئاً تردت ثوب أحزان

## تهنئة وأمل

في مهرجانك يا مولاى أبعثها — عذراء تختال فى وشى وألوان
هام الربيع بها حبا فألف من — أشتاتها زهره فى كل بستان
جاءتك بالأمل المرجو ناضرة — فلا تدعها بلا ساق ولا حانى
أعد لأزهرنا قدسى منصبه — فطالما اهتز من ذل وخذلان
وصد عنه تعلات يروجها — مروج الزيف من زور وبهتان
ماذا جناه وقد أدى رسالته — غير اصطبار على منع وحرمان
إنا لفى زمن الأحرار فامض به — حراً شجاعاً يرجى عدل شجعان
وقل لهم إنه قومية جمعت — شمل العروبة قدماً منذ أزمان
فكيف يهضم دون الجامعات له — حق ويبخس فى كيل وميزان ؟
اجعله جامعة معنى وتسمية — فما نعلل عن حق بعنوان
أوعد به جامعاً تغنى قداسته — عن الحطام حطام المظهر الفانى
وألق فى مسمع الدنيا بصيحته — حتى يردد مسراها السماكان
ولا تخيب رجاء فيك منعقداً — فأنت أدرى بآلام وأشجان
لاحت مخايل إصلاح بدأت بها — فأتمم الخير تغنم كل شكران

حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

---

« من قصيدة للأستاذ محمد صالح الريدى المشرف العام على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم »

ومشيخة الإسلام ترفع بندها — لمحمود شلتوت علياً وضافيا
لك الله عبد الناصر اخترت عالما — إماما يفى للعلم هيمان صاديا
ومحمود شلتوت طوال حياته — نراه إلى حفظ المنزل داعيا
وفى الأزهر المعمور جلجل صوته — وأصبح فى إقليمى القطر عاليا
هناء له والمسلمين بفضله — عهدناه دوما جاهدا متفانيا

# تحية لشيخ الأزهر

إنه لرأى عام ـ وليس هو بالرأى الخاص عندى ـ أن رسالة الجامع الأزهر فى المستقبل أهم وأعم من رسالته فى الماضى منذ نشأته .

كانت رسالته فيما مضى رسالة تسجيل وتعليم ، ولكنه اليوم لا تقنعنا منه رسالة دون رسالة الإنشاء والتوجيه .

وكان يحيط بالعلم كله إلى عهد غير بعيد ، أما اليوم فالعلم أوسع من أن يحاط به فى معهد واحد ، وألزم من أن يستغنى عنه بجزء منه .

وكان الجامع الأزهر يمضى فى رسالته والأديان مقبلة والزندقة مولية ، ولكنه اليوم يتولاها والأديان فى موقف دفاع ، بعضه أمام الخصوم المنكرين ، وبعضه أمام الأتباع والأشياع .

إنما ينهض برسالة الأزهر فى عصرنا هذا رجال على علم بالعلم المطلوب ، وفى طليعة هؤلاء الرجال من أبنائه صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر « الشيخ محمود شلتوت » .

أعانه الله ، وحقق له ما يرجوه وما يرجى على يديه .

عباس محمود العقاد

---

# تهنئة خالصة

## مهداة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

العلم عوفى إذ عوفيت والأدب ... وزال عنك إلى أعدائك الوصب

وأنت من علماء الدين قائدهم ... سيان إن كتبوا فى الدين أو خطبوا

والمجد للدين والعرفان مرجعه ... وليس مرجعه مال ولا نشب

فالعلم يزكو على الإنفاق كوثره ... والمال يدركه إن ينفق العطب

ذكرتنا بالمراغى فى مجادته ... فإن مجدك موروث ومكتسب

وأزهر الدين قد مالت به عمد ... فالله يرسى بكم ما منه يضطرب

أحمد شفيع السيد
كلية اللغة العربية

صحيفة الجمهورية

# الأزهر وشيخه الجديد

منصب شيخ الأزهر من أهم مناصب الدولة . فالأزهر حقيقة علمية دينية يحف بها تاريخ مهيب ، كان منذ إنشائه ملتقى للثقافات الإنسانية العالية على اختلافها . ومارس حرية الفكر والبحث قبل أن تمارسها أية جامعة من جامعات العالم . وعانى علماؤه الاضطهاد فى سبيل الرأى والإيمان . وضربوا أعظم الأمثلة على تحمل المكاره فى سبيل ما يعتقدون أنه حق وصواب . وقد ظل الأزهر أكثر من ألف سنة مركز الإشعاع الروحى والذهنى للعروبة والإسلام ، وكانت ساحاته ، وأروقته تحتشد بأبناء الشعوب الإسلامية فى المشرق والمغرب حتى ليمكن أن يقال إنه كان وحده جامعة عربية وقومية عربية وعنصر المقاومة الفعالة للاحتلال الفرنسى والاحتلال البريطانى ، ومن الأزهر انبعثت الثورات والانتفاضات القديمة ، وانبعث الثائرون والمنتفضون القدامى .

هــذا الأزهر ذو التاريخ الحافل والجاه العلمى والدينى يعد بالنسبة إلينا ثروة ضخمة لا ينبغى أن نبددها ، أو نجمدها ولكن يجب أن ننميها . يجب أن نعد المشروعات لكى نرد للأزهر مكانته كجامعة علمية كانت منذ ألف سنة تسير على أحدث النظم التى تسير عليها الجامعات العالية الآن ! يجب أن نوفر للأزهر الضمانات التى تحفظ عليه وقاره الدينى فلا نفتح أبوابه لمن لا يجد غير هذه الأبواب ، وإنما تفتح أبوابه لمن يصلون فى استعدادهم الذهنى والروحى إلى مستوى لا يصل إليه الناس العاديون .

وقد سرنى اختيار فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر ، فهو أحد علمائنا الأزهريين الذين جمعوا بين التعمق فى فهم الدين والإيمان به ، والتعبير عنه .

وأعتقد أن الرسالة المطلوب من الأزهر أن يؤديها للدين ، هى الفهم الصحيح والإيمان الصحيح ، والتعبير الصحيح .

كامل الشناوى

# إلى فضيلة الأستاذ الأكبر
## شيخ الجامع الأزهر

بمثلك دين الله تقوى أواصره ... وتزهى على مر السنين شعائره
فما أنت إلا عالم عز مثله . . ... كما بين هذا الترب عزت جواهره
وكيف يطال الخطب فى أفق أزهر ... وفى كفك البيضاء ، صارت مصائره
فلله در الشيخ لما أتى له . . ... مضى يتباهى فى البرية حاضره
وقد عم نور البشر كل رحابه ... وكبر للاولى ، وقرت نواظره
فيارب ليل وجهه قلب كافر ... لمقدم هذا النور ، ولت دياجره
وقد أصبحت فيه الفضائل تزدهى ... وتزرى بأفلاك السماء مفاخره
وقد كان قبل اليوم يندب حظه ... يكفكف دمع الحزن، إذ عز ناصره
فأنت له من رقدة الموت ناشر ... كأنك إسرافيل ، والله آمره
هنيئا لنا بالفوز ، والمجد ، والعلا ... وأهلا ، بمن كل القلوب تؤازره
فيا عالما مد الأنام بفيضه ... لك القلب كنز ، أنت فيه ذخائره
أتتك المعالى وهى تخطو حثيثة ... ومن غيركم تلك المعالى تصاهره ؟
فللناس بحث كل حين تزفه ... تضوع بنشر المسك فيهم أزاهره
كبدر الدجى فى الأفق عم ضياؤه ... على صفحات الشعب كم لاح خاطره
فكم مشكلات خضت فيها بحكمة ... فكان لكم فيها من الرأى باتره
ففى الحق صولات وفى العلم مثلها ... وكل عصى فى يديك سرائره
وأنت لطلاب المعارف مورد ... يموج بنور ، أعجز الطرف آخره
لقد جندلت اليوم نفس أبية ... فقم لظلام الجهل ، إنك قاهره
وأزهرنا المعمور فى عيد بهجة ... ترف به الآمال ، ما انفض سامره
أطل منيعا منذ وليت أمره ... وأمسى عزيز الركن من ذا يكابره ؟
فدام إمام العلم فى ثوب صحة . . ... وحلت بناديه الأمانى تجاوره !

**عبد الله أبو عيد**

# الأستاذ الأكبر

الأستاذ الأكبر محمود شلتوت، من ذوى الآفاق الطيبة المتعددة التى يتسع فيها القول . أتحدث اليوم بإيجاز فى تهنئته عن واحد منها فى هذه المناسبة الكريمة . بوضع ذلكم العظيم فى موضعه الكريم من مشيخة الأزهر هذا الوضع الذى أهنئ به العالم الإسلامى، أجمع الذى كان منتظراً ذلك الجليل شيخاً للأزهر والإسلام . تاركا آفاق الإصلاح التى يرتجيها على يده إلى كلمات آتية إن شاء الله .

لعل أوضح خصائص النابهين من أعلام الإسلام مثل الأستاذ العظيم هو سعة تفكيرهم فى معانى القرآن الذى هو دستور الإسلام إلى يوم الدين ، هذه السعة التى أختصها بحديثى عن الشيخ اليوم ، هى التى ترجمها الشيخ الأكبر المراغى فى وصفه أستاذه الإمام محمد عبده من أفقه القرآنى ـ بقوله :

« أعتقد أننا إذا جاوزنا عصر السلف الصالح لا نجد رجلا رزق فهما فى هداية القرآن ، ووسع صدره أدق معانيه الاجتماعية والعمرانية مثل الإمام محمد عبده . . . » .

لم ينقطع هذا الفيض القرآنى بعد عصر الإمام محمد عبده ، بل اتصل حاضره بماضيه وآخره بأوله ، فقد ربط الشيخ الأكبر محمود شلتوت بين عهده وبين عهد الإمام ، وبين طريقته وطريقته بعروة وثقى لا انفصام لها ، فكان طليعة وارثيه فى استقامته على طريقة الإصلاح بالقرآن للعقائد الدينية ، وللمجتمع الإنسانى .

درست ـ ولا أقول قرأت ـ « كتيبا » فى حجمه ، ولكنه سفر كبير فى معناه . وضعه الشيخ الأكبر شلتوت ، وسماه : « منهج القرآن فى بناء المجتمع » وما أصدق ما قالوا : الكتاب يقرأ من عنوانه .

فلقد استبطن الشيخ أسرار القرآن وحكمه . وسار فى سبيله متوكئا على آيات الذكر الحكيم فى كل غدواته فى الكتاب وروحاته . وفى كل أحاديثه فيه ومحاضراته . وإذ بك أمام مجتمع جديد ، انتزع الشيخ صوره من كتاب الله فى قول حكيم ، وتوجيه سليم ، يتنقل بك من أساس القرآن فى رباط المجتمع . إلى التبتل فى نظر القرآن . إلى التكالب على الدنيا وعلاجه ، إلى الروحية والمادية المهذبتين . إلى أن الإسلام دين العقل والعلم . إلى فقه التضامن الاجتماعى وحقيقته . إلى المال ووظائفه فى الحياة ، وأساليب القرآن فى الدعوة إلى الإنفاق ، إلى التسول المهين وعلاجه ، إلى عناية الإسلام بالأيتام والضعفاء ، إلى معانى التفرقة وحقائق

الاتحاد وكيف يكون الاعتصام بحبل الله . إلى غير أولئك وأولئك مما وعاه صدر الشيخ من أسرار القرآن وبنى به مجتمعاً إنسانياً كريما .

وبعد فلقد قال الإمام محمد عبده فى تفسير كتاب الله : « فهم القرآن متوقف على فهم العالم . . . فلا يمكن فهمه إلا بفهمهم أيضا » .

وعلى هذا الأساس كان يفسر القرآن . وهكذا رأيت الشيخ الأكبر شلتوت فى منهاجه القرآنى . إنه يفهم قومه ويفهم القرآن ، ولذلك استطاع أن يضع لهم دستور إصلاح قرآنى كريم ؟

حسن الشيخة

---

## إلى الأستاذ الأكبر

الله أكبر عم النصر وادينا — بشراك يا قلب قد وافت أمانينا

وافت مع الشيخ شلتوت تهنئنا — باسم الشريعة وانجابت دياجينا

لما اعتلى المنصب المرموق مال به — تيها وأقبلت الدنيا تحيينا

* * *

يا حامى الدين تكريما وتهنئة — لك التهانى زففناها رياحينا

تعال محمود وأشدد أزر نهضتنا — وألف القوم كى تحيا معانينا

جدد فإنا إلى التجديد فى شغف — وانظر لخريجه وانشر به الدينا

محمد أحمد الشال

مدرس بمدرسة الإيمان الإعدادية

بشبرا

الاتحاد وكيف يكون الاعتصام بحبل الله . إلى غير أولئك وأولئك مما وعاه صدر الشيخ من أسرار القرآن وبنى به مجتمعاً إنسانياً كريما .

وبعد فلقد قال الإمام محمد عبده فى تفسير كتاب الله : « فهم القرآن متوقف على فهم العالم . . . فلا يمكن فهمه إلا بفهمهم أيضا » .

وعلى هذا الأساس كان يفسر القرآن . وهكذا رأيت الشيخ الأكبر شلتوت فى منهاجه القرآنى . إنه يفهم قومه ويفهم القرآن ، ولذلك استطاع أن يضع لهم دستور إصلاح قرآنى كريم ؟

حسن الشيخة

---

## إلى الأستاذ الأكبر

الله أكبر عم النصر وادينا بشراك يا قلب قد وافت أمانينا

وافت مع الشيخ شلتوت تهنئنا باسم الشريعة وانجابت دياجينا

لما اعتلى المنصب المرموق مال به تيها وأقبلت الدنيا تحيينا

* * *

يا حامى الدين تكريما وتهنئة لك التهانى زففناها رياحينا

تعال محمود وأشدد أزر نهضتنا وألف القوم كى تحيا معانينا

جدد فإنا إلى التجديد فى شغف وانظر لخريجه وانشر به الدينا

محمد أحمد الشال

مدرس بمدرسة الإيمان الإعدادية

بشبرا

مجلة المصور :

# تقـــدير

أريد أن أهنئ المسلمين فى سائر أنحاء الأرض باختيار فضيلة الأستاذ الأكبر محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر .

إنه نبأ يستحق التهنئة حتماً ، لأن صدر شيخ الإسلام الجديد يحمل آفاقاً واسعة للإصلاح منذ زمن بعيد .

وأنا أعرف الشيخ شلتوت منذ سنوات طويلة . منذ كنت مراقباً للبرامج الثقافية بالإذاعة المصرية ، وكان فضيلته يقدم أحاديث الصباح الدينية .

وأشهد أن أحداً من محدثى الصباح لم يصب شيئاً من النجاح الكبير الذى أصابه الشيخ شلتوت فى تاريخ الإذاعة المصرية ، بصوته القوى المؤمن ، حتى لقد كان المستمعون يطالبون بأن تكون أحاديث الصباح وقفا عليه .

ولعل القراء يذكرون أن أستاذنا فكرى أباظه قد بدأ منذ عامين حملة إصلاحية على صفحات ( المصور ) بعنوان ( إنى أتهم ) وقد خص الأزهر بإحدى مقالات هذه الحملة .

ثم تابعتها أنا ، فكتبت أكثر من عشرين مرة أتهم الأزهر بالقصور فى أداء رسالته نحو المسلمين هنا وفى سائر أنحاء العالم .

وأذكر أن الشيخ شلتوت تفضل ذات مرة بزيارتى فى أثناء هذه الحملة ، مدافعا عن الأزهر وتحدثنا يومئذ حديثا طويلا لم يخف فيه الشيخ شلتوت أن فيه قصوراً فى أداء الرسالة ، وأن هناك أبوابا كثيرة يجب أن تطرق فى سبيل الإصلاح المنشود .

واليوم . . . آن أن تفتح هذه الأبواب ، فليستبشر المسلمون ؟

جودت

# الحق أقول لكم

شيخ الأزهر :

يعرف فضيلة الأستاذ الأكبر ما تكنه له « المجلة » من إجلال ، وما يضمره رئيس تحريرها لفضيلته من إعجاب واحترام .

والمحبون للأزهر . هذه المنارة الرفيعة من منارات العرفان فى العالم ، يتوقعون الكثير من تولى فضيلة الشيخ محمود شلتوت لشئون جامعتنا الدينية الكبرى .

ويبدو أن الحادبين على الجامع الأزهر يختلفون بقدر عددهم على مناهج الإصلاح ، مع أن الأمر يجب أن يكون أيسر مما نتصور جميعاً .

فنحن لا نريد للأزهر أن يتحول إلى جامعة علمانية . ولا نطالبه بأكثر من أن يخرج علماء يعيشون فى زمانهم ، أى فى النصف الأخير من القرن العشرين ، يفهمونه بقدر مايفهمون رسالتهم الإنسانية السامية ؛ لأن أداء هذه الرسالة يقتضيهم أن يعرفوا زمانهم تمام المعرفة وأن يكونوا خبيرين بكل مشكلاته الروحية والمادية ، وأن يتحكموا فى اللغات الأجنبية وفقهها تحكما يسمح لهم بالاتصال المباشر بالمسلمين وغير المسلمين فى أنحاء الأرض ممن يتحرك لسانهم بغير اللغة العربية .

ومعنى هذا تعديل شامل فى أساليب الدرس والتدريس ، وتغيير جوهرى فى المناهج ، وتوسيع لأفق الاطلاع يهيىء الطالب الأزهرى لتأدية رسالته على الوجه الذى يحقق حاجات الناس ، ويتمشى مع روح العصر ؟

دكتور

**حسين فوزى**

صحيفة الزمان الليبية :

# تعيين شيخ للجامع الأزهر

أصدر الرئيس جمال عبد الناصر مرسوما بتعيين فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر الشريف بدلا من الشيخ عبد الرحمن تاج الذى أسندت اليه وظيفة سامية فى الجامعة العربية .

والشيخ شلتوت يعتبر من كبار العلماء العاملين وله منزلة عظيمة فى جميع الأوساط الدينية والعلمية حيث يتمتع بتقدير الجميع ـ وقد كان لتعيينه أثر طيب فى أوساط الأزهر الشريف وكلياته .

وقد انهالت عليه التهانى من سائر الأقطار الإسلامية . وتعتقد الأوساط العلمية أن فضيلته سيدخل تحسينات جوهرية على أنظمة الكليات وغيرها من المرافق التابعة للأزهر .

---

## تهنئة وتقدير

داعب البشر والرضى شفتيه ... شاكراً ربه على نعمتيه

ثائر الأمس زاده الله علماً ... شع نور الجلال من عارضيه

واصطفاه الرئيس خير مثال ... تحتذيه الرجال فى أصغريه

بارك الله فى الرئيس دواما ... وجرى الخير دافقاً من يديه

أيها الثبت فى زمان تهاوى ... فيه رأى الحصيف من جانبيه

إنما الأزهر العتيد منار ... يتمبس المشرقان من طرفيه

فاجعل الدرس صافياً فى وضوح ... كالذى كان يوم سرت إليه

مثل شلتوت لا يغر بمدح ... بارك الله فى مدى قوتيه

( من قصيدة للأستاذ )

محمد كامل شلش

# العالم العربى والاسلامى

## يشكر الرئيس ويهنئ ويعقد الآمال

( مقتطفـــات )

نورد هنا مقتطفات من بعض آلاف البرقيات والرسائل الواردة من سائر الأقطار والهيئات التى لم يعرف الأزهر فى تاريخه القديم والحديث شيخا قوبل بمثلها ، والتى تدل على اجتماع قلوب العرب والمسلمين ، وتلاقيها حول هذا القرار الحكيم ، وعلى إيمانهم برسالة الأزهر السامية فى العالمين العربى والإسلامى .

من برقيات الجمهورية العربية المتحدة :

الإقليم الجنوبى

كليات الأزهر ومعاهده :

ـ نشكر منقذ مصر والعروبة وحامل لواء الحرية والسلام فى العصر الحديث على رعايته للأزهر ورعاية مجده المظم بإصدار القرار الجمهورى بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخاً للأزهر .

* * *

ـ رعاك الله يا زعيم العروبة وحياك ومكن للأزهر فى كل ما يرجوه المسلمون منه فى أيامك الغر وحياتك المباركة .

* * *

ـ أدخلتم السرور على قلوب المسلمين وأثلجتم صدور الأزهريين بإسناد مشيخة الأزهر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت .

* * *

ـ نرفع آيات الولاء والاعتراف بجميل عنايتكم بالأزهر بإسنادكم منصب رياسته للعالم الفاضل الشيخ شلتوت . . . وندعو الله جلت قدرته أن يديم عليكم نعمة التوفيق ويجزيكم عن الإسلام والأزهر خير الجزاء .

* * *

## صدى تعيين الشيخ شلتوت

### جبهة علماء الأزهر :

ـ توليكم مشيخة الأزهر إحياء لمجد الأزهر وإعزاز للإسلام واسترداد لحقوق الأزهر وهي نعمة من الله تستحق الشكر وتتم النعمة بدوام التوفيق إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين، وإن جبهة العلماء التي تعرف فيكم المثل العليا والتي طالما عقدت الآمال على أن يشغل هذا المنصب الخطير مثلكم علما وغيرة على الأزهر والإسلام لتنتظر الخير الكبير .

* * *

### الوعظ :

ـ أصدق آيات الشكر على تفضل الرئيس باختيار صاحب الفضيلة الشيخ شلتوت شيخا للأزهر لما عرف عن فضيلته من جهوده الموفقة في سبيل الدين والنهوض بالأزهر .

* * *

ـ إسناد رياسة الأزهر إلى فضيلتكم تحقيق لأمل العالم الإسلامي .

* * *

### الجامعة ورجال التربية والتعليم :



ـ ماضيكم الحافل وتجاربكم الواسعة وذكاؤكم الوقاد، وجهادكم الدائم وتوفر كل ما تحتاج إليه مهمة القيادة الدينية في الوقت الحاضر في شخصكم الجليل كل أولئك جعل اختياركم لمنصب مشيخة الأزهر اختيارا موفقا .

* * *

### الشبان المسلمون :

ـ نرجو للأزهر في عهدكم أن يجدد دين محمد ويعلم المسلمين معنى الجهاد في الدين .

* * *

### رجال القضاء :

ـ العالم الإسلامي ينظر إلى فضيلتكم نظرة المصلح فأعيدوا للأزهر مجده ونضارته والله معكم .

## صدى تعيين الشيخ شلتوت

### اتحادات الأزهر بالأقاليم :

اجتمع رؤساء اتحادات خريجي الأزهر بالأقاليم فى دار الاتحاد العام بالقاهرة مساء الأربعاء ٥ / ١١ / ١٩٥٨ وقرر المجتمعون انتداب وفد منهم يقوم بتمثيلهم فى تهنئة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر .

كما قرروا ما يأتى :

١ — إرسال برقيات شكر للسيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة على ثقته الغالية بفضيلة الأستاذ الأكبر .

٢ — تجديد الثقة الغالية بالسيد رئيس الجمهورية والوقوف خلفه صفاً واحداً حتى يحقق للعرب آمالهم وللشرق أهدافه .

٣ — تسجيل أسمائهم بديوان التشريفات بسراى القبة للشكر على هذا التوفيق .

### جمعية أنصار السنة المحمدية :



ـ نرفع لفضيلتكم أخلص التهنئة بتوليكم منصب مشيخة الأزهر الشريف ونشكر لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر كريم اختياره الموفق المشكور ، وإن مواقف فضيلتكم المشرفة فى إصلاح العقائد لتحملنا على اليقين بأن نور الكتاب والسنة سيمحو فى عهدكم المشرق البدع والخرافات ويعيد للدين جلاله وإشراقه .

* * *

### رجال الدين المسيحيون واليهود :

ـ تهانينا لمنصبكم الهام وفقكم الله للسلام والمحبة لخير الإنسانية والوطن .

ـ تحقق ما كنت آمله ، وإنى أدعو الله مخلصا بأن يكلأكم بعينى رعايته ويمدكم بروح منه حتى يتم هذه الرسالة بما أوتيت من فضل وعلم وحكمة ، وأن ينفع بك الإسلام والمسلمين وتوحيد كلمة العرب .

صدى تعيين الشيخ شلتوت

## من الإقليم الشمالى

الوزراء :

ـ أطيب التمنيات للأزهر فى عهدكم .

* * *

رجال القضاء والإفتاء :

ـ تعيينكم لمشيخه الأزهر الشريف رجاء منتظر وحسنة لرئيسنا المحبوب تذكر فتشكر حقق الله الآمال .

ـ نهنئكم بما تفضل الله عليكم وعلى المسلمين بتوليكم مشيخة الأزهر ، راجين من الله أن يرفع بحسن توجيهكم ورعايتكم شأن الإسلام والمسلمين .

* * *

رجال الجامعة :

ـ مشيخة الجامع الأزهر مشيخة الإسلام ، وقد اكتملت فى فضيلتكم من الصفات والكفاءات ما جعلكم أهلا لتنعتوا بشيخ الإسلام . . . أبقاكم الله ذخراً للإسلام ، وعلماً فذاً من أعلامه العظام .

* * *

رجال التربية والتعليم :

ـ تعيين لاقى محله ، نهنئ الأمة العربية والإسلامية ، ونهنئ أنفسنا أبقاكم الله ذخراً للعرب والمسلمين .

* * *

رجال الإذاعة :

ـ أرجو من الله عز وجل أن يأخذ بيدكم إلى مافيه الخير والفلاح .

ـ بمثلكم يهنأ المنصب الخطير ، وقد ادخركم الله لعهد الثورة الناهضة ، فأحيوا الأمل وحققوا الرجاء ، سدد الله فى الإصلاح خطاكم .

صدى تعيين الشيخ شلتوت

## من الأقطار العربية والإسلامية

### العراق

- المكان بالمكين ، تسلمكم المنصب بعث لحياة الأزهر ، وازدهاره حقق الله بكم آمال المسلمين بلم الشعث وانطلاق دعوتهم الحقة .

* * *

### الكويت

من الأمراء :

- يسرنا أن نقدم إليكم خالص التهانى بتسلمكم المنصب الخطير ، داعين لكم بالمزيد من التوفيق والسداد فى خدمة العروبة .

من رجال التعليم :

- نهنئ الأزهر بكم .

- ندعو لكم بدوام التوفيق لتصلوا بالأزهر إلى المكانة المرموقة .

- نرجو للأزهر الشريف على يديكم كل تقدم وازدهار ، وفقكم الله لما فيه صالح العروبة والإسلام .

- نبارك الأزهر والعالم الإسلامى .

* * *

### قطر بالخليج الفارسى

- توليكم لمشيخة الأزهر رد الأمر لأهله ، فلا زلتم علم الإسلام وإمامه ولسانه .
- أخلص التهانى والدعاء بالتوفيق .

* * *

### المملكة العربية السعودية

- نهنئ الأزهر بكم .

* * *

## صدى تعيين الشيخ شلتوت

الطائف :

- تهنئتى القلبية وفقكم الله .

## السودان

- الشيخ شلتوت هو الرجل الأول فى هذا الوقت بين علماء العالم الإسلامى فإسناد أمر الأزهر إليه ، وهو الرجل الواسع الأفق الشديد الغيرة ، الخبير بمواطن الضعف فى الأزهر خاصة ، وفى العالم الإسلامى عامة ، لا شك أنه خطوة واسعة ثابتة لتقدم الأزهر .

* * *

## لبنان

مفتى الجمهورية

- نهنئ فضيلتكم بالمنصب الجليل ، راجين فى عهدكم المشرق وما نعهده فيكم من تجديد وإصلاح ، الخير العميم ، داعين لكم بالتوفيق والسداد .

قبيلة اللقلوق

- نشكر سيادة الرئيس ، ونهنئ الأزهر والمسلمين بكم والله يوفقكم .

رجال التربية والتعليم

- أهنئكم راجيا لكم التوفيق للقيام بأمر المشيخة العظمى .

* * *

## المغرب العربى

- نهنئكم بمنصبكم العظيم ونتمنى للأزهر وللمسلمين عامة فى عهدكم ما يعيد للإسلام مجده وللدين قدسيته .

- إن سرورنا بإسناد المنصب الإسلامى الخطير لفضيلتكم ليتضاعف لما لكم فى النفوس من مكانة ، وما تتمتعون به من سمعة حميدة ، وما تعرفون به من تفقه فى الدين ، وسعة فى الاطلاع ، تجعلكم حجة وثقة ، ومرجعاً أميناً ، ورائداً حكيما .

- نهنئكم بثقة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ونشكره على اختياره غيوراً على حمى الإسلام ومناهجه الرشيدة وقيمه الخالدة .

- نرفع تهانى أبناء ليبيا .

- صادق التبريك بالثقة التى نلتموها عن جدارة .

- أبعث إليكم مهنئا متمنيا لكم التوفيق فى تأدية رسالتكم المقدسة بمشيخة الأزهر الشريف فتزيدونه شرفا وازدهارا .

- الله يوفقكم لما فيه خير الدين والدنيا للمسلمين .

## فلسطين

- نضرع إلى الله أن يحقق على يديكم الخير للإسلام والمسلمين .

* * *

## أثيوبيا - الصومال

- سعدنا وسعد معنا ملايين المسلمين فى مختلف أنحاء الأرض .

- الأزهر سيعود له مجده السالف على يديك .

- إن الإسلام سيصل إلى الدنيا كلها .

- إن الفكرة الإسلامية ستنجلى وتصبح بعيدة عن الخرافات .

* * *

## أندونيسيا

- نتمنى لكم وللأزهر أن تكون يدكم هى الحفيظة عليه وعلى الدين لرقيه ورفعته .

- أسارع إلى إسداء أصدق التهانى وأخلصها على هذه الثقة التى حلت محلها والحق إنى أهنئ المنصب بكم ولا أشك فى أنكم دافعو الأزهر الشريف دفعاً إلى الخير ومساعدوه بكل قوتكم حتى يكون أهلا لأداء رسالة السماء إلى الأرض وتتحقق الآمال الكبار المعلقة عليه والمرجوة منه ، وأدعو الله دعاء حارا أن ييسر لفضيلتكم السبل ويمدكم بعونه وتأييده ويضع بين يديكم الوسائل الكفيلة بالنهوض بالأزهر تلك الجامعة الإسلامية العتيدة التى تتجه إليها أنظارنا وآمالنا جميعاً .

* * *

صدى تعيين الشيخ شلتوت

## الهـــند

ـ نرجو الله أن يحفظكم للإسلام والمسلمين ويحيي بكم الأزهر .

ـ فضيلة شيخ الجامع الأزهر :

تقبلوا التهانى وأطيب التمنيات من جماعة « دار العلوم » بمناسبة تعيينكم شيخاً للجامع الأزهر .

دار العلوم الجديدة بديوبند فى الهند

* * *

## من أوربا وأمريكا

لاهاى : محكمة العدل الدولية :

ـ أخلص التهنئة باختيار صادف أهله ، وإن تأخر موعده ، وإنى أدعو الله أن يطرد لكم التوفيق وأن يحفظ الدين والوطن بصائب إرشادكم وصادق هدايتكم .

جنيف :

ـ عهد مشيختكم الكريمة عهد ازدهار وسؤدد ومجد أثيل للدين الحنيف ، رسالتكم السامية نحن فى حاجة إليها .

المانيا ـ الوفد الدائم لجامعة الدول العربية :

ـ أتقدم بخالص التهانى وأحسن التمنيات ، وكم كنت أود أن يكون هذا منذ عشر سنوات .

لندن :

ـ يسعدنى ويملأ جوانحى غبطة هذا الاختيار الذى كان يجب أن يتم منذ وقت بعيد ، فأرجو أن تتقبلوا التهنئة من ابنكم البار بكم وبأبوتكم .

واشنطن :

ـ بمناسبة تعيينكم شيخاً للجامع الأزهر يسرنى أن أعبر لكم عن خالص التهانى أمد الله فى عمركم وقادكم إلى خطوات النجاح والرفاهية فى منصبكم الرفيع ؟

# زيـــارة

## السيد رئيس وزراء أندونيسيا للأزهر

---

فى الساعة التاسعة والثلث من صباح يوم الاثنين ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ ﻫ ( الموافق ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م ) ، وفد ركب السيد / جواندا رئيس وزراء أندونيسيا على إدارة الأزهر فاستقبلته اللجنة المؤلفة لاستقباله باسم السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وكان على رأسها السيدان ، صاحب الفضيلة السكرتير العام للأزهر الشيخ صالح شرف ، والمراقب العام للبحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر الدكتور محمد البهى ، وكان مندوبو الصحافة ووكالات الأنباء ، ودور السينما فى انتظار مقدمه . وقد توجهوا جميعاً إلى مكتب فضيلة الأستاذ الأكبر حيث رحب بهم الدكتور محمد البهى باسم فضيلته ، وتلا رسالة بعث بها الأستاذ الأكبر للسيد رئيس الوزراء الأندونيسى يرحب فيها بسيادته ومرافقيه فى رحاب الأزهر ، وعلى أرض جزء من وطننا الإسلامى الكبير ، ويهديه نسخة فاخرة من : « القرآن الكريم » باعتباره العروة الوثقى التى تلتقى عندها قلوب المسلمين ، والرابطة التى لا تنفصم بين أبناء الأمة الإسلامية ، ودستور الله الذى اهتدت الإنسانية فى الماضى بهديه ، نخلق منها أمة الإسلام ، التى أرست قواعد العدل والأمن والسلام .

كما أهدى لسيادته كتاب « منهج القرآن فى بناء المجتمع » ، وهو أحدث مؤلفات فضيلته ، ويبحث فى نواحى هذا الدستور الإلهى : « القرآن » .

وعقب الدكتور البهى بذكر الروابط التى تربط شعبى الجمهورية العربية المتحدة ، وأندونيسيا ، وأن الأزهر هو مركز الإشعاع الروحى الذى يعم ضياؤه أرجاء المعمورة ، كما قال إنه من حسن الطالع ، أن تكون سيادتكم أول زائر رسمى للأزهر بعد تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر ، فكان هذا استهلالا حسناً ، فى بدء عهد جديد مبارك فى تاريخ الأزهر برياسة شيخه الجديد الشيخ محمود شلتوت .

ثم رد السيد رئيس وزراء أندونيسيا شاكراً ، ومنوها بروابط الود الأخوى بين أبناء الأمة الإسلامية ، وأن الأزهر هو المعقل الذى يجمع بين القلوب ، ويحمل مشعل الهداية ، والنور ويدعو إلى السلام والمحبة .

ثم زار سيادته بعد ذلك المكتبة الأزهرية ، وشاهد ما فيها من نفائس الكتب والمخطوطات كما زار الأزهر واستمع إلى بعض الدروس فى الفقه والتفسير والنحو والبلاغة وقد نوه الدكتور البهى بأن الأزهر يحرص على بعض تقاليده القديمة فى التعليم بجانب النظم الحديثة التى يسير عليها أبناؤه فى كلياتهم ومعاهدهم حالياً ، وشأنه فى ذلك شأن الجامعات الأوربية العريقة ، ثم انصرف سيادته ورفاقه شاكرين هذه الحفاوة البالغة التى استقبلوا بها فى رحاب الأزهر العتيق ؟

# خطاب الأستاذ الأكبر

## السيد الدكتور جواندا كارتا ديجايا

رئيس وزراء أندونيسيا

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد :

فيسرنى أن أرحب بكم وبمرافقيكم ، فى رحاب الأزهر الشريف وعلى أرض جزء من وطننا الإسلامى الكبير .

ويسعدنى ، أن أهديكم هدية الله لعباده : « القرآن الكريم » وهو العروة الوثقى التى تلتقى عندها قلوب المسلمين ، والرابطة التى لا تنفصم بين أبناء أمتنا العزيزة ، وإن تناءت بها الديار ، وباعد بينها الاستعمار . كما أنه دستور الله الذى اهتدت الإنسانية فى الماضى بهديه ، فخلق منها أمة الإسلام ، التى أرست قواعد العدل والأمن والسلام .

ويشرفنى أن أهديكم مؤلفا لى فى بحث ناحية من نواحى هذا الدستور الإلهى : كتاب « منهج القرآن فى بناء المجتمع » .

وأرجو لكم ، وللشعب الأندونيسى العظيم العزة والمجد ، ولأمتنا الإسلامية بعثا جديداً تؤدى به للإنسانية رسالتها فى الحاضر كما أدتها فى الماضى .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

**محمود شلتوت**

شيخ الجامع الأزهر

# حول تعليم اللغات الأجنبية فى الأزهر

# قـرار

## بتنفيذ دراسة اللغات الأجنبية بالأزهر

---

بعد الإطلاع على مذكرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر المؤرخة ١٤ من شعبان سنة ١٣٧٧ ﻫ الموافق ٥ من مارس سنة ١٩٥٨ م التى قدمها إلى اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية فى إحدى جلساتها .

قـرر ما يأتى :

أولا : تدرس اللغات الأجنبية بالمعاهد الدينية .

ثانياً : تدرس فى هذا العام اللغة الإنجليزية بالسنة الأولى الثانوية بجميع المعاهد .

ثالثاً : يجوز أن تدرس فى معهد القاهرة اللغة الفرنسية والألمانية والروسية وأن تدرس فى معهد الإسكندرية اللغة الفرنسية .

رابعاً : لا يسمح للطالب أن يدرس بالمعهد إلا لغة واحدة .

خامساً : تكون خطة الدراسة أربع حصص أسبوعياً لكل لغة .

سادساً : يكون منهج الدراسة فى السنة الأولى الثانوية هذا العام هو منهاج السنة الأولى الإعدادية بمدارس وزارة التربية والتعليم بالنسبة للغة الإنجليزيه ، ومنهاج السنة الأولى الثانوية بوزارة التربية والتعليم بالنسبة للغة الفرنسية ، ويكون منهاج اللغات الأخرى من إعداد الأساتذة الذين يندبون لتدريسها .

سابعاً : تبدأ دراسة اللغات المذكورة يوم السبت ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ ﻫ الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م .

٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ ﻫ
١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م

شيخ الجامع الأزهر
( توقيع )

# كتاب من فضيلة الأستاذ الأكبر
# شيخ الجامع الأزهر

## إلى أصحاب الفضيلة الأساتذة شيوخ المعاهد الدينية
## بتنفيذ القرار الصادر بتعليم اللغات الأجنبية

---

سلام الله عليكم ورحمته - وبعد

فإن رسالة الأزهر هي الدعوة للإسلام ونشر الثقافة الإسلامية بين مختلف شعوب العالم. وهذا ولا شك يتطلب معرفة العلماء اللغات الأجنبية حتى يسهل عليهم تأدية الرسالة بين أقوام لا يتفاهمون إلا بهذه اللغات.

لذلك أصدرنا القرار المرافق رجاء تنفيذه مع مراعاة ما يأتي :

أولا : تسند دراسة مادة اللغة الإنجليزية إلى السادة أساتذة المواد الاجتماعية بالمعهد نظير مكافأة عن الحصص التي تزيد عن النصاب المقرر للمدرس.

ثانيا : تسند دراسة مادة اللغة الفرنسية إلى أساتذة هذه اللغة بوزارة التربية والتعليم بطريق الندب نظير المكافأة المقررة رسميا.

ثالثا : تسند دراسة باقي اللغات الأخرى إلى الأساتذة المتخصصين فيها وبمكافآت أيضا.

رابعا : يبدأ تنفيذ دراسة اللغات الأجنبية ابتداء من يوم السبت ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ (الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

# شكر

## السيد وزير التربية والتعليم المركزى
## لفضيلة الشيخ محمود شلتوت على إدخاله
### اللغات الأجنبية بالأزهر

---

أرسل السيد / الأستاذ محمد كامل النحاس وكيل وزارة التربية والتعليم المساعد كتابا بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٥٨ م إلى السيد / فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر ( شيخ الجامع الأزهر حاليا ) جاء فيه ما يلى :

« قد أخبرنى السيد الوزير أنه يشعر معكم بأن هذه البداية الطيبة فى تخريج رجال الأزهر مزودين بعدد من اللغات الأجنبية سيساعد كثيرا على أن يؤدى الأزهر الشريف رسالته العظيمة فى نشر الثقافة الإسلامية والعربية فى الدول غير العربية سواء كانت إسلامية . أم غير إسلامية ، عن طريق علماء ووعاظ يستطيعون أن يتصلوا بشعوب البلاد المختلفة فى العالم إذا ما أوفدوا إليها بواسطة إحدى اللغات الأجنبية التى يتقنونها بعد تخرجهم فى الأزهر ، كما يستطيع هؤلاء الخريجون أن يطلعوا على ما يكتب عن الإسلام باللغات الأجنبية وبذلك يمكنهم أن تفنيد الدعايات المغرضة التى تقوم بها بعض الدول الاستعمارية ، وتحصين الإسلام فى شعوب العالم : الإسلامية منها ، وغير الإسلامية ضد تلك الدعايات السيئة » .

« وقد أنابنى السيد الوزير فى أن أوجه لكم جزيل الشكر على هذا القرار الحكيم وأسأل الله تعالى أن يوفقكم لنصرة الإسلام ، واستعادة مجده القديم » .

# الأزهر وتدريس اللغات

لعل أجرأ حدث فى الأزهر منذ إنشائه ، هو القرار الجرىء الذى أصدره فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، قبل أن يلى هذا المنصب الدينى الخطير بأيام ، بتدريس اللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية فى الأزهر الشريف .

فلقد حقق فضيلته أمنية طالما تمناها قبله كثيرون ولم يستطيعوا تحقيقها بل إن المرحوم الشيخ الأحمدى الظواهرى الذى تولى مشيخة الأزهر منذ تسع وعشرين سنة لم يستطع هذا مع أنه دعا إليه فى كتابه « العلم والعلماء » الذى ألفه فى سنة ١٩٠٤ .

فهذا القرار الحكيم الجرىء يدل على فهم دقيق لما يجب أن يكون عليه طلبة الدين من ثقافة غربية إلى جانب ثقافاتهم العربية وعلى أن الأستاذ الأكبر خير راع وحافظ لمستقبل أبنائه ، وعلى أنه بصير بأمور الدين والدنيا معا .

**محمد على رفاعى**

فى حفل جامع بمعهد المنصورة ألقيت تهنئات لفضيلة الأستاذ الأكبر بمناسبة تعيينه شيخا للجامع الأزهر . ومنها هذه القصيدة العصماء للأستاذ محمد ابراهيم السقا المدرس بالتربية والتعليم .

شبيبة الأزهر المعمور تهنئة ... من مسلم هزه الأمر الذى صدرا

تزودوا من لغات الغرب واغترفوا ... آدابها واقطفوا من روضها زهرا

لكم أوائل فاقوا فى تضلعهم ... أعلامها وقضوا فى حقها الوطرا

هذا رفاعة فى رهط عباقرة ... راد الحضارة فى باريس واعتصرا

وترجم الأمهات الخالدات لنا ... كنزا من العلم مأثورا ومدخرا

وكان رائد أجيال ومدرسة ... أهدت إلى الشرق من أعلامها نفرا

وفى الإمام مثال خالد عطر ... إذا التمستم مثالا خالدا عطرا

أولئكم وسواهم من أوائلكم ... شقوا الطريق لجدوا واقتفوا الأثرا

رسالة الدعوة الغراء موكلة ... إليكمو فاحملوها واقدروا الخطرا

رودوا مجاهل للإسلام واغتربوا ... مبشرين وخلوا العجز والخورا

بها اللغات سلاح تفتحون به ... مغالق الفهم فى غزو إذا عسرا

فحصلوها بجد واكتسوا حللا ... من المحامد واجنوا العز والظفرا

وابنوا لمستقبل بالمجد مزدهر ... يحيى بكم أملا فى الدين مزدهرا

شبيبة الأزهر المعمور توجكم ... شلتوت شيخاً مهيبا طيب الأثرا

جاءته مشيخة الإسلام ملزمة ... جهد الجبابر والإرهاق والسهرا

فالله نسأل تسديد الخطى وبه ... نستفتح العهد طلقا مشرقا نضرا

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الرابع - القاهرة : ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ - أكتوبر ( تشرين الأول) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

# ذروة الحق

« الحق » من الله ...

وهو أحد شطرى الإسلام الذى تتفرع عنه المجموعة الكبرى من أوامره ونواهيه ، وهى من شعب الإيمان به . وشطره الثانى الخير ، ويسمى بلغة الإسلام « الإحسان » ، وله فى مجال التطبيق مدلول أدق وأجمل وأوغل فى محيط الإخلاص مما يتبادر إلى الذهن فى بادى الرأى ...

والحق وصية الله إلى الإنسانية فى كل نظام قامت به ، وفى كل ما يتعامل به الأفراد والجماعات : ما يتنازعون فيه ، أو يتعاونون عليه .

وما من رسول بعثه الله إلى الإنسانية لتوجيه أبنائها إلى الحق ، وتسديد خطاهم نحو الخير ، إلا كان الإيمان بالحق والإحسان فيه ، جوهر رسالته .

والإسلام نفسه دين الحق ، « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » .

لذلك اعترف الاسلام برسالات الله السابقة كلها ، واعتبر ما صح منها فى مجموعه إسلاما ، لأنها رسالات الحق ، والحق كل لا يتجزأ .

« وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » .

والإنسان يسير فى طريق الكمال ما أحب الحق ، وكان من أوليائه ، ووطن نفسه على تحريه ، والإذعان له - برضا وطمأنينة - فى السر والعلانية ، والدعوة إلى إقامته ، بشرط أن يكون حقا فى الواقع ، واضح المعالم وضىء القسمات ، و « إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

وذروة الحق ، ومفتاح السعادة ، الإيمان بالله . . .

« ذلك بأن الله هو الحق » .

والطريق السليم إلى معرفة الله والإيمان به إطالة النظر فى بدائع خلقه . وعجائب صنعه ودقائق أنظمته فى ملكوته « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

هذا هو طريق القرآن إلى ذروة الحق ، إلى معرفة الله ، إلى الإيمان به . وهو غير طريق الفلاسفة : الفلاسفة اليونانيين فى الدهر الأول ، وفلاسفة الغرب فى أوربا وأمريكا فى العصور الأخيرة . وهو كذلك غير طريق الفلاسفة البرهميين والصوفيين ، والمتأثرين بهم من قدماء ومحدثين . إن طريق الفلاسفة - من هؤلاء وأولئك - لا تؤدى إلا إلى هاوية الجحود ، أو إلى الإيمان بوحدة الوجود . ولا معنى لوحدة الوجود إلا الإيمان بأن الكون هو المعبود ، وأن الله غير موجود . . .

هذا هو الجحود المتمنع عن أهل العمى ، والجحود السافر لذوى البصائر . والمصير بعده إلى جحيم من الأوهام تتيه فيها العقول ، وتضيع الأعمار سدى بعد أن يكون أهله قد خسروا الدنيا والآخرة . وقديما قال أحد أعلام المنحرفين عن أساليب القرآن ، إلى أساليب البراهمة واليونان ، بعد أن أوغل فى هذا التيه عشرات السنين :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها وسرحت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن . أو قارعاً سن نادم

أقول هذا وقد تلقيت فى هذا الشهر كتابا من أحد شباب الإسلام ، شاب دمشقى تخرج بتفوق مرموق من الجامعة السورية ، وقد كتب إلى يشكو قلقا فكريا انتابه فى المرحلة الأولى من طريق البحث عن البراهين الكلامية لوجود الله ، قال : « ... وتركت دراستى ، ومضيت وراء كتب العقائد ، أقرأ البراهين .. فإذا رأيت البرهان الحق ذرفت الدمع سرورا ورحت أمضى فى القراءة والمناقشة حتى أصبح النقاش والجدل كل شىء فى حياتى . . . » ، قال : « ومع مرور الأيام وتتابع الليالى بدأت أشعر أن السفينة التى غادرت المرفأ وتاهت

فى الظلمات ، قد بدأت تعود شيئا فشيئا نحو الشاطىء » ، وذكر أسباب ذلك ثم قال : « وبين الفينة والفينة كنت أجد نفسى منساقة مع هواها للنقاش والجدل .. ولكن شتان ما بين الحالين .. غير أنى لا أكاد أصلى حتى أشك هل صليت ثلاثا أم أربعا . وهل قرأت الفاتحة أم نسيتها ..... » .

إن الصراع بين الإيمان والجحود من أمراض التعليم المنحرف فى كل زمان ومكان . ولعله فى زماننا . وفى التعليم الذى رسم لنا الغرب خطوطه فى المعاهد والجامعات التى نتلقى عنها ثقافاتنا ومعارفنا ، أفظع مما كان فيما مضى . وما شكاه إلينا هذا الشاب الجامعى المسلم قد يكون كثيرون غيره من أبنائنا يشكونه كشكواه ، أو بألوان أخرى . وقد شعرت وأنا أقرأ كتابه بأنى أمام واجب إسلامى يحملنى على التحدث بهذا الموضوع ، لا لأنى أكثر علما مما ينبغى لى التحدث فيه . بل لأنى فى سن اكتسبت فيها بعض التجربة مما مر على فى نفسى ، وفيمن لقيتهم واتصلت بهم فى عشرات السنين .

قبل نحو ربع قرن ، قضيت بعض ليلة من ليالى العشر الأخير من رمضان ـ وكان ذلك سنة ١٣٥٣ ـ فى حديقة تزدان بالورد والزهور ، فكنت أقلب وجهى فى الفلك الأعظم تارة ، وأراجع تاريخ حياة وردة كانت أمامى تارة أخرى . لقد رأيت فى تلك الليلة ـ من وراء بدائع صنع الله ـ بدائع فى نظام خلقه يكاد قليل ما نعرفه من أسرارها يبهر عقول العقلاء منا ، فتخر الجباه خاشعة لبديع السماوات والأرض ...

فكرت فى نسيج الوردة القائمة أمامى على غصنها تسبح بحمد الله خالق الأزل والأبد وما بينهما من ملايين الدهور ، ورحت أحلل فى ذهنى دقائق نسيجها ، وأتذكر ما كنت تعلمته فى المدرسة عن ملايين الذرات والخلايا التى تتألف منها أنسجة الوردة ، والحياة المستقلة والمتضامنة التى تحياها الخلايا فى غذائها ولقاحها وحملها وولادتها إلى أن تموت . ورجعت إلى تاريخ الوردة أستعرض سيرة أجدادها ، والصفات التى تتوارثها أمة الورد نسلا بعد نسل ، والمواهب التى تكتسبها بعض هذه الأنسال من بيئاتها ومصاهراتها ، وتأملت فى استعدادها للنمو والتوليد ، وفى تذكرها أصولها . ورجوعها إلى سابق صفاتها وألوانها بعد طروء التطورات الجديدة عليها ، وكيف تسير فى ذلك كله على أنظمة هى غاية فى الدقة ، وأوضاع فى منتهى الحكمة ، فوقعت ساجداً ذليلا لعظمة البارىء الحكيم ...

كانت ليلة مباركة خشعت فيها لمقدر أنظمة الوجود والفناء فى صنوف كائناته الأرضية : من أمم الجراثيم ، إلى عوالم النبات والشجر والثمر ، إلى طوائف الحيوان من زواحف ودواب وسابحات وطائرات ... هذا كله فى كوكبنا الأرضى ، وهو نجم صغير حقير فى كون واحد من ملايين الأكوان الدائرة فى أفلاكها بنظام دقيق ، ومقادير محددة ، وأبعاد معينة ، وحركات مؤقتة ومتقنة . وكل هذه الأجرام الهائلة الخيفة الهاوية فى مداراتها ، والقاذفات بشررها ، والمسافرة أشعتها سفراً أسرع من البرق فى رحلات تستمر عشرات السنين بين مصدر تلك الأشعة ومواقع أضوائها وظلالها ، فكيف بالتدبير الإلهى لمجموع مخلوقاته !...

وتساءلت، بعد ذلك عن الحياة ، وكيف وجدت فى كون كان سديما وغازاً . ثم اشتعل السديم والغاز ملايين السنين فكان شموسا كشمسنا وهى جحيم متأجج ، ثم بردت الأجزاء الصغيرة منه بصقيع الأجواء التى تتروح فيها فصارت جمادا . فكيف نشأت فى الجماد الحياة حياة الوردة ، وحياة الهرة ، وحياة النحلة ، وحياة الببغاء ، وحياة السمكة ذات الخراشيف اللامعة ؟ كيف تحولت تلك السدم والغازات والمواد المتأججة فكانت منها هذه الأحياء اللطيفة !

أليس هذا من تقدير البارئ العظيم ، القادر الحكيم ؟ .

جماد كان ناراً تتلظى ، ثم دبت فيه الحياة اللطيفة بعبق الورد والزهر وألوانهما وبحركات الهرة والنحلة والببغاء وأصواتها ؛ أيوجد هذا كله بلا موجد ، ويخلق من غير خالق ؟ !

وهذه الجاذبية بين أجرام السماوات ، نحن نسميها جاذبية ، ونعلل بها وجود أجرام الأفلاك الهائلة معلقة بأثقالها ومعادنها وجبالها وبراكينها فى الفضاء تسبح بنظام دقيق ، وبينما سيارات العقلاء منا تصطدم وتتحطم بركابها فى ميادين القاهرة وشوارعها ، نرى سيارات السماء ـ وهى جماد لا يعقل ـ آمنة من أن تصطدم فى أفلاكها ومداراتها !

بربك أيها الفلك المدار أحق ذا المسير أم اضطرار
مسيرك قل لنا فى أى شىء ففى أذهاننا منك انبهار

نحن نسميها جاذبية ولا نرى منها إلا آثارها . فهل وجدت بين الكواكب وكتل

لأجرام بأثر الصدفة والاتفاق ، أم هى خلقت نفسها ، أم أنها وجدت ورسمت لها أنظمتها بقدرة الله المشهودة التى نعمى عنها ونبحث فى كتب الفلاسفة والمتكلمين عن براهين جدلية وجود الله وأدلة قدرته ؟ !

إن الذى لا يستدل على الخالق بالنملة والنحلة والوردة ، سيبقى أعمى عن الاستدلال عليه أنظمة الفلك الأعظم ، وعن سبب وجود الحياة فى الأحياء على أرضهم يقولون إنها كانت جزءا من الشمس انفصلت عنه ، وإنها كانت حتى بعد انفصالها عن الشمس نارا ملتهبة ، م بردت ، ثم وجدت الحياة فيها ، حياة النبات والحيوان ، فهل هذه الحياة كانت كامنة ى مادة الأرض الملتهبة ، ومن ذا الذى جعلها كامنة فيها يوم كانت ناراً ؟ ومن ذا الذى أبرزها ن النار فأحيا بها هذه الكائنات الحية ؟ .

لقد كان سلفنا الأول على صواب حين التزموا طريقة القرآن فى الاستدلال على الله ببدائع خلقه ، وكانوا يكرهون فلسفة اليونان النظرية العقيمة وما اقتبسه منها المعتزلة والإسماعيليون سائر الفرق التائهة فى ظلمات الجدل والمراء والأوهام أيام دولة بنى العباس. وكنا نحن فى غنى ن هذه الفلسفة بما نشاهده فى ملكوت الله الأعظم وما نتلو فيه من آيات لله ظاهرة باهرة .

يقول الإمام أبو حامد الغزالى فى كتاب العلم من إحياء علوم الدين ، فى معرض الكلام على « التوحيد » وما طرأ على هذا اللفظ من تحريف :

« وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ، ومعرفة طريق المجادلة ، والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم ، والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة ، وإثارة الشبهات ، وتأليف لإلزامات ... مع أن جميع ماهو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شىء فى العصر الأول ، ل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة . فأما مايشتمل عليه القرآن ن الأدلة الظاهرة التى تسبق الأذهان إلى قبولها فى أول السماع ، فلقد كان ذلك معلوماً للكل ، كان العلم بالقرآن هو العلم كله ، وكان « التوحيد » عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر لمتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به » .

ومن العجيب أن أبا الحسن الأشعرى رحمه الله ، بعد ما اضطر إلى مجادلة المعتزلة بأقيستهم قواعدهم ، عدل عن ذلك فيما بعد ، وختم الله له حياته المباركة بالرجوع إلى طريقة القرآن

فى كتابيه : ( مقالات الإسلاميين ) و ( الإبانة ) وهما من آخر ما ألفه فى الدور الثالث من حياته بعد انتقاله من البصرة إلى بغداد[١] ، فرجع هو عن طريقة الفلاسفة والمتكلمين ، ولا يزال المنتسبون إليه متمسكين بما عدل هو عنه مع زوال الضرورة التى حملته على طريقته الأولى ، وقد أدى هذا اللون من الجدل ومناقضة الخصوم - غير الموجودين الآن - إلى اضطراب الأفكار ، كالذى وقع للشاب الفاضل الذى أفضى إلينا بشكواه .

وعجيبة أخرى أن أحد شيوخ الأزهر السابقين قال فى كتابه ( العلم والعلماء ونظام التعليم ) ص ١٤٠ - ١٤٤ وهو يتكلم عن تعليم علم التوحيد : « إن أكثر الخلافات لا حقائق لها ، وإن حقيقة الأمر فى الدين الإسلامى أسهل وأبسط من هذه التحقيقات والتدقيقات ، ولا تحتاج إلى مثل هذه المشاغبات والخلافات التى قد يكون موضوع أكثرها مما لا يضاد الدين الاعتقاد فيه بإيجاب أو سلب ، أو عدم اعتقاد أحدهما ، أو مما لا يجوز الخوض فيه ، ولا تكليف العقل معرفته » إلى أن قال : « وحسبنا دليلا أنه غير معهود فى زمن الرسول ، بل وفى القرآن . والغرض إنما هو حصول الاعتقاد الجازم من وجهة ثابتة مقدورة للناس » .

وموضع العجب فى ذلك أن مقرر هذه الحقائق لما تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك مدداً طويلة لم يحاول العمل بها ، وتعديل مناهج التدريس على ضوئها ، ولو فعل لقطعنا شوطا طويلا فى الرجوع إلى طريقة القرآن فى هذا الأمر العظيم الذى هو ذروة الحق .

كنت فى طفولتى أسمع من والدى رحمه الله كلمة حكيمة وهى : تفكروا فى خلق الله ، وفى آلاء الله ، ولا تفكروا فى ذات الله ، ثم رأيت من يذكر أن هذا حديث ، لكن سنده ضعيف ، على أن معناه صحيح ، فإن التفكير فى ذات الله من صميم الغيب ، وعلم الغيب لا ينال بالفكر ولا بالعقل ، بل بالنص عن المعصوم . وإقحام العقل فى غير ما دل عليه النص خروج به عن دائرة عمله ، وما أحسن قول إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى فى هذا الموقف وهو جد خبير به :

نهاية إقدام العقول عقال وغاية آراء الرجال ضلال

---

[١] انظر لتحقيق ذلك مقالة « الأشعرى ومراحل تطوره الفكرى » فى ص ٢٩ - ٣٠ من هذه المجلة م ٢٦ سنة ١٣٧٤ ، ومقالة « آخر مراحل الأشعرى » فى ص ٣١ - ٣٣ من تلك السنة ، وانظر أيضاً ص ١٠٩٠ - ١٠٩٦ من هذه المجلة م ٢٥ سنة ١٣٧٣ .

وعلى ذكر إمام الحرمين والموضوع الذى نحن فيه كنت قرأت فى شذرات الذهب نقلا عن المناوى فى شرحه على الجامع الصغير أن أبا جعفر محمد بن الحسن الهمدانى سمع أبا المعالى - يعنى إمام الحرمين - يقول : قرأت خمسين ألفاً فى خمسين ألفاً ، ثم خليت أهل الإسلام ، وركبت البحر الخضم ، وغصت فى الذى نهى أهل الإسلام عنه - لعله يعنى التأويل والفلسفة وعلم الكلام - كل ذلك فى طلب الحق ... والآن رجعت إلى كلمة الحق : عليكم بدين العجائز فإن لم يدركنى الحق بلطفه وأموت على دين العجائز وتختم عاقبة أمرى على الحق وكلمة الإخلاص . وإلا فالويل لابن الجوينى .

أعظم ما أضر المسلمين فى دينهم ، وحولهم عن أساليب القرآن إلى أساليب اليونان هو علم الكلام الذى كان من عمل المعتزلة ، وجاراهم فيه علماؤنا ليردوا عليهم بأساليبهم وأقيستهم . وكان ذلك ضرورة تقدر بقدرها . وقد زالت الآن هذه الضرورة وتحولت إلى ضرر كالذى وصفه لنا عن نفسه كاتب الرسالة التى أشرنا إليها . ونصيحتى إلى كل مسلم أن يأخذ إيمانه واعتقاده من نصوص كتاب الله وسنة رسوله ، وما يتعلق من ذلك بالغيب يؤمن به على ما يليق بكمال الله عز وجل وبمره كما ورد : لا ينقص منه ، ولا يزيد فيه ، متبعا طريقة القرآن فى الاستدلال على الخالق ببدائع خلقه .

والذى ضربت به الأمثال آنفا من بدائع خلق الله ينطوى على حق هو من الله ، ويدل على عظمة الله وجلال كماله . فهذا الحق الثابت إذا اعتاد العقل السليم الاعتماد عليه فى تكوين العقيدة كان قلعة حصينة من قلاع الإيمان الإسلامى . وأنا ما تفكرت مرة فى مكانة المخلوق من الخالق إلا سارع فكرى إلى « الحياة » وأنها من أهم ما تدل به المخلوقات على خالقها . وسارع كذلك إلى ما نسميه « الجاذبية » وأنها الدليل العلمى الصارخ بقدرة الله على إطلاق هذه الإجرام السماوية الهائلة تسبح فى الفضاء غير محمولة على شىء وهى تجرى فى نظام دقيق رهيب : « فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا » ، « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » ، « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل » ، « وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى » ، « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار » .

وأسماء الله وصفاته نؤمن بها كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل . وهذه الأسماء والصفات تدل على معانى يجب على المسلم أن يتعبد بالإيمان بها ،

وبالعبودية لله من ناحية المعنى الذى يدور عليه كل اسم من أسمائه عز وجل ، وكل صفة من صفاته .

فالواحد منا ينبغى له أن يتأثر بصفات الله العليا فيجعل من عبادته لله المتصف بها احترامها والتعامل بها مع الناس ، فإذا تصور اسم « الرحمن » و « الرحيم » كان من عبادته لله الرحمن الرحيم طلب رحمته بالقيام لخلقه بما يستطيعه من رحمة للإنسان ورفق بالحيوان .

وإذا تصور اسم « الحكيم » كان من عبادته لله الحكيم أن يتدبر حكمته الإلهية فى مخلوقاته ويحاول الوصول إلى علم ما يمكن علمه منها . ولو تحرى المثقفون والمشتغلون بالعلوم الطبيعية والكيماوية الوقوف على سرائر حكمة الله فى الأشياء ، واعتبروا ذلك من ألوان عبادة الله الحكيم ، لسبقوا الأمم إلى إدراك مصادر القوى وكنوز الخير مما يبلغون به وتبلغ به أمتهم سعادتى الدنيا والآخرة .

وإذا تصور الواحد منا اسم « الحيى » المأخوذ من قول رسول الله صلوات الله عليه « إن الله حيى يستحى من عبده إذا مد يده إليه أن يردهما صفرا » كان من عبادته لله الحيى أن يتطبع ما أمكنه بهذا الخلق العظيم ، فإن الحياء من الإيمان . والتعامل بين الناس بالحياء من أعلى مراتب الأخلاق الإنسانية .

وإذا تصور اسم « الحليم » كان من عبادته لله الحليم أن يمرن نفسه على الحلم وسعة الصدر وعلى التعامل مع الناس بهذا الخلق الكريم ، حتى يتأثر به كل من يتأسى به من ولده وأهله وزملائه ومواطنيه ، فتسرى عدوى ذلك فى الأمة ، ويكون للحلم أثره فى سعادة المجتمع .

وإذا تصور اسم « الصبور » كان من عبادته لله المتصف بهذه الصفة العليا احترامها ، والتعامل بها ، وتوطين النفس عليها . وقد نص كتاب الله على أن التواصى بالصبر عديل التواصى بالحق ، وذلك من بواعث النهوض بالمستوى الاجتماعى إلى المراتب العليا .

وإذا أحصى المسلم أسماء الله الحسنى وصفاته العليا على هذا الوجه ، وأصبح ذلك خلقاً فيه ، وديدنا له ، وسنة يتبعها فى معاملته للناس ، تحت فينا البشارة الكريمة : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » . وما أوسع أبواب الجنة لمن يعرف الطريق إليها ، وهذا النوع من المعرفة من أعلى أنواع المعارف التى يجمل بالمسلم الحكيم أن يتحلى بها ، وأن ينتهز كل فرصة لتعميم العلم بها بين الجماهير . وإن لذلك ما بعده إذا شاء الله . . .

محب الدين الخطيب

# نفحات القرآن

## - ٦٤ -

خير مايوصف به الحديث أنه صدق ، وعدل
وكلام الله فى الأوج الرفيع من ذلك .

(أ) وتمت كلمة ربك : صدقا . وعدلا ، لامبدل لكلماته ، وهو السميع العليم .
(ب) وأن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله .
(ج) إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون .

إذا وضح الكمال فى شىء فهو جدير بالقبول ، وشأنه الإجلال ، والانتفاع به فى كل ما يتعرض له ، فإذا كان الشىء على كماله ، ولم يصادفه ما هو جدير به من حسن التقدير ، فالعيب عيبنا ، والنقص فى مداركنا ، ولا يضير ذلك الشىء الكامل أن نصدف عنه ، فإن الحق ناهض بطبيعته ، والباطل زهوق لخسته .

ومثل هذا واضح فى القرآن الكريم ، وموقف الناس منه .

فقد جاء القرآن فى روعته ، وقوته فوق متناول البشر جميعاً .. ومع هذا لقى من المعارضة ، وعنف الخصومة كل ما استطاعه خصومه النافرون منه ، والمنفرون عنه .

وظلت قوة القرآن بسلطانه الروحى تشق طريقها فى بيئات معادية له ، وتركز دعوته على أنقاض المناوئين له ، وهم كثيرون فى كل زمن ـ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ـ

وفى صدر الآية الأولى أربع كلمات تكفى للإقناع بأن القرآن بلغ المبلغ الأعلى من القداسة .

وكان جديراً بالناس أن يجنحوا إليه ، لولا أن العقول فى لوثة من التقاليد الباطلة ، فجاءت الآية الثانية للتنصيص على أن زهادة الزاهدين فى القرآن ليست لعيب فيه ، بل لإسفافهم فى الاختيار ، وقصورهم عن التمييز ، وسيرهم وراء الظنون ، والشبه التى تسد منافذ الصواب أمام المدارك والمواهب .

فى الآية الأولى يقول تعالى : ( ١ — وتمت كلمة ربك — ٢ — صدقا — ٣ — وعدلا — ٤ — لامبدل لكلماته ) وكلمة ربك : هى القرآن ، ويقرؤها البعض — كلمات ربك — فقد وصفت بالتمام ، وأضيفت إلى لفظ الرب ، وفى هذا مقطع الشكوك ، ومثار الإيمان لمن أنصف نفسه .

وحيث كان التمام فى كلمات الله فهى وافية بكل غرض ، وسامية عن كل باطل ونقص ، وكفيلة بكل خير ، وهى أرقى من أن تعلق بها الشبه التى يحاولها المتنكرون للقرآن .

ثم يأتى وصف ثان وثالث بأنها صدق وعدل .

وذلك إفصاح بما تضمنه الوصف بالتمام ، وإعلام لنا بأن قداسة القرآن ليست فى مجرد نسبته إلى الله ، فإن الخصوم لايعترفون بذلك .

بل قداسته ذاتية كذلك ، لما وضح فيه من صدق وعدل ، فكله حق ، وتشريعه رفق ، وهو فى جملته وتفصيله ، رحمة بالناس ، وتيسير عليهم ، وتوجيه لهم ، يذلل ما تعقد ويبصرهم بما خفى ، ويرافقهم طول الحياة ، وفى السراء ، وفى الضراء — لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه — لأنه — تنزيل من حكيم حميد — وهذه صفات يعهدها المخالفون . فقديما عاندوا ، وأسرفوا فى التحدى ، وحاولوا ما استطاعوا أن يخدشوا كماله ولم يظفروا بحجة ناهضة ، ولا معذرة مقبولة .

فالقرآن موصوف بصفات مستقرة فى نفوسهم ، وإن لم تكن على ألسنتهم . ثم جاء الوصف الرابع — لامبدل لكلماته — ليسجل عليهم العجز عن مقاومته ، وليقرر أنه غير قابل التبديل أو التحريف ، كما ابتليت بذلك كتب سابقة مع ما كان لها من قداسة .

ولكن هذا هو الكتاب الأخير ، وهو منهج الناس فى حياتهم ، حتى يتجاوزوها إلى الحياة الآخرة . فحرامه وحلاله وكل مافيه من وعد ووعيد غير قابل للتبديل .

وكيف وقد استقر على تمامه فى الكمال ؟ ؟ .

وغير خاف أن خصوم القرآن يئسوا من العبث به ، ويئسوا من المساس بنصوصه ومعانيه وإذا كانت شبه المارقين ، وتخلفات الغافلين باقية ، وواقعة ، وسارية فى أوساط عدة فليس ذلك كما قلنا عيباً فى القرآن ، بل هـذا تحقيق لخبر القرآن نفسه فى الآية الثانية .

(ب) وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله .

فالناس فى عماية عن أخبار الغيب ، وفى عماية عن أخبار عالم الشهادة ، وهم يسمعون وينسون ، ويشاهدون ويتعامون ، وهم عند النوازل يفيقون ويتذكرون ، ثم يعودون إلى ما ألفوا ، ويأخذون فيما تعودوا .

والذكرى لا تنفع الجميع ، وإنما تنفع المؤمنين المستجيبين للدعوة .

وكان خصوم القرآن يطمعون أحيانا فى مطاوعة النبي لهم ، والسير فى مزاعمهم ويجهلون أن الله عاصمه من باطلهم .

ولذلك جاءت الآية الثانية كما جاءت آيات أخرى تنبه إلى رعاية الله لنبيه من كيدهم ، وتنبه إلى أن أكثر الناس فى ضلالة وجهالة ـ وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون ـ وانظر تجد أن المؤمنين فى الدنيا قلة بجانب كثرة غير مؤمنة ، ولكنها قلة راشدة ناجحة . وتلك كثرة خاطئة خاسرة .

وهذا شأننا فى كل محيط نزل به ، وكل فئة نقلب النظر فيها . وكأن الله تعالى يسوق إلينا هذه المقابلات بين فريق هداهم ، وفريق أضلهم لنحمده على ما تفضل به من الإيمان ، ولنطمئن إلى أن كتابه محفوظ وإن تألبت عليه الأمم المعادية له .

وكفانا ثقة فى وعده أنه القادر على كل شيء ، وسيظل الكتاب العزيز خفاق الراية ، وارف الظلال فى حراسة الله الذى أنزله ، وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر . وإنا له لحافظون » وقال : « لا مبدل لكلماته . وهو السميع العليم » .

وبعد : فقد يمر بالخاطر أن الناس فى شغل شاغل عن متابعة دينهم ، وأن بعضهم أو أكثرهم لا يرون للتدين أثراً فى أعمال الدنيا ، ولا يدركون حكمة للحض على الاتصال بالدين والاهتداء بتوجيهاته .

وهذه خواطر قوية ، تساور أصحاب القلوب الحية . فهم يأسفون لانحراف الكثرة من الناس عن حوزة الدين ، واشتغالهم بالتنافس فى المجال المادى .

وكان النبي ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ أشد الناس حدباً على أمته ، وحرصا على هدايتها ، حتى كان شغفه باجتذابها إلى الطاعة ينال من نفسه ، ويذهب براحته .

فكان ينزل عليه القرآن ليخفف عنه وطأة الأسف ، ويصرف عنه مشغلة الهم الذى يساوره ويقول له : « إنك لا تهدى من أحببت - إنما أنت منذر - إن عليك إلا البلاغ - فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » .

ومن هذا يتضح أن الله تعالى بين للناس على لسان رسوله ما بين حتى لم يدع لهم معذرة يلتمسونها لأنفسهم ، ولا حجة يتشبثون بها عن مخالفتهم .

وتركهم لعقولهم ، واختيارهم ، ثم هو محاسبهم بعد ذلك على مثقال الذرة من الخير والشر ، ولكن الناس ظلوا فى دنياهم مدفوعين إلى اجتلاب ما يجتلبونه من كسب وادخار للحياة الدنيا ، وفقدوا إحساسهم بحاجة الروح والقلب إلى التهذيب والتربية والاستعداد للحياة الآخرة ، وهم فى هذا الاتجاه الملتوى عن الرشد يتعلقون بظنون واهية والظن لا يغنى من الحق شيئا .

فمنهم من يسير فى تقديره للدين وراء حدس وتخمين ، ويحسبون أن الله غير معذبهم لأنهم على حق فيما ركنوا إليه كما ركن إليه آباؤهم من قبل ، وهؤلاء هم الكافرون الأولون .

ومن الناس من يعتقد أن الله غفور رحيم ، وأنه ما دام كذلك فسوف لا يحاسب ولا يعذب . ومنهم من يسرف ويعصى ثم يأمل أنه سيتوب فيما بعد ، وينجو من الحساب بسبب توبته ، وكأنه واثق أنه يعيش ، وأن التوبة فى متناوله فى أى وقت ، وأن الموت لن يباغته يوماً ، وتلك كلها ظنون باطلة ، وتقديرات وهمية ، وآمال ذاهبة أدراج الرياح . وهناك حق لا ينبغى العدول عنه ، وهو أن يستجيبوا ، ويعملوا ويحتاطوا وأن يقدروا ما يخشونه من موت مفاجئ ، وحساب عسير ، ولكنهم لم يفعلوا ، ومن أجل ذلك سجل الله عليهم هذه الغفلة بقوله فى شأن الجميع .

« إن يتبعون إلا الظن وإنهم إلا يخرصون » .

فهذا تشنيع على المتعلقين بالظنون والمبالغين فى الخرص ، وهو التخمين والتغرير بالنفس وإهمال مافى الآيات من العظات .

والله نرجو أن يهبنا رشدا ، وتوفيقا ، وأن يجنبنا الظن الخاطئ .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

# السنة

## العين حق

| من اللطائف النبوية ـ المقياس الرشيد فى عالم الغيب ـ رواية الثقات شافيـــة ـ الطب مادى وروحى ـ أثر العين الحاسدة ـ الرقية المشروعة . |
|---|

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : العينُ حقٌّ . ونَهى عن الوشم . « رواه البخارى »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : العينُ حقٌّ . ولو كان شىء سابَقَ القَدَر سبقَتْه العينُ ، وإذا اُستُغسِلتُم فاغسِلوا . « رواه مسلم » [١]



* * *

اتفق الشيخان على الشطر الأول من الحديثين ؛ وانفرد الإمام أبو عبد الله البخارى بما ضم إليه من النهى عن الوشم ، وإن كانا متفقين على حديث لعن الواشمة والمستوشمة . وحسبك ما فى اللعن من الوعيد وبليغ النهى ! وانفرد الإمام أبو الحسين مسلم بما ضم إليه من توكيد الإصابة بالعين ، ومن بعض علاجها المادى . وفى رواية للإمام أحمد : العين حق ، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم . ولأبى نعيم : العين حق ، تدخل الجمل القدر والرجل القبر !

وجلى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه تحدث بهذا الشطر فى مناسبات شتى ، بين فيها

---

(١) فى كتاب السلام « باب الطب والمرضى والرقى » وذكره صاحب « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم » فى حرف العين ، تسامحاً ، فإنما اتفقا على الشطر الأول كما رأيت وأما الحديث الأول فرواه البخارى فى « باب العين حق » من كتاب الطب ، وفى « باب الوشمة » من كتاب اللباس .

كلها أن الإصابة بالعين حق لا شك فيه . ويعلم المؤمنون بالرسول وما أنزل إليه من ربه أنه « ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم » .

ثم نهى في بعض المناسبات عن الوشم . وهو غرز إبرة أو نحوها في الجلد حتى يسيل الدم ! ثم يذر عليه كحل أو نحوه ليخضر ، وهو تغيير لخلق الله وفطرته ، ومن هنا لعن الله فاعله والداعي إليه ! ففي كل من الإبرة والعين وخز من الشيطان يغضب الرحمن عز وجل ، وإن كان أحدهما وخزاً حسياً والآخر وخزاً مادياً ! ذلك إلى أن من البواعث على الوشم دفع العين أو اتقاء ضررها بما لم يعتمد على عقل ولا نقل ، فكان من اللطائف النبوية النهي عن الدواء الذي لم يأذن به الله ، إلى الدواء الذي أذن به . . .

وفي بعض المناسبات قرن النبي صلى الله عليه وسلم إصابة العين بالقدر وإن كانت منه بلا ريب ، توكيداً لنفاذ سهمها ، وشدة تأثيرها فيمن تصيب بإذن القائم على كل نفس بما كسبت . وكأنه يقول صلوات الله عليه لو صح أن يغالب القدر شيء ويسابقه في إفناء شيء أو الإضرار به قبل أجله المضروب له ، لسبقته العين . فهو توكيد بليغ من طريق الفرض ومثله في كلام البلغاء والمربين ذائع شائع لا نطيل القول به . . .

* * *

وفي هذا التوكيد النبوي الذي يكاد يبلغ مبلغ التواتر في إصابة العين ، تنبيه على دقة الأمر وعلى أنه من عالم الروح والغيب ، الذي يشق على كثير من الناس تصديقه ، ولاسيما الذين يقفون عند ظواهر الأمور ، ولا يؤمنون إلا بما يقع في دائرة الحس والهوى .

لا جرم أن الأباطيل والخرافات ، سممت كثيرا من الأفكار والأخبار ، وسيطرت على كثير من الجهال وأنصاف المتعلمين ، وشككت غير قليل من الباحثين الحائرين ، ولكن الحس والهوى ما كانا ولن يكونا أبدا مقياسا للتصديق أو التكذيب . فالهوى يعمى ويصم إلا هوى تابعا لما جاء به المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والحس مقياس أبتر أعوج ، تتكرر خطؤه ونقصه وقصره في المحسات ، فضلا عن المغيبات ، بشهادة الذين لا يؤمنون بالغيب . . .

والمقياس الرشيد في عالم الغيب والشهادة ، هو التصديق بكل ما صدقه الله ورسوله ، والتكذيب بكل ما كذبه الله ورسوله ، والسكوت عما سكت عنه الله ورسوله وجاز عقلا وشرعا أن يكون وألا يكون . وقد قال العلماء إن كل شيء ليس محالا في نفسه ، ولا يؤدي إلى

قلب حقيقة ولا إفساد دليل فهو مما يجيزه العقل ، فإذا أخبر به المعصوم كان إنكاره مكابرة، وصحة الخبر برواية الثقات كافية وإن لم تكن متواترة . . . وإلا جحدنا كثيرا من أخبار الصادق المصدوق بعد ما ظهر الدليل ووضح السبيل .

* * *

وأما قوله صلوات الله وسلامه عليه : « وإذا استغسلتم فاغسلوا » فهو بيان للطب المادى من إصابة العين ، يأمر العائن أن يغتسل إذا طلب منه الغسل ، وفيه إشارة إلى أن الاغتسال كان معروفا عندهم ، فأمرهم ألا يمتنعوا منه إذا أريد منهم ، وأدنى مافيه الطمأنينة لهم ورفع الوهم عنهم . وظاهر أن هذا الاغتسال رخصة فينبغى الاقتصار على ماجاء فيها دون التوسع فيما ابتدع المبتدعون وتزيدوا وكذبوا على الله ورسوله ! ونفروا كثيرا من ذوى الفطرة البريئة من الأحاديث الصحيحة ! .

وقد روى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين . وفى هذا الاغتسال ـ كما قال العلماء ـ مناسبة لا تأباها العقول السليمة ، فهذا ترياق سم الحية يؤخذ من لحمها . وهذا علاج النفس الغضبية ، توضع اليد على بدن الغضبان فيسكن فكأن أثر العين الحاسدة كشعلة من نار وقعت على جسد المحسود ، ففى اغتساله إطفاء لتلك الشعلة . .

* * *

وأعظم من هذا الطب المادى وأنسب ، ذلك الطب الروحى النبوى ، بالرقى والمعوذات التى جاءت عن الله ورسوله ، وقاية وعلاجاً ، ومنهما ما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أبا كما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . والشيطان هنا شيطان الإنس والجن ، والهامة واحدة الهوام ـ بتشديد الميم ـ ذوات السموم والعين اللامة : النازلة التى تصيب بسوء ، من أعين الإنس والجن . وقد روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم أو أمر أن نسترقى من العين ، وثبت فى صحيح مسلم أن جبريل عليه السلام رقى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأفاض علماء

السنة والاجتماع ـ وفى مقدمتهم ابن خلدون ـ فى العين وإصابتها وتأثيرها بإذن الله تعالى وعلاجها بالرقية المشروعة : [١] .

وأكبر العلم أن أجمع العلماء بيانا فى ذلك كله صاحب « زاد المعاد » فى الطب النبوى . كفى وشفى ولم يدع زيادة لمستزيد ولا قولا لقائل ، ولقد هممت أن ألخص هنا بيانه ، ولكنى آثرت الإشارة على العبارة ، والقصد على الإطالة : فليسعنا فى العين والرقية منها ما وسع الراسخين فى العلم ، ولنغض الطرف عن الزائغين والمجادلين فى الحق بعد ما تبين .

« والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » ؟

طه محمد الساكت

---

## من التوجيه المحمدى

« إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام : كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

« ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه » .

« ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهى القلب » .

هذا الحديث النبوى من جوامع الكلم المحمدية الكبرى ، ومن الأحاديث التى تدور عليها قواعد الإسلام ، فالمسلم الموفق لا يفوته حفظ هـذا الحديث ، واتخاذه إماما فى جميع تصرفاته .

---

(١) فى م ١١ ج ٩ شرح الشيخ الجزيرى رحمه الله حديث أبى سعيد رضى الله عنه فى الرقية . . .

# نقد كتاب

## « أضواء على السنة المحمدية »

## ( ٤ )

١ — من دأب هذا المؤلف فى كتابه أنه إذا استولت عليه فكرة ، أو غلب عليه هوى ، جعل البحث تابعا لما يرى أو يهوى . وفى سبيل هذا يركب الصعب والذلول . ولا عليه فى هذا السبيل أن يحرف الكلم عن مواضعه ، ويحمل الألفاظ ما لم تتحمل ، وأن ينقل نقولا بتراء ، وأن يقع فى أعراض بعض العلماء والأئمة المتثبتين .

ومن دأبه أيضاً التهويل والمبالغة عند عرض فكرة أو رأى له ، وأنه يجعل الفرع أصلا والأصل فرعا ، وهذا هو ما صنعه عند ما عرض لبحث « رواية الحديث » فى ص ( ٥٤ ) وما بعدها ، فقد جعل رواية الأحاديث بالمعنى هو الأصل والقاعدة ، ومجيئها على اللفظ أمراً شاذاً نادراً ، بل وأنحى باللائمة والتجهيل للذين يحسبون « أن أحاديث الرسول التى يقرءونها فى الكتب أو يسمعونها ممن يتحدثون بها قد جاءت صحيحة المبنى محكمة التأليف ، وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة مصونة كما نطق بها النبى بلا تحريف ولا تبديل . وأن الصحابة ومن جاء بعدهم ممن حملوا عنهم إلى زمن التدوين قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها ، وأدوها على وجهها كما لقنوها ، فلم ينلها تغيير ولا اعتراها تبديل ، وأن الرواة للأحاديث كانوا صنفا خاصاً فى جودة الحفظ وكمال الضبط وسلامة الذاكرة » إلى أن قال « ولقد كان ـ ولا جرم ـ لهذا الفهم أثر بالغ فى أفكار شيوخ الدين ـ إلا من عصم ربك ـ فاعتقدوا أن هذه الأحاديث فى منزلة آيات الكتاب العزيز من وجوب التسليم بها ، وفرض الإذعان لأحكامها ، بحيث يأثم أو يرتد أو يفسق من خالفها ، ويستتاب من أنكرها أوشك فيها » .

والقارئ لهذا الكلام ـ إذا لم يكن من أهل العلم والمعرفة بالحديث النبوى ـ يخيل إليه أن السنة لم يأت فيها حديث على محكم لفظه ، وأنها دخلها الكثير من التغيير والتحريف . مع أن الأصل فى الرواية أن تكون باللفظ المسموع من الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأما الرواية بالمعنى فهى رخصة يترخص فيها بقدر الحاجة إليها إذا غاب اللفظ عن الذهن

أو لم يتأكد منه ، ومما لا ينبغي أن يخفى على باحث في الحديث النبوى أن يعلم أن بعض العلماء والرواة قد منعوا الرواية بالمعنى مطلقاً وألزموا أنفسهم وغيرهم بأداء اللفظ كما سمع ، وأن من أجاز من العلماء والرواة الرواية بالمعنى إنما أجازها بشروط فيها غاية التحوط والأمن من التزيد والتغيير والتبديل فقالوا : لا تجوز الرواية بالمعنى إلا لعالم عارف بالألفاظ ومقاصدها ، خبير بما يحيل معانيها ، بصير بمقدار التفاوت بينها . كما قالوا : إن هذا فيما يروى قبل أن يدون ، أما ما دون في الكتب فلا يجوز تغييره بمرادفه ولا التصرف في لفظه بحال من الأحوال [١] . والعجيب أن المؤلف نقل نحواً من هذا عن كتاب « توجيه النظر » للعلامة الشيخ طاهر الجزائرى ، ولا أدرى كيف ينقل شيئاً ولا يقتنع به ؟ ! وكيف غاب عن ذهن المؤلف أن التدوين بدأ بصفة عامة ورسمية في نهاية القرن الأول ، ولم يكد ينتهى القرن الثالث حتى كانت السنة كلها مدونة في الكتب من صحاح وسنن ومسانيد ؟ وأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يدونون الأحاديث في القرن الأول ولا سيما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم [٢] ؟ فكيف تتفق هذه الحقائق وما رمى به من أحكام جائرة ظالمة ؟ وهل على أحد من حرج بعد هذا لو وصم هذا المؤلف بخبث الطوية وسوء القصد ومحاولة هدم الأصل الثاني من أصول التشريع ؟ ؟ .

وماذا يبتغى أعداء الإسلام أكثر مما يقوم به أبو ريه وأمثاله من تقويض إحدى دعامتي الدين بهذه المحاولات الفاشلة الهازلة ؟ وليعلم أبو ريه أن شيوخ الدين ـ أعزهم الله ـ حينما يعرفون للسنة مكانتها من الدين ، ويحلونها من أنفسهم المحل اللائق بها ، ويرون التزامها علما وعملا وسلوكا ، ويذبون عن ساحتها كل دعى زنيم ، ويفسقون أو يؤثمون من يرد ماثبت من السنة ، ويحاول جاهداً إبطالها والكيد لها أو الاستهزاء والاستخفاف بها ، لا يستحقون منه كل هذا الغمز واللمز ، لأنهم يصدرون في هذا عن دين قويم ورأى مستنير وعلم أصيل .

٢ ــ إن هذه الأحكام الجائرة إنما تصدر عمن غفل عن العوامل الدينية والنفسية والخلقية التي اتصف بها الرواة من الصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم . . . من أهل القرون الفاضلة بشهادة المعصوم صلى الله عليه وسلم وشهادة الواقع التاريخي ، فهم ذوو الدين

---

(١) مقدمة ابن الصلاح بشرحها ص ١١٠ ط الشام .
(٢) مفتاح السنة ص ١٨ .

الكامل والخلق العالى والتقوى والمروءة ، وهم يعلمون حق العلم أنهم يروون نصا يعتبر مرجعا فى الدين وأصلا من أصوله ، وأن أى تزيد فيه أو تحريف وتبديل يؤدى بهم إلى أن يتبوءوا مقاعدهم فى النـــار ، وهم إلى ذلك ذوو حوافظ قوية وأذهان سيالة ووجدان حى وقارب عاقلة واعية ، وإنكار هذه الخصائص أو بعضها إنكار للحق الثابت والواقع الملموس .

٣ — حينما نقل من أدلة المجوزين للرواية بالمعنى حديث عبد الله بن سليمان الليثى قال : قلت يارسول الله إنى أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما أسمعه منك يزيد حرفا أو ينقص حرفا . فقال : « إذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس » ، فذكر هذا للحسن فقال : لولا هـذا ما حدثنا . قال فى الهامش ص ( ٥٧ ) : هذا الحديث يناقض ولا ريب حديث « نضر الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها » . ولكن لابد لكل فئة من أن تؤيد رأيها بحديث ، يريد الطعن فيه بالوضع والاختلاق ، وإنى أقول له : إن هـذا الحديث رواه ابن منده فى معرفة الصحابة ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، والخطيب فى كتبه وغيرهم ، ونقله أئمة الحديث وأطباؤه فى كتبهم ولم يحكم عليه أحد منهم بالوضع ، وكنت أحب من المؤلف لو أراد البحث النزيه المستقيم أن ينقده نقداً صحيحاً من جهة سنده أو متنه ، ويبين موضع الدخل فيه ، ولكنه لم يفعل . أما ماتخيله من مناقضة بين الحديثين فغير صحيح ، فحديث « نضر الله امرءاً ... » للترغيب فى المحافظة على اللفظ المسموع والحث عليه ، وليس من شك فى أن المجوزين للرواية بالمعنى يرون أن الأفضل والأحسن رواية الحديث بلفظه . وأما الحديث الثانى فهو لبيان جواز الرواية بالمعنى بشروطها . ثم ألا يقال لمن روى كلاما بمعناه مع التحوط البالغ أنه أداه كما سمعه ؟ بلى .

٤ — ولكى يدلل المؤلف على ماجازف به من آراء فائلة ذكر أمثلة للرواية بالمعنى ، فعرض لما ورد فى صيغ التشهد من أحاديث ، ولما ورد فى حديث الإسلام والإيمان ، وحديث زوجتكها بما معك من القرآن ، وحديث الصلاة فى بنى قريظة ، وقد استغرق ذلك من كتابه من ص ٦٠ - ٧٤ والغرض الذى قصده من وراء هذا أن يخلص إلى ضرر الرواية بالمعنى من الناحية الدينية وقد شاء الحق سبحانه أن يسقطه بسبب ماعرض له سقطات لا لعى له منها ، وقد أسفرت عن ضحولة المؤلف فى البحث ومبلغ علمه بالحديث ، وسأبين وجه الحق فيما عرض له مع الإيجاز .

( ا ) عرض المؤلف لما روى فى التشهد فى الصلاة من صيغ ، فذكر تشهد ابن مسعود وابن عباس وعمر وغيرهم ، ثم قال : هذه تشهدات ثمانية وردت عن الصحابة ، وقد اختلفت ألفاظها ، ولو أنها كانت من الأحاديث القولية التى رويت بالمعنى لقلنا عسى ، ولكنها من الأعمال المتواترة التى كان يؤديها كل صحابى مرات كثيرة كل يوم . . .

وردى عليه من أين لك أن هذه التشهدات قيلت فى قصة واحدة حتى تدلل بها على ضرر الرواية بالمعنى ؟ إن الطالب المبتدئ فى الحديث ليدرك بادئ الرأى أنها وقائع متفرقة ، وأن النبى قال كل ذلك فى أوقات متفاوتة بهذه الألفاظ المتغايرة ليبين للأمة أن التشهد بأى منها جائز ، فابن مسعود وهو من السابقين إلى الإسلام سمع أولا ، وابن عباس وهو من مهاجرة الفتح سمع بعد ذلك وهكذا ؛ قال ابن قدامة الحنبلى « فصل وبأى تشهد تشهد مما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم جائز ، نص عليه أحمد فقال : تشهد عبد الله أعجب إلى ، وإن تشهد بغيره فهو جائز ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما علمه الصحابة مختلفاً دل على جواز الجمع كالقراءات المختلفة التى اشتمل عليها المصحف [1] » وقد اختلفت أنظار الأئمة فى ترجيح بعضها على بعض من غير طعن فى المرجوح ولا رد له ، فالجمهور ومنهم الحنفية والحنابلة أخذوا بتشهد ابن مسعود ، وأخذ الشافعية بتشهد ابن عباس ، والمالكية بتشهد عمر ، ولهم فى اختياراتهم مرجحات وأدلة تدل على رحابة الصدر فى البحث وعمق الغور وشفوف النظر (٢) ، قال الترمذى : « حديث ابن مسعود روى من غير وجه وهو أصح حديث فى التشهد ، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم . . . » .

ولكى ترى الفرق بين العلماء والأدعياء أذكر لك ما روى عن الإمام الشافعى ، وقد سئل عن اختياره تشهد ابن عباس قال : « لما رأيته واسعاً وسمعته عن ابن عباس صحيحاً كان عندى أجمع وأكثر لفظاً من غيره ، وأخذت به غير معنف لمن يأخذ بغيره مما صح » . ولو سلمنا ـ جدلا ـ أن هذه الروايات فى قصة واحدة فالخلاف بينها هين يسير لا يستأهل كل هذا التهويل ، فتشهد ابن مسعود بلفظ : « التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك

---

(١) المغنى والشرح الكبير . ج ١ ص ٥٧٩ .

(٢) لكى تقف على هذا ارجع إلى فتح البارى ج ٢ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، والمغنى والشرح الكبير الموضع السابق .

أيها النبي الخ » وتشهد ابن عباس بلفظ : « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله » وباقيه كتشهد ابن مسعود ، وتشهد عمر بلفظ : « التحيات لله ، الزاكيات لله ، الصلوات لله ، الطيبات لله » وسائره كتشهد ابن مسعود . وبقية صيغ التشهد الواردة لا تخرج عن هذه الصيغ بزيادة كلمة من صدر التشهد أو نقصان أخرى ، وذكر لفظ « لله » عقب كل كلمة منها ، أو فى أولاها أو أخراها . وكل ذلك أمر جائز وله وجه فى العربية . وأما زيادة البسملة قبل التشهد ، فلم تصح كما قال الحافظ فى الفتح . فعلام كل هذه الضجة المفتعلة التى لا يقصد من ورائها إلا التشويش على السنة والأحاديث ؛ ثم من قال أيها المؤلف البحاثة : إن التشهد من قبيل الأفعال المتواترة وليس من قبيل الأقوال ؟ ! إن الطالب المبتدئ يعلم أن الصلاة أقوال وأفعال والتشهد من الأقوال لا محالة .

(ب) أما ما عرض له من حديث ( كذا )[١] الإسلام والإيمان . وزعمه أن الروايات التى ذكرها فى قصة واحدة فما يقضى منه العجب ، ومن ذا الذى يجهل أن حديث جبريل المشهور هو غير حديث طلحة بن عبيد الله فى قصة الرجل الذى جاء من أهل نجد ثائر الرأس يسأل عن شرائع الإسلام ؟ بل من ذا الذى يشك فى أن حديث جبريل غير حديث أبى أيوب الأنصارى فى قصة الرجل الذى جاء إلى النبى فقال : دلنى على عمل يدنينى من الجنة ويباعدنى من النار ؟ وحديث أبى هريرة الذى فيه : أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة ـ الحديث ؟ نعم قد قيل إن حديث أبى أيوب وحديث أبى هريرة فى قصة واحدة ، وقيل إنهما قصتان ، وهو الذى مال إليه الحافظ فى الفتح [٢] .

ولعل منشأ الشبهة عنده أنه وجد الإمام مسلما ذكرها فى صحيحه فى مكان واحد فظن أنها فى قصة واحدة ، أو لعل منشأ الشبهة عنده سوء فهمه لعبارة الإمام النووى التى ساقها فى ص ٦٧ من كتابه ، والإمام النووى أجل من أن يظن أن حديث جبريل وحديث الرجل الثائر الرأس وحديث أبى أيوب وحديث أبى هريرة كلها فى قصة واحدة . ولو أن المؤلف رجع إلى كتاب

---

[١] هكذا سمى المؤلف الأحاديث حديثاً بناء على زعمه أنها روايات فى قصة واحدة والحق خلاف ذلك.

[٢] فتح البارى ج ٣ ص ٢٠٤ .

« فتح الباري » لعمدة المحققين فى هذا الفن وأمير المحدثين الحافظ ابن حجر لوقف على مفصل الحق ، ولما وقع فى هذا الخلط الشنيع .

(ح) فى ص (٦٨) استشهد على ضرر الرواية بالمعنى فى الدين بحديث المرأة التى جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأرادت أن تهب نفسها له فأعرض عنها النبي ، فتقدم رجل فقال: يا رسول الله أنكحنيها - ولم يكن معه من المهر غير بعض القرآن - فقال النبي « أنكحتكها بما معك من القرآن » ، وفى رواية زوجتكها بما معك » ... وفى رواية ثالثة « زوجتكها على مامعك ... » وفى رواية رابعة « قد ملكتكها بما معك » وفى رواية خامسة « قدأملكتكها بما معك الخ » إلى أن قال : فهذه اختلافات ثمانية فى لفظة واحدة . ولكى يؤيد ما يريد نقل عن ابن دقيق العيد والعلائى نقلين وبترهما لحاجة فى نفسه كما ستعلم عن كثب ، ومع إمكان احتمال أن تكون القصص والوقائع متعددة إلا أن الأظهر أنها فى قصة واحدة . وعليه فنحن لا ننكر أن هذا الحديث وغيره ورد بألفاظ متغايرة إلا أنها لا تحيل المعنى ، فهى متقاربة ويفسر بعضها بعضا ، فمثلا فى الحديث الذى ذكره نرى أن زوجتكها وأنكحتكها بمعنى وكذلك لافرق بين « بما معك » و « على مامعك » فمؤدى العبارتين واحد ، ورواية أملكتكها وملكتكها بمعنى أيضا وتمليك رقبة حرة غير معقول عقلا ولا شرعاً فلم يبق إلا أن يكون المراد تملك حق الاستمتاع بها وهو معنى الزواج ، فهذه خمس روايات ليس بينها تضاد أو تناقض ، وباقى الروايات الثمانية بعضها بلفظ « أنكحتكها على أن تقرئها وتعلمها » وبعضها بلفظ . أمكناكها بما معك الخ » وبعضها بلفظ « خذها بما معك » وهكذا يتبين لك جليا أن الروايات الثمانية ليس بينها كبير فرق يسوغ للمؤلف أن يرمى السنة بمنكر من القول فيزعم أنها وصلتنا مغيرة مبدلة ! .

على أن طريقة العلماء المحققين فى هذا الحديث وأمثاله هو الترجيح وبذل الجهد فى التحرى والبحث عن حقيقة اللفظ الذى صدر من الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ولعلماء الحديث وجهابذته - وراء قواعد النقد الظاهرة - ملكة خاصة وحاسة دقيقة بهما ينفذون إلى معرفة اللفظ الذى هو أليق بالصدور عن الرسول ، وهذا هو ما فعله الأئمة تجاه الروايات فى هذا ، قال ابن دقيق العيد : « هذه لفظة واحدة فى قصة واحدة واختلف فيها مع اتحاد مخرج الحديث فالصواب فى مثل هذا النظر إلى الترجيح ، وقد نقل عن الدارقطنى أن الصواب من روى زوجتكها وأنهم أكثر وأحفظ ... » . ولما نقل المؤلف كلام ابن دقيق العيد وقف عند

« مخرج الحديث » وترك الباقى . وغير خفى على القارئ الفطن السر فى تركه لعجز الكلام : لأنه يهدم ما يريد أن يصل إليه ، وكذلك لما نقل كلام العلائى ترك من آخره قوله « ولكن القلب إلى ترجيح رواية التزويج أميل ، لكونها رواية الأكثرين ، ولقرينة قول الرجل الخاطب زوجنيها يا رسول الله » فلماذا تركت هذا أيها المؤلف الأمين ؟ ! ! وقال الحافظ ابن حجر « نعم الذى تحرر مما قدمته أن الذين رووا بلفظ التزويج أكثر عددا ممن رواه بغير لفظ التزويج ولا سيما وفيهم من الحفاظ مثل مالك ، ورواية سفيان بن عيينة « أنكحتكها » مساوية لروايتهم ومثلها رواية زائدة (١) .

وهكذا يتبين لنا أن لاضرر دينيا بسبب الرواية بالمعنى كما يريد أن يصوره المؤلف مادامت الألفاظ متوافقة أو متقاربة وما دام طريق الترجيح بين الروايات يؤدى بالمجتهد إلى الوصول إلى الحق والصواب .

(د) ذكر حديث البخارى فى صحيحه عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » الحديث ، ومقالة الحافظ ابن حجر فى شرح الحديث « كذا وقع فى جميع النسخ عند البخارى ، ووقع فى جميع النسخ عند مسلم « الظهر » مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد ، وقد وافق مسلما أبو يعلى وآخرون وكذلك أخرجه ابن سعد .. وأما أصحاب المغازى فاتفقوا على أنها العصر » وإلى هنا اقتصر المؤلف من كلام الحافظ . وتتمة كلام ابن حجر « وكذلك وافق البخارى الطبرانى والبيهقى فى الدلائل ، وهذا كله يؤيد البخارى ، وقد جمع بعض العلماء بين الروايتين باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها ، فقيل لمن لم يصلها « لا يصلين أحد الظهر » ولمن صلاه « لا يصلين أحد العصر » وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة ، فقيل للطائفة الأولى الظهر وللطائفة الثانية العصر ، وكلاهما جمع لا بأس به ... إلى أن قال : ثم تأكد عندى أن الاختلاف فى اللفظ من حفظ بعض رواته ... أو أن البخارى كتبه من حفظه ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه فى تجويز ذلك ، بخلاف مسلم فإنه يحافظ على اللفظ كثيرا . . . لكن موافقة أبى حفص السلمى له ـ أى البخارى ـ تؤيد الاحتمال الأول وهذا كله من حديث ابن عمر ، أما بالنظر إلى حديث غيره فالاحتمالان المتقدمان فى كونه قال الظهر لطائفة والعصر لطائفة متجه . . . » .

---

(١) فتح البارى ج ٩ ص ١٧٦ .

فها نحن نرى أن الحافظ ابن حجر ردد الوهم فى رواية البخارى بين أن يكون من أحد الرواة أو من البخارى نفسه مع ترجيح الاحتمال ، فجاء المؤلف فنقل من كلام الحافظ الاحتمال الثانى مقتضبا عما قبله وعما بعده ، وترك من كلام الحافظ ما قاله العلماء فى التوفيق بين الروايتين . ولا يخفى على القارئ الفطن ما يريده المؤلف من هذا الاقتضاب المخل والذى يبغى من ورائه إظهار أئمة الحديث ـ ولاسيما أميرهم البخارى ـ بمظهر غير الضابطين المتثبتين.

ولو سلمنا أن إحدى الروايتين من قبيل الوهم فهل يؤدى هذا إلى تغيير الحكم المستفاد من الحديث ؟ اللهم لا .

وبعد أن سرد مازعم أنه يؤيده خاص إلى هذه النتيجة الخاطئة : فقال فى ص ٧٠ : لما كانت أحاديثه صلى الله عليه وسلم قد جاء نقلها بالمعنى ـ كما بينا من قبل ـ وأنهم قد أباحوا لرواتها أن يزيدوا فيها ويختصروا منها . وأن يقدموا ويؤخروا فى ألفاظها ـ بله ما سوغوه من قبول الملحون منها ـ لما كان الأمر قد جرى على ذلك . فقد نشأ من أثر ذلك كله ـ ولا جرم وبخاصة بسبب نقل الحديث بالمعنى ـ ضرر عظيم » وبحسبنا ما قدمت فى رد هذا التجنى على المحدثين .

٥ — من ص ٧٥ ـ ٧٩ عرض للحن والخطأ فى الحديث ، والتقديم والتأخير فيه ، والزيادة والنقص منه ، ورواية بعض الحديث واختصاره بأسلوب تهكمى ، وطريقته فى سرد الأقوال تظهر المحدثين بمظهر المتساهلين ، ثم ذكر عنوانا بالخط العريض فقال : « تساهلهم ـ أى المحدثين ـ فيما يروى فى الفضائل وضرر ذلك » وهو يوهم من لا يعلم أن المحدثين جميعا على هذا ، مع أن كثيراً من الأئمة كالبخارى ومسلم وابن خزيمة قد جردوا كتبهم للصحاح . وتحروا غاية التحرى فى ذكر أحاديث الفضائل ، وأيضا فالمحدثون لم يأخذوا بالأحاديث الضعيفة فى باب الفضائل إلا بشروط فصلها أهل الفن والتحقيق ، فإرسال القول على عواهنه ـ كما صنع المؤلف ـ ليس من الأمانة العلمية فى عرض الآراء ، وهو إلى التدليس والتلبيس أقرب منه إلى التوضيح والتبيين . وبحسبك أيها القارئ الطالب للحقيقة أن تراجع هذه المباحث التى استعرضها بغير أمانة فى كتب أصول الحديث لترى إلى أى حد حاول المؤلف التشنيع والتشهير بالمحدثين ، وأقرب هذه الكتب وأحدثها كتاب « توجيه النظر » للعلامة الشيخ طاهر الجزائرى .

« وبعد » : فلكى تزداد أيها الطالب للحقيقة علما بوصول السنن والأحاديث الثابتة من غير تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا انتقاص أضع بين يديك هذه المقدمات والحقائق المستخلصة مما قدمنا .

١ — أن الرواية بالمعنى قد منعها الكثيرون من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من رواة الحديث والتزموا أداء الأحاديث بألفاظها .

٢ — أن الرواية بالمعنى قد أجازها العلماء لمن كان عالما عارفا بالألفاظ والأساليب خبيرا بمدلولاتها والفروق الدقيقة بينها .

٣ — أن الذين أجازوها إنما أجازوها على أنها رخصة تتقدر بقدر الحاجة إليها ، لاعلى أنها أصل يتبع ويلتزم فى الرواية .

٤ — أن التدوين للأحاديث بدأ بصفة عامة ورسمية على رأس المائة الأولى وبلغ منتهاه فى نهاية القرن الثالث وأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يدونون الأحاديث فى القرن الأول الهجرى ولا سيما بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

٥ — أن الروايه بالمعنى إنما ترخص فيها من ترخص فى غير الكتب المدونة ، أما فيها فلا كما قدمنا .

٦ — أن الرواية بالمعنى ممنوعة باتفاق فى الأحاديث المتعبد بلفظها كالأذكار والأدعية وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم .

٧ — أن الذين نقلوا الأحاديث من الصحابة ومن بعدهم من ثقات الرواة كان لهم من الخصائص الدينية والنفسية والخلقية والخلقية ما يعصمهم من التغيير والتبديل والتساهل فى الرواية ، وإنكار ذلك مكابرة .

٨ — أن القواعد التى أخذ جامعو الأحاديث بها أنفسهم عند تدوينها هى أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد فى تمييز المقبول من المردود من المرويات والحق من الباطل والخطأ من الصواب .

هذه المقدمات والحقائق تسلمنا إلى نتيجة صادقة وهى : أن الكثير من الأحاديث النبوية وصلت إلينا بحكم لفظها ، وأن بعض الأحاديث قد رويت بالمعنى مع التحرز البالغ من التغيير المخل بالمعنى الأصلى ، وأن ماعسى أن يكون قد دخل الأحاديث بسبب الرواية بالمعنى شىء يسير قد تنبه له العلماء وبينوه ، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث يقول « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

# عين فى سبيل الله

فى الحديث النبوى الصحيح - كما يذكر السيوطى فى الجامع الصغير - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حرمت النار على عين بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله ، وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله ، أو عين فقئت فى سبيل الله » .

والمطالع لسيرة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ينفحه عبير عاطر لسيرة صحابى فاضل ، من سادات الأوائل فى الإسلام ، الذين توزعت أنباؤهم وتفرقت أخبارهم هنا وهناك فى مصادر التاريخ ومراجع السيرة ، ولكنهم ظلوا برغم هذا كواكب تضىء وشموساً تنير ؛ وهذا الصحابى الجليل فقد عينه فى سبيل الله فرضى ذلك ، بل وفرح به واغتبط له . فكانت سيرته باهرة ، وكانت خاتمته زاهرة ، ولقى ربه عظيماً كريماً مرضياً عنه .

ذلك هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحى الصحابى رضى الله عنه . كان من السباقين إلى الإسلام . فتروى السيرة أنه وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف وأبا عبيدة بن الجراح وأبا سلمة أتوا رسول الله فأسلموا فى ساعة واحدة ، وكان ذلك فى أول الإسلام ، قبل دخول الرسول دار الأرقم بن أبى الأرقم ، ولا عجب فى سبق عثمان بن مظعون إلى الإسلام بهذه الصورة ، فقد كان من القلائل أصحاب القلوب النيرة والعقول المفكرة ، حتى قبل الإسلام ، فقد حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ، وقال قولته البليغة العميقة : « لا أشرب شيئاً يذهب عقلى ، ويضحك بى من هو أدنى منى ، ويحملنى على أن أنكح كريمتى » ! .

أسلم عثمان مبكراً ، وتحمل مع إخوانه المسلمين الأوائل ما تحملوا من مشقة وعذاب فى سبيل الله ، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ، وكان أميراً للمهاجرين إليها ، كما هاجر إلى المدينة مع ابنه السائب ، ومع أخويه قدامة وعبد الله ابنى مظعون ، وآخى الرسول بينه وبين أبى الهيثم بن التيهان الأنصارى ، وشهد غزوة بدر .

وكان لعثمان مكانته فى التقوى والتجمل بمكارم الأخلاق ، ولقد روى أن الرسول صلوات الله عليه قال فيه : « إن عثمان بن مظعون لحي ستير » . ويصفه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني فى الحلية على طريقته فيقول : « المتقشف المحزون ، الممتحن فى عينه المطعون . ذو الهجرتين عثمان بن مظعون . كان إلى الاستجابة لله سابقا ، وبمعالى الأمور لاحقا ، وفى العبادة ناسكا ، وفى المحاربة فاتكا ، لم تنقصه الدنيا ، ولم تحطه عن العليا ، تعجل إلى المحبوب ، فتسلى عن المكروب » .

وكان عثمان من أشد الناس اجتهاداً فى العبادة ، فهو يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويتجنب الشهوات ، ويعتزل النساء ، ولا يبالى ماذا يلبس أو ماذا يأكل ، وأورثه ذلك لوناً واضحاً من الزهد والتقشف ، ولقد دخل المسجد يوما وعليه نمرة ( وهى شمـلة مخططة من مآزر الأعراب ، كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض ) قد تقطعت ، فرقعها بقطعة من فروة ، فرق النبي وأصحابه لشأنه ، ثم قال النبي - كما يروى أبو نعيم - : « كيف أنتم يوم يغدو أحدكم فى حلة ، ويروح فى أخرى ، وتوضع بين يديه قصعة ، وترفع أخرى ، وسترتم البيوت كما تستر الكعبة » ؟ . قالوا : وددنا أن ذلك قد كان يا رسول الله ، فأصبنا الرخاء والعيش . فقال النبي : « فإن ذلك لكائن ، وأنتم اليوم خير من أولئك » ! . .

ويظهر أن اعتزال عثمان لامرأته ترك فى نفسها شيئاً فأعرضت عن الزينة والتطيب . ولقد دخلت على نساء النبي فى هيئة سيئة وملابس ممزقة ، فقلن لها : مالك ؟ فقالت تشير إلى حال زوجها وزهده : أما الليل فقائم ، وأما النهار فصائم ! . . فبلغ الخبر الرسول فلقى عثمان فلامه قائلا : أما لك بى أسوة ؟ . فقال عثمان : بلى ، جعلنى الله فداك ، بأبى أنت وأمى . فما ذاك ؟ قال النبي له : تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قال : إنى أفعل ذلك . فقال النبي : « إن لعينك عليك حقاً ، وإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، فصل ونم ، وصم وأفطر » ! . . .

واستجاب عثمان بن مظعون لهدى الرسول ، فخفف من شدته على نفسه ، فيروى أن امرأته جاءت بعد ذلك حسنة الهيئة طيبة الريح ! ! .

وأما قصة عينه التى فقدها فى سبيل الله فهى أنه لما هاجر مع من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بقى هناك حتى نزلت سورة « النجم » ، فرجع أكثر المسلمين ، وكان عثمان وأصحابه

ممن رجع ، ولكنه لم يستطع دخول مكة إلا بجوار من أحد أهلها ، فأجاره الوليد بن المغيرة من مشركى قريش . فكان يذهب ويجيء فى مكة لا يناله أحد بسوء ، بينما غيره من المسلمين يسامون العذاب والاضطهاد ، ولما رأى عثمان ما يعانيه الصحابة من البلاء وهو يغدو ويروح فى أمان قال لنفسه : والله إن غدوى ورواحى آمناً بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل دينى يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبنى ، لنقص كبير فى نفسى ! . .

وذهب إلى الوليد وقال له : يا أبا عبد شمس ، وفت ذمتك ، قد رددت إليك جوارك . فقال الوليد : لم يا ابن أخى ؟ لعله آذاك أحد من قومى ؟ قال عثمان : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل ، ولا أريد أن أستجير بغيره ! ! . . .

فقال الوليد لعثمان : فانطلق معى إلى المسجد فاردد على جوارى علانية ، كما أجرتك علانية ! . . . ورافق عثمان ، وصحبه إلى المسجد ، وهناك قال الوليد للناس : هذا عثمان ابن مظعون قد جاء يرد على جوارى . فقال عثمان : قد صدق الوليد ، قد وجدته وفيا كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره .

وجلس عثمان عقب ذلك مع جماعة من المشركين ينشدهم أحدهم ـ وهو لبيد ـ شعراً له ، فقال فيه : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » . فقال له عثمان : صدقت . ثم أنشد الشاعر عقب ذلك : « وكل نعيم لامحالة زائل » ، فقال له عثمان : كذبت ، نعيم أهل الجنة لا يزول !.

فتألم لبيد وقال لمن حوله : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال له أحدهم : إن هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا ديننا ، فلا تجد فى نفسك من قوله . فرد عثمان عليه بما يناسبه ، فقام هذا الرجل ولطم عثمان على عينه فأطفأها ! .

وكان الوليد بن المغيرة قريبا منهما ، ورأى ما حدث لعثمان ، فقال له شامتا فيه : أما والله يا ابن أخى إن كانت عينك عما أصابها لغنية ، ولقد كنت فى ذمة منيعة ! . . . فقال عثمان : بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها فى الله ، وإنى لفى جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس !! .

ثم قال عثمان بن مظعون فى عينه :

فإن تك عينى فى رضا الرب نالها ... يدا ملحد فى الدين ليس بمهتد

فقد عوض الرحمن منها ثوابه ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد
فإنى ـ وإن قلتم غوى مضلل سفيه ـ على دين الرسول محمد
أريد بذاك الله والحق ديننا على رغم من يبغى علينا ويعتدى

ويروى أن الإمام على بن أبى طالب قال فى ذلك أيضا هذه الأبيات :

أمن تذكر دهر غير مأمون أصبحت مكتئبا تبكى كمحزون
أمن تذكر أقوام ذوى سفه يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
لا ينتهون عن الفحشاء ما سلموا والغدر فيهم سبيل غير مأمون
ألا ترون ـ أقل الله خيرهم ـ أنا غضبنا لعثمان بن مظعون
إذ يلطمون ـ ولا يخشون ـ مقلته طعنا دراكا ، وضربا غير مأفون (١)
فسوف يجزيهم ـ إن لم يمت عجلا ـ كيلا بكيل ، جزاء غير مغبون !

وختم الله حياة عثمان بن مظعون خاتمة محفوفة بما يدل على الخير والبركة . فقد توفى بعد أن شهد بدراً ، وأهل بدر هم الذين قال لهم ربهم : « اعملوا ما شئتم فإنى قد غفرت لكم » ، وتوفى وهو محافظ على دينه ويقينه وعبادته ، وكانت وفاته فى شعبان بعد سنتين ونصف من الهجرة ، ودخل عليه الرسول حين مات ، فانكب عليه ورفع رأسه ، ثم حنى الثانية ثم رفع رأسه ، ثم حنى الثالثة ثم رفع رأسه وله شهيق ، فعرف القوم أن النبى يبكى فبكوا ، فقال النبى : « أستغفر الله ، أستغفر الله ، اذهب عنها أبا السائب . فقد خرجت منها ولم تلبس منها بشىء » ! ! . .

ويروى أنه أكب عليه يقبله وهو ميت ، وقال : « رحمك الله يا عثمان ، ما أصبت من الدنيا ، ولا أصابت منك » . وقالت امرأة عثمان للنبى مشيرة إلى زوجها : « يا رسول الله ، فارسك وصاحبك » .

وصلى النبى عليه الصلاة والسلام على عثمان ، ودفن بالبقيع ، وهو أول من دفن فيه ، وأول من توفى بالمدينة من المهاجرين ، وقال عنه النبى : هذا فرطنا . ووقف على شفير قبره ، ووضع عند رأسه حجراً ، وقالت زوجة عثمان : هنيئاً لك يا أبا السائب الجنة ! . .

[١] غير مأفون : غير قليل .

فقال لها النبي : وما علمك بذلك ؟! . قالت : كان - يا رسول الله - يصوم النهار ويصلى الليل . فقال النبي : ( بحسبك لو قلت : كان يحب الله ورسوله ) ! ..

وقالت زوجة عثمان في رثائه :

يا عين جودى بدمع غير ممنون [١] على رزية عثمان بن مظعون
على امرئ بات في رضوان خالقه طوبى له من فقيد الشخص مدفون
طاب البقيع له سكنى وغرقده وأشرقت أرضه من بعد تفتين [٢]
وأورث القلب حزنا لا انقطاع له حتى الممات فما ترقى له شونى [٣]

وفي الحديث الشريف أن النبي صلوات الله عليه وسلامه لما توفيت بنته رقية قال : « الحقى سلفنا الصالح عثمان بن مظعون » . وفي رواية : « الحقى بسلفنا الخير عثمان ابن مظعون » .

وفي صحيح البخارى أن أم العلاء الأنصارية قالت بعد موت عثمان - وكان قد توفى في دارها - : رأيت في النوم لعثمان بن مظعون عينا تجرى ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك ، فقال النبي : ذاك عمله ! ! ..

رضوان الله تبارك وتعالى على ابن مظعون ، وجزاه خيرا بقدر ما ضحى في سبيله وفقد من أجله ، وسلام عليه في الخالدين ! ! . . ؟

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

[١] غير ممنون : غير مقطوع .

[٢] تفتين : سواد ، كأن الأرض محرقة ، وغرقده : أسبل الستر عليه .

[٣] شونى : مخففة من : شئونى ، وهى مجارى دمع العين .

# تخطيط عريض

## للمجتمع السعيد

ليس هناك مصلح واحد فى تاريخ العالم أحدث تغييراً شاملا فى حياة أمة بأكملها فى فترة تقل عن ربع قرن من الزمان كما أحدث نبى البر ورسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

كان العرب قبل الإسلام يخرون للأذقان غرقا فى الوثنية والشرك فنقلهم صلى الله عليه وسلم - بفضل الله وتأييده - إلى التوحيد وإفراده تبارك وتعالى بالعبادة والتقديس .

وكان العرب قبل الإسلام يخرون للأذقان غرقا فى شن الغارات لأوهى الأسباب . . . وفى التنابذ بالألقاب .. والإثم .. والبغى .. واختلاف الكلمة .. فنقلهم صلوات الله عليه - بفضل الله وتوفيقه - إلى السلم .. والإخاء .. والعدل .. وترك الفواحش ماظهر منها وما بطن .. فما سبب هذا الانتقال العجيب ؟ . . .

سببه أن العرب قد انفعلت نفوسهم بما رسم النبى صلى الله عليه وسلم من تخطيط المجتمع السعيد . . وأن العرب قد احترموا ما التزمت به ذممهم من عهود . . وعقود . . ومواثيق .. وهكذا نقل الإسلام العرب من حال إلى حال مادياً . . وعقلياً . . وروحياً . . حتى اجتمعت قواهم على مركز واحد وتشكلت فى دولة ذات نظام وآداب سمت بهم إلى أعلى الآفاق .. رغم أنف تلك الدعايات المضادة المضللة المغرضة التى كان ينفث سمومها أعداء دعوة الحق .. وإذا رجعنا إلى تلك الآداب التى أحدثت بين العرب ذلك الانقلاب فإنا نرى عبادة بن الصامت ذلك الصحابى الجليل يروى لنا منها فيقول :

« بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره . . وعلى أثرة علينا . . وعلى أن لاننازع الأمر أهله . . وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف فى الله لومة لائم » أخرجه البخارى .. ومسلم .. والموطأ .. والنسائى .

تخطيط عريض للمجتمع السعيد . . أو أمور أربعة . . فى هذه المبايعة . . دارت عليها رحى ذلك الانتقال العجيب الذى لم يشهد له التاريخ مثالا . . وتدور عليها عجلة التقدم والرقى إلى أن تقوم الساعة .

الأمر الأول : السمع والطاعة . . السمع والطاعة خط عريض فى تخطيط المجتمع السعيد فهل كان يمكن أن ينتقل العرب ذلك الانتقال لولا السمع والطاعة ؟ . . . كان العرب يسمعون ما يأمرهم به صلى الله عليه وسلم . . يسمعونه فيصدقونه ويجزمون به . . ثم هم بعد ذلك لايسمحون لأنفسهم أن يخالفوا مايؤمرون به سواء كان ذلك فى العسر - أى فى الشدة والضيق - أو فى اليسر . . وذلك من باب أولى وإنما ذكر من باب ذكر الشيء بذكر مقابله . . والمنشط - أى الأمر الذى ينشط له - والمكره - أى الأمر الذى تكرهه النفوس . . هذا هو الأمر الأول . . أو الخط الأول « السمع والطاعة » والقرآن الكريم يخبرنا أن من يسمع ويطيع يستره الله ويغفر له إذ يقول : « وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ذلك أنه لا يمكن لدولاب عمل أن يسير من غير السمع والطاعة .

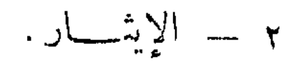
الأمر الثانى من هذه المبايعة . . أو الخط الثانى فى هذا التخطيط « الإيثار » وعبر عنه بقوله : « وعلى أثرة علينا » والإيثار أن تقدم أخاك على نفسك كما يقول تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . . » والإيثار : خلق رضى نبيل يدل على كمال الشخص وقوة إيمانه . .

الأمر الثالث فى هذه المبايعة . . أو هذه المعاهدة . . أو هذا العقد . . أو هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد هذا الأمر الثالث عبر عنه بقوله : « وعلى أن لا ننازع الأمر أهله » فمنازعة ولاة الأمور فى ولايتهم والتعرض لهم فى جميع أعمالهم سبب لفتح باب الفتن « وطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر » والمنازعة قد تكون بطريق مباشر أو غير مباشر إذا شجع الإنسان من ينازع . . وإذا كانت المنازعة سبباً لفتح باب الفتن فإن عدم المنازعة صفة الخلص من الناس الذين يعملون على أن تسير سفينة الحياة فى أمن وهدوء بعيدة عن العقبات والعراقيل . . وليس معنى هذا أن نكون مع ولاة الأمور سلبيين . . كلا . . ليس هذا هو المراد مطلقاً وإنما المراد أن يعنى كل بدائرة عمله واختصاصه وأن يصرف كل عنايته فى عمله المحدود له .

الأمر الرابع والأخير فى هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد عبر عنه بقوله : « وعلى أن نقول بالحق أينما كنا . . فالمسلم الكامل الإيمان لا يتكلم إلا صدقا ولا ينطق إلا حقاً ولو على نفسه فهو لا يتفوه بغير الحق أينما كان .. سواء كان فى المخاوف والضيق .. أو الأمن والسعة .. ومهما ترتب على القول الحق من التشديد والتضييق فقوة الإيمان تجعل الإنسان لا يبالى بنقد منتقد .. ولا يراعى فى كلامه إلا الله وحده .. فهو وحده المطلع على الضمائر والسرائر .. وهو وحده المجازى المؤاخذ .. ولذا قال : « لا نخاف فى الله لومة لائم » أى لا نخشى انتقاد أحد مادمت فى جانب الحق .. ومهما كان هناك من اللوم فلا نبالى بهم ولا نعول عليهم . . ويرحم الله عمر بن الخطاب فقد كان يقول : « يا حق . . ما تركت لى حبيباً » . . .

هذا هو التخطيط العريض للمجتمع السعيد :


١ — السمع والطاعة .


٢ — الإيثـــار .

٣ — تجنب المنازعة .



٤ — التزام قول الصدق مهما كان الأمر .

بهذه الأمور الأربعة نقل رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم العرب من حال إلى حال فى فترة تقل عن ربع قرن من الزمان .. وبهذه الأمور الأربعة يسير دولاب أى عمل إلى الرقى والتقدم والنجاح .

ونحن إذ نذكر فى هذه الأيام المباركة ميلاد المصطفى صلوات الله عليه راسم هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد . . إذ نذكر العرب والمسلمين اليوم فى كل مكان . . إذ نذكرهم بهذه الآداب التى قامت عليها دولة الإسلام فإنما نشكر الله الذى أقدر العرب على وأد الخـلافات التى ذقنا منها الويلات . . ونطمع فى الوقت نفسه بمزيد من التماسك . . والتضامن . . والتضافر .. فلم تؤت أمة .. ولم يقوض عرش .. ولم يهتز كرسى .. أو تتزلزل مصلحة إلا من طغيان المصالح الشخصيـة . . والأطماع الذاتية . . وإلا من المنازعة . . والرياء . . والانحراف عن الحق . .

إن سنة الله فى خلقه أن لا يتم انقلاب أساسى فى أخلاق أمة أو طائفة إلا على يد رئيس تجرد من المصالح الشخصية والأطماع الذاتية وسار بقومه على هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد .. ولا ريب أن النجاح الذى لقيه ويلقاه العرب الآن إنما يدل على إخلاص القائمين عليه . . والإخــلاص عنصر أساسى ، بل هو العنصر الوحيد فى بلوغ الهدف والغاية « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » .

وهدفنا النهائى إنما يتركز فى إعادة مجد العرب . . وعزهم . . وجمع شملهم . . ولقد خطونا فى سبيل ذلك خطوات طيبة مباركة ، وستتلوها إن شاء الله خطوات وخطوات ما دمنا لمن يبث بيننا الفرقة بالمرصاد . . وهذا ما نفتح الآن عليه أعيننا جيدا باتباع أدب نبى البر ورسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

وإننى إذ أؤذن بهذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد من على منبر الأزهر فى مجلته ، فإنما أبرئ ذمتى من واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . وإننى إذ أقول هذا ألح على ولاة الأمور بوجوب العناية بالناحية التاريخية والجغرافية للبلاد العربية . . هذه الناحية يجب أن تأخذ العناية كل العناية وبخاصة من الأزهر القائم على أمر الدين واللغة أو المفروض فيه ذلك . . ولعل الأزهر فى عهده القادم الجديد السعيد يعنى بهذه المسألة العناية كلها « الناحية التاريخية والجغرافية للبلاد العربية » .

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله » ؟

**منصور رجب**

# التقــوى

الفخر فى التقوى إذا رمت أن تفخــر لا فى نسب أو رتب

ما رفع القــربى أبا طالب ولم يضع سلمان بعد النسب

عبد الله البيتوشى

من أعلام القرن الثانى عشر الهجرى

# الوحدة العربية

## فى شمال إفريقيا

لقد أضحت الوحدة العربية اليوم حقيقة واقعة تأخذ مجراها الطبيعى فى سبيل التنفيذ ، بعد أن رسخت دعائمها فى العصر الراهن مع توافر مقوماتها التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

والمفهوم أن العالم العربى الذى يتجه اليوم نحو الوحدة والاندماج يتألف من مجموعة كبيرة من البلدان المتجاورة والممتدة فى قارتى إفريقيا وآسيا معاً ، ولا شك أن مما يساعد هذا الاتجاه نحو الوحدة والاندماج على الوصول به إلى غايته المنشودة أن يتوافر بوضوح فى كل بلد من هذه البلدان أو فى كل مجموعة متقاربة منها ، ونحن يهمنا هنا أن نتعرف إلى أى مدى وصل هذا الاتجاه فى بلدان شمال إفريقيا وهى تكون الجناح الغربى للعالم العربى أو بالأحرى الجناح الغربى للوحدة العربية .

والواقع أن الاتجاه نحو الوحدة العربية فى المغرب العربى هو اتجاه قوى واضح يزيد يوماً بعد يوم [١] ، ومن أهم مظاهره ذلك المؤتمر الذى عقد فى طنجة فى المدة من ٢٧ إلى ٣٠ من شهر أبريل سنة ١٩٥٨ وأطلق عليه اسم ( مؤتمر وحدة المغرب العربى ) وضم مندوبين عن حزب الاستقلال المغربى وجبهة التحرير الوطنى الجزائرية ، والحزب الحر الدستورى التونسى .

ومن أهم قرارات هذا المؤتمر القرار الذى أصدره حول توحيد المغرب العربى ، والذى جاء فيه أن المؤتمر وهو يشعر أنه يعبر عن إرادة إجماع شعوب المغرب العربى فى توحيد مصيرها فى دائرة التضامن المتين لصالحها ، ومقتنع فى الوقت نفسه بأن الوقت قد حان لتجسيم

---

(١) كان من أهم المقترحات المغربية فى مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة الذى انعقد فى « أكرا » فى شهر أبريل سنة ١٩٥٨ تحقيق وحدة شمال إفريقيا بعد استتباب السلم فى الجزائر ، كما تضمن برنامج الحكومة المغربية الجديدة فى ميدان السياسة الخارجية بذل المساعى اللازمة حتى تتحرر الجزائر وتتحقق وحدة شمال إفريقيا .

هذه الإرادة فى الوحدة عن طريق مؤسسات مشتركة تمكن هذه الشعوب من القيام بدورها بين الأمم ، يقرر أن يعمل على تحقيق هذه الوحدة ويعتبر أن الشكل الفيدرالى أكثر ملاءمة للواقع فى البلاد المشتركة فى هذا المؤتمر .

ولهذا الغرض اقترح المؤتمر أن يشكل فى المرحلة الانتقالية مجلس استشارى المغرب العربى منبثق عن المجالس الوطنية المحلية فى تونس والمغرب وعن المجلس الوطنى للثورة الجزائرية ، ومهمته درس القضايا ذات المصلحة المشتركة وتقديم التوصيات للسلطات التنفيذية المحلية .

وأوصى المؤتمر بضرورة الاتصالات الدورية وكلما اقتضت الظروف ذلك بين المسئولين المحليين للأقطار الثلاثة من أجل التشاور حول قضايا المغرب العربى ولدراسة تنفيذ التوصيات التى يصدرها المجلس الاستشارى المغرب العربى ، كما أوصى حكومات بلاد المغرب العربى بألا ترتبط منفردة مصير شمال إفريقيا فى ميدان العلاقات الخارجية والدفاع إلى أن يتم إقامة المؤسسات الفيدرالية .

وقد قرر المؤتمر كذلك تأسيس كتابة دائمة للسهر على تنفيذ مقرراته ، وتؤلف هذه الكتابة من ستة أعضاء بنسبة مندوبين عن كل حركة ممثلة فى المؤتمر ، وتنقسم الكتابة إلى مكتبين أحدهما بالرباط والثانى بتونس ، وتجتمع الكتابة دوريا فى إحدى العاصمتين بالتناوب ويعقد أول اجتماع خلال شهر مايو سنة ١٩٥٨ .

وعقد بعد ذلك بتونس فى المدة من ١٧ إلى ٢٠ من شهر يونيو سنة ١٩٥٨ مؤتمر هام جمع المسئولين فى الحكومتين التونسية والمغربية ووفدا عن لجنة التحرير الجزائرية ، وتم فيه الاتفاق كخطوة أمامية محتمة فى سبيل تحقيق وحدة المغرب العربى بكامل معناها بين كل من الجانبين التونسى والمغربى على تبادل التعاون والتنسيق فى الميدان الدبلوماسى بين البلدين ، والاستعانة بالاستشارة قصد تحديد الخطط والمواقف فى الهيئات والمؤتمرات الدولية وتوحيد التمثيل الدبلوماسى فى بعض البلاد الأجنبية .

ويمكن أن يعتبر هذا المؤتمر بداية مرحلة جديدة تجعل مقررات مؤتمر طنجة المشار إليه فى حيز التنفيذ كما يعتبر خطوة مباركة كللت بتبادل وثائق المصادقة على معاهدة الأخوة والتضامن المبرمة فى الرباط بتاريخ ٣٠ من شهر مارس سنة ١٩٥٧ .

وصدر فى ٢٠ من شهر يونيو سنة ١٩٥٨ بلاغ ثلاثى بين المغرب وتونس والجزائر أعلن فيه إخلاص المؤتمر المذكور للمبادئ التى وافق عليها مؤتمر طنجة ، وجاء فيه أن الأمانة الدائمة لمؤتمر طنجة ستتكون من ستة أشخاص اثنين من المغرب واثنين من تونس واثنين من الجزائر ، وأن اللجنة الاستشارية للمغرب العربى ستتكون من ثلاثين عضوا ، عشرة عن كل من المغرب وتونس والجزائر .

هذا وقد عقد أخيرا بالرباط عاصمة المملكة المغربية ( مؤتمر موريطانيا والصحراء العربية ) فى المدة من ٣ إلى ٥ من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٨ ، وجاء من بين قراراته أن ممثلى موريطانيا والصحراء فى هذا المؤتمر يؤكدون تأييدهم لما جاء فى مقررات طنجة السالف الذكر بخصوص وحدة المغرب العربى .

ومن مجموع هذه المؤتمرات والقرارات التى أصدرتها يمكن أن نتبين مدى قوة الاتجاه نحو الوحدة والاندماج فى بلاد شمال إفريقيا ( تونس والجزائر والمملكة المغربية ) ومدى اهتمام أبناء هذه البلاد بتأكيد رغبتهم فى الوحدة واتخاذ مختلف الوسائل لتحقيقها وتدعيمها .

ومن المؤكد أن هذا الاتجاه والاهتمام بتأكيده والوصول به إلى غايته ، له الأثر الكبير فى حل المشكلات الكبرى القائمة فى هذا الجزء الهام من الوطن العربى ، وأهم هذه المشكلات تلك الخاصة بالاستعمار الفرنسى فى الجزائر ، خاصة وأن المؤتمرات السالفة الذكر قد أجمعت كلها على أن تحرير الجزائر هو واجب مفروض على كل فرد ليس فى الجزائر فحسب وإنما فى تونس والمغرب كذلك . وأن توحيد المغرب العربى إنما يعنى أولا استقلال الجزائر وتحريرها واتحادها مع شقيقتيها تونس ومراكش ، وهو الاتحاد الذى تمليه طبيعة الصلات العربية المعنوية والمادية التى تربط منطقة المغرب العربى بعضها ببعض ، بدل ذلك الاتحاد المزعوم بين الجزائر وهى الدولة العربية فى شمال إفريقيا بفرنسا وهى الدولة الغربية الأجنبية فى أوربا .

على أن الوحدة فى شمال إفريقيا لا تقتصر على هذه البلاد الثلاثة تونس والجزائر والمغرب فالوحدة بين هذه البلاد هى الخطوة الأولى فى هذا السبيل ؛ إذ من المعروف ان بشمال إفريقيا كذلك دولتين هامتين إلى جوار هذه البلاد الثلاثة ، وهما المملكة الليبية المتحدة والجمهورية العربية المتحدة . وإذا ما تبلورت هذه الخطوة الأولى واتضحت معالمها من الناحيتين السياسية والاقتصادية كان طبيعيا أن تؤدى الى إتمام الوحدة العربية الشاملة مع باقى البلاد العربية بما فيها تلك الكائنة بشمال إفريقيا ، وسوف يتحقق ذلك فى القريب إن شاء الله ؟

أحمد طه السنوسى

# التوكل والتواكل

صفتان من الصفات الخلقية : أولاهما محمودة ، وثانيتهما مذمومة . ومعنى كل واحدة منهما محدد متميز . وقد اشتبه أمرهما عند الجاهلين واختلط عند المعاندين ، وأولاهما يقرها الإسلام ويرضى عنها وتدور حولها تعاليمه وتصرفات المنتمين إليه على بصيرة ، وثانيتهما لا يقرها الإسلام ولا ترضى عنها تعاليمه ولم يسلكها المؤمنون ولا يشهد لها تصرف من تصرفاتهم ؛ لأنها رمز الكسل والخمول والإهمال والفوضى ، ومع هذا فقد ألصقها أعداء الإسلام بتعاليمه ، وهو منها براء كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام ، ومنشأ هذا الزعم عندهم - فيما يبدو - ربما كانت أعمال بعض الجاهلين المنتمين إلى الدين الإسلامي الذين لم يشربوا فى قلوبهم تعاليمه ، ولا تلقوها عن مرشد بصير محيط بالمبادئ السامية التى دعا إليها الإسلام ، وهى عمارة الأرض التى استخلف الله فيها الإنسان ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا . وليس الذنب واقعا على أعداء الإسلام أكثر مما يقع على المسلمين أنفسهم ، فهم قد قصروا فيما يجب عليهم من إجلاء تعاليم الإسلام وتوضيحها مشرقة تجذب إليها القلوب وتسترعى إليها الأنظار .



وإنا إذ نعود إلى بيان حقيقة التوكل والتواكل فى الإسلام نستوحى معنى كل منهما من كتاب الله الكريم ، ومن سنة نبيه الصحيحة ، ومن سلوك صاحب الرسالة وسلوك أتباعه الذين أشرقت قلوبهم بنور الإسلام ، وصفت أرواحهم بتعاليمه فالتوكل على الله صفة محمودة وطريقة مطلوبة أمر بها الدين وسلكها الأنبياء والمرسلون ، بعد أن علموا أن الله قد جعل لكل شىء سببا يتبعه القاصدون للخير المبتغون الفضل من ربهم ، فهم قد أعملوا عقولهم ونظروا فى الكتاب المقروء وهو القرآن الكريم ، وفى الكتاب غير المقروء باللسان بل تقرأه العقول والأفهام وهو الكون كله علويه وسفليه جباله وبحاره ووهاده وكل ما خلق من شىء فى الأرض أو فى السماء . ولم يجعلوا على قلوبهم أكنة عن فهمهما ولا أغلفة عن تدبرهما ، بل تمتعوا فيهما ولم يكونوا من الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، بل عكفوا على دراستها ودأبوا على تفهمها وأحاطوا علما بمثل قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » ،

فالرزق من الأرض والحصول على خيراتها لا يأتى إلا لمن أجهد نفسه وقام بكل ما يتطلبه النبات من رعاية وعناية مع خبرة تامة وحصافة وآتى حقه كاملا غير منقوص .

وإذا ما نظرنا بعد القرآن الكريم وآياته الواضحة البينة . وما أفصحت عنه من بيان الوسائل والطرق المؤدية لكل ثمرة من الثمرات التى يحتاج إليها الإنسان . إذا ما تركنا كل هذا وأجلنا الفكر فى سنة خير المرسلين ، رأيناه يقول ( لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ) فالحديث الشريف يوحى بأن الأسباب لابد من سلوكها للوصول إلى الغايات التى عليها تتوقف الحياة الصحيحة . فهو يهدينا إلى الوسيلة التى يسلكها الطير ليحصل على قوته وقوت عياله . فالطير تغدو جياعا ساعية ناصبة عاملة على أن تحصل ما يحفظ حياتها وحياة أولادها ، والإنسان مكلف بالسعى والكد والنصب ليوفر وسائل العيش الرغيد . وتقوى سواعده على أن يساهم فى بناء صرح العمران . ويكون عضواً عاملا فى مجتمعه . لا كلا عليه أينما توجه لايأت بخير ، فمثل هذا شر على مجتمعه ، وشر على دينه ووصمة عار فى جبين وطنه ، فهو الذى يجعل أعداء الإسلام يخوضون فيه ويلصقون به الكسل والخمول والتقاعد ، فعباد الرحمن المتوكلون عليه حق توكله هم الذين يمشون على الأرض هوناً ويسعون إلى تحقيق رسالة المؤمنين ، يجلبون لأنفسهم وقومهم خيرا ويدفعون عنهم شراً وضراً ، ويعلمون أن مشيئة الله قد سبقت ، وإرادته قضت بربط الأسباب بمسبباتها والوسائل بغاياتها ربطا لا يتحول ولا يتغير . قال الله تعالى : « ولن تجد لسنة الله تحويلا » فهو يأمرهم عقب انتهاء الصلاة بالسعى والكد والعمل إذ يقول تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » وهو الذى ألهم أضعف مخلوقاته السعى فى طلب القوت فألهم النحلة أن تتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ثم تأكل من كل الثمرات فتخرج من بطونها شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وما أروع التوكل إذا كان بعد أخذ العدة وإعداد الوسائل . فهاهو القرآن الكريم يقص علينا مثلين من أروع الأمثال فى الثقة بالله والتوكل عليه . فهؤلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابتهم جراح فى غزوة أحد ، ثم دعاهم الرسول لغزوة أخرى فاستجابوا لله والرسول واثقين من نصر الله ومعونته معتمدين على تأييده وقوته ، ولم يأبهوا بتعويق المعوقين ولا بتثبيط المثبطين ، ولم يوهن من عزيمتهم قول المخذلين إن خصومكم قد جمعوا لكم فاخشوهم ، بل زادهم ذلك يقينا وإيمانا وشجاعة وإقداما وقالوا « حسبنا الله ونعم الوكيل » فكان عاقبتهم

الفوز والنصر والغلبة والغنم ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . وقد قص القرآن الكريم ذلك فى قوله « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » وفى غزوة الأحزاب التى جمعت قريش لها عدتها وجيشها وجيش حلفائها من أحزاب المشركين ليقضوا على الإسلام والمسلمين فما وهنوا وما استكانوا ، بل قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، ولقد صدقهم الله وعده ، فأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وها هو القرآن الكريم يقص علينا ذلك إذ يقول : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليما» فهذا توكل بصير ناشئ عن عقيدة حقة ويقين صادق ، وهو الذى يأمر به الله تعالى فى قوله : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » .

وقد رسم لنا الرسول الكريم طريق التوكل على الله فيما رواه عنه ابن عباس رضى الله عنهما قال « كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال : ياغلام ، إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » فهذه حقيقة التوكل التى يفرضها الإيمان على أتباعه . وهى أن يتخذ المسلم من سعيه وعمله وتفكيره وتدبيره وسيلة إلى تحقيق مطالبه ، وأن يأتى البيوت من أبوابها ولا يكون أحمق جاهلا يأتى البيوت من ظهورها ، بل يتلمس الغايات من أسبابها مع تيقن أنه لا رازق إلا الله ، ولا مطعم إلا الله ، ولا محى ولا مميت إلا الله . وأنه قادر على كل شىء ، وأن علمه محيط بكل شىء . ومن أجل العمل والسعى فضل الرسول عليه السلام المؤمن القوى على غيره إذ يقول « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير : احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز » .

وفى سيرة الرسول الكريم المنهج الواضح للسلوك القويم الذى يحقق المصلحة العامة ، فها هو الرسول الكريم يبدأ دعوته سراً مستخفياً عن أعين المعاندين لأن هذه الطريقة هى

الوسيلة التى كان يستطيعها فى ذلك الوقت وتلك الحقبة من أطوار رسالته . ثم جهر بعد ذلك بدعوته حيث تهيأت له الأسباب واستقامت له الأمور وسنحت له الفرصة وفى كلا الأمرين كان معتمداً على ربه ، مفوضا إليه أمره مخلصا إليه وجهه « ألا إلى الله تصير الأمور » .
ثم تطورت دعوته واشتد كيد المعاندين له حتى ضاقت عليه وعلى أصحابه الأرض بما رحبت وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه . فأعدوا العدة وسارعوا إلى الهجرة من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم وانتصاراً لعقيدتهم ، ولم يحملهم توكلهم على الله على البقاء فى مكة أذلاء مضطهدين ، بل اتبعوا هدى رب العالمين إذ يقول : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ . » فالمؤمن الحق صاحب عقيدة الصدق لا يسلم نفسه إلى الهوان ويترك أسباب العزة والسلطان . فإن تركه للأسباب إعراض عن تعاليم الدين وتباعد عن سنة خير المرسلين . فالرسول عليه السلام جرت عليه سنة الله فى خلقه وأصابه ما أصاب إخوانه الأنبياء من قبل من أذى المعارضين وسفهاء المشركين . فشج وجهه فى بعض الغزوات ودخلت حلقتا المغفر فى وجنتيه وسال دمه الزكى متدفقا لم يمنعه إلا وضع الرماد عليه .

وها هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتخذ للوقاية من الأمراض الوسيلة الناجعة التى يوحى بها الإسلام . وإليك ماصنعه للوقاية من الأمراض . فإن الصحابة رضى الله عنهم لما قصدوا الشام وانتهوا فى طريقهم إلى مكان يعرف بالجابية بلغهم الخبر أن بها طاعونا عظيما ووباء ذريعا فافترق الناس فرقتين : فقال بعضهم لا ندخل على الوباء والطاعون فنلقى بأيدينا إلى التهلكة . وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل على الله ولا نهرب من قدره ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله فيهم « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه فقال : نرجع ولا ندخل على الوباء والطاعون . فقال المخالفون لرأيه : أنفر من قدر الله تعالى ؟ قال : عمر الملهم صاحب الفراسة الصادقة والنظر الثاقب والرأى السديد : نعم نفر من قدر الله تعالى إلى قدر الله . ثم ضرب لهم مثلا فقال : « أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فهبط بها واديا له شعبتان وناحيتان إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة أليس إن رعى المخصبة رعاها بقدر الله ، وإن رعى المجدبة رعاها بقدر الله ؟ فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه إذ كان غائبا . فلما أصبح جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال : عندى فيه يا أمير المؤمنين شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، فقال عمر : الله أكبر . فقال عبد الرحمن : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( إذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » ففرح عمر رضى الله عنه بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه سنة خير المرسلين ، ورجع من الجابية بالناس .

هـــذا هو التوكل الذى أمر به الدين . وفهمه الصحابة الراشدون فأفلحوا فى جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم . وها هو خاتم المرسلين قبل بعثته يرحل للتجارة ويسافر إلى الشام متاجراً فى مال خديجة رضى الله عنها ، وقد جاءه يوما رجل من الأنصار تبدو عليه الحاجة ويتعرض للسؤال فقال له : أما فى بيتك شىء ؟ فأجابه الأنصارى : إن فى بيتى فراشا ننام عليه وإناء نشرب به فيأمره بإحضارهما فيأخذهما منه ويبيعهما بدرهمين ثم يقول له : اشتر بأحدهما طعاما لأهلك وبالآخر قدوما واذهب به فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما . ففعل ، فجاء بعد ذلك وقد اكتسب من عمله عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها فراشا وببعضها طعاماً . فلما علم الرسول بذلك قال له « هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة » . فالرسول عليه السلام يحض على العمل بكل وسيلة ، ويحفز الناس عليه بكل طريق ، خوفاً من ذل السؤال الذى يأتى يوم القيامة وصمة عار رمزا للكسل والخمول . فعلى العاقل أن يسلك فى حياته السبيل القويم ؟

عبد الله مصطفى المراغى

---

# « حوالات السودان »

المرجو من مشتركى مجلة الأزهر فى السودان ، ومن كل من يرسل حوالات مالية إلى هذه المجلة ، أن تكون على « مكتب بريد الأزهر » تيسيرا للعمل . وإلا اضطرت إدارة المجلة إلى إعادتها لمرسلها .

# لغويات

## أخلص فى طلب العلم ، لقيت جزاء عليه أم لا

هذا الأسلوب فاش بين الناس إذا أرادوا مثل هذا التعميم . والمتأمل فى الأسلوب يرى أن ( أم ) لامكان لها هنا . فهى إنما تقع بعد همزة التسوية أو همزة يطلب بها وبأم التعيين ، كما هو مقرر فى كتب النحو . وقد تقع للإضراب بمعنى بل مع الهمزة ودونها .

والصواب أن يؤتى بالحرف ( أو ) بدل ( أم ) فيقال : لقيت جزاء عليه أو لا . ومما جاء على هذا السنن قول الشاعر :

كن للخليل نصيرا جار أو عدلا ولا تشح عليه جاد أو بخلا

وهذه الجملة « لقيت جزاء عليه ... » جملة حالية . ويذكرها النحويون فى الجمل الحالية التى لايجوز أن يكون رابطها الواو . ويمثلون لذلك بقوله : لأضربنه ذهب أو مكث . لايصح أن يقال : وذهب أو مكث . ويقول الصبان فى تعليل هذا الحكم : « لأنه فى تقدير فعل الشرط ، إذ المعنى : إن ذهب وإن مكث ، وفعل الشرط لا يقرن بالواو ، فكذا المقدر به » . واستفادة الشرط من الأسلوب والسياق ، كما ترى . وينسب ابن هشام فهم الشرط إلى ( أو ) فهو يقول فى المغنى فى تعداد معانى أو : « الحادى عشر : الشرطية ، نحو لأضربنه عاش أو مات ، أى إن عاش بعد الضرب وإن مات . ومثله : لآتينك ، أعطيتنى أو حرمتنى . قاله ابن الشجرى » .

وقد نبا البحترى عن هذا المنهج فى قوله ـ على رواية طيف الخيال ـ :

أهـلا بذاكم الخيال المقبل فعل الذى نهواه أم لم نفعل

وقد يقال فى تسويغ هذا : إنه بناه على تقدير سواء . أى سواء أفعل الذى نهواه أم لم نفعل . ولكن هذا التخريج يستلزم حذف سواء أو الهمزة ، ولم يعهد مثل هذا ولم يأت فى كلام عربى يحتج به .

على أن مبعث هذا الخطأ تقارب أم وأو . حتى إن ابن كيسان يزعم أن أم أصلها أو .

أبدلت الواو فيها ميما ، ويرد عليه النحويون هذا الزعم ، ومن أراد هـذا فليرجع إلى همع الهوامع للسيوطي . ومن آثار هـذا التقارب أن ( أو ) تأتى فى مكان ( أم ) فى قولهم : ما أدرى أسلم أو ودع ، فالذى يأتى بعـد ( ما أدرى ) هو أم المعادلة للهمزة . ولكن جاء عنهم هذا الكلام والنحويون يجعلون الحرف ( أو ) فيه للتقريب . ويقول الدسوقى فى كتابته على المغنى فى تعليل هذه التسمية فى هذا المثال : « أى لأنها قربت الوداع من السلام . وهذا المثال يقال لمن قال لمحبه : السلام عليكم ، ثم ودعه وانصرف ، وهو متعلق به . فالذى يدل على قرب الوداع من السلام أو . » . ومثل هذا المثال الذى جاءت فيه أو بدل أم قولهم : ما أدرى أأذن أو أقام إذا أسرع بالأذان والإقامة . ويقول ابن جنى فى الخصائص ٢ / ١٦٩ فى تعليل هذا : « فهو أنه لم يعتد أذانه أذانا ولا إقامته إقامة ، لأنه لم يوف ذلك حقه . فلما ونى فيه لم يثبت شيئا منه » . وكأنه يريد أن المعادلة بأم تقتضى أمرين تامين عودل بينهما ، ولما كان الأذان والإقامة هنا للإسراع فيهما ناقصين لم يكن المقام لأم ، وأتى بأو . وهـذا يرجع إلى التقريب الذى ذكره ابن هشام ، فإن الإسراع بهما يقضى بتقاربهما . فالأمر فيه كالأمر فى قولهم : ما أدرى أسلم أو ودع .

## هدف ، أهدف ، استهدف

يكثر فى هذه الأيام استعمال هدف واستهدف . يقال : إن أولى الأمر يهدفون إلى إصلاح المجتمع ورفع الحيف والجور . وإنهم يستهدفون خير الناس .

والأصـل فى هذا المعنى الهدف . وهو ما ينصب غرضا يرميه الرامى بالقوس ونحوها ليصيبه . وللنضر بن شميل تفصيل حسن فى هـــذا ، فهو يقول ـ على ما جاء فى اللسان ـ : « الهدف : ما رفع وبنى من الأرض للنضال . والقرطاس : ما وضع فى الهـدف ليرمى . والغرض : ما ينصب شبه غربال أو حلقة » .

وقد قال العرب من الهدف : أهـدف الشىء واستهدف أى انتصب كالهدف . يقال : أهدف لك الصيد فارمه ، واستهدف لك البلد إذا شخص لك وظهر حين تدنو منه .

ويرى القارىء أن أهدف واستهدف لازمان لا متعديان ، وأنهما ينسبان للشىء ليرى لا للرائى ، فلا يقال أهدفت للصيد ولا استهدفت له . وإذا أريد التوسع فيما جاء عن العرب تقول : استهدف لى صلاح أخى إذا ظهر لك صلاحه ، واستهدف لى الخصب فى هذا العام ،

وهكذا أهدف . فليس من سبيل إلى أن يقال : استهدفت صلاح أخى . فهذا يجافى ما جاء عن العرب من قبل تعديته . ولم يرد هذا عن العرب . ومن قبل الإسناد . فالاستهداف فى هذا المثال لصلاح الأخ لا للمتكلم . فحرى بالأدباء ترك استهدف فيما يستعملونه فيه .

على أن فى أهدف ذروا من القول وبقية من حديث . فقد ورد فى بعض ما أثر من الكلام متعديا . وذلك فى قول حمدان بن أبان اللاحقى من المحدثين :

أليس من الكبائر أن وغدا لآل معذل يهجو سدوسا
هجا عرضاً لهم غضاً جديدا وأهدف عرض والده اللبيسا

ـ اللبيس : الثوب يكثر لبسه فيبلى . أراد عرض والده يتناوله الناس بالهجاء والقدح حتى صار كالثوب اللبيس ـ فقوله : أهدف عرض والده أى جعله هدفا وغرضا للرمى بالمسبة والعاب . فقد جاء به متعديا على خلاف ما جاء عن العرب . ويقول المرصفى فى شرح الكامل ٦ / ٢١٨ عند إيراد المبرد هذا الشعر : « ( وأهدف عرض والده ) يريد : جعله هدفا يرمى . ولم أجد ذلك الفعل فى اللغة » . وفى سيرة دحلان المطبوعة على هامش السيرة الحلبية عند الكلام على عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل فى الحديث عن مقابلته / وفد كندة . « قال قائل : أنهدف نحورنا للعرب دونك » . وأياما كان الأمر فالعصريون لا يستعملون أهدف ، وإنما ذكرت ما يتعلق به توفية المقام .

فأما هدف فلا ترد فى اللغة للمعنى الذى تقال فيه اليوم . ولا تتصل بالهدف . وإنما يقال : هدف إلى الشىء : دخل فيه وهدف للخمسين من سنيه أى قاربها . ويقال أيضا : هدف إذا أسرع . ويصح تخريج المعنى العصرى بضرب من المجاز . فهدف تستعمل اليوم فى معنى قصد وتوخى ، والقصد إلى الشىء يكون سبباً فى الدخول فيه ، وفى مقاربته ، وقد يكون سبباً فى الإسراع إليه ، فيكون هذا من إطلاق المسبب على السبب . وهذا كثير جار فى اللغة. وقد نص اللغويون على أن مضارع هدف فى معنى أسرع مكسور العين أى من باب ضرب . وأهمل صاحب القاموس مضارع هدف فى معنى دخل وقارب وإذا عملنا باصطلاحه يكون هذا الفعل من باب نصر . فقد وضع أنه إذا أتى بفعل ولم يأت بمضارعه فهو من هذا الباب وضم الدال فى يهدف هو ما نسمعه فى الإذاعة فى هذه الأيام .

# القناقن والقناء

كثر فى هذا العصر استنباط المياه الأرضية ( الجوفية ) ، واستنباط النفط ( البترول ) . وقد اخترعت آلات دقيقة لتعرف النفط أو الماء فى أعماق الأرض البعيدة ، يقوم بها مهندسون وخبراء تخصصوا بها . وهم يأتون فى هذا الباب بما يلتحق بالعجائب . إذ يفجرون الماء من الصخر الصلد ، والنفط فى البلد المحل والحجر الأصم .

وقد كان العرب من همهم تعرف الماء تحت الأرض فى حفر الآبار ، ويبدو أنه كان فيهم خبراء بصراء بهذا الأمر ، وقد جاء عنهم دعاء البصير بهذا بالقناقن والقناء ، حتى ليصح القول بأنه كان فيهم مهندسون لهذا الغرض.

فقد جاء فى اللغة أن القناقن : البصير بالماء تحت الأرض ، وفى عبارة بعض اللغويين أنه المهندس الذى يعرف الماء تحت الأرض ، ويقول بعضهم : إنه هو الذى يتسمع فيعرف مقدار الماء فى البئر قريبا أو بعيدا .

ومن علم العرب أن الهدهد يبصر الماء تحت الأرض . وجاء فى سورة النمل فى حديث سليمان عليه الصلاة والسلام أنه تفقد الطير فلم ير الهدهد فسأل عنه حتى جاءه الهدهد بخبر الملكة ذات العرش العظيم .

وقد سئل ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : لم تفقد سليمان الهدهد بين الطير ؟ فقال : لأنه كان قناقنا يعرف مواضع الماء تحت الأرض . وفى القاموس : « الهدهد قناء الأرض ومقنيها أى عالم بمواضع الماء منها » .

وإنى أرى أنه يحسن تسمية مهندس استنباط الماء أو النفط بالآلات الحديثة بالقناقن أو القناء .

# نيل المعدن

يذكر الفقهاء فى مبحث إحياء الموات نيل المعدن لما يخرج منه . والنيل فى الأصل العطاء ، فكأن ما يخرج من المعدن عطية يجود بها على معالجيه ، ويذكرون من المعدن النفط والكبريت . ويعبر العصريون عن هذا المعنى بالإيراد ، فيقال : إيراد بئر النفط كذا ، والأولى الرجوع إلى النيل ، فيقال : نيل البئر كذا إحياء لهذه الكلمة ، وهكذا يقال فيما جرى هذا المجرى .

**محمد على النجار**

# دعائم المنهج الخلقى الاسلامى

## — ٢ —

الدعامة الخامسة : طهارة القلوب وصفاء النفوس ، فقد عنى الإسلام بتطهير القلوب من كوامن الحقد والضغينة ، وسوء القصد وخبث الطوية ، وتصفية النفوس من شوائب الرياء وأوضار النفاق .

فأمر المسلمين بالمسالمة والتوادد ، والتآخى والتآلف ، وحثهم على التعاطف والتراحم ، كما فى قول الله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » ، « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ، « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » وقوله صلى الله عليه وسلم ( لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ) ، ( المؤمن إلف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ) ، ( ومثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ) وبذلك جمع الإسلام بين المسلمين برباط روحى وثيق ، يجمع قلوبهم ويوحد صفوفهم ، ويمهد لهم سبيل التعاون والتناصر فى دينهم ودنياهم .

ورغبهم فى العفو والصفح ، وكظم الغيظ والتسامح ، والتجاوز عما يقع بينهم من الهفوات والعثرات ، والأخذ بالأيسر من الأمور فى المعاملة والمعاشرة ، إبقاء على ما بينهم من الروابط والصلات ، كما فى قوله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين : الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » وقوله صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا » ، « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » وقوله صلى الله عليه وسلم لأشج حين وفد عليه « إن فيك يا أشج خلتين يحبهما الله ورسوله ، قال ماهما بأبى أنت وأمى يا رسول الله ؟ قال : الحلم والأناة » .

فكظم الغيظ عندما تغلى مراجل الغضب فى القلب ، وعدم إنفاذه مع القـــدرة على الانتقام والتشفى ، ودفع السيئة بالتى هى أحسن . كدفع الغضب بالصبر . والجهل بالحلم ، والإساءة بالعفو . والترفق والتأنى فى تدبير الأمور وتصريفها ، هى المواقف التى تتجلى فيها الإرادة القوية والصبر الجميل . والسيطرة على أهواء النفس ونزغات الشيطان ، وهى المظاهر الخلقية التى تدل على صفاء النفوس وطهارة القلوب ، والتى لا يوفق إليها إلا الذين صبروا ، ولا ينال فضلها إلا ذو حظ عظيم .

فالواجب على المسلم أن يكون سمح الطبع كريم النفس ، لين العريكة نبيل العاطفة ، مالكا لقياد نفسه وهواه ، يقبل معاذير أهل الهفوات والعثرات ، ويعفو عمن نبا به اللسان أو زلت به القدم ، ويؤثر ما عند الله من حسن الجزاء وعظيم الأجر ، على الانتقام والتشفى من غيظه ، فما عند الله خير وأبقى ، وأمرنا بإصلاح البواطن والسرائر ، والإخلاص لله فى القول والعمل ، وحذرنا من انطواء الصدور على الحقد والضغينة وسوء الطوية ، كما فى قوله تعالى : « واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه » ، « وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون » ، « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، وذم النفاق وأهله ، وأنذرهم بأن الله يعلم سرهم ونجواهم ، ويحصى عليهم أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالى « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب » « أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم . بلى ورسلنا لديهم يكتبون » وهددهم بأشد أنواع الوعيد والتهديد ، وجعلهم فى الدرك الأسفل من منازل الجحيم ، كما قال جل جلاله « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما » ، « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » وكشف لنا عن أخلاقهم وخبث طوياتهم ، وتلونهم فى سلوكهم ومعاملاتهم . لنأخذ حذرنا من عدوى أخلاقهم والوقوع فى شرورهم ومفاسدهم ، فبين أن من أخص أخلاقهم وخلالهم ، أنهم يخادعون ويراءون فى أقوالهم وأعمالهم ، ويظهرون من الأقوال والأعمال خلاف مايبطنون . كما قال تعالى « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ، مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » وأنهم يستخفون من الناس فى تدبير خياناتهم ومؤامراتهم فى الخفاء ، ولا يستخفون من الله الذى يعلم سرهم ونجواهم ، ويرى ويسمع حركاتهم وسكناتهم ، كما قال عز شأنه : « يستخفون من الناس

ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا » وأنهم يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، كما قال تعالى « وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون » . وأنهم إذا حدثوا كذبوا فى حديثهم ، وإذا عاهدوا غدروا بعهدهم ، وإذا وعدوا أخلفوا وعدهم ، وإذا خاصموا فجروا فى خصومتهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا . ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب . وإذا عاهد غدر . وإذا وعد أخلف . وإذا خاصم فجر » .

ومن هنا يتضح لنا أن المؤمن الصادق فى إيمانه ، هو الذى لاينافق ولا يتلون فى قوله وعمله . ولا يدبر للناس بليل . ولا يكيد لهم فى الخفاء ، ولا يطعن فى ظهور الغافلين عن خيانته وغدره . ولا يكذب إذا حدث . ولا يغدر إذا عاهد . ولا يخلف إذا وعد ، ولا يفجر إذا خاصم . ولا يخون إذا اؤتمن . لأنه يؤمن بأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنه تعالى يحصى على العباد كل مايقولون ويعملون ، ويحاسبهم بما يبدون وما يخفون ، هذه هى الشخصية التى تتمثل فيها روح الإيمان وأخلاق الإسلام ، وإنما عنى الإسلام بشأن النفاق كل هـــذه العناية ، لأن النفاق هو الداء الدفين الذى تتفشى جراثيمه فى كل مجتمع . والخديعة التى تدخل على الناس فى ألوان مختلفة وبأسماء مزيفة ، فيدخل عليهم تارة باسم الدهاء وسعة الحيلة ، وتارة باسم المهارة والسياسة ، وتارة باسم مجاراة الظروف ومسايرة الأحوال ، وهكذا تتعدد الألوان والأسماء ، ولكن الحقيقة واحدة وهى النفاق .

وهو الذى يقلب الحقائق والأوضاع ، ويوجب اختلال موازين الحكم على الأقوال والأفعال ، ويطمس معالم الفوارق بين المصلحين والمفسدين ، ويصور أهله الناس على غير حقيقتهم . فتراهم يلبسون لباس الأخيار وهم الفجار ، ويظهرون بمظهر الأحرار الأعزة وهم العبيد الأذلة ، ويزعمون أنهم المصلحون وهم المفســدون ، ويدعون أنهم دعاة المبادئ وقادة الإصلاح . وهم فى حقيقة أمرهم لا مبدأ لهم ولا عقيدة ، ولا عهد لهم ولا ذمة ، وإنما هم يسيرون فى ركاب كل سائر ، ويستمعون لكل هامس ، ويستجيبون لكل ناعق ، ويطيرون مع كل عاصفة . وينحازون إلى كل طاغيــة ، إذ ليس لهم رائد من الحق يلتزمون طريقه . ولا هدف من الإصلاح يسلكون سبيله ، وإنما رائدهم مرض القلوب وطاعة الأهواء . وهدفهم تحقيق المآرب الشخصية ولو كان ذلك على حساب المبادئ والأخلاق .

**الدعامة السادسة : عفة اللسان والمنطق ، وهى كف اللسان عن فضول الكلام ولغوه ،**

والخوض فى أعراض الناس وأسرارهم ، وصونه عن كل ما يكدر صفو الروابط الإسلامية والصلات الإنسانية ، فقد خصها الإسلام بنصيب كبير من العناية والرعاية :

فأمر بالصدق وحث على التخلق به ، ونهى عن الكذب وحذر من سوء عاقبته ، كما فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وقوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

وحرم الغيبة والنميمة ، والسباب والفحش ، كما فى قوله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم » وقوله تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم » وقوله صلى الله عليه وسلم « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » ، « إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، من تركه الناس اتقاء شره ، وفى رواية اتقاء فحشه » .

والهماز هو العياب المغتاب ، والمشاء هو النمام الذى يسعى بين الناس بالكلام بقصد الإفساد والوقيعة .

ونهانا عن السخرية والتنابز بالألقاب ، وتحقير الناس وازدرائهم ، كما فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » وقوله صلى الله عليه وسلم ( المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » ، « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وبين لنا أن استقامة اللسان هى سبيل النجاة والسلامة ، وأن انحرافه طريق الهلكة والندامة ، كما جاء فى حديث عقبة بن عامر ، قال قلت : يارسول الله ما النجاة ، قال : ( أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك ) وكما فى قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل ( ألا أخبرك بملاك الأمر كله ، قال بلى ، قال : كف عليك لسانك ، قال : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال ثكلتك أمك يامعاذ ، وهل يكب الناس فى النار

على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ! ) وقال : على كرم الله وجهه فيما يروى عنه « والله ما أدرى عبدا يتقى تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه ، وإن لسان المؤمن من وراء قلبه ، وإن قلب المنافق من وراء لسانه، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره فى نفسه ، فإن كان خيرا أبداه . وإن كان شرا وراه ، وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه ، لا يدرى ماذا لهوماذا عليه. ولقد قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : ( لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ) .

الدعامة السابعة : الصبر ، وهو من أجل الدعائم منزلة وأعظمها أثراً ، بل هو ملاك الدعائم وقوامها ، ولهذا عنى الإسلام بشأنه عناية كبرى ، وتحدث عنه القرآن فى نيف وسبعين موضعا .

فأمر به وأكبر من شأنه ، كما فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، « وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » ، « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » .

ومدح الصابرين وأجزل لهم العطاء والأجر ، كما قال عز وجل : « ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » ، « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » . « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ، « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ، وهكذا جمع الله للصبر من درجات الفضل والكرامة ما لم يجمعه لغيره ؛ لأن الصبر هو قوام أمر الدين والدنيا ، فهو عدة الإنسان فى الكفاح والنضال ، وحمل أعباء الحياة وتكاليفها ، ومغالبة الشدائد والأحداث ، واجتياز العوائق والعقبات ، والعاصم الذى يعصمه من الاستسلام لليأس والجزع ، والملاذ الذى يلوذ به فى حمل النفس على الرضا بأحكام القضاء وتصاريف القدر ، والظهير الذى يستعين به على القيام بحقوق الله وحقوق العباد ، والمعتصم الذى يعتصم به فى كبح جماح الغرائز والشهوات ، وكظم الغيظ والسيطرة على نوازع الشر والغضب ، وترويض النفس على التخلق بمكارم الأخلاق والترفع عن سفسافها . وهو الوسيلة لاستنزال المدد الغيبي والنصر الإلهى ، والسبيل إلى بلوغ الغايات وتحقيق الآمال . ؟

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

# برامج ومناهج

لم يعد دعاة الشر يقنعون بالكلام فى هذه الأيام . ولم يعد شرهم مقصوراً على محاولة نشر سمومهم بالدعاية لها . فقد انتقلوا الآن من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل ، بعد أن نجحوا فى التسلل إلى مناصب تمكنهم من أن يدسوا برامجهم ومناهجهم على المسئولين من رؤسائهم وينفذوها فى صمت . ودعاة الشر هؤلاء يعملون فى ميادين كثيرة لا يكاد يخلو منهم ميدان . ولكن أخطر ما يكون إفسادهم إذا تسلل إلى ميدان التعليم . لذلك رأيت أن أكشف فى هذا المقال عن بعض أساليبهم فى هذا الباب .

كان الناس يناقشون الاختلاط ، هل هو جائز أو غير جائز . وهل هو مفيد أو ضار . وكانت تثيرهم فوضى الجنس التى يروجها الفوضى فى مطبوعات فرانكلين تحت ستار الدراسات النفسية . فإذا هذا الاختلاط يصبح حقيقة واقعة بطريق ماتو خفى لم يكد يتنبه إليه أحد ، بعد أن طالت المرحلة الابتدائية إلى ست سنوات يتجاور فيها الذكور والإناث . ومن المعروف أن الإناث فى بلادنا يدخلن سن المراهقة فى وقت مبكر لا يتجاوز السنة الحادية عشرة فى كثير من الأحيان . بل لقد أصبحنا أمام بعض المدارس المختلطة فى مرحلة التعليم الإعدادى ، بعد أن تكشفت تجربة الاختلاط فى الجامعة عن مآسى لا يستطيع تجاهلها إلا مكابر أو مدلس . وأصبح هذا النظام ضرباً من ضروب الإلزام لا يستطيع والد أن يفر منه أو يتفاداه ، لأن عليه أن يختار بين أن يبعث بابنه وبابنته إلى هذا الوسط وبين أن يحرمهم من التعليم ويحجبهم فى ظلمات الجهل . بل إنه لا يستطيع اختيار الطريق الثانى ـ على ظلمه وظلامه ـ لأن قوانين الدولة تجبره على أن يعلم أولاده حتى نهاية هذه المرحلة الأولى على الأقل .

وكان الشعوبيون يروجون للهجات السوقية المحلية التى يسمونها العامية بمختلف الأساليب وكان أعداء العروبة والإسلام يتحايلون فى انتزاع الدراسات العربية من حضانة الدين والقرآن ، حتى قال قائلهم : « فالذين يزعمون لنا أننا نتعلم العربية ونعلمها لأنها لغة الدين فحسب ، ثم يرتبون على ذلك ما يرتبون من النتائج العلمية والعملية إنما يخدعون الناس ،

وليس ينبغي أن تقوم حياة الأمم على الخداع ؛ فإن اللغة العربية ليست ملكا لرجال الدين يؤمنون وحدهم بها ، ويقومون وحدهم من دونها ، ويتصرفون وحدهم فيها . لكنها ملك للذين يتكلمونها جميعاً من الأمم والأجيال . وكل فرد من هؤلاء الناس حر في أن يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التي تبيح له هذا التصرف . وإذا فمن السخف أن يظن أن تعليم اللغة العربية وقف على الأزهر الشريف والأزهريين ، وعلى المدارس والمعاهد التي تتصل بينها وبين الأزهر والأزهريين أسباب طوال أو قصار . هذا سخف لأن الأزهر لا يستطيع أن يفرض نفسه على الذين يتكلمون اللغة العربية جميعاً وفيهم المسلم وغير المسلم (١) » والغرض الذي يرمي إليه صاحب هذا الكلام من قطع الصلات التي تربط الدراسات العربية بالدراسات الإسلامية هو أن ينزع عن العربية قداستها ويحرمها من حماية الدين وحضانته ليكشفها أمام أعدائها ويعينهم على الإجهاز عليها بعد أن يفردها من كل نصير أو معين . ولم يستح صاحب هذا الكلام وشيعته أن يتخذوا مجمع اللغة العربية في القاهرة ومكاتب جامعة الدول العربية ومؤتمراتها ميدانا لنشاطهم ، فدعا أحدهم في المؤتمر الأول لمجامع اللغة العربية بدمشق إلى تأليف معاجم محلية لا يثبت فيها إلا ما بقي من لهجات العرب حيا في عامية كل إقليم . ودعا آخر إلى إعادة النظر في تبويب النحو وتدوينه من جديد . وكان ذلك كله كلاما في كلام . فإذا بنا الآن أمام هذه المشاريع جميعاً منفذة في كتب القوصي وشركاه المشهورة بكتب « شرشر » أو « جلا جلا » . وفي كتب النحو الجديد التي يتولى إبراهيم مصطفى توجيهها . ولم يثنهم عن عزمهم ما قرره مؤتمر مجامع اللغة العربية الأول في دمشق من أن مشاريعهم تحتاج إلى مزيد من الدرس والمراجعة والتمحيص ، بل لقد استصدر قسم اللغة العربية في إحدى كليات الآداب منذ ثلاث سنوات قراراً بإنشاء شعبة سماها « شعبة الدراسات العربية الحديثة » ، أخلى الدراسة فيها من النحو والصرف والبلاغة ومن الشعر العربي ونصوص الفصحى ومن الأدب العربي والتاريخ الإسلامي ومن القرآن والحديث ، وجعل مكان ذلك كله « دراسات لغوية حديثة » و « التطور اللغوي العربي في العصر الحديث » و « واللهجات العربية الحديثة » و « الأدب

---

(١) الفقرة ٣٦ من كتاب « مستقبل الثقافة » لطه حسين ص ٢٣٠ من طبعة المعارف سنة ١٩٤٤ .

الشعبي » و « المذاهب الكبرى فى الآداب الأوروبية » و « مدارس القصة » و « تطور الفكر الإسلامى فى العصر الحديث » .

وكان أعداء الإسلام من عمال الاستعباد والتبشير وسماسرة الصهيونية الهدامة يشنعون بجمود علماء الشريعة الإسلامية أو من يسمونهم خطأ ( رجال الدين الإسلامى ) ، ويندون بتخلف الأزهر عن ركب الحياة بزعمهم . فإذا بنا نفاجأ بأحد أعضاء ( لجنة التربية الدينية ) بوزارة التربية والتعليم يقترح إنشاء شعبة للدراسات الإسلامية فى كليات الآداب لتخريج مدرس الدين الإسلامى المرن الذى يستطيع أن يساير الزمن .

هذه بعض أمثلة تصور الأسلوب الجديد الذى يعتمد على ( الغزو من الداخل ) - إن جاز لى أن أستعير تعبير المستر دالاس - الذى لم يعد أصحابه يقنعون بالدعاية وباجتذاب الأنصار والاستكثار منهم عن طريق الإقناع أو الإغراء أو الإرهاب . إنهم يعتمدون فى أسلوبهم الجديد على أفراد عصابتهم الذين نجحوا فى التسلل إلى مراكز القيادة ، فأصبح فى استطاعتهم أن يجعلوا من أوهامهم التى لم ينجحوا فى إقناع الناس بها حقيقة واقعة بقرار أو بجرة قلم كما يقولون . ولأوضح قليلا بعض ما فى كلامى السابق من إجمال .

كتب ( القراءة الجديدة ) المتداولة فى الإقليم المصرى ، التى وضعتها لجنة تعمل بتوجيه عبد العزيز القوصى وسعيد العريان تعتمد على أسلوب جديد لا يمكن أن نصفه بأنه عربى مهما اجتهد أصحابه فى تبريره ، بما يزعمونه من أن كلماته التى تبدو من عامية مصر يمكن أن تجد سنداً من معاجم اللغة يصلها بإحدى لهجات العرب . هذه الكتب لا تتجنب الفصيح الذى أجمع عليه العرب والمسلمون لغرابته أو لثقله ، ولكنها تتعمد إهماله لأنها تريد أن تهمله وأن تجعل استعمال لهجة الأسواق فى الكتب المدرسية أمراً واقعاً مقرراً . وهم يعلمون حق العلم أن هذه الكلمات الملتقطة من أسواق مصر وطرقاتها - مهما جاءوا بأشجار للأنساب تثبت عروبتها - ليست عامة فى بلاد العرب جميعاً . فهى مجهولة فى بعضها ، وهى مستعملة بمعنى آخر فى بعض آخر ، لأن الفصحى التى تجمع العرب بل المسلمين اليوم هى فصحى قريش خاصة التى نزل بها القرآن والتى دون بها الحـ[illegible] الفقه والأدب وكل ما أثمرته الحضارة العربية من علوم وفنون ، وهى أفصح لهجات الـ[illegible] لها دون نزاع ، فرضتها صلاحيتها ونشرتها قبل أن ينزل بها القرآن [illegible] ، فكان [illegible] اختلاف قبائلهم يكتبون شعرهم بها ،

ولا يستعملون لهجات قبائلهم إلا فى ضرب من ضروب الأدب المحلى المسف الذى يقرب مما يسميه بعض الناس اليوم الأدب الشعبى ، وهو الرجز . فهذه الكتب الجديدة التى يراد بها تمرير لغة جديدة للتدوين . وإحقاق باطل فشل أصحابه فى إقناع الناس به رغم ما بذلوا له من دعاية طوال نصف قرن أو يزيد ، تريد فى محى القومية العربية أن ترد العرب إلى ما قبل الجاهلية .

على أن الكلمات السوقية ( الملتقطة من أسواق مصر وطرقاتها ) التى يصر القوصى والعريان وشركاؤهما على استعمالها لها ما يقابلها من الفصيح المستعمل المأنوس . بل إنهم يعدلون فى أكثر الأحيان عن الفصيح السمح الجميل إلى السوقى السمج الثقيل ، فى مثل : ( العسكرى ، حلق عليه ج ٢ ص ٢٩ ) ( حطت اللحم فى الحلة ٢ : ٣٧ ) ( مبسوط ٢ : ٤٠ ) ( شاف ٢ : ٥٠ ) ( زيطة ١ : ٦٠ ) ( استغرب ٢ : ٧٢ ) ( زعلان ٣ : ١٠ ) ( ابن الحلال ٣ : ١١ ) ( بص ٣ : ١٤ ) ( حطها فى القفص ٣ : ٤٣ ) ( ينظرون إلى القمر فيتهيأ لهم أشكال غريبة ٤ : ٦٥ ) ( المخدة ٤ : ٨٩ ) ( زاحنى فى البحر ٤ : ٩١ ) ( يتزحلق ٤ : ٩٢ ) . فمقابل هذه الكلمات من الفصيح مشهور خفيف شائع ، وهو ـ على الترتيب السابق : الشرطى ـ اعترضه أو وقف فى وجهه ( أو فى طريقه ) ـ وضعت اللحم فى القدر ـ مسرور ـ رأى ـ ضوضاء أو ضجيج أو لغط ـ دهش أو عجب ـ غضبان ـ ابن الكرام ـ نظر ـ وضعها فى القفص ـ يتخيلون ( أو يتوهمون ) أشكالا غريبة ـ الوسادة ـ دفعنى إلى البحر ـ ينزلق .

هل يرى القارئ مبرراً لإهمال هذه الكلمات الفصحى التى هى قدر مشترك بين سائر العرب وأصحاب الثقافات العربية من المسلمين ؟ أليست هذه الكتب هى التنفيذ العملى لاقتراح أحمد عبد السلام مندوب حكومة تونس ـ ولا أقول مندوب تونس ـ فى مؤتمر مجامع اللغة العربية الذى دعا فيه إلى ( ان نؤلف لكل قطر معجما صغيراً لا يتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التى بقيت مستعملة بمعناها الأصلى فى لغة ذلك القطر ، وأن يوصى معلمو الأحداث والعامة بالاقتصار عليها قدر المستطاع ) ؟ .

وإنى لأتساءل : كيف السبيل إلى إخراج هذه الكلمات من عقول الصغار بعد أن تنقش نقشاً فى حافظتهم الغضة الحساسة ؟ ثم إنى أتساءل : أين يتعلم صبية العرب وشبابهم فصحاهم الجامعة لشملهم إذا لم يتعلموها فى المدارس ؟ ثم إنى أتعجب لما تحويه هذه الكتب ـ وكتب

المطالعة فى عمومها ـ من تفاهات غثة تبدد أعمار التلاميذ فى سخافات لا تفيد أسلوبا ولا ثقافة ولا خلقا . فهى لا ترتفع فى معظم محتوياتها عن تسجيل الواقع المسف ، المنافى للدين وللخلق المهذب فى كثير من الأحيان ، من مثل وصف ( الحاوى ) وسائس القرود ، وعادات الناس ـ وجهالهم خاصة ـ فى زيارات الأضرحـــة وفى الأذكار . ووصف مجتمعاتهم فى الموالد وفى المناسبات وفى الأسواق ، وتسجيل أساليب الباعة المتجولين فى ترويج بضائعهم ولفت المشترين إليها . لماذا نفوت على التلميذ فرصة التحصيل المثمر أنشط ما تكون حافظته وأحد ما تكون ذاكرته قدرة على الاستيعاب السريع العميق ؟ كنا نشب على جملة من نصوص رائعة لأعلام الشعر والأدب فى مختلف العصور ومن شتى بلاد العرب ، وكنا نروض أذواقنا وأخلاقنا على طائفة من قصص نافعة تمجد ضروبا من البطولة العربية والإسلامية ، فاستبدلوا بذلك كله هـــذه السخافات الغثة . التى لا تعين على تكوين الملكة العربية أو الذوق العربى .

وحجة أصحاب هذه المناهج تنحصر فى أنهم لا يقدمون للنشء إلا ما يلائم عقولهم وتفكيرهم ، وأنهم يتجنبون تكليفهم حفظ ما لا يستطيعون تدبره وفهمه . ومن المسلم به أن الصبى لا يعى كل ما يحفظه وعيا كاملا . ولكن لا ينبغى أن يفوتنا أنه يختزنه إلى أن ينضج عقله فيستخرج هذا المدخر آنا فآنا ليتدبره ، ولو سلمنا باستبعاد كل ما لا يستطيع الصبى أن يتدبره فى صباه لا نبنى على ذلك استبعاد تعليمه أن الأرض كرة وأنها تدور ، واستبعاد تعليمه أن الله سبحانه وتعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ولما كان هناك محل لحفظ القرآن أو تعليم الدين والعبادات ـ وإن كان ذلك هو فعلا مذهب بعض التربويين الذين نقعوا أدمغتهم فى الثقافة اللادينية ـ والحقيقة التى ينبغى أن يقوم عليها تصورنا لهذه الأمور ـ بقطع النظر عن كل ما يستورده التربويون من قواعد عرجاء لا يعرف أحد مصادرها ولا الأغراض التى صنعت من أجلها ـ هو أن الصبا زمن نشاط الذاكرة وحدتها وما أصدق ما كان يردده آباؤنا من أن ( التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر ) .

فيجب أن تستغل هذه الحدة إلى أبعد حدود الطاقة وبقدر ما يسع الجهد ، ثم يجىء وقت ينمو فيه التفكير وتضعف الذاكرة فى الوقت نفسه ، وعند ذلك يتدبر الرجل ما حفظ فى صباه ، ويصبح لكثير مما كان يردده من غير وعى معنى جديد ، والإنسان من هذه الناحية

يشبه فى تفكيره الحيوان المجتر فى طعامه ، يختزن مادة التفكير حين تتاح له فرصة الاختزان ثم يعيد استخراجها فى وقت متأخر لكى يهضمها ويتدبرها ، ولو أنه ترك فى صباه حفظ ما لا يدرك كل معناه ، لما أمكنه أن يحفظه عند نضج تفكيره ، لأن التفكير ينمو على حساب الذاكرة .

وهناك حقيقة ينبغى أن لا نغفل عنها أو نهملها ، وهى أن الشخصية العربية هى القاعدة التى تستند إليها القومية العربية . والشخصية العربية تقوم على تشابه أذواق العرب وملكاتهم . وهذا التشابه يرتبط ارتباطا وثيقا بتراثنا الثقافى العريق وبعمالقة الشعر والأدب خاصة . الذين سجلوا مثلنا العليا إيجابا وسلبا فى شعر الحماسة والأدب والرثاء والهجاء ، وفى الخطب وفى الرسائل بمختلف صنوفها : بين ديوانية وإخوانية ووصفية ووعظية وأخلاقية . فإهمال أدبنا القديم وتوجيه أكثر العناية إلى الأدب الحديث ، بل التافه منه فى الأعم الأغلب ، وتجنب ما كان منه على منوال القديم جزالة وروعة وفخامة أسلوب واحتفالا بالمعانى الكبار ، خليق أن يعين على تدعيم ما يدبره بعض المفسدين فيسلكون إليه مختلف المسالك ويعالجونه بشتى الأساليب ، حين يسعون إلى فصل حياتنا الراهنة والمستقبلة عن مصادرها القديمة حتى تتفرق جماعتنا ويتشتت شملنا ، وحتى لا تكون أخلاقنا امتدادا لخلق آبائنا ، ولا تكون أذواقنا امتداداً لأذواقهم ، ولا تكون لغتنا وأساليبنا امتداداً للغتهم وأساليبهم ، وحتى لا تكون مذاهبنا فى الفن والأدب امتداداً لفنونهم وآدابهم ، بل لا يكون إسلامنا امتداداً لإسلامهم . فإذا نجحت هذه العصابة فى أن يجعلوا ( المجتمع الجديد ) الذى يتحدثون عنه مقطوع الصلة بماضينا فى الدين وفى اللغة وفى العادات وفى الذوق الفنى وفى المزاج وفى التقنين الخلقى . فأى جامعة يمكن أن تجمعنا عند ذاك ؟ وأى طابع يمكن أن يميزنا عن غيرنا من سائر خلق الله ويجعل لنا الحق فى أن نقول إننا قوم ، إننا عرب ؟ ما أيسر أن نكون عند ذلك تبعا لسادة الشرق أو الغرب وذيلا لكائن من كان ممن يريد أن يستلحقنا كما كان السادة يستلحقون العبيد فى عصور الرق .

أقول ذلك وأنا أعلم أن هذه الأسالي[illegible] الفاسدة كلها حائلة زائلة إن شاء الله ، وأنها لن تقوى على مقاومة مد القومية ال[illegible] الذى لا يزال يعلو ويرتفع . وبوادر ذلك وطلائعه واضحة فى كثير من كتب هذا [illegible]اسى التى خضعت برامجها للاتفاقية الثقافية .

ولكني انتهزت الفرصة لأنبه في هذا المقام إلى أساليب يعتمد مروجوها أكثر مايعتمدون على غفلة الناس عنهم وجهلهم حقائق مايهدفون إليه ، ولألقى الضوء على بعض مايدبره المفسدون في الظلام .

وأصحاب النحو الجديد ، أو مايسمونه ( تيسير النحو ) ، شعبة من تلك الفرقة الموكلة بهدم تراثنا وقطع كل صلة تربطنا به . فهم لايهدمون لأن الهدم هو وسيلتهم إلى البناء من جديد كما يزعمون ، ولكنهم يهدمون في حقيقة الأمر لأن الهدم هو هدفهم وغايتهم . وهم بهذا الهدم يمهدون الأرض ويسوونها لبناء جديد ولكنه للأجنبي لا لنا ، ويمحون كل ما في صحفنا لتصبح صحفا بيضاء يسطرون فيها أو يسطر فيها الذين يسخرونهم لما يعملون ، من بعد مايشاءون . نعم أصحاب القواعد الجديدة شعبة من هذه الفرقة . وقواعدهم الجديدة ليست إلا أسلوبا في الهدم .

زعم أصحاب القواعد الجديدة أن قواعد النحو التي صنعها اثنا عشر قرنا سخيفة معقدة . وزعم لهم صاحبهم أنه سيلخص لهم هذه القواعد في كلمات . فقسم الكلام إلى مسند ومسند إليه وتكملة ، وسمى كلامه هذا تيسيراً . والوصف الصحيح له أنه تعقيد ، لأن الاصطلاحات المتداولة - ولا أقول القديمة - أدنى إلى عقل الناشئ وتصوره . ومن الذي يخطئ في فهم مدلول كلمة « فعل » و « فاعل » . إن الأمي الجاهل والساذج الذي لاحظ له من الثقافة النحوية يستعمل هذه الكلمات بمدلولاتها النحوية في حديثه اليومي المألوف . الخفير والشرطي يسأل : من ( الفاعل ) ؟ ويقول : قبض على ( الفاعل ) ، ويقول : ( الفاعل معلوم ) أو ( الفاعل مجهول ) . والفلاح في حقله يقول : ذا ( فعل ) الكرام وذا ( فعل ) اللئام ، ويسأل : ما ( الخبر ) ؟ هذه هي المصطلحات التي استبدلوا بها ( المسند ) و ( المسند إليه ) ، فسموا الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ مسنداً إليه ، وسموا الفعل والخبر مسنداً . وإدراك معنى هاتين الكلمتين يحتاج إلى تصور الإسناد ، وهو فكرة عقلية لايمكن بحال أن توصف بأنها أقرب إلى أفهام الصبية من المصطلحات الجارية المتداولة . فإذا كان المقصود هو التبسيط والتيسير حقا كما يزعمون فلا شك أن الفعل و[illegible]ل والمبتدأ والخبر أقرب إلى عقول الصبية في هذه السن وأيسر تصوراً وأسلس نطقا [illegible]قعا في الألسن وفي الآذان من المسند والمسند إليه .

على أن أصحاب التيسير المزعوم قد احتاجوا بعد ذلك إلى تفصيل المنصوبات وتبيينها ، ولم يروا إطلاق اسم ( التكملة ) عليها جميعا وافياً بالغرض ، فتكلموا عن ( التكملة بالزمان ) و ( التكملة بالمكان ) و ( التكملة بالحال ) و ( التكملة بالمفعول ) . فما الذى بسطوه ؟ وأى شىء صنعوه سوى أنهم أضافوا كلمة ( التكملة ) فعقدوا الاصطلاح وصعبوه وطولوه بدل أن ييسروه ويختصروه ؟ .

ثم إنهم بعد أن تحاشوا اصطلاح ( الفعل ) و ( الفاعل ) لغير سبب واضح أو مبرر معقول احتاجوا للكلام عن ( المفعول ) . ألم يكن بناء ( المفعول ) على ( الفعل ) و ( الفاعل ) أيسر فى العقل وأقوم فى الترتيب وأنسق فى التسلسل من بنائه على ( المسند ) و ( المسند إليه ) .

وقد يحتج أصحاب التيسير المزعوم لصنيعهم بأن البلاغيين ، وأصحاب علم المعانى على الخصوص . قد اتخذوا هذا التقسيم واستعملوا بعض هذه المصطلحات . ومن المعروف المشهور أن الاصطلاحات تختلف باختلاف العلوم والفنون ، وأنها تنبع احتياجاتها وتصدر عن طبيعة كل منها وعما يهدف إليه وما يريد أن يؤديه من غرض . وطبيعة النحو وهدفه يختلف عن طبيعة علم المعانى وهدفه . فالنحو همه ضبط أواخر الكلمات وتفصيل ذلك على مايقوم فى ذهن المتكلم من تصور ، بحيث يكون هذا الضبط وسيلة لتصوير المعنى بحسب اصطلاح أصحاب هذه اللغة وما جرى عليه عرفهم . أما المعانى فهو يتناول الأساليب، ولا شأن له بالمفردات . وهدفه هو أن يكون الكلام ترجمانا دقيقا صادقا فى نقل تصور المتكلم بكل ما يشتمل عليه وما يحف به من أحاسيس ومن ملابسات ومن ظلال إلى نفس السامع . فهو مرحلة تالية لمرحلة النحو الذى يتعلق غرضه بالصحة والفساد ، بينما يتعلق غرض المعانى بفرق ما بين الصحيح والبليغ ، والدقيق والأدق . لذلك كان اصطلاح البلاغيين على تقسيم الكلام إلى مسند ومسند إليه وفضلة لايجدى شيئاً فى إفادة ضبط أواخر الكلمات ومطابقته للمعنى بحسب ما جرى عليه عرف العرب . فالمسند إليه مثلا لايفيد الرفع على مايزعمه أصحاب التيسير ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفه الناس . ولذلك احتاجوا فى كتابهم الذى حير المعلمين والتلاميذ على السواء إلى أن يتكلموا عن كان وأخواتها وإن وأخواتها ، وعلى ذلك أصبح

كل من المسند والمسند إليه يقبل الرفع والنصب . ولم يستغنوا عن أن يقولوا إن المسند قد يكون فعلا وقد يكون اسما . ولم يستغنوا حين تكلموا عن المطابقة بين المسند والمسند إليه فى الإفراد والجمع عن أن يستثنوا من ذلك الجمل التى يكون المسند فيها فعلا متقدما . فهل هذا تيسير أم تعقيد ؟ .

هذه أمثلة مما أدركوه من وجوه النقص فى تقسيمهم . وبقى كثير مما لم يدركوه ، مما أشير إليه ولا أحصيه فى مثل ( والقمر قدرناه منازل ) الذى ينتصب فيه ( القمر ) مع أنه ليس اسما لإن أو إحدى أخواتها ، الذى زعموه استثناء وحيداً من رفع المسند إليه . وبقى أن نسأل أصحاب التيسير : كيف يصنع الناس بكتب التفسير والحديث والفقه وشروح دواوين الشعر التى تمتلىء صفحاتها باصطلاحات النحو المتداولة التى حكموا عليها بالإعدام ؛ لأنها لا تستغنى عنها حين تعرض لتوضيح المعنى أو بيان الفرق ما بين قراءة وقراءة ورواية ورواية . وبقى أن نسألهم أيضاً : هل استشرتم العرب جميعاً فيما صنعتموه ؟ بل هل استشرتم المسلمين الذين لا يستغنى فقهاؤهم عن تلك الكتب التى لا تستعمل غير اصطلاحات النحو الذى يريدون أن يلحقوه بكل ما يريدون إعدامه والقضاء عليه من ( قديم ) ؟ أم أنهم لا يعرفون أن هذه اللغة ليست ملكا لطه حسين وإبراهيم مصطفى ، والقوصى ومن شايعهم ممن يخافهم أو يرجوهم أو يضله شيطانهم . بل هى ليست ملكا للمصريين وحدهم . بل هى ليست ملكا للعرب وحدهم ولا للمسلمين وحدهم من أهل هذا الجيل . وإنما هى أمانة يتحتم علينا أن نحفظها للأجيال من بعدنا كما تلقيناها عمن قبلنا . أقول هذا وأنا أعلم ما سيرد هذا النفر به على . سيقولون : كلما حدثناكم فى شىء أقحمتم فيه الإسلام وقلتم القرآن القرآن . لا حجة لكم إلا هذا ولا تعلة لكم سواه ! ونحن نقول : نعم . القرآن والإسلام فى تقديركم شىء هين يسير وهو فى تقديرنا كبير خطير . ونحن لا نبالى شيئا تزينونه وتزخرفونه إذا أبعدنا عن القرآن والإسلام . فإن كان القرآن والإسلام عندكم لوناً من الألوان ، وواحدا من اعتبارات كثار فهو عندنا كل شىء ، به نحيا وعليه نموت ، وذلك بأن الحياة عندكم نعيم وزخرف ومتاع ثم لاشىء بعد ذلك إلا الفناء . فلا قيمة عندكم لشىء لا يتحول إلى لذة أو شهوة أو أرقام . أما نحن فالحياة عندنا معبر للآخرة وطريق إليها . ومن أجل ذلك نبنى فيها ونعمل ونكافح ونجاهد . لذلك كان الأدب عندكم

لهواً ومتاعا ، وخرافات وأوهاما ، لذة للشذاذ والفارغين ، وكان عندنا أسمى من ذلك وظيفة وأعز مكانا . ومع ذلك كله فالقرآن والإسلام هو سبيلنا إلى العزة فى الدنيا التى تطلبونها ولا ترون سواها . لأن الذى يفقدهما يفقد الضمير ومراقبة النفس ومحاسبتها فى الصغير والكبير ، ويفقد الدافع القوى الصادق إلى العمل المثمر النافع . ويفقد الحصانة والمناعة التى تجعله يتماسك ولا ينهار أمام الشهوات والمغريات . ومن فقد ذلك كله فقد الدنيا ، لأنه لا يترك للهوه ولعبه كما كان يظنه ويشتهيه . بل يسلط الله عليه من يستعبده ويشقيه ، فيصبح عبدا رقيقا فى مزارع السيد الجديد ، يزرع لغيره بعد أن كان يزرع لنفسه . خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

بقى كذلك أن نقول لأصحاب التيسير المزعوم : إن ما أطلقتموه من أسماء لما توهمتموه من أقسام لا تصبح ( اصطلاحا ) حتى يجمع عليها الناس . وقد عرفتم رأى العرب فيها ، سمعتموه فى مؤتمر مجامع اللغة العربية الأول فى دمشق سنة ١٣٧٦ هـ ، وسمعتموه من قبل ذلك ومن بعده .

ومع ذلك كله فقد يبدو لى أن أصحاب التيسير كانوا يضعون أمام أعينهم التقسيم الغربى فى نحو بعض اللغات الأوروبية ، الذى يقسم الجملة إلى ( Subject ) و ( Predicate ) و ( Complement ) . والدليل على ذلك أن أصحاب التيسير آثروا استعمال ( تكملة ) وهى الترجمة الحرفية لكلمة Complement على اصطلاح البلاغيين المشهور وهو ( فضلة ) . وفات هؤلاء القرود أن اللغات الأوروبية التى نقلوا عنها هذا التقسيم كالانجليزية لا تحتاج لعلم يقابل علم النحو عندنا لأنها غير معربة . أما المعرب من لغاتهم مثل الألمانية ومثل ( الفعل ) فى الفرنسية فهو لا يزال يحتاج فى ضبطه إلى قواعد تفوق قواعد النحو العربى فى أقسامها وفروعها ، ومن شاء فليرجع إلى أى كتاب ابتدائى فى الألمانية ليرى إلى كم مجموعة يقسمون الأسماء . وليرى ما يطرأ على كل مجموعة من تغير وإضافة فى حالات الإعراب المختلفة التى تبلغ ثمانى حالات إفراداً وجمعاً . مما يختلف فى كل مجموعة عنه فى المجموعة الأخرى . وليرى كذلك أن علامة التعريف التى تقابل ( ال ) فى عربيتنا تتبع الاسم الذى تحته فى إعرابه ، وتختلف مع ذلك باختلاف نوعه بين مذكر ومؤنث وجماد . مما لا سبيل إلى تمييز بعضه من

بعض بغير السماع ، وليرى أن الاسم النكرة تسبقه أيضا أداة تخضع لكل هذه التقلبات السابقة ، وهي أداة لا وجود لها في عربيتنا ، إلى آخر ما هنالك مما اكتفى بالإشارة إليه ولا أحصيه .

ولست أظن أن طه حسين قد غفل عن شيء من ذلك ، أو هو على الأقل لم يغفل عما يقابل ما قدمته من أمثلة في الفعل الفرنسي ، حين قدم تقريره المشهور إلى وزير المعارف سنة ١٩٣٥ م ، فألقاه الوزير في سلة المهملات وطلب منه ألا يعيد الحديث فيه حين حاول أن يفاتحه فيه مرة من المرات ، وذلك حسب رواية طه حسين نفسه . ولا بأس من أن أنقل فقرة من هـــذا التقرير ، ليعرف القارئ من أين جاء ( التيسير ) . زعم طه حسين في تقريره ذاك أن : « الناس مجمعون على أن تعلم اللغة العربية وآدابها في حاجة شديدة إلى الإصلاح » . ورد نفور الطلبة من الدراسات العربية إلى « أن اللغة العربية وما يتصل بها من العلوم والفنون ما زال قديما في جوهره بأدق معاني هذه الكلمة ، فالنحو والصرف والأدب تعلم الآن كما كانت تعلم منذ ألف سنة . . . ولست أزعم أن الأمر يمضي بإحداث ثورة عنيفة على القديم ، وتغيير العلوم اللغوية والأدبية فجأة وفي شيء يشبه الطفرة ، وإنما أزعم أن قد آن الوقت الذي يجب فيه أن نؤمن بأن العلوم اللسانية ، كغيرها من العلوم ، يجب أن تتطور وتنمو وتلائم عقول المعلمين والمتعلمين وبيئتهم التي يعيشون فيها وحاجاتهم التي يدفعون إليها ، ومتى آمنا بذلك فإن التطور سيأتي وسيتحقق شيئاً فشيئا ، ولكن لا بد أن تمهد له الطريق . وهنا يظهر السبب الثاني الذي أشرت إليه آنفا ، وهو أن معلم اللغة العربية الذي يستطيع أن ينهض بتعليمها كما ينبغي لم يوجد بعد ، فإن القديم لا ينتج إلا قديما مثله ما دام التطور لم يمسه ـ الفقرة ٤٢ من كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » ص ٢٨٨ - ٢٨٩ من طبعة المعارف سنة ١٩٤٤ ) .

ولم يمض على هذا التقرير الذي أسقطه الوزير يومذاك وأهمله سوى سنتين حتى صدر كتاب في النحو نسقه ابراهيم مصطفى على ما تخيله طه حسين في تقريره ذاك ، وقدم له طه حسين نفسه واقترح له اسما ضخما عريضا فيه كثير من التبجح والادعاء ، فسماه ( إحياء النحو ) . والمقول بأن إحياء النحو هو الحلقة الثانية في سلسلة تيسير النحو ، وهو الصورة التنفيذية لمذكرة طه حسين . ولعل القارئ لا ينسى ما تحدثت به المذكرة من أن هذه الخطوة الأولى

ليست إلا تمهيداً لما يجيء بعد من التطور الذى « سيأتى وسيتحقق شيئاً فشيئا » . فهى صريحة فصيحة فى الكشف عن نية صاحبها وعن أسلوبه فى استدراج الناس ، والبدء بالهين اليسير الذى لا يفاجئهم ، ليتدرج منه إلى الخطير . إنه لا يسقيهم السم الزعاف القاتل لساعته لأنه يلفت الأنظار ويثير الشكوك ، ولكنه يسقيهم سما بطيئا يصل به إلى غرضه دون أن يكشف عن الجريمة . فليعرف الناس إذن أن ( تيسير النحو ) ليس هو منتهى ما يريدون ، ولكنه أول طريق طويل يدفعون الناس فيه إلى قرار سحيق .

ومن أعجب العجب أن مؤلفى ( تيسير النحو ) رتبوا هذا الذى يزعمونه ( تجديداً ) على الثورة ، فقالوا فى مقدمة الكتاب « . . . . إلى أن جاءت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ومعها العزم الصادق على الإصلاح ، والرأى الماضى على تذليل الصعاب ، فهيئ السبيل للتنفيذ » . فما شأن الثورة والعلم ، وطبيعة العلم المحافظة والاتزان ، وهو أبعد شىء عن الثورة ، بل إن الثورة تفسده ؟ فهل هذا إلا ملق سخيف رخيص ؟ ! وهل جاءت الثورة للهدم أم للبناء ؟ وهل جاءت لتعز تراث العرب وتدعمه أم جاءت لتمحوه وتعفى عليه ؟ ألا ترى أن هذا هو نفسه ما تحدثت عنه فى مقال سابق ، حين قلت : إن أصحاب هذه الدعوات يعرفون أن الثورات هى أكثر الظروف ملاءمة لبث سمومهم ، إذ يلبسون ثياب الناصحين ، ويندسون فى غمار الثائرين الذين يريدون أن يستبدلوا بأسباب الضعف والفساد أسبابا للحياة والقوة والبناء ، كما يندس المخربون والمأجورون من عملاء العدو وسط جموع المظاهرات ، يحطمون المصابيح ويحرقون المنشآت ، فيقلدهم غيرهم فى صنيعهم دون تمييز بين ما يصلح تحطيمه وما يضر تحطيمه ، يخربون بيوتهم بأيديهم ويحسبون أنهم يطهرونها وأنهم يصلحون ! .

ذلك هو ما يفعله أحد شقى المقراض فيما يمارس مع النشء من المتعلمين . أما الكلام عن شق المقراض الآخر الذى يتناول إعداد مدرس اللغة العربية ومدرس الدين فذلك ما أرجئه إلى حديثى المقبل إن شاء الله .

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

# التفسير النفسى للقرآن

نزل القرآن فى عهدين متمايزين : العهد المكى وهو ما قبل الهجرة ، والعهد المدنى وهو ما بعد الهجرة .

فكما أن هجرة الرسول صلوات الله عليه إلى المدينة كانت حدا فاصلا فى تاريخ الإسلام بين عهدين ، كانت كذلك حدا فاصلا فى القرآن الكريم بين أسلوبين .

على أن القرآن كله مصوغ فى أسلوب بلاغى لا يضارع ، وفى فصاحة من النظم لا تبارى لأنه فى صياغته يتناسب مع موضوع الخطاب ، ويتلاءم مع نفسية المخاطبين ، متدرجا مع الأحداث ، متطابقاً مع الأحوال الاجتماعية والسياسة التشريعية .

فمن نظر فى القرآن الكريم نظرة شاملة جامعة وجده مرآة صادقة للأحداث التى مرت على الإسلام ، وسجلا محفوظا للأزمات التى صادفها الرسول فى نشر دعوته ، وصورة دقيقة للمنهج القويم الذى سلكه فى هداية قومه ، وللتدرج الحكيم الذى اتخذه فى تشريعه . بل هو ميدان فسيح للتحليل النفسى الذى يكشف عن سر بلاغة القرآن وسحر بيانه ومناط إعجازه .

لذلك كان على من يريد تفسير القرآن تفسيراً دقيقا أن يدرس نفسية المنزل عليه القرآن والمخاطبين به ، والظروف التى أحاطت بالموضوعات التى تناولها ، ليستطيع أن يدرك أسرار أسلوبه وخصائص تعبيره ودقائق نظمه .

ولقد فطن القدماء إلى ذلك فذكر السيوطى فى الإتقان عند الحديث على أخطاء المفسرين ومواطن زللهم ما يأتى : ـ

أكثر ما يقع الخطأ فى التفسير من وجهين :

أحدهما ـ قوم اعتقدوا معانى ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها .

والثانى ـ قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ فى لغة العرب من غير نظر إلى المنزل عليه القرآن وإلى المخاطبين به .

هذا ما فطن له الجلال السيوطى عليه رحمة الله .

ونحن نقول على ضوء ما قرره :

إن المخاطبين فى المدينة يختلفون عن المخاطبين فى مكة فصاحة وعقلية وخلقا وبيئة . والموضوعات التى تتناولها السور المدنية تختلف عن الموضوعات التى تتناولها السور المكية . ونفسية الرسول صلوات الله عليه فى المدينة غيرها فى مكة .

لهذا كله كان للقرآن المدنى أسلوب له خصائصه ومميزاته عن القرآن المكى الذى له أسلوبه وخصائصه ومميزاته ، وفى كل إعجاز وسحر بيان وجمال نظم يدل على أنه ليس فى طاقة البشر ، وإنما هو تنزيل من خالق القوى والقدر .

فأهل مكة كانوا يومذاك أهل شرك وعبادة أوثان ، وأهل رياسة وسيادة ، ديدنهم العناد وخلقهم الغطرسة والجفوة ، وعقولهم فى الدين مقفلة ، وطباعهم فى الجدل جافة ، جامدون فى تقليدهم . واقفون عند كبريائهم وطغيانهم « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا » .

وكانت موضوعات السور المكية جلها فى أصول الإيمان الاعتقادية من الإلهيات والوحى والرسالة والبعث والجزاء ، ويلى ذلك فيها أصول التشريع الإجمالية العامة والآداب والفضائل الأساسية ، ويتخلل هذا وذاك محاجة المشركين ودعوتهم إلى الإيمان بتلك الأصول وإبطال ضلالاتهم ومحاربة خرافاتهم .

وكان الرسول صلوات الله عليه فى مكة حرجا صدره ، حزينة نفسه من طول المعارضة ، واستمرار العناد ، ومن توالى الأذى ، ولحرصه على نجاة قومه من انحرافهم وتخليصهم من عبادة أصنامهم ومهاوى شركهم .

« فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » ، « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » ، « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » ، « قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك » .

لذا جاء القرآن المكى يخاطبهم صريحا واضحا سهلا فى أسلوب فطرى وجدانى ، ليصل إلى قلوبهم القاسية وعقولهم المغلقة .

فكانت السور المكية تارة تنذرهم فتذكرهم بيوم الفصل . وبالصاخة تجيئهم وبالقارعة

تحل بهم ، ثم تصف لهم سقر وزبانيتها « سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر » .

وتارة يصف الجنة ونعيمها وحدائقها وأنهارها ، فهو ينقلهم من الرهبة إلى الرغبة ومن الخوف إلى الرجاء حتى يسلس قيادهم وتهذب نفوسهم ويدك من عنادهم ويخفض من طغيانهم .

ومن هذا وذاك يجذب القرآن أنظارهم إلى ما ألفوه من مشاهد الطبيعة الدالة على قدرة الله ، وعظم آلائه ، وجليل آياته ، لتتدبر عقولهم وتشف نفوسهم فيصلوا من ذلك إلى ألوهيته ويدركوا حقيقة وحدانيته . يسوق القرآن كل ذلك فى أسلوب مسجوع قصير ، وموسيقا لفظية ساحرة ، وجمل متزنة مزدوجة ، فى صيغ مؤكدة بالقسم الذى درجوا عليه فى تعابيرهم ، وألفوه فى مخاطبتهم ؛ ليكون ذلك أبلغ أثراً فى نفوسهم ، وأعمق فعلا فى وجداناتهم .

ثم يضرب لهم الأمثال بالأمم الغابرة التى كانت أشد منهم قوة فأخذهم الله بذنوبهم ، وأهلكهم بظلمهم وعصيانهم خالقهم ، ليوقظ من وراء ذلك التهديد قلوبهم ، ويحيى بصارم هذا الوعيد ميت وجدانهم .

« ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك ، وما زادوهم غير تتبيب . وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد » .

لهذا كان أسلوب السور المكية غالباً جزلا متيناً وصارماً رصيناً ، يصخ الجنان ويصدع الوجدان ، ويفزع القلوب ، وينبه العقول .

« القارعة ما القارعة ، وما أدراك ما القارعة ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش » .

« الحاقة ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة . كذبت ثمود وعاد بالقارعة . فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » .

« فما لهم عن التذكرة معرضين ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة » .

« وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إدا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » .

على أن القرآن المكى لم يخل أحياناً من لين ورقة ومحاسنة وملاينة إذا ما كان الخطاب موجهاً للمؤمنين ، أو إذا سلك مسلك الوعظ والتذكير ، أو وصف الجنة وظلالها ، أو إذا عمد إلى تسلية الرسول صلوات الله عليه والتسرية عن نفسه والتبديد من كربه : « فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون » .

وقد شاع فى أسلوب هذا العهد المكى ظواهر أسلوبية مرتكزة على أسس نفسية ، وأحوال وجدانية مما سنتعرض لدراسته فى البحث الآتى . تلك الظواهر هى : التكرار ، والقسم ، والافتتاح بحروف التهجى ، والإيجاز .

ولنعجل بمثال يبين فضل الدراسة النفسية فى حل مشاكل فى التفسير خطيرة ـ من ذلك ما فى تفسير قوله تعالى فى سورة الشعراء « وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » . فقد ثار حول هذه الآيات خلاف مس الأصول البعيدة ، والأسس الغائرة من الصرح القرآنى .

فهذا فريق يحتج بها على نزول القرآن بالمعنى لا باللفظ ، وأن اللفظ من عند الرسول عليه السلام ، إذ لا ينزل على القلب إلا المعانى . وهذه مزلقة إلى إنكار أن يكون لفظ القرآن معجزاً .

ومنكر هذا النزول المعنوى يضطر إلى تناول النزول على القلب ليبين معدن العقل هو القلب أو الدماغ ، وهو ما يعرض له الفخر الرازى فى تفسيره ويورد فى ذلك آراء القدماء والمحدثين ، والاستدلال لكل رأى .

إلا أن الزمخشرى يدركه التوفيق فيفطن من ذلك إلى خاطرة نفسية دقيقة يكشف بها غبار الموقف ، إذ يعلق قوله تعالى ( بلسان عربى مبين ) بالفعل ( نزل ) ويجعل المعنى هكذا : نزله باللسان العربى لتنذر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمى لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه ، فيتعذر الإنذار به . وفى هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه ويفهمه قومك . ولو كان أعجمياً لكان نازلا على

سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها ، فقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات : فإذا كلم بلغته التي يتقنها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يتعلق قلبه إلا بمعاني الكلام يتلقاها ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت ، وإن كلم بغير تلك اللغة ـ وإن كان ماهراً بمعرفتها ـ كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها . فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين .

فبذلك المنهج النفسي في فهم حال المتكلم بلغة الأم وحال المتكلم بغيرها كشف الزمخشري ظلمة الموقف ، وهون الأمر حتى جعل الاحتجاج بالآية على النزول بالمعنى دون اللفظ يبدو واهناً ضعيفاً .

وليس يحتاج إلى فهم الجوانب النفسية بإزاء الآيات التي يثور حولها مثل هذا الخلاف فقط ، بل في الآية التي لا خلاف فيها مطلقاً قد ترفع الملاحظة النفسية إلى أفق باهر السناء ، خليق بذلك الإعجاز الذي أعجز الجن والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

عبد الوهاب حمودة



---

# إقامة الحق

| | |
|---|---|
| بني الإسلام إقداما | كفى دعة وإحجاما |
| هلموا نرفع الهاما | أنقضي الدهر نواما ؟ |
| على البيضاء فانطلقوا | إلى العلياء فاستبقوا |
| لكم من دينكم طرق | تبث النور أعلاما |
| سلوا القوم الأولى ذهبوا | بأية قوة غلبوا |
| أقاموا الحق فانتدبوا | لأهل الأرض حكاما |

أحمد محرم

تحقيق أدبي :

# مدحة علي بن الحسين

## بين الفرزدق والحزين الكناني

— ١ —

كتب فضيلة الأستاذ العالم الفاضل الشيخ محمود النواوى فى مجلة الأزهر ( عدد المحرم سنة ١٣٧٨ هـ مقالا عن على بن الحسين رضى الله عنهما ، أكد فيه أن على بن الحسين توفى سنة ٩٤ هـ على حسب ما نصت عليه الكتب التى اعتمد عليها الكاتب ، وخلص من ذلك إلى نفى القصة المشهورة التى جمعت بين هشام بن عبد الملك ـ وهو خليفة ـ وعلى بن الحسين ، والفرزدق ، إذ أن هشاما تولى الخلافة فى سنة ١٠٥ هـ ، وسياق القصة ـ على ما يقول الأستاذ النواوى ـ يدل على أن هشاما كان يومها خليفة ، ثم استطرد يقول : « فإن تكن الحادثة صحيحة أولها أصل ، فلعلها كانت مع غير هشام من الخلفاء ، أو مع غير زين العابدين من آل البيت أو بينهما فى غير خلافة هشام » .

قلت : ولست أجد فى سياق القصة ما يرجح أن هشاما كان خليفة فى ذلك الوقت ، فإن كان لما فيها من حفاوة به ، والتفاف حوله ، فليس ذلك بكاف إذ أن أهل بيت الخلافة كبارهم وصغارهم يلقون من التجلة والإعظام ما هو معروف ، فى كل عصر ، ومصر .

على أن بعض الكتب كفانا مئونة الاستنباط والجدل ، فقد نص صاحب الأغانى [١] على أن القصة وقعت وهشام يحج بالناس فى خلافة أخيه الوليد ، وذكر جامع ديوان الفرزدق أن هشاما حج فى أيام أبيه ومعه جماعة من أعيان أهل الشام ، وأنه لم يستطع أن يستلم الحجر لكثرة الزحام ، فلما أقبل على بن الحسين وكان من أجمل الناس وجها ، وأطيبهم أرجا طاف بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر ، فقال رجل من أهل الشام لهشام : من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام لا أعرفه ، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام

[١] جـ ١٤ ص ٧٥ .

وكان الفرزدق حاضراً فقال أنا أعرفه ، فقال الشامى : من هو يا أبا فراس ؟ فقال الفرزدق قصيدته التى نحن بصدد تحقيق قائلها فى هذا البحث .

وذكر أصحاب الوسيط فى أدب اللغة أن هشاماً كان آنذاك ولياً للعهد ، وهو خطأ فهشام لم يكن ولياً للعهد إلا فى أيام يزيد بن عبد الملك ، وقد ولى يزيد الخلافة فى سنة ١٠١ ﻫ أى بعد وفاة زين العابدين بست سنوات ، وكان ولى عهد عبد الملك ابنه الوليد ، وولى عهد الوليد أخوه سليمان ، وولى عهد سليمان ابنه أيوب . فلما مات أيوب فى حياة أبيه كان ولى العهد عمر بن عبد العزيز .

فإذا اعتمدنا رواية صاحب الأغانى أو رواية جامع الديوان خلصنا من الاعتراض الذى أثاره الأستاذ النواوى عن التعارض بين وقوع القصة مع هشام ووفاة على بن الحسين ، وبقى أن نمضى فى التحقيق لنرى من قائل هذه القصيدة ، وفيمن قيلت ، وما هى القصيدة ؟

ولأذكر ـ أولا ـ النصوص التى وقفت عليها ، ثم أصل إلى النتيجة من هذا التحقيق . قال أبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى فى ترجمة الحزين الكنانى (١) ـ مع شىء من الاختصار ـ « حج عبد الله بن عبد الملك ، فقال له أبوه سيأتيك الحزين الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان ، فإياك أن تحتجب عنه وأرضه ، فلما قدم عبد الله المدينة دخل عليه الحزين فقال : أيها الأمير إنى كنت مدحتك بشعر ، فلما دخلت عليك ، ورأيت جمالك وبهاءك أذهلنى عنه فأنسيت ما كنت قلته ، وقد قلت فى مقامى هذا بيتين فقال : ماهما ؟ قال :

فى كفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق فى أبياته التى يمدح بها على بن الحسين رضى الله عنهما التى أولها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرام

وهو غلط ممن رواهما فيها . وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل على بن الحسين رضى الله عنهما ، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

(١) ﺠ ١٤ ص ٧٤ وما بعدها .

وأما الأبيات التى مدح بها الفرزدق على بن الحسين ، وخبره فيها فحدثنى . . . حدثنا ابن عائشة ( ثم ذكر القصة التى أوردتها آنفا ، وذكر أبياتاً سبعة ابتدأها بالبيت السابق وذكر بعده ) :

هــذا ابن خير عباد الله كلهم هـذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هـذا ينتهى الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
أى الخلائق لبست فى رقابهم لأولية هـذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأمم

ثم ذكر قصة حبس الفرزدق وإخراجه ، وإجازة على بن الحسين له ، ثم قال : ومن الناس أيضاً من يروى هذه الأبيات لداود بن سلم فى قثم بن العباس ، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد مولى قثم فيه ، فمن رواها لداود بن سلم فى قثم ولخالد بن يزيد فيه فهى فى روايته :

كم صارخ بك من راج وراجية يرجوك يا قثم الخيرات يا قثم
أى العمائر ليست فى رقابهم البيت . . . . . . . . .

( فى كفه خيزران ) . ( يغضى حياء ) البيتان.

ومن ذكر لنا ذلك الصولى عن العلائى عن مهدى بن سابق أن داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأول فى شعره فى على بن الحسين رضى الله عنه ، وذكر الرياشى عن الأصمعى أن رجلا من العرب يقال له داود وقف لقثم فناداه وقال ( يكاد يمسكه ) ( كم صارخ بك ) البيتين . فأمر له بجائزة سنية ، والصحيح أنها للحزين فى عبد الله بن عبد الملك وقد غلط ابن عائشة فى إدخاله البيتين فى تلك الأبيات » .

ثم ذكر أبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعانى ، متشابهة تنبئ عن نفسها ـ على حد تعبيره ـ وهى أحد عشر بيتا ، فيها البيتان المشهوران ( فى كفه خيزران ـ يغضى حياء ) وليس فيها البيتان (يكاد يمسكه ـ كم صارخ ) كما أنه ليس بينها وبين قصيدة الفرزدق المثبتة فى ديوانه اتفاق بعد ذلك . ثم قال صاحب الأغانى : « ومن الناس من يقول إن الحزين قالها فى عبد العزيز ابن مروان لذكره دمشق ومصر ، وقد كان ثم عبدالله بن عبد الملك أيضا فى مصر والحزين بها » .

ونص صاحب الأغانى حافل - كما ترى - وسنستخلص منه - على الرغم مما فيه من اضطراب - بعض الحقائق الهامة .

ونسب أبو تمام فى ديوان الحماسة أبياتاً للحزين الكنانى ، واختلفت النسخ المطبوعة فبعضها ذكر أن الممدوح بها على بن الحسين ، ومعناه أن هذا رأى أبى تمام ، وبعضها اقتصر على ذكر الشاعر ، والموجود فى ديوان الحماسة أبيات ستة كلها مذكورة فى مدحة الفرزدق - كما وردت فى ديوانه - ومنها البيتان اللذان ذكر صاحب الأغانى أنهما للحزين ، ونفى أن يكونا للفرزدق ، أو فى مدحة « على » بعامة ، أما الأبيات الأخرى فقد جاءت فى رواية الأغانى ، وفى رواية الديوان ، فيكون أبو تمام لفق المقطوعة ، ونسبها للكنانى ، وقد ذكر التبريزى فى شرح الحماسة اسم الحزين ونسبه ثم قال : ويقال إنها للفرزدق . وذكر بعض شراح الحماسة أنها للحزين ، وردد كلام صاحب الأغانى .

وقال ابن رشيق فى العمدة : « وكذلك قول الحزين الكنانى فى عبد الله بن عبد الملك ابن مروان ، وقد وفد عليه بمصر ، ويروى للفرزدق فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وقيل بل قالها فيه اللعين المنقرى ، وقيل بل الأبيات لداود بن سلم فى قثم ابن العباس بن عبد الله بن العباس (فى كفه خيزران - يغضى حياء) .

وذكر ابن قتيبة فى مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » البيتين مثالا للضرب الأول من أضرب الشعر فى تقسيمه المشهور . وهو الضرب الذى حسن لفظه وجاد معناه ، ولم ينسبهما ، وإن نسبهما بعض المعلقين على الكتاب للفرزدق ، أما ابن عبد ربه فقد ذكر فى كتابه العقد الفريد قال : (وقال ابن قتيبة لم يقل بيت أبدع من قول الشاعر فى بعض خلفاء بنى أمية « يغضى حياء . . . البيت » وأحسن منه عندى قولى :

فتى زاده عز المهابة ذلة  فكل عزيز عنده متواضع

ونسب الشيخان الإسكندرى وعنانى فى كتابهما « الوسيط » القصيدة للفرزدق ، ونصا على أن أبياتاً منها تروى لغيره ، وهى فى اختيارهما عشرة أبيات ، ولعلهما يشيران إلى البيتين اللذين أكد صاحب الأغانى أنهما للحزين الكنانى . وقد طال بنا نفس القول فلنرجئ النتائج الهامة التى يفضى إليها هذا البحث إلى حديث آخر ؟

على العمارى

# المرأة فى ظلال الاســلام

الإسلام هو الدين السماوى الوحيد ، الذى عنى بالمرأة العناية الكافية ، وأحلها المكانة اللائقة بها ، وأنزلها المنزلة التى تتناسب ورسالتها فى مضمار الحياة ، وضرب حولها سياجا منيعاً من الحفظ والحماية ، وأحاطها بسور متين من الصون والرعاية ، ومنحها كثيراً من الحقوق التى لم تكن لها لولاه . . .

ولو قلبنا صفحات التاريخ ، وألقينا ضوءاً كشافا على حالة المرأة قبل الإسلام ، لرأيناها قد عاشت قبله أجيالا طوالا ، منقوصة القدر ، مهيضة الجناح ، مسلوبة الحرية ، تختلف الأمم والقبائل فى معاملتها ، ولكنها تتفق فى ازدرائها وإهمال شأنها ، والنظر إليها كشىء من سقط المتاع ، فمنهم من كان يشتط فى القسوة عليها ، ويسرف فى استلاب حقوقها ، ويحرم عليها أن تبدى رأيا يخالف رأيه ، أو تعمل عملا بغير مشورته ، أو ترفض زوجا اختاره ، أو تنال حظاً من الميراث . ومنهم من كان يتصرف فيها كما يتصرف فى المواشى ، بالبيع والشراء ، والهبة والإجارة ، والإعارة وسواها ، ومنهم من كان يقعد عن العمل ، ويركن إلى الراحة والبطالة ، ويكلف المرأة مشقة السعى ، والإنفاق عليه ، وعلى أولاده . وقد يكرهها أحيانا على الفجور ، وارتكاب الآثام ، ولا يرى فى ذلك ذنباً ولا عاراً ! ! !

ومن بين قبائل العرب فى الجاهلية من كان يمقت النساء ، ويئد البنات ، خوفا من العار . وضنا بالإنفاق عليهن . وقد صرح القرآن العظيم بذلك ، فى غير موضع منه ، قال الله عز وجل « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء مابشر به . أيمسكه على هون ، أم يدسه فى التراب ، ألا ساء مايحكمون(١) » وحتى لقد قال أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، ونضر تاريخه : والله كنا فى الجاهلية لا نعد النساء شيئاً . حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهن ماقسم .

هذا شأن المرأة قديما ، وذلك بعض ماكانت تئن تحته من الأغلال والقيود ، وضروب الذل والبلاء والهوان ، فلما لاح فجر الإسلام الحنيف ، ونادى به رسول الإنسانية ، محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أنقذ المرأة مما كانت تعانيه ، ونهض بها إلى المستوى

---

(١) سورة النحل ٥٨ ، ٥٩ .

الملائم لها ، وأعطاها كثيراً من الحقوق التى أعطاها للرجل ، ولم يفرق بينهما إلا فى أمور يسيرة ، راعى فيها طبيعة كل منهما وفائدة المجتمع .

فسوى بينهما فى العقيدة ، والتكاليف الدينية ، وحرية الرأى والعمل ، وجعل لها نصيبا مفروضا فى الميراث .

نعم ، إن الإسلام جعلها فيه على النصف منه ، لحكمة سامية ، لأنه أوجب نفقتها على الرجال ، رحمة بها ، وإبعاداً لها عن مشاق السعى ، ومتاعب الحياة ، ولا يزال فريق من أرقى الممالك الأجنبية إلى يومنا هذا ، يحرم المرأة حقها فى الميراث ، ويجعله مقصوراً على أكبر الأولاد سناً ! ! !

فشتان بين حال المرأة فى ظلال الإسلام ، وحال المرأة غير المسلمة فى العصور القديمة والحديثة .

ولقد وجه الإسلام الأغر عناية كبرى للأسرة ، لأنها الخلية الأساسية التى يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع ، فشرع الزواج ، وأمر القادرين به ، حفظا للنوع الإنسانى ، وبعداً بالناس عن الوقوع فى أحضان الرذائل والمعاصى ، والأدواء والأمراض ، واحتراما للأنساب ، ومعاونة على الحياة ، وأظل الزوجين معا بظله الوارف ، وكانت عنايته بالمرأة وعطفه عليها أوضح وأظهر ، ضرورة أنها تحتمل من تبعات الزواج ونتائجه أكثر مما يحتمل الرجل . ولقد جاء أعرابى إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم . وهو جالس بين أصحابه ، يعظهم ، ويبين لهم أحكام دينهم ودنياهم ، ويذكرهم بأيام الله . فقال الأعرابى : يارسول الله ـ من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ فقال : أمك ـ قال : ثم من ؟ قال : أمك ـ قال : ثم من ؟ قال : أمك ـ قال : ثم من ؟ قال : أبوك .

وإذا كان الدين الإسلامى العظيم قد جعل شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل ، فذلك لأنها أقل منه خبرة ، ونظراً فى العواقب ، وأكثر خضوعا للعواطف وأسرع انفعالا وتأثراً . وقد أباح تعدد الزوجات لأغراض نبيلة ، زادتها حوادث الأيام وضوحا وجلاء ، واشترط على الزوج أن يعدل بينهن فى كل ما يمكن العدل فيه ، فإن آنس من نفسه عجزاً عن ذلك وجب عليه أن يقتصر على زوجة واحدة . وفى هذا يقول العلى القدير « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا [١] » .

---

(١) سورة النساء ٣ .

وقد تخفق الحياة الزوجية فى تهيئة أسباب السعادة للزوجين ، أحدهما أو كليهما ، فلا يكون بد من التفريق بينهما بالطلاق . حقا : إنه علاج قاس ، ودواء مر ، وأبغض الحلال إلى الله تعالى ، ولكن لابد مما ليس منه بد . فماذا يصنع الرجل إذا كانت امرأته سيئة الخلق لاترعوى ؟ أو كانت عجوزاً لا تلد ؟ أو كانت مريضة لاتقوى على أعباء الحياة الزوجية ؟ ولا ينتظر لها برء أو شفاء ؟ .

بل ماذا تفعل المرأة إذا غاب عنها زوجها غيبة طويلة منقطعة ؟ أو كان شريراً يسىء معاملتها ؟ أو يضربها ضربا مبرحا لاتحتمله ؟ بل كيف السبيل إلى الخلاص إذا بات إصلاح الحال مستحيلا أو فى حكم المستحيل ؟ ! ! ! لا علاج لهذا كله إلا بالطلاق ، يوقعه الزوج أو القاضى أحيانا .

ولقد كان كثير من غير المسلمين يعيبون نظام الطلاق فى الشريعة الإسلامية السمحة ، ولكن الأيام أظهرت لهم حكمته السامية ، وكشفت لهم الحوادث عن سداده ، وشدة الحاجة إليه ، فأخذوا به ، وصاروا يطلقون ، ولا يرون فيه عيبا ، بل ذهبوا إلى أن إباحته ضرورية لصلاح المجتمع . وهذا اعتراف منهم بفضل هذا الدين العظيم ، وأنه الدين الوحيد الملائم للطباع الإنسانية ، والنظم الاجتماعية ، والصالح لكل زمان ومكان .

هذا قليل من كثير ، من أيادى الإسلام البيضاء على المرأة ، وعنايته بها ، وحرصه على كرامتها ، وإعلاء شأنها . وحسبنا فى هذا المقام أن نختم هذا المقال ، بقول المشرع الأعظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاثا على معاملة النسوة بالحسنى « إن النساء خلقن من ضلع أعوج ، وإن أعوج مافى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً فإن أحسنكم أحسنكم معاملة لنسائه » .

وحدثت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وعن والديها قالت : دخلت امرأة ، ومعها بنتان لها تسأل شيئاً ، فلم أجد غير تمرة ، فأعطيتها لها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل شيئا ، ثم قامت فخرجت ، ودخل النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرته بخبرها ، فقال عليه الصلاة والسلام « من ابتلى من هؤلاء البنات بشىء كن له سترا من النار » .

أحمد على منصور

أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم

# رسالة الأزهر

## ( بقية رسالة الأدب )

- ٤ -

لى هنا وقفة ، هى وقفة الذاكر لا وقفة الحائر . فلقد عددت من رسالة الأزهر الأدبية ما كان من أدب مثل الشيخ ابن دقيق العيد ، والشيخ السيوطى ، ومن جاء بعدهما من أدباء المشايخ الأزهريين ، كالشيخ اسماعيل الخشاب والشيخ عبد الله الشبراوى والشيخ حسن العطار والشيخ محمود العالم . هذه الوقفه هى تساؤلى ، هل كان تأدب هؤلاء المشايخ ومن ماثلهم بالشعر والنثر - مدروسا فى أيامهم بالأزهر أم لا ؛ فإذا كان مدروسا فما أيسر أن ننسب إلى الأزهر من جوفه ومناهجه - دراسة أدبية انتهت لهؤلاء الشيوخ الأجلاء إلى أن يكونوا متأدبين شعرا ونثرا أو كليهما . وإذا لم يكن ذلك من مناهج الأزهر فما الذى جعل من هؤلاء السادة - أدباء فى الذروة من الأدب فى أزمنتهم وأيامهم ؟ الواقع أن دراسة كتب الأدب المعتبرة لم تكن من مناهج الأزهر الدراسية . مثل البيان والتبيين للجاحظ ، والأمالى لأبى على القالى ، والكامل للمبرد والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى[1] . وهى الكتب التى عدها مؤرخو الأدب - ولا سيما ابن خلدون - أمهات الأدب وأصول لغه العرب . وقد كانت الدراسة مقصورة فى الأزهر على كتبه المعروفة المتوارثة مثل الأشمونى ، والمطول والأطول ، وجامع الجوامع ، والرسالة العضدية . . . وهلم فما الذى صير من هؤلاء المشايخ الأجلاء أدباء ، كتابا وشعراء ؛ قد يكون لكل واحد منهم ظروف خاصة ساقته إلى الأدب ، أو ساقت الأدب إليه . مثل أن الشيخ حسن العطار قضى معظم أيام شبابه فى الترحال والانتقال . فازدادت معارفه ، وصقل أدبه . هذه الظروف الخاصة - التى لا أعلمها بالتفصيل عن كل من تأدب من الأزهريين - تلتقى عند سبب عام واحد هو حب الاطلاع على كتب الأدب ، والتلذذ بقراءة آثار الأدباء . والحب الذاتى يجنى صاحبه الثمرات فيما رغب فيه وأحبه ، فالمتأدبون من المشايخ كانوا يجمعون بين الدراسة الأصلية فى الأزهر ، وبين هوايتهم التى أحبوها : فكانوا بذلك علماء وأدباء معا . على أن

[١] المجلة - الأغانى لم يكونوا يعدونه الكتاب الرابع من هذه الكتب الأربعة ، بل الكتاب الرابع هو أدب الكاتب لابن قتيبة .

بعضهم كما سيجىء فى موضعه - قد طغى حب الأدب فيه على كل دراسة فى الأزهر، فأهملوا علوم الأزهر إهمالا ، وعكفوا على الأدب فصاروا فى الذروة والسنام : وأعطى هنا مثلا سريعا لواحد منهم . هو السيد مصطفى لطفى المنفلوطى الذى سيجىء ذكره فيما بعد .

لا أنسى فى التحدث عن رسالة الأزهر الأدبية - الشيخ المؤرخ الأديب الفحل : عبد الرحمن الجبرتى : الذى حسبه الدكتور أحمد أمين أستاذ الشيخ حسن العطار ومنشئه على حب الأدب . ومع مخالفتى لهذا الرأى مخالفة قاطعة فإننى لا أعرف سبباً استند إليه أحمد أمين إلا أن الجبرتى روى فى ترجمته للشيخ إسماعيل الخشاب أن هذا الشيخ ( الخشاب ) قد تآلفت روحه مع روح العطار بعد عودته من رحلاته وذكر شيئاً مما كان يجرى بينهما من المطارحات الشعرية . وكانت هذه المطارحات كثيرا ما تجرى فى بيت الجبرتى . ومعنى ذلك أن هذا الثالوث قد كون أخوة أدبية صادقة كانت تقطع الوقت فى الفكاهات والمنادرات ورواية الأشعار وهذا لا يفيد أن العطار أخذ أدبه عن الجبرتى . وإلا فلماذا لا تقول ذلك أيضاً فى الخشاب؟ الواقع أن الجبرتى لم يتعرف بالعطار إلا بعد انتهاء رحلات الثانى واستقراره فى وطنه . وقد عاد من هذه الرحلات مكتمل الأدب . فائقاً فى زمانه نثراً وشعراً . على أن أسلوب العطار فى نثره أقوى من أسلوب الجبرتى على وجه عام . فكيف يكون الأضعف أستاذا للأقوى . وأيضا فإن العطار كان شاعرا فحلا ولم يعرف عن الجبرتى من الناحية الشعرية أنه كان شاعراً وإنما كان راوية للشعر فى تاريخه المعروف فى المناسبات التى يرى فيها أن يروى شعرا لمن يترجم لهم . وله شعر قليل لا يضعه فى صف العطار والخشاب إطلاقا .

إن الأستاذية التى لا ريب فيها هى أستاذية العطار للشيخ رفاعة رافع الطهطاوى الذى لا يسهل على من يتحدث عن رسالة الأزهر الأدبية أن يغفل شأنه الكبير . فلقد كان الطهطاوى ملازما للعطار ملازمة أول المريدين لشيخه . وقد تتلمذ على العطار دراسة أزهرية وأدبا . ولذلك اختاره العطار ليكون إماما لبعثة مصرية إلى فرنسا لما وكل إليه أمر هذا الاختيار . وقد أوصاه قبل سفره أن يكتب رحلته من ابتداء قيام الباخرة التى تقله إلى منتهاها . ولا يكلف العطار الأديب تلميذاً له بذلك إلا إذا كان واثقا من أنه يعرف كيف يكتب . وكتابة الرحلات من أعوص ما تكتب الأقلام . فالطهطاوى قد تأدب بأدب العطار من قبل أن يرتحل . وأقول بشجاعة إن إقامته فى فرنسا لم تزده من حيث الأسلوب العربى شيئاً . ولكنها أفادته الخير الكثير فيما عدا أسلوبى الكتابة والشعر . فقد ازدادت

معارفه . ودرس بالفرنسية العلوم الحديثة . واطلع على عادات وبلاد وأوساط وسعت آفاق علومه ومعرفته بالحياة . ولذلك كان من أفذاذ حاملى لواء النهضة العلمية فى بلاده لما أن عاد إليها - بالترجمة والتأليف وتوسيع أرحاب الثقافة العامة فى مصر ، وتأسيسه مدرسة الألسن التى أخرجت لمصر من كنوز الرجال ذخائر لا تفنى آثارها العلمية . وقد انتفعنا بها انتفاعا كبيراً .

ومن نثر رفاعة الطهطاوى قوله فى حب الوطن : « إن حب الوطن من الإيمان ، ومن طبع الأحرار الحنين إلى الأوطان ، ومولد الإنسان على الدوام محبوب ، ومنشؤه مألوف له ومرغوب ، ولأرضك حرمة وطنها ، كما لأمك حق لبنها ، والكريم لا يجفو أرضاً بها قوابله ، ولا ينسى داراً بها قبائله . . . » .

ومن شعره قوله وهو فى باريس يحن إلى مصر :

ناح الحمام على غصون البان ... فأباح شيمة مغرم ولهان

هذا لعمرى إن فيها سادة ... قد زينوا بالحسن والإحسان

ولئن حلفت بأن مصر لجنة ... وقطوفها للفائزين دوان

والنيل كوثرها الشهى شرابه ... لأبر كل البر فى إيمانى

* * *

ومن أدباء الأزهر الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ . وقد كثرت مؤلفاته ورسائله الأدبية إلى درجة كبرى . ومن هذه الرسائل ما عرفه الأدباء المطلعون جميعا مما دار بينه وبين الشيخ ابراهيم الأحدب الأديب اللبنانى الكبير ، وقد طبعت هذه الرسائل على حدة باسم ( الرسائل الأحدبية ) وقد التزم الشيخ فيها طريقة السجع ولو كان متكلفا كما هو مذهب الأدباء فى وقته . قال يصف ابتداء تعارفه بالشيخ إبراهيم الأحدب « بينما أنا جالس فى بيتى إذ بشخص قدم على يقدمه من جمال الهيئة وكمال الهيبة نور جمال وجلال ، ويتبعه جماعة يخطو ويخطر كل منهم من اللطف والظرف فى أبهج سربال ، فقمت فقابلتهم أجمل مقابلة ، وداخلنى من الابتهاج بزيارة سيادتهم ما لبست به من الفرح والسرور خمائله ، فجلسوا برهة يالها من برهة ، كانت بما انتثر من حدائق حديثهم هى النزهة ، ثم قام حضرته وانصرف ، وقد أخذ بمجامع قلبى به الشغف . . . »

ومن شعره قوله يمدح الشيخ عبد الغنى الرافعى مفتى طرابلس الشام .

من آل رافع الذين عهدتهم  في كل ورد قد حلا أو مشرع
قوم بناؤهم جليل صنائع  وبناء غيرهم جميل مصانع
أسنان مشط فى الفضائل لم يجد  ماضى الزمان لأمرهم بمضارع

ومن أدباء الأزهر الشيخ حسين المرصفى مدرس الأدب والعلوم العربية بدار العلوم ، وقد تخرج فى الأزهر ولكنه اشتغل بالأدب واتبحر فى كتبه وهو طالب أزهرى ضرير فكان فى وقته آية . ولذلك اختير للتدريس بدار العلوم حوالى سنة ١٣٠٠ ﻫ . ومن كلمة له فى التآلف والتواد « . . إن من المشاهد كون النوع الإنسانى محتاجا فى حسن تعيشه ، وتحصيل أغراضه إلى ألفة ومودة ، واتصاف بأن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه . فإذا خرج بعض الناس عن الجمعية ، وسعى فى الأرض بالفساد ، وجب على الناس تأديبه بما يعيده إلى الصلاح . . . » .

* * *

ومن أدباء الأزهر السيد على أبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ ﻫ . وكانت تربيته أزهرية بحتة غير أنه غلب عليه حب الأدب فصار شاعراً من شعراء عصره . ومن شعره فى وصف الطبيعة والجمال :

نور زاهى الروض أم نور الصباح  وابتسام الثغر أم زهر الأقاح
ونجوم تزدهى فى أفقها  بوميض البرق أم كاسات راح
لا ولا بل بدر تم ينجلى  للندامى فى اغتباق واصطباح
عجباً يزدرى شمس الضحى  فى معانى حسنه تعيا الفصاح

* * *

ومن أدباء الأزهر عظيم كبير الشأن هو عبد الله ( باشا ) . هذا الرجل لم يتعلم فى غير الأزهر ، ولكن تعلقه بالأدب وهو طالب أزهرى جعل منه ناثراً وشاعراً . وأجزم بأن هذا الأديب قد قرأ كثيراً للبديع الخوارزمى ، لأنه تأثره فى إنشائه بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية . هذا الأزهرى الفحل من الذين نضج أدبهم إلى أبعد الغايات وإن كان مسجوعا . وله فى تقدير الأدب رسالة يرى فيها أن علوم اللغة العربية ليست مقصودة لذاتها

ولا تدرس لنفسها . وإنما هى للتوصل إلى الأدب الذى هو الثمرة المرجوة فى الحياة . والغصن الرطيب الذى هو الجوهر المقصود من تعليم علوم العربية . وهذا بعض من هذه الرسالة القيمة « . . . ياقوم . أهذا النحو وإعرابه ، والصرف وأبوابه ، والعروض وأوزانه وأبحره ، والمعانى وإنشاؤه وخبره ، والبيان وفرائده ، والبديع وشواهده ، وهذه العلوم الموضوعة ، والأسفار المحمولة ، والدروس المأهولة . . . لمجرد معرفة ضرب زيد لعمرو ، وقتال خالد لبكر ، وأن قال أصلها قول . . والبحر الطويل من فعولن مفاعيلن ، ثم لا يعرف كيف ينظم ، والفصل والوصل . . والحقيقة والمجاز . . والتورية والجناس . . إذاً والله تكون تلك الفنون من أفانين الجنون . . عملا حابطاً ، وشغلا ساقطا ، وهوسا عاطلا ، ووسواساً باطلا . . ويكون واضعوها أساءوا إلى الناس ، وبنوا على غير أساس ، كلا إنما وضعوا هذه القواعد ، ليتكلموا بكلام العرب مثل ما تكلمت . . ويترجموا عن سرائر الضمائر كما ترجمت ، وينثروا وينظموا كما نثرت ونظمت ، وقد كانت العرب التى أودع الله الفصاحة لسانها ، تتكلم بهذه اللغة العلية على الفطرة الأصلية . . من غير هذه القواعد والأصول . . إلى أن خلف هذا الخلف ، فظنوا تلك الوسائل مقاصد ما ليس بعدها غاية لقاصد ، وحسبوا هذه الكتب تقصد لذاتها . . فوقفوا عندها . . واتخذوا الأدب وراءهم ظهريا ، وجعلوا النظم والنثر شيئا فريا » .

وأعتقد أنه لم يمل على هذا الأديب الكبير ـ هذا الكلام الحلو إلا أنه فقه معنى الأدب وفرق بين الوسائل وهى دراسة علوم اللغة ، وبين المقاصد وهى الإجادة فى فنى النظم والنثر .

أما شعره فنى درجة كبرى من الإجادة فى وقته . ومنه قوله يعتذر إلى السيد عبد الهادى نجا الإبيارى ـ المتقدم ذكره ـ يعتذر عن دعوة لم تصل إليه :

يا من بديع حلاه ... تزرى البديع وتذهى
وافت عقيلة نظم ... تتلو فصاحة قس
فمن بالعفو إنى ... منه على غير يأس
وإن عتبت فحق ... وما أبرئ نفسى

حسن الشيخة

المحرر الأدبى بجريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين

# رأى العلماء المؤرخين

## فى الفتوحات الإسلامية وأهدافها

عرضنا فى بحث سابق القوى المسلمين البحرية وفتوحاتهم فى كافة أرجاء المعمورة . واليوم نقدم للقراء الأهداف التى خاض المسلمون من أجلها حروبهم وفتوحاتهم .

لقد حيرت الفتوح الإسلامية العلماء الاجتماعيين حيرة لم يجدوها حيال مسألة اجتماعية أخرى ، فقد بلغ ملك المسلمين فى ثمانين سنة حداً لم تبلغه جميع فتوحات الرومانيين فى ثمانمائة سنة ولم تصل أمة قبلهم ولا بعدهم إلى مثل ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من سعة الملك ، ونفاذ الكلمة ، ووحدة الأجزاء ، وارتياح الناس إلى حكومتها .

وقد افتتنت العقول فى تعليل هذا التوفيق الباهر ، فقال بعضهم : إن سببه أن الأمم على عهد ظهور الإسلام كانوا فى شقاق بعيد ، وثورات طاحنة ، واختلافات دينية ، فدهمهم المسلمون وهم على تلك الحال فدوخوهم .

وقد رد على هذا التعليل بأن المسلمين لما ولوا وجوههم شطر الشام وفارس ومصر ، لم تكن دولتا الرومان والفرس فى حرب فيما بينهما ، ولا فى شقاق فى داخل بلادهما . فكان هرقل فى أوج عظمته وأبهة ملكه ، لا يزعجه مزاحم فى بلاده ولا عدو مغير من خارجها .

نعم كانت فارس مقطعة الأوصال تحت حكومة إقطاعية ، استقل فيها كل أمير بما تحت يده ، لكنهم لما آنسوا استفحال شأن العرب ، وحدوا كلمتهم ، وعدلوا صفوفهم ودانوا كلهم لملك اختاروه من أعرق أسرهم الملكية وهو يزدجر ، فلما واجه سعد بن أبى وقاص فارس واجه منها أمة متراصة الآحاد كالبنيان ، متحالفة الجماعات على الاستماتة فى الدفاع : لأنهم كانوا يملكون عرباً كثيرين ، ويأنفون أن يكونوا محكومين بهم .

فانهار بذلك قول الذين يعللون الفتوحات الإسلامية ، بتخاذل الشعوب وتناحرها ،

ومهما كانت الشعوب متخاذلة فهل يعقل أن أمة واحدة تتحكم فى الأرض فلا تجد من يصدها عن أغراضها ، لا سيما وهى خارجة من بلاد طال عليها الثوى فيها ، بادية غير متحضرة ؟

ومن الناس من عللها بحب الكسب والمغانم ، فلما اطمأنوا إلى داعية منهم يقودهم إليها التفوا حوله وأيدوه ، وقاموا بما قاموا به مما ظاهره فتح وباطنه غنيمة . وهذا تعليل يحمل فى أطوائه عناصر فنائه ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم أول من دعاهم إلى الخروج من تقاليدهم ، وترك موروثاتهم واتباع أحكام العقل فى عقائدهم ، وقد لبث فيهم سنين كثيرة يدعوهم إلى هذه الأصول ، حتى آمن به جمهور من الناس ، ولم يأمرهم بالقتال للدفاع عن أنفسهم إلا بعد أن انتقل إلى المدينة ، وهنالك اشتغل بنشر الإسلام بين القبائل ، ودعوته إليهم صريحة لا لبس فيها ، وليس منها وجوب مقاتلة الأمم طلباً للغنم منها . فأساس هذا الدين هو تصحيح الفطر ، وتقويم النفس ، وإصلاح القلب ، والسمو إلى أرفع ما يصل إليه جهد طالب الكمال ، أما ما تقتضيه الحياة الاجتماعية بعد ذلك من حماية الحوزة ، أو نشر الدعوة ، أو غير ذلك فقد سنت لها أحكام لم ير العالم أعدل منها ، كما سبق لنا بيانه فى مقالات سابقة . فمن أين يستدل أصحاب هذه الشبهة على مايقولون ، وليس له أثر فى كتاب ولا سنة ، ولا فى شرح من شروح الأئمة ؟ .

وذهب الحكيم الفرنسى مونتسكيو فى كتابه أصول الشرائع إلى رأى آخر فقال عند إلمامه بالإتاوات الحكومية : « إن هذه الإتاوات المفروضة كانت سبباً لهذه السهولة الغريبة التى صادفها المسلمون فى فتوحاتهم . فالشعوب رأت بدل أن تخضع لسلسلة لا تنتهى من المغارم ، أن تخضع لأداء جزية طفيفة ، يمكن توفيتها بسهولة وتسلمها بسهولة كذلك ، ووجدت نفسها سعيدة بأن تستخذى لأمة متبربرة تعاملها على هذه الصورة من أن تدين لحكومة فاسدة كانت تكابد تحت سلطانها كل ضروب الموانع دون حرية لم تنعم بها قط ، مضافاً إليها كل ويلات عبودية عنيدة » .

لا مشاحة فى أن العالم الفرنسى لم يعرض فيما عرض من رأى إلى فتوحات المسلمين ، بل أظهر وأشاد بتسامحهم فى فتوحاتهم ، فأول فتوحات المسلمين كانت الشام تحت قيادة أبى عبيدة ابن الجراح ، ولم يكن العرب قد جروا من أمر الجزية فى شعب على سنة تسامعت بمزاياها الأمم الأخرى ، فالتقت الجيوش الإسلامية بجيوش رومانية مدربة تفوقها عدداً وعدداً .

فهزمتها وأجبرتها على ترك حصونها المنيعة وقلاعها التى لا ترام ، ولم تكف عنها حتى فتحت الشام كلها وغادرها إمبراطور الرومان وهو يقول : « أودعك أيتها البلاد الى الأبد ؟! » .

فأى سيرة استعمارية كانت قبل هذه فتت فى عضد الجيوش الرومانية وحسنت لها التسليم للعرب ؟ وأية علاقة بين الجيوش المحاربة وبين قلة الإتاوات أو كثرتها ؟ إن المحاربين كانوا هم الطبقة الثانية فى تلك الأمم بعد رجال الدين ، وكانوا متحكمين فى رقاب الدهماء يبتزون أموالهم ولا يدفعون للحكومة أموالا ، فالمعقول أنهم كانوا يقاتلون أعداءهم بكل ما أوتوا من قوة مادية ومعنوية ، لا أن يسلموا ليكونوا رعية لهم ، وليسوا هم بالذين تفتنهم قلة الإتاوات ، ولا الحرية المحبوبة . فقد كانوا منها بالمكان الممتاز .

وفى الوقت الذى كانت فيه الجيوش الإسلامية تهزم جميع الرومانيين ، كانت جيوش أخرى لهم ترد جنود الفرس المعروفين بصلابة العود على أعقابهم فى ذات بلادهم ومثلهم كمثل الرومانيين فى الامتيازات المالية والأدبية ، ويسقطهم من مراتبهم تغلب جنود أجانب عليهم .

إن تعليل منتسكيو كان يؤخذ به لو أن العرب كانت لهم مستعمرات تنعم باليسر ، وكانت الجيوش المحاربة تعامل بالعسف ، وتئن تحت أثقال الضرائب ، أو لو كانت الأمم نفسها هى التى تحارب . وقد قلنا إن المسلمين إذ ذاك كانوا لا يزالون فى أول عهدهم ، ولم تبل الأمم من حكمهم ما يحببها فيهم .

على أن منتسكيو يصف المسلمين الأولين بالأمة المتبربرة ، فهل عهد فى تاريخ البشر أن أمة متبربرة تكون مثلا يضرب فى قناعتها ، وحسن معاملتها لمن تقهرها من الأمم ؟ إن المعروف بين الناس أجمع أن الأمم المتبربرة لا تقف نهمتها للمال عند حد ، فلا تزال بالمقهور حتى تبيد خضراءه ، ولا تدع له شيئاً . فمن أين جاء هذا الأدب العالى للمسلمين ، والمتبربرون فى نظر مونتسكيو ، على خلاف سنة العالمين قديماً وحديثاً ؟ .

إن منتسكيو قد زاد المسأله إشكالا ، ولا يحلها إلا افتراض واحد وهو الحق ، إن الأمة الإسلامية كانت على شريعة إلهية تمثل أعلى درجات العدل والإنصاف ، وان ما احتازته من الملك الذى لم ينبغ لأمة قبلها ولا بعدها ، لم يقو على إفساد قلوبها كما أفسد قلوب

الفاتحين قبلها ، وإن الله قد أيدها بروح من عنده ، وقذف بها فى وجه العالم لترده عن الغى الذى كان فيه ، ولتحطم القيود والأغلال التى كانت فى أعناق الأمم .

هذا هو التعليل الذى يتسق مع المنطق والعقل ، والله غالب على أمره .

إذن فنسق الفتح الإسلامى الذى اتجه المسلمون فى صدر الإسلام كان وحيداً فريداً يتسق كل الاتساق مع الأغراض التى يرمى إليها الإسلام فى أخص صوره وأنبل مراميه .

أما الفتح الذى اتجه المستعمرون ولا يراد به إلا امتصاص دماء الشعوب وقتل خواص الفضائل والمزايا فى تلك الشعوب والقضاء على المعنويات التى تعتبر من أكبر مقومات الأمم وأسمى مقدراتها ، فذلك فتح آخر بعيد عن الإنسانية ، بعيد عن الأخلاق المثالية ، بعيد عن كل ما تصبو إليه رسالة الإنسان فى كل عصر وجيل . ويقيننا أن هذا الليل وشيك الانصرام فلا بد أن تخرج المدرة من بين حب الحصيد ، ولا بد أن تنفرج لمة الظلام من جبين الصباح .

يا نائم الليل مغتراً بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

عباس طه

المحامى

---

# باب وصف الكتب

ضاق هذا الجزء عن باب وصف الكتب . وموعدنا به الجزء الآتى إن شاء الله .

# تعليقات

## معهد الرقص

نشرت الصحف أخيراً أن الوزير فتحي رضوان - يوم كان - سينشئ معهداً للرقص وأنه على وشك الظهور فى القاهرة . ونحن - إزاء مشروع كهذا - لا نستبيح السكوت عنه . وإن كنا لا نملك وقفه مهما كنا على حق فى إنكاره .

وإذا كان لبعض الهواة جهود ونشاط فى الترويج للرقص ، والعناية بإنشاء معهد له ، فلن يستطيع امرؤ منا أن يعتبر هذا المشروع سائغا من الوجهة الإسلامية ، أو يراه عملا أدبياً يتفق وتقاليدنا الشرقية ، أو يزعمه هدفا من الأهداف المشكورة التى تتجه إليها الثورة الرشيدة فى عهدنا الجديد : عهد البناء ، والتطهير ، والإصلاح الشامل .

وهل الرقص الذى يتهافت عليه أنصاره إلا تشجيع على المخالطة ، وانتزاع للحياء من الوجوه حتى يهون على الفتاة والمرأة وإن كانت مسلمة أن تخاصر زوجها أو الأجنبى عنها ، وتراقصه على مشهد من النظارة فى ظل هذا التشريع ؟ ثم يكون له من الأثر فى ضيعة الأخلاق ما يكون ، والحوادث شاهدة بذلك كل يوم ، وآخرها حادث الإسكندرية الذى تحدثت عنه الصحف منذ أيام قريبة .

إذا كان للتحلل والميوعة ، والاندفاع فى التقليد للغير أثر واضح فى الانحراف الذى نشهده فى بعض البيئات ، وينكره المجتمع الأغلب فلسنا على صواب إذا رضينا عن نشاط المجددين فى ابتكار هذه العوامل الهدامة للأخلاق ، وزحزحة الأمة عن خصائصها الموروثة ودفعها إلى مسايرة الغير فى مجال الإباحية .

والأمر بحاجة إلى التريث فى هذه الاتجاهات ، وإلى استغلال الفرص والإمكانيات

فى دعم الآداب ، وصيانة القومية من التلون بلون أجنبي عنها ولا يتمشى مع الطابع الشرقى الذى نذود عنه بأرواحنا وقوانا .

على أن الشخصيات النبيلة التى تتولى قيادتنا فى معترك الحياة لا تجنح إلى مثل هذا التقليد ولم نعرف عن واحد منهم ـ والحمد لله ـ أنه يراقص ، أو يستبيح الرقص لمن يعيشون فى ظله أو ينتمون إليه بسبب ، وهم قدوة لنا فى السير إلى الأمام .

قالوا فى ترويجهم للرقص ونحوه : إنها فنون جميلة ، وإن الفن هو حياة الشعوب ، ومظهر حضارتها ، فمعارضة الفن عندهم تعتبر جموداً وتخلفاً عن الإسهام فى الحضارة ، ونحن ـ رجال الدين ـ نبادر فنعلن إيماننا بالفن والترحيب به ، والدعوة إلى توسيع مجاله ، ولكنه الفن الإيجابى الذى ينفع ولا يضر ، ويبنى ولا يهدم ، ويشرف ولا يخزى ويخجل . نحن نؤمن بالفن الجدى لا بالفن الهزلى الذى يذهب بقيم الحياة .

وهل الفن إلا بهجة من بهجات الحياة ، وروعة من روعات الإبداع فى الصناعة ، وإبراز لما أودع الله فى الطبيعة من أسرار .

وهل الفن إلا عبقرية فى استخدام الطبيعة وتهذيبها وتجميلها حتى تكون مثار الإيمان بقدرة الله ، والاعتراف بنعمه ، والإقرار بأن الله صنع ما صنع فى ملكه ، ووهب الفنان عبقرية تكشف ما خفى على غيره من السمو والجمال ، وتتجه بالعقول إلى بارئ السموات والأرض الذى أبدع ما أبدع فى دنيانا ، لينعم الإنسان فى حياة هنيئة ، ويستجيب لدعوة الله التى تنبض بها تلك الحياة فى كل جانب من جوانب الكون ، وفى كل مظهر من مظاهر الكائنات ؟ ؟ .

والقرآن يحثنا على النشاط والإتقان ، ويدفع بنا دفعا قويا فى المجال العملى الفسيح : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها » ، « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » . « صنع الله الذى أتقن كل شىء » .

وهكذا نرى للفن شأنا فى نظر الدين ، ونسمع الدعوة إلى الفن فى أسلوب القرآن مما يطول بنا ذكره .

فغير صحيح أننا نعارض الفن فى ذاته ، بل نعارض الخطأ فى تطبيق الفن على كل ما يروقهم من ضروب الباطل . ونعارض النشاط فى ترويج الرذائل ، وهى فى غير حاجــــة إلى الترويج والتشجيع .

فمن الخير أن نعبئ الجهود كلها ، ونبذل النشاط كله فى نواحى الجد ، وأن نترك لغيرنا ما ألفوه من تقاليد مرذولة ، كما رسمت لنا الثورة وسارت بنا فى سبيلها الرشيدة .

وهذا هو ما نقف عنده وندعو إليه .

ولعلنا نسلم من غضبة عشاق الرقص ، ومن خصومه المسرفين فى تطوير الفنون بصفة الإطلاق والتعميم .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

## المدنية الحديثة



قال جودا أستاذ الفلسفة الانجليزية فى كتابه ( سخافات المدنية الحديثة ) :

وإن المدنية الحديثة ليس فيها توازن بين القوة والأخلاق . فالأخلاق متأخرة جداً عن العلم . ومنذ النهضة ظل العلم فى ارتقاء ، والأخلاق فى انحطاط . حتى بعدت المسافة بينهما « وبينما يتراءى الجيل الجديد للناظر فتعجبه خوارقه الصناعية وتسخيره المادة والقوى الطبيعية لمصالحه وأغراضه ، إذا هو لا يمتاز فى أخلاقه - فى شرهه وطمعه . وفى طيشه ونزقه ، وفى قسوته وظلمه - عن غيره . وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة . إذ هو لا يدرى كيف يعيش . وإن توالى الحروب العظيمة الهائلة دليل إفلاسه . وأنه يربى نشأه ليموت ، وقد خولت له العلوم الطبيعية قوة قاهرة ، لكنه لم يحسن استعمالها ، فكان كطفل صغير أو سفيه أو مجنون » . وقال : « إن فيلسوفا هنديا سمعنى أطرى حضارتنا بأن سائق سيارة قطع كذا ميلا فى الساعة ، وأن طائرة طارت من موسكو إلى نيويورك فى كذا ساعة فقال لى ذلك الفيلسوف الهندى : إنكم تستطيعون أن تطيروا فى الهواء كالطير ، وأن تسبحوا فى الماء كالسمك ، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون على الأرض » .

# الأدب والعلوم

## المجلس الأعلى للعلوم

صدر قرار جمهوري بإعادة تأليف المجلس الأعلى للعلوم بالجمهورية العربية المتحدة ، وهو يقضي بأن يكون رئيس المجلس من بين الوزراء ، ويضم وكلاء عشرة وزارات ، ومدير المركز القومي للبحوث ، وممثلا من كل جامعة ، وعضواً عن مؤسسة الطاقة الذرية ، واثنين عن مجلس إدارة الاتحاد العلمي ، وعشرة أعضاء من المتصلين بالبحث العلمي .

وسيمنح العضو المتفرغ بالمجلس مكافأة سنوية ١٨٠٠ جنيه ، وغير المتفرغ مكافأة حدها الأقصى ٦٠٠ جنيه .

## تشجيع البحوث العلمية

سيوزع مركز البحوث القومي في الجمهورية العربية المتحدة ثلاثين ألف جنيه في هذا العام على طلبة البحوث العلمية ، فيمنح كل باحث مائتي جنيه في السنة لإعانته على إتمام بحثه وتقديم نتائجه في أقرب فرصة .

ويتم اختيار الباحثين من خريجي الكليات العلمية العربية وفقاً لمشروعات بحوثهم ، ومن أهم شروطها أن يخدم البحث الاقتصاد العربي ، ويعمل على زيادة الإنتاج القومي .

وقدم حتى الآن ٨٥ بحثاً في مختلف فروع العلم والصناعة والزراعة . وينتظر أن تنتهي لجان قبول البحوث من اختيار ٦٥ بحثاً جديداً من البحوث التي قدمت إلى المركز .

## تشجيع التفوق في المدارس

أصدر وزير التربية والتعليم قراراً بتقديم منح مالية للمتفوقين في جميع مراحل التعليم ، تصرف لهم على أقساط شهرية . وبمقادير تحقق لهم متابعة دراساتهم ، كل حسب تفوقه . المنحة الأولى ١٢٠ جنيهاً للمستجدين في الكليات والمعاهد لمدة سنة إذا كانوا متفوقين في الثانوية العامة والثانوية الفنية وشهادات المعلمين والمعلمات أو في امتحانات النقل بالكليات والمعاهد بتقدير «ممتاز» أو حاصلين على ٨٥ ٪ من المجموع ، وللخمسة الأول من الثانوية الصناعية والزراعية .

المنحة الثانية ٨٤ جنيهاً للمتفوقين في الكليات والمعاهد إذا حصلوا على ٨٠ ٪ فأكثر ، وكذلك للناجحين في امتحان النقل .

المنحة الثالثة ٤٨ جنيهاً للحاصلين على ٨٥ ٪ فأكثر في امتحانات النقل بالكليات والمعاهد العالية .

المنحة الرابعة ٣٦ جنيهاً للخمسة الأوائل فى الإعدادية بالأقليم المصرى، وللثلاثة الأوائل بالأقليم السورى ، وللبنات حق استبدال المنحة بالالتحاق مجانا بالأقسام الداخلية بالمدارس الثانوية لمدة ٣ سنوات .

المنحة الخامسة الإعفاء من نفقات التعليم العالى ورسوم الكليات والمعاهد العالية لكل من حصل على ٧٥ ٪ فأكثر فى الشهادة الثانوية وما يعادلها .

## اتفاقنا الثقافى مع العراق

وقع السيد كمال الدين حسين فى بغداد نيابة عن الجمهورية العربية المتحدة الميثاق الثقافى العربى مع الجمهورية العراقية . وقد مثل العراق السيد هديب الحاج حمود وزير المعارف بالنيابة . وقال كمال الدين حسين : إن هذا الاتفاق حلقة من سلسلة الانتصارات التى حققها أبطال العراق يوم ١٤ يوليو ، وفى ثناياه معنى آخر غير مكتوب يشير إلى أنه ميثاق يجمع الأمة العربية كلها . وقد نص الميثاق على تنظيم التعليم فى ٣ مراحل على ما سبق لنا تفصيله فى حينه .

## أجهزة الطبيعة الذرية

وصلت إلى مصر أجهزة من ألمانيا تبلغ قيمتها ٣٠ ألف جنيه ، سيعمل عليها خمسة طلاب بحوث ، لإجراء التجارب الخاصة بالطبيعة الذرية فى المركز القومى للبحوث .

وسيشرف على هذه التجارب البروفسور الألمانى ستوفسكى ، الذى سيتقاضى مرتباً من هيئة اليونسكو يبلغ ٢٠٠ جنيه شهرياً .

## دراسات عليا للبترول

أنشأت الهيئة العامة للبترول معهداً عالياً للدراسات العليا لشئون البترول ، وقررت أن يكون مقره معمـل تكرير البترول فى السويس . ومدة الدراسة فى هذا المعهد سنتان ، وهى بالمجان لخريجى الجامعات ، وتشمل دراسة جيولوجيا البترول ، وهندسة إنتاجه ، وتكريره ، وكيمياء البترول ، والتشريعات البترولية .

## الانتساب للجامعات

بلغ عدد المنتسبين من شعبتى الآداب والعلوم ٣٨٥٢ طالباً وطالبة ، فقد قبل من القسم العلمى جميع المتقدمين من الحاصلين على ٥٠ ٪ فأكثر فى المجموع الكلى للدرجات وعددهم ٢١١٤ ، وقبل من القسم الأدبى الحاصلون على ٤٤ر١ ٪ من المجموع الكلى للدرجات وعددهم ١٣٧٨ . فالتحقوا بكليات الآداب والحقوق والتجارة .

# أنباء العالم الإسلامي

## تنظيم الحكم

في الجمهورية العربية المتحدة

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة التنظيم الجديد للحكم في الجمهورية العربية المتحدة . وهـذا التنظيم يوزع المسئوليات على ثلاث وزارات : الوزارة المركزية ، والمجلس التنفيذي لوزارة الإقليم المصري ، والمجلس التنفيذي لوزارة الإقليم السوري . وتتألف الوزارة المركزية - بعد رئيس الجمهورية - من اثنين وعشرين وزيراً في طليعتهم نواب الرئيس الثلاثة : السيد عبد اللطيف البغدادي ويتولى وزارة التخطيط والمشير عبد الحكيم عامر ويتولى وزارة الحربية والقيادة العامة للقوات المسلحة ، والسيد أكرم الحوراني ويتولى وزارة العدل . وفي الوزارة المركزية ثمانية وزراء من الإقليم السوري و ١٥ من الإقليم المصري . والمجلس التنفيذي لوزارة الأقليم المصري يتألف من ١٤ وزيرا ويرأسه السيد نور الدين طراف ، والمجلس التنفيذي لوزارة الإقليم السوري يتألف كذلك من ١٤ وزيرا ويرأسه السيد نور الدين كحالة ، وقد اختير فندق «هليوبوليس بالاس» في مصر الجديدة ليكون مقراً للوزارة الاتحادية وهو يحوي ثلاثمائة غرفة ، وفيه عدد من القاعات التي تصلح للاجتماعات . ومن الصدف أن طراز بنائه عربي .

## نظام اللامركزية الإدارية

تقرر العمل بنظام اللامركزية الإدارية ، بحيث يؤلف مجلس قروي لكل ثلاثة آلاف من السكان ، ومجلس بلدي لكل ١٥ ألفا من سكان المدن ، ومجلس المديرية بأعضائه المنتخبين والمعينين هو المجلس الموكل بكل عمل وكل إصلاح في لا مركزية مطلقة ، والمحافظ هو المسئول عن نشاط هذا المجلس أمام رئيس الجمهورية مباشرة .

## السد العالي

اتفق المشير عبد الحكيم عامر مع الرفيق خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي على أن يقدم الاتحاد السوفيتي إلى الجمهورية

العربية المتحدة ٤٠٠ مليون روبل للساهمة فى تمويل إنشاء السد العالى ، وذلك على شكل قرض يبدأ سداده بعد أن ينتهى المشروع ويأتى بثمراته كاملة . وسيكون تقديم القرض معدات وآلات مما يحتاج إليه فى إقامة السد .

إن احتياجات الرى للماء تقدر فى الوقت الحاضر بحوالى ٥٢ ملياراً من الأمتار المكعبة سنويا لمصر ، وبنحو ٣ر٥ مليار للسودان . وإيراد النيل من المياه متذبذب : يرتفع فى أحد الأعوام إلى مايزيد عن الحاجة وينخفض فى معظم الأعوام إلى درجة تضر بالزراعة ، وفى الحالتين فإن كميات عظيمة من مياه النيل تذهب فى البحر كل عام . وقد سبق معالجة ذلك بطريقة « التخزين السنوى » بإقامة خزان أسوان وخزان جبل الأولياء ، فأفاد فائدة محصورة بالقدر المزروع الآن من الأراضى ولمدة السنة فقط . ويراد الآن من السد العالى الإفادة فى توسيع مساحة الأراضى الزراعية بما يتناسب مع زيادة السكان . وأن يكون التخزين « تخزيناً دائما » ، فجعل تصميم السد العالى على أن يكون حجمه معادلا لحجم الهرم الأكبر ١٧ مرة ، ويبلغ حجم الهرم الأكبر ٢ر٥ مليون متر مكعب ، فالسد العالى سيمكن مصر من توسيع أراضيها الزراعية ٢ مليون فدان ، وسيضمن احتياجات الرى لجميع الأراضى المنزرعة - الحالية والمستجدة - فى جميع السنين وسيحسن صرف جميع الأراضى الزراعية بما يزيد غلتها سنوياً بحوالى ٢٠ ٪ ، وسيضمن زراعة ٧٠٠ ألف فدان أرز سنوياً ، ويقى البلاد وقاية كاملة من غوائل الفيضانات العالية وسيحسن حالة الملاحة النيلية ، وستتحسن به اقتصاديات مشروع كهربة خزان أسوان الحالى بما يضاعف من الطاقة الكهربائية للمحطة ، وسينتج طاقة كهربائية تقدر بنحو ١٠ مليار كيلوات ساعة فى السنة ( أى حوالى عشرة أمثال الطاقة التى تستغلها البلاد فى الوقت الحاضر ) مما يساعد على إقامة صناعات جديدة وزيادة انتاج مصنع السماد ، ويوفر حوالى مليونى طن مازوت سنويا ، ويزيد الدخل السنوى للحكومة بمبلغ ٢٢ مليون جنيه ، كما يزيد الدخل القومى السنوى بمبلغ ٢٥٥ مليون ج وسيتمكن السودان من توسيع زراعته بضعف المساحة المنتفع بها فى الوقت الحاضر ويضمن احتياجات الرى لجميع الأراضى المزروعة ، وسيتوسع فى زراعة القطن طويل التيلة ، ويزيد الدخل السنوى للحكومة والدخل القومى من الزراعة بحوالى ٢٠٠ ٪ ، وسينتفع بالسدود التى ستقوم الحكومة السودانية بإنشائها ، ويمكن ملء الخزانات التى تقيمها حكومة السودان من المياه الرائقة نسبيا مما يطيل فى عمرها .

## فى جامعة الدول العربية

فى يوم ١٧ ربيع الأول ( أول اكتوبر ) عقد مجلس الجامعة العربية أولى جلساته لإعلان انضمام المغرب وتونس إلى الجامعة ، وقيام جمهورية الجزائر ، وكانت من الجلسات المشهودة فى تاريخ الجامعة ، وبعد انتهاء رؤساء الوفود من إلقاء كلماتهم نهض رئيس وفد المغرب فهز المجلس بكلمة خطيرة قال فيها : كنا دولة محتلة فلم نتمكن من الالتقاء مع أشقائنا فى جامعتنا قلب الأمة العربية ، والآن أتيناكم لنضع مشاكلنا أمامكم . إنه لا تزال فى المغرب جحافل من جيوش المستعمرين الغاشمين : إن صحراء المغرب لم تتحرر بعد ، والحدود المغربية لم تعين معالمها ، ونحن مستعدون للوفاء بميثاق الجامعة ، وتحمل كل التبعات والالتزامات ، لنساهم جميعا فى حل مشاكل العرب التى هى وحدة قائمة لا انفصام لها ، وإن المغرب يعتبر استقلاله ناقصا ما دامت جيوش فرنسا تحتل الجزائر ، ولا نعتبر استقلال المغرب تاما إلا باستقلال الجزائر ، وسنعمل معكم لنصل إلى غايتنا الكبرى .

ولم يشترك وفد تونس فى هذه الجلسة ،

وتلقى أمين الجامعة برقية بعيدة الأهداف من ملك المغرب جوابا على برقية تهنئة بانضمام المغرب إلى الجامعة ، وأرسل السيد أحمد عبد السلام بلافريج رئيس حكومة المغرب برقية شكر على ما أبداه مجلس الجامعة العربية من عواطف كريمة نحو المملكة المغربية وشعبها .

وفى يوم ٢٧ ربيع الأول ( ١١ اكتوبر ) انعقد مجلس الجامعة العربية للترحيب بانضمام تونس للجامعة ، ففوجئت وفود الدول العربية بهجوم مندوب تونس على الجمهورية العربية المتحدة مرددا الاتهامات التى يروجها أعداء العروبة من باريس ولندن ونيويورك فاضطر وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى الانسحاب من الجلسة احتجاجا ، وثارت جميع وفود الدول العربية على وفد تونس الذى عكر جو الجامعة العربية . ووجه رئيس مجلس الجامعة (وهو فى هذه الدورة رئيس الوفد السعودى) اللوم إلى مندوب تونس على موقفه وقال : إن هذه سابقة لم تحدث من قبل ، وبعد انسحاب وفد الجمهورية العربية المتحدة طلبت وفود الدول العربية من رئيس وفد تونس أن يعتذر ، فأجاب بأن ما صدر عنه كان بتعليمات وردت إليه من حكومته ، وأن نص خطابه أرسل إليه من بورقيبة .

وقد تبين أن الذى حمل بورقيبة على ارتكاب هذه الحماقة سبب شخصى وهو لجوء الزعيم التونسى السيد صالح بن يوسف إلى مصر

وكان نائب بورقيبة ثم اختلف معه فحكم عليه بالإعدام ، وسبب سياسى وهو أن بورقيبة يؤمن بالميول الغربية ، وهو مصمم على السير فى موكب السياسة الفرنسية والأمريكية ، وهكذا قطع بورقيبة أواصر العروبة بينه وبين جامعة الدول العربية والقومية العربية .

وفى شهر ربيع الأول ( ١٣ اكتوبر ) عقد مجلس الجامعة العربية جلسة علنية حضرها جميع مندوبى الصحف ووكالات الأنباء ، واتخذ فيها - بالإجماع - قرار تاريخى باستنكار كلام وفد تونس وشطبه من محضر الجلسة التى ألقى فيها واعتباره كأن لم يكن ، وإبلاغ وفد الجمهورية العربية المتحدة هذا القرار ودعوته لاستئناف مشاركته فى جلسات المجلس وأعماله .

وقد كان وفد المغرب من أشد الوفود العربية استنكارا لموقف تونس ، وألقى رئيسه كلمة رائعة كانت موضع الاستحسان من حكومته ، وأذاعتها محطة إذاعة الرباط ثلاث مرات فى يوم واحد .

ومن العجيب أن يحمل بورقيبة كل هذا الحنق على لجوء مواطن له من أكرم المواطنين التونسيين إلى مصر . مع أن بورقيبة نفسه كان لاجئاً فى مصر مدة طويلة ، وقامت له مصر بالإكرام الذى تراه واجباً عليها لكل سياسى عربى يتخذها وطناً له كوطنه ، وان فرنسا نفسها على غطرستها كانت أقل من بورقيبة حنقا على مصر بسبب هذه السياسة الطيبة الكريمة .

## انسحاب أمريكا من لبنان

فى يوم ١٥ ربيع الآخر ( ٢٥ أكتوبر ) تم جلاء جميع القوات الأمريكية عن لبنان . وكان مقرراً أن يكون الانسحاب فى آخر أكتوبر فتم قبل موعده بستة أيام . وقد جرت عملية الانسحاب سراً فى الصباح المبكر على ست سفن بحرية وعدد من الطائرات تحمل آخر دفعة من جنود المظلات إلى ألمانيا الغربية . وعند الظهر غادر بيروت الجنرال أدامز القائد العام لتلك القوات يرافقه مساعدوه العشرة . ولم يعلم بإتمام الانسحاب قبل موعده المقرر سوى الرئيس اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية ، ولم يبق فى بيروت إلا عشرة ضباط لتصفية المسائل الإدارية على أن يرحلوا آخر الشهر المقبل .

## الجلاء عن الأردن

فى ١٩ ربيع الآخر ( ٢٩ اكتوبر ) تم انسحاب القوات البريطانية بأكملها من الأردن وقد تولى الجيش الأردنى إنزال علم بريطانيا من المطار فور جلاء آخر جندى انجليزى عن البلاد ، وكانت قوة جنود المظلات البريطانية مؤلفة من ثلاثة آلاف جندى بقيادة

البريجادير توم باسون الذى رحل على طائرة نقل من طراز فاليتا ، وقد ظلت عملية نقل هؤلاء الجنود بطريق الجو تجرى بصفة مستمرة مدة خمسة أيام ، وقامت طائرات النقل بتسعين رحلة إلى قبرص مارة فوق الأراضى السورية بإذن من الجمهورية العربية المتحدة .

## تسليح إسرائيل

أعلن فى لندن رسمياً أن بريطانيا باعت لإسرائيل غواصتين حمولة كل منهما ٧١٥ طناً وهى فوق الماء و ١٠٠٠ طن وهى تحت الماء ، وقد صنعتا بين سنة ١٩٤٢ و ١٩٤٥ . وقد سلمت أولاهما لإسرائيل وأطلقت عليها اسم « تنين » أى « التمساح » ، والأخرى فى مالطة اسمها « سانجوين » . وقد حصلت إسرائيل من بريطانيا على أسلحة تقدر قيمتها بخمسين مليوناً من الجنيهات منذ قامت ثورة العراق فى يوليو هذا العام حتى الآن . وهذا غير ما حصلت عليه من أمريكا وفرنسا أخيراً ، ويقدر ما تسلحت به إسرائيل بين سنة ١٩٤٩ و ١٩٥٧ بما يوازى ٧٠٠ مليون دولار .

وقد اعتبرت الدوائر المسئولة فى مصر هذه الخطوة الجديدة من بريطانيا على الخصوص عملا شديد الخطورة ضد القومية العربية ، وأنه لا يمكن السكوت عليه مهما كانت الأحوال ولا بد من مواجهته برد فعل إيجابى .

وقد دلت مراقبة الحال فى إسرائيل على أنها تقوم بحشود وحركات عسكرية ترمى من ورائها إلى ضم القسم الغربى من الأردن عند سنوح أول فرصة ، بعد انسحاب القوات البريطانية من الأردن ، ولما كان ذلك مما يستحيل أن تقف القومية العربية تجاهه وقفة المتفرج فقد جرت مشاورات عربية مهمة وضعت فيها الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية سياسة مشتركة لمواجهة تحركات إسرائيل ، وإن أية محاولة من جانب إسرائيل لاحتلال الضفة الغربية من نهر الأردن ستدفع الجمهورية العربية للعمل فوراً . ولن يقف العراق موقفاً سلبياً من إسرائيل اليوم كما وقف أيام نورى السعيد عند وقوع العدوان الثلاثى على مصر . فالحالة الآن فى هذه البقعة من الشرق العربى رهن بما يصدر عن إسرائيل من اتجاه بعد أن غمرها الغرب بهذه المقادير من الأسلحة التى تعتبرها القومية العربية خطراً موجهاً إليها بالذات ، والمسئول عن ذلك أولئك الذين يقفون من وراء إسرائيل ويمدونها بما قد يفقدها العقل والبصيرة .

## من نتائج العداء القائم

قال وزير المستعمرات البريطانى مستر لينوكس بويد ، فى خطاب ألقاه فى مؤتمر المحافظين يوم ٩ أكتوبر : إن عداء الجمهورية العربية المتحدة التى يرأسها الرئيس جمال عبد الناصر قد خلق حاجزاً جوياً فى الشرق الأوسط يمكن أن يؤثر فى مؤننا ومواصلاتنا إلى الشرق الأقصى .

## انقلاب عسكرى فى باكستان

وقع فى يوم الأربعاء ٢٤ ربيع الأول (٨ أكتوبر) انقلاب عسكرى فى باكستان ألغى فيه الدستور القائم ، وأقيلت حكومة فيروزخان نون المركزية وباقى الحكومات الإقليمية ، وحل المجلس التشريعى الوطنى والمجالس الإقليمية ،وحلت الأحزاب السياسية ومنعت اجتماعاتها ، وألغيت الانتخابات التى كان مقررا أن تجرى فى فبراير القادم .

وأظهر مافى هذا الانقلاب تولى الجنرال محمد أيوب خان — قائد الجيش الباكستانى — منصب الحاكم العسكرى العام . وقد أعلن أن الانقلاب موجه إلى السياسيين الذين اتخذوا من الحكم وسيلة للتجارة فى السوق السوداء ، وكانوا يسيرون بالبلاد إلى الهاوية ، وأنه ضد عملاء الاستعمار الذين كان غرضهم الأوحد إرضاء المستعمرين على حساب مصلحة البلاد ، والعناصر التى تعمل على إيجاد سوء التفاهم بين باكستان ودول أخرى كالجمهورية العربية المتحدة والهند والصين والاتحاد السوفيتى ، كما أعلن رغبة هذا الانقلاب فى إقامة علاقات ودية مع جميع الدول ، والاستمرار فى تنفيذ التزامات باكستان الدولية .

وأذاع بياناً قال فيه : « إنه لابد من إعلان حالة الطوارى ، لأن ساسة تافهين قد خلقوا فوضى إدارية واقتصادية وسياسية وأخلاقية شاملة » .

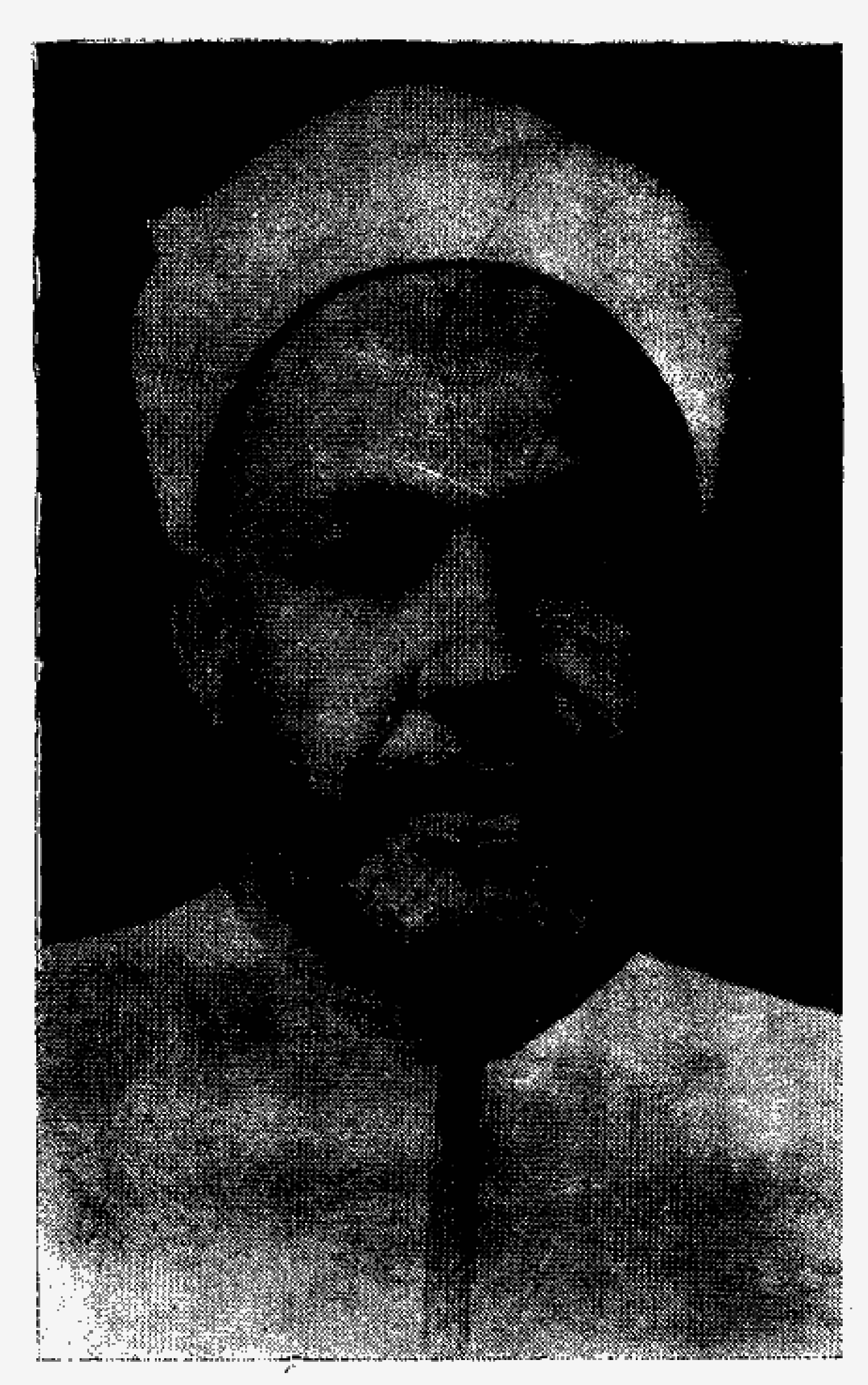
وفى صباح الاثنين ١٤ ربيع الآخر (٢٧ أكتوبر) تنازل اسكندر ميرزا عن رياسة الجمهورية الباكستانية خدمة للمصلحة العليا فى البلاد ، وسافر فورا بالطائرة إلى مدينة كويتا بالقرب من الحدود الأفغانية ثم إلى لندن .

وباشر فى صباح اليوم التالى الجنرال محمد أيوب خان مهام منصبه الجديد رئيسا للجمهورية ورئيسا للوزارة ووزيراً للدفاع وحاكما عسكريا عاما ، وكان أول قرار اتخذه بعد ذلك إخراج ثلاثة من كبار الموظفين المدنيين وتعيين ثلاثة من العسكريين بدلهم نوابا للحاكم العسكرى .

وأعلن الحرب على الفساد والرشوة والاختلاس وتقول اليونيتدبرس إن ما يقدر بملايين الروبيات من الأقمشة المهربة والحبوب الغذائية أعلن التجار وجودها خوفا من الإنذار الذى وجهته الحكومة لمن لا يبلغ عن هذه البضائع

والجنرال محمد أيوب مولود فى منطقة الحدود وتلقى دراسته فى جامعة عليكره الإسلامية ، ثم تلقى دراسته العسكرية فى كلية ساندهرست الحربية بانجلترا . وقبل ثلاثين عاما عين ضابطا فى جيش بلاده . وتدرج فى مراتب القيادة إلى أن عين قائدا للقوات الباكستانية الشرقية وهو من عشر سنوات برتبة لواء . وهو أول قائد عام للجيش الباكستانى تولى وزارة الدفاع ولاشك أنه الآن فى أعظم امتحان تعرض له فى حياته ، فإن أحسن النجاح فيه بحكمة وإخلاص أوشك أن يكون من رجال التاريخ .

# الفهرس



## قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم ١٥٣٣ لسنة ١٩٥٨ بتعيين وكيل للجامع الأزهر والمعاهد الدينية

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له

قـــرر

المادة الأولى : عين السيد الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن عضو جماعة كبار العلماء وكيلا للجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

المادة الثانية : على وزير الدولة تنفيذ هذا القرار .

صدر برئاسة الجمهورية فى ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ — ٦ ديسمبر سنة ١٩٥٨

جمال عبد الناصر

# تهنئة وأمل

« إلى فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر »

---

نشأت في الأزهر فكان وطنك ومسجدك ومدرستك ، فاضت عليك منه الروح الوطنية والقومية العربية ، وأوذيت في سبيل ذلك حينما كانت يد الاستعمار في البلد ذات بطش شديد ، وجمعت إلى ذلك عبادة ربك وتبتلك إليه تبتيلا ، أما مدرسته فقد كان يشع منها نور على نور ، ولا يزال في ازدياد بمزيد من جدك ونشاطك ، وسهرك في التحصيل والدرس ، ولازمك التوفيق حتى لمع اسمك على رأس الناجحين ، وزها نجمك بين الخريجين فتحملت حينئذ نصيبك من المسئولية في التعليم . فكنت حقا آية في علمك وتعليمك ، ونبراسا في فهمك وتفهيمك ، ومثلا لأبنائك يحتذى في الخلق الكريم .

وكان ولا يزال الدرس عملك بل أحب الأعمال إليك ، إلى أن سعى إليك وأنت فيه هذا المنصب الجليل ، وليس هو بالنسبة إليك بالمنصب الجديد فقد شغلته قرابة عامين ، ولكنك لما رأيت ظلم الظالمين أبيت إلا أن تضحي بمنصبك الغالي في سبيل تمسكك بالمبدأ العالي - لا أظلم ولا أتعاون مع الظالمين - واستقلت محتفظا بكرامتك ومبادئك .

وكأن الله قد أطلعك على الغيب ، فطهرت نفسك وصنتها من أدران هذه الحقبة السوداء التي مرت بالأزهر فأحالت نهاره الأبيض ليلا ناحم السواد ، وأشاعت فيه الظلم والفساد ، وحسب هذه الحقبة أن أبعد فيها عن الأزهر أبناؤه الغرالميامين ، كل ذلك قد كان بعمل المسئولين في الأزهر تارة وبعلمهم تارة أخرى ، إلى ما كان من ضياع العلم ، وضعف الدين في سبيل المنصب الذي نبذهم واستحقوا على هوانه حرمانهم وجزاءهم ( إن ربك لبالمرصاد )

أي وكيل الأزهر : لا جديد في منصبك إلا أن الله قد هيأ لك معه اجتماعك مع صديقك السابق ( الشيخ شلتوت ) لتتحملا معا المسئولية في الأزهر .

وكلا كما يقدر أخاه ، ويعلم حرصه على نشر العلم غزيرا ، وغيرته على رفعة الدين وعزته ، وتقديره للأزهر ومكانته ، وكلا كما قدير على تحمل أعباء ذلك ، فإلى

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء السادس ـ القاهرة : جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ ـ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٥٨ ـ المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

من إلهامات السد العالى :

## العروبة تكبح جماح النيل

عشنا مع الترك العثمانيين ردحاً من الزمن ، كانوا يسمون فيه هذا الجزء العزيز من الوطن العربى : « الإيالة المصرية » ، وكانت الإيالة المصرية فى عهدهم مباءة الفقر والفوضى والحرمان ، ومسرحاً للأدب الناعس ، والعلم المتحجر ، والكدح العقيم .

ثم عشنا مع ربيبهم محمد على وسلالته الضالة ردحاً آخر من الزمن ، كانوا يسمون فيه هذا الجزء المغبون من الوطن العربى : « القطر المصرى » ، وكان القطر المصرى فى ظلال حكمهم حقلا لهم وللمتآمرين معهم من الأغيار والانتهازيين ، يعمرونه على قدر حاجتهم إلى استغلاله فى شهواتهم ومآربهم ، ويوجهون أهله نحو الانسلاخ عن عروبتهم وسجاياها ، وعن إسلامهم وأخلاقه وحيويته ، بما يلقون إلى أبنائهم من فتات العلم الاستعمارى ، وبما يزينون لهم من مظاهر الحضارة الماجنة وأكاذيبها .

ثم بعث الله فينا هذا الرجل الموهوب من بنى قرة فى أرض الصعيد الطيب ، فهتف بمصر : إنك عربية ، لا شرقية ، ولا غربية . وهتف بالعروبة : إنك من معدن كريم للحق

والخير ؛ وقد كانت ثورة سلفك الأول لجة النور فى عصور الظلمات ، وبدعوتهم المباركة أشرقت الأرض بنور ربها ، وما كان لذلك النور أن يضعف إلا بأن تنامى ، وقد نصبت الشعوبية حبائل سحرها من كل نوع لتنامى ، فنمت عن رسالتك ألف سنة أو تزيد ، وآن لك اليوم أن تستيقظى ليبعث الله فيك حيويتك الممتازة ، وإشراقك المتألق . ولتستأنفى القيام برسالتك العظمى كعهد التاريخ بها أول مرة ، فتتحول « الإيالة المصرية » . ويتحول « القطر المصرى » ، ويتحول كل وطن للعروبة والإسلام . إلى ينبوع من فيض الحق والخير تتحطم من حوله حواجز الأوهام التى أقامها الشعوبيون وأعداء العروبة - فى مئات السنين الماضية - ولا يزالون يقيمونها عبثاً بين مصر وسائر الناطقين بالضاد . وسيعترفون بفشلهم الذريع كلما رأوا صورة هذا الرجل الموهوب من بنى قرة تبتسم لإخوانه العرب والمسلمين فى كل مكان ، وكلما سمعوا صوته الجهورى يجلجل على موجات الأثير فى جميع آفاق الأرض بالثورة على الباطل والشر ؛ وهذه مصر تحتل بدعوته قلوب العرب والمسلمين جميعاً . مما لا عهد للتاريخ بمثله ، ومما لم تكن دون الأرض تتوقع حدوثه - إلى ما قبل سبع سنوات - ولا فى المنام . .

إن العروبة التى هتف بها هذا الجندى العربى الموهوب ، قد تحول بها ما كنا نسميه « القطر المصرى » إلى ينبوع متدفق من قوة القلوب العربية فى آسيا وإفريقية . يوشك أن يجعل من هذه القومية العربية العظيمة دولة عربية عظيمة . تخفق قلوب أبنائها جميعا بالقوة والعزة والرحمة والخير من أدنى الأرض إلى أقصاها ، وتنبض ذرات أرضها بالثروة والبركة والرزق الحلال الطيب لكل من يبذل فى سبيله عمـلا صالحا طيبا . وتفيض آلاء الله فى أرجائها بكل ما تدره هذه الآلاء الإلهية من أسباب النعيم المقيم .

أكتب هذه الكلمة بعد حلم عميق سرحت فيه متفيئاً ظلال السد العالى ، وظلال ما يمكن أن يقوم - فى سيح مائه المدخر - من جنان وأفنان ، وبنيان وعمران ، فى عشرات السنين الآتية . وقد لا يمتد بى العمر حتى أرى ذلك بنفسى ، فمن الله على بتصوره فى أحلامى كما لو كنت من شهود كماله وجماله ، مقارنا بينه وبين مصر الأمس يوم كانت تسمى « الإيالة المصرية » ، ومصر التى كانت بعدها أيام كانت تسمى « القطر المصرى » .

هـذه مصر الغد مجلوة أمام عينى كالعروس بكل محاسنها ، إنها تتمطى بصلبها عن يمين وشمال : إن رمالها التى كانت تنبسط فى شرقها إلى بحر القلزم يوشك أن تتحول إلى مدائن

وثغور، وإلى طرق بينها معبدة تمتد فيها شرايين المواصلات بمصنوعات المصانع من كل نوع فى الأرض ، وتقوم على سيف بحرها ثغور المصايف والمتاحف ، ومدن السياحة والسباحة ، ومرافئ المصايد وموانئ التصدير ، تغشاها أساطيل السفن التجارية خفافا عيابها ، وتبحر منها بجر الحقائب إلى سواحل باكستان والهند وأندونيسيا والصين وسائر الثغور الآسيوية شرقا ، وإلى سواحل الصومال وأرتيريا والحبشة وسائر الثغور الإفريقية غربا . أما رمال مصر التى كانت تنبسط فى أعماق غربها إلى المحاريق والواحات وباريس المصرية ، وإلى البويطى والفرافرة وعين دلة ، وإلى وادى النطرون فالضبعة ومرسى مطروح ، ثم إلى منخفض القطارة وسيوة ؛ إن هذه الرمال التى تموج كالبحار وراء شطآن النيل والشريط الأخضر من منطقة نشاط مصلحة الرى شرقا وغربا ، يوشك إذا قام السد العالى وأدى مهمته فى الرى والصرف أن تدب الحياة فى تلك الرمال إما بتوزيع المياه عليها بالعدل والقسطاس فى نظام الرى الجديد بعد السد العالى . أو باستنباط المياه الجوفية بالطرق الحديثة على ما يرجى اتباعه فى آفاق العريش ، وحينئذ تزدان هذه القفار بما يشمخ فيها من المبانى والمصانع . وتعم أرجاءها الخضرة والحيوية والبهجة والخصب ، وتترنح بنسيمها العليل عذبات الأغصان فى الغابات الكثيفة والحدائق الغناء فى كل مكان .

كل ذلك يرجى أن يكون يوم تنتهى العروبة من كبح جماح النيل ، وتطويعه لمصلحة القومية العربية ونمائها وعظمتها وسعادتها .

إن فى إقامة السد العالى ، والتمكن من ادخار الجامح من مياه النيل الضائعة ، معنيين من المعانى الإسلامية : أحدهما الشكر العملى لله عز وجل على هذه النعمة ، نعمة النيل ، ومن شكر الله سبحانه على أية نعمة القيام بحفظها ، وحسن استعمالها ، فى كل ما يدنى الإنسانية من أهداف الخير وأسباب القوة والسعادة . والمعنى الإسلامى الثانى فى إقامة السد العالى التوبة إلى الله من التفريط السابق فى هذه الثروة ، ووضع حد لما كان من التبذير والإسراف فى ترك هذه النعمة تذهب إلى البحر المالح سدى ، مع إمكان الضن بها ، وحفظها لاستعمالها فيما يزيد هذا الوطن الإسلامى قوة وثروة ونعمة ورزقا . وقد سبق لى التحدث إلى قراء هذه المجلة فى افتتاحية جزء صفر سنة ١٣٧٣ عن القوى الضائعة فى مصر ، وأولها هذا النيل الأعظم . هبة الله الكبرى لهذا الوادى ، وقلت يومئذ : إن من نظام الإسلام الاعتدال والاقتصاد وتجنب السرف والتبذير فى كل ما ينتفع به . ومما علمه الإسلام للمسلمين أن المتوضئ إذا كان

يتوضأ من النيل الأعظم ينبغي له ألا يسرف فى الماء ، لاخوفا على ماء النيل أن ينقص ، بل خوفا على المسلم أن يتعود التبذير والسرف ، وأن يكون بالتبذير من إخوان الشياطين . ومن العجيب أن يكون هذا تعليم الإسلام للمسلمين ثم نكون جميعاً مسرفين على أنفسنا فى كل شىء ، ونضيع مالو حفظناه وأحسنا القيام عليه لكنا من أقوى الأمم . بل أقوى الأمم .

إذا وفقنا الله إلى إقامة السد العالى ، وبدأنا نجنى ثمرات هذا العمل العظيم فى عشرات السنين الآتية ، فإن ذلك سيكون حداً فاصلا بين مصر الصغيرة ومصر الكبرى . بين مصر التى كان تعداد سكانها فى عهد محمد على مليونين ، ثم صارت فى الحرب العالمية الأولى أربعة عشر مليونا ، ثم بلغت فى الحرب العالمية الثانية عشرين مليونا ، وبين مصر التى تستطيع فى نظام الرى بالسد العالى أن تعول أربعين مليونا إلى خمسين مليونا . هذا فى الإقليم الجنوبى من بلاد الجمهورية العربية المتحدة ، فكيف بنا إذا سلكنا هذه الطريق فى إقامة السدود واستنباط المياه وتنظيم الرى وتوسيع التصنيع فى الإقليم الشمالى ، ولا سيما فى مستقبله القريب عندما يتم للعروبة فقء الدمل الخبيث الذى أحدثه الاستعمار الأجنبى فى ناحية عزيزة مقدسة من جسم الوطن العربى العظيم والكيان الإسلامى الأكبر . . . .

نحن على أبواب تطور ننتقل به - إن شاء الله - من كيان ضعيف مشتت ، إلى كيان عظيم متين تحترمه الدنيا وتهابه . وليس الذى أتحدث عنه وهماً ولا خيالا ولا من كواذب الأمانى ، ولكنها البوادر تلوح من وراء سجف الغيب ، بقدر ما يراها المؤمن ببصيرته حتى كأنه يلمسها ، أو كأنها تمشى مقبلة وهو يسمع وقع أقدامها ...

هذا الحد الفاصل بين كياننا الصغير الذى مضى ، وكياننا العظيم الذى يوشك أن يكون ، يهتف بنا بأمور أخرى بعد الهتاف الذى سمعته مصر وسمعته العروبة من صوت رجلنا الموهوب جمال عبد الناصر منذ نحو سبع سنوات إلى الآن .

إن الهاتف الذى يهتف بنا من وراء سجف الغيب لمناسبة هذا التطور الذى نتوقع به الانتقال من الكيان الصغير كيان « القطر المصرى » إلى الكيان الكبير « كيان القومية العربية » ، ينبغى لنا أن نصغى إليه بنفوس مؤمنة ، وقلوب طاهرة ؛ لأن الهاتف هاتف غيب ، والإصغاء إليه ضرب من ضروب العبادة ، وطهارة القلوب من أول شروطها .

الأخلاق التى كنا عليها يوم كنا سكان « القطر المصرى » لا تصلح لأن نبقى متخلقين بها يوم يتم الله علينا نعمته ببناء السد العالى . إن كياننا بعد انتهاء السد العالى سيكون أضخم وأعظم من أن نحمله بأخلاق سكان القطر المصرى .

إن إخلاص هذا الرجل الموهوب الذى يقودنا فى حركة الانتقال من الكيان الصغير إلى الكيان الكبير ، يرتب علينا واجباً له ولنا أن نكون مخلصين للمعانى العالية والتوفيقات الإلهية أكثر مما كنا عليه ونحن فى كياننا الصغير الماضى .

أرأيت لو كنت ساكنا شقة متواضعة فى حى متواضع ، ثم كبر أولادك وصارت لهم مناصب رفيعة أو ثروة تجارية أو صناعية كتب الله لهم فيها التوفيق والنجاح ، هل تبقى وأولادك فى شقتك المتواضعة ، من ذلك الحى ، أم تنتقلون إلى منزل أوسع فى صقع أكرم ؟ وهل تنتقلون إلى المنزل الجديد بالأثاث الرث الذى كان لكم فى الشقة البالية ، أم تجددون أثاث منزلكم الجديد بما يليق بكم وبه فى حياتكم الجديدة الكريمة ؟ .

لما سافر الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة ١٣٢١ وألقى فيها تفسيره لسورة العصر ، قال للذين حضروا ليودعوه : إنى ذاهب إلى الجزائر لأجدد نفسى . والذى يذهب إلى الحج وينخلع من ثياب الحضارة الكاذبة ويهتف بكلمة « لبيك اللهم لبيك » يعاهد بذلك ربه على التوبة مما سلف من كل عمل غير صالح ، ويجدد حسابه مع الله بحياة جديدة تليق بمن كتب على نفسه التوبة من كل ما سلف منه فى حياته السابقة . وهذا النوع من تجديد النفس يستشعر به صاحبه الراحة من أعباء معنوية كانت تثقل كاهله فيلقيها وراء ظهره ، ويبدأ بسيرة جديدة نظيفة تليق بحياته الجديدة النظيفة .

هذا المعنى فى تجديد النفس ، وبدء حياة جديدة عند الانتقال من طور فى الأمة عن عليه القدم إلى طور آخر لها يختلف عن الطور السابق ، هو الذى كان يشعر به أصحاب رسول الله عند ما يدخلون فى دين الله ، وهذا التجديد العملى فى الحياة كان يؤهلهم ليكونوا عظماء فى كيانهم الجديد بما لم يكن يخطر على بالهم لما كانوا فى كيانهم القديم . لقد كانوا عند الانتقال من كيانهم الأدنى إلى كيانهم الأعلى يشعرون بما يترتب عليهم من أعباء جديدة للحياة الجديدة فيوطنون النفس عليها ويؤدون لها ما يشعرون به من ضريبة التضحية ، فيكافئهم الله عليها بعشرات أضعافها من ارتفاع مستواهم ، وارتقاء أخلاقهم وفضائلهم وسجاياهم ، إلى أن

يكونوا من عظماء الدنيا . مثال ذلك قبيلة مزينة التي كان منها زهير بن أبي سلمى وابناه بجير وكعب ، وحفيداه عقبة والعوام ، ومن نوابغهم معن بن أوس ، ثم كان منهم أذكى أذكياء الدنيا القاضي إياس بن معاوية . هذه القبيلة كانت منازلها في جنوب المدينة على جانبي الطريق إلى مكة . فلما أراد الله لهم الخير عقب الهجرة المحمدية فوعوا مرامي الإسلام ، كان أول ما يترتب على دخولهم فيه أن يساهموا في حمل أعبائه بأموالهم وأنفسهم . إلا أن السماء كانت في ذلك العام ضنينة على منازل مزينة بالغيث والخصب . فتقدم رجال منهم على رسول الله يبذلون له أنفسهم ، ويعتذرون عن البذل من أموالهم ، لأنهم لا أموال لهم يومئذ يتصدقون من فضلها . إلا رجلا منهم هو النعمان بن مقرن المزني فإنه وحده كان يرى أن الجود لا يكتفي أن يكون من الموجود ، بل يجب أن يكون بكل الموجود . فلما أراد هو وستة من إخوته أن يقدموا أنفسهم لله ورسوله خجلوا من الله ورسوله أن يأتوا المدينة بأيد فارغة ، فجمع النعمان ما كان حول خبائه وأخبية إخوته من غنيمات ، وساقها بين يدي رهط من قومه جاءوا المدينة ، ولقي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل فيه قول الله عز وجل من سورة التوبة : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ، ألا إنها قربة لهم ، سيدخلهم الله في رحمته . إن الله غفور رحيم » . إن هذه الغنيمات لا تكاد تنفع الدعوة الإسلامية بشيء ، غير أنها كل ما كان يملك النعمان ابن مقرن وإخوته الستة ، فلما اتخذوها قربات عند الله وصلوات الرسول كان ذلك دليلا على أنهم تقربوا قبلها بقلوبهم وجميع مواهبهم لله ، فكان ذلك في تاريخ الدعوة الإسلامية شيئاً عظيما . قال عبد الله بن مسعود : « إن للإيمان بيوتا وللنفاق بيوتا ، وإن بيت بني مقرن من بيوت الإيمان » . وفي يوم الخندق وهو من أيام الشدة في الإسلام ناط النبي بكل عشرة من الصحابة حفر أربعين ذراعا من الخندق ، وكان النعمان بن مقرن يحفر مع تسعة آخرين في البقعة التي ظهرت فيها صخرة بيضاء استعصت عليهم . فأنجدهم النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة وأهوى على الصخرة فأزالها ، فكان للنعمان وصحبه شرف مشاركة الرسول لهم في أربعينهم . وفي فتح مكة كان النعمان صاحب راية مزينة ، وفي بداية فتنة الردة لما خرج الصديق بنفسه لقتال المرتدين حتى انهزموا واتبعهم أبو بكر إلى ذي القصة كان النعمان بن مقرن على ميمنة جيشه ، وأخوه عبد الله بن مقرن على ميسرة ذلك الجيش ، وأخوهما الثالث سويد ابن مقرن على الساقة ومعه الركاب . ثم خلف أبو بكر النعمان بن مقرن في ذي القصة وعاد إلى

المدينة . ولما استأنف أبو بكر القتال مع المرتدين فى ذى حسى وذى القصة كان بنو مقرن الثلاثة على مكانتهم من جيشه حتى نزل هذا الجيش على أهل الزبذة بالأبرق . فكانت مواقف هؤلاء الإخوة المزنيين كلها مواقف صدق وعزم وإيمان . ولما فتحت جبهة الجهاد فى إيران فى خلافة الفاروق انتقل النعمان بن مقرن بقومه من مزينة عن منازلهم الأولى فى جنوب المدينة إلى الجانب الشرقى من مدينة الكوفة ليقوموا بالدفاع الحربى عن البلاد التى دخلت فى الإسلام ، وليشروا الدعوة الإسلامية بالطريقة التى بينتها فى كتابى « مع الرعيل الأول » . وليعربوا البلاد التى توطنوها أو التى سيصلون إليها . ومن ذلك المنزل فى شرق الكوفة زحف النعمان بن المقرن لقتال يزدجرد ، وكان من أبطال حرب القادسية ، ثم كانت له القيادة العليا فى معارك نهاوند سنة ١٩ . ولما نزل ليخوض هذه المعركة العظمى ، وكانوا يسمونها ( فتح الفتوح ) . أمر بأن يضرب فسطاطه فتسابق أربعة عشر قائدا من أشراف القادة المجاهدين . وأكثرهم من الصحابة كحذيفة بن اليمان فبنوا للنعمان فسطاسه بأيديهم . فلم ير الناس بناة فسطاط أشرف من هؤلاء . وفى هذه الملحمة الرهيبة نال الشهادة العظمى . وأخذ أخوه نعيم ابن مقرن الراية قبل أن تقع وذهب بها إلى حذيفة بن اليمان فقام فى مقام الشهيد الأعظم إلى أن نالوا النصر النهائى ، وذهب السائب بن الأقرع بالأخماس إلى أمير المؤمنين عمر فى المدينة ، فلما علم منه عمر بشهادة صاحب تلك الغنيمات ـ النعمان بن مقرن المزنى ـ المنتصر على دولة من أقوى وأعظم دول العالم يومئذ بكى عمر ونشج وجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

كل دعوة صالحة تحتاج إلى مؤمنين بها مخلصين لله فى أعمالهم . وهذه الثورة قامت فى وجه الاستعمار كله . وهيأ الله لها أسباب نجاحها بإخلاص داعيها وقائدها . وهذا الإخلاص يجب أن يتجاوب مع إخلاص مثله من كل أفراد الأمة ، وإن من لوازم هذا الإخلاص التجرد من الأخلاق الصغيرة التى كانت لنا فى كياننا الصغير . والانتقال إلى أخلاق أخرى كبيرة تليق بما نستقبله من كيان كبير . فالكيان الكبير بلا أخلاق لا يتم ، وإن تم لا يدوم . والأخلاق العالية ثمن الكيان العالى ، لا يتم ولا يدوم إلا بها .

إن ثورة العروبة التى تكبح الآن جماح النيل ، وتمنعه الإباق والضياع فى البحر المالح . يجب أن تكبح كذلك جماح القوى الإنسانية والأخلاق الفردية فتجعل ذلك كله فى مصلحة القومية العربية ونمائها ورخائها وعظمتها وسعادتها . هذه أبواب العمل ستتفتح على مصاريعها

لكل من يعمل عملا صالحاً فينال ثمن عمله على مقدار عمله . ودواليب العمل إذا دارت فإن من مصلحة كل من يتصل بها أن يوجه عمله فى اتجاهاتها .

كلنا دواليب وآلات ومسامير فى الكيان العملى . فيجب أن يكون لكل فرد منا عمل إيجابى فى هذا الكيان ، لتكون القوى كلها مسايرة له وقائمة بنصيبها فى حركته وسيره واتجاهه ، ثم يكون كل واحد منا فى المستوى الذى يؤهله له عمله ، وإحسانه فى هذا العمل .

الدواليب دائرة ، وستدور ، ثم تدور . وحركتها ستكون أنظم وأعظم إذا كانت قطع الغيار والمسامير محكمة فى أماكنها ، مؤدية عملها . والإنسان المنحرف بأخلاقه ، واتجاهاته ، وسريرة قلبه ، لا يصلح أن يكون فى قافلة الأمة ، ولا أن يكون قطعة غيار فى كيانها . لأن انحرافه بأوضاعه وأخلاقه سيجعله طعمة للدواليب الماضية فى اتجاهها ، فيذهب غير مأسوف عليه . والإنسان المستقيم بأخلاقه ، واتجاهاته ، وسريرة قلبه أشبه بقطعة الغيار المحكمة فى موضعها من الكيان الأعظم ، فإن القائمين على الآلة يسهرون على تغذيته بالتزييت والتشحيم ، ويتعهدونه بالنظافة والإصلاح والتثبيت ، ويجددون حياته ما احتاجت حياته وحياة الآلة به إلى هذا التجديد .

إن المصنع الذى يخرج لكيان العروبة قطع الغيار من أبنائها هو المدرسة ، والمدرسة لا تزال متلكئة فى إخراج قطع الغيار الصالحة لكيان العروبة المنتظر ، لأن الأعوان على هذه المهمة من المعلمين ورجال وزارة التربية والتعليم لا يزال أكثرهم بعقلية « القطر المصرى » فى حياة ما قبل الثورة ، وكثير منهم متأثر بمناهج وضعت لغير زماننا ولعكس ما صرنا إليه : ومن مصلحة هؤلاء فى ذات أنفسهم ، ومن مصلحة كيان العروبة فى وضعه الجديد وأهدافه العظمى بعد السد العالى ، أن يعين هؤلاء على أنفسهم ، وأن يعدلوا وضعهم مع العروبة فى اتجاهاتها وتخريج المؤمنين بها . وكما آمنت جزيرة بالرسالة الأولى ، وأعد هؤلاء الأعراب من أبنائها قلوبهم وعزائمهم وقواهم للقيام بأعبائها فبلغوا بذلك أعلى مناصب الدنيا ، حتى انتصروا على دولة من أقوى دول الأرض يومئذ ، فليكن لكل رجل منا أسوة حسنة بهؤلاء المجاهدين الأبرار فى إخلاصهم وصدقهم ، لتتجاوب القلوب كلها فى استقبال كيان العروبة الأكبر على ما يليق بنا وبه فى عشرات السنين الآتية ، وكل آت قريب .

محب الدين الخطيب

# نفحات القرآن

## — ٦٥ —

### المثالية الأدبية فى توجيهات القرآن ، لمن كان ذا سمع وفطنة

« ا » وذروا ظاهر الإثم وباطنه .

« ب » إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون .

دعوة القرآن تتجه بالناس دائما إلى الصعود نحو المشارف ، ليكونوا فى مقامهم من الإنسانية التى يناجيها ربها ، ويتعهدها بالتربية ويضفى عليها الكرامة التى ليست لسواها فى الأرض .

وأنت ترى القرآن ينهانا عن ظاهر الإثم وباطنه ، وهو بهذا الكلام الموجز يبعدنا بعداً شاسعاً عن كل نقيصة : من ظاهر الإثم الذى يبدو من الإنسان على مشهد أو مسمع من الغير . ومن باطن الإثم الذى يكون فى خلوة وخفاء ، عن الناس .

والظاهر والباطن من الإثم كما يتناول أعمال الجوارح يتناول أعمال القلب : مما يتصل بالعقيدة ، ويبدو فى المظهر والسلوك : كتصديق الباطل ، والارتياح إلى الشكوك ، وإلى الزهادة فى دعوة الدين ، والجنوح إلى المشاقة لله ورسوله ، بأى لون من ألوان المروق والتحلل .

بل الظاهر والباطن من الإثم لا يقفان عند الجانب الدينى البحت ، بل يتناولان آداب السلوك العام ، والمساس بأى حق من حقوق المجتمع ، والخروج على النظام الذى تكفلت به القوانين الوضعية الصحيحة .

وكل ما قامت عليه المصلحة الجدية يعتبر داخلا فى إطار الدعوة الدينية ، وإن لم تصرح به النصوص الدينية فى الكتاب أو فى السنة . فالنصوص لم تأت بتفصيل كل شيء ، بل جاءت فى أكثر منهجها كنماذج ، يقاس عليها ما تكشف عنه الحاجة ، وترشد إليه التجربة ، ويراه

ولاة الأمور خـــيراً للناس فى حياتهم ، وأمنا على حقوقهم ، وصيانة للنظام العام من عبث العابثين .

فحينئذ يكون هدى الدين كاشفاً عن المنفذ الذى يصل منه المشرعون إلى الهدف ، ويكون الدين متمشيا مع اتجاه الحياة فى خطاها المتتابعة « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » يعنى : تفصيلا وإجمالا .

وليس معنى هذا أن يتعرض الدين صريحاً للمخترعات ، وأدوات المصنع ، وإنتاج المعامل ! ! كما يشتهى بعض المتطلعين من أهل الجدل والشقشقة . والفضول .

لا : بل نقصد أن كل ما تهتدى إليه العقول ويكون صالحا للحياة ومفيداً للناس وليس معارضاً لوجهة الدين ، ولا ناقضاً لمبدأ معروف فيه ، فهو أمر سائغ ، ومأذون فيه ضمنا إن لم يكن هو تطبيقاً مباشراً لنصوص الدين .

وهذا استطراد يرتبط بظاهر الإثم وباطنه ، وهو واضح ، بعد ان توسعنا فى مفهوم الإثم ، وتناولنا به كل ما يجلب على الناس ضرراً .

ويبدو من هذا أن عبارة الكتاب العزيز مع إيجازها فى اللفظ غاية الإيجاز وسعت كل ما يعتبر فساداً ، وكل ما ينافى الحياء ، وكل ما تعافه الفطرة .

وليس فى هذا التعميم تعسف ، بل هو قـريب التناول إذا استأنسنا بقول النبى صلى الله عليه وسلم « والإثم ما حاك فى صدرك منه شىء » .

فهذا خطاب لصحابى مسلم ، بل هو خطاب لكل مسلم ، والمفروض أن المسلم قوى المشاعر الدينية ، ومرهف الإحساس ، وصادق الإدراك ، شديد الحياء ، فهو بفطنته وفطرته قد يدرك المعابة ، ويحس بالمأخذ ، ويتردد فى الأمر الذى لا يتسع له صدره بعد أن شرح الله صدره للإسلام ، وملأه نوراً ، وخشية ، لا غرورا ، ولا وباء ، ولا رياء « والذين اهتدوا زادهم هدى ، وآتاهم تقواهم » .

وإذ كان النهى عن ظاهر الإثم وباطنه شاملا لكل ما يجافى الصواب : ديناً ، ودنيا ، فعقوبة المخالفة تكون خطيرة ، وتكون فى قوتها مؤازرة وموازية لقـوة النهى الشامل .

وهذا هو قوله تعالى « إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون » وقد اجتمع فى هـــذا التهديد ما اجتمع من أساليب التأكيد لسوء الجزاء بسبب اقتراف المخالفين لما يقترفونه من ظاهر الإثم أو باطنه .

ثم تأتى آيات بعد هـذا النهى فيها تعريج على بعض أنواع الإثم الذى يقترفه الناس . وكانوا يقترفونه قديما .

منها قوله تعالى « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين » .

وهذا أمر يأذن بأكل الذبائح التى يذكر اسم الله عليها عند ذبحها ، وفيه رد على كفار كانوا يتركون التسمية على الذبيحة ، بل كانوا يتركون الأكل مما ذكر عليه اسم الله : عناداً منهم ، وتشبثاً بالمخالفة .

وفى هذا الأمر امتنان على الناس بما أباح الله لهم من لحوم يجب أن يشكروه بذكر اسمه عليها حين ذبحها إن كانوا مؤمنين حقاً بآياته ، وذلك حكم قائم . وللفقهاء تفصيل فيه بين العامد والناسى لذكر التسمية ، والأرجح عندهم أنها لا تسقط عمداً . ولا تحل الذبيحة إذا تركت عليها التسمية عن قصد .

وتليها آية أخرى فى هذا الصدد :

« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » فهذا نهى صريح عن أكل الذبيحة التى تركت عليها التسمية ، وهو رد كذلك على من كانوا يستبيحون هذا ، ويأكلون ما ذكر عليه اسم الصنم أو أى اسم غير اسم الله المستحق وحـــده للشكر على ما خلق . وعلى إباحته للأكل من تلك الذبائح المسموح بأكلها .

وقد سمى الله تعالى أكل ما لم تذكر عليه التسمية ـ فسقا ـ « وإنه لفسق » والفسق هو المعصية الكبيرة ، وقد يراد منه الكفر الصراح .

والتعرض للأكل وعدم الأكل هنا من باب التمثيل للإثم المنهى عن فعله . وهو يتناول أكثر من هذا ، غير أن أكثر ما يقع الإثم فيما يؤكل حراما ، فاختير ذكر الأكل لشيوعه وغلبته على سواه .

ثم تنتقل بنا الآيات إلى توجيه كريم نحو ظاهرة اجتماعية ، هى : أن العصاة فى الجماعات والبلاد هم غالبا أكابرها .

وهذه سنة كونية صرح بها القرآن فى قوله تعالى « وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ، ليمكروا فيها » . يراد فيما نفهم : أن أهل اليسار ، وأصحاب النفوذ ، وذوى المظاهر ، ونحوهم ـ وهم الأكابر فى كل قرية أو جماعة ـ هم ـ غالبا ـ الذين يخالفون ما أمر الله به إلى ما نهى الله عنه ، والمعروف أن أصحاب النعم كثيراً ما يغترون بها فتقسو قلوبهم ، وينال الغرور من نفوسهم ، ويستحوذ الشيطان عليهم فيلتوون عن الشكر الواجب ، إلى المتاع المحظور ، ويرون فى تبجحهم تعالياً عن مستوى الضعفاء ، والفقراء ، وتمنعا عن سماع النصح والخوف من التهديد والوعيد ، وأنهم أكبر من أن يخضعوا ، ويذلوا لأحد ، ولو كان ربهم ـ سبحانه ـ ونحن نشهد اطراد هـــذا الانحراف إلى وقتنا ، وفى كل وسط من الأوساط بسبب ما لديهم من أسباب الزهو ، والمفاخرة ، بل ربما قلدهم ، وتابعهم على ذلك من ليس لديه شىء من هذا : حبا فى التظاهر ، واستخفافا بالمعصية .

وكذلك كانت قريش فى ماضيها : ما بين متبوع مستكبر ، وتابع مستضعف ، وفى القرآن قصص مبسوطة عن هؤلاء وما كانوا يعملونه ، وإخبار بما سيكون منهم يوم القيامة من ندم ، وتنصل من التبعة ، وإلقاء كل من الفريقين جريرته على الآخر ، حتى يلتقى بهم جميعاً فى النار ، ويقف بين الفريقين هذا الجدل ، ثم يقرون جميعا بقولهم ـ إنا كل فيها ـ النار ـ إن الله قد حكم بين العباد .

وإن حديث القرآن عن الأكابر المجرمين فى كل قرية أو كل بيئة واضح فى التنديد عليهم والتذكير لهم ليعتبر منهم من يعتبر ، وليتنبه كل من كان مفتونا بنعمة إلى الإصلاح من شأن نفسه ، وعلاج حالته بما يفيده من توجيه القرآن نحو المثالية الأدبية الخلقية .

فهل لأدبائنا المعاصرين ، وكتابنا المجددين أن تكون لهم عظة ، وأن يتريثوا فى غرورهم ويقتصدوا فى باطلهم وتضليلهم ؟ ويعلموا أنهم يمكرون بأنفسهم ولا يشعرون ؟

اللهم وفقنا ووفق الجميع .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

# السنة

## عمل المرء لنفسه

أبقى الأصحاب وأكرمهم - أشدهم خذلانا لصاحبه ! - دنيا الصحابة - أحق الناس بخلافة الأرض - حرص واجب - وجه يبشر بالخير - أكمل الهدى فى تشييع الميت.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه يقولُ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يتبع الميتَ ثلاثةٌ . فيرجعُ اثنانِ ويبقى معه واحد : يتبعه أهلُه ومالُه وعملُه . فيرجع أهلُه ومالُه ويبقى عملُه .

رواه الشيخان . واللفظ للبخارى (*)

* * *

من حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته ، ومن آثار رأفته بهم ورحمته ، أنه لا يألوهم نصحاً ، ولا يدخر عنهم وسعاً ، فى كل ما يسوق لهم نفعاً : أو يدفع عنهم ضراً ، أو يبقى لهم ذخراً ، فى هذه الحياة الدنيا وفى الحياة الأخرى . . .

وفى هذا الحديث الموجز الجامع ، يهيب بأمته صلوات الله وسلامه عليه ، ويدعو كل فرد منها أبلغ دعوة وأجمعها ، أن يصطفى أنيسه فى وحشته ، وجليسه فى وحدته ، وطائره فى عنقه ، يوم يقال له : « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

لقد حذرنا صلوات الله عليه وسلامه الجليس السوء ، ورغبنا فى الجليس الصالح ، وأخبرنا أن المرء على دين خليله ؛ لينظر كل من يخالل ، وليس أحد منهم بالمقيم معنا

---

(*) ولا يختلف عن لفظ مسلم إلا فى زيادة « معه » ، وماضى المضارعين : تبع - كعلم - أو اتبع ، بتشديد التاء . رواه البخارى فى « باب سكرات الموت » من كتاب الرقاق ؛ ورواه مسلم فى أول كتاب الزهد .

أو الباقى فى دار الفناء . لا جرم أن دعوته صلى الله عليه وسلم ، إلى اختيار الصاحب الباقى فى دار البقاء أجل وألزم ، وهل للمرء صاحب أبقى له وأدوم ، وآنس وأكرم ، من العمل الصالح الذى ليس له فيه من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ؟ إن هذا العمل الخالص المصفى . رائده فى حياته ، وبشيره بعد مماته . ونوره الذى يمشى به فى الدنيا ، ويسعى به فى الآخرة .

* * *

ولا يكون العمل خالصا مصفى مبتغى به وجه الله عز وجل ، إلا إذا كان تابعا للعلم المأثور ، مصاحبا للإيمان الخالص ، بريئا من النفاق والغش . فأما العمل الصادر عن جهالة أو هوى أو عن رياء وسمعة فلا خير فى صحبته ، ولا وزن له عند من يضع الموازين القسط ليوم القيامة . ويعلم السر وأخفى ، ومن هو أغنى الشركاء عن الشرك ؛ بل إن هذا العمل نكال لصاحبه ووبال عليه ، وأشد الأصحاب خذلانا له ! !

وأضل من هذا العمل ضلالا ، وأبعد منه وبالا ونكالا ، عمل من يفرقون بين الله ورسله ولا يؤمنون حق الايمان بخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم وبكل ما جاء به . ومحال أن يجزى الله فى اليوم الآخر من لا يؤمن باليوم الآخر ، ومن كذب بما أرسل به رسله ، وبما أنزل به كتبه « إلا حميما وغساقا . جزاء وفاقا » فأما ماقدموه من خير فى دنياهم فقد عجل لهم جزاءه فيها ، وأما أخراهم فلا مقال لأحد بعد قوله سبحانه : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » .

وربما ظن قريب النظر أن هذا الحديث يدعو إلى ترك الدنيا وعدم السعى فيها ، وإلى الزهد فى الطيبات وعدم التمتع بها ، وإلى الاشتغال بالعبادة والعكوف عليها ، وربما أيد ظنه هذا بأن الحديث مروى فى أبواب الزهد والرقائق . ولكن ذلك نظر قاصر يحصر الحديث فى أضيق حدوده ، ويجافى هدى الرسول وصحابته ، فقدكان صلوات الله وسلامه عليه ينهى عن الرهبانية فى الإسلام ، ويأكل الطيبات ويجيب الدعوة إليها ، ويدعو إلى الشكر عليها ، ويقول فيما رواه الإمام أحمد نعم المال الصالح للرجل الصالح ، وكان أصحابه بعد أن فتح الله عليهم يملكون هذه الدنيا ولا يصدون عنها ؛ بل كان منهم فى عهد النبوة الأغنياء الأثرياء ، والتجار الأوفياء ، الذين قال الله فيهم « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام

الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، بيد أنهم كانوا يملكون الدنيا ولا تملكهم ، ويهبونها لله ولا تحزنهم ، ويتوسلون بها إلى الله ولا تفتنهم ، وأولئك سادة الزهاد ، وهداة العباد ، إلى عمارة الدنيا الصالحة . والتجارة الرابحة ، والملك الرشيد .

* * *

على أن من أعظم العبادات ، وأجل القربات ، تسخير هذه الدنيا واتخاذها وسيلة ، إلى الخير والبر ، وذخيرة من صالح الأعمال . وفى هذا التسخير على الوجه الذى يرضاه الله سبحانه ، شكر للشاكرين ، وتعليم للجاحدين ، بأن أحق الناس بخلافة الأرض وعمارتها والتمكين منها ، هم العاملون الصالحون . .

* * *

وإذا كان عمل العبد يصحبه ويبقى معه حتى يلقى ربه عز وجل ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، على حين يفارقه أهله وماله ، أشد ما يكون محتاجا إليهم فما أجدره إذاً أن يحرص على صاحبه الذى لا يغنى عنه أهل ولا مال . حرصه على نفسه التى لا يجد منها بديلا ولا عوضا . .

ومن هنا يتبين أن الحديث لا يألو جهدا فى الدعوة إلى العمل النقى الخالص ، الذى يتمثل لصاحبه فى القبر رجلا حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يأتى بالخير فيقول : أنا عملك الصالح . . فى حديث طويل رواه الإمام أحمد . . فلينظر المرء وهو فى سعة من أمره ، كيف يعد جليسه فى روضته إن شاء أو فى حفرته ؟ !

* * *

واتباع الأهل والمال للموتى أمر أغلبى ، فرب ميت لا مال له ولا أهل ، وقد يكون له أهل ولا يمكنون من اتباعه وتأدية حقه . . والاتباع هنا يشمل الحسى منه والمعنوى والمراد أن كلا من هؤلاء الثلاثة يتعلق بالميت على وجوه شتى ، ثم ينفض عنه المال والأهل ويلزمه العمل . .

ويشير الحديث إلى حق من حقوق الميت ، وهو تشييعه وتوديعه . .

والسنة لمن تبع الجنازة إن كان راكبا أن يكون وراء المشيعين جميعاً ، وإن كان ماشيا أن يكون قريبا منها . خلفها أو أمامها أو عن يمينها أو عن شمالها ، وأكمل الهدى وأفضله أن يشيع أخاه إلى قبره ماشيا أمامه ، لأنه بمنزلة الشفيع له . . وتلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين من بعده . . .

أما بعد ، فهذا حديث فى عمل المرء لنفسه وتقديمه لحياته قبل رمسه ، يتصل به حديث آخر فى عمل المرء لغيره ، رغبة فى نفعه وبره . وموعدنا الجزء القادم بمشيئة الله تعالى وتوفيقه ؟

طه محمد الساكت

---

## الصحابة كلهم من أهل الجنة

قال شيخ الإسلام علم الأعلام الحافظ ابن حجر العسقلانى فى مقدمة كتابه ( الإصابة ) : اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ، ولم يخالف فى ذلك إلا شذوذ من المبتدعة .

ثم قال : والأحاديث الواردة فى تفضيل الصحابة كثيرة ، من أدلها على المقصود ما رواه الترمذى ، وابن حبان فى صحيحه ، من حديث عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضا . فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم . ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله . فيوشك أن يأخذه » .

ثم قال : وقال أبو محمد بن حزم : الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً ، قال الله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » . وقال تعالى : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » . فثبت أن الجميع من أهل الجنة ، وأنه لا يدخل أحد منهم النار ، لأنهم المخاطبون بالآية السابقة .

# التوريث في الإسلام

## ميراث المرأة

إن من الحق والإنصاف أن نقرر أن التشريع الإسلامي في كل ناحية من نواحيه ينبوع الحكمة ومصدر العدالة والحفيظ على الأواصر الاجتماعية ومقومات الأسر والشعوب .

ومن تشريعات الإسلام الحكيمة ، تشريع التوريث الذي بني على نظام دقيق في ترتيب طبقات الوارثين ، وتقدير نصيب كل وارث ، وحجب بعضهم حجب حرمان ، وبعضهم حجب نقصان بسبب لكل منهما ، ورعاية القوة والضعف في القرابة ورعاية جانب المصاهرة بتوريث الزوجة وتقدير نصابها الملائم لوجود أولاد معها وعدم وجودهم ، وكذلك الزوج ، إلى غير ذلك مما سنذكر بعض أمثلة منه فيما يأتي ، وكل هذا يدل على أن تشريع التوريث في الإسلام من ينابيع الحكمة ، وقد شرعه الله بنظام يكفل ربط الأسرة برباط وثيق ، ويجعل كل فرد من أفرادها راضياً بعدالة القسمة بينه وبين سائر الأفراد مقتنعاً بأن التوريث الإسلامي قد أعطى كل ذي حق حقه .

ومن عدالة التوريث في الإسلام نظامه الحكيم في توريث المرأة ، فلم يحرمها كما كان يحرمها العرب وغيرهم من كثير من الأمم ، ولم يعطها فوق ماينبغي لها ويتلاءم وحالها كما فعل القانون الروماني الحديث والقانون الفرنسي ، وكما يطالب بذلك بعض أنصاف المتعلمين الذين يطلبون لها المساواة بالرجل في الميراث ، ومع ذلك يدعون الإسلام والإسلام بريء منهم ، وكأن هذا في نظرهم بعض الحقوق السياسية التي طالبت المرأة بمساواة الرجال فيها ، إذ لم يوجد كما لن يوجد على ظهر الأرض مسلم يمارى في أن الله قد بين بياناً شافياً واضحاً بالنص الذي لا يحتمل التأويل نصيب المرأة والرجال في الميراث « للذكر مثل حظ الأنثيين » وأن هذا الحكم معلوم من الدين بالضرورة ، فكل من يطالب بمساواة المرأة بالرجل في الميراث خارج من الإسلام كافر بإجماع المسلمين ، لا يشذ عن ذلك مسلم فضلا عن إمام مجتهد ، ولبيان عدالة التشريع الإسلامي في توريث المرأة نذكر ماعليه التوريث عند غير المسلمين من العرب وغيرهم .

كان الميراث عند الأمم الشرقية القديمة منظوراً فيه إلى إقامة دعائم الأسرة لحسب بعد موت رئيسها ، ولهذا اشترطوا فيمن يخلف الميت فى أسرته ألا يكون من النساء والأطفال ، فيخلف الميت ابنه البكر إن كان بالغاً ، فإن لم يوجد فأرشد الذكور من الأولاد ، فإن لم يوجد فأرشد الإخوة ، ثم الأرشد من أبنائهم ، ثم الأعمام هكذا ، ثم الأصهار ، ثم الأرشد من العشيرة ، ويكون له بعد رئيس الأسرة مطلق التصرف فى شئونها ، وكانت الوصية عندهم نادرة ولا تصح إلا عند عدم وجود ذكر رشيد فى الأسرة ، وإنما كان اهتمامهم بالأسرة لأنهم كانوا أهل حل وترحال ، فدعاهم ذلك إلى التشدد فيمن يخلف الميت فى أسرته ليكون لكل أسرة رئيس مطلق التصرف فيها .

وعند قدماء اليونان والرومان الإرث مبنى على الوصية ولكل شخص الحق فى اختيار الوصى الذى يخلفه ولو كان أجنبياً وللوصى حق التصرف فى مال الأسرة وفى أفرادها كيف شاء ، فله أن يزوج من أراد ويمنع من الزواج من أراد ، وللأب أن يؤثر فى وصيته بعض أبنائه على بعض ولكن ليس له أن يحرم بعضهم من الميراث بالكلية ، وإذا لم يكن للميت وصية لبعض الأبناء تساوى جميع الأبناء فى الميراث ، وإذا لم يكن للرجل أبناء كان له أن يوصى بماله لمن يشاء فإن مات بلا وصية كان الميراث لإخوته ثم أبنائهم ثم الأعمام هكذا ثم الأخوال .

وليس عندهم للمرأة حق فى الميراث ، ولا خلاف بين قدماء اليونان والرومان إلا فى أن الوصية عند قدماء الرومان لا تصح إلا إذا وافقت عليها القبيلة ، فإن لم توافق عليها عينت من يصلح لذلك ، أما قدماء اليونان فيرون رفع الأمر للحاكم وتصح الوصية بعد صدور الحكم بصحتها ، ولكل شخص حق الطعن فى هذا الحكم إذا ظهر أن بالوصية ضرراً بمصلحة الأسرة أو الوطن ، كذلك كان عند قدماء الرومان أن حقوق الوصية تنتقل إلى الوصى من حين الوصية ، ولا يكون لرب الأسرة الحق فى معارضته فى تصرفاته ، ولا تنتقل حقوق الوصية للوصى عند قدماء اليونان إلا بعد موت الموصى .

واستمر هذا إلى أن تغير القانون الرومانى قبيل الإسلام ، فجعل سبب الإرث القرابة فيحصر الميراث فى فروع الميت فيرثه أولاده ذكوراً وإناثاً بالتساوى ، ثم أصوله ويشاركهم الإخوة الأشقاء ، ويقسم الميراث بينهم نصفين ويتساوى الذكور والإناث فى الأنصبة ، ثم

الإخوة لأب ثم الإخوة لأم ثم الأقرب فالأقرب للميت بالتساوى بين الذكر والأنثى، وليس للزوجة حق فى ميراث زوجها لانحصار سبب الإرث فى القرابة .

وقد أخذ القانون الفرنسى عن القانون الرومانى نظام المواريث فى الجملة ويرجع نظام التوريث فى القانون الفرنسى إلى ما يأتى :

الورثة على ثلاث درجات : فالأولى : الأولاد من النكاح الصحيح والأقارب ويطلق على هذه الدرجة الورثة الشرعيون ، والثانية : الأولاد من النكاح الفاسد والزنا ( الأولاد غير الشرعيين ) والثالثة: الزوج والزوجة ، ولا يرث أحد من الدرجة الثانية إلا عند فقد جميع أفراد الدرجة الأولى كذلك لا يرث أحد من الدرجة الثالثة إلا عند فقد جميع الدرجتين الأولى والثانية ، أما الأصول فالأب والأم لا يرثان إلا عند فقد الفروع ، وأما الأصول غير الأب والأم فلا يرثون إلا عند فقد الفروع والحواشى .

ولا ترث الزوجة ولا يرث الزوج والأولاد غير الشرعيين إلا بعد رفع الأمر إلى القضاء وصدور الحكم بتوريثهم .

وعند اليهود يرث الميت والده الذكر فإن تعدد الذكور من الأولاد كان للبكر نصيب اثنين منهم .



وليس للبنت نصيب فى الميراث إذا وجد معها الابن أو ابن الابن ، ولكن لها النفقة والتربية حتى تبلغ سن الثانية عشرة ، فإن لم يكن للميت ابن ولا ابن ابن ورثت البنت ثم أولادها وإذا لم يكن له حفدة فميراثه لأولاد حفدته الذكور ثم الإناث وهكذا ... ، وإذا لم يكن له أولاد ولا حفدة ولا فروع من الحفدة ورثه أبوه ثم أصول أبيه وإذا لم يكن له أصول من أبيه ورثه الأقارب من الحواشى الأقرب فالأقرب إلى الدرجة الخامسة مع تساوى أنصبة جميع الوارثين ما عدا الابن البكر كما قدمنا فإنه يأخذ نصيب اثنين عند تعدد الأولاد الذكور .

ولا ترث الزوجة شيئا من زوجها ، ويجب على الأخ إذا توفى أخوه وليس له ابن أن يتزوج امرأته وولده البكر منها يحمل اسم أخيه ويرثه .

وعند العرب فى الجاهلية الميراث حق للرجال الذين يركبون الخيل ويقاتلون الأعداء وليس للضعيفين من النساء والأطفال حق فى الميراث ولا فرق فى النساء بين البنات والأمهات

والأخوات والزوجات وغيرهن فكلهن محرومات من الميراث ، بل لقد كان للأخ أن يرث مع مال أخيه زوجته إن أراد ، فيرث الميت ابنه الأكبر إن كان بالغا فإن لم يوجد له ابن كذلك فأخوه ثم ابن عمه ، وبقى ذلك إلى بدء عهد الإسلام حتى بعد الهجرة ثم أنزل الله تشريع الميراث فأبطل ما كان عليه الجاهلية .

عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الذكور الصغار فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابنا صغيرا فجاء أبنا عمه خالد وعرفطة وهما عصبته فأخذا ميراثه كله فأتت امرأته رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ما أدرى ما أقول فنزلت « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » .

وعن عكرمة قال : نزلت فى أم كحلة وابنتها كحة ، وثعلبة وأوس أبنا سويد وهم من الأنصار كان أحدهما زوجها والآخر عم ولدها ، فقالت يا رسول الله توفى زوجى وتركنى وابنته فلم نورث فقال عم ولدها يا رسول الله لا تركب فرسا ولا تحمل كلا ولا تنكى عدوا نكسب عليها ولا تكسب ، فنزلت الآية .

ثم نزلت الآيات المبينة نصيب كل وارث فقد روى أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم ( عن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك فى أحد شهيدا ، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ، ولا تنكحان إلا ولهما مال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى الله فى ذلك فنزلت آية الميراث ( يوصيكم الله فى أولادكم ) الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال أعط ابنتى سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقى فهو لك ) .

قال العلماء وهذه أول تركة قسمت فى الإسلام ، أى على نظام التوريث الإسلامى .

وقد ظهر مما تقدم أن قدماء اليونان والرومان يعتمدون فى التوريث على الوصية وأن لكل شخص الحق فى اختيار الوصى ولو كان أجنبيا ، كما ظهر أن أكثر الأمم حتى الذين يقولون بالتوريث بدون الوصية ويبنون الميراث على القرابة يحرمون الإناث من الميراث

وأن البعض الذى يورثهن يحرم الزوجات من الميراث فى أزواجهن ، وعلى الجملة نظهر أن العدالة فى الميراث كانت مفقودة حتى فى التشريعات الحديثة .

فجاء الإسلام وحال المرأة فى الميراث بين إفراط فى حرمانها من الميراث بالكلية وتفريط بالمساواة بينها وبين الرجل، فأبطل كل ذلك معلناً نصه الصريح « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون والنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » وبين بيانا مفصلا وافياً الأنصبة لجميع الورثة بقوله « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » الآيات، فكان تقسيمه عادلا قضى على طرفى الإفراط والتفريط وأن كل من نظر إلى هذا التقسيم مجرداً عن العاطفة والغاية لايسعه إلا الإقرار بعدالته والاقتناع بجعله نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل ، فإن ذلك أمر تدفع اليه شئون الحياة ونظمها القاضية بأن يكون الرجل رب الأسرة والقائم بشئونها وتحصيل جميع مطالبها فى معاشها وتربية جميع أفرادها لافرق بين ذكورهم وإناثهم ، وهو أيضاً القائم بشئون الزوجية والمطالب بتقديم كل ماتحتاج اليه الزوجة فى الصحة والمرض فى العسر واليسر ، على الموسر قدره وعلى المقتر قدره ، وعلى الجملة فالرجل هو المكلف بأن يكد ويكدح ليؤدى لكل واحد من أفراد الأسرة حتى الزوجة مايحتاج إليه وليست زوجته مطالبة حتى بالإنفاق على نفسها ، فهل من العدل والإنصاف أن تتساوى المرأة مع الرجل فى الميراث بعد كل ذلك ، لاشك أن هذه المساواة إفراط ومجاوزة للحد فى مقابلة التفريط الذى كان عند كثير من الأمم بحرمان المرأة من الميراث بالكلية .

أجل إن تشريع التوريث فى الإسلام قضى على ظلم الظالمين الذين حرموها من الميراث ولم يعطوها منه شيئاً ، وقدر لها نصيبا عادلا يتلاءم مع حالها بالنسبة للرجل ولا يجاوز ماتقتضيه شئون الحياة فلم يطغ على حق الرجل كما لم ينقص مما تستحق المرأة شيئاً ذلك تقدير الحكيم العليم .

وإلى القارئ بعض أمثلة للمقارنة بين التوريث فى الإسلام والتوريث عند غير المسلمين حتى يتبين الرشد من الغى .

١ — مات رجل وترك زوجة — وابنا صغيراً — وبنتاً — وأماً — وأخاً .

فالحكم عند العرب فى الجاهلية وعند الأمم الشرقية القديمة الميراث كله للأخ وليس للإناث ولا للابن الصغير شيء . وعند قدماء اليونان والرومان يعمل بالوصية إن وجدت مع ملاحظة عدم حرمان الوصية للابن بالكلية ، وعند عدم الوصية الميراث كله للابن وليس للإناث شيء كما ليس للأخ شيء .

وعند اليهود الميراث كله للابن وليس للبنت ولا الأم شيء كما ليس للزوجة شيء وكذا الأخ ليس له شيء وعلى القانون الفرنسي الميراث كله للابن والبنت بالسوية وليس للأم شيء كما ليس للزوجة ولا للأخ شيء . وعلى التوريث الإسلامى للزوجة الثمن وللأم السدس والباقى للابن والبنت للذكر مثل حظ الأنثيين وليس للأخ شيء لوجود الابن .

٢ ـ رجل مات وترك بنتاً ـ وابن ابن ـ وزوجة ـ وأبا .

الحكم عند اليهود والعرب فى الجاهلية الميراث كله لابن الابن ولا شيء للبنت ولا للزوجة والأب وعند قدماء اليونان والرومان يعمل بالوصية وعند عدم الوصية التركة لابن الابن .

وعلى القانون الفرنسي التركة كلها للبنت ولا شيء لابن الابن والأب ولا للزوجة .

وعلى التشريع الإسلامى للزوجة الثمن وللبنت النصف وللأب السدس والباقى لابن الابن .

٣ ـ مات رجل وترك زوجة ـ وبنتاً ـ وأختاً شقيقة ـ وعماً .

الحكم عند العرب فى الجاهلية التركة كلها للعم ولا شيء للإناث .

وعند قدماء اليونان والرومان إن كانت وصية اتبعت وإن لم توجد وصية فالتركة للعم .

وعند اليهود وعلى القانون الفرنسي التركة كلها للبنت .

وعلى التشريع الإسلامى للزوجة الثمن وللبنت النصف وللأخت الباقى ولا شيء للعم .

ألا ترى معى العدل والنور يلوحان من خلال التقسيم الإسلامى فى هذه الأمثلة لعمرى إن تشريع الميراث فى الإسلام لمن أكبر الأدلة على صدق محمد بن عبد الله وصحة رسالته ؛ إذ جاء إلى الناس بهذا التشريع فملأ الكون نوراً وهدى وأعطى كل ذى حق حقه والناس حينئذ مايزالون فى غياهب الجهل بالمواريث حتى ذوو العلم والعرفان بالقانون ، جاء محمد بهذا التشريع على هذا النظام الدقيق ، وهو الذى نشأ وعاش ولازم هؤلاء العرب فى جاهلية جهلاء تحرم الإناث ومن لم يبلغ مبلغ الرجال من الذكور من أن ينال شيئا من الميراث ، فكان هذا

التشريع العجيب الدقيق الحكيم على لسان النبي الأمى الذى نشأ هـذه النشأة دليلا على أنه رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين .

وقد بدأ الله عز وجل الآيات التى بين فيها أنصبة الوارثين بقوله « يوصيكم الله فى أولادكم » وختمها بقوله : « وصية من الله والله عليم حليم » للإشارة إلى أن هـذا التشريع يحبه الله ويريد منكم أن تسارعوا إلى تنفيذه والعمل به كما يحرص الموصى ويريد أن يسارع الوصى إلى تنفيذ وصيته وصرح الحكيم العليم أثناء بيان المواريث بأننا عاجزون عن السر الحقيقى الذى عليه يكون تقدير أنصبة الورثة ، ولـكن الله العليم بخفيات الأمور هـو الذى قدرها وفرض عليكم الأخذ بها إذ يقول : « آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما » .

عالج الله ما كان عليه أهل الجاهلية من حرمان الإناث وصغار الذكور بما تقدم وبما أشار إليه ذلك النص « للذكر مثل حظ الأنثيين » حيث جعل نصيب الأنثى هو الأصل وحمل عليه نصيب الذكر فكأن نصيب الأنثى مقرر مفروغ منه ، وأن للذكر ضعفه وإلا لقال للأنثى نصف حظ الذكر ، وذلك كله كما قلنا علاج لحالة الجاهلية المستولية على قلوبهم المتأصلة فيها ، الدافعة إلى حرمان إناثهم وختم آيات الميراث بعد ذلك بقوله : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » . لعل الناس يتدبرون ويحذرون فيسارعوا إلى امتثال الأمر وتنفيذ الوصية ليفوزوا بالنعيم المقيم وينجوا من العذاب الأليم .

هذه العناية الفائقة من العليم الحكيم بهذا التشريع العظيم ليجتز من القلوب مبدأ الجاهلية . ولـكن مع الأسف الشديد لايزال كثير من الناس مطموسى القلوب بمبدأ الجاهلية ، ولا يزال كثير منهم ينشد ما أنشدوا :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

فتغلب عليهم عاطفتهم فيحتالون لحرمان الإناث من الميراث بعد أن قرر الله حقهن فيه وقدره ، فيعطون أبناءهم فى حياتهم ما يشاءون من أموالهم ، إما بالهبة وإما بالبيع الصورى ،

زاعمين أن لهم في حياتهم حق التصرف المطلق في ملكهم والله يعلم أنهم لكاذبون ، فإن الله إنما جعل لكل مالك حق التصرف فيما يملك في حدود الدين ، وتحت سلطان الشريعة الإسلامية ، والدين لا يقر هذا التصرف ولا يبيحه ، وإلا لكان هازلا ، أو كان كمن أعطى باليمين وسلب باليسار ، ولبيان أن الله لا يحل هذا التصرف ، نورد ما ورد من السنة النبوية فيه .

روى البخاري ( عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية ، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله . قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا ، قال فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، قال فرجع فرد عطيته ) .

وروى مسلم ( عن الشعبي حدثني النعمان بن بشير أن أمه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة ، ثم بدا له فقالت لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بشير ألك ولد سوى هذا ؟ قال نعم ، فقال : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا . قال : فلا تشهدني إذا فإني لا أشهد على جور ) .

وهذه الحادثة قد رويت عدة روايات ، وكلها تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقر بشيرا على هذا التصرف ، بل ورد في بعض الروايات أنه غضب وصار يكرر قوله لبشير اذهب فأشهد على هذا غيري ، ثم ختم كلامه بقوله : فإني لا أشهد على جور . فهذا التصرف لم يحله أحد من العلماء ، بل حرمه أكثرهم وكرهه بعضهم . ولكن الحديث صريح في الحرمة ، حيث قال الرسول : فإني لا أشهد على جور ، فيقضي على أنه جور وظلم وهو حرام ، ولذلك رجع بشير في عطيته لابنه النعمان . وورد في بعض الروايات ما يفيد أن ذلك التصرف يكون سببا في عقوق الابناء ، فلا شك إذا في حرمته لأنه يثير الفتنة بين الأولاد . ويملأ قلوبهم حقداً على بعضهم البعض ، كما يملؤها حقداً على الوالد الجائر ، وكثيراً ما سمعنا عن الآثار السيئة لهذا التصرف ، ولا فرق في التمييز بالعطاء بين الذكر والأنثى فإن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبشير ألك ولد يشملهما لأن الولد يشمل الابن والبنت . وكذلك قوله : ( أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ ) لفظ الولد يشمل الذكر والأنثى ، فلا يجوز التفرقة في العطية بين الأولاد ذكورهم وإناثهم .

فليت الذين يرفعون الصوت مطالبين بالتسوية بين الذكر والأنثى فى الميراث وقفوا معهن بالتأييد عند حدود الشريعة الإسلامية وحافظوا على إيتائهن حقوقهن كاملة ، وعملوا على منع هذا التصرف الذى هو فى الحقيقة والواقع احتيال لإبطال ما شرعه الله ، وظلم لحرمان الإناث من حقوقهن فى الميراث وقد أعطاهن الله .

ألا إنى أقترح أن تصدر الحكومة تشريعاً يمنع الآباء والأمهات من الهبة أو البيع الصورى فى حال الحياة للأبناء مع وجود أخوات لهم ، فإن ذلك فى الحقيقة كما قدمنا تحايل لمنع الإناث من الميراث ، وإنى لكفيل بأن نساءنا سيرضين بهذا ، بل سيفرحن بما آتاهن العليم الحكيم فى المواريث « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . » ؟

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

---

## حفظ أبى هريرة

كانت موهبة الله لأبى هريرة فى الحفظ نعمة من نعم الله على الإسلام ، فحفظ من أحكامه وسننه ما كان يحتمل أن يضيع لولا ذلك . قال البخارى : روى عن أبى هريرة نحو الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث فى عصره . وقال الربيع قال الشافعى : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره . وقال أبو الزعيزعة كاتب مروان وهو أمير المدينة : أرسل مروان إلى أبى هريرة فجعل يحدثه ، وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به . حتى إذا كان فى رأس الحول أرسل إليه فسأله ، وأمرنى أنظر ، فما غير حرفاً عن حرف . وقال الحاكم صاحب المستدرك على الصحيحين : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وألزمهم له صحبة على شبع بطنه ، فكانت يده مع يده يدور معه حيث دار إلى أن مات ، ولذلك كثر حديثه : وأخرج البخارى فى صحيحه من طريق سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد ظننت أن لا يسألنى عن هذا أحد أولى منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث » وحسب أبى هريرة هذه الشهادة النبوية له الثابتة فى صحيح البخارى ، ومن يسوؤه ذلك فليمت بغيظه .

# نقد كتاب

## أضواء على السنة المحمدية

— ٥ —

فى ص ٨١ ، ٨٢ نقل المؤلف بالهامش كلاما عن دائرة المعارف الإسلامية فى وضع الأحاديث جاء فى آخره « وعلى هذا لا يمكن أن نعد للكثرة من الأحاديث وصفا تاريخيا صحيحا لسنة النبي ، بل هى على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ فى القرون الأولى بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم ونسبت إليه عند ذلك فقط . ومعنى ذلك أن أكثر الأحاديث من آثار الوضع وقد مر على هذا الكلام دون أن يعلق عليه بكلمة ومعنى هذا أنه يرتضيه بل ما ذكره فى كتابه هو ترديد لهذا المعنى .

وإنى لأقول : إن هذا القول فيه إسراف وشطط فى الحكم فليست الكثرة من الأحاديث من آثار التطور فى الإسلام وأنها لا تمثل الواقع فى نسبتها إلى النبي صلوات الله وسلامه كما زعم كاتب هذه المادة فى دائرة المعارف الإسلامية ، بل الكثرة من الأحاديث المدونة ثابتة بطرق الإثبات الموثوق بها ، ومتلقاة عن النبي . وقد احتاط أئمة الحديث عند جمعه غاية الاحتياط ، وعنوا بنقد السند والمتن عناية فائقة ، كما وضحت ذلك فيما سبق بما لا يدع مجالا للشك فى هذا ، وميزوا المقبول من المردود ، وكان لهم إلى جانب ما وضعوا من أصول وقواعد لنقد المرويات ملكة خاصة يميزون بها بين الغث والسمين ، ونحن لا ننكر ما كان للخلافات السياسية والمذهبية والكلامية من أثر فى وضع الأحاديث ، ولكن الذى ننكره غاية الإنكار أن تكون الكثرة من الأحاديث المدونة من آثار الوضع والاختلاق .

* * *

وفى ص ( ٩١ ) ذكر فصلا عنوانه « معاوية والشام » ذكر فيه ما وضع فى فضائل معاوية رضى الله تعالى عنه وبلاد الشام ، وذكر فى حق هذا الصحابى الجليل أنه من الطلقاء ومن المؤلفة قلوبهم ، وقد غاب عنه أن الكاتبين فى تاريخ الصحابة ذكروا عن الواقدى

وابن سعد أنه أسلم بعد الحديبية قبل الفتح وأنه أخفى إسلامه مخافة أهله [١] وأنه كان فى عمرة القضاء مسلما ، وإذ كان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم فى رأى البعض ففى رأى الكثيرين أنه ليس من المؤلفة قلوبهم . قال أبو عمر بن عبد البر : معاوية وأبوه من المؤلفة قلوبهم ذكره فى ذلك بعضهم » وهو يشعر بأن الكثيرين لا يريدون هذا الرأى ولذا نجد الحافظ المحقق ابن حجر لم يذكر فى ترجمته شيئا من هذا وإنما ذكر فى ترجمة أبيه أنه من المؤلفة قلوبهم ، ومهما يكن من شىء فقد أسلم وحسن إسلامه وكان أحد كتبة الوحى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وكان له جهاد مشكور فى نشر دعوة الإسلام ، وتوسيع فتوحاته . ولم تعرف عنه دخلة فى إيمانه ولا ريبة فى إخلاصه لإسلامه .

ونحن لا نشك أنه وضع فى فضائله أحاديث كثيرة وكيف وقد أحصى الأئمة كل ذلك ، ولكننا نجله عن أن يكون له دخل فيما وضع فى فضائله وفضائل الشام بل ودون الرضا به ، ولئن قال الإمام اسحق بن راهويه : إنه لم يصح فى فضائل معاوية شىء : فقد ذكر له الإمام الكبير البخارى بعض فضائله . ولا يضيره كون الإمام البخارى آثر التعبير فى حقه بلفظ « باب ذكر معاوية رضى الله عنه » ولم يقل « باب فضل معاوية » كما صنع فى غالب الأبواب فقد صنع مثل هذا فى فضل العباس وابنه عبد الله رضى الله عنهما [٢] كما لا يضيره أن البخارى رحمه الله لم يخرج حديثا مرفوعا على شرطه فى فضله وأنه خرج فى صحيحه حديثين موقوفين عن ابن عباس رضى الله عنهما أحدهما يثبت الصحبة ، والثانى الفقه فى الدين ، وبحسب معاوية فضلا عند المنصفين أن يكون صحابيا وفقيها ، ثم إن عدم ثبوت حديث فى فضائله مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم على شرط البخارى لا ينفى ثبوت أحاديث فى فضائله خرجها غير البخارى من أصحاب الكتب المعتمدة . وقد ذكر المؤلف نفسه حديثين مرفوعين فى فضائله رواهما الترمذى وهما من أصح ما ورد فى فضائله ، وقد عرض لما ورد فى فضائله الحافظ الناقد ابن كثير فى « البداية والنهاية » [٣] وبين الموضوع من غيره ثم قال : « ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شك فى فضل معاوية أضربنا عنها صفحاً واكتفينا بما أوردنا من الأحاديث الصحاح والحسان والمستجادات عما سواها من الموضوعات والمنكرات »

---

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩٥ على هامش الإصابة ، والإصابة ج ٣ ص ٤٣٣ ، وفتح البارى ج ٦ ص ٨٢ .
(٢) فتح البارى ج ٦ ص ٦٢ ، ٨٠ . (٣) ج ٨ ص ١٢٠ وما بعدها .

وإذاً فليس من الإنصاف فى البحث أن نجعل كل ما ورد فى فضائله موضوعا وأن نجرده من كل خصيصة وفضل .

وأيضا فإننا لا ننكر ما وضع فى فضل الشام وغيرها من البلاد المشهورة ، وكذلك لا ننكر أن أحاديث الأبدال التى عرض لها مدسوسة على النبى صلى الله عليه وسلم كما نبه على ذلك نقاد الحديث وجهابذته ، وإن كان البعض قد أثبت بعضها ، ولكن الذى ننكره البتة أن يكون معاوية رضى الله عنه هو الذى أوحى بهذا الاختلاق ، وأن يكون له ضلع فيه والمؤلف غمزه ولمزه فى ص ( ٩٤ ) قال : وما كاد معاوية يذكر – يعنى فى خطبته التى خطبها لما عاد من العراق إلى الشام بعد بيعة الحسن سنة ٤١ هـ – أن الشام هى أرض الأبدال حتى ظهرت أحاديث مرفوعة عن هؤلاء الأبدال ثم ذكرها : ومما يلقم المؤلف حجرا وينفى الظنة والتهمة عن معاوية رضى الله عنه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية من أن لفظ الأبدال لم يرد إلا فى حديث شامى منقطع الإسناد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن الأشبه أنه ليس من كلام النبى ، ومن العجيب حقا أن المؤلف نقل كلام ابن تيمية ضمن كلام نقله عن السيد رشيد رضا رحمه الله فى تزييف أحاديث الأبدال من ص ٩٤ – ٩٩ فلو أن هذا الحديث كان مرويا عن معاوية لقلنا معه : لعل وعسى ؛ ولكن الأمر كما ترى ، وقد حاول السيد رشيد أن يبين أن الحديث المروى عن على رضى الله تعالى عنه على فرض ثبوته ليس المراد به الأبدال بالمعنى المعروف عند الصوفية ، ولكن الخرافيين والمتزلفين هم الذين حملوه على هذا ، ومن أعجب العجب أيضا أن المؤلف ينقل نقولا يستجودها ، وهى فى الواقع ونفس الأمر ترد ما يعتقده ويهواه من آراء مبتسرة ، وقد فعل ذلك فى مواضع كثيرة من كتابه .

وقصارى القول أن أئمة الحديث وصيارفته قتلوا المرويات بحثاً وأفنوا أعمارهم فيها ، ولم يدعوا رواية فى المصائب وعيرالفضائل إلا وبينوا مكانها من الصحة أو الحسن أو الضعف أو الاختلاق وحسبك أن تستعرض الكتب التى ألفت فى الأحاديث الموضوعة ليستبين صدق ما أقول ، فهم لم يقصروا فى خدمة السنة وتزييف الزائف منها ، ولكن المتأخرين هم الذين قصرت بهم الهمم عن العلم بما دون فى ثم وقعوا فى كثير من الأخطاء والأغلاط قال فى ص ١٠١ أن وضاع الحديث وضعوا أحاديث تسوغ لهم ما يدعون ثم قال : وأورد ابن حزم فى الأحكام عن أبى هريرة مرفوعا قال « إذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أو لم أحدث » وعنه أيضا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما بلغكم عنى من قول

حسن لم أقله فأنا قلته » ونحن لا نشك — ولا أي عاقل — في أن هذين الحديثين وما على شاكلتهما — تناقضا وتهافتا — موضوعان ، وأن نظرة فاحصة إلى المتن لتدلنا أن هذا لا يصدر عن معصوم فضلا عن عاقل فكيف يتأتى من أعقل العقلاء أن ما لم يقله ما دام حسنا فقد قاله ؟ ! ! ! بل كيف يأمر بالأخذ بحديث حدث به أو لم يحدث ؟ إن هذا لعجب عجاب !

ولو أن المؤلف اقتصر على ذكر الحديثين الموضوعين في الاستدلال لما قال ، لما كان لنا عليه أية مؤاخذة ولا ستقام كلامه ، ولكن الذي أؤاخذه عليه أن يأتي في الهامش بعد ذكر الحديثين فيقول ما نصه : يشبه هذين الحديثين حديث رواه أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أبشاركم ، وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد ، فأنا أبعدكم منه » قال السيد رشيد إن إسناده جيد .

فإذا كان السيد رشيد رحمه الله الذي يعول عليه في كثير من نقوله ويعتبره من العلماء المحدثين . قال : إن إسناده جيد . فكيف سوغت له نفسه أن يلحقه بهذين الحديثين اللذين لا شك في وضعهما ونكارتهما كما قال حفاظ الحديث ونقاده ، والعجيب أن المؤلف يعتمد على كلام السيد محمد رشيد رضا في كثير مما ينقل ويأخذه قضية مسلمة أما هنا فقد خالفه ولم يأخذ بكلامه وصدف عن الحق إلى الباطل ، والذي يظهر لي أن المؤلف رجل هوى ومزاج فما وافق هواه أخذ به أو أخذ منه ، وما لم يوافق هواه طرحه دبر أذنيه ، ولعل السيد رشيد رحمه الله اعتمد في الحكم على الحديث بالجودة على ما قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره (١) عقب ذكره : رواه أحمد بإسناد جيد ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب ، والحق أن لا شبه بين الحديثين وهذا الحديث لا في الثبوت ولا في المعنى فذانك موضوعان وهذا حسن ، وهذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد قريب في المعنى من حديث « استفت قلبك ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » فهو يشير إلى الاطمئنان القلبي أو عدم الاطمئنان عند سماع حديث من الأحاديث ، وهذا الوجدان القلبي إنما يحصل للمسلم الذي عمر قلبه بالإيمان واستضاء بهدى الشريعة ، ومعرفة قواعدها ، والذي يزاول السنة ، ويتعاهدها قراءة ودرسا

---

(١) ج ٣ ص ٥٦٩

وفهماً حتى تصير عنده ملكة يميز بها بين ما يكون من كلام النبي وما ليس كلامه وإلى هذه الملكة أشار الربيع بن خثيم حيث قال « إن للحديث ضوءا كضوء النهار تعرفه وظلمة كظلمة الليل تنكره » وقال ابن الجوزي « الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه في الغالب » وهكذا يتبين لنا أن الحديث ثابت رواية وصحيح رواية ومعنى .

وقد ذكر المؤلف من ص ١٠٥ - ١٠٧ عن كتاب « قواعد التحديث » للعلامة القاسمي نقولا كثيرة عن بعض الأئمة كابن تيمية وابن القيم وابن دقيق العيد وابن عروة الحنبلي وكلها تدور حول الحديث عن الوجدان القلبي والملكة التي تحصل عند المحدث ويميز بها بين الصحيح والسقيم ، والمقبول والمردود .

* * *

في ص ١٠٤ ذكر الوضع بالإدراج ، وجعل المدرج من قبيل الموضوع ، وإطلاق الموضوع على المدرج تساهل نعم إن بعض أئمة الحديث كابن الصلاح اعتبر الإدراج عن طريق الغلط بظن ما ليس بحديث حديثا - ملحقا بالوضع وشبيها به ، والأكثرون على عده إدراجا فحسب ، وكان على المؤلف أن يميز بين الإدراج الذي لا لبس فيه ولا إشكال ولا إيهام ، والإدراج الذي فيه لبس وإيهام أن ماليس من الحديث هو منه ، فالإدراج الذي يكون لتفسير كلمة غامضة أو توضيح اسم مبهم في السند ، والإدراج الذي يكون معه من القرائن اللفظية أو الحالية ما يدل على أنه مدرج من كلام الراوي أمره سهل هين ، ولا يخل بعدالة الرواي ، وهو أبعد ما يكون من الوضع ، وأما الإدراج الذي يكون فيه إيهام ولبس وهو الذي لا تصحبه قرائن فهو حرام كله إذا كان متعمدا ، ويخل بعدالة الراوي ، ويلحقه بالكذابين قال السمعاني : « من تعمد الإدراج فهو ساقط العدالة ، وممن يحرف الكلم عن مواضعه ، وهو ملحق بالكذابين » ، وهكذا يتبين لنا جليا تساهل المؤلف في عد الإدراج كله وضعا ، وعلى قاعدة المؤلف يكون كثير من أئمة الحديث الذين يدرجون للتفسير أو توضيح المبهم موصوفين بالوضع ، فالزهري لما روى حديث بدء الوحي في الصحيحين فسر كلمة التحنث بالتعبد يكون وضاعا ، وراوي حديث النسائي « أنا زعيم » - والزعيم الحميل - يكون وضاعا وأبو هريرة لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم «للعبد المملوك أجران ، والذي نفسي بيده

لولا الجهاد فى سبيل الله والحج وبر أمى لأحببت أن أموت وأنا مملوك » وهو فى الصحيح يكون قوله « والذى نفسى بيده . . . . . الخ » من قبيل الوضع ، وهذا المثال الأخير مما يتبين فيه الإدراج بداهة لاستحالة أن يقوله النبى صلى الله عليه وسلم لأن أمه ماتت وهو صغير ، ولأنه يمتنع منه أن يتمنى الرق وهو أفضل الخلق على الإطلاق ، فما ذهب إليه المؤلف لا يقره عليه أى باحث ولا خبير بالفن ! ! وبحسبنا هذا اليوم وإلى المقال التالى إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين



## الصحابة عدول ، بتعديل الله ورسوله لهم

عقد الخطيب البغدادى فصلا نفيسا فى ( الكفاية ) ص ٤٦ - ٤٩ عن عدالة الصحابة بتعديل الله لهم ، وثناء رسوله عليهم ، وبعد أن أورد الآيات والأحاديث المستفيضة فى ذلك قال : وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة ، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم - مع تعديل الله لهم ، المطلع على بواطنهم - إلى تعديل أحد من الخلق له . على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شىء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها القطع على عدالتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين يجيئون من بعدهم إلى أبد الآبدين .

ثم نقل قول الإمام الحافظ أبى زرعة الرازى : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله فاعلم أنه زنديق ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق ، والقرآن حق . وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن ، أصحاب رسول الله ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة . والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة » .

# برامج ومنـــاهج

## — ٢ —

حين كان شق المقراض يعمل عمله على هذا النحو فى أوساط الناشئة والمتعلمين ، كان الشق الآخر يمارس ذلك العمل نفسه فى إعداد معلم اللغة العربية ومعلم الدين . والواقع أن المحاولات المبذولة فى أوساط المعلمين أسبق من نظيرتها المبذولة فى أوساط النشء والمتعلمين . فمن الممكن إرجاعها إلى إنشاء كلية الآداب ، بل إن من الممكن إرجاعها إلى إنشاء « دار العلوم » . ولقد عرف ذلك حق المعرفة أحد أبناء هذه الدار حين قال ( ثم جاء حمزة فتح الله وحفنى ناصف والإسكندرى والمنانى والجارم وضيف من رجال دار العلوم ، فألفوا فى الأدب والعلوم العربية مع الاقتباس من مناهج الغرب فى نظام التأليف . ويعتبر هؤلاء رجال المرحلة الوسطى التى مهدت لمرحلة الجامعة ورجالها ) [1] . ومع ما أعلمه من أن بيان هذا الإجمال شديد الصلة بموضوعنا فإنى أخشى أن يتشعب بنا الحديث ويطول حتى ينسينا ما نحن فيه . لذلك أدع تفصيل هذا الإجمال لموضع آخر قد أعود للحديث عنه مع غيره من الخطط والأساليب التى استهدف بها الإنجليز إضعاف ( الأزهر ) لأنه كان يصبغ التعليم بالصبغة الإسلامية فى مصر ، بل فى البلاد الإسلامية عامة والعربية خاصة ، وذلك بمحاصرته وعزله عن الحياة وسد أبواب الرزق أمام المتخرجين فيه وحصرها فى باب واحد هو خدمة المساجد .

فلندع إذن ذلك الحديث الطويل لفرصة أخرى ، ولأكتف هنا بأن أبدأ بكتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » الذى كتبه طه حسين فى أعقاب معاهدة ١٩٣٦ ، والذى أصبح مكانه من كل حركات الهدم التى يسمونها إصلاحا مثل مكان الدستور من القوانين . ولأكتف من هذا الكتاب فى هذا المقام بفقرة واحدة منه هى الفقرة التاسعة والأربعون ، التى أشار فيها إلى لونين من ألوان الدراسة اقترح إنشاءهما فى كلية الآداب ، وسعى عند المسئولين

---

[١] الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص ٢٤٥ من مقال الأستاذ محمد خلف الله عن « القيم الإسلامية والحياة الأدبية فى مصر الحديثة » .

فى وضع اقتراحه موضع التنفيذ ، فلم يحالفه النجاح فى أيهما . أما أحد المشروعين فهو يدعو إلى إنشاء معهد للأصوات لدراسة اللهجات قديمها وحديثها . وقد عارض وكيل المالية الذى كان ممثلا للدولة فى مجلس الجامعة وقتذاك فى منحه مايحتاج إليه من مال ؛ لأنه لم يستطع - على رواية المؤلف - أن يفهم قيمة هذا المعهد وحاجة المتعلمين إليه . أما المشروع الآخر فقد كان يدعو إلى إنشاء معهد للدراسات الإسلامية يلحق بكلية الآداب . ومهمة هذا المعهد كما تصورها طه حسين هى العناية بالدراسة الإسلامية ( على نحو علمى صحيح ) . والمبرر لإنشائه عنده هو أن (كلية الآداب متصلة بالحياة العلمية الأوربية . وهى تعرف جهود المستشرقين فى الدراسات الإسلامية . ومن الحق عليها أن تأخذ بنصيبها فى هذه الدراسات لتلائم بين جهود مصر التى ترى لنفسها زعامة البلاد الإسلامية وبين جهود الأمم الأوروبية ) .

ومضى على هذين المشروعين الفاشلين زمن طويل حتى كاد الناس ينسون ما كان من أمرهما وأمر صاحبهما . ودارت الأيام دورتها فإذا المشروعان يظهران من جديد ، ينجح أحدهما فى اتخاذ طريقه إلى التنفيذ بإنشاء شعبة فى قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية تدعى ( شعبة الدراسات العربية الحديثة ) وهى شعبة لاتزال - لحسن الحظ - حبراً على ورق منذ أنشئت فى سنة ١٩٥٥ . وما أظن أن الطريق أمامها ميسر فى واقعنا العربى الراهن . أما المشروع الآخر فقد عاد للظهور فى صورة اقتراح مقدم من أحد أعضاء لجنة التربية الدينية بوزارة التربية والتعليم . وكما كان صاحب الاقتراحين القديمين شخصاً واحداً هو طه حسين ، فقد كان صاحب الاقتراحين الجديدين شخصاً واحداً أيضاً هو الأستاذ محمد خلف الله . وقد اقترن المشروعان الجديدان بظروف وملابسات تدعو إلى التدبر والتأمل .

بدأت فكرة هذين المشروعين فى مؤتمر للثقافة الإسلامية عقد فى صيف سنة ١٩٥٣ بدعوة من جامعة برنستون الأمريكية ، ودعى إليه مندوبون من مختلف البلاد الإسلامية بين أندونيسيا شرقا والمغرب العربى غربا ، واشترك معهم عدد مساو من الأمريكيين ، بعضهم من رجال وزارة الخارجية وبعضهم من المبشرين الذين يسترون أهدافهم الهدامة تحت اسم البحث العلمى ، وفريق ثالث من موظفى شركات البترول .

أما مشروع ( إنشاء قسم أو شعبة للدراسات الإسلامية فى كل كلية للآداب بالجامعات

المصرية )[1] فقد بناه صاحبه على أن الركن الأكبر فى نجاح التربية الدينية ( هو المعلم الذى ينبغى أن يعاد النظر فى تكوينه وإعداده ، وأن يرسم لذلك منهج جديد يحقق له عمق الثقافة وحرية الفكر - ص ١٦٤ ) . وبناه كذلك على ( أن قيام مصر بنصيبها فى تقدم الإنسانية وفى حل مشكلات الحياة المعاصرة يتطلب من المصريين تعمقا فى دراسة دينهم ، وتبين موقفه من مختلف المذاهب والاتجاهات التى يجىء بها التطور الاجتماعى والفكرى - ص ١٦٥ ) . واقترح فيما اقترحه من الدراسات فى هذا القسم دراسة « سيكولوجية الدين » و « التاريخ الدينى والفكرى للبشرية قبل الإسلام » و « ما كان لمصر وعلمائها بين الأمم الإسلامية من آثار علمية خالدة » و « النظم الدينية والأخلاقية المقارنة » .

فالدراسة المقترحة تقوم على أساسين . أولهما استبعاد الأزهر من القيام بوظيفة تعليم الدين لأن مناهجه لا تحقق للدارسين فيه ( عمق الثقافة وحرية الفكر ) ، وثانيهما هو الصبغة المصرية التى تبرز فى الإشارة إلى مهمة مصر القيادية فى حل مشكلات الحياة المعاصرة ومسايرة التطور الاجتماعى ، وهو تطور غربى بالبداهة » ، كما تبرز فى إمداد الدارس بما يقوى فيه الاعتزاز بقدماء الإسلام وعلمائه من المصريين خاصة ، مما يوجد لونا من الشعوبية الإسلامية يشبه الشعوبية السياسية .

والصلة واضحة بين هذا المشروع وبين مشروع طه حسين من ناحية ، وبينه وبين ما ألقى فى مؤتمر الثقافة الإسلامية السالف ذكره من ناحية أخرى . فهو قريب الصلة بما جاء فى كلام الإسماعيلى الهندى المتجلنز آصف على فيظى عن الإسلام الهندى الحديث المتأثر بالمذاهب الغربية ، والذى أنشئت جامعة عليكرة « الكلية المحمدية الإنجليزية » لنشره وترويجه

---

[1] نشر هذا الاقتراح فى مجلة « الأسرة » التى يصدرها قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية فى العدد ٦ سنة ١٩٥٧ [ ص ١٦٠ - ١٦٥ ] . وفى آخره إشارة إلى أن صاحب هذا الاقتراح قدم معه مذكرة تفسيرية منفصلة عن مواد الدراسة وعدد الدروس فى كل مادة بالنسبة لكل سنة من سنى الدراسة فى هذا القسم . ولم يتيسر لى الاطلاع على هذه المذكرة .

( ص ٨١ - ٨٢ من كتاب « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » نشر فرنكلين ١٩٥٦ )
كما يذكرنا بما زعمه من أن التصور الأساسي ( لا تمكن المحافظة عليه سليما إلا بإعادة تفسيره وإعادة تحريره فى كل عصر وفى كل مرحلة من المدنية ) ، وبدعوته إلى الاستفادة من الدراسات الحديثة فى علم النفس ومن الفكر الأوروبى والفكر البروتستنتى والتفكير المدرسى المسيحى والتفكير اليهودى ( ص ٤١١ ) . ولعل له صلة مع ذلك كله بمقررات « اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامى المسيحى » التى شارك صاحب الاقتراح فى اجتماعها فى بحمدون سنة ١٩٥٤ وفى الإسكندرية سنة ١٩٥٥ . أما ماجاء فى المشروع عما سماه صاحبه « سيكولوجية الدين » فهو شديد الشبه بكلام القسيس الأمريكى ميلربروز فى دعاواه الهدامة التى طالب فيها بوضع ( تجربة الدين ) و ( تجربة النبوة ) والمعجزات والصلاة والحياة الآخرة موضع البحث وإخضاعها لقواعد علم النفس الحديث ( ص ٤٣ - ٤٩ ) . وهو من ناحية أخرى استجابة لدعوة القسيس الأمريكى الآخر هاروند سميث الذى قال « إن وجهتى فى هذا المقال هى أن أستعرض بعض الاتجاهات الحديثة ، وأن أقترح طرقا لدراسة النظرية الإسلامية المهمة فى الإنسان ... ولا شك أن القيام بهذه الدراسة على وجهها الكامل أمر متروك لعلماء المسلمين أنفسهم - ص ٥٩ » . وغير خاف ما تنطوى عليه ( سيكولوجية الدين ) من مفاهيم ، أولها وأبرزها أن الدين ظاهرة نفسية ليس لها وجود خارجى حقيقى ، لأن من المعروف أن هذه ( السيكولوجيا ) ترد كل التصرفات إلى مصدر مجهول فى أعماق النفس البشرية يسمونه ( العقل الباطن ) . ولا أدرى ولا يدرى أحد أين هو على وجه التحديد ، ولكنه فى داخل الإنسان على كل حال وليس خارجه ، ليس وحيا وليس تنزيلا . يقول المبشر ميلر بروز صاحب الاقتراح الأصيل إن ( تجربة النبوة ) يمكن « أن تلاحظ وتدرس بنفس الطريقة ، وإلى نفس الدرجة التى يمكن بها ملاحظة التأثيرات الذوقية والوجدانيـــة ودراستها - ص ٤٣ » . ويقول « ويستطيع العالم أن يشير إلى أن التجارب الدينية - منظورا إليها فى ضوء الظواهر السيكولوجية - لا يمكن تمييزها من أوهام الحس - ص ٤٤ » . ويقول « إنه ليس للدين أن يتوقع أن معتقداته ستؤخذ قضايا مسلمة ، على أساس أنها جاءت من طريق الوحى ، وأن وراءها سلطة التقاليد القديمة . . . . أما العلم فإنه يرى فى روح البحث الحر جوهر الحياة . وإذا كان الدين يريد أن يضمن احترام العلماء فعليه أن يظهر استعداده لعرض قضاياه لضوء

العقل ، غير محتم بسلطة إلا سلطة الحقيقة نفسها - ص ٤٥ » [١] . ولعل ذلك كله هو ماقصد إليه الأستاذ محمد خلف الله فى مذكرته من ( عمق الثقافة وحرية الفكر ) .

تلك هى قصة أحد المشروعين . أما المشروع الآخر فهو متصل بمناهج جديدة للدراسة فى قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية . وهو قسم لا يشتغل المتخرجون فيه بغير تعليم اللغة العربية فى بلاد العرب كما هو معروف . فلننظر : هل تعد هذه الدراسة برامجها الجديدة للقيام بهذه المهمة ؟ .

تقوم هذه البرامج - كما هو واضح من جداول الدراسة المذكورة فى تقويم كلية الآداب بجامعة الإسكندرية للعام الدراسى ١٩٥٥ - ١٩٥٦ ص ٨٥ ، ٨٦ ، ومن المذكرة التفسيرية الخاصة بها ص ٩٥ - ٩٧ - على تفرقة أساسية بين مرحلتين من مراحل الأدب العربى ودراساته . فالمرحلة الأولى تشمل الأدب العربى والدراسات المتصلة به منذ عرفه التاريخ إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادى . أما المرحلة الثانية فهى تقتصر على ما يلى ذلك باعتباره مرحلة مستقلة تختلف موادها وأسلوب الدراسة فيها وأهدافها عن المرحلة السابقة . فالمنهج يسمى المرحلة الأولى ( الدراسات العربية فى مرحلتها الكلاسيكية ) تارة ، ويسميها ( الدراسات العربية القديمة ) تارة أخرى ( ص ٩٥ من تقويم كلية الآداب السابق ذكره ) بينما يعرف المرحلة الثانية ويصفها بقوله : ( الآداب العربية فى نهضتها الحديثة منذ القرن التاسع عشر ، وماكان للفكر العربى من اتصال وتأثر بالثقافة الغربية ) . وقبل أن يبدأ الطالب تخصصه فى إحدى هاتين المرحلتين يدرس فى سنتيه الأولى والثانية دراسة عامة يتعرف فيها ( أركان الدراسات العربية فى مرحلتها الكلاسيكية ) كما تقول المذكرة التفسيرية (ص ٩٥) يخير بعدها بين متابعة الدراسة فى ( شعبة الدراسات العربية والشرقية القديمة ) أو متابعتها فى ( شعبة الدراسات العربية الحديثة ) . ولأدع الشعبة الأولى ، على ما يشوب دراستها من

---

(١) الرد على كل هذه الدعاوى سهل يسير . وهو يتلخص فى أن العلم البشرى لا يصلح لأن يكون فيصلا إلا فى شئون المادة المحسوسة التى يجرى عليها تجاربه ، بل فى بعض شئون هذه المادة مما تيسر له الكشف عنه . أما ما وراء المادة من الغيب الذى لا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى فالعلم عاجز عن إبداء رأى فيه . وكل ما يقال فى التشكيك فيما جاء به الدين ليس إلا ظنونا لا تتجاوز مرتبة [ الفروض العلمية ] . وذلك هو قول الله تبارك وتعالى فيما أنزل على نبيه « وما يتبع أكثرهم إلا ظناً . إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » وقوله سبحانه وتعالى : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » .

نقص ، وما تنطوى عليه من انحراف تصوره جداول الدراسة الغارقة فى مواد أجنبية تطغى على علوم العربية الأصيلة وتضيق عليها المجال ، ويكفى أن أقدم مثالا واحداً لذلك فى درس الأدب العربى الذى لا يتجاوز ساعتين كل أسبوع ، بينما يشغل درس اللغة العبرية وآدابها ، أو السريانية وآدابها ثلاث ساعات أسبوعية من وقت الطالب فى كل من السنتين الثالثة والرابعة . ومن شاء المزيد من الأمثلة فليرجع إلى المذكرة التفسيرية ( ص ٩٦ ) ليرى ما تتضمنه محاضرات ( الدراسات الإسلامية ) و ( النقد والبلاغة ) من مفاهيم منحرفة تبدد الوقت الضئيل المحدد لها فى قشور تبعدها عن طبيعتها الإسلامية والعربية ولا تصل إلى أعماق المادة ولبها . ومن شاء المزيد من الوضوح فليرجع إلى ما بين أيدى الطلاب من مذكرات ليعرف مبلغ ما يحصلونه ونوعه . أقول إنى لا أريد أن يتشعب بى الكلام فى هذه الشعبة ( القديمة ) ، وأريد أن أحصر كلامى فى الشعبة الأخرى ( الحديثة ) لأن البلية بها أكبر ، فهى تسقط من حسابها كل العلوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها ونصوصها الفصحى شعراً ونثرا ، كأن ذلك كله ليس له وجود وليس له آثار وليست لنا به حاجة منذ القرن التاسع عشر الذى حصرت الشعبة دراساتها فيه وفيما يليه ، كما تشير إليه المذكرة التفسيرية ، وأكتفى فى هذا الموضع بأن أنبه القارئ إلى ما ذكرته من أمر المناهج التى تريد أن تفصل حاضرنا ومستقبلنا عن ماضينا ، لأستأنف إكمال الصورة التى نحن فى صددها بنقل ما جاء فى المذكرة التفسيرية عن مواد الدراسة فى هذه الشعبة بسنتيها :

« فى السنة الثالثة :

١ — تاريخ النهضة العربية الحديثة فى القرن التاسع عشر .

٢ — الأدب العربى الحديث فى مصر والبلاد العربية .

٣ — تاريخ النقد الأدبى الحديث ، مع العناية بنواحى الاتصال بينه وبين النقد الأدبى الأوروبى .

٤ — التطور اللغوى العربى فى العصر الحديث ، مع العناية بمشكلة الفصحى والعامية .

٥ — تيارات الفكر الإسلامى وحركات التجديد فى العصر الحديث [١] .

٦ — المذاهب الكبرى فى الآداب الغربية وتأثيرها فى الفكر العربى » .

---

[١] ذكرت هذه المادة فى جداول دراسة الشعبة الحديثة تحت اسم : « تطور الفكر الإسلامى فى العصر الحديث » ، وذلك فى مقابل « دراسات إسلامية » فى جداول الشعبة القديمة . فتأمل !

«في السنة الرابعة :

١ — الحياة الثقافية والاجتماعية في البلاد العربية وصلتها بالأدب .

٢ — مدارس الشعر العربي الحديث .

٣ — مدارس القصة .

٤ — فنون الأدب الشعبي .

٥ — اللهجات العربية الحديثة .

٦ — ويقوم الطالب بدراسات لغوية حديثة ، مع العناية بالنحو المقارن والأصوات اللغوية » .

هذه هي مواد الدراسة في الشعبة ( الحديثة ) منقولة عن المذكرة التفسيرية الملحقة بالجداول حرفا بحرف ( ص ٩٧ من تقويم الكلية السابق ذكره ) ، وهي تخلو خلوا تاما — كما ترى — من درس واحد في النحو أو الصرف أو البلاغة أو القرآن أو الدراسات الإسلامية أو الأدب العربي السابق على الحملة الفرنسية ، ويترتب على هذه الظاهرة الخطيرة أمران خطيران : أولهما عدم صلاحية المتخرج في هذه الشعبة لتدريس اللغة العربية التي يجهل نحوها وصرفها وأدبها وبلاغتها . ليس هذا فحسب ، بل إنه سيكون حربا على العربية ومعول هدم يعمل فيها ؛ لأنه إذا سئل عن شيء مما يجهله غطى جهله بالتهكم بالعربية وقواعدها وأساليبها ، وسيكون من آثار ذلك أن ينشأ جيل من الناس لا يقيم العربية ولا يتذوقها . فإذا نعق ناعق من بعد بأن إعراب أواخر الكلمات لا داعي له ، وبأن عربية القرون الأولى لغة ميتة لا وجود لها في الحياة ، فسوف يجد هذا الناعق لصوته صدى في عقول ذلك الجيل من الضحايا الذين ألقاهم سوء حظهم بين أيدي هؤلاء المعلمين .

هذه واحدة ، أما الأخرى فهي أن هذه البرامج تهدد الدراسات العربية التي يريد المنهج أن يسميها ( كلاسيكية ) ، لأن بقاءها يصبح مرهونا بأهواء الشباب ، الذي قد تستهويه هذه البدعة ، فينصرف عن دراسة لغة القرآن ولغة الآباء والأجداد ولغة العرب الجامعة لشتاتهم إلى هذه الدراسات التي تحاول أن تربط حاضرنا ومستقبلنا الأدبي بالغرب في الوقت

الذى تتمين فيه تراثنا الأدبى الحى العريق بالآداب السامية الميتة . آداب السريانية والعبرية . إذ تجعلها جميعا فى شعبة واحدة هى ( شعبة الدراسات العربية والشرقية القديمة ) .

فإذا تركنا برامج الشعبة ( الحديثة ) إلى السنتين التمهيديتين اللتين يشترك فيهما طلبة الشعبتين ، وتزعم البرامج أنها تزود الطالب فيهما بأركان الدراسات العربية ( فى مرحلتها الكلاسيكية ) وجدنا أن الدراسات العربية لاتظفر فيهما بأكثر من نصف الوقت المحدد للدراسة ، وهو وقت قصير لايتجاوز مجموعه أربعة عشر درساً فى الأسبوع ، نصيب الدراسات العربية منه سبعة دروس أسبوعياً فى السنة الأولى وتسعة دروس أسبوعيا فى السنة الثانية . إن بعض هذه الدروس التى ضممتها فى إحصائى إلى الدراسات العربية يمكن إسقاطها من الحساب . لأن مراجعة المذكرة التفسيرية تبين أن ما يدرس فيها ليس من صميم العلوم العربية . بل هو فى بعض الأحيان بعيد عنها . فبين دروس السنة الأولى السبعة مثلا ثلاثة دروس باسم ( اللغة العربية ) تنص المذكرة التفسيرية على أنها دروس عامة يشترك فيها طلبة قسم اللغة العربية مع طلبة الأقسام الأخرى فى دراسة سطحية تلائم غير المتخصصين . وبين دروس السنة الثانية التسعة ثلاثة دروس تحت اسم ( دراسات لغوية ) وضحت المذكرة التفسيرية ما يدرس فيها بقولها : « ويبدأ هنا كذلك دراسة علم اللغة العام General Linguistics فى تطوراته الحديثة مع الإلمام بالمناهج الحديثة فى دراسة الظواهر اللغوية – ص ٩٦ » .

ذلك هو ما تتضمنه دراسة الطالب الذى تمنحه الدولة فى نهاية هذه السنوات الأربع شهادة تسمى ( ليسانس اللغة العربية وآدابها ) تجعل لحاملها الحق فى مباشرة تعليم اللغة العربية للناشئة من أشبال العرب . فهل ترى أن هذه الدراسة تعده للقيام بهذه الوظيفة وحمل هذه الأمانة ؟ .

بقى بعد ذلك أن أعود لما بدأت به حديثى حين قلت إن فكرة هذه الشعبة ( الحديثة ) قد بدأت فى برنستون ، فأشير إشارة موجزة إلى مرحلتين سبقتا هذه البرامج تصوران نشأة هذا التوجيه وتطوره . أما المرحلة الأولى فهى تتمثل فى الكلمة التى ألقاها مقترح هذه البرامج فى مؤتمر الثقافة الإسلامية المعاصرة الذى انعقد بجامعة برنستون الأمريكية فى صيف سنة ١٩٥٣ ، وقد جاءت فى كتاب ( الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ) تحت عنوان ( القيم الإسلامية والحياة الأدبية فى مصر الحديثة ) بين صفحتى ٥٢٧ ، ٥٤٩ وهى كلمة لم يتضمنها تمهدى لذلك الكتاب الذى نشر فى عددى شعبان ورمضان سنة ١٣٧٦ .

ذكر الأستاذ محمد خلف الله فى مقاله ذاك حين عرض لذكر الدراسات النقدية فى قسم اللغة العربية بالإسكندرية أنها قد « أثارت - فيما أثارته - معضلة لها نواحيها التطبيقية والتعليمية : تلك هى صلة علوم البلاغة العربية بالنقد الأدبى ، وهل تلك العلوم دراسات لزمن قد انقضى ويجب أن تخلى المكان للنقد الحديث - ص ٥٤٤ » . ثم عرض فى ذلك المقال لما سماه ( مشكلات اللغة العربية ) ، فذكر منها « الصلة بين الفصحى والعامية ، وأثر هذا الازدواج فى إضعاف المجهود الفكرى للأمة . وهل من المصلحة أن تعمم العامية بعد صقلها وترقيتها ، أو يحدث تقارب بين اللغتين ؟ وهل لطريقة الكتابة العربية التى تعبر عن مادة الكلمة لا صورتها أثر فى صعوبة اللغة نفسها على متعلميها ؟ وإذا كان ، فكيف السبيل إلى إصلاحها ؟ - ص ٥٤٦ » . وقال بعد ذلك فى صدد ما سماه مشكلة الخط العربى « ويبدو من المحتمل أن يقبل الرأى العام اقتراحا للإصلاح يقوم على الاحتفاظ بالطريقة العربية فى الكتابة مع إضافة أحرف جديدة للحركات القصيرة ، تدخل بها الحركات فى صلب الكلمة على نظام الكتابة الغربية - ص ٥٤٧ » . ووصف هذه المعضلة الموهومة بأنها مشكلة عالمية ( ؟ ! ) ، لأن حلها فى نظره « يهم العالم كله . ومن الخير أن يتولى بحثها مؤتمر إسلامى عام يشترك فيه الإخصائيون من علماء الغرب - ص ٥٤٧ » . أما ما سماه ( مشكلة العامية والفصحى ) فقد وصفها تارة بأنها ( ازدواج - ص ٥٤٦ ) ووصفها تارة أخرى بأنها ( ثنائية لغوية - ص ٥٤٩ ) . وزعم أنها « ظاهرة لها مضارها فى سير الفكر والتعبير - ص ٥٤٩ » . وكان من مضارها عنده صعوبة الاتصال المباشر بين الغربيين وشعوب العربية ( وذلك لما اضطر إليه الغربيون من الاقتصار على تعلم الفصحى واستمداد أساليبها من الكتب - ص ٥٤٩ ) . ومن عجب أن يراقب صاحب المقال الغرب فى كل مقاله حتى يجعل لهذه المراقبة اعتبارا فى لغتنا التى هى أخص خصائصنا . ويحاول الكاتب فى ختام مقاله أن يلقى ستارا على رأيه الذى يبدو واضحا فى هذه المشاكل المزعومة ، فيقول إنه قد اقتنع منذ مدة « أن السبيل الوحيدة للبلاد العربية والإسلامية هى الحرص على اللغة الفصيحة وتعميمها - ص ٥٤٩ » . ولكن حقيقة أمره لا تلبث أن تتضح حين يتبين للقارئ أن اللغة الفصيحة التى يعنيها هى لغة أخرى معدلة متطورة فى رسمها وفى مادتها ، إذ يدعو إلى « استعمالها فى شئون الحياة والفكر ، وإصلاح رسمها بما يسهل ذلك الاستعمال ، وإغنائها بكثير من عناصر الحياة

التى تفيض بها اللغة العامية ، وإخضاعها لما لا يضيع خصائصها الجوهرية من أساليب التطور والتجديد - ص ٥٤٩ ) .

فهذا المقال يصور مولد الفكرة فى برنستون ، وهو المرحلة الأولى فى برامج قسم اللغة العربية . أما المرحلة الثانية التى توسطت بين نشأة الفكرة فى صيف سنة ٥٣ وبين تنفيذها فى البرامج الجديدة بقسم اللغة العربية فى العام الدراسى ( ٥٥ - ٥٦ ) فهى مسجلة فى مقال الأستاذ محمد خلف الله نشره فى ( مجلة اتحاد كلية الآداب ) عن العام الدراسى ( ٥٤ - ٥٥ ) ، وهو يصور اختمار الفكرة ، وقد جاء هذا المقال تحت عنوان ( ثقافة الإسكندرية الحديثة - ص ١٢ إلى ١٤ ) ، وفيه يقول ، بعد أن أشار إلى عناية جامعة الإسكندرية بدراسة الفكر العربى الحديث : « وستشهد السنوات القليلة المقبلة مزيد عناية بهذه الدراسة وتوسعاً فى ميادينها ، حتى تشمل ظواهر التطور اللغوى والأدبى وتفرع اللهجات فى وادى النيل والبلاد العربية ، وسيزداد الاهتمام فى هذه الدراسة بالجانب التجريبى من بحوث اللغة ، فينشأ معمل لتسجيل الأصوات وقياسها - ص ١٤ » [١] ، وقد قسم كاتب المقال الفكر الإسلامى والعربى فى ختام مقاله هذا إلى ( فكر عربى وإسلامى كلاسيكى ) و ( فكر عربى حديث ) ، ودعا إلى « المحاضرة عنه فى المعاهد الأوروبية والأمريكية التى تعنى الآن بدراسة هذا الفكر وتعرف اتجاهاته » . ولست أدرى إن كان قد سأل نفسه حين كتب هذا الكلام : ما هو سبب هذه العناية الجديدة من جانب أمريكا بتعرف اتجاهات الفكر الإسلامى الحديث ومحاولة توجيهه فى اتجاهات معينة ؟ ! .

ولأكتف من المقال بهذا القدر ، ولأتجاوز عما جاء به من اقتراح إنشاء (معهد لدراسات البحر الأبيض ) يصبح « كعبة للطلاب الغربيين الذين يفدون من أوروبا وأمريكا » ؛ لأن لذلك المعهد المقترح قصة أخرى غير ما نحن فيه . ولأكتف هنا بأن أقول إن كل حديث عن رابطة البحر الأبيض وحضارة البحر الأبيض ، وشعوب البحر الأبيض لا يراد به إلا صرف الناس عن رابطة العروبة ورابطة الإسلام ، وعند حكومة تونس الراهنة وحكومة لبنان الغابرة الخبر اليقين .

وبعد فلست أحب أن أختم مقالى هذا قبل أن أنبه القارىء إلى أن الخطر الذى تنطوى عليه كل هذه الاتجاهات المنحرفة خطر مزدوج . فهو يهدد بقطع ما بين العرب بعضهم والبعض

---

(١) وقد أنشىء هذا المعمل الذى ذكرت فى صدر المقال أن طه حسين قد فشل فى إنشائه .

الآخر فيتناكر المتعاصرون منهم ، ثم إنه يهدد من ناحية أخرى بقطع ما بين العرب ـ جملة وأفرادا ـ فى حاضرهم ومستقبلهم وبين قديمهم ، وبينهم وبين مصادر إسلامهم ، والخطران كلاهما ماثلان فى برامج هذه الشعب الحديثة فى الدراسات العربية والإسلامية .

•

وفى الوقت الذى أنشئت فيه هذه الدراسة فى إحدى كليات الآداب كان أنيس فريحة المدرس بالجامعة الأمريكية فى بيروت يلقى محاضرات فى الدعوة إلى دراسة اللهجات السوقية وآدابها والدفاع عنها من فوق منبر جامعة الدول العربية (١) ، وكان مجمع اللغة العربية فى القاهرة مشغولا بدراسة هذه اللهجات ، وكان دعاة العامية وأعداء العروبة يتجمعون وينشطون فى الترويج لدعوتهم ويملئون بها الصحف مستغلين اسم الثورة على ما هو معهود من أساليبهم فى التضليل وانتهاز الفرص ، لابسين ثوب الشعبية والدفاع عن لغة الشعب ، حتى أسفرت القومية العربية عن وجهها فأخرست كل ملجلج ، وكان بعض الأعضاء الذين شهدوا مؤتمر مجامع اللغة العربية الأول فى دمشق يدعو إلى وضع معجم لغوى مستقل لكل إقليم عربى وإلى تبديل قواعد اللغة العربية وتغيير رسمها وإملائها ، وكانت هذه الاقتراحات فى الوقت نفسه تتخذ طريقها إلى التنفيذ فى كتب المطالعة والنحو التى يتداولها تلاميذ المرحلة الابتدائية والمرحلة الإعدادية فى مصر .



أى صدفة عجيبة تلك التى ألفت بين هذه الجهود وأصدرت إليها أمرا بالزحف العام فى وقت واحد ؟ يالها من صدفة حكيمة عاقلة !.

الدكتور محمد محمد حسن
أستاذ الأدب العربى الحديث
بجامعة الإسكندرية

---

(١) راجع « محاضرات فى اللهجات وأسلوب دراستها » لأنيس فريحة . نشر معهد الدراسات العربية العليا سنة ١٩٥٥ .

# ذكرى ثورة الجزائر

« الكلمة التي ألقاها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف في الاحتفال الذي أقيم تحت إشرافه بدار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين يوم ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ ( ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٨ ) وخطب فيه الأساتذة الشيخ البشير الإبراهيمي وأحمد توفيق المدني والشيخ أحمد الشرباصي ومحمد مصطفى حمام ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على إمام المجاهدين ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه السائرين على سنته إلى يوم الدين .

( وبعد ) ففي هذه الليلة الزهراء ، ومن هذا الحفل الرائع ، نبعث بأطيب التحيات والأماني إلى إخواننا المجاهدين في الجزائر ، وإلى قادة ثورتها المباركة ، ونحيي أبلغ تحية رجال حكومتها الأحرار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من العمل لتحطيم أغلال الاستعمار المشئوم في قطر الجزائر ، واستمرار الجهاد حتى تعود الجزائر إلى أهلها ، أرضا نقية طاهرة وبلادا عربية إسلامية يتمتع فيها شعبها بحياة حرة كريمة ، ويقيم بها على دعائم قوية من الاستقلال والحرية مجدا عالي الذرى وعزا يناوح السهى . ونهنئ الجزائر والعالم العربي والإسلامي بقيام هذه الحكومة الشرعية الحرة من خيرة أبناء الجزائر المجاهدين وزعمائها المخلصين ، تحمل الأعباء الجسام ، وتنهض بالمهام العظام . ونهنئ صديقنا العلامة الكبير والمجاهد العظيم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي شيخ علماء الجزائر ببشائر النجاح في تحرير الجزائر من ربقة الاستعمار .

إن الشعب الجزائري شعب أبي بفطرته ، باسل في حرابته . لا يرضى أن يقيم على هضيمة ولا أن يغضي على قذى . وله فوق ذلك من عزة دينه معتصم ، ومن قوة يقينه معتمد . نازل بهذه الأسلحة القوية وهذه القوى المتضافرة عدوا صلفا غشوما جثم على صدره في عقر داره وأذاقه على طول المدى بؤس الحياة ومرارة العيش .

عدا على الأرواح فأزهقها ، وعلى الأموال فاغتصبها . وعلى الحقوق فاستلبها ، وعلى الحريات فوأدها ، وعلى الكرامات فامتهنها . فكان من ذلك وقود نار ألهبت الشعور ، وتأججت فى الصدور ، فصمم هذا الشعب الأبى أن لا يعيش فى وطنه على هوان ، وأن لا يسمح لكرامته أن تذل وتهان ، وعزم أن يعيش عيشة الأحرار الأعزاء فى الوطن العزيز .

حاول بكل الوسائل السلمية أن ينال حقوقه المغصوبة ، فلم تجده نفعا ولم يجد من العدو الباغى إلا صلفا وكبرا وعنادا وبغيا ، فنازله فى الميدان .

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا

نازل عدوه وهو أعزل من كل سلاح ، إلا من عقيدة الإيمان بالله وقوة الحق والقلوب الجياشة بالعزة الإسلامية والمعانى الوطنية السامية . وتلك أسلحة قوية لا تفل وقوى جبارة لا تقهر مهما طال المدى تهون بها الصعاب ، ويستعذب بها الأجاج ، ويقتحم من ادرع بها سعير الوغى لا يبالى لجب الجيوش ولا قصف المدافع ولا قذائف الطائرات .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين أمر بالجهاد لإعلاء الحق ومحو الظلم والبغى والقضاء على فتنة الشرك والمشركين - أعزل من كل سلاح وقوة إلا من هذه الأسلحة الماضية ، فجاهد فى الله حق جهاده حتى تم له النصر المبين والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وكذلك شعب الجزائر فى حربه ضد الطغاة الغاصبين ، سيكون له الغلب والفوز المبين بتوفيق الله تعالى والعاقبة للمتقين .

* * *

إخوانى :

إن الجزائر فى ثورتها إنما تحامى عن دينها ووطنها وتذود عن أرواحها وحرياتها وتجاهد لاسترداد حقوق مغتصبة ، وللدفاع عن أمانة فى عنقها للأجيال المقبلة وتلك فريضة « فرضها الله عليها ، ولا تزال الحرب سجالا بينها وبين عدوها الباغى . ولن تلقى السلاح حتى تطهر وطنها من الاستعمار والمستعمرين وتعيش حرة فيه فلا حياة مع الذل والاستعباد .

أدت الجزائر واجبها وستؤديه كاملا وافيا بالدم الغالى مهما كلفها ذلك من الضحايا . وليس أدل على ذلك من تصميمها على مواصلة الجهاد مع إفناء العدو نحو مليون من أبناء البلاد فيهم نساء وأطفال وشيوخ لا يد لهم فى القتال .

فما هو الواجب شرعا على المسلمين كافة حيال هولاء المجاهدين ؟ .

هذا سؤال أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوابه بمثل رائع بليغ فى معناه ، بعيد فى مرماه . ضربه تبيانا للناس وتبصرة فقال « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

هذا أثر الإيمان فى النفوس الحية وهذا شأن المؤمنين الأخيار فيما ينوب فرداً أو طائفة منهم من الأحداث والنوب فما بالكم بما ينوب أمة بأسرها فى دينها ووطنها وأرواحها وأموالها وحرماتها وكل عزيز لديها من عدولها فى دينها ودنياها يمعن فى بغيه وفساده فى ماضيه وحاضره ومستقبله ؟ ؟ .

أليس التراحم والتعاضد والتعاون والنصرة أوجب وألزم ؟ .

وقد عقد الله تعالى بالإيمان بين أهله آصرة الأخوة الرحيمة فقال إنما المؤمنون إخوة . وناهيكم بآثارها بين الأخوين ، إنها عطف وتراحم وتعاون فى كل أمر دينى ودنيوى .

* * *

وانعقد إجماع المسلمين على أن بلاد الإسلام دار واحدة ، وأهلها جميعا إخوة فى الإسلام لا يفرق بينهم تنائى الديار ولا اختلاف الأجناس ولا الألوان ولا اللغات ، ما دام يجمعهم التوحيد والقرآن . فيجب على المسلمين كافة فى سائر الأقطار معاونة الجزائر فى ثورتها على عدوها الباغى . بكل ما فى الاستطاعة من المدد المادى والمعنوى ، حتى تضع الحرب أوزارها وينتصر الحق على الباطل ويشفى الله صدور قوم مؤمنين .

* * *

أيها المسلمون :

**هذا حكم الإسلام حيال ثورة الجزائر ، وهو حكمه حيال المجاهدين لإنقاذ فلسطين من**

بنى الصهيونية ، ولاسترداد هذا الوطن الغالى إلى حوزة الإسلام ، وإبقاء المسجد الأقصى فى دار إسلام لم يمسها رجس . فأدوا واجبكم حيال الجزائر وفلسطين بقدر ما فى استطاعتكم . والجهاد كما يكون بالنفس لمن استطاعه يكون بالمال للقادرين . فى الحديث الصحيح من جهز غازيا فقد غزا ويكون بالإمداد بالسلاح الكافى ، وبالرأى وبالنصيحة ، وبالحث بوسائله الحاضرة ، ويكون بمقاطعة الأعداء وحصارهم بكل سبيل ، والقعود لهم بكل مرصد . فمن قصر فى ذلك أو خذل الناس عنه أو والى الأعداء موالاة تضر جماعة المسلمين أو غش أو خادع فهو آثم إثما عظيما ، وليس منا ولسنا منه فى دين الله .

ونحن نحمد الله تعالى أجل الحمد وأتمه ، إذ تيقظت الشعوب العربية والإسلامية من سباتها ، ونفضت عن أردانها غبار التقاطع والتدابر ، وعار الاستخذاء والذلة ، وموالاة الأعداء المضرة ، وأجمعت أن تناضل عن حقوقها وتطهر أوطانها من رجس الاستعمار ، وتعيش فى ديارها قوية عزيزة فى ظلال الإسلام والسلام والتعاون والإخاء .

وإننا نبتهل إلى الله تعالى أن يوفق قادة المسلمين عامة لما فيه الخير والصلاح ، وأن يجزى حكومة الجزائر الحرة عن وطنها وعن الإسلام والعرب خير الجزاء ، ويهبها من لدنه توفيقا وتسديدا فيما هى بسبيله من خير وجهاد مشكور . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

حسنين محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية سابقا وعضو جماعة كبار العلماء

---

## تصويب

وقع فى بعض نسخ هذا الجزء أخطاء مطبعية نرجو من القارئ تصويبها بالقلم :

فى صفحة ٤٠٧ السطر ١١ « لحنيفة » صوابها « لحذيفة » . « فسطاسه » صوابها « فسطاطه » .

فى صفحة ٤٢٥ السطر ١٨ « فأغير حرفا » صوابها « فما غير حرفا » .

فى صفحة ٤٣١ السطر ١٦ « أبى ذرعة » صوابها « أبى زرعة » .

فى صفحة ٤٣١ السطر ١٧ « صلى الله » صوابها « صلى الله عليه وسلم » .

# القائد الأسود

---

نحن الآن نعيش فى القرن العشرين ، القرن الذى يسمونه قرن الحضارة والمدنية والنور ، ومع ذلك لا يزال الغربيون الذين يدعون أنهم أئمة هذه الحضارة يرتكبون من السيئات والمنكرات مالا يمكن أن يدخل تحت المعنى الصحيح للحضارة .

ولعل أقبح السيئات التى يأتيها أبناء الغرب فى مختلف بقاع الأرض هى تلك التفرقة اللونية والعنصرية التى يثيرون غبارها ويشعلون سعيرها بين البيض وغيرهم ، لا لشىء إلا لأن الله عز وجل قد خلق بعض الناس ببشرة بيضاء وبعضهم ببشرة سوداء . . .

ومن أجل هذا الاختلاف فى اللون نجد البيض الذين يزعمون التمدن والتحضر والرقى يذيقون السود ألوان العذاب ، ويسيمونهم أنواع الاضطهاد ، مما لا يتفق مع دين إلهى ، ولا أخوة إنسانية ، ولا زمالة بشرية ، ولا عهد ننادى فيه بالعدالة والمساواة . . .

وهنا يشرق نور الإسلام زاهيا رائعا يفيض بآيات الحكمة وينابيع الرحمة ، فإنه لم يقم وزنا لاختلاف الألوان أو الأجناس أو الأنساب أو الأحساب ، بل جعل الناس أمة واحدة من ناحية القيمة الإنسانية والمكانة البشرية ، وجعلهم سواسية كأسنان المشط فى الاستواء ، فلا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض ، إلا بالتقوى ! ! . . .

وإذا كان الغربيون اليوم يضطهدون السود ويحتقرونهم ، ويطردونهم ويعذبونهم ، ويعتدون عليهم بشتى ألوان الاعتداء ، ويحرمونهم التمتع بالحقوق الطبيعية التى لا يكون الإنسان إنسانا صحيح الإنسانية إلا بها ، فإننا نجد التاريخ الإسلامى تتعطر صفحاته بسير رجال كان لونهم أسود ، ولكن الإسلام أعلى شأنهم وأعز مكانتهم ، وقدمهم على غيرهم بفضل جهادهم وعملهم الصالح . . .

ومن هؤلاء : الصحابى البدرى أحد النقباء أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصارى الخزرجى المدنى ، الذى شهد العقبة الأولى والثانية مع النبى صلوات الله عليه ،

وكان نقيبا فى ليلة العقبة على جماعة « القوافل » . وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختاره النبى ليكون عاملا على الصدقات ، كما أن عبادة رضى الله عنه كان يعلم أهل الصفة القرآن الكريم ، وآخى النبى بينه وبين أبى مرثد الغنوى .

ولما فتح المسلمون الشام على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل عمر عبادة ومعاذا وأبا الدرداء إلى الشام ليعلموا الناس فيه ويفقهوهم ، وقد أقام عبادة من أجل ذلك زمناً فى « حمص » ، ثم سار بعد ذلك إلى فلسطين ، وقد ذكر الإمام الأوزاعى أن عبادة هو أول من ولى قضاء فلسطين .

وقد توفى عبادة فى بيت المقدس ـ وقيل فى الرملة ـ سنة أربع وثلاثين للهجرة عن اثنين وسبعين عاما ، وقيل توفى سنة خمس وأربعين ، ويرجح النووى القول الأول ويعبر عنه بأنه : أصح وأشهر . . .

وكان عبادة كما يصفه المؤرخون رجلا فاضلا خيرا ، وكان أسود اللون ، جميلا جسيما طويلا ، كان طوله عشرة أشبار بمقياس السابقين .

وقد روى عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وأحدا وثمانين حديثا ، اتفق البخارى ومسلم منها على ستة ، وانفرد البخارى بحديثين ، ومسلم بآخرين .

وروى عنه أنس وجابر وأبو أمامة وفضالة ورفاعة بن رافع ومحمود بن الربيع ؛ ومن التابعين أولاده : الوليد وعبيد الله وداود بنو عبادة ، وخلائق غيرهم .

وقد جاء فى كتاب « غربة الإسلام » أن الإمام أحمد ذكر فى مسنده عن عبادة بن الصامت أنه قال لرجل من أصحابه : « يوشك إن طالت بك الحياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فأعاده وأبداه ، وأحل حلاله وحرم حرامه ، ونزل عند منازله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز الحمار الميت » ! .

ومعنى يجوز : يسير . والمعنى أن منزلته تكون بين الناس ضائعة ! . . .

* * *

وعلى الرغم من سواد عبادة نراه يعلو فى مكانته ، ويرتفع فى منزلته بفضل دينه وخلقه وعمله ، ولقد اشترك عبادة مثلا فى الفتح الإسلامى لمصر ، وكان نجمه متألقاً فى هذا الفتح ، حتى قاد الوفد الإسلامى الذى توجه لمفاوضة المقوقس ، وفى هذه المفاوضة جرى حديث تعلق بسواد لون عبادة يتضمن ما يستحق التأمل والتدبر ...

فى السنة العشرين كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ليتجه إلى مصر ليفتحها باسم الإسلام ، بعد أن طال إلحاح عمرو على الخليفة ليأذن له فى الفتح ؛ ومضى عمرو فى طريقه حريصاً على إتمام هذا الفتح بأسرع ما يمكن ، حتى بلغ مع الجيش حصن « بابليون » وهناك لقى مقاومة ، فاستعان بالخليفة فأمده ، ثم استعان به فأمده بأربعة آلاف جندى ، لهم أربعة قواد ، كل قائد منهم بألف رجل وهم : عبادة بن الصامت ، والزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، ومسلمة بن مخلد ، وقال الخليفة لعمرو : « اعلم أن معك اثنى عشر ألفا ولن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة » !!..

وحدث أثناء الفتح أن كان عبادة بن الصامت يصلى وهو فى ناحية من معسكر المسلمين ، فهجم عليه جماعة من الروم ، فسلم من الصلاة ، ووثب على فرسه ، وهاجمهم ففروا أمامه ، فتبعهم ، فجعلوا يلقون فى طريقهم بأمتعتهم ونفائسهم ليشغلوه بها ، فما التفت إليها ، وما زال يطاردهم حتى اعتصموا منه بالحصن ، فعاد دون أن يلتقط شيئا من أمتعتهم . ولما بلغ مكانه استأنف صلاته من جديد !!..

وقوى ساعد المسلمين بالمدد ، وخاف الذين فى مصر من العاقبة ، فأرسلوا إلى عمرو وفداً للمفاوضة ، فعرض عليهم عمرو واحدة من ثلاث : إما أن يدخلوا فى الإسلام ليكونوا إخوة للمسلمين ، لهم مالهم ، وعليهم ما عليهم . وإما أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولهم الأمان والدفاع عنهم بقوة المسلمين . وإما القتال حتى تضع الحرب أوزارها ، ويحكم الله بين الفريقين ، والله خير الحاكمين ! ...

وعاد الوفد إلى المقوقس فسألهم : كيف رأيتم المسلمين ؟ قالوا : رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ( أى ولوع ) .

فأكد المقوقس لقومه أن مثل هؤلاء لو أرادوا إزالة الجبال لأزالوها ، وما يقوى على

قتالهم أحد ، وأشار عليهم بالاستمرار فى المفاوضة للصلح . وأرسل المقوقس إلى عمرو يطلب منه إرسال وفد من قبله للتفاوض معه . فأرسل عمرو إلى المقوقس عشرة رجال من الجيش وعلى رأسهم القائد الأسود ، والبطل المسلم ، عبادة بن الصامت ، ووكل عمرو إلى عبادة أن يتكلم باسم الوفد ، وأن يكون زعيما له ، كما أمره ألا يقبل من المقوقس إلا واحدة من الثلاث التى سبق ذكرها .

وتوجه الوفد إلى المقوقس وفى طليعته عبادة بن الصامت ، فلما رآه المقوقس وشاهد سواده هابه وقال :

نحوا عنى هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمنى !! .

فرد عليه الوفد بأجمعه : إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً ، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا ، وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره ، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله . . .

فتعجب المقوقس من ذلك كثيرا ، وقال لهم يسألهم :

كيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ، وإنما ينبغى أن يكون هو دونكم ؟! .

فأجابوه بلغة الإسلام الحنيف الذى يسوى بين الناس ، ويعرف لهم أقدارهم بما يقدمونه من عمل وجهاد ، فقالوا :

كلا ، إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً ، وأفضلنا سابقة وعقلا ورأيا وليس ينكر السواد فينا ! .

ولم يجد المقوقس مناصاً من التسليم والرضى بالأمر فقال لعبادة : تقدم يا أسود ، وكلمنى برفق ، فإننى أهاب سوادك ، وإن اشتد كلامك على ازددت لك هيبة ! ! .

واحتمل عبادة ما فى كلام الرجل من جفوة ، فغرضه الذى جاء من أجله أهم بكثير من شخصه ، فتقدم من المقوقس وقال له بثبات :

قد سمعت مقالتك ، وإن فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل كلهم مثلى ، وأشد سوادا منى ، وأفظع منظراً ، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منى ، وأنا قد وليت وأدبر شبابى ، وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعا ، وكذلك أصحابى .

وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوا ممن حارب الله لرغبة فى الدنيا ، ولا حاجة للاستكثار منها ، إلا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا . وجعل ماغنمنا من ذلك حلالا ، وما يبالى أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما ؛ لأن عناية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليلته ونهاره ، وشملة يلتحفها ، وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله تعالى ، واقتصر على هذا الذى بيده ويبلغه ما كان فى الدنيا ؛ لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء فى الآخرة .

بذلك أمرنا الله ، وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا فى الدنيا إلا ما يمسك جوعته ، ويستر عورته ، وتكون همته وشغله فى رضاء ربه ، وجهاد عدوه ! ! .

فلما سمع المقوقس منه ذلك ازداد هيبة له ورهبة منه . فقال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندى من منظره ! . . .

وبعد أن نوه المقوقس بقوة المسلمين وغلبتهم التفت إلى عبادة وقال له :

أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده : قوم معروفون بالنجدة والشدة ، ممن لا يبالى أحدهم من لقى ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم ! . . .

ثم عرض على عبادة أن يأخذ لكل جندى دينارين ، وللأمير عمرو مائة دينار ، وللخليفة ألف دينار . على أن ينصرفوا . فقال له عبادة :

يا هذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك . أما ماتخوفناه به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم ، فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا به ، ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه . إن كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم وأشد لحرصنا عليهم ؛ لأن ذلك أعذر لنا عند الله إذا قدمنا عليه ، إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوان الله وجنته ؛ وما من شىء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك .

وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين : إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا .

وإن الله عز وجل قال لنا فى كتابه : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » ، وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة ، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا هم فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، وإنما همنا ما أمامنا .

وأما قولك إنا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن فى أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذى تريده فبينه لنا ، فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث ، فاختر أيتها شئت ، ولا تطمع نفسك فى الباطل ، بذلك أمرنى الأمير ، وبه أمره أمير المؤمنين . وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبله إلينا :

إما إجابتكم إلى الإسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره ، وهو دين نبينا وأنبيائه ورسله وملائكته ـ صلوات الله عليهم ـ أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ، ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن فعل كان له مالنا وعليه ما علينا ، وكان أخانا فى دين الإسلام .

فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن قتالكم ، ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم ؛ وإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، نعاملكم على شىء نرضاه نحن وأنتم فى كل عام أبدا ما بقينا وبقيتم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم ، أوعرض لكم فى شىء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم ، إذ كنتم فى ذمتنا ، وكان لكم به عهد علينا .

وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا ، أو نصيب ما نريد منكم . هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، فانظروا لأنفسكم .

وبعد مفاوضات تم الصلح ، وفتحت مصر أبوابها لأضواء الإسلام ، بعد أن تألق نجم القائد الأسود عبادة بن الصامت فى هذا الفتح ، وبعد أن أوقع الهيبة والرهبة فى قلوب أعدائه ، فسلام عليه فى المجاهدين ! ! . . .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

# حقائق
## ينبغي أن تعرف

أولع بعض الناس فى الأزهر وغيره بالنيل من كتبنا التى ندرسها فى الأزهر ، وأسرفوا فى ذلك وعمموا الحكم فلم يستثنوا شيئا ونعتوها بشتى النعوت ، ولم يقتصروا عليها بل تعدوها إلى مؤلفيها فاعتدوا عليهم ونالوا منهم ظالمين .

لقد رموا تلك الكتب بأنها سيئة الأساليب ، مضطربة العبارات ، نضحت عليها عجمة مؤلفيها فجاءت صوراً لأفكارهم المشوشة ، وعصورهم المظلمة ، تزهق دارسيها ومدرسيها وتعطى أكثر مما تأخذ من الجهد والوقت . وتطرف أشخاص من هؤلاء فقالوا : إن تلك الكتب عوقت كثيراً من الألسنة والعقول كان يرجى لها أن تكون أكثر رشاداً وسدادا . وأخذ المتحدثون عن الأزهر والزاعمون الغيرة على إصلاحه يرددون هذا القول حتى صار سلوى الكاتبين .

إن التشكك فى جدوى تلك الكتب والتقليل من شأنها والدعوة إلى استبدال غيرها بها مما ألف فى العصور الإسلامية الأولى قبل أن يستعجم التأليف كما يقولون حديث قديم ، نشأ منذ نشأت الدعوة إلى إصلاح الأزهر : أى منذ أكثر من نصف قرن ، ولعل أبرز من أثاره الإمام محمد عبده ثم كان الحديث بعده تقليداً له وصدى لحديثه ، وقبل أن نحكم على ما فى هذه الدعوة من خطأ أو صواب ونبين مدى ما فيها من خير أو شر - يجب أن نذكر فى إجمال خصائص كل صنف من الكتب : أعنى الكتب التى ألفت فى العصور الإسلامية الأولى ، والكتب التى ألفت بعدها فى العصور المتأخرة ، والتى ندرس كثيراً منها فى الأزهر الآن .

إن الكتب التى وضعت فى العصور الأولى كتب قصد بها مؤلفوها جمع شتات العلوم ، وتقييد أوابدها ، لم يلاحظ فيها ترتيب ولا تبويب ، ولم تلاحظ فيها الموضوعية أعنى جمع مسائل الموضوع الواحد تحت عنوان خاص أو فى مكان خاص ، كما لم يلاحظ فيها الدقة المنطقية فى الحدود والرسوم ولا الدقة فى المصطلحات العلمية ، إلا أنها تمتاز بالأسلوب المرسل

الذى يخاله القارىء العادى سهلا ويراه الباحث الفاهم سهلا أيضاً ولكنه السهل الممتنع .
أما الكتب التى ألفت فى العصور المتأخرة والتى تدرس فى الأزهر فقد تداركت ذلك وعنيت بالترتيب العلمى وبتحديد القواعد وبالموضوعية فى التأليف على نحو ما فسرناها ، كما عنيت بضبط المصطلحات . فأصبحت كتباً دراسية منهجية واضحة الصوى والمعالم يسير العالم والمتعلم فيها على هدى واستبصار . ويستطيع المتعلم فوق ذلك تحصيل ما يريد منها واستذكاره لينتفع به عند الحاجة إليه فى مزالق الامتحان . وإنا لنضرب الأمثال ببعض تلك الكتب ليرجع إليها من يشاء فى الموازنة والمقارنة ويتبين صدق ما قلناه . إن أول ما ألف من كتب الأصول هو كتاب الرسالة للإمام الشافعى ، فإذا ما قورنت بكتب المتأخرين من الأصوليين التى تدرس فى الأزهر : كجمع الجوامع أو مسلم الثبوت أو الأسنوى وجدنا البون شاسعاً بين طريقتى التأليف فى ضبط القواعد وتحرير المصطلحات وجمع المتناسبات وغير ذلك ، مما تمتاز به كتب المتأخرين ولا شك أن لذلك أثره فى تحصيل العلم واستذكاره وسهولة فهمه وتفهيمه .
وكذلك الحال إذا ما قارنا بين أول ما ألف من الكتب فى البلاغة وهو دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر وبين ما ألف بعدهما من الكتب كالإيضاح وتلخيص المفتاح للقزوينى فإنا نجد الفروق التى ذكرناها واضحة . فقواعد البلاغة فى كتابى عبد القاهر مشتتة لا يربطها نظام وليس لحدودها إحكام ويعسر على من يقرؤهما أن يظفر بمحصول بلاغى محدود ، ولقد مارسناهما دراسة وتدريسا فما استغنينا بهما ، وتطفلنا على موائد القزوينى فى كتابيه .

ولا تختلف الحال أيضاً فى كتب النحو إذا قارنا بين أول ما ألف من كتبه ككتاب سيبويه ، وما ألف بعده كألفية ابن مالك وشرحى ابن عقيل والأشمونى عليها فبين هذين النوعين من الكتب من الفروق ما يعلمه الدارس الممارس مما يستبين به فضل ابن مالك وشارحيه على النحو وجعله سهل التناول قريباً على الأفهام . والأمر كذلك فى كثير من الفنون .

ولئن كان للمتقدمين فضلهم فى وضع العلوم وجمعها وحفظها فقد كان للمتأخرين فضلهم فى ضبطها وتحديدها وتقريبها .

وبهذا الضبط والترتيب أصبحت كتبهم دراسية منهجية تصلح للدراسات المحددة المناهج والأوقات ، والتى تحتم على الطالب استذكار معلومات مقررة عليه أن يعلقها حتى يحلها لوقتها

آخر العام الدراسي ، ولا تصلح كتب المتقدمين لهذه الغاية ، وإنما تصلح للدراسات الحرة التي لا يسأل فيها المدرس عمن يفهم وعمن لا يفهم وعمن ينجح وعمن لا ينجح ، أو تصلح للمراجعة عند البحث الرائث والوقت الفسيح .

إن الإمام محمد عبده دعا إلى استبدال تلك الكتب بعد أن نضج عقله واستوى تفكيره وحصل من العلوم في كتب المتأخرين ما يستطيع به أن يتفهم كتب المتقدمين ، ويلخص ما شاع فيها من القواعد . ويلخص ما اشتبه من المسائل ، ولم يمارس التدريس في الأزهر ممارسة خاضعة للنظم والبرامج بل كانت ممارسة طليقة ليس فيها مسئولية وليس عليها حساب . ولم تكن النظم الدراسية قد استقرت على ما هي عليه الآن ، واقتضت ما اقتضته من تحصيل واستذكار ومراجعة وامتحان . أما وقد قضى التطور الإصلاحي في الأزهر أن تكون نظم الدراسة كما هي الآن : فقد أصبح من الحتم أن نستمسك بالكتب الدراسية المقررة حاليا . والتي ثبتت على التجارب والدراسات الواعية أزمانا طويلة ، وكل دعوة إلى استبدالها دعوة أقل ما يقال فيها إنها مجازفة غير مضمونة النتائج .

والدعوة إلى استبدال كتب حديثة بها دعوة تستحق النظر والتفكير العميق أيضا ، وقد يفضي ذلك إلى التنازل عنها أو تأجيلها إلى وقت طويل ، فقد جرب الأزهر بعض تلك الكتب ثم عدل عنها إلى ما كان مقرراً من قبل من الكتب القديمة ، قرر دراسة رسالة التوحيد ثم عدل عنها إلى كتاب الجوهرة ، وقرر صفوة صحيح البخاري في الحديث ثم عدل عنها إلى شرح الشرقاوي ، كما عدل عن غيرهما لعدم ملاءمته لأذهان الطلاب ، وإعدادهم إعداداً منهجيا . وقد عمد بعض المدرسين في الكليات والمعاهد إلى تصنيف مذكرات في بعض العلوم استجابة لدعوات إصلاح الكتب فكانت صورة مصغرة للكتب المقررة ، وما أغنت مذكراتهم وما حمدت مجهوداتهم . وهم في ذلك معذورون .

ذلك أن للعلوم أساليبها الخاصة ، ولمصطلحاتها طابعها الخاص ، وبرغمنا أن نقول إنه طابع الجمود والصلابة ، وكما أن لعلوم الطب والصيدلة والهندسة لغتها ومصطلحاتها ذات الشخصية القوية التي تتأبى على التطوير وتظل كما هي على الزمن ، فلعلوم الأصول والمنطق والنحو لغتها ومصطلحاتها كذلك وإنها لتفرض وجودها في كل تأليف وفي كل عصر ،

وليس على الأزهر من حرج فى أن يحتفظ بكتبه ذات الطابع العلمى الخاص ، كما أنه ليس على غيره من كليات الطب والهندسة وغيرهما أن تحتفظ بكتبها ذات الطابع الخاص أيضا .

إن الدعوة إلى نبذ الكتب الأزهرية واستبدال غيرها بها دعوة ينقصها التمحيص كما تنقصها التجربة والنظر الصحيح ، وعلى القائمين بها أن يتريثوا ويتدبروا ليفرقوا بين الممكن وغير الممكن ، ولقد مضى على تلك الدعوة أكثر من نصف قرن كما ذكرنا نبه فيه غير واحد من علماء الأزهر ، فكم من هؤلاء استطاع أن يؤلف فى علوم الأزهر ما يفضل الكتب التى تتدارسها ويزحزحها عن مكانتها العلمية . لقد ألف الإمام محمد عبده رسالة فى التوحيد كما ألف فى التفسير فهل استطاع أن يحقق أحلام الكاتبين فى تبسيط هذين العلمين إلى الحد الذى يعفى الدارسين عن التفكير الفاحص والنظر الدقيق ؟ ؟ .

هذه حقائق ينبغى أن تعلم ولم يدفعنا إلى تسجيلها تعصب للقديم ونفور من الجديد ولكن أملتها علينا المصلحة القائمة على التجربة والملاحظة . وليفهمها بروح الإنصاف من يشاء ، وليعتسف بها عن الجادة من يريد ، والله يعلم حسن القصد فيما كتبنا وهو حسبى ؟

أبو الوفا المراغى

---

# فرنسا فى الجزائر

سيرى بخائنة الضمائر ... واستعمرى شعب الجزائر
سيرى ، وتلك سجية المستعمرين وكل جائر
وتسابقى للموبقات بكل فاجرة وفاجر
وتمنعى بالعالم الحر الذى سن الحرائر
لابد من يوم أغر به يحاسب كل سادر

عبد الكريم الدجيلى

# أسرار التكرير فى القرآن

ذكرنا فى المقال السابق أن هناك خصائص أسلوبية شاعت فى القرآن المكى مرتكزة على أسس نفسية ، وأحوال وجدانية ، تلك الظواهر هى :

التكرير ، والقسم ، والإيجاز ، وافتتاح بعض السور بحروف من أحرف التهجى .

والآن نبدأ فى الكلام تفصيلا على كل ظاهرة من هذه الظواهر لنبين ما انطوت عليه من أسرار بلاغية ومحاسن بيانية . وهذا ـ ولاريب ـ وجه من أوجه الإعجاز القرآنى الذى عجز الجن والإنس ـ وقد تحداهم ـ أن يأتوا بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا .

ولنبدأ ببحث أسرار التكرير فنقول :

إن للتكرير فى القرآن الكريم مواطن شتى ومظاهر أسلوبية متعـــددة . فى قصصه تكرير وفى أنبائه تكرير وفى آيات خاصة تكرير . وسنقتصر بحثنا فى هذا المقال على ما جاء من تكرير آيات بذاتها وجمل بعينها كما جاء فى سورة الرحمن والمرسلات والقمر وسورة الشعراء ، وكلها سورنزلت فى العهد المكى ، وشيوع هذه الظاهرة إنما وجد فيها لما اقتضته غلظة قريش وإيغالهم فى الوثنية وإنكارهم على محمد صلوات الله عليه وشماسهم من دينه . فخاطبهم الله عز وجل بقوارع من الكلام كالصوارم وزواجر من الوعيد كالحمم ، وأن يكرر لهم هذا التقريع لتلين قناتهم ويسلس قيادهم ، وأن يردد لهم هـذا الزجر ليذكرهم بفواصل الآيات ماتضمنته من العبر وما توحى به من العظات .

فإن التكرير من أهم العوامل لبث الفكر فى نفوس الجماعات وإقرارها فى قلوبهم إقرارا ينتهى إلى الإيمان بها وقيمة التوكيد بدوام تكرير ألفاظ بعينها يقول جوستاف لوبون فى كتابه « روح الاجتماع » « إذا تكرر الشىء رسخ فى الأذهان رسوخا ينتهى بقبوله حقيقة ناصعة »

ولقد شنع المستشرقون على هذا الضرب من الأسلوب وعدوه ضعفا وركة كما جاء فى مادة « قرآن » من دائرة المعارف البريطانية حيث ذكر كاتب المقال فقال :

« ليس هناك مهارة أدبية عظيمة واضحة مبنية فى التكرير الذى لا لزوم له لنفس كلمات بعينها وجمل بذاتها » .

ولا غرابة فى أن تخفى على المستشرقين أسرار هذا التكرير فهم لم يألفوه فى لغاتهم ولو ألفوه لما أدركوه فى اللغة العربية ، لأن لكل لغة ذوقا خاصا لا يمنحه إلا أهلها ومن نشئوا على تذوقها .

فالتكرير من أساليب اللغة العربية التى شاع فيها منذ عهودها القديمة ، فجاء القرآن الكريم على نمط من أساليبهم إلا أنه فى صورة معجزة وبلاغة ساحرة .
من الأمثلة على ذلك النوع من التكرير ما جاء فى سورة ( الرحمن ) فقد تكرر فى هذه السورة ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) إحدى وثلاثين مرة .

والسر فى ذلك هو أن الله تعالى قد عدد فى هذه السورة نعماءه وأذكر عباده آلاءه وينبههم إلى قدرته ولطفه بخلقه ثم أتبع ذكر كل منة وصفها بهذه الآية ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) وجعلها وصلة بين كل نعمتين ليفهمهم النعم ويقررهم بها ، وهذا كقولك للرجل وقد أحسنت إليه دهرك وتابعت عنده أياديك وهو فى كل ذلك ينكرك ويكفر بنعمتك فتقول له :

ألم أبوئك منزلا وأنت طريد ، أفتنكر هذا ؟.
ألم أنقذك من هلاكك فى حادث الحريق أفتنكر هذا ؟.

ولكن ربما يقال : إذا كان هذا واضحا فى الآية التى تدل على النعم فى الدنيا كقوله تعالى ( مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان ) ، ( يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) .

أو فى الآيات التى تدل على النعم فى الآخرة من وصف الجنة ونعيمها وفرشها وفواكهها ( متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان ) . ( فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ) ، ( كأنهن الياقوت والمرجان ) . فأى نعمة فى قوله تعالى ( كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) بل أى نعمة فى قوله تعالى ( يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ) ، ( يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام ) . ( هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن ) .

فللجواب عن ذلك فى الآية الأولى وهى ( كل من عليها فان ) نقول :
إن فى هذه الآية التسوية بين الصغير والكبير والمالك والمملوك والظالم والمظلوم فى

الفناء المؤدى إلى دار البقاء ومجازاة المحسن والمسيء بحقه من الجزاء ، فالمظلوم يؤخذ حقه من الظالم والظالم يجازى على ظلمه . فلا نعمة إذن أكبر من هذا العدل المطمئن للنفوس المريح للقلوب . وفى هذا نوع من التسلية للمظلومين ، وإدخال العزاء على المهضومين ـ وما أكثرهم ـ وفيه نوع ردع للظالم وزجر للطاغية .

ألا ترى إلى قوله تعالى ( قل لمن ما فى السموات والأرض ؟ قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ) .

فقد أوجب الله على نفسه الرحمة بخلقه ، ومن مقتضى هذه الرحمة أن يجمعهم إلى يوم القيامة ، لأن هذا الجمع لأجل الحساب والجزاء رحمة بالعالم حيث يقضى على الفوضى والإهمال واستباحة الظلم ، والعلم بذلك رحمة أيضا لأنه وازع نفسى لا يتم تهذيب النفس بدونه . فهذا الوعد بالجمع يبعث الطمأنينة ويشيع السلام .

أما الجواب عن السؤال التالى ، وهو أى نعمة فى وصف جهنم وإنذار الثقلين وتخويفهما بشواظ من نار ونحاس ، فنقول :



إن الله تعالى منعم على عباده بنعمتين : نعمة الدنيا ، ونعمة الدين . وأعظمهما هى الأخرى . واجتهاد الإنسان ورهبته مما . يؤلم أكثر من اجتهاده ورغبته فيما ينعم به عليه ، فالإرهاب زجر على المعاصى وبعث على الطاعات وهو سبب النفع الدائم .

فأية نعمة أكبر إذن من التخويف بالضرر المؤدى إلى أشرف النعم ، فلما جاز عند ذكر الله ما أنعم به علينا فى الدنيا وعند ذكره ما أعده للمطيعين فى الأخرى أن يقول سبحانه فى هذين المقامين ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) جاز أن يقول ذلك عند ذكر ما يخوفونا به مما يصرفنا عن معصيته إلى طاعته التى تكسبنا نعيم جنته كذلك ، ففعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم ، لأن فى ذلك زجرا عما يستحق به العقاب وبعثا على ما يستحق من الثواب .

وهكذا الشأن فى جميع التكريرات فإن الباحث لها يجد أسرارا عجيبة وحكما بلاغية ساحرة تتعلق بموضوع السورة وأهدافها وبعجيب سياقها ومعجز نظمها .

قال الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه « البرهان » :

« جاء فى سورة المرسلات ( ويل يومئذ للمكذبين ) عشر مرات . وذلك لأنه سبحانه ذكر قصصا مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول فصار كأنه قال عقب كل قصة : ويل للمكذب بهذه القصة ، وكل قصة مخالفة لصاحبتها فأثبت الويل لمن كذب بها » .

والتكرير فى سورة ( المرسلات ) كالتكرير فى سورة ( الرحمن ) من حيث إنها تضمنت ذكر نعم مختلفة ، ونقم متعددة فكان إذا ذكرهم بنعمة أو خوفهم من نقمة ، أكد التذكير والتخويف بذكر الويل والهلاك المهيأ المكذبين الذين استخفوا بهذه النعمة . أو تهاونوا بتلك النقمة ، فيكون ذلك رادعا للمخاطبين عن الغفلة وزاجرا لهم عن التمادى فى التكذيب وركوب الرأس فى العناد .

وفى هذا التكرير من هز السامع والتأثير فى نفسه ، ما لا يخفى على المتأدب المتذوق من لغة العرب ، وما فيها من كل معنى عجيب .

والمتتبع لأعاجيب القرآن الكريم ، وأساليبه التى فوق طاقة البشر سيجد لكل نمط من التعبير سرا ، ولكل ضرب من البيان حكمة .

عبد الوهاب حمودة

---

# إذا لعن آخر هذه الأمة أولها

ورد فى الأثر من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه : « إذا لعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنده علم فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى خطبة كتابه ( منهاج السنة ) تعليقاً على هذا الأثر :

« وذلك أن أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين : تصديقاً ، وعلما ، وعملا ، وتبليغاً . فالطعن فيهم طعن فى الدين ، موجب للإعراض عما بعث الله به النبيين » .

# الزاهد القانت

## « عامر بن قيس »

---

الزهد فى الدنيا معنى جليل ، لا يستقيم إلا لكل نفس كبيرة فهو خير معين على التفرغ للعظائم وأقوى محقق لمعانى القوة فى النفس والعقل والبدن ، وأكبر عامل على صفاء القلب ، وإعداده لتلقى الفيض وصونه مما يتورط فيه الجاهلون من الحقد والغل والحسد ، وأدعى شىء إلى العفاف ، والترفع عن السفساف والدنية ، وإلى عزة النفس والصدع بالحق ، ومقاومة الشر . وعلى الجملة هو كنز النفس العظيمة وميزة الخيرة الأبرار الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

فلهذا احتضنه دين الإسلام ـ وهو الدين المختار لله فى الأرض منذ بعث نبيه محمداً أميا ، مسعداً للناس فى دنياهم قبل آخرتهم ـ فهو يذم الذين يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام . كما يمدح الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهو يذم المتفانى فى هواه ويعده عابدا له لا يقدس غيره ( أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ) ! كما يشجع الذين يجاهدون أنفسهم فى سبيله : ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ) . ثم يدعو النبى صلى الله عليه وسلم بالتعاسة على المتفانى فى جمع الدنيا الحريص عليها الذى يعيش فى مشاكل مع الناس جميعاً ولو كانوا من أقرب الناس إليه من أجل الدنيا فيقول صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم . تعس وانتكس . وإذا شيك فلا انتقش » وجدير بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أن تجاب ، وبطلبته أن تتحقق ذلك أن الحريص على الدنيا يضيع دينه ومن ضاع دينه فقد خسر الخسران كله ، فقد طالما أذل الحرص الأعناق ، وقد طالما نكس الرءوس ، واستعبد النفوس ، وقد خلق الله الناس أحراراً لا عبادة إلا لله فأبى الشيطان إلا خسرهم ، فعاج بهم عن الصراط ، وحرضهم على التهالك على جمع الحطام ، من الحلال والحرام . فأوقع بعضهم فى بعض ، وحال بينهم وبين البر والخير ، وكان أدنى مراتب الطمع ذلك المعنى

الذى وصفه النبى صلى الله عليه وسلم بأنه أهلك من كان قبلكم وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ! وهو الشح .

فالزهد إذاً فلسفة إسلامية رفيعة يضعها الإسلام فى الصف الأول من مبادئه الكريمة ، ويختص بها الصف الأول من هذه الأمة الوسط فى كل جيل وفى كل عصر .

والزهد إذاً ليس كما زعم بعض الجاهلين قبوعا فى كسر بيت . وجموداً أمام كل نشاط أو تجديد أو إصلاح ، وتماوتاً عن كل جليل من الأعمال . ولكنه أن تريح الناس من مضايقاتك ، وأن تريح نفسك من مضايقات الناس تأخذ الحياة عفواً ، وتجود بها فضلا ، تأخذها فى إجمال من الطلب ، وعدم انهماك مضن قاتل . تأخذها من غير احتيال يوقع فى المكروه ، ويحول دون سماحة للناس أو إحسان إلى من يستحق الإحسان ممن أمر الله به أن يوصل . تأخذها ثم تعطيها فتضعها فى أبواب الخير بعد أن تستوفى رغائبك المشروعة ، تصل القريب والجار والعشير والصاحب والإنسان أياً كان وأينما كان . ما دمت تستطيع أن تمد إليه يداً ، وتقيل له عثرة ، وبذلك تحيا حياة مطمئنة ، وتعيش مهما تعش سعيداً محبوباً ذلك معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم ( ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس ) . فأما حب الله إياك فلأنك تستطيع أن تعرف حقه ، وأن تؤدى واجبه . وأما حب الناس لك فلأنك تكف عنهم أذاك وتدعهم ، وما أعطاهم الله من فضله غير منافس ولا مشاكس .

فما عيب هذا الوصف - ليت شعرى - كما يزعم بعض الجاهلين وما جنايته على الإسلام كما يتوهم بعض الحاسدين أو الفارغين لا . إنه لمن محاسن الإسلام ومفاخره ، وإنه لمن أقوى الأدلة على أنه دين الإنسانية الخالد ، وأكبر واضع لمعانى العدل والإحسان والحب والإخاء . ومن حاول أن يبرئ الإسلام منه من أصدقائه الجاهلين . فقد خاب وافترى وقال على الإسلام زوراً .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم سيد الزاهدين وهو خير منظم للإنسانية وأكبر واضع لدعائم العمران والحضارة .

وكانت مدرسته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، فلم يكن فيهم معنى أمثل من الزهد فى الدنيا والاتجاه صوب الحقائق وبذل

الهمة نحو كل نافع موجب لمرضاة الله وحب الناس ولن يكون ذلك إلا بهذا الزهد الإسلامى العظيم . والتاريخ يحدثنا عما كان للزاهدين من أثر عظيم فى إقامة صروح العدل وتحقيق خلافة الله فى الأرض فهذا عمر بن الخطاب وهذا على بن أبى طالب وهذا عمر بن عبد العزيز وهذا وذاك وغيرهم من المثل العليا لقد كانت أمثل صفاتهم الزهد فيما يتنافس عليه الآخرون .

فعامر بن قيس كان فيما يقال [١] اول من عرف بالنسك واشتهر من عباد التابعين بالبصرة وكان واحداً من ثمانية انتهى إليهم الزهد فى التابعين والسبعة الباقون هم : أويس القرنى [٢] وهرم بن حيان [٣] والربيع بن خثيم [٤] . ومسروق بن الأجدع [٥] والأسود بن يزيد [٦] وأبو مسلم الخولانى [٧] والحسن بن أبى الحسن البصرى [٨] .

وقد كان عامر بن قيس من تلامذة أبى موسى الأشعرى وممن أخذوا بطريقته وكان أبو موسى يتعهده وهو الذى لقنه القرآن وروى صاحب الحلية أنه كتب إليه فى يوم من الأيام : أما بعد فإنى عهدتك على أمر وبلغنى أنك تغيرت فاتق الله وعد !

وأبو موسى الأشعرى كان من خيرة الصحابة وممن تخيرهم عمر بن الخطاب ـ وهو البصير الناقد ـ فولاه الكوفة والبصرة ومن قبله استعمله النبى صلى الله عليه وسلم مع معاذ



---

١ — ذكره أبو نعيم فى الحلية ص ٩٤ ج ٢ .

٢ — كان سيد العباد والزهاد فى عصره وأمره مشتهر .

٣ — كان إماما كثير الوعظ والإرشاد للمسلمين وقد ولى لعمر بن الخطاب على الخيل ثم ترك العمل تورعا وزهدا ولم ينتظر الإذن من عمر .

٤ ــ الإمام القدوة الكوفى روى عن ابن مسعود وأبى أيوب الأنصارى وروى عنه الشعبى والنخعى مات فى خلافة يزيد بن معاوية .

٥ — الإمام أبو عائشة الكوفى وهو ابن أخت عمر بن معد يكرب قال الذهبى كان أعلم بالفتوى من شريح توفى سنة ٦٣ .

٦ — الفقيه الزاهد العابد عالم الكوفة وابن أخى عالمها علقمة توفى سنة ٧٥ .

٧ — الفقيه العابد الزاهد ريحانة الشام توفى سنة ٦٢ تقريباً .

٨ — الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصرى نشأ بالمدينة فى خلافة عثمان فلزم الجهاد والعلم والعمل راجع ترجمته فى التراجم الإسلامية لكاتب المقال .

على اليمن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجب بقراءته ويقول إنه أوتى مزمارا من مزامير داود ، وقد ذكره الشعبي فى ستة يؤخذ عنهم العلم وهم : عمر وعلى وأبى وابن مسعود وزيد وأبو موسى ، وقال إنه أحد القضاة الاربعة وهم عمر وعلى وزيد وأبو موسى . وقيل إنه لم يكن يفتى فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم غير عمر وعلى ومعاذ وأبى موسى .

فلا بد أن يكون تلميذه ومريده عامر بن قيس موضوع الحديث اليوم ممن بلغوا فى الفقه مبلغا عظيما كريما . ولكن جانب العبادة والزهد غلب عليه ، ومثله ممن كانوا يؤثرون الخمول والعزلة إلا بمقدار مايوجبه الإسلام من إظهار العلم وعدم كتمانه من غير قصد ، يكتفى بقيام غيره بمهمة نشر العلم وإذاعته أما منزلته فى الزهد والعبادة فقد رأيت أنه أحد ثمانية عرفوا بذلك وفاقوا الناس فى عهد التابعين الأول فيه ، وقد حكيت عنه أخبار ورويت عنه أقوال تؤيد ذلك وتقرره .

فمن ذلك ما ذكره أبو نعيم من أنه كان يبيت قائما أو يظل صائما فإذا قيل له إن الجنة تدرك بدون ما تصنع وإن النار تتق بدون ما تضع .

قال : لا حتى لا ألوم نفسى ! ومن العجيب ما نقل عنه وهب بن منبه وغيره . قالوا : كان عامر بن قيس من أفضل التابعين وفرض على نفسه كل يوم ألف ركعة يقوم عند طلوع الشمس فلا يزال قائما إلى العصر ثم ينصرف وقد انتفخت ساقاه وقدماه فيقول : يا نفس إنما خلقت للعبادة يا أمارة بالسوء ، فوالله لأعملن بك عملا حتى لا يأخذ الفراش منك نصيبا ! .

وعن أحمد بن حنبل بسنده إلى الحسن قال : بعث معاوية إلى عبد الله بن عامر أن انظر عامر بن قيس فأحسن إذنه وأكرمه ومره أن يخطب إلى من شاء وأمهر عنه من بيت المال فلما بلغه ذلك قال : أنا فى الخطبة دائب . قال : إلى من ؟ قال : إلى من يقبل منى الفلقة والتمرة ، ثم أقبل على جلسائه فقال : إنى سائلكم فأخبرونى ، هل منكم من أحد إلا ولأهله فى قلبه شعبة ، قالوا : اللهم لا . قال : هل منكم من أحد إلا لولده فى قلبه شعبة ، قالوا : اللهم لا ، قال : والذى نفسى بيده لأن تختلف الأسنة فى جوانحى أحب إلى من أن أكون هكذا ، أما والله لأجعلن الهم واحدا . فهكذا عاش عامر بلا زوجة ولا ولد تفرغا لله ، وحبا للرب وإيثارا لتوحيد الهم ، والتخلى من الهم ، حتى يعيش فى جوار الحب الخالص لمن هو أحق بالحب من كل محبوب ، ومن يجمع لحبيبه كل خير وسعادة ولا يتخلى عنه ساعة

مهما يتخل كل حبيب أو صديق ، ومن لا يتغير لصاحبه مهما اختلفت عليه الشئون ، ومن يحسن إلى صاحبه مهما أساء . ومن لا ينتظر مثوبة على صالحة ويزيد من يركن إلى جانبه نعما وألطافا وإن قصر فيما ينبغى له .

وهكذا عرف الدنيا وحقارتها ومصيرها وهكذا تكون الفلسفة . وهكذا يكون صفاء النفس ، وسلامة النظر . وهكذا تكون الهداية والتوفيق وانظر كيف وجهه الزهد فى الدنيا واحتقارها أن ينفذ تعاليم الإسلام ولا يبالى ما يصيبه فى الحق فهو يقول ما يراه وإن خالف أمر الخليفة أو الأمير قال فى حلية الأولياء بسنده إلى أحمد بن حنبل بسنده إلى من عاصر عامر بن قيس قال : مر عامر بن عبد الله برجل من أعوان السلطان وهو يجر ذميا والذمى يستغيث به ، قال : فأقبل على الذمى فقال : أديت جزيتك قال : نعم . فأقبل عليه ، فقال : ما تريد منه ؟ قال : أذهب به يكسح دار الأمير ، قال : فأقبل عليه ، فقال : تطيب نفسك بهذا له ؟ قال : يشغلنى عن ضيعتى ، قال : دعه ، قال : لا أدعه . قال : فوضع كساءه ثم قال : لا تخفر ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنا حى ، ثم خلصه منه فكان ذلك سبب تسييره [1] .

وبعد فهذا هو الزاهد عامر وهذه حكاية يسيرة كانت فيها عدة أدلة عنه .

أولها : أنه كان فقيها دقيقا فهو يسأل الذمى هل أدى جزيته حتى يكون فى أمان الله وأمان الإسلام له ما لكل مسلم وعليه ما على كل مسلم، فهو لا يخدم أحدا ولا يعين إنسانا ما لم تطب نفسه بذلك كما أن كل مسلم كذلك لا يكره على خدمة ولا يعمل سخرة .

وثانيها : أنه يتحرى فى تطبيق الأحكام فيسأل كل واحد من الطرفين فى أناة وحلم وأدب كريم، ثم انتهى الأمر إلى المقاومة ، قاوم المنكر .

ثالثها : أنه أمره أولا بالمعروف فلما لم يأتمر جاهده بيده كما هو الحكمة فى التصرف .

رابعها : أن الزهد كما قلنا لا ينافى التصريف فى الأرض ومداخلة الشئون بالإصلاح والخير فليس هو أن تقول : دع الخلق للخالق كما يزعم من لا يفهم ، ولا أن تقول مالى ولهذا الأمر لا يعنينى، فكل مسلم خليفة عن الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعين على الخير ويقاوم البغى . وليس الزهد إذا إلا خلافة صالحة عن الله فى الأرض ونشاطاً يزاول المرء به

---

(١) تسييره : إخراجه ونفيه .

كل معنى فاضل كريم . لقد أصيب عامر من جراء هذا الجهاد فأخرج من بلده وحيل بينه وبين وطنه وما بالى فى سبيل ذلك شيئا .

روى أنه سير إلى ظهر المربد فشيعه بعض إخوانه فقال : إنى داع فآمنوا . قالوا : هات فقد كنا نشتهى هذا منك . قال : اللهم من وشى بى وكذب على وأخرجنى من مصرى وفرق بينى وبين إخوانى . اللهم أكثر ماله وولده وأصح جسمه وأطل عمره . وإذا فهذا الذى يتمناه الناس اليوم لأنفسهم بلاء عند الزاهدين وشر كثير عند المقربين فالمال بلاء ، والولد بلاء ، والصحة بلاء ، وإذا طال العمر فى هذا البلاء فقد طال عمر المرء وساء عمله . فيالت عامراً رحم صاحبه ورثى له ولكن أنطقه الله الذى أنطق كل شىء . ولو شاء لهداكم أجمعين .

ولو أردنا أن نستقصى الكثير مما ورد فى أخباره وأقواله وما حفظ له من كرامات أكرمه الله سبحانه بها كما أكرم نفسه عن الدنايا لطال المدى ، ولكننا نؤثر أن نورد بعضاً من أقواله لتكون قياسا لكثير من النفوس المؤهلة ، ولا نرجو من وراء ذلك أن نحمل الناس على الزهد الأول ، ولكننا نحاول أن يكف بعض الناس أذاهم عن بعض ، وأن يجملوا فى طلب الدنيا ويأخذوها برفق ، ولا يأسوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم والله لا يحب كل مختال فخور .

فمن ذلك قوله : لو كانت الدنيا لى بحذافيرها ثم أمرنى الله تعالى بإخراجها لأخرجتها بطيب نفسى . لا أبالى حين أحببت الله تعالى على أى حال أمسيت وأصبحت منذ عرفت الله لم أخف سواه .



ومما يؤثر عنه : من جهل العبد أن يخاف على الناس من ذنوبهم ويأمن هو من ذنوب نفسه .

وسأله رجل أن يدعو له فقال : إنك لتسأل من قد عجز عن نفسه ولكن أطع الله ثم ادعه يستجب لك .

ومن كلامه المنفعل العجيب : فى الدنيا الهموم والأحزان وفى الآخرة النار والحساب ، فأين الراحة والفرح ؟ . إلهى خلقتنى ولم تؤامرنى فى خلقى . وأسكنتنى بلايا الدنيا ثم قلت لى استمسك . فكيف أستمسك إذا لم تمسكنى ؟ إلهى ! إنك لتعلم أن لو كانت الدنيا بحذافيرها لى ثم أنتنيها لجعلتها لك فهب لى نفسى . وهذا كله ضراعة فى أدب لا خروج فيه ولكنه استدرار لرحمة الله وإحسانه كقول يوسف عليه السلام : « وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين » . اللهم عصمتك ورحمتك وتوفيقك وإحسانك ؟

محمود النواوى

# الدين ... فى موقف الدفاع

فى ثنايا تحية موجهة إلى شيخ الأزهر الجديد ، ذكر الأستاذ عباس العقاد أن الدين يقف الآن موقف الدفاع ، وأعرب عن ثقته فى جدارة الأستاذ الأكبر بهذا المنصب ، فى هذا الموقف .

والحق أن الدين عموما ـ كما أبان الأستاذ العقاد ـ يقف فى حالة دفاعية : لقد أحدثت ( الآلة ) تغيراً جذرياً فى بناء النفوس والعقول والمجتمعات ، ورافق هذه التحولات الخطيرة الاتجاه الاستعمارى الذى جعل الدين فى البلاد الشرقية يتعرض لضغط التطور ودفع الغزو فى وقت واحد ، وشملت آثار العصر المادى الجديد الديانة المسيحية عند الغرب كما بلغت الإسلام فى الشرق . لكن المسيحية الغربية ـ بمنظماتها المختلفة ، وإمكانياتها الواسعة ـ قد تصلبت فى الدفاع فظهرت الكتابات المختلفة فى هذا الصدد ، وسمى هذا الاتجاه الدفاعى أو الاعتذارى Apologia ـ لأنه يعتذر لما يرفضه العقل الحديث فى شأن الدين هناك .
ومن الكتابات الممتعة الموجزة فى هذا الاتجاه ما نشرته مؤسسة بليكان Pelican للقس البريطانى كاربنتر S. C. Carpenter عن المسيحية .

ولا يسوء المسلمين أن يقف دينهم موقف الدفاع ؛ لأنهم يعلمون أنهم يقفون على أرض ثابتة لا تميد ، ودينهم يعلمهم حرية النفوس والعقول وتناول القضايا بالمنطق والبرهان .

بل إن المسلمين يسرهم أن يروا دينهم فى موقف دفاع ، وهو مع ذلك حافظ لأصالته وجدارته . وإنها لضارة نافعة ، أن يضعف كيان المسلمين السياسى ، ويتعرض دينهم للهجوم الفكرى ؛ فإن الإسلام إذا ثبت فى هذه الجولة ـ وهو بهذا جدير ـ لكان فى هذا إيذان بتبدد ما شاع عن أن الإسلام إنما انتصر بالقوة وحدها ، وأنه إنما انتصر لأنه واجه أعداء ينخر فيهم الضعف وكتب عليهم الزوال .

ثم إن الإسلام حين ينتصر فكرياً بعد أربعة عشر قرنا من ظهوره ، يقدم بذلك أبلغ دليل على صلاحيته للخلود ، وشموله لمختلف الاحتياجات الإنسانية ومنها النزوع إلى الترقى المستمر ، فهو دين تطورى لا يضيق بزمان ولا مكان . ولنناقش ـ فى إيجاز ـ طابع عصرنا الذى نعيش فيه ، لنرى مدى مسايرة الإسلام لزماننا وبيئتنا .

أول طابع للقرون الأخيرة منذ عصر النهضة الاتجاه إلى التجربة والعكوف على معالجة المادة ، والانصراف عن الروحيات والغيبيات وما إلى ذلك .

غير أن هذه النزعة لم تسلم من رد فعل . . . فالنزعة الرومانتيكية تتجه إلى الخيال والتجريد ، والعلوم الطبيعية قد انتهت بعد النظرية النسبية والأبحاث الذرية إلى إنزال المادة من عليائها ، وهذا ما يشير إليه أبلغ إشارة الأستاذ راندال J. H. Randall فى كتابه « تكوين العقل الحديث » حيث يقول : « إذا أشرفنا على آخر القرن التاسع عشر وجدنا أن الذرة بما لها من كتلة ثابتة اعتبرت هى الجوهر الأول ، وأن الحركة التى يعبر عنها بمعادلات علم التحريك اعتبرت هى العملية الأولية . وبالنظر لما حل منذ ذلك الحين بالمفاهيم الأساسية لهذه النظرية الشديدة السبك ـ المادة والطاقة والأثير ـ فمن الضرورى أن ندرك أن طريقة التحليل الآلى ليست متقيدة بحدود هذه النظرة الآلية المادية القديمة . فقد اعتبر علم القرن التاسع عشر بأن حركة المادة هى العملية النهائية والشكل الأخير للطاقة أما الطاقة الدورية فإنها قد أصبحت فى هذه الأيام أكثر أساسية من ( المادة ) . وعلى ذلك فإن علمنا لم يعد اليوم علما ( ماديا ) إذا أردنا الدقة فى التعبير . وليست لقوانين الحركة الآلية من الشمول بمثل ما لسلوك حقل الإشعاع ، بل قد لا تكون هذه القوانين سوى مجرد شكل خاص للسلوك » .

والإسلام لم يضق بالمادة ولا بالتجربة ولم يحتقر الحس والمشاهدة ، فهو الذى تدأب آيات كتابه على لفت النظر وإثارة الانتباه إلى مشاهد الكون وآيات الوجود : إلى الأرض والجبال والماء والنبات والحيوان ، وإلى الهواء والفضاء والكواكب والأفلاك ، وإلى الإنسان فى جسده وروحه وعقله ونفسه . والإسلام هو الذى حصر الغيبيات والسمعيات فى أضيق نطاق ، وكم شدد العلماء فى تمحيص الروايات التى تتعرض لهذه الأمور .

فالمسلمون لم يشغلهم التفكر فى الله عن الإفادة من نعمه ، والتبصر فى خلقه ، والعيش فى كونه ، والنظر فى نواميسه ، فهذه الدنيا على فنائها هى حقل نشاط المؤمن ، ومجال اختباره ومعبره للآخرة الذى لا بد منه ، وهو يعبد الله بالعلم بها والعمل فيها . ومن هنا سجل التاريخ لعلماء المسلمين اتجاها تجريبيا يغاير اتجاه الإغريق ـ وقد حاول الأستاذ جب أن يلتمس لهذا سببا فى جذور العقلية العربية فرأى « أن انصباب الفكر العربى على الأحداث الإفرادية وجه علماء المسلمين نحو طرق التجارب العلمية فيذهبون إلى أبعد مما ذهب إليه من سبقهم

من اليونان والإسكندرية ، ولا يعنينا التعليل هنا بقدر ما يعنينا التقرير . وهذا هو علاق الفلسفة الرياضية برتراند رسل يقول فى ( النظرة العلمية ) : « كان العرب أميل إلى التجريب من الإغريق — وبخاصة فى الكيمياء ، فقد كانوا يأملون أن يحيلوا المعادن الرخيصة إلى ذهب وأن يكتشفوا حجر الفلاسفة وأن يركبوا إكسير الحياة ، وكان هذا من أسباب إقبالهم على البحوث الكيميائية . وقد حمل العرب تقاليد المدنية طوال عصور الظلام ، وإليهم مرجع كثير من الفضل فى أن بعض المسيحيين أمثال روجر بيكون قد حصلوا كل المعارف العلمية التى تهيأت للشطر الأخير من العصور الوسطى » .

غير أن الإسلام له قضاياه التى لا يتم الوصول إليها إلا عن طريق العمليات العقلية العليا والمنطق الفكرى المجرد ، وهذه قد لا يستطيع التجريبيون الذين لا يسلمون بغير التجربة أن يسلموا بها ، لكن هؤلاء أيضا إذا كانوا راسخين فى العلم لن يستطيعوا أن يرفضوها . . وفرق بين عدم الاعتراف بالدين وبين الإلحاد ، وهو فارق دقيق يحسن التنبه إليه ؛ لأن الملحد لا يلحد عن تجربة محسوسة بل عن إيمان عكسى ، إيمان بالإلحاد يتدخل فيه القطع بأمور لا تدركها التجربة ويخالطه التحمس لما لا يقوم عليه دليل .

والاتجاه العلمى الآن لا تجثم على روحه المادة الكثيفة كما كان من قبل ، والتجربة نفسها صارت تمارس فى مجالات النفس كما كانت تزاول فى ميادين الطبيعة ، وكل ذلك يجعل موقف الدين ثابتا متينا فى موقف الدفاع . وهذا ما يعبر عنه الأستاذ العقاد حيث يقول : « إن المادة اليوم لا تصد المفكرين عن عالم الحقائق المجردة ، ولا هم يتخذون من صلابتها وجسامتها شرطا للحقيقة الثابتة ، فإن الحقيقة المادية نفسها لا تثبت اليوم بمجرد الصلابة والجسامة ، ولا تزال ترتد إلى أصولها حتى تئول إلى عدد من الهزات فى ميدان مجهول هو ميدان الأثير وميدان الفضاء . فالمادة فى القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد بل دخلته وأصبحت فى تقدير الثقات ( عملية رياضية ) أو نسبة من النسب التى تقاس بمعادلات الحساب . وقد جاز لعالم كبير كالسير جيمس جنز أن يعتبرها كذلك وأن يقول « إن المعرفة الجديدة تضطرنا إلى تنقيح خواطرنا العجلى التى أوحت إلينا أننا وقعنا فى كون لا يحفل بالحياة أو لعله يعمل على مناصبتها العداء ، ويلوح لنا أن الثنائية العتيقة التى تقول بالعقل والمادة ويرجع إليها افتراض العداوة المزعومة آخذة فى الزوال ؛ لأن المادة الجوهرية تحيل نفسها إلى شىء من خلق العقل ومظهر من مظاهره ، ونحن نستكشف أن الكون يبدى الدليل

على قدرة مدبرة أو مسيطرة لديها العقل ، وجاز كذلك لعالم آخر كبير كالسير آرثر إدنجتون أن يقول : « إن نظرات المتصوفة لا تهمل وإن ملكات الإنسان التى يمازجها الشعور الدينى هى من وقائع الكون إذا كان الإنسان قد استبقاها بفعل الانتخاب الطبيعى وهو من أهم العوامل الكونية » ومن هنا يحق لنا أن نطمئن إلى موقف الإسلام فى عصرنا .

إن هذا العصر الذى أعلى من قيمة العقل عموما وعكف على المادة والتجربة بصفة خاصة يفسح المجال لهذا الدين الذى وصفه البروفسور مونتيه بما ينقله عنه توماس أرنولد قائلا « الإسلام فى جوهره دين عقلى بأوسع معانى هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية ، فإن تعريف الأسلوب العقلى Rationalism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق - ينطبق على الإسلام تمام الانطباق . والحق أن محمدا الذى كان متحمسا لدينه كما كان كذلك يمتلك غيرة الإيمان ونار الاقتناع - تلك الصفة القيمة التى بثها كثيراً من أتباعه - قد عرض حركته الإصلاحية على أنها وحى وإلهام ، على أن هذا النوع من الوحى ليس إلا صورة من العرض والتفسير ، وإن لدينه كل العلامات التى تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل .. وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها هى على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة فى الدين وفى نشاط الدعوة إلى الإسلام .

والطابع الثانى لعصرنا الذى نعيش فيه أنه عصر الديمقراطية والاشتراكية . وجوهر الديمقراطية والاشتراكية أن البشر متساوون متكافلون فى حقوق السلطة والمعاش ، لا يستعلى أحدهم على الآخر بحسب أو نسب ، بطبقة أو رتبة . والإسلام الذى قام على صلة العبد المباشرة بربه ، قد أقام المساواة بين الناس ، فهم جميعاً عباد الله ، لا يستعلى عليهم إلا العزيز القهار .

وكيف يضيق الفكر الإسلامى بالديمقراطية أو الاشتراكية ، وهو قد قام على أصول الحرية فى مناهجه الجدلية العقائدية والأصولية الفقهية . ولقد ركزت الأبصار وسلطت الأنوار على آيات القرآن « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ... وعرضت فى هذا الضوء أحاديث الرسول « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، « إنما الطاعة فى المعروف »[1]،

---

[١] روايات مختلفة للبخارى ومسلم وأبى داود والنسائى وأحمد والحاكم فى المستدرك .

« المسلمون شركاء فى ثلاثة : فى الماء والكلأ والنار »(١)، « من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليست له زوجة فليتزوج ، أو ليس له خادم فليتخذ خادما ، أو ليست له دابة فليتخذ دابة »(٢) ، « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى من المؤمنين فترك دينا فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فهو لورثته »(٣) . ومن هنا يقف الإسلام لا يتزلزل أمام صيحات العدالة الاجتماعية والسياسية ... ومن فقهائه من قرر فى وضوح أن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، وأن على المجتمع أن يكفل للفرد حاجته من القوت والملبس والمسكن الذى يقيه من الحر والبرد والمطر وعيون المارة ، وأن صاحب الأرض ينبغى أن يفلحها ويزرعها بجهده المباشر ، أما إن أعطاها لمن يستغلها فهى منحة ولا يجوز الإيجار . . . والذى قرر هذا عاش فى القرن الخامس الهجرى ، وهو الإمام الأندلسى المجتهد الحجة أبو محمد على بن حزم .

ثم إن عصرنا عصر ( علم النفس ) ـ هذا هو طابعه الثالث ، فقد أرهق الناس صراعهم من أجل القوت واحتشادهم فى المصانع والمجامع واضطرابهم أمام المطامح والمطامع وانفعالهم من أزمات المادة والروح وصداعهم من ضجيج الآلة واحتياجهم إلى تدعيم الأسرة وشغل الفراغ وتندية الروح ... وفى هذا القلق والألم والفزع ظهرت أبحاث النفس تحاول أن تسد الثغرة الروحية فى الحضارة المادية ولكن على أساس تجريبى .

والإسلام حين ربط الناس بالله لم يلههم عن النفس الإنسانية ومشكلاتها ... إنه دعاهم لعبادة الله لتطمئن نفوسهم هم لا ليتمجد الله بالتسبيح والحمد والثناء ، فما أغناه عن طاعة الطائعين « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، والإسلام جعل معرفة النفس من معرفة الرب « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

ولم يحتقر الإسلام دوافع الحياة النفسية ، ولم يعلن معركة بين الإيمان والواقع الحيوى . المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والطعام والشراب مطالب ضرورية ، والسعى فى طلب الرزق جهاد مبرور . ثم إن الحاجة الجنسية فطرة الله الذى خلق للناس من أنفسهم أزواجا ليسكنوا إليها وجعل بينهم مودة ورحمة ، وهى حاجة إنسانية ونعمة إلهية لا ينبغى أن تتعارض مع تسامى الواجبات الدينية « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ،

---

[١] أحمد وأبو داود ـ حسنه السيوطى . [٢] رواه أحمد .
[٣] أحمد والبخارى ومسلم والنسائى والترمذى وابن ماجه .

هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، وهل ينسى قراء الفقه الإسلامى ما يرد فيه من أحكام الطهارة التى تتعرض للإمناء والحيض ، وأحكام النكاح إلى غير ذلك من الأحكام ، يشرحها الفقهاء ، لأن المعرفة لا يحجبها الحياء ؟؟

وأخيراً فإن لعصرنا طابعا عملياً هو السرعة ... السرعة التى دفعتنا بها الآلة إلى الأمام تطوى لنا الزمن ، فلا نمضى الوقت فى التنقل من مكان إلى مكان ، أو فى صناعة أو عمل ، والآلة بطاقتها الرهيبة الجبارة سرعان ما تفعل هذا وذاك من الأعمال .

والآلة تغلغلت إلى البيت فى مطابخه ومرافقه ، وإلى الشارع والمدرسة ، وإلى الدكان والمصنع .. وأصبحت الحركة الوامضة الخاطفة هى طابع الحضارة الصناعية .

والإسلام الذى يدعو إلى العلم والعمل ، ويمجد الحركة والنشاط ، يبارك هذا الطابع ولا يضجر منه .

والإسلام لا يربك الناس بالطقوس والأوراد التى لا تدع وقتا لشىء ، أو لا تدع حضارتنا السريعة لها وقتا . إن شعائر الإسلام خمس صلوات خفيفة لطيفة ، لا تستغرق دقائق معدودات ، ويغنى فيها الجمع والقصر عند السفر ، ووضوءها نظافة ويغنى عنه التيمم عند وجود العذر . والصيام شهر فى العام ، الإمساك فيه من الشروق للغروب فحسب ، والتعجيل بالفطر وتأخير السحور فيه سنة ، ويعفى منه المسافر والمريض ، والحج رحلة مرة فى العمر . وكل هذه الشعائر طابعها التيسير ورفع الحرج .

إن الإسلام يفسح المجال للمسلم لكى يذكر الله فى أعماله كلها : فى البيت والشارع والمصنع والمتجر ، فى أجواز الفضاء وأغوار الماء .. ولكنه ذكر يدعو إلى التعبد بالعمل ومراقبة الله فى معاملة الناس ، وابتغاء الآخرة فى طلب الدنيا . فورد المؤمن فى القلب ، وتدينه بتنفيذ هدى دينه فى سائر نشاطه اليومى ، والدنيا كلها معبده ومحرابه .

ديننا إذن فى موقف الدفاع .... وهو يستطيع الثبات فى موقفه ويستطيع أن يكرر معجزاته بأسلوب جديد .

والحضارة المادية الصناعية لم تستطع القضاء على جذور الدين فى أعماق النفس فى أى مكان من أمريكا أو أوربا ، وكل من يزور البلاد الغربية يعرف مكان الدين فى ضمير الفرد مهما انحسر مداه وضحل غوره .

والإسلام ـ من ناحية الواقع التطبيقى ـ لم يفقد طاقته الانتشارية حتى بعد المحن والخطوب المتلاحقة .

يقول الصحفى الأمريكى جون جنثر Gunther فى كتابه ( داخل إفريقيا ) بعد أن عرض لبساطة العقيدة الإسلامية « ... هذا واحد من الأسباب التى تعلل : لماذا خط الإسلام مسالكه الكبرى فى قلب إفريقيا المعاصرة . فعدد المسلمين يكاد يتضمن ثلث مجموع سكان القارة اليوم ، وهم يزدادون عددا طوال الوقت .... وليس فى الإسلام تمييز عنصرى ، ومن ثم لا يقوم حاجز يمنع تحول البانتو أو الزنوج إلى رحابه ، ولقد انتشر انتشاراً شاملا عميقا بين عباد الأوثان والحيوان ، لأن شعائره مبسطة للغاية بقدر مافيه من جاذبية أصيلة راسخة . . . . ونقطة أخرى : إن الإسلام نظام اجتماعى كما هو دين ـ نظام اجتماعى يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة مع جميع المؤمنين الآخرين . وكثيراً مايوصف الإسلام بأنه الأكثر ديمقراطية بين ديانات العالم » .

ولقد صور الدكتور محمد البهى موقف الإسلام الدفاعى تصوير المؤمن العالم الواثق « .... الإسلام من حيث هو مبادئ لا يتوقف اعتباره على مكان معين ولا على جيل من البشر . وكما ذكر ( إقبال ) الإسلام بما اشتمل عليه من مبدأ ( الحركة ) يعيش مع الإنسان المتحرك وفى العالم المتغير المتطور فهو لا يلتزم بالصليبية ولا بالماركسية إذ طالما كانت له طبيعة الموجود الخالد . فلا يضار بالهجوم عليه من هنا أو هناك لأنه عندئذ لا يقبل الفناء . فخلود الإسلام فى رسالته ، ورسالته ( التوازن ) ـ التوازن فى قيادة الفرد لنفسه . والتوازن فى علاقة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض . والتوازن فى علاقة الأفراد جميعاً ما بين جار قريب وبعيد وما بين حاكم ومحكومين » .

ولكى تتحول هذه الحقيقة الكامنة فى الإسلام إلى دعوة منطلقة متميزة واعية فى واقع المسلمين .... يحتاج ـ كما أشار الدكتور البهى ـ إلى جهود على رأسها جهود الأزهر حين يصير بجهود المخلصين « ذا رسالة إيجابية فى تهيئة المجال الحيوى لمصر فى إفريقيا الإسلامية ، وفى مقابلة الاستعمار الغربى . وفى الإسهام فى حل مشاكل الشعوب الإسلامية : الاجتماعية والاقتصادية » . . . .

حقق الله الآمال ، وأعان على تبعات الحق شيخ الأزهر الجديد .

فتحى عثمان

# الفرقان المنزل
## وأثره فى الأدب العربى

مما لا مراء فيه أن عوارض الوهن والانحلال تأصلت أسبابها بادئ ذي بدء في العقائد الدينية فى بلاد العرب زمن الجاهلية يوم كانوا على تخاذل وتناحر وافتراق ، وظهر ذلك بأجلى مظاهره فيما خلفوه من التراث الأدبى فى الشعر والنثر ، إلا فى مكة فقد كانت أبداً أهم المراكز الدينية ، ولم تتأثر قيمة الأماكن المقدسة ولا انطمست فيها المعالم الدينية ؛ غير أن سكان هذا البلد كان أكبر أمانيهم ما يجنونه من الربح من وراء إقامة الأحفل ، أى أن الناحية الدينية كانت فى تقديرهم فى المرتبة الثانية ، حتى ظهر محمد خاتم الأنبياء ، وجاءهم بوحى من الله فتآخوا بعد التخاذل ، وتآلفوا بعد التفرق ، فبث بينهم تعاليم رشيدة قيمة ألفت بين أغراضهم التى شبوا عليها وبين مرامى الحياة العليا الفاضلة ، فعرفوا الحياة الإنسان قيمتها على الوجه الأكمل ، الذى يعين على أن يجمع العربى المسلم بين حياتين : حياة الزاد وحياة المعاد ، بل بين حياتين : حياة عاجلة فاضلة وحياة آجلة مثالية كاملة .

لقد حث الفرقان المنزل بآياته المحكمات على القراءة والتعلم ، فقل شبح الأمية رويداً رويداً ، ومن هـــذه الناحية قصر مسافة الخلف بين العرب ونضجهم المزيد من تفاهمهم ، فانمحت آثار الجاهلية الغشماء ، وظهر أثر ذلك جلياً فى الأدب العربى فى ذلك العصر وما تلاه من عصور متعاقبة ، وظهر لهم على أثر ذلك أبحاث ممتعة وأفكار خالدة استضاء بنورها العالم طويلا ، ولا زالت حتى الآن ذخراً هاماً يرجع إليه فى كثير من العلوم والمعارف .

وقد عنى أبلغ العناية رهط كبير من جلة الصحابة باستظهار القرآن الكريم ، كما عمل خلفاء الرسول الأعظم على جمعه وترتيبه جمعاً كان له أبلغ الأثر فى الاحتفاظ بهذا التراث العظيم الذى بقى للمسلمين سراجاً وهاجاً ومصباحاً مبيناً حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

يتبين مما تقدم أثر الفرقان فى الأدب العربى من ناحية روعته واتساقه وقوة بيانه وبلوغه أوج الكمال ، وأظهر ما ظهر فى ألفاظهم وتراكيبهم شعرهم الرصين وأدبهم القديم ، حسب القارئ أن يعلم مما عثرنا عليه فى آراء الفلاسفة من الإنكليز والألمان والفرنسيين مترجماً إلى اللغة العربية أن الأدب العربى لا يدانيه أدب فى أية لغة من لغات سكان هذه الرقعة السوداء .

كان صلى الله عليه وسلم ليست له نزعة إلى الشعر ، وكان لا يميل إلى الشعراء فى بادئ الأمر ، فلما استقر لرسول الله الأمر فى المدينة اتخذ له من الشعراء أعوانا للرد على شعراء وفود قبائل العرب الذين كانوا يفدون إليه مذعنين لحته الذى علا سلطانه فوق كل سلطان ، وأول من اتخذه رسول الله من الشعراء حسان بن ثابت من قبيلة الخزرج ، وكان قد بدأ حياته بصناعة الشعر واتخذها مورداً لرزقه فى بلاط أمراء الحيرة (١) ودمشق ، فلما بلغه تألق نجم النبى فى يثرب ذهب اليه طيعا ونصب نفسه وموهبته الشعرية للدفاع عنه ، فأجزل له رسول الله الأعطيات ، وقد عمر طويلا بعد النبى وتوفى سنة ٥٤ هـ وقد بلغت أشعاره درجة عظيمة من السمو المعنوى وجزالة التراكيب ، وكانت عبارته اللغوية سهلة فى غير كلفة كما كانت سهلة الأداء على الأجيال المتأخرة ، وذلك ماحفزهم على الإشادة بفضله والتغنى بجليل آثاره .

واشتهر من الشعراء بعد حسان بن ثابت فى هذا العهد اثنان من فطاحل شعراء العرب ، هما الأعشى وكعب بن زهير . ولكل منهما شعر بديع فى مدح النبى ، ولو أن أولهما مات ولم يدخل فى الإسلام .

ولكنه لم يعتنق المسيحية ، فلما بلغته دعوة النبى صلى الله عليه وسلم نظم قصيدة فى مدحه جمعت محاسن فنون اللغة وحازت إعجاب العلماء لعدة قرون ، ولو أنها لم تبلغ من الشهرة والذيوع ما بلغته قصائد حسان بن ثابت .

وأما كعب بن زهير فهو سليل أسرة عرفت بالشعر منذ القدم من قبيلة مزينة ، وتجلت فيه الروح الشعرية القديمة بأجلى مظاهرها ، ففاق سابقيه فى الشعر من حيث الطلاوة والرونق ، وكان فى أول أمره لا يميل إلى الإسلام لتقييده حريات الجاهلية الجارفة ، فلما رأى أخاه بجيراً قد دخل فى الإسلام نظم فيه قصيدة ملؤها السخرية والتهكم الجارح ، فأغضب ذلك رسول الله فأهدر دمه ، فاضطهده المؤمنون فى كل ناحية إلا أنه تمكن أخيراً من الوصول إلى رسول الله وألقى بين يديه قصيدة عصماء مطلعها ( بانت سعاد ) جمع فيها أحسن أساليب الشعر معنى وأجزلها لفظا ، فرضى عنه الرسول وصفح ع[illegible]اته ، ودخل فى دين الله .

وأشهر شعراء العرب فى عهد النبى الأ[illegible] بلا شك لبيد بن ربيعة فقد تمثلت فيه الروح العربية القديمة بشكلها النبيل ، فبرز [illegible] عصره وامتاز عليهم جميعاً .

ولما استقر الأمر لرسول الله صلى الله [illegible] فى المدينة وبلغته رسالته جاء على رأس

---

[١] الحيرة : امتدح حسان آل جفنة [illegible]ام .

وفد من قبيلته لإظهار خضوعهم ودخولهم في الإسلام ، ثم مات أخوه بصاعقة ، فنظم فيه مرثيات هي آية الآيات في الروعة والجمال ، وأقام أخيراً بالمدينة فلم يبرحها إلى الكوفة إلا في عهد خلافة عمر ، وعاش طويلا ، قيل إنه مات في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان حوالي سنة ٤٠ هـ .

وكانت توضع منظوماته في المكان الأول بين شعراء العرب ، وليس أدل على ذلك من أن إحدى قصائده وضعت ضمن المعلقات السبع .

وقد اشتهرت المراثي بين منظومات العرب منذ القدم شهرة عظيمة فوضع فيها أكثر شعراء العرب آيات خالدة غاية في الجمال والروعة وامتاز عهد النبي في هذا الضرب من الشعر بظهور اثنين من فطاحل الشعراء ولكل منهما مرثيات من أبدع ما نظمه العرب وهما متمم ابن نويرة والخنساء .

وظهر كذلك من الشعراء عدد غير قليل أثناء الغزوات والفتوحات الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، على أن هذا العصر كغيره من عصور الحروب على العموم لم يكن في صالح الشعر والأدب العربي ، وأن أثره في تاريخ العرب السياسي كبير إلى أبعد حد ، إذ تمكن العرب بدافع تحمسهم لدين الله في وقت قصير من زلزلة الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، وإخراجها من الشام ومن ممتلكاتها الإفريقية ، وتقويض المملكة الفارسية .

ومن شعراء عصر الغزوات الممتازين أبو محجن من قبيلة ثقيف ، وكان قد اشترك في الدفاع عن مدينة الطائف ضد المسلمين الفاتحين ، ودخل هو وعشيرته بعد ذلك بزمن قصير في الدين الإسلامي ، ولكنه بقي على كثير من عاداته القديمة فاستخدم موهبته الشعرية في مدح الخمر التي حرمها الإسلام ، واشترك في حروب الفتوحات الإسلامية في الشمال ، وامتاز ببلائه في موقعة القادسية ضد الفرس ، فغفرت له شجاعته وتوبته ما تقدم من ذنبه وتوفي سنة ٦ [illegible] الهجرة .

واشتهر بعده أبو ذؤيب ، وامتاز عنه بشخصيته البارزة ، وموهبته الشعرية القوية ، ويعد أشعر الشعراء الهذليين ، واشترك في غزوات الفتوحات الإسلامية وجاء إلى إفريقية عام ٢٣ هـ فمات أولاده الخمسة في مصر [illegible] الطاعون ، فرثاهم بمرثية رائعة وتوفي وهو في طريقه إلى المدينة بصحبة عبد [illegible] زبير وكانا يقصدان الخليفة ليخبراه بنبأ غزوة قرطاجنة .

وأما الشعر الهجائي فكان ذائعا [illegible] القديمة ، وكثيراً ما استخدم في الجاهلية في نزعات القبائل المختلفة إلى أن انحط و[illegible] تدريجيا - ولعل أشهر من عرف من

شعراء الهجاء فى هذا العهد الحطيئة ، وكان يجوب بلاد العرب متذعا الناس لإرهابهم والنيل منهم ، ولولا الحزازات بين قبائل العرب وتحامل بعضهم على بعض لما حفظ شىء من هذا الشعر .

هذه خلاصة مفيدة عن الشعراء الذين تأثروا بآداب القرآن الكريم ، ونسجوا على نهج رفيع من الأساليب العربية فى الشعر والنثر ، بعد أن خلع عليهم كتاب الله وفرقانه المنزل أبدع ماعرفت اللغات من أنواع الأساليب والمبتكرات ، وقد ظل القرآن الكريم تراثا للمسلمين يرثه الخلف عن السلف حتى يأتى أمر الله ويتحقق موعوده يوم الساعة : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ؟

عباس طه
المحامى

---

# عجــلة الزمن

لعبد الفتاح أبو مدين

ضمن ما نشر فى هذا الباب نشرت مجلة الأضواء بجدة الكلمة الآتية :

## الشيــخ شلتوت



ولى الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت مشيخة الجامع الأزهر . والشيخ شلتوت قمين بهذا المنصب الكبير وجدير بأن يتولى أمور هذه الجامعة الكبرى التى تؤدى رسالة العلم منذ قرون طويلة . وقد خرجت كبار العلماء من بين أروقتها ، وهم الذين يؤدون رسالة العلم فى فسحات الأزهر ، وفضيلة الشيخ الجديد عالم ومن كبار العلماء المشرعين ، ومن الذين لا يتزمتون ، فهو عالم عصرى ، ومشرع كبير ، تلمس هذا فى أحاديثه التى يذيعها كل جمعة من إذاعة مصر ، وفيما يكتبه فى الصحف ، وفى الفتوى التى يصدرها عن سؤال يوجه اليه فى شئون الدين ، وهو على تقدمه فى السن نشط يفيض حيوية وقوة ، ويرجع هذا على ما أعتقد إلى قوة إيمانه العميق ، وإخلاصه فى أداء رسالته ، وخدمته لدينه وللشعوب الإسلاميه بتشريعاته .

فتحية للرجل العالم الجليل وتهنئة بهذا المنصب السامق الذى يدين له الإسلام بفضل التشريع والهدى . تحية الأمجاد العاملين ؟

# رسالة الأزهر

## — ٥ —

## ( رسالة الأدب )

أقرر اليوم أمرين لا غنى لى عن ذكرهما فى هذا الحديث الذى أختتم به رسالة الأزهر الأدبية .

أولهما : أننى لم أعرض فى كلماتى السابقة لأديب من غير أدباء الأزهر . ورضيت أن أسير فى هذه السبيل الضيقة - سبيل قصر الحديث على أدباء الأزهر - ذلك لأن المعروف عند غير الباحثين أن الأزهر بطبيعة ما يدرس فيه من العلوم - بعيد عن أدب الدرس ، لأن الأدب ترف نفسى يعطل رسالة الأزهر الدينية وما تستلزمه من دراسة قواعد اللغة العربية بأنواعها ، والرسالة الدينية هى أساس الأزهر .

فأردت أن أنفى عن الأزهر فى تاريخه الطويل هذه المقالة بما أسلفت من كلمات . وما ذكرت فيها من أسماء أعلام فى الأدب إلى جانب أنهم أكبر من أعلام فى العلوم الدينية وما يدور حولها من علوم ، وبذلك يكونون قد جمعوا بين الحسنيين : العلم والأدب . وهم وإن كانوا قلة فى تاريخ الأزهر إلا أنهم قد حققوا له رسالة أدبية شاركوا فيها أدباء عصورهم منذ كان الأزهر أزهراً .

أما الأمر الثانى : فهو أن دراسة كتب الأدب إما أن تخرج كاتباً أو شاعراً مثلاً رأى ابن خلدون من أن المقصود من درس الأدب هو ثمرته . وهى الإجادة فى فنى المنثور والمنظوم . وإما ألا تخرج واحداً منهما . وهذا التخريج عندى يرجع إلى التوفر على الملكة الأدبية أكثر مما يرجع إلى الإكثار من الاطلاع والدرس ، فصاحب الملكة الأدبية تواتيه ملكته بالشعر أو النثر بأيسر اطلاع وأقل دراسة ، وهذا النوع أسميه الأدباء الفعليين أما النوع الثانى : الذى قد يمضى أكثر حياته فى الدرس والقراءة بل والتأليف أيضا - ثم هو خلو من الملكة الأدبية . فهو غير ميسر لأيهما - فذلك هو العالم باللغة وفروعها ،

وإذا كان من النوع الأول أعلام فى التبيين والبيان . فإن من النوع الثانى أعـــلاماً فى العلم والعرفان .

* * *

ذكر لنا الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق فى محاضراته عن حياة الإمام محمد عبده نقلا عن أحد المستشرقين قوله ـ « وقد ذكر الطنطاوى الذى كان مدرساً بالأزهر حوالى سنة ١٨٢٧ م ـ قبل ذهابه إلى بطرس بورج ـ أنه كان يدرس مقامات الحريرى والمعلقات بشرح الزوزنى . وقال ( الطنطاوى ) إنه لا يعلم أن أحداً قبله درس هذه الفنون فى الأزهر » . وفحوى هذا القول أن الأزهر إلى سنة ١٨٢٧ م لم تكن قد دخلت فى مناهجه دراسة الأدب ، وأن هذا الشيخ الطنطاوى هو البادئ بالدراسة الأدبية فيه . ويؤيد هذه الرواية أن الأديب الشاعر صديق الأستاذ ابرهيم الدباغ أخبرنى بأنه حوالى سنة ١٨٩٠ م كان يذهب إلى رواق الحنفية بالأزهر مع أحد أصدقائه السوريين ليلاقى صديقه هذا درساً فى الأدب على من يشاء من طلبته ، وكان هذا الدرس فى يومين فى الأسبوع ، فكان الطلبة يعدون ذلك « الأدب » غريباً عليهم كل الغرابة ، وكان كثير منهم ـ على قلتهم العددية ـ يحضر بعض دقائق ثم ينصرف . ثم إن المرحوم على مبارك « باشا » المتوفى سنة ١٨٩٣ م رواية فى خططه التوفيقية هى فى دلالتها تؤيد هاتين الروايتين فقد جاء فى الجزء الرابع من خططه عن مناهج الأزهر الدراسية قوله ـ « وليس لهم التفات نحو التاريخ والجغرافيا والفلسفة بل يرون ذلك بطالة وتضييعاً للوقت . . . » .

إذن لى أن أقول بعد ذلك : إن الأدب لم يكن فى المناهج الأزهرية الدراسية ، وإنما الذى يميل إليه هو الذى يطلبه من كتبه ويديم فيها الاطلاع ، ولا يطلبه من درس منتظم فى الأزهر ، وبهذه الوسيلة الفردية أخرج لنا الأزهر أدباء كان منهم من حمل لواء العلم والعرفان فى علوم اللغة العربية جميعا .

* * *

يمكن فى هذه الكلمة الختامية فى رسالة الأدب أن أجمل تقسيم هذه الرسالة إلى أطوار عدة : بعضها مر الحديث عنه ، وبعضها الحديث عنه جديد .

الطور الأول : طور ابن دقيق العيد ، والجلال السيوطى ، وأبى العباس القلقشندى ، وشمس الدين النواجى ، وأمثالهم وقد مر التحدث عن هذا الطور .

الطور الثانى : طور الشبراوى واسماعيل الخشاب ، وحسن العطار ، والجبرتى ، ورفاعة الطهطاوى ، ومحمد شهاب ، ومحمود العالم وأمثالهم وقد مر الحديث عنه أيضاً .

الطور الثالث : هو الطور الأول لمحمد عبده قبيل الثورة العرابية . ويحدثنا هذا الشيخ العظيم عن رأيه فى الكتابة العربية فى هذا الحين . وكيف أصلح ما اعوج منها قال : « وكانت أساليب الكتابة فى مصر تنحصر فى نوعين ، كلاهما يمجه الذوق وتنكره لغة العرب . الأول ما كان مستعملا فى مصالح الحكومة وما يشبهها . وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات رث خبيث غير مفهوم ، ولا يمكن رده إلى لغة من لغات العالم : لا فى صورته ولا فى مادته والنوع الثانى ما كان يستعمله الأدباء والمتخرجون من الجامع الأزهر . وهو ما كان يراعى فيه السجع وإن كان بارداً . وتلاحظ فيه الفواصل وأنواع الجناس وإن كان رديئاً فى الذوق غير مؤد للمعنى المقصود ، ولا ينطبق على أدب اللغة العربية . . ولا يزال هذا النوع موجوداً فى أساليب المشايخ خاصة . ثم ورد علينا فى أخريات الأيام ضرب آخر من التعبير كان غريباً فى بابه وهو ما جاءنا من الأقطار السورية فى جريدتى الجنة والجنات بقلم المعلم بطرس البستانى الخ . . . » .

هذه الرداءة الشاملة فى أساليب الكتابة العربية هى التى شمر لها الشيخ عن ساعد جده ونشاطه فعالجها قدر المستطاع لما أن ولى تحرير جريدة الوقائع المصرية ، ورئاسة إدارة المطبوعات التى هيمن بها على لغة الصحف وعلى لغة الدواوين فى عهد الوزير الكبير رياض باشا ، فقد كان يأمر وينهى ويعاقب ويحاسب ويحذر وينذر ، ويشتد ويحتد وما زال كذلك إلى أن استطاع أن يحرر إلى حد ما أساليب الكتابة العربية فى مختلف ميادينها : من الدواوين إلى الصحافة إلى الأزهر ، وكان يعاونه فى عمله الكتابى أدباء وقتهم ، مثل سعد زغلول ، وإبراهيم الهلباوى ، وإبراهيم اللقانى ، وأبى الوفا القونى ، وعبد الكريم سلمان . وهذه أول حسنة من حسنات الأديب الكاتب الأزهرى الشيخ محمد عبده على أساليب الكتابة العربية .

الطور الرابع : هو طور هذا الشيخ الجليل أيضا بعد أن رجع من منفاه بعد الثورة العرابية وبعد أن عقد له فى وطنه لواء الإمامة بأوسع معانيها . وبعد تقلد منصب الإفتاء . فقد أخذ فى هذا الدور يملأ وقته بالتدريس فى الرواق العباسى بالأزهر ، فطوراً يفسر كتاب الله ، وطوراً يقرأ الكتب العالية فى المنطق والفلسفة ، وثالثاً يقرأ أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ، وقد تخرج عليه فى هذه الحقبة أدباء وقتهم وأيامهم ، وبحسبى أن يكون من بينهم مثل الأديب الشيخ محمد المهدى زيكو الذى قال بعد حضوره أول درس للإمام فى أسرار البلاغة : إننا قد اكتشفنا فى هذه الليلة معنى علم البيان : مع أن الشيخ محمد المهدى هذا كان يدرس أيامئذ علم البيان فى المدرسة الخديوية الثانوية . والكاتب الشاعر البارع السيد مصطفى لطفى المنفلوطى . والشيخ عبد الرحمن البرقوقى صاحب مجلة البيان ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ على عبد الرازق ، والشيخ طه البشرى ، والشيخ عبد العزيز البشرى ، وأحمد تيمور باشا ، والشاعر الكاتب حفنى ناصف .

يتبع هذا الطور اتجاه هذا الإمام الأديب إلى إحياء الآداب العربية . فقد أسس فى سنة ١٣١٨ ﻫ جمعية برياسته سميت ( جمعية إحياء العلوم العربية ) . وقفد افتتحت عهدها بطبع كتاب جليل الشأن هو ( المخصص ) لابن سيدة . وقد تولى الإمام تصحيحه بنفسه بمشاركة فقيه اللغة العربية الشيخ محمد محمود الشنقيطى . ثم طبعت الجمعية غير هذا الكتاب .

هذه الأطوار للإمام كانت نواة الأدب وإصلاح أساليب لغة العرب ، لا فى الأزهر وحده ، ولكنها شع نورها منه فأضاء كل ظلام خيم على لغة القرآن ، ولغة عدنان ، إلى أن كان عهد الشيخ سيد المرصفى مدرس الآداب بالأزهر الذى اتصل عهده عن قرب بعهد الإمام ، والشيخ سيد هذا هو شارح ديوان الحماسة لأبى تمام ، والكامل لأبى العباس المبرد ، وأشهد أن هذا العالم الأديب فى طليعة من رفعوا منار الآداب ، وخدموا أجل خدمة لغة العرب .

ولن تزال آثاره الأدبية من أقوى مراجع الأدب العربى ؟

حسن الشيخة

المحرر الأدبى بجريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين

[٦]

# تعليقات

## كتاب مذبذبون

نقرأ لبعض الكتاب فنفهم مرة أنهم يخلصون للأمة ، ويغارون على الآداب ، وينادون بالكرامة ، فنفرح بهم ، ونود أن يكثر بيننا عددهم .

ونقرأ لهم مرة ثانية فنراهم يخادعون ويبثون في الناس الفجور وينادون جهارا بالإباحية .

نقرأ هذا وذاك فنقف من كتابنا هولاء مواقف الدهشة ، ونحاورهم : أيسخرون من أنفسهم فيترددون بين الجد والهزل ، والكرامة والخساسة ؟ أم يسخرون من الجمهور القارئ فيكتبون له - يوما - ما يرضيه ، ويكتبون ثانيا ما يسوءه ، ويؤذيه ويخزيه ؟ .

كتبنا مرة أخيرة عن تبذل المرأة وتعرضها لمجامع الرجال في لبسة الشوال فعلق أحد ، الكتاب المعروفين على ما كتبنا مؤيدا لنا ، واستهجن لبسة الشوال في لهجة كريمة .

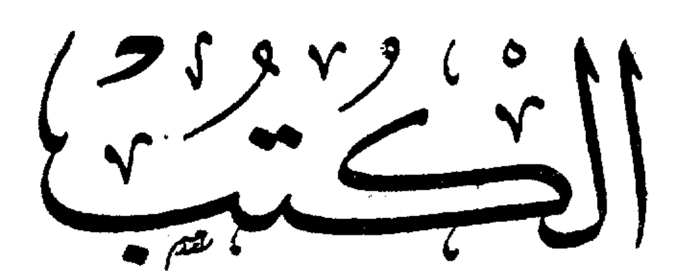
ثم رأينا ذلك الكاتب نفسه يطلع علينا بدعوة إلى التدين واحترام العقيدة ويضرب الأمثال بأمم أفادها التدين ، وأمم أخرى خسرت معنويتها بتسامحها في دينها ، وكان في حديثه ذاك يستثني من الأديان الخرافة ، ولا يحبذ الأخذ بالخرافات على أنها دين .

ثم رأينا الكاتب يتلفت من حديثه هذا إلى دعوة المرأة الجميلة أن تلبس الشوال وغيره ، وأن تبرز مفاتن جسمها في كل ناد ، وواد .

وهنا موقف الحيرة والدهشة من أمثال هذا الكاتب ينكر الشيء ويستحسنه ، ويرى الإعراض عن الخرافات ثم ينادي المرأة أن تتبجح بالعرى والفتنة ، ونحن نحرم ما يحرم الله استنادا إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وهما مصدرا تشريع لمن كان مؤمنا . فإلى أي مصدر يستند كتابنا في إباحتهم للمرأة أن تفعل ما تفعل ؟ هذا تشريع الشيطان وهم جنوده ، فاللهم احفظ عبادك من ضلال المضللين ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر



## تفسير الطبرى

الجزء الرابع - ٦٣٨ ص - دار المعارف بمصر

ظهر هذا الجزء ، وفيه تفسير سورة الأنفال من الآية ٤٨ إلى الآية ٧٥ وهى آخر السورة . يتلو ذلك تفسير سورة التوبة من أولها إلى الآية ١٢٩ « فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » وهى آخر السورة كذلك وستكون بداية الجزء الخامس عشر من سورة يونس .

وفى هذا الجزء الرابع عشر من الآثار ١٣٣٤ ( من رقم ١٦١٨٣ إلى رقم ١٧٥١٧ ) . وفيه من الفهارس : فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير . ثم فهرس اللغة مرتباً على أصل الاشتقاق وعلى آخر الأصل باباً وأوله فصلا كاللسان والقاموس وأمثالها . ثم فهرس أعلام المترجمين فى التعليق ، يلى ذلك فهرس المصطلحات ، ثم فهرس مباحث العربية والنحو وغيرهما . وبعده فهرس التفسير .

وقد سبق لنا التنويه بالمجهود العظيم الذى يبذله الأستاذ محمود شاكر فى تحقيق متن التفسير والتعليق عليه بما يستغنى القارىء عن مراجعة غيره ، ومن ذلك تخريج الأحاديث والآثار . مضافا إلى ذلك جودة الطبع ، والإشارة فى جوانب الصفحات إلى أرقام الصفحات فى طبعة بولاق القديمة ليستفيد من ذلك من يحدون الإحالة على تلك الطبعة فى الكتب التى ألفت بعدها .

## الظاهرة القرآنية

ألفه بالفرنسية مالك بن نبى (ترجمة عبد الصبور شاهين) - ٣٠٣ ص - مكتبة دار العروبة

مؤلف هذا الكتاب بالفرنسية من أفاضل إخواننا مفكرى الجزائر رد الله غربتها ، ومترجمه من شباب مصر الجامعيين الأوفياء للإسلام وهو الآن معيد بكلية دار العلوم . وقد كتب مقدمته الأستاذ السيد محمود محمد شاكر ، وهى من أبرع ما كتبه حتى الآن .

وعلى غلاف الكتاب تعريف بروح الظاهرة قيل فيه : « فى ضوء القرآن يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته ، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم فى تطورها . والدين على هذا يبدو كأنه مطبوع فى النظام الكونى ، قانوناً خاصاً بالفكر الذى يطوف

في مدارات مختلفة ـ من الإسلام الموحد ، إلى أحط الوثنيات البدائية ـ حول مركز واحد يخطف سناه الأبصار ، وهو حافل بالأسرار ... إلى الأبد » .

والكتاب يستعرض أولا الظاهرة الدينية في البشر من وجهة نظر المذهب المادي ومن وجهة نظر المذهب الغيبي ، ثم يتكلم على النبوة وخصائصها ، ثم عن أصول الإسلام ، والحياة المحمدية وكيفية الوحي ، ومقام الذات المحمدية في ظاهرة الوحي ، ثم عن الرسالة ، فالخصائص الظاهرية للوحي والصورة الأدبية للقرآن ، وختمه بدراسة للمجاز القرآني .

ويقول الأستاذ محمود شاكر في تقديم الكتاب : ليس عدلا أن أقدم كتاباً هو يقدم نفسه إلى قارئه ، وإنه لعسير أن أقدم كتاباً هو نهج مستقل ، أحسبه لم يسبقه كتاب مثله من قبل ، وهو منهج متكامل يفسره تطبيق أصوله ... وكان طريقه إلى المذهب الصحيح هو ما ضمنه كتابه من بعض دلائل إعجاز القرآن ، وأنه كتاب منزل ، أنزله الذي يعلم الخبء في السماوات والأرض ، وأن مبلغه إلى الناس رسول صادق قد بلغ عن ربه ما أمره بتبليغه ، وأن بين هذا الرسول الصادق وبين الكلام الذي بلغه حجازاً فاصلا . وهذا الحجاز الفاصل بين القرآن وبين مبلغه حقيقة ظاهرة لا يخطئها من درس سيرة رسول الله فاحصاً متأملا ، ثم درس كتاب الله بعقل يقظ غير غافل .

ويقول الأستاذ محمود شاكر : إن اللغة التي نزل بها القرآن معجزاً ، قادرة ـ بطبيعتها هي ـ أن تحتمل هذا القدر الهائل من المفارقة بين كلامين : كلام هو الغاية في البيان فيما تطيقه القوى ، وكلام يقطع هذه القوى ببيان ظاهر المباينة له من كل الوجوه . وأن العرب الذين بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن قادرون على إدراك هذا الحجاز الفاصل بين الكلامين : وهذا إدراك دال على أنهم قد أوتوا من لطف تذوق البيان ، ومن العلم بأسراره ووجوهه ، قدرا وافراً يصح معه أن يتحداهم بهذا القرآن ، وأن يطالبهم بالشهادة عند سماعه أن تاليه عليهم نبي من الله مرسل . وأن البيان كان في أنفسهم أجل من أن يخونوا الأمانة فيه أو يجوروا عن الانصاف في الحكم عليه .

وهذه الصفات تفضي بنا إلى التماس ما ينبغي أن تكون عليه صفة كلامهم ـ إن كان بقي من كلامهم شيء ـ فالنظر المجرد أيضا يوجب أن يكون ما بقي من كلامهم شاهدا على بلوغ لغتهم غاية من التمام والكمال والاستواء حتى لا تعجزها الإبانة عن شيء مما يعتلج في صدر كل مبين منهم . وأن تجتمع فيه ضروب مختلفة من البيان لا يجزئ أو تكون دالة على سعة لغتهم وتمامها ، بل على سجاحتها أيضا ، حتى تلين لكل بيان تطيقه ألسنة البشر على اختلاف ألسنتهم .

إن مرجليوث يوم بث الأكذوبة الكبرى بأن الشعر الجاهلى الذى بين أيدينا منحول لأصحابه وليس بأصيل ، أراد أن يتهم الجاهليين بزوال الكلام الأصيل الشاهد على إعجاز القرآن عند مقارنة البيان الإلهى بالبيان العربى .

« وهذا المكر الخفى الذى مكره مرجليوث وشيعته وكهنته ، والذى ارتكبوا له من السفسطة والغش والكذب ما ارتكبوا - كما شهد بذلك رجل من جنسه هو آربرى - كان يطوى تحت أدلته ومناهجه وحججه إدراكا لمنزلة الشعر الجاهلى فى شأن إعجاز القرآن ، لا إدراكا صحيحاً مستبينا ، بل إدراكا خفيا مبهما ، تخالطه ضغينة مستكينة للعرب وللإسلام » .

إن خصائص البيان فى القرآن فوق خصائص بيان البشر على اختلاف ألسنتهم ، وإن مخرج هذا غير مخرج هذا ، وإن الشعر الجاهلى إنما هو مادة الدراسة الأولى ، لأن القرآن نزل بلسان العرب ، والذين نزل عليهم ثم تحداهم وأعجزهم هم أصحاب هذا الشعر والمفتونون به وببيانه . وإنهم بتركهم معارضة القرآن بشعرهم وكلامهم ، قد أقروا إقراراً لا معقب عليه بفضل هذا القرآن على شعرهم وكلامهم . وإن شعرهم وكلامهم يحمل هو نفسه فى نفسه أدلة صحته وثبوته ، بما فيه من قدرة خارقة على البيان ، فهو علم فريد منصوب لا فى أدب العربية وحدها ، بل فى آداب الأمم قبل الإسلام وبعد الإسلام . وهذ الانفراد المطلق ولا سيما انفراده بخصائصه عن كل شعر بعده من شعر العرب أنفسهم ، هو وحده دليل على صحته وثبوته . وإذا درسناه من هذه الناحية فمن الممكن القريب يومئذ أن نلتمس فى القرآن الذى أعجزهم بيانه ، خصائص هذا البيان المفارق لبيان البشر .

## القصص الحق لسيد الخلق

للأستاذ الشيخ محمد خليل الخطيب النيدى - ١٤٠ ص - مطبعة الشعراوى بطنطا

لما كان مؤلف هذا الكتاب قائماً بتأليف كتابه « الخطب النبوية » وجمع مواده من كتب الحديث والتاريخ والأدب ، كان يجد فى تلك المظان والمراجع القصص التى قصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء الماضين ، والملوك المتقدمين ، والأولياء والصالحين والأشرار الطالحين ، وفى هذه القصص عبرة للمؤمنين وهدى وموعظة للمتقين ؛ فعنى فضيلته بجمعها وشرح تراكيبها فى استنباط الحكم والأحكام منها مع عزوها إلى المصادر التى جمعها منها ومن هذه القصص قصة الثلاثة الذين سد عليهم الغار ، والتائب قاتل المائة ، وقصة الملك والساحر والغلام ، وقصة جريج الراهب ، وقصص الخضر ، وقصة آمر أولاده بحرقه بعد

موته ، وقصة أبى زرع وأم زرع ، وقصة إبراهيم وهاجر وسارة وإسماعيل ، وقصة العابد الذى أحبط عمله بكلمة، إلى أمثال ذلك مما بلغ خمسين قصة نبوية . وقد جعلها المؤلف سلسلة أولى . ومع أن الأقدمين لم يتركوا باباً من أبواب السنة فى أى معنى من المعانى إلا طرقوه ، وأفردوه بالتأليف فأكبر ظننا أن هذا الكتاب هو الأول فى بابه ، فنرجو الله أن ينفع به .

## ابن المعتز

### وتراثه فى الأدب والنقد والبيان

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى – ٧٢٠ ص – دار العهد الجديد للطباعة

يقول المؤلف فى خاتمة هذا الكتاب إنه اشتمل على أربعة كتب من مؤلفاته : أولها الطبعة الأولى من كتاب « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان » ، وثانيها كتاب « التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى » ( ص ٤١٦ – ٤٥٦ ) ، وثالثها نص كتاب « البديع لابن المعتز » وشروح المؤلف عليه » ( ص ٥٩٦ – ٧١٤ ) ، ورابعها « رسائل ابن المعتز فى الأدب والنقد والأخلاق » ( ص ٤٦٥ – ٥٠٠ ) ، هذا كله إلى جانب ما اشتمل عليه الكتاب من شعر لابن المعتز وتحليل لجوانب شخصيته وأدبه وشعره وتراثه الفكرى والنقدى ، ومن ذلك قصيدته فى تاريخ الخليفة المعتضد وأرجوزته فى ذم الصبوح ( ١٣٥ – ٤٥٦ ) .

ويمتاز هذا الكتاب بالإحاطة والشمول لكل ما يتعلق بهذا الشاعر العباسى (٢٤٧-٢٩٦) ووصف العصر الذى عاش فيه ، والظروف التى أحاطت به ، وتوجيه الأضواء إلى المناسبات التى نظم فيها أهم تراثه الأدبى من منظوم ومنثور ، مع عزو كل شىء إلى مصادره ، فكان حظ ابن المعتز من هـذه الدراسة والإحاطة فوق حظوظ سائر الشعراء الذين يلهج الأدباء والمثقفون ببدائع تراثهم وروائع آثارهم فى حياتهم وأحكام الناقدين عليهم فى شتى العصور ، ولا نبالغ إذا قلنا إن هذه المجموعة أنفس مؤلفات الأستاذ الخفاجى الكثيرة .

## البيتوشى

للشيخ محمد الخال قاضى السليمانية — ٣٠٠ ص — مطبعة المعارف ببغداد

لما كان كاتب هـذه السطور عاكفاً قبل سبع سنوات على دراسة عصر داود باشا ( ١١٨٨ — ١٢٤٣ ) وأسلافه الأقربين من ولاة بغداد ، لتحقيق مختصر ( مطالع السعود)

لعثمان بن سند البصري ، كان اسم البيتوشي يتردد في أحداث تلك الحقبة ، ولاسيما في استنجاده بالأمير سليمان بن شاوي الحميري لنصرة أهل البصرة عند استيلاء متوحشة الأعجام عليها ، وكنت أتمنى يومئذ لو أظفر بمرجع أتعرف منه إلى أدب هذا الأديب الكبير والشاعر البليغ الذي يعد حلقة من السلسلة الذهبية في أعلام الأكراد الذين كان لهم نصيب طيب في حمل أعباء الإسلام في جهاده وعلومه وآدابه ومفاخره ، وعلى رأس هذه السلسلة اسم السلطان الملك الناصر صلاح الدين وذويه ، وفي أواسطها أضراب الحافظ العراقي ، حتى تبلغ إلى البيتوشي وتنتهي بأحمد تيمور باشا ومحمد كرد علي وأمثال هؤلاء الأعلام . لذلك كان سروري عظيما عند ما اطلعت على كتاب فضيلة قاضي السليمانية في شمال العراق عن حياة الشيخ عبد الله ابن محمد البيتوشي وبيئته الأولى ، وعن علمه وثقافته وتحليل أدبه ، واستقصاء مؤلفاته وآثاره ، فكان إحياء لهذا العبقري الكادح الصابر المنقطع للأدب والعلم في القرن الثاني عشر الهجري .

إن حياة البيتوشي مثال للحياة الطيبة في الجامعة الإسلامية ، وكيف أن الإسلام قد جمع قلوب أهله على محبة العربية والعرب ، كما فتح قلوب العرب لمحبة إخوانهم في الإسلام جميعاً ، ولعل ذلك مما حمل رجلا عظيما آخر من عظماء الكرد وهو الحافظ العراقي على تأليف رسالته الشهيرة في فضل العرب وأكمل تبييضها في المدينة المنورة في رجب سنة ٧٩١ هـ . ومن هذه المحبة المتبادلة قيام يوسف ضياء الدين باشا الخالدي ( ١٢٥٥ - ١٣٢٤ هـ ) من أعلام أعيان العرب في بيت المقدس على تعلم اللغة الكردية بكتابه ( الهدية الحميدية في اللغة الكردية ) وفيه زيادة على نحوها وقواعدها معجم وجيز لألفاظها مترجمة بالعربية ، وهو مطبوع في القسطنطينية قبل ٦٨ سنة في ٣٢٠ صفحة كبيرة . وقد اقتدى في عمله هذا بأبي حيان الأندلسي ( ٦٥٤ - ٧٤٥ هـ ) الذي كان أول واضع لنحو اللغة التركية بكتابه ( الإدراك للسان الأتراك ) المطبوع بالقسطنطينية أيضاً . إن هذا وأمثاله من شواهد الروابط العلمية بين المسلمين على اختلاف أصولهم وأجناسهم ، وكان الاستعمار حريصاً في عشرات السنين الماضية على توهين هذه الأواصر . ولعل اليقظة الأخيرة لدسائس الاستعمار ترد على المسلمين سنة سلفهم في توثيق الروابط الإسلامية كما كان يعمل لها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي والحافظ العراقي والشيخ عبد الله البيتوشي وأحمد تيمور باشا وأضرابهم من علماء المسلمين . رحمهم الله وأعلى مقامهم في دار الخلود .

## سلسلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المكتب الفني للنشر ، وقد اطلعنا منها على ثلاث حلقات :

الأولى ( الوحدة الإسلامية ) للأستاذ محمد أبو زهرة ، ويقول المؤلف : إن الوحدة التى نبتغيها لا تمس سلطان ذى سلطان يقوم بالحق والعدل فى المسلمين . ولا شكل الحكم فى الأقاليم الإسلامية ، فلكل إقليم أسلوب حكمه مادام يؤدى إلى إقامة الحق والعدل فيه ، ويحقق المبادئ الإسلامية السامية . وإنما معنى الوحدة الإسلامية أن نعتبر أنفسنا مرتبطين بروابط وثيقة تمتد جذورها فى أعماق أنفسنا ، فالإسلام دين الوحدة الجامعة الشاملة ، كما هو دين التوحيد الخالص.

وعنوان الحلقة الثانية ( الديمقراطية الإسلامية ) وهى بقلم الدكتور عثمان خليل أستاذ القانون العام بكلية الحقوق بجامعة القاهرة . وهو يقول : إن التراث الإسلامى فى شأن الحكم حلقة أصيلة فى صميم سلسلة التطور التى مرت بها الفكرة الديمقراطية المجردة خلال القرون المتعاقبة ، والتجارب المتعددة لا تماس إحداها بالأخرى ، وإنما تنسب جميعها إلى ذات الفكرة التى تجمع بينها ، والمدلول اللفظى للديمقراطية هو أنها « حكومة الشعب » إلا أن الأفكار قد تشعبت فى فهم معنى حكومة الشعب ، وإن تجاوزنا عن الفوارق الجزئية وأخذنا فى الاعتبار الخطوط الرئيسية الكبرى وحدها أمكننا رد هذه الشعب إلى اتجاهين رئيسيين : الديمقراطية السياسية ، والديمقراطية الاجتماعية . . . والديمقراطية الإسلامية تراث جليل فى هذين المجالين ، وقد كانت - ولا ريب - أرحب ما يتصور الإنسان ، إذ امتد منذ أمد بعيد إلى شتى صور الديمقراطية التى عرفها الإنسان إلى اليوم .

والحلقة الثالثة من هذه السلسلة بقلم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر وعنوانها ( الإسلام والوجود الدولى للمسلمين ) . ويقول المؤلف : « لقد كان للمسلمين باعتبارهم جماعة ، أحداث هى عناصر قوية فى بناء الوجود الدولى لهم ، وكان شأنهم فى تذكرها شأن كل مجتمع بشرى يتحسس مواضع الضعف فى سيره فيتقيها ، وعوامل القوة فينميها .

كانت الهجرة مبدأ الوجود الدولى للمسلمين الذين لم يكونوا قبلها إلا أفراداً مضطهدين مبعثرين صار لهم بها وحدة ، لها شعارها الخاص . ونظامها الخاص ، وهدفها الخاص ، إن المبادىء متى تركزت وآمنت بها القلوب وامتلأت بها النفوس كانت لدى أصحابها أعز من نفوسهم وأموالهم ومن كل ما يملكون . إن صاحب العقيدة العالمية ، والمبادىء الإنسانية العامة لا يقف بجهوده فى سبيل عقيدته أو مبدئه فى أماكن محدودة ، وإنما يسمو بعقيدته ومبدئه عن التقيد بالجنسيات والأقاليم ، والعالم كله ميدان لعمله ، فإذا ما نبا به مكان تحول إلى غيره حيث يجد التربة الخصبة للإنبات والإثمار » .

وسلسلة الثقافة الإسلامية اعتزمت الصدور مرة فى كل شهر - إلا فى شهرى الصيف - فيكون منها عشر رسائل فى السنة . نرجو الله أن يجعلها سديدة الخطا نافعة للناس .

# الأدب والعلوم

## تاريخ الأمة العربية

### فى جامعاتنا

قرر وزير التربية والتعليم المركزى فى الجمهورية العربية المتحدة إنشاء كرسى فى كل جامعة من جامعاتنا لتاريخ الأمة العربية .

كانوا فى جامعاتنا ينظرون إلى تاريخ الأمة العربية ، وإلى التاريخ الإسلامى . كما ينظرون إلى تاريخ اليابان ، أو تاريخ الأرجنتين ، فيعتبرون أنفسهم غرباء عنه ، وتصدر أحكامهم على أحداثه منظوراً اليها بعيون أعدائه فى بلاد الاستعمار المعاصرة ، أو فى البيئات الشعوبية فى مئات السنين الماضية .

وفى اعتقادنا أن إنشاء كرسى فى جامعات الجمهورية العربية المتحدة لتاريخ الأمة العربية يقصد منه قبل كل شىء تمحيصه وتنقيته مما دس فيه لتشويه أمجاده . ثم العناية بتكوين إيمان علمى فى نفوس رجال الغد بأن ماضيهم العربى والإسلامى هو الأساس الذى يقوم عليه مستقبل قوميتهم . فيجب أن يكون هذا الأساس متينا سالما .

## الاستعمار الثقافى والفكرى

أعلنت حكومة السودان أنها قررت القضاء على الاستعمار الفكرى البريطانى فى السودان وتحرير الثقافة السودانية منه . قال اللواء محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات السودانى والمتحدث الرسمى باسم حكومة السودان : إننا مصممون على تحرير ثقافتنا ولغتنا من الاستعمار الانجليزى . لقد جعلت بريطانيا من نفسها - خلال الاستعمار - أكبر عميل لنا ، وطبعت ثقافتنا بطابع بريطانى بغيض ، حتى أصبح الشباب السودانى يتكلم بالإنجليزية بدلا من العربية ، ويعبر عما يريد بالإنجليزية عند ما يعجز أو يتعثر فى التعبير عنه باللغة العربية ونحن مصممون على تحرير السودان من هذه الرابطة الواهنة ووضع حد لها .

## تعبئة العلم لخدمة الوطن

اجتمع فى يوم ٨ نوفمبر مائة وخمسون عالماً من أبناء الجمهورية العربية المتحدة المتخصصين فى فروع العلم ، ليضعوا تقارير فنية وافية للمشروعات العمرانية الضخمة . عقد الاجتماع

فى مبنى المركز القومى للبحوث فى الدقى برياسة السيد كمال الدين حسين رئيس المجلس الأعلى للعلوم ، وحضر الاجتماع وزير التموين المركزى ووزير الزراعة التنفيذى . وخطب فيهم رئيس المجلس خطبة قال فيها : إن سلسلة الانتصارات التى أحرزها الوطن فى الميادين السياسية والاجتماعية والحربية تلقى على كواهلهم عبئاً آخر هو حمايةهذه الانتصارات ودعمها وجعلها أساساً لانتصارات مستقبلة يأملها الوطن العربى كله . ثم بين لهم المهمة التى ستوكل إليهم ، وفروع العلوم التى يحتاج إليها فى تنفيذ المشروعات العمرانية .

وقد تكونت لجان للعلوم الجيولوجية والتعدين والعلوم والصناعات الكيماوية والهندسية والزراعية والبيولوجية الخ ، وبدأت اللجان عملها عقب الاجتماع مباشرة . وقد وعدهم الرئيس بأن تكون كل الموارد العلمية فى البلاد تحت تصرفهم ، ومن ذلك الإحصائيات والمراجع والبيانات . ولن تقصر الدولة فى إرسال الإخصائيين منهم للمؤتمرات العلمية ، بشرط أن يكون هناك تخطيط لبرنامج على يفيد البلاد من تلك المؤتمرات .

## إنقاذ آثار النوبة من الغرق

قال الأستاذ محرم كمال وكيل مصلحة الآثار : إن المصلحة خصصت فى ميزانية هذا العام ١٠ آلاف جنيه لإجراء الحفائر فى منطقة « قسطل » و « البلانة » و « المحرقة » و « عمدا » ، وسيتضاعف هذا المبلغ فى ميزانية الأعوام القادمة لنتمكن من كسب الوقت وإنقاذ الآثار المصرية من الغرق قبل مشروع السد العالى . وقد سافرت بعثة مشتركة من جامعتى القاهرة والإسكندرية إلى النوبة على الباخرة « سرو » للانتقال بها والإقامة إلى جانب البعثات الأجنبية التى ستساعد فى هذا العمل ، وأولها بعثة جامعة ميلانو التى اختارت منطقة « المحرقة » فلما أغرقها الفيضان تحولت إلى التنقيب فى منطقة « أخنــــدى » وقدمت تقريراً عن حفرياتها وعادت إلى بلادها .

وهناك بعثة ألمانية ستقوم بالحفر فى منطقة « عمدا » برياسة الأستاذ شتوك مدير المعهد الألمانى بالقاهرة . والبعثة البولندية ستقوم بالعمل برياسة الأستاذ ميخالوفسكى الذى قام برحلة استطلاعية . وتدور الحفائر الآن فى منطقة « قسطل » لإنقاذ آثارها المهمة إذ تحتوى على ٦١ كوما أثريا تم حفر ١٨ منها كما حفرت البعثة أكثر من ١٢٠ مقبرة صغيرة ترجع تواريخها إلى العصر العتيق والدولة الحديثة والعصر المروى . وينتظر أن تنتهى البعثة فى منطقة قسطل هذا العام للانتقال إلى منطقة البلانة . وتقوم البواخر بنقل الآثار المستخرجة حتى الحدود ثم تتولى قطارات السكة الحديد نقلها إلى القاهرة .

# أنباء العالم الإسلامي

## ميثاق الضمان العربي

بحثت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مع الممثلين العسكريين للجيوش العربية التعديلات المزمع إدخالها على ( ميثاق الضمان العربي ) . وتجرى اتصالات مهمة مع دول الجامعة الأعضاء لهذا الغرض .

## أرقام

قال جمال عبد الناصر فى خطبته فى المنيا :

كنا نستخدم فى مصر ٤ فى المائة فقط من أرض هذا الوطن ، واليوم قد صممنا على أن نستخدم هنا فى مصر مائة فى المائة من أرض الوطن .

لقد بدأنا فى مشروع السنوات الخمس وهو يتكلف ٢٠٠ مليون جنيه .

لقد كان رأس المال فى الاستثمار الصناعى عام ١٩٥٢ مليونى جنيه . وفى سنة ١٩٥٧ أصبح ٤٤ مليونا . أى تضاعف ٢٢ مرة .

جميع أسواقنا تحفل بالمنتجات التى صنعت محليا ، لا يوجد فى أسواق القاهرة وسائر الأقليم منسوجات أجنبية ، كل البضائع مصنوعة فى بلادنا . وهذا نصر حلو .

قام الاستعمار بضغط اقتصادى علينا . كان عندنا ٦٠ مليون جنيه ذهب احتياطى لم نصرف منه جنيها واحدا ، وانتصرنا فى المعركة ، واستثمرنا فى العام الماضى ٤٤ مليون جنيه فى الصناعة ، و ٤٥ مليونا فى البناء ، و ٣ ملايين فى التجارة .

بدأنا معركة سنة ١٩٥٦ وعندنا ٤ ملايين جنيه من النقد الأجنبى . وكنا نشترى من الخارج بـ ١٨٠ مليون جنيه ، ورغم هذا سرنا ، وبنينا . وأنتجنا ، ووفرنا مالا ، هذه هى لذة الكفاح ولذة الانتصار .

## الانقلاب فى السودان

قام الفريق إبراهيم عبود ـ القائد العام للجيش السودانى ـ بانقلاب عسكرى فجر يوم الاثنين ٦ جمادى الأولى ( ١٧ نوفمبر ) . استولى على الحكم ، وألف مجلسا أعلى للقيادة العسكرية مؤلفا من ١٣ ضابطا برياسته تولى السلطة فى البلاد . أعلن تعطيل الدستور

المؤقت ، وحل الأحزاب السياسية والبرلمان ، أعفى جميع الوزراء من مناصبهم .

أذاع قائد الانقلاب بيانا قال فيه : إن الفوضى والفساد انتشرا فى أجهزة الدولة نتيجة الأزمات السياسية القائمة بين الأحزاب وجريها وراء الحكم إلى أن تدهورت حالة السودان فكاد يتردى إلى هاوية سحيقة .

وقال فى ختام بيانه : إننا سنعمل جاهدين لتحسين العلاقات مع شقيقتنا الجمهورية العربية المتحدة ، وحل المسائل المعلقة ، وإزالة الجفوة المفتعلة التى كانت تسود البلدين الشقيقين .

والفريق إبرهيم عبود ولد فى سنكات يوم الجمعة ٢ رجب ١٣١٨ ( ٢٦ أكتوبر ١٩٠٠ ) وتخرج فى ٢٠ رمضان ١٣٣٦ ( أول يولية ١٩١٨ ) وعين ضابطا مهندسا برتبة ملازم . واشترك فى الحرب العالمية الثانية فى شمال إفريقية وأرتيريا والحبشة . وعين نائبا للقائد العام فى الجيش السودانى عام ١٣٧٤ ( ١٩٥٥ ) برتبة لواء ، وتولى قيادة الجيش فى شوال سنة ١٣٧٥ ( مايو ١٩٥٦ ) ، ورقى إلى رتبة الفريق فى ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٦ ( أول يناير ١٩٥٧ ) ، وقام بجولة فى دول أوربا بعد إعلان استقلال السودان .

وعقب هذا الانقلاب قام القائد بتشكيل وزارة ثورة مؤلفة من ١٢ وزيرا ٧ من ضباط المجلس الأعلى للقوات المسلحة و٥ من المدنيين . وأصدر ثلاثة أوامر دستورية : (١) أن السودان جمهورية ديمقراطية ، السيادة فيها للشعب . (٢) أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة هو السلطة الدستورية العليا فى السودان. (٣) أن المجلس الأعلى يعطى رئيسه جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية وقيادة القوات المسلحة .

وكان الفريق إبراهيم عبود قد حدد — فى اليوم الأول للثورة — إقامة وزراء حكومة عبد الله خليل السابقة والزعماء السياسيين ، ومنع الصحف كلها من الصدور . وفى اليوم التالى أمر بالإفراج عن الوزاراء والزعماء ، وأباح صدور الصحف ، واستأنفت وكالات الأنباء برقياتها من الخرطوم .

ومما يذكر أن الفريق إبراهيم عبود ورجال النظام الجديد فى السودان أقسموا يمين الإخلاص للأمة وللوطن أمام مفتى السودان .

وعقب قيام النظام الجديد فى السودان بعث الرئيس جمال عبد الناصر برسالة شفوية إلى الفريق إبراهيم عبود ، فقام سفير الجمهورية العربية المتحدة فى الخرطوم بإبلاغها إلى الفريق إبراهيم عبود ، وفيها إعلان أن الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لتنمية العلاقات وتوثيق

الروابط بين البلدين حكومة وشعبا . وقد أجاب الفريق إبراهيم عبود على ذلك بشكر الرئيس جمال عبد الناصر على رسالته الرقيقة، وشكره للجمهورية العربية المتحدة فى شخص سيادته لأنها أول دولة اعترفت بالنظام الجديد للجمهورية السودانية .

ومما قرر المجلس الأعلى للقوات المسلحة السودانية إلغاء ألقاب الباشوية والبكوية وأفندى من الجيش السودانى .

وقرر كذلك تغيير اسم شارع غوردون باسم ( شارع الجامعة ) وشارع كتشنر باسم ( شارع النيل ) كما قرر إزالة تمثال غوردون وكتشنر ، وترك للانجليز الخيار بين أن يتسلموا التمثالين وينقلوهما إلى بلادهم ، أو أن تحفظهما حكومة السودان فى أحد متاحفها . والظاهر أن الانجليز يرغبون فى تسلمهما وشحنهما إلى انجلترا .

## جامعة الخرطوم

### تنفصل عن جامعة لندن

أعلنت جامعة الخرطوم استقلالها عن جامعة لندن . تم تنصيب الفريق ابراهيم عبود رئيسا فخريا للجامعة . أشاد الأستاذ سيد ناصر الحاج على - أول رئيس سودانى لجامعة الخرطوم - بأساتذة الجمهورية العربية المتحدة وقال : إن الجامعة تعتمد عليهم فى وثباتها . أستقبل الجمهور اسم الجمهورية العربية بالتصفيق الحار : نال السيد ابراهيم عبدالله من الخريجين جائزة الجمهورية العربية المتحدة فى الزراعة عن هذا العام . وقد ندب الدكتور سعدالدين فوزى نائب مدير جامعة الخرطوم للسفر إلى القاهرة لاختيار ١٧ أستاذا مصريا يعملون فى جامعة السودان .

## العراق يعمل

قرر مجلس الوزراء العراقى اعتبار المعاملات الاقتصادية بين العراق وفرنسا فى حكم المقطوعة ، وأصدر أمراً إلى جميع الدوائر والمؤسسات بالامتناع عن إقامة أية علاقات اقتصادية مع المؤسسات أو الشركات الفرنسية وعن استيراد أية مادة من فرنسا أو الاتفاق على استيرادها أو الارتباط بذلك .

وطلبت الحكومة العراقية من الحكومة البريطانية إغلاق قنصلياتها فى جميع أنحاء العراق عدا بغداد والبصرة ، وقال راديو لندن : إن العراق تقدمت بمذكرات إلى بريطانيا وأمريكا وتركيا لإغلاق قنصلياتها فى كركوك والموصل .

وأعلن وزير الاقتصاد العراقى انتهاء امتياز شركة نفط خانقين ابتداء من يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٨ ، وتقوم الحكومة بتسلم حقول البترول المشمولة بهذا الامتياز ، وكان سيمتد إلى سنة ١٩٩٦ لو لم تنهه الحكومة العراقية . ورأس مال هذه الشركة بريطانى ، وأصحابها من كبار الماليين البريطانيين .

## إنذار إلى إسرائيل

من العراق

وجه العراق إلى إسرائيل إنذارا جاء فيه : إن إسرائيل إنما تحكم على نفسها بالموت ، وتحفر قبرها بأيديها ، إن هى هاجمت أية دولة عربية .

وقد جاء هذا الإنذار فى إذاعة لراديو بغداد الحكومى ، وتضمن اتهاما للاستعماريين بقيادة الولايات المتحدة بأنهم يسلحون إسرائيل متذرعين بزعم كاذب هو المحافظة على ميزان القوى بين العرب وإسرائيل . وأضاف قائلا : إن الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية الشقيقتين تقفان الآن على أهبة الاستعداد . والعراق مستعد تماما ، وهو يدرك تمام الإدراك أن سلامة الجمهورية العربية المتحدة تعنى سلامة العراق نفسه ، والعراقيون يقفون صفاً واحداً ضد أى عدوان إسرائيلى على الجمهوريه العربية المتحدة أو أية دولة عربية أخرى . وإن الوحدة بين أبناء العراق من عرب وأكراد هى خير ضمان للنصر .

## مياه العراق الإقليمية

تعتزم جمهورية العراق إنشاء ميناء جديد على الخليج العربى جنوبى البصرة يتكلف ١٥ مليون جنيه ، لتواجه به الزيادة فى إنتاج البترول وتصديره من ٣٥ مليون طن إلى ٥٧ مليونا بعد ثلاث سنين . وعملا بالعرف الدولى الذى أخذت به دول كثيرة أعلنت العراق أن مياهها الإقليمية تمتد ١٢ ميلا أى نحو ٢٠ كيلو متراً . ولكن إيران - كعادتها فى الشغب والثرثرة فيما يتعلق بشئون الخليج العربى - أخذت تعارض العراق وتحاول الوقوف فى طريق إنشاء الميناء الجديد ، وتناقش فى حق العراق فى مياهه الإقليمية ومدها إلى ١٢ ميلا .

وكانت الأمم المتحدة قد قامت بجهود فى سبيل إقرار قاعدة قانونية فيما يتعلق بالمياه الإقليمية ، فأشارت لجنة القانون الدولى التابعة لها فى يولية سنة ١٩٥٥ إلى عدم وجود قاعدة ثابتة فى هذا الموضوع إلا أن القانون الدولى لا يرى أن تزيد المياه الإقليمية عن اثنى عشر ميلا بحريا ، وهذا ما قررته العراق وتراه

من حقها وبه حماية مصالحها العمرانيـة ، ومعارضة ذلك تنافى تقدم العمران وتمتع الأمم بحقوقها الحيوية .

## الخليج العربى

قررت حكومة الجمهورية العراقية حجز جميع الرسائل البريدية الصادرة من العراق والواردة إليه إذا كانت معنونة بكلمة ( الخليج الفارسى ) بدلا من ( الخليج العربى ) ، وذلك تمهيداً لإعدام تلك الرسائل فيما بعد .

وقد انعقد الاجتماع فى جميع أنحاء الوطن العربى الأكبر على تصحيح هذا الخطأ الجغرافى الذى روج له الاستعمار فى المائة السنة الماضية وسيوضع حد له بعد الآن فيزول استعماله إلى الأبد .

## القوات الأجنبية بالمغرب

لمناسبة الاحتفال بعيد الجلوس الحادى والثلاثين لملك المغرب ألقى الملك كلمة طالب فيها بسحب جميع القوات الأجنبية من بلاده وقال : إن جلاء هذه القوات هو الهدف الرئيسى لسياسة المغرب ، وأن ما تم من انسحاب بعضها لا يعتبر كافيا . كما طالب بإعادة المناطق المنتزعه من المغرب ، وأكد تمسك بلاده بارتباطاتها مع الجامعة العربية .

وقد استقبلت وزارة الخارجية الأمريكية بالاستياء الشديد خطاب الملك محمد الخامس ، وقال مسئول فى الوزارة : إن الحد الأدنى للمدة التى يمكن أن تجلو خلالها القوات الأمريكية عن القواعد الجوية فى المغرب هو خمس سنوات .

وعادت حكومة المغرب فكررت فى أواخر نوفمبر المطالبة ـ بلسان سفيرها فى واشنطن ـ بضرورة جلاء القوات الأجنبية عن أراضى المغرب ، وإغلاق القواعد الأمريكية فيها بدون أية شروط ، وقال السفير المغربى فى برنامج تليفزيونى محلى : إن وجود القوات الأجنبية فى المغرب ، فرنسية كانت أو إسبانية أو أمريكية ، يتنافى مع معنى الاستقلال .

## سياسة بريطانية
### فى الشرق الأوسط

نشرت صحيفة ( سبكتاتور ) الانجليزية يوم ٦ نوفمبر مقالا بقلم روى جنكيز النائب فى مجلس العموم البريطانى قال فيه : إن سياسة إقامة الحكومات الموالية للغرب فى الشرق الأوسط ، ومحاولة إقامة كتلة من الدول العربية ضد كتلة أخرى ، كانت حتى يوليو الماضى ـ أى إلى قيام ثورة العراق ـ توصف بالقصور . أما بعد ذلك فلا بد أن توصف بالخلط والجنون .

# الفهرس



## تفسير الألوسي

سئلت لجنة الفتوى بالأزهر عن حكم اقتناء كتاب روح المعاني للعلامة الألوسي في التفسير :

فأجابت بفتواها المسجلة تحت رقم ٣١٠٣ :

« بأن تفسير العلامة الألوسي من التفاسير المعتمدة التي لا يصح أن يقوم بين الناس جدل حول اقتنائها وقراءتها والاستفادة منها . والله أعلم » .

مدير الإدارة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

| مليم | |
|---|---|
| ٤٠٠ | في وادي النيل |
| ٢٠٠ | للطلبة وادي النيل |
| ٣٠٠ | للعلماء والمدرسين بالوادي |
| ٥٠٠ | خارج الوادي |
| ٣٠٠ | للطلبة خارج الوادي |
| ٤٠٠ | للعلماء والمدرسين خارج الوادي |

الجزء السابع - القاهرة : رجب سنة ١٣٧٨ - يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٥٩ - المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

لمناسبة أسبوع العيد الرابع للعلم :

## سفينة التعليم تغير اتجاهها



العلم سلاح . . .

والأصل في السلاح أن يعد للدفاع عن النفس ، وأن يستعمل في حماية المقدسات والنفائس.

ومن السلاح ما يتخذ للزينة ، وقد لا تكون معه ذخيرة ، فيبقى معطلا عن الاستعمال عند الحاجة إلى استعماله .

ومن النـاس من يستعمل السلاح في الانتحار ، أو في قتل أولاده أو والديه أو من أحد [illegible] إليه [illegible] أخبار الجرائم من الصحف اليومية أمثلة متواصلة لهذا النوع من استعمال الناس للسلاح .

وهكذا الثقافة والتعليم : منهما ما هو بمنزلة الدواء الشافي ، ومنهما ما هو مضيعة للوقت . وقد يكون في بعض أنواعهما السم الزعاف .

لهذا كان الهادي الأعظم - صلوات الله وسلامه عليه - يستعيذ بالله من علم لا ينفع ...

وإذا كان العلم الذي لا ينفع مما يستعاذ بالله منه . فما بالك بالعلم الذي ابتكرته الشياطين ، لتواصل به كيدها لبني آدم وبنات حواء !

والاستعمار من دأبه ، إذا احتل وطناً من أوطان الناس ، أن يجعل ثمرة التعليم والتثقيف في مصلحته هو ، ولتحقيق أغراضه السياسية والمذهبية ، لا لمصلحة البلد المحتل ، ولا لخير المتعلمين من بنيه .

ومن بدائع حكيم مسلمي القارة الهندية محمد إقبال ـ رحمه الله ـ أبيات من الشعر يتهكم بها على فرعون موسى ، ويعيب عليه تفكيره في إبادة بني إسرائيل بقتل مواليدهم عقب ولادتهم ويقول له : هلا اهتديت بهدى الاستعمار في عصرنا ، إذ سن لنا في مدارسنا مناهج ثقافية يحول بها أبناءنا عن طريقنا إلى طريقه ، وعن مواصلة العمل بسننا وسجايانا إلى الإيمان بسننه وسجاياه ، والعمل بهما حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ، حتى لو دخل الاستعمار جحر ضب لدخلوه من ورائه .

إن هذا الأسلوب الغربي في القتل والإبادة ، أنجح من أسلوب فرعون موسى في قتل مواليد بني إسرائيل . . .

لذلك كان مما ينبغي لأحرار كل وطن يسر الله لأهله سبيل الخلاص من أسر الاستعمار ، أن يعيدوا النظر في أنظمة التعليم التي كان قد فرضها عليهم ، والأهداف الثقافية التي كان يوجههم إليها ، لأنها مظنة أن تكون في مصلحته لا في مصلحتهم ، ولعله كان يعتمد عليها وهو يزمع فراقهم ، مطمئنا إلى أنها ستكون خليفته فيهم ، وأن المتخرجين بها والمؤمنين بمناهجها ونتائجها سيواصلون العمل على الأساس الذي تركه لهم ، فان فقدوا الإمام الذي تعودوا الائتمام به ، فإن يعودوا إلى ما قطع الاستعمار صلتهم به من خططهم الأصيلة ، وسيستمرون دائرين في فلكه الذي رسمه لهم في عشرات السنين من عهد إشرافه عليهم .

إن البلاء الذي خلفه الاستعمار في مدارسنا ومعاهدنا بعد فراقه لنا إلى غير رجعة ، كان بلاء ذا ثلاث شعب :

ففي التربية حصر نشاطنا في التربية البدنية ، وحال بيننا وبين التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية الإسلامية .

وفى الثقافة كان الاتجاه فى مدارسنا إلى ثقافة الغرب ، وإلى الأنس بأنظمته وأوضاعه وآدابه ، وإلى التعرف بعظمائه فى الحرب والسياسة والعلوم والآداب ، حتى لقد رأينا فى المتعلمين والجامعيين من يذكر للاحتلال البريطانى حسنات فى الرى والإدارة والعمران والحياة الاجتماعية ، وإذا سئل عن أثر الإسلام فى مصر لم يحر جوابا ، بل لعله لا يعرف عن عمرو بن العاص - رائد الإسلام الأول فى مصر - إلا أكذوبة التحكيم بالأسلوب الذى روجه الشعوبيون فى مئات السنين الماضية ، ولعلنا لا نزال نلقنه لأبنائنا فى مدارسنا إلى اليوم !

وثالثة الأثافى الاقتصار فى العلوم الكونية على النظريات ، بل على أن تكون الوظائف هى مطمح أنظار الذين يتعلمون هذه العلوم ، فلا يخطر ببالهم أن تكون لهم - مع علماء الأمم الأخرى - مساهمة فى البحوث العلمية التى يكون لها أثر فى التقدم العمرانى ، ولا أن يكون لهم نشاط فى تطبيق نظريات هذه العلوم على الطبيعة : من تعدين ، وتحليل ، واستنباط ، وتفنن فى الصناعة والاستثمار .

وكان ينبغى للطلبة المسلمين - على الخصوص - وهم يدرسون العلوم الكونية ، أن تكون دراستهم لها بدافع من هداية القرآن فى التعرف إلى سرائر الله فى الخلق ، والتأمل فى عظيم آياته وعجيب بدائعه فى الكون ، فيزدادوا بها إيمانا إلى إيمانهم . لكن الأسلوب الاستعمارى فى تلقين هذه العلوم كان يصرفهم عن الوجهة الإسلامية فى النظر إلى الكون وسرائره . وكم وكم من شبابنا المتوقدين ذكاء جرهم أسلوب التعليم الاستعمارى للعلوم الكونية إلى الإلحاد والجحود ، ودفعهم فى هوة الحرمان من سعادة الإيمان ، فانتصبوا - بعد تخرجهم - دعاة لهذه المحنة العقلية والشقاء الفكرى فى مدارسنا كلها ولا سيما فى الجامعات ، فلا هم أفادوا من دراسة هذه العلوم ثمرة عملية للوطن كما يفعل أمثالهم فى البلاد الأخرى ، ولا هم كفوا أذاهم عن تلاميذهم - أمل المستقبل - بعد أن تولوا التدريس ، فلم يتخذوا منه ذريعة لبث ما أصيبوا به من سموم الإلحاد .

والآن فإن علامات طيبة تبدو من جانب دفة القيادة ، مبشرة بأن اتجاه سفينة التعليم يوشك أن يتغير .

قد شعرنا بأن البلاد شبعت - إلى حد التخمة - من ضروب التعليم العقيم الذى لا ثمرة له ، كالفلسفة والدراسات النظرية والفروض الظنية ، لا سيما المجلوبة إلينا من الخارج . فلم نعد فى حاجة إلى مواصلة الإرساليات إلى جامعات الغرب للاستزادة من خريجى هذه الدراسات ،

وسنستعيض عن ذلك برجال التخصص فيما نستعين به على توسيع إنتاجنا القومى ، ومشروعاتنا العمرانية ، ونهضتنا الصناعية والزراعية .

ستكون العناية موجهة بعد الآن إلى التعليم الذى له ثمرة فى ميادين العمل ، وسيبذل المزيد من العناية فى الإكثار من المدارس والمعاهد الصناعية والزراعية ، وستقوم الجمهورية العربية المتحدة بتعبئة العلم لخدمة الوطن وحمايته وتثبيت انتصاراته القومية فى مختلف اتجاهاتها العمرانية ، ولذلك أعيد تأليف المجلس الأعلى للعلوم بمستوى عال ، ورصد المركز القومى للبحوث عشرات الألوف من الجنيهات لتوزع على طلبة البحوث العلمية فيستعينوا بها على استيفاء بحوثهم وتقديم نتائجها ، وتكونت لجان للعلوم الجيولوجية والتعدين وللعلوم والصناعات الكيماوية والهندسية والزراعية والبيولوجية ، وخصصت وزارة التعليم منحا مالية للمتفوقين فى جميع مراحل التعليم . وفى أسبوع العيد الرابع للعلم الذى احتفلنا به فى هذا الشهر ظهرت لنا ـ بوضوح أكثر ـ آثار هذا الاتجاه الجديد إلى العلم العملى المثمر ، ففتحت أبواب المعارض والمتاحف العلمية والفنية ، ووزعت جوائز الدولة لثلاثة من العلماء ألف أحدهم فى « البنيان التعاونى » ، وقام الثانى ببحوث فى « البترول والتركيب الجيولوجى للإقليم المصرى » كما قام الثالث ببحوث فى « تكنولوجيا الزجاج » . ووزعت جوائز ومداليات لنحو ١٨٠ من أوائل الطلبة فى الشهادات والمسابقات العامة ، وألقى الوزير السيد كمال الدين حسين خطبة تدل على اتجاه سفينة التعليم فقال :

« إننا نتحدث اليوم إلى الملايين الخمسين الذين سيتعلم أبناؤهم على ( منهج الوحدة العربية ) من شمال إفريقية الى الخليج العربى ، بل التسعين مليونا من العرب فى الوطن العربى الكبير الذين آمنوا بالعلم ، وسيبنون المستقبل لبلادهم . وإننا إذ نحتفل اليوم بالمتفوقين إنما ننظر إلى غدهم أكثر مما ننظر إلى ماضيهم ، لأنهم قادة المستقبل الذين سيخطون للأمة العربية تاريخ غدها » .

إذن نحن أمام تخطيط جديد لتعليم أبناء خمسين مليون عربى على ( منهج الوحدة العربية ) وقد تبين لنا من عناصر التخطيط الجديد لهذا التعليم أنه يتوخى من العلوم الكونية ـ وهى العلوم العالمية ـ ما يكون له أثر عملى فى نهضتنا القومية ، وصناعاتنا الناشئة ، والإفادة من هبات الله لنا فى تربتنا ومياهنا ومناجمنا وكنوز أوطاننا . ومن الإحسان إلى القومية العربية وأوطانها ، وإلى أبنائها وهم فى مراحل التعليم ، أن يعنى المدرسون والأساتذة بتثبيت

عقيدتهم بالله ، ولفت أنظارهم إلى آياته سبحانه فى خلقه ، وبدائع حكمته فى الجليل والدقيق من سرائر الكون ، فالإيمان قوة وعزيمة وأمل ، والجحود ضعف وقنوط وشلل ، والأمة التى تريد أن تستقبل مصيرا قويا يجب أن تتجهز بجميع أسلحة القوة وأولها الإيمان ، والمدرس الذى يعمل على تشكيك تلاميذه فى إيمانهم أضر على الأمة ومستقبلها من المدرس المصاب بالسل إذا كان حريصا على نقل عدواه إلى رجال الغد الذين سيقومون ببناء المستقبل. وينبغى لوزارة التربية والتعليم أن تعنى بمراقبة هذا النوع من جراثيم الضعف التى يتعرض لها التلاميذ من بعض أساتذتهم ، كما تعنى بالكشف الصحى على موظفيها والعاملين فى معسكرها العظيم . إن الذى يبث الإلحاد فى هذا المعسكر يجب أن يطرد منه طرداً ، فلا يباح له الاتصال برجال المستقبل إلا إذا أبيح هذا الاتصال بهم للمصاب بالجذام أو السل .

وهنالك الثقافة وعلومها . وهى شىء آخر غير العلوم الكونية من طبيعية ورياضية .. الثقافة شىء ، والعلوم شىء آخر. الثقافة فى كل أمة ثقافة قومية ، وأما العلوم فعالمية . العلوم تتعاون على تقدمها جميع أمم الأرض من أقدم العصور إلى الآن ، فهى ليست تراثا لأمة دون أمة ، فكما ساهم فيها اليونان فى العصور القديمة ساهمت فيها الصين والهند ومصر والعراق من قبلهم ، وساهم فيها العرب قبل أن يكون لأوربا وأمريكا يد فيها . عمل أسلافنا فى الجبر وغيره من العلوم الرياضية ، وفى الكيمياء ، وعلوم المعادن والطب ، وما من أمة إلا عملت — قليلا أو كثيرا — فى هذه العلوم ، قديما وحديثا ، لذلك كانت علوما عالمية تشترك الأمم كلها فى تكوينها وتقدمها والإفادة منها . أما الثقافة فشىء آخر بالمرة ، لكل أمة ثقافتها ، ولنا نحن العرب ثقافتنا ، وكما وقع الاحتلال من المستعمرين على أوطاننا وانتزعناها ولا نزال ننتزعها منهم ، وقع كذلك التشويه فى ثقافتنا ، ولا سيما فى تاريخنا ، من الشعوبيين والشانئين للعرب فى القديم والحديث . وكما عملنا ولا نزال نعمل على إنقاذ أوطاننا وتطهيرها من الاستعمار ، ينبغى لنا كذلك أن نتطوع ونجاهد لتهذيب ثقافتنا وتنظيمها وإبراز محاسنها و... عرضها على الناس ، وعلى أبنائنا الطلبة بوجه خاص . وأعظم مظاهر ثقافتنا مفاخر تاريخنا ، فقد كانت ولا تزال معرضة لكثير من التشويه والتحريف . ويوم كان التعليم فى معاهدنا منحرفا عن طريقه السليم بتوجيه الاستعمار ، كان تاريخنا أكثر انحرافا وأقبح تشويها . وكما أخذنا الآن فى تصحيح (منهج الوحدة العربية) فى العلوم لتكون منتجة ونافعة ، ينبغى لنا — أكثر من ذلك — أن نبادر إلى تصحيح هذا المنهج فى الثقافة العربية ، ولا سيما

فى التاريخ العربى ، ومن حسن الحظ أنه ليس لأمة تاريخ كتاريخنا حفظت لنا الأجيال مواد بنائه من جديد ، وليس لأمة من الأمم تاريخ تأخر القيام بتجديد بنائه كما تأخرنا نحن فى تجديد بناء تاريخنا . يقال إن هنالك مساعى لتأليف دائرة معارف عربية ، وأنا أقول من الآن : إن من العيب أن تدخل أخطاء تاريخنا وتشويهات الشعوبيين له فى أى مادة من مواد هذه الدائرة إن تم تأليفها وصدرت .

قلت : إن البلاء الذى خافه الاستعمار فى مدارسنا ومعاهدنا بعد فراقه لنا إلى غير رجعة كان بلاء ذا ثلاث شعب ، وقد تحدثت حتى الآن عن شعبتين منها وهما العلوم العالمية ، والثقافة القومية . وبقيت الشعبة الثالثة وهى « التربية » ، وقد كنت صادقاً فى أن معاهد التعليم عندنا لا تعنى من التربية إلا بالتربية البدنية ، أما التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية الإسلامية فهى أشياء غريبة ويتيمة فى معاهد التعليم ، كما هى غريبة ويتيمة فى خارج تلك المعاهد .

دخل مفتش من مفتشى المعارف مدرسة للبنات فى منطقة اللاذقية من الاقليم الشمالى قبل اتحاده بالجمهورية العربية ، وبعد أن قام بالتفتيش لاحظ أن المدرسة لا يوجد فيها مصلى ، فاعتذرت ناظرة المدرسة بضيق مساحة المدرسة وقالت للمفتش : إننا لم نجد غرفة نضع فيها البيانو ، فاعذرنا إذا لم نجد غرفة نتخذها مصلى !

هذه هى العقلية التى كانت سائدة فى محيط التعليم ، البيانو أولى أن يتوفر له المكان من المصلى .

هذه الحال نتيجة توجيه استعمارى ، فعلى عهد التحرير أن يرسم الخطط بمقياس واسع للانتقال إلى البيئة اللائقة بأمة عربية مسلمة . والتربية بأنواعها عماد العهد الاستقلالى ، ولن يتجاوب الجيل الآتى مع ثورة التحرير إن لم نتداركه بالتربية : التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية الإسلامية ، والتربية البدنية . كل هذا من الضروريات لتحقيق التجاوب بين الثورة التى تريد أن تقيم للعرب دولة عظمى إلى جانب الدول العظمى ، وبين أمة العرب التى لن تقوم دولتها العظمى على أكتافها إلا بالأخلاق ، والاخلاق لا تتدلى من السماء بقفة من غير عناية بالتربية ، والتربية تصنع فى المدرسة والمعهد ، والمدرسة والمعهد إذا لم يصنعا التربية مع التعليم يكونان غريبين عن وزارة التربية والتعليم .

محب الدين الخطيب

# نفحات القرآن

## — ٦٦ —

## الدعوة الدينية موجهة إلى الإنس والجن

### فكيف يتهرب منها أناس ؟ ؟

> ا ـ ويوم يحشرهم جميعاً : يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس !!
> ب ـ وقال أولياؤهم من الإنس : ربنا استمتع بعضنا ببعض ، وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ،
> حـ ـ قال : النار مثواكم ، خالدين فيها ، إلا ما شاء الله ، إن ربك حكيم عليم .

زعم البعض أن الجن غير مكلفين ؛ لأن الدعوة قاصرة على الإنس ، فالجن لا يثابون على طاعة ، ولا يعذبون على معصية ، فهم عند أولئك الزاعمين مهملون فى الدنيا وفى الآخرة .. وهذا من جزاف القول الذى يطرح على الأسماع دون أن يؤازره دليل ، أو يناصره وجه من الصواب .

ا ـ ونظرة فى الآيات التى سقناها تدل فى وضوح على مافى ذلك الزعم من خبط وخطأ ، وعلى ما يقترن به من غفلة عن آيات الله فى كتابه .

فالله تعالى يأمر نبيه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يتذكر ، ويذكر يوم الحشر للخلق جميعا وأن الله ـ سبحانه ـ ينادى معشر الجن ـ جماعتهم ، ويذكرهم فى تعنيف وقسوة بأنهم أسرفوا فى إغوائهم للكثير من الناس ، وأنهم يلجمون ، ويأخذهم العجز عن الجواب ، إذ يكون موقفهم موقف الحسرة والخجل ، وموقف الباطل المهزوم أمام الحق المنتصر ، وموقف المهانة والضعف أمام العزة والكبرياء ، وموقف اليقظة بعد الغفلة وقد ضاعت الفرصة فلا رجاء ولا مهرب .

ب ـ وهنا يلهج الأتباع الغواة من الإنس : فى ذلة وضراعة ، فيعترفون اعتراف المأخوذ بذنبه ، ويقولون قولة الحق على أنفسهم : « ربنا استمتع بعضنا ببعض ، وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا » يعنى أن الجن استمتعوا بالسيطرة على الغواة ، وزخرفوا لهم الباطل ، وقادوهم

إلى المفاسد . . وأن هؤلاء العصاة استمتعوا بالجن ، فاستجابوا لوساوسهم ، واستمرءوا الشهوات ، وتابعوهم فى سبيل الغواية إلى نهايتها ، حتى انتهت بهم الحياة إلى العاقبة التى استهانوا بها ووقفوا بين يدى الله فى وعى يقظ .

وحيث كان ذلك معروفا من قبل ، وكانت دعوة الرسل واضحة ، وحاثة على التنبه لما وراء الدنيا من عذاب أليم ، أو نعيم مقيم ، فليس الموقف الآن موقف استعتاب ، وإنما هو قول فصل ، وما هو بالهزل ، وهو جزاء يقنعهم بصدق ما سمعوا من النذر ، ويبصرهم بالعدل الذى تجاهلوه فى معاملة الله للمحسنين والمسيئين من عباده ، ويؤكد لهم قول ربهم « كل امرئ بما كسب رهين » ، « وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم » .

حـ ـ والجواب الحاسم الذى يسمعونه من جانب الله تعالى ـ بعد هذا اللوم وهذه الاستكانة ـ « النار مثواكم . . خالدين فيها . . إلا ماشاء الله .. إن ربك حكيم عليم » .

وهنا ينقطع الاستعطاف ، ويستقر الأمر على ما قضى الله من تخليد هؤلاء الأتباع مع متبوعيهم فى النار ، كما عاشوا على ولاء فى الجحود والعصيان .

وذكر المشيئة فى هذا السياق للإشعار بأن الأمر كله لله بدءا ، ونهاية . وأنه وحده يعلم مدى خلودهم فى العذاب ، ويقال إن الوقت المستثنى بالمشيئة هو الوقت السابق على دخولهم جهنم ، يعنى من حين المحاسبة فى الموقف . . ويرى بعض العلماء أن الاستثناء بالمشيئة يدل على أن للخلود نهاية ، ثم تفنى النار بكل ما فيها ، وهذا غير مرضى عند الجمهور .

ومما تقدم يتبين أن توجيه النداء إلى الجن ، وتوبيخهم على ما فعلوا بالناس من غواية ينقض زعم الزاعمين أن الجن غير مخاطبين بالدعوة الدينية ، وأنهم همل فى دنياهم وأخراهم ، فهم يفسدون ولا يحاسبون .

مع أن تخصيصهم بهذا النداء السالف يؤكد مسئوليتهم أكثر من غيرهم ؛ لأنهم هم الفاتنون لسواهم .

ثم يأتى نداء ثان يجمع بين الفريقين فى التعنيف واللائمة « يا معشر الجن والإنس !! ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ » .

وهذا تقرير ، وتوبيخ ، تناول الجن قبل الإنس ، لأنهم كما قررنا مصدر الفتنة ، وهو نداء يسجل أن الرسل كانوا يبعثون إليهم جميعا ، وأن الرسل كانوا من هذا المجموع : لا من جنس ثالث مغاير لهم ، ولئن كان الرسل فى واقع الأمر من الإنس ، فقد كان للجن من يسمع

ويبلغ سواه ، وبهذا تكون الدعوة واصلة إلى الجميع « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه ، قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا ! ! إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ، مصدقا لما بين يديه ، يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم ، يا قومنا ! ! أجيبوا داعى الله ، وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض ، وليس له من دونه أولياء ، أولئك فى ضلال مبين » .

وليست بنا حاجة بعد هذه الإلمامة الواضحة وبعد تلك الآيات البينات إلى المزيد من القول فى بيان عموم الدعوة الدينية للثقلين من الجن والإنس ، فالجميع أمة دعوة والمؤمنون منهم هم أمة الإجابة ، وهذا أمر مفروغ منه فى جانب محمد بن عبدالله ، صلوات الله عليه وسلامه ، وإذا كان حديثنا فى هذا الصدد غير جديد فهو تصحيح للعقيدة ، وتذكير بالحذر من الشياطين وبوجوب البعد عن إخوان السوء ، فإنهم شياطين الإنس ، وأنت ترى غالبا فى كل مجتمع ، وفى كل بيئة من يمثل الشيطان فى مسلكه ، وسيرته ، ومعاملاته بالكذب ، والتدليس ، والمراوغة ، والرشوة ، والخيانة .

وترى لهؤلاء رءوسا مشرئبة نحو الفسوق ، ووجوهاً تبتسم لاستقبال الرذيلة ، وتسمع لهم نغمات جريئة فى التوجيه إلى الانحراف .

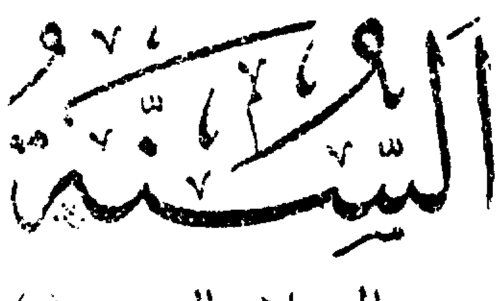
وكانت الرذيلة من قبل خانسة ، فتجهمت بيننا بتبجح المارقين .

وكانت الوجوه تتوارى حياء من النقيصة ، فأصبحت الوجوه غير كالحة ولا تخجل من سوء ، ولا تخزى من معرة .

حتى كثر فينا الوضعاء الذين لا يستريحون إلى نصح ، ولا يرضون بالبقاء على شيء من الأدب ، ولا يرون غير مسالك الدناءة ، وكأنهم يعافون أن يقال عنهم قول كريم ، أفليس هؤلاء من المستمتعين بالجن ، وأنهم سيواجهون بالموقف الذى تحدثنا عنه فى ضوء ما سلف من الآيات ؟ ؟ .

اللهم اهدنا واهدهم ، وأصلح لنا ولهم ديننا ودنيانا ، فأنت اللطيف بعبادك ؟

عبد اللطيف محمد السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



## عود إلى علاج العين (*)

عناية المحدثين بالأمانة - الداء والدواء من قدر الله - من الهدى النبوى فى عيادة المرضى - من عجائب الطب النبوى - مكان الطب فى الشريعة العامة الخالدة .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو أمر - أن يُسْتَرْقَى من العين . وعن أم سَلَمَة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى بيتها جاريةً فى وجهها سَفْعَةً ، فقال : استرقوا لها . فإن بها النظرة .

رواهما الشيخان ، واللفظ للبخارى

هذان حديثان جليلان ، من أصح الأحاديث الكثيرة ، التى كادت تكون متواترة ، فى شأن الإصابة بالعين والرقية منها . . . . وحسبك من درجات صحتها أن يتفق على روايتها الإمامان العظيمان : البخارى ومسلم ، وكفى بكل منهما حجة . . .

و - أو - فى الحديث الأول ، لشك الراوى : هل قالت أم المؤمنين رضى الله عنها : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإضافة الأمر إليها ، أو قالت : أمر . . من غير إضافة ؟ وهذا الشك - كما قلنا - فى مناسبات شتى ، من أعظم الأدلة : وأقواها على تحرى الرواة ، وبلوغهم فى ضبط الأحاديث والحرص على ألفاظها . فضلا عن معانيها ، مبلغ الذين ائتمنهم الله على دينه ، فأقاموا الدين لله خالصا ، وأدوا أمانة الله كاملة غير منقوصة .

---

(*) إجابة لرغبة مشكورة من قراء أفاضل ، لاحظوا إجمالا شديداً فى شرح الحديث الأسبق ، ولا سيما فى علاج العين . . . ومن أجل تلك الرغبة أجلنا الحديث فى « عمل المرء لغيره » للجزء القادم إن شاء الله .

على أن فى رواية أخرى من روايات الحديث « أمرنى » من غير شك ، وفى ثالثة « كان يأمرنى » ، وفى حديث أم سلمة رضى الله عنها أمر نبوى صريح بالرقية من السفعة التى أصابت الجارية فى وجهها ، والسفعة - بفتح الفاء وقد تضم - بقعة ذات لون يخالف لون الوجه ، أصابتها بنظرة شريرة من عين إنسى أو جنى ، ولعيون الجنة ، نظرات أنفذ من الأسنة .

* * *

وكما أن العين حق ، والإصابة بها ثابتة بقدر الله تعالى ومشيئته ، وأنها من الأسباب العادية التى يربط الله بها مسبباتها ، فكذلك الرقية منها حق ، وهى من قدر الله وإرادته ، فهما من الداء والدواء ، وما أنزل الله داء ، إلا أنزل له شفاء ، فإذا أصاب الدواء موضع الداء برأ بإذن الله ، وفى المسند والسنن عن أبى خزامة قال : قلت يا رسول الله ، أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال : هى من قدر الله[1] .

* * *

وأقل ما يقتضيه الأمر بالرقية أنها مشروعة مرخص فيها ، بل مستحبة مندوب إليها ، فى كل إصابة وشكوى ، ولا سيما العين واللدغة من ذوات السموم كلها . وفى صحيح مسلم عن عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت ؟ ! قال نعم : فقال جبريل عليه السلام : باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أرقيك .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ، ويسأله عن حاله ، ويضع يده على جبهته ، وربما وضعها على ثدييه ، وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه ، وكان إذا أتى مريضا أو أتى به إليه قال : اذهب الباس رب الناس ، اشف وأنت الشافى ، لاشفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما .

---

(١) السنن هنا هى سنن الترمذى كما فى تعليقات الأخوين الفاضلين : الأستاذين عبد الغنى عبد الخالق ، ومحمود فرج العقدة ، فى تعليقاتهما على «الطب النبوى» الذى طبع وحده أخيرا .

لا جرم أن الرقى بآيات الله تعالى وذكره وأسمائه ، وأن الفزع إليه فيما وقع وما يتوقع من القربات إليه والتحصن به .

* * *

وأما ما ورد النهى عنه من الرقى ، فهو المشتبه الذى لا يعرف ، أو المركب من حق وباطل ، يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم ، والتعوذ بمردتهم ، لا جرم أن هذا الصنف من الرقى آفة الإيمان والعقائد ، ومفتاح الشرور والمفاسد ، بل هو السم الذى لا رقية له إلا توبة نصوح واقية ، أو بطشة شديدة قاضية . . .

* * *

ومن العلاج النبوى للعين : أن يدعو العائن لمن عانه بالبركة ، وأن يتوضأ العائن أو يغتسل ، ثم يغتسل من مائه المعين ، وليس المراد بالوضوء والغسل هنا كيفيتهما الشرعية بل الأمر فيهما متسع كما يؤخذ من الآثار . .

وبيان الغسل فى حديث أحمد والنسائى وابن حبان : أن يغسل العائن وجهه ويديه إلى المرفقين ، ومن سرته إلى أسفل جسمه ، ويوضع الماء فى قدح ويصب على رأس المعين وظهره ، فيبرأ بإذن الله . . .

والسر فى هذا الغسل من عجائب الطب النبوى التى تخفى على أكثر الناس ، ولاسيما الذين لا يؤمنون بأسرار الروح والغيب ، ومن أجل ذلك لا ينتفعون بهذا الطب ولا يبرءون به « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا » .

* * *

وكأن أثر العين الحاسدة الشريرة شعلة من النار ، انبثت منها إلى المحسود فاشتعل نارا فكان من الخير والحكمة أن تطفأ بالماء والدعاء فى العائن والمعين جميعا . .

والسر فى دعاء العائن لمن عانه ، أن الدعاء إعلان للسير وطلب له ، وتكفير للإساءة التى قدمها إليه بجحد نعمة الله عليه وانتقاصها منه ، ومن هنا أمر من رأى شيئاً فأعجبه ولو كان ملكا له أن يقول : « ما شاء الله لا قوة إلا بالله » دفعا لأذى العين ووقاية من شرها ولا عجب أن يحسد المرء نفسه وولده وحبيبه ، وإن كان ذلك فى المتقين قليلا « وقليل من عبادى الشكور » . .

ولا مخافة من عدوى الماء المستعمل هنا ، فإنه استعمل فى إطفاء النار الثانية بعد أن أطفأ النار الأولى وقوة الإيمان والعزيمة تدفع ما عسى أن يحمل من أذى ، وقلما يكون الأذى إذا كان العائن صحيحا سليما . . على أن هذا الطب رخصة جائزة غير واجبة ، فليتركها من لا يؤمن بها ، ومن يخاف العدوى منها ، وليكتف بالرقية الإلهية النبوية فى دفع العين والأذى ، إن كان من المؤمنين بما أوحى الله إلى رسوله . . .

* * *

ومما يجب أن نحذر منه العامة وأشباه العامة هنا ، تغاليهم فى العين ونسبة كل أذى أو ضرر إليها ؛ فإن الأدواء وأشفيتها ، والأسباب ومسبباتها لا يحصيها إلا من أنزلها ، وما العين وطبها إلا قليل منها . . كما يجب أن ننبه هنا كذلك على أن الله جلت حكمته ، إنما أرسل رسوله هادياً وداعياً ومبشراً ونذيرا ، أرسله بطب الأرواح والقلوب ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذنه ، وليهديهم إليه صراطاً مستقيما . .

وأما طب الأبدان الذى صح عنه صلوات الله وسلامه عليه ، فليس إلا تكميلا لشريعته العامة الخالدة ، التى لم تدع خيراً إلا دعت إليه ، ولا شراً إلا حذرت منه ، فى العاجلة والآجلة ، إجمالا وتفصيلا [*] .

طه محمد الساكت

---

[*] من تأدية الأمانات إلى أهلها . ومن الاعتراف بالفضل لذويه ، أن ننبه على أن مرجعنا الأول فى شرح هذين الحديثين هو « الطب النبوى » لابن القيم ، وأن الذى أشار على بتفصيل ما أجملت فى الحديث الأسبق ، أخونا الواعظ الفاضل الأستاذ إبراهيم أبوسعدة ، وشيخنا الكبير الأستاذ محمد عرفة . . غير أنى لا أزال أدعوهما والقراء الأفاضل إلى مزيد الإفادة من « الطب النبوى » ففيه الجواب الكافى ، وفيه قرة العين . . والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به .

# شهر رجب

## فضيلته ـ فرض الصلاة ـ زيارة النبي

من الأشهر الحرم التي كان يعظمها العرب قبل الإسلام شهر رجب ، وكانوا يلقبونه بالأصم لأن قعقعة السيوف لا تسمع فيه ، ثم جاء الإسلام فعظم شأنه ، وأبقى عليه ضمن الأشهر الحرم المذكورة في قول الله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم » وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشهر الحرم في بعض خطبه : ( عن ابن عمر قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال : يأيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، أولهن رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ) فكان القتال محرماً في هذه الأشهر عند العرب قبل الإسلام حتى أن الرجل ليلقى فيها قاتل أبيه فلا يهيجه ، وكذلك حرم الإسلام القتال فيها على المسلمين إلا إن قوتلوا ، ثم نسخ ذلك فقد حاصر النبي صلى الله عليه وسلم الطائف وغزا هوازن في غزوة حنين في شوال وذي القعدة سنة ثمان من الهجرة .

وقد مضى السلف الصالح رضوان الله عليهم على تعظيم هذا الشهر لما حدث فيه من إكرام الله سبحانه وتعالى لنبيه بالإسراء والمعراج فيه ، وكان ذلك في ليلة السابع والعشرين منه ، ولأن الله قد شرع للمسلمين في تلك الليلة أعظم ما شرع من العبادات ، إذ أوجب فيها الصلوات الخمس في اليوم والليلة .

فكانوا يكثرون في هذا الشهر من الطاعات البدنية والمالية بالصلاة والصيام والصدقات ، كما يتنزهون فيه عن المعاصي واقتراف السيئات ، واستمر ذلك حتى عند الخلف في العهود الأخيرة ، فقد أدركنا الأجداد والآباء يحرصون على أن يصوموا ثلاثة الأشهر : رجبا وشعبان ورمضان ويتبعونهن ستا من شوال ذلك لأن رجبا عندهم ابتداء مواسم الخير

والطاعة ، وكانوا يختصون ليلة السابع والعشرين من رجب بمزيد من أعمال البر والتعظيم ، لأن الله قد زادها تعظيما بتشريع الصلاة فيها ، وهي أفضل الأعمال عند الله كما صح ذلك عن رسول الله .

ونرى مع الرائين أن نظهر سرورنا ليلة السابع والعشرين من رجب ، ونكرم فيها الأهل بمزيد من السعة ، كما نكرم الفقراء والمحتاجين مع الإكثار من الطاعات والبعد عن المعاصي .

فالصلوات الخمس فرض عيني في اليوم والليلة بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، وأدلة فرضيتها متواترة مستفيضة ، وحكمها صار معروفا للخواص والعوام ، معلوما من الدين بالضرورة ، فمن جحد وجوب الصلوات الخمس كان كافرا مرتدا بإجماع المسلمين ، وتجرى عليه أحكام المرتدين .

أما من ترك الصلاة كسلا مع إقراره بوجوبها فهو آثم اتفاقا بين الأئمة ، ولكنهم اختلفوا هل يكون كافرا ؟ والصحيح الذي عليه الجمهور أنه لا يكون كافراً ولكنه عاص بهذا الترك ، وهل يقتل أم لا ؟ مذهب الشافعي ومالك وغيرهما أنه يقتل حداً بعد استتابته وإصراره على الترك ، ومذهب أبي حنيفة والنووي والمزني أنه لا يقتل بل يعزر بالضرب والحبس حتى يصلي .

وإلى الرأي الأخير نذهب ، وإن كنا نرى خطرا عظيما يتهدد تارك الصلاة كسلا، فليتنبه العاقل لذلك وليعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : أول ما يحاسب عليه المرء من عمله الصلاة . فهي بلا شك أخطر فرائض الإسلام .

وقد ورد : الصلاة عماد الدين من أضاعها فقد أضاع الدين ، وتوجيه ذلك أن الإسلام قد بني على خمس : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت. والصلاة تجمع هذه الخمس ففيها الشهادتان في التشهد، وهي نفسها إقام الصلاة، وكل ما أفطر الصائم أبطل الصلاة ، فما دام في صلاة فهو في صيام، ولا بد فيها من استقبال القبلة، ففيها قصد الكعبة بالنسك والعبادة ، ولابد من ستر العورة ، وطهارة البدن من الحدث، وطهارة البدن والثوب والمكان من النجس ، وتحصيل ذلك يبذل المال فهو إنفاق للمال في سبيل أمر الله بالإنفاق فيها، والزكاة إنفاق للمال في سبيل أمر الله بالإنفاق فيها، فجمعت الصلاة أركان الإسلام وصدق ما ورد أنها عماد الدين ومن أضاعها فقد أضاع الدين .

وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فهى تنقى المسلم مما اقترفه من الخطايا شيئا فشيئا حتى لا يبقى منها شىء ، فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا لا يبقى من درنه شىء ، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا ) .

وقد روى أبو داود وغيره بإسناد صحيح عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول : ( خمس صلوات افترضهن الله ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وخشوعهن ، كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لا يفعل فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ) .

وهذا الذى ذكرنا من أن الله يمحو بالصلوات الخمس الخطايا إنما هو فى الخطايا المتعلقة بحقوق الله تعالى ، أما حقوق العباد فلابد من ردها إلى ذويها ، فإن تاب ولم يتمكن من ردها حتى مات فإن الله يرضى عنه أصحاب الحقوق بما شاء من العطاء ، لأنه أرضى الله بتوبته وصدق فى نيته .

ونبين هنا أن ستر العورة شرط لصحة الصلاة ، وتختلف العورة عند الرجل والمرأة :

فعورة الرجـل فى الصلاة ما بين السرة والركبة عند الشافعية والحنفية والحنابلة ، وإن اختلفوا فى أن السرة والركبة منها ، وعورة المرأة عند الحنفية جميع بدنها ماعدا بطن الكفين وظهر القدمين ، وعند الحنابلة جميـع بدنها ما عدا الوجه فقط ، وعند الشافعية جميـع بدنها ماعدا الوجه والكفين ظهرا وبطنا ، أما المالكية فيقولون للرجل والمرأة فى الصلاة عورتان عورة مغلظة وعورة مخففة ، فعورة الرجل المغلظة السوأتان ( القبل والدبر ) والمخففة مازاد على ذلك مما بين السرة والركبة من الإمام والخلف ـ أما المرأة فإن وجهها وكفيها ليسا بعورة مطلقا ، وعورتها المخففة هى الرأس والعنق والذراعان والصدر وما حاذاه من الخلف ، ومن الركبة إلى آخر القدم ، وما عدا ذلك من بدنها فهو عورتها المغلظة .

فمن صلى مكشوف العورة المغلظة كلا أو بعضا بطلت صلاته ، ومن صلى مكشوف العورة المخففة كلا أو بعضا لا تبطل صلاته وإن كان كشفها حراما أو مكروها ، ويحرم نظر الأجنبى إليها كنظره إليها خارج الصلاة ، لأن عورة المرأة خارج الصـلاة جميـع بدنها ما عدا الوجه والكفين .

مذهب المالكية : فيه فسحة للنساء وتشجيع لهن على الصلاة ، كما أن فيه أيضا فسحة للعمال فى المصانع والمعامل والمزارع ، فإن هؤلاء جميعاً أوجد القول بالاعذر لهم فى ترك الصلاة ، وأن الدين يسر ، ويستطيع الرجل أن يصلى حتى فى ملابس العمل التى تقصر عن الركبتين ، كما تستطيع المرأة أن تصلى حتى فى ملابس الزينة التى تكشف شيئا من الصدر ، والملابس القصيرة .

ويرى الحنابلة : أنه يباح جمع الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء لمن يخاف ضررا يلحقه فى معيشته إذا صلى كل صلاة من هذه الأربع فى وقتها ، وفى ذلك سعة على عمال المصانع وموظفيها ، وموظفى المعامل الذين لا يمكنهم ترك أعمالهم لأداء الصلاة فى وقتها تحت نظام العمل الذى هم فيه ، وكذلك الجنود وحراس الأمن الذى يكلفون أعمالا لا يمكنهم معها أداء الصلاة فى وقتها ، فهؤلاء جميعاً لهم أن يجمعوا بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء تقديماً بصلاتهما فى وقت الأولى ، وتأخيرا بصلاتهما فى وقت الثانية ، تبعا لما تسمح به ظروف العمل .

وذلك كله مبالغة فى الحرص على أداء الصلاة والمحافظة عليها ، تنفيذا لأمر الله العلى الكبير « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .

قدمنا أن السلف وكثيراً من الخلف كانوا يعظمون شهر رجب لإكرام الله نبيه فيه بالإسراء والمعراج ، وتشريع الصلاة بكثرة الطاعات البدنية والمالية مع البعد عن المعاصى .

ومما يتقرب به كثير منهم فى هذا الشهر ، زيارة النبى صلى الله عليه وسلم وفرحهم بهذه الزيارة الرجبية كما يطلقون عليها ، ولعمرى أن هذه الزيارة لمن أعظم القربات ، ومن أحب الأعمال إلى قلب المؤمن ، إذ يستجلى بها نور حبيبه المصطفى ، ويتشرف بها كأنما تشرف بزيارته فى حياته ، فقد روى الدارقطنى وابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال : (من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى ) .

كذلك روى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما من رجل يسلم علىّ إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام) .
وهذا درج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارته أن يقول الزائر منهم : السلام عليك يا رسول الله ـ السلام عليك يا أبا بكر ـ السلام عليك يا عمر ، وأجمع المسلمون على أن زيارة النبى صلى الله عليه وسلم بعد مماته لغير المسافر لها قربة وطاعة ، واختلفوا فى حكم

الزيارة لمن يحتاج إلى السفر لها . فمنهم من يرى أنها قربة عملا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم ( كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ) فالضمير المفعول به عام لجميع القبور ومنها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والأمر بالزيارة مطلق ، فتكون الزيارة مستحبة أو مباحة بدون السفر ومع السفر .

كذلك حديث الدارقطني يدل على استحباب الزيارة ، حتى ينال الزائر بعد سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم شرف رد الرسول عليه وبركته ، سواء كان ذلك مع السفر أو بدون سفر .

ومن العلماء من يرى عدم إباحة السفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت زيارته بدون السفر طاعة وقربة ، واستدلوا على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ( لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا ) ولا حجة لرأيهم فى هذا الحديث ، لأن تقديره هكذا : لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد ، ويؤول إلى أنه لا ينبغى ولا يستحب أن يشد الرحل إلى مسجد للعبادة فيه إلا إلى المساجد الثلاثة المذكورة لفضيلتها ومنزلتها عند الله ، وإن قلنا إن الحديث خبر بمعنى النهى كما يقولون ، أى لا تشدوا الرحال إلى مسجد إلا المساجد الثلاثة ، كانت النتيجة كما قدمنا من أن الحديث لبيان فضيلة المساجد الثلاثة ، واستحباب أو إباحة شد الرحل إليها ، وليس للحديث صلة بحكم شد الرحل إلى غير المساجد ، فشد الرحل إلى غير المساجد ، كشده إلى بلد لطلب العلم ، أو للتجارة ، أو لصلة الرحم ، وشده لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون محظوراً .

على أنه إذا كانت الزيارة فى نفسها قربة وطاعة فكيف يحرم السفر لها ، بل إذا كان الترويض والترويح عن النفس مباحا أو مطلوبا فهل يحرم السفر لهذا ؟ لاشك أن هذا خطأ وربما جرهم إلى هذا الخطأ تقديرهم المستثنى منه المحذوف عاما ، أى لا تشد الرحال إلى شىء إلا إلى ثلاثة مساجد ، ولكن هذا التقدير خطأ أيضا ، إذ يؤدى إلى تحريم السفر لأى طاعة أو أمر مباح ، كالسفر لطلب العلم وصلة الرحم والتجارة وغير ذلك ، وهذا خطأ شنيع ، فالسفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم مباح أو مستحب ، لأنه يوصل للزيارة التى هى من أعظم القرب .

فإذا بلغ المسافر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عند دخوله بسم الله والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك ، واحفظنى من الشيطان الرجيم ، ثم يقصد إلى الروضة الشريفة فيصلى ركعتين ، فإن كانت الروضة مزدحمة صلاهما فى أى موضع

من المسجد ، ثم يقصد إلى القبر الشريف فيسلم على النبي ويقف متواضعا ويصلى عليه ، ويثنى عليه صلى الله عليه وسلم بما يحضره ، ثم يسلم على أبى بكر ، ثم يسلم على عمر ويدعو لهما .

قال العلماء ومن وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقبله ولا يطيل الوقوف عنده ، وإن قصد بذلك التبرك ، لأن التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم إنما يكون باتباعه لا بالابتداع عنده .

وليكثر مدة إقامته بالمدينة النبوية من الصلاة فى الروضة وقراءة القرآن وذكر الله ، وليبذل فى المدينة مزيدا من الصدقات ، وليتخذ عند فقرائها أيادى بيضاء بكثرة العطاء .

وإذا عزم على السفر من المدينة جعل آخر عهده زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والوقوف بأدب وتواضع عند قبره والسلام عليه وعلى صاحبيه .

قال ابن القاسم المالكى رأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا إلى القبر مسلمين وذلك دأبى ،

ونرى أن هذا ينبغى أن يكون دأبنا ودأب غيرنا عند السفر إلى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم .

عبد الرحمن عيسى
مدير المجلة

---

## الإنسان عدو ما جهل

قال لبيب الرياشي - من أدباء نصارى الشام - فى كتابه ( نفسية الرسول العربى ) :

« ما ندمت على شىء فى حياتى ندما عصبيا ساحقا مثل ندمى على جهلى نفسية الرسول العربى - الإمام الأعظم العالمى - محمد بن عبد الله - فى أيام الماضيات وسنواتى الغابرات .

أما لو درست تلك الحياة وهاتيك النفسية وتفهمت جوهرها واستنرت بنورها ربع قرن ، لأمسى الحق معشوق عقلى ودمى وعصبى ، فبعث الحق فى شخصيتى الجسمية والنفسية قوة كونية عظيمة رضية حكيمة من هدى الرسول العربى العالمى ، ومن نورعقله ، ولكنت إذ ذاك رجلا غير هذا الرجل ، ومفكراً غير هذا المفكر » .

# الله أكبر !!...

إن بعض الكلمات الجليلة قد تفقد معناها وتأثيرها فى نفوس الكثيرين من الناس . وإن كثر ترددها وتكرارها ، وذلك لقلة التدبر فيها أو التأمل لمعناها أو الاستجابة لمغزاها ومن بين هذه الكلمات كلمة : « الله أكبر » العظيمة الجليلة العميقة ، التى جعلها الإسلام رمز التكبير وعماده ...

ولقد كان التكبير أول ما كلف الله به رسوله حين أمره بإنذار الناس فقال له : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر » ، ويعلم الله رسوله أن يكثر من تكبيره بعد تقرير ألوهيته ووحدانيته فيقول له : « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل ، وكبره تكبيرا » . والأذان يتردد فى بلاد الإسلام كل يوم خمس مرات ، وألفاظه الأساسية قبل التكرار هى : « الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، لا إله إلا الله » ، فنرى الأذان يبدأ بكلمة التكبير ، وينتهى بكلمة التوحيد ، وتتكرر كلمة « الله أكبر » فيه ست مرات ، بينما تتكرر جمله الأخرى مرتين ! ! ...

والصلاة تبدأ بالتكبير ، إذ يفتتحها المسلم بكلمة « الله أكبر » وتسمى حينئذ تكبيرة الإحرام ؛ لأنها جواز الدخول فى الصلاة ، وإذا دخلت بها فى الصلاة حرم عليك ما كنت فيه من اللهو واللعب وكلام الدنيا كل شىء إلا عمل الصلاة ، وروى الخمسة إلا النسائى أن الرسول صلوات الله عليه قال : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » .

والتكبير يتخلل حركات الصلاة ويتكرر فى كل ركعة عدة مرات ، وقد روى الخمسة إلا الترمذى عن عبد الله رضى الله عنه قال : كان صلى الله عليه وسلم يكبر فى كل خفض ورفع ( إلا عند الرفع من الركوع ) وقيام وقعود ؛ وأبو بكر وعمر . . .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : بينما نحن نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم : الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا . فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : من القائل كلمة كذا وكذا ؟ . قال رجل من القوم : أنا يا رسول الله . قال : عجبت لها ، فتحت لها أبواب السماء . قال ابن عمر : فما تركتهن منذ سمعت رسول الله يقول ذلك . روى ذلك مسلم والترمذي .

ويختم المسلم صلاته المفروضة بالتسبيح والتحميد والتكبير ، فقد أخرج الشيخان وأبو داود الحديث : « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فتلك تسع وتسعون ، ثم قال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ؛ غفرت خطاياه ، ولو كانت مثل زبد البحر » .

ويأتي عيد الفطر فيجهر المسلمون بالتكبير من وقت الخروج إلى الصلاة حتى ابتداء الخطبة ، فيرددون : « الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولله الحمد » ؛ وإذا جاء عيد الأضحية كان أسبوعه حقيقا بأن يسمى « أسبوع التكبير » ، إذ يظل المسلمون فيه خمسة أيام يكبرون الله على ما هداهم ، ولعلهم يشكرون ، فهم يكبرون مختلف الأوقات وبخاصة فى أعقاب الصلوات من صبح يوم عرفات إلى عصر اليوم الرابع من أيام العيد ، وهو آخر الأيام التي تسمى « أيام التشريق » ! . . .

ويستفاد من هذا أن المسلمين يكررون كلمة « الله أكبر » كل يوم عشرات المرات على الأقل فى الصلوات وغير الصلوات ، ولكننا لو ذهبنا نبحث عن أثر هذه الكلمة الجليلة فى نفوس أكثرهم وتصرفاتهم لوجدناه قليلا ضئيلا ؛ مع أن الله تبارك وتعالى : قد شرع تكرار هذا الهتاف الإلهي فى مختلف المناسبات ـ وبخاصة فى الأذان والصلوات ـ ليكون أشبه بدقات الساعة التي تتردد بين الفينة والفينة ، منبهة لعباد الله ، مذكرة بحقوق الله ، منادية بالرجوع إلى الله ، ليستيقظ الغافل ، ويهتدي الضال ، ويرتدع المسيء ، ويزداد المحسن إحسانا ؛ وكلما سمع أبناء القرآن هذا التكبير فى الأذان قابلوه بالتكبير ، فيتعلمون الاستجابة للحق ، والمسارعة إلى الخير ، والتلاقي على الذكر ، والتعاون على البر والتقوى ، والمجاهدة للإثم والعدوان : « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى ، فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » .

« الله أكبر » نداء السماء العلوي المنزل من حمى القدس ليتردد بين أهل الأرض ، مذكرا

إياهم بجلال الله وعظمته ، وسلطانه وقدرته ، فتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، فترى المؤمنين يرددون كلمة « الله أكبر » فى صدق وعزيمة ؛ وكأن أصوتها هديراً كهدير البحر المتلاطم ، أو أشد وقعا ؛ لأن معناها القوى البليغ قد أخذ يهدر فى قلوبهم ، ويتلاطم فى صدورهم ، فكأن هذا من ذاك ! . . .

وتتردد فى الآفاق كلمة « الله أكبر » فإذا هى نسمات السماء الطاهرة التى تمر على الأرض الهامدة فتحيى مواتها ، وتبعثها من رقادها ... وتتردد فإذا هى فيض الملأ الأعلى الذى يغسل أدران الحياة وأقذار البشر .

« الله أكبر » كلمة تتردد فى أذن السارق الناهب ، فترتجف يده ويهتز كيانه ، ويتذكر - إن كان من أهل الذكرى - أن هناك إلها أقوى منه ، وأكبر من حيلته واستخفائه ، ومن مكره وخديعته ، وأن أخذ هـذا الإله أقوى من أخذ القانون والمحكمة والسجن والأشغال الشاقة المؤبدة ! ! . . « إن أخذه أليم شديد » ! . . .

« الله أكبر » كلمة تدوى فى أذن الفاسق الذى يهم بإثم أو معصية ، فيقشعر ويرتدع ، ويتذكر - إن بقيت فيه فضلة ذكرى - أن لله عينا لا تنام وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنه يعلم سرهم ونجواهم ، وهو معكم أينما كنتم . . . « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ؟ ! ... « ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ؟ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شىء عليم » .

« الله أكبر » كلمة يرددها - أو يسمعها - الغنى الكثير المال الواسع الثروة ، فيتذكر عند ذلك أن الله أغنى الأغنياء ، وأنه مصدر النعم والآلاء ، وأنه هو الذى يعطى ويمنع ، ويخفض ويرفع ، فلا يردى الغنى غناه ، ولا يبطره ماله وثراؤه ، بل يتدبر قول ربه عز من قائل : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » . وقوله : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » ، وقوله : « يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » .

« الله أكبر » كلمة يرددها أو يسمعها الفقير القليل المال ، فلا يذله الفقر ولا يهينه ، ولا يزلزله أو يبلبله . بل يتذكر أن الله العلى الكبير أقوى وأغنى ، وأنه القادر بكبريائه وغناه أن يقهر هذا الفقر اللعين ، فلا ينال شيئا من المؤمن القصير فى ماله : « وإن خفتم عيلة ( فقرا ) فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » ، « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا ( فقيرا ) فأغنى » ؟ ! ...

« الله أكبر » يرددها أو يسمعها الصحيح السليم المعافى القوى البدن المفتول العضل ، فلا يغتر معها بصحته ، ولا ينخدع بقوته ، فإن الله الأكبر الذى وهب الصحة هو الذى يستطيع أن يسلبها ويضع مكانها العلة والمرض ، والذى أعطى القوة قادر على أن يحيلها ضعفا ، وليست قوة العضلات أو صحة الأبدان وحدها مفخرة لصاحبها ، فكم من حيوانات وبهائم توافرت لها قوة الأجسام ، ولم ترزق قوة العقل والجنان ، بل لعل أشد البهائم بأسا فى جسمها هى أقلها فى التعقل والتمييز ، والمهم هو قوة العقل وثبات القلب ، لا شدة الجسم ولا صلابة العضل ، والحديث يقول : « ليس الشديد بالصرعة ( أى الذى يصرع غيره كثيرا لقوة جسمه ) إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

ويردد الضعيف السقيم كلمة « الله أكبر » فإذا هى عنده بلسم ودواء ، وإذا هى عزاء وشفاء ، وإذا هى تذكره بأن الله الرحمن الرحيم هو أهل الرجاء ومعقد الأمل : « وإذا مرضت فهو يشفين » ، « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له ، فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم ، رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » ! ...

« الله أكبر » يتلوها أو يسمعها الكبير المسيطر الذى يهم بطغيان أو بهتان ، فيعلم ويتذكر أن هناك من هو أقوى منه وأعظم ، وهو الله الأكبر ذو البطش الشديد ، فيرهبه ويتواضع له ويتأدب أمامه ، ولا يبغى أو يطغى على أحد من عباده ، وإلا فالمنتقم جبار : « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام » ! ... والعامة تقول ــ وهى صادقة فيما تقول ــ : « الله أكبر على من طغى وتجبر » ! ... وهذا فرعون قد طغى وبغى « فقال أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » ... وهذا هو نداء الله لمن يحاول أن يقاسمه كبرياءه : ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ! ! ...

ويردد المظلوم المهضوم المستضعف كلمة « الله أكبر » فيقوى ويتماسك ، ويتذكر أن هناك إلها عادلا منصفا ، لا يرضى الظلم بحال ، فينهض ذلك المظلوم ، ويجاهد الضيم بكل ما استطاع ، مستعينا بجاه الله القوى العزيز : « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » .

ويقول الرافعى عليه رحمة الله :

« بين الوقت والوقت من اليوم تدق ساعة الإسلام بهذا الرنين : الله أكبر ، الله أكبر كما تدق الساعة فى موضع ليتكلم الوقت برنينها . الله أكبر ! ... بين ساعات وساعات من اليوم ترسل الحياة فى هذه الكلمة نداءها تهتف : أيها المؤمن ، إن كنت أصبت فى الساعات التى مضت ، فاجتهد فى الساعات التى تتلو ، وإن كنت أخطأت فكفر وامح ساعة بساعة ، الزمن يمحو الزمن ، والعمل يغير العمل ، ودقيقة باقية فى العمر هى أمل كبير فى رحمة الله ! ...

بين ساعات وساعات يتناول المؤمن ميزان نفسه حين يسمع : الله أكبر ، ليعرف الصحة والمرض من نيته ، كما يضع الطبيب لمريضه بين ساعات وساعات ميزان الحرارة .

اليوم الواحد فى طبيعة هذه الأرض عمر طويل للشر ، تكاد كل دقيقة بشرها تكون يوما مختوما بليل أسود ، فيجب أن تقسم الإنسانية يومها بعدد قارات الدنيا الخمس ، لأن يوم الأرض صورة من الأرض ، وعند كل قسم من الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء تصيح الإنسانية المؤمنة منبهة نفسها : الله أكبر الله أكبر ! ...

بين ساعات وساعات من اليوم يعرض كل مؤمن حسابه ، فيقوم بين يدى الله ويرفعه إليه ، وكيف يكون من لا يزال ينتظر طول عمره فيما بين ساعات وساعات : الله أكبر ..؟!.

بين الوقت والوقت من النهار والليل تدوى كلمة الروح : الله أكبر ... ويجيبها الناس : الله أكبر ، ليعتاد الجماهير كيف يقادون إلى الخير بسهولة ، وكيف يحققون فى الإنسانية معنى اجتماع أهل البيت الواحد ، فتكون الاستجابة إلى كل نداء اجتماعى مغروسة فى طبيعتهم بغير استكراه .

النفس أسمى من المادة الدنيئة ، وأقوى من الزمن المخرب ، ولا دين لمن لا تشمئز نفسه من الدناءة بأنفة طبيعية ، وتحمل هموم الحياة بقوة ثابتة .

لا تضطربوا ، هذا هو النظام ... لا تنحرفوا ، هذا هو النهج ... لا تتراجعوا هذا هو النداء ... لن يكبر عليكم شيء ما دامت كلمتكم : « الله أكبر » ! . .

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ... يا أبناء الإسلام . . يا أبناء العزة التي كتبها الله لنفسه ولرسوله وللمؤمنين ...

عاهدوا ربكم أن تقولوا كلمة « الله أكبر » بفهم وعزم ، وتدبر وتأثر ، حتى تثمر لكم ثمرتها التي أرادها الله منكم . . . إن حاول متكبر متجبر أن يستذلكم لغير الله فقولوا له صائحين في وجهه « الله أكبر » ، وإن خادعكم الشيطان ليصرفكم عن دينكم وفضائلكم مغريا بالمتاع والشهوات فقولوا « الله أكبر ! . . . . » ، وإن ألمت بكم غمرات ، أو أزمات فتماسكوا واصبروا وقولوا « الله أكبر ! » ، وإن جاءتكم خيرات ومسرات فلا تغتروا أو تتجبروا ، بل تواضعوا وقولوا : الله أكبر ! . . .

وليكن من دعائكم لربكم : اللهم جملنا بالتواضع لك ، والذلة أمام عزتك ، والاعتزاز أمام غيرك ، واحفظنا من التكبر والتجبر ، ولا تجعلنا من المفسدين في الأرض ؛ اللهم انصر المؤمنين المتواضعين لك ، انصرهم بجاهك وسلطانك ، واقصم ظهور المتجبرين الطاغين ، اقصمهم بصولاتك وجبروتك ، فإنك عزيز ذو انتقام . . .

والله أعلى ، والله أكبر ! . . .

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

---

## من إسلاميات محمد إقبال

يا أيها المسلم إن الأرض والسماء لك
ضياؤك القدسي أعلى من شرارات الفلك
ما جئت في الدنيا لتفنى وهي بالخلد تدوم
هل تصبح الشمس أقل قيمة من النجوم

# نقد كتاب
## « أضواء على السنة المحمدية »

## — ٦ —

فى ص ١٠٨ ذكر عنوان « الإسرائيليات فى الحديث » وبين منشأها ثم عرض لكعب الأحبار ووهب بن منبه وأضرابهما من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا وقد نال أكثر ما نال من كعب واعتبره الصهيونى الأول وإليك رأيى فيما عرض له .

١ — كعب الأحبار من التابعين ، وعلماء الجرح والتعديل - وهم الذين لا تخفى عليهم حقيقة أى راو مهما تستر - لم يتهموه بالوضع والاختلاق ، والجمهور على توثيقه ولذا لا تجد له ذكرا فى كتب الضعفاء والمتروكين وقد ترجم له الذهبى ترجمة قصيرة فى تذكرة الحفاظ ، وتوسع ابن عساكر فى ترجمته فى تاريخ دمشق وأطال أبو نعيم فى الحلية فى أخباره وعظاته وتخويفه لعمر ، وترجم له ابن حجر فى الإصابة وتهذيب التهذيب وقد اتفقت كلمة النقاد على على توثيقه (١) ولكن يعكر على هذا ما ورد فى حقه فى الصحيح : روى البخارى بسنده عن معاوية وهو يحدث رهطا من قريش بالمدينة - يعنى لما حج فى خلافته - وذكر كعب الأحبار فقال : « إنه كان من أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » وفى رواية أخرى « لمن أصدق » وظاهر كلام معاوية رضى الله عنه يخدش كعبا فى بعض مروياته ، ولكنه لا يدل على ما ذهب إليه المؤلف وأمثاله من أنه كان وضاعا كذابا . وهذا الكلام من معاوية له وزنه فهو رجل داهية لا تخفى عليه الرجال ولا دسائسهم ، ومعاوية لا يخشى كعبا ولا يعقل أن يتملقه ، ولو يعلم فيه أكثر من ذلك لقاله ، وقد حسن العلماء الظن بكعب فحملوا هذه الكلمة على محل حسن قال ابن حبان فى الثقات : « أراد معاوية أنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذابا » . وقال ابن الجوزى : « المعنى أن بعض الذى يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه كان يتعمد الكذب ، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار » ومن قبل ذلك قال ابن عباس فى كعب « بدل من قبله فوقع فى الكذب (١) » ولا يعزب عن بالنا أن ابن الجوزى صاحب ملكة فى النقد وكان حربا على الوضاعين وكتابه « الموضوعات »

---

[١] مقالات الكوثرى ص ٣١ .

أشهر الكتب وأحفلها وإن أخذوا عليه فيه أنه يتساهل في الحكم بالوضع أحياناً ، فلو أنه كان يرى في كعب ما رأى المؤلف وأمثاله من أنه كان وضاعاً دساساً لما تردد في تجريحه ولما حمل كلمة معاوية على هذا المحمل الحسن ولا سيما وقد كان لسانه حاداً على الوضاعين كما يتبين ذلك جليا لمن راجع مقدمة كتابه المذكور ، فمن ثم يتبين لنا بعد ما سمعنا من مقالة العلماء في كعب أنه لم يكن وضاعا ولا متعمداً للكذب، وأنه إن كانت وقعت في بعض مروياته إسرائيليات مكذوبة أو خرافات ، فذلك إنما يرجع إلى من نقل عنهم من أهل الكتاب السابقين الذين بدلوا وحرفوا، وإلى بعض الكتب القديمة التي ماشت بالخرافات والإسرائيليات، ولو أنه تحرى الحق والصدق وميز بين الغث والسمين من هذه المنقولات لكان أولى به وأجمل ، وأما وهب بن منبه فهو من خيار التابعين وثقاتهم ، ولم نعلم أحداً طعن فيه بأنه وضاع ودساس إلا المؤلف ، والباحث المتثبت والناقد البصير لا ينكر أن الكثير من الإسرائيليات دخلت في الإسلام عن طريق أهل الكتاب الذين أسلموا ، وأنهم نقلوها بحسن نية ، وكذلك لا ينكر أثرها السيء في كتب العلوم وأفكار العوام من المسلمين ، وما جرته على الإسلام من طعون أعدائه ظناً منهم أنها منه والإسلام منها براء ، ولكن الذي لا يسلم به الباحث أن يكون كعب ووهب وأضرابهما ممن أسلموا وحسن إسلامهم ، كان غرضهم الدس والاختلاق والإفساد في الدين ، ولقد كان من لطف الله بالأمة الإسلامية أن هذه الإسرائيليات إنما كانت في قصص الأنبياء والأمم السابقة ، وأحوال البدء والمعاد وأسرار الخليقة إلى غير ذلك مما لا يتعلق بالحلال والحرام والعقائد إلا بعضا منها مما ينافي عصمة الأنبياء فإنه يدرك كذبه وبطلانه بادئ الرأي ، وابن خلدون لما عرض في مقدمته لما دخل في التفسير بالمأثور من الإسرائيليات لم يرم مسلمة أهل الكتاب بالدس والوضع - كما صنع المؤلف - وإنما جعلهم مصدراً لنقل هذه الإسرائيليات إلى العرب ، وهذا شأن الباحث المنصف لا الطاعن المتحامل .

ولقد كان لجهابذة الحديث ونقاده جهاد مشكور في الكشف عن هذه الإسرائيليات وتمييز صحيحها من باطلها ، وغثها من سمينها ، وما من رواية من روايات كعب وغيره إلا ونقدوها نقداً علمياً نزيها ، ولولا هذا الجهاد الرائع من علماء المسلمين لكانت طامة على الإسلام والمسلمين ، ولقد بلغ من تحوط أئمة الحديث البالغ الغاية أنهم قالوا : إن قول

الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه إنما يكون له حكم الرفع إذا لم يكن معروفا بالأخذ عن علماء أهل الكتاب الذين أسلموا فأما إذا كان معروفا بالأخذ عنهم فلا ، لجواز أن يكون من الإسرائيليات وهو تحوط يدل على أصالة في النقد وبعد نظر محمود من المحدثين ، وأحب أن يعلم القارىء الكريم أني كتبت بحثا مستفيضا نشر على صفحات هذه المجلة الزهراء تحت عنوان « الدخيل وكتب التفسير » أمطت فيها اللثام عن كثير من الإسرائيليات والخرافات التي ألصقت بالإسلام (١) .

٢ — أن المؤلف جرى في بحثه في الإسرائيليات على أن كل ما روى عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهما مختلق مكذوب ، وأن مروياتهم ليس فيها صدق ولا حق حتى ولو كان في شريعتنا ما يؤيد هذا المروى ويصدقه ، وهو إسراف في الحكم وتجن على الحق والواقع ، والعلماء المحققون المتثبتون على أن ما روى عن أهل الكتاب الذين أسلموا منه ما هو حق وصدق ، ومنه ما هو باطل وكذب ، ومنه ما هو محتمل لهما ، فهذا هو الإمام ابن تيمية ، وهو زعيم مدرسة جمعت إلى حفظ الحديث والبراعة فيه الفقاهة في الدين وجودة الفهم وأصالة النقد يقسم أخبار مسلمة أهل الكتاب إلى ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح ، والثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه ، والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني (٢) ومثل ذلك قال تلميذه ابن كثير في تفسيره (٣) .

وإليك ما ذكره الحافظ الكبير ابن حجر في الفتح (٤) عند شرح الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال : « كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد » قال : « أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملا ، لئلا يكون في نفس الأمر صدقا فتكذبوه أو كذبا

---

[١] مجلة الأزهر في عامي ٧٣ ، ٧٤ هـ .

[٢] مقدمة التفسير ص ٤٦ ط السلفية .

[٣] جـ ١ ص ٨ ط المنار . [٤] جـ ٨ ص ١٣٨ .

فتصدقوه فتقعوا فى الحرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه . نبه على ذلك الشافعى رحمه الله » . وهكذا يتبين لنا أن الحكم على كل ما رووه بالصحة فيه تساهل وبعد عن الحق والصواب ، وأن الحكم على كل ما رووه بالكذب والبطلان فيه إسراف وتجن .

وقد تمخضت هذه الطريقة التى أخذ بها المؤلف نفسه عن جملة من الأخطاء والأغلاط ، فحكم على كثير من الأحاديث الصحيحة التى لا يتعلق بها الريب بأنها إسرائيليات وخرافات من خرافات أهل الكتاب ، ولا حجة له فى هذا إلا التظنن والحدس ، وقد بلغ به الشطط أنه زيف بعض الروايات التى نرى مصداقها فى كتاب الله وهو القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل وزيف بعض أحاديث ليس فى رواتها أحد من مسلمة أهل الكتاب ولا يحتمل أن تكون أخذت عنهم ، وسأعرض لهذه الأحاديث لترى طرائق للبحث عجيبة .

* * *

فى ص ١١٣ ، ١١٤ بعد أن ذكر ما روى عن كعب وابن سلام عن البشارة بالنبى وذكر أوصافه فى التوراة قال : « وقد امتدت هذه الخرافة ـ يعنى البشارة بالنبى وذكر أوصافه ـ إلى أحد تلاميذ كعب : عبد الله بن عمرو بن العاص فقد روى البخارى عن عبد الله بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال : أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ! يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، بل يعفو ويغفر ولا يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وزاد ابن كثير قال ابن يسار : ثم لقيت كعبا الحبر فسألته فما اختلفا فى حرف وكيف ؟ وكعب هو الذى علمه » .

وإنها لحماقة حمقاء أن يطلق هذا المؤلف على البشارة بالنبى الأمى العربى فى الكتب السابقة أنها خرافة ولا أدرى أفقد المؤلف صوابه أم غاب عنه قول الحق تبارك وتعالى

« ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون »(١) وهل هذا الحديث إلا مصداق لهذا القرآن الذي لا يتطرق إليه الشك ، وسواء أكان هذا الحديث قد حمله عبد الله بن عمرو عن كعب أو هو مما علمه من كتبهم ، لأنه كان قارئا كاتبا وعنده علم بكتب أهل الكتاب فقد صدقه القرآن المهيمن والشاهد على الكتب فهو حق وصدق ، والتصديق به واجب ، وإني لأعجب للمؤلف كيف سولت له نفسه وسمح له ضميره أن يقول عن البشارة بالنبي وذكر أوصافه في التوراة والإنجيل : إنها خرافة ألا فلتهللوا أيها المبشرون فقد وجد ممن يتسمى بأسماء المسلمين من يخدمكم ويشيع مقالتكم باسم البحث والمعرفة ! ! ! .

* * *

في ص ١١٨ عرض لحديث الاستسقاء وذكر أن كعبا انتهز الفرصة ليفسد على المسلمين عقائدهم ، وأنه هو الذي أوقع عمر رضي الله عنه في الاستسقاء بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن ذكر أن عمر استسقى بالعباس لم يلبث أن قال : إن عمر تنبه إلى المكيدة وفطن لها فلم يستسق بأحد حتى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، واقتصر على الاستغفار ولكي يؤيد زعمه هذا ذكر عن كتاب المغني والشرح الكبير « أن عمر خرج يستسق فلم يزد على الاستغفار .... » .

وللرد على ذلك أقول :

١ — إن حديث الاستسقاء بالعباس رضي الله عنه رواه البخاري في صحيحه عن أنس : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا . وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون » ولأجل أن يدلل على ما ذهب إليه من أن الاستسقاء بالعباس دسيسة من كعب طعن

---

(١) الأعراف الآية ١٥٦ ، ١٥٧ .

فى حديث أنس واعتده مخالفا للروايات القوية التى جاءت بخلافها ، ثم أتدرى أيها القارئ ما هى الروايات القوية التى رجحها على رواية البخارى ؟ .

هى رواية ذكرت فى كتاب المطر لابن أبى الدنيا ، وكتاب المغنى والشرح الكبير ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ! ! ! ثم ما هى المخالفة بين حديث أنس وما ذكره ؟ أن الاستسقاء له حالات فمرة يكون بالصلاة والخطبة ، ومرة يكون فى خطبة الجمعة أو عقب صلاة مفروضة ، ومرة أخرى يكون بدعاء من غير صلاة ، وحينا كان على المنبر فى المسجد ، وحينا آخر كان خارج المسجد وكلها حالات ثابتة فى السنة الصحيحة (١) وعمر رضى الله عنه مرة استسق بالعباس ، ومرة أخرى اقتصر على الدعاء بطلب السقيا ، ومرة ثالثة اكتفى بالاستغفار ، لأنه مجلبة للغيث وعلى هذا فلا تعارض قط بين الروايات ، ولا سيما والرواية التى رجحها لا حصر فيها ، وكتاب المغنى والشرح الكبير الذى نقل عنه الرواية الثانية ، قال مؤلفاه بعد ذلك بصفحات ما نصه (٢) « ويستحب أن يستسقى بمن ظهر صلاحه لأنه أقرب إلى إجابة الدعاء فإن عمر رضى الله عنه استسقى بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم عام الرمادة » ثم ذكر استسقاء معاوية بيزيد بن الأسود والضحاك بن قيس به أيضا ، وهكذا يتبين لنا أن المؤلف « يدع ما يشاء ويأخذ ما يشاء » بحسب هواه وما يتراءى له كى يصل إلى ما يريد من أن الاستسقاء بالعباس دسيسة من كعب (٣) كى يفسد عقائد المسلمين .

٢ — ثم أى فساد فى العقيدة باستسقاء بالعباس رضى الله عنه ؟ إن المسلمين قاطبة مجمعون على التوسل بالأحياء ولم يقل أحد أن التوسل بالأحياء يفسد العقيدة ، وكيف خفى على المهاجرين والأنصار وفيهم عمر مخالفة الاستسقاء بالعباس للعقيدة حتى وقعوا فيما وقعوا فيه ؟ وكيف خفى على فقهاء الأمة ومحدثيها أن حديث أنس مدسوس فحكموا عليه بالصحة واستدلوا به ؟ إن هذا مما لا ينقضى منه العجب ! ! ! ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

(١) انظر شرح النووى على مسلم ج ٦ ص ١٨٨ وزاد المعاد ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٢) المغنى والشرح الكبير ج ٢ ص ٢٩٥ .
(٣) لو أن كعبا كان أحد رواة حديث أنس أو كان أنس معروفا بالأخذ عن أهل الكتاب لجاز عقلا ما ذهب إليه المؤلف أما والحديث لا يمت إلى كعب من قرب أو من بعد فقد انسدت مسالك الاحتمال .

# الروحية الحديثة

## دعوة هدامة

---

من أعجب أساليب الهدم فى أيامنا هذه وأخبثها أسلوب يتزى بزى الروحية ، ويظهر بمظهر المحارب للإلحاد والمادية ، ويتخذ ـ بزعم أصحابه ـ أسلوب العلوم التجريبية فى استدعاء أرواح من مات ومناجاتهم واستفتائهم فى مشكلات الغيب ومعضلاته ، والاستعانة بهم فى علاج مرضى الأبدان والنفوس ، وفى الإرشاد إلى المجرمين ، وفى الكشف عن الغيب والتنبؤ بالمستقبل .

والهدامين أساليب فى الكيد وفى التسلل إلى قلوب الضعفاء وعقولهم تلائم كل عصر . وهذا العصر الذى نعيش فيه هو عصر العلوم التى كشفت تجاربها فى القرن الأخير عن أعاجيب وأفانين لم تكن تخطر للخيال ، مما دعم سلطانها فى النفوس وأكد توقير الناس لها واحترامهم لكل ما يذهب مذهبها ويصطنع أسلوبها أو يحمل اسمها . وأصبح هذا الأسلوب بابا واسعا يدخل منه ذوو الأهواء والأغراض ، فلبست يد الهدم قفاز العلم واستطاعت من وراء هذا القفاز أن تصافح كثيراً من العقول وأن تتسلل إلى كثير من البيئات والأوساط ، دون أن يداخل الناس شك فى أمرها . فرأينا الدراسات النفسية والتربوية والاجتماعية تسخر لهدم الدين والخلق وبث الفوضى والانحلال . ورأينا دراسات فى أصول الأجناس تسخر لتدعيم النزعات القومية المتطرفة التى هبت ريحها على العالم فى القرن الأخير من أوروبا وانتشرت فيه كما ينتشر الوباء ، ولا يزال يسرى متنقلا يقتل الأنفس ويجتاح الأرضين حتى بعد أن تتطهر منه الأرض التى نبت فيها وانبعث منها ، وهى نزعات تستهدف سيطرة جنس من الناس على سائر خلق الله فى بعض الأحيان ، وترمى إلى بعث الفرقة والشقاق بين المؤتلفين المجتمعين فى أحيان أخرى . ورأينا الدراسات التاريخية تشكل وتلون بحيث تصبح ولا هم لها إلا تقديس زعامات ترد الناس إلى وثنية الجاهلية الأولى ، وعبادة قطعة من الأرض قدستها الأطماع ، وحددتها الظروف والصدف تدعى « الوطن » .

وما وطن الإنسان لو قدر نفسه حق قدره إلا فكرة وعقيدة تتمثل فى دين وفى لغة ، لأن تقسيم الناس والتميز بين أصنافهم وجماعاتهم بحسب الأرضين وبحسب المنافع المادية ينزل بهم إلى مرتبة العجماوات بل إلى منزلة النباتات . ورأينا هذه الدراسات كلها تسير فى ركاب المذاهب والمصالح فى بعض الأحيان ، فتتحول إلى لون من ألوان الدعاية للشيوعية أو اليهودية العالمية أو الرأسمالية أو الاستعباد أو التبشير ، وتشكل فى أحيان أخرى لكى تحقق بعض الخطوات المرسومة فى خطة من خطط هذه المذاهب والمصالح .

وبالجملة أصبحت المعارف الإنسانية فى شتى فروعها موجهة لخدمة المصالح والأهواء . حتى الدراسات الموضوعية الخالصة التى كان يظن أنها أبعد شىء عن عبث العابثين ، لم تسلم من اتخاذها آلة فى يد المغرضين والمفسدين . فرأينا بعض الفروض العلمية أو النتائج الأولى الفجة من ثمار الدراسات الرياضية والتجريبية التى لم تمحصها المراجعة ولم تسبر أغوارها وسائل المعرفة المحدودة المتاحة للبشر ، تتخذ سلاحا لمهاجمة الدين وتشكيك المؤمنين فيما يطمئنون إلى صحته من كتب الله المنزلة على رسله . وبالجملة أصبحت العلوم والمعارف فى شتى نواحيها وميادينها بعيدة عن النزاهة المطلقة التى ترفعها فوق مستوى الشبهات ، وصار واجبا علينا حين ترد علينا قضية من قضايا العلم أن نتريث فى قبولها حتى نستوثق من أن ثياب العلم لا تخفى تحتها باطلا من أباطيل المغرضين .

وليست التجارب والدراسات المقول بأنها روحية إلا واحدة من هذه الدعوات المغرضة التى تخفى سمومها وأباطيلها تحت اسم العلم ، وتعتمد فى خداع المخدوعين بها على ما يتمتع به الأسلوب التجريبى فى دراسة الظواهر الطبيعية والإنسانية من تقدير واحترام فى هذه الأيام . وقد لقيت هذه المزاعم فوق ما يتوقعه أصحابها من رواج ، حتى تسابقت إلى تتبع أخبارها ونشر دعاواها صحف ومجلات لم تكن من قبل تنشط لشىء يمس الروح أو الحياة الآخرة ، ولم تكن فى يوم من الأيام داعية إلى الدين أو الإيمان بالله ، وكان كثير ما تنشر تلك الصحف والمجلات، فى هذا الباب أدنى إلى الدعاية منه إلى الخبر. فنشرت مجلة (صباح الخير) ـ وهى فيما أعلم ويعلم القراء أبعد شىء عن شئون الروح كلها ـ مقالا فى عددها الصادر فى ٤ سبتمبر عام ١٩٥٨ تحت عنوان : « مدرس بكلية العلوم يشتغل فى تحضير الأرواح » روت فيه عن الدكتور على راضى المدرس بكلية العلوم بجامعة عين شمس كلاما كله خلط

وتحريف وتزييف للحقائق الدينية وتلبيس لها فى أذهان الناس يؤدى ، إلى زعزعتها واضطراب مفاهيمها . فمن ذلك مثلا قوله إن « عطارد مهبط الأرواح الخاطئة ، تذهب فى أول الأمر لتكفر عن ذنوبها . فجهنم موجودة فى هذا الكوكب » [١]. ومن هذا الخلط والافتراء المضل المفسد مثلا ما رواه الدكتور راضى حين قال : « إن أكبر وسيط عالمى قد حضر إلى القاهرة منذ عدة أشهر . إنه أمريكى لا يزيد عمره عن ٢١ سنة . وتسميه بعض الصحف الأمريكية نبى القرن العشرين لكثرة ما أتى من المعجزات . . . كتبت ورقة لأمى أسألها عن حالها ، وأحضر الوسيط الرد كتابة باللغة العربية رغم أنه لا يعرف منها حرفا » . ويمضى فى سرد هذه الشعوذات حتى يلقى بفريته الكبرى حين يقول : « وأغرب ما حدث فى هذه الجلسة هو ما أعلنته الروح الكبرى ( سوزان ) ؟ ! . . . وفجأة أعلنت سوزان أن جبريل معنا [٢]. . ولم يعرف أحد من هو جبريل . فضحكت وقالت : ألا تعرفون جبريل الذى كان ينزل بالقرآن على محمد ؟ إنه يبارك هذا الاجتماع » . وأكثر من هذا جرأة وأوغل منه فى التدليس ما روته الصحيفة عقب هذا الخبر من أن الدكتور على راضى قد أبدى أسفه لأنه لم يكن يملك وقتذاك آلة لالتقاط الصور بالأشعة تحت الحمراء لكى يلتقط بها صورة سيدنا جبريل عليه السلام ؟ ! ويختم الدكتور على راضى حديثه ـ أو تختمه له المجلة بالدعاية لجمعيته الروحية الجديدة التى سماها ( جمعية الأهرام الروحية ) والتى تم تسجيلها فيما روت الصحيفة وقتذاك منذ أسابيع . وقد اختير هو رئيساً لها ، واختير حسن عبد الوهاب مدير السكرتارية والمحفوظات بوزارة الشئون البلدية والقروية سكرتيراً لها . وضمت إليها عدداً كبيراً من المثقفين فيما يروى رئيسها بين مهندس وطبيب وقاض وسفير ووزير سابق . وأحب أن ألفت النظر هنا إلى أن تسمية هذه الجمعية الروحية باسم ( جمعية الأهرام ) ليس إلا مظهراً من مظاهر العصبية الفرعونية التى تبشر بها هذه الجمعية . وهى تدعو كل ذى بصيرة إلى الاسترابة فى مصدرها وفى أهدافها . ثم إنا نتساءل إن كانت هذه العصبية الفرعونية لا تتعارض مع ما تتظاهر به الروحية من

---

[١] أحب أن ألفت النظر إلى اختلاف ما يروى عن الدوائر المختلفة المشتغلة بالروحية وتناقضه . فالزعم مثلا بأن عطارد هو جهنم ليس متفقاً عليه بينهم . فهو مجرد رواية ، كالذى يحدث فى الدراسات النفسية تماما ، مجرد فروض غير متفق عليها . بيد أن الأمر فيما يتعلق بالدراسات الروحية أخطر وأوغل فى الخداع والتمويه وأكثر جرأة فى الاختلاق .

[٢] عليه وعلى ملائكة الله ورسله السلام . ولعنة الله على الكاذبين .

الدعوة إلى التسامح وإلى العالمية التى لا تفرق بين دين ودين أو بين جنس وجنس على ما يزعم المضللون الذين اخترعوا هذه الأوهام ولفقوها ثم صدروها إلى بلادنا فوجدت رواجا بين كثير من السذج والغافلين حين لم يقبل عليها فى بلاد أخرى إلا النساء والعوانس منهن خاصة ، كما يروى الدكتور راضى نفسه فى وصف جمعية مارلبورن الروحية بانجلترا [١] .
ثم إنا نتساءل هل الفرعونية الوثنية الملعونة فى كتب اليهود ثم النصارى ثم المسلمين تستحق التمجيد عند من يزن الأعمال بميزان روحى تتضاءل أمامه الأهرام والمعابد والمسلات وكل ما خلفه الغرور الكافر من آثار ؟ .

ولم يكن هذا الذى نشرته تلك المجلة إلا مثالا مما تتسابق صحف ومجلات أخرى إلى نشره ، مثل ما نشرته ( آخر ساعة ) عن مزاعم إحدى خريجات معهد الآثار التى تستعين بالأرواح فى الكشف عن مواضع الآثار الفرعونية ، ومثل ما تنشره الصحف والمجلات المختلفة بين حين وآخر من أنباء البيوت المسكونة ، وفتاوى الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير وغيره من منتحلى الروحية فيها ، ومثل ما نشره صاحب « ما قل ودل » فى عددى ٥٨/١٠/١٦ و ١٩٥٨/١٠/٢٤ من صحيفة الأهرام ، مما انساق فيه وراء مزاعم أحد دعاة الروحية الأمريكيين عن الحياة الأخرى ، وهو مبنى على عقيدة التناسخ البوذية ، ومثل ما تجده فى مجلة المصور ( العدد ١٧٦٩ - ٢١ صفر ١٣٧٨ هـ / ٥ سبتمبر ١٩٥٨ م ) تحت عنوان ( نريد تفسيراً لهذه الظاهرة ـ مار جرجس يذبح الأرواح الشريرة ـ تحقيق صحفى بقلم فوميل لبيب ) وهو مقال ملىء بالخرافات والأوهام التى تعيش بين رواد حفلات الزار مما زعم الكاتب أنه يحدث فى كنيسة مار جرجس فى قرية ميت دمسيس فى عيد صاحبها السنوى الذى يبدأ فى ٢٢ أغسطس من كل عام ويستمر أسبوعا كاملا ، ومثل ما نشرته هذه الصحيفة نفسها فى عدد آخر تال ( العدد ١٧٧٦ - ١١ ربيع الثانى ١٣٧٨هـ / ٢٤ أكتوبر ١٩٥٨ ص ٤٩ ) تحت عنوان ( بديعة وروح شوقى ) حيث روت قصة زعمت فيها راويتها المدعوة بديعة حرم الدكتور سلامة ميخائيل أن روح شوقى تملى عليها شعراً من نظمه ، بعد أن قال لها فيما تدعى : « إنى مشفق على مصير الشعر العربى اليوم . لذلك أود أن أغذيه من العالم الذى

---

[١] راجع العدد ١٢٠ من مجلة « عالم الروح » التى يصدرها الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير نقلا عن كتاب « مشاهداتى فى جمعية لندن الروحية » للدكتور راضى .

أعيش فيه » . وعرضت نموذجا سخيفا تافها من هذا الشعر قالت إن عندها من أمثاله ثلاثة آلاف بيت قررت أن تطبعها فى ديوان .

وروت الصحيفة بعد ذلك أنها عرضت الأمر على ( الدكتور على عبد الجليل راضى رئيس جمعية الأهرام الروحية الأستاذ بكلية العلوم ) فصحبهم إلى زيارة السيدة بديعة ثم قرر أن الظاهرة صحيحة وسليمة . والعجب لصحيفة تحتاج لأن تستفتى مثل الدكتور على عبد الجليل راضى وعندها مثل الأستاذ صالح جودت وهو شاعر ذواقة محب لشوقى خبير بشعره لا يخفى عليه سخف هذا الشعر المزيف وغثاثته التى تدل على جهالة مزيفة منذ النظرة الأولى . وأحب أن أنبه القارئ إلى أن لهذه السيدة شعراً كثيراً جداً موزعا بين أعداد السنوات الثلاث الأخيرة من مجلة ( عالم الروح ) التى يصدرها الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير .

وهو شعر ركيك العبارة تافه المعنى لا تصح نسبته لأقل الناس حظا من الموهبة الشعرية ويكفى للكشف عن حقيقته أن يعرف القارئ أنه كان يدور حــول تمجيد الفرعونية والفراعنة وتملقهم ، ثم تحول أخيراً إلى الاهتمام بالشئون العربية ، فظهر فى العدد ١٢٦ الصادر فى إبريل ١٩٥٨ قصيدة على لسان شوقى - المظلوم حيا وميتا رحمه الله - تحت عنوان ( بين جميلة وأم خالد وأمل ) تدور حول تمجيد جميلة الجزائرية ، وتنتهز فرصة الجفوة التى وقعت بين مصر والسعودية وقتذاك لتوسيع الخرق بالتنديد بأم خالد السعودية والشماتة بفسخ خطبة ( أمل ) السورية إلى ابنها ( خالد ) .

وأنا أترك للقارئ أن يتدبر ويقرر إن كان صاحب هذا الشعر محبا للعرب حريصا على جمع شملهم ورأب صدعهم أم أنه كائد لهم إذا رأى ناراً أوسعها حطبا بدل أن يطفئها بالماء . ولعل مجلة ( المصور ) قد حرفت الاسم الصحيح حين روته ( سلامة ميخائيل ) فمجلة ( عالم الروح ) تذكر هذه الوسيطة المزعومة دائما على أنها ( حرم الدكتور سلامة روفائيل ) . وهناك وسيط آخر للكتابة التلقائية أشار إليه الأستاذ أبو الخير فى مقدمة ترجمته لكتاب ( ظواهر حجرة تحضير الأرواح - ص ٥٧ ) اسمه وديع ميخائيل .

ومن المفيد فى هذه المناسبة أن يعرف القارئ أن رئيس الجمعية المصرية للبحوث الروحية التى يتولى أمانتها العامة الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير كان هو الأستاذ وهيب دوس

المحامى . وقد نعته مجلة ( عالم الروح ) إلى قرائها فى عددها ( ١٣١ ) الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٥٨ .

ومن المفيد أيضاً أن يعرف أن من أعضائها الشاعر اللبنانى ( حليم دموس ) الملقب عند المجلة الروحية بشاعر الروح . وقد نشر له فيها سلسلة مقالات فى تمجيد دجال مشهور اسمه داهش كانت السلطات اللبنانية قد طردته سنة ١٩٤٤ ، أحاطه فيها بهالة من التقديس ترفعه إلى مرتبة النبوة ، وقد جعل كل مقالاته تحت عنوان ( الرسالة الداهشية ) .

ومن المفيد كذلك أن يعرف أن الدكتور صابر جبرة كبير صيادلة القصر العينى كان عضواً فى مجلس إدارة هذه الجمعية ، وكان فى الوقت نفسه أحد وسطائها . وقد نعته مجلتها ( عالم الروح ) فى العدد ( ١٢٢ ) الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ . والدكتور صابر جبرة هو أخو الأثرى الفرعونى المعروف الدكتور سامى جبرة الذى تردد اسمه منذ سنتين فى قضية سرقة الآثار التى قدم المتهم الأول فيها - وهو أمريكى - للمحاكمة . وللدكتور صابر جبرة مقالات كثيرة فى مجلة ( عالم الروح ) يتسم أكثرها بطابع فرعونى . ولمن شاء أن يتحقق من صدق نيته فيما كتبه عن الفرعونية وفيما كان يضفيه على نفسه وعلى أقواله من سمات الروحية التى تدعو إلى نبذ التعصب للأديان ، أن يرجع إلى مقال له عن ( نصيب القبط فى تقدم العلوم ) ص ٩٥ - ١٠٢ فى كتاب « صفحة من تاريخ القبط » ، وهو الرسالة الخامسة من مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية .

والواقع أن صانعى الروحية الحديثة ومروجيها لهم منطق خلاب جذاب فى تدعيم دعاواهم ولفت الأنظار إليها وجمع الأنصار والأصدقاء حولها . فهم يدعمون دعاواهم بنصوص مما جاء فى الكتب السماوية من المتشابه الذى يجازفون بتأويله حسب أهوائهم ، ومن الواضح الصريح الدلالة الذى يحرفونه عن مواضعه بعد أن يبتروه من سياقه ويقطعوه من مناسباته ليضربوا ألفاظه عن مدلولها جاهلين أو متجاهلين . وهم يدعمون هذه الدعاوى أيضاً بنصوص من المأثور فى التاريخ عن السابقين الأولين من المجاهدين والحواريين والصالحين بعد أن يخضعوه لمفاهيمهم ويقيسوه إلى أشباه له مما ينسبونه لوسطائهم ، مما جرت نظائره ولا تزال تجرى على أيدى المشتغلين بالشعوذة والطلاسم . ولهم براعة فائقة فى تدعيم ذلك كله بالعلم التجريبى الحديث وربطه بقواعده وأصوله ، والاستعانة على ذلك

بأجهزة وآلات يضفى على أوكارهم ثوب الجد والوقار الذى ينبغى للبحث العلمى المنزه عن الأغراض والمحاط بالضمانات التى تدفع تهمة الغش والخداع . لذلك لم يكن عجيباً أن تجتذب دعاواهم كثيراً من الأسماء الضخمة الرنانة فى الشرق وفى الغرب . ولقد خدع بهم الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله فأوسع تفسيره نقلا عن مزاعمهم ودعاواهم مما أدخل الضعف والفساد على كتابه ذاك فى كثير من المواضع .

ولقد تسربت سمومها إلى هذه المجلة ( مجلة الأزهر ) فى الفترة التى رأس فيها تحريرها الأستاذ فريد وجدى . وإن عدواها لتسرى الآن فى ( مجلة الإسلام والتصوف ) ، فقد وقع فى يدى منذ أيام عددها السابع الصادر فى جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ فوجدته محشواً بضلالاتها الفاسدة المفسدة ، ولا سيما فى مقال إبراهيم الكواز عن « الوساطة الروحية والرسالة - ص ٣٥ - ٢٧ » . بل لقد خدعت أنا نفسى بدعاواهم ومزاعمهم منذ عشرين عاما ، وكنت وقتذاك فى غرارة الشباب حديث التخرج من الجامعة ، وسأبين ذلك بمقال آخر فى الجزء الآتى إن شاء الله ؟

**الدكتور محمد محمد حسين**



---

# الأباطيل المدسوسة على السلف

قال قاضى قضاة الأندلس أبو بكر بن العربى وهو من أئمة المالكية : « الناس إذا لم يجدوا عيباً لأحد وغلبهم الحسد عليه وعداوتهم له ، أحدثوا عيوبا . فاقبلوا النصيحة ، ولا تلتفتوا إلا إلى ماصح من الأخبار . واجتنبوا أهل التواريخ فإنهم ذكروا عن السلف أخباراً صحيحة يسيرة ، ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطيل ، فيقذفوا فى قلوب الناس مالا يرضاه الله ، وليحتقروا السلف ، ويهونوا الدين ، وهو أعز من ذلك ، وهم أكرم منا ، فرضى الله عن جميعهم .

ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هـــذه الهتوك التى يختلقها أهل التواريخ فيدسونها فى قلوب الضعفاء .

# عودة إلى بيان إمكان

## توحيد بدء الشهر الشرعي

## في جميع الحكومات الإسلامية شرعياً وفلكياً

---

أجملت الكلام سابقا على هذا الموضوع في بنود عشرة قد نشرت في الجزء الثالث لسنة ١٣٧٧ هـ من مجلة الأزهر وقد تبين لي بعد مناقشة بعض الأساتذة وورود كثير من الأسئلة أنه لابد من ذكر فقرات لشرح هذه البنود وإيضاح أدلتها الشرعية والفلكية وقد فصلتها في ( ١٢ فقرة ) .

قلت في البند الأول : « ثبت بعد البحث والتحرى أن الشريعة الإسلامية لا تمنع من ثبوت الشهر الشرعي في أي حكومة إسلامية إذا نقل إليها بالإذاعة اللاسلكية الرسمية خبر ثبوته شرعا في حكومة إسلامية أخرى ، ولو كان بينهما اختلاف مطالع مع بقاء وحدة التاريخ واسم اليوم الأسبوعي » انتهى .

وقد أضفت إلى هذا البند فقرتين لشرحه :

حاصل الأولى : لما كان الغرض من هذا البند سلوك طريق متفق عليه من أئمة الفقه تجنبا لاختلافهم في نقل الشهادة بنفس الرؤية لإثبات الشهر في المطالع المختلفة ووجدت أن الطريق الأنسب بل المتعين هو نقل حكم القضاء الشرعي الصريح أو الضمني من مطلع إلى آخر ولو كانا مختلفين باتفاق أئمة الفقه وسيأتي بيانه في فقره (٢) .

ومعناه بعبارة أخرى : « يجوز لسائر الحكومات الإسلامية في مطالع مختلفة أن تنفذ حكم القضاء الشرعي الصادر صراحة أو ضمنا في إحداها بثبوت الشهر إذا بلغ إليها بطريق مقطوع بصدقه كاللاسلكي الرسمي » .

وأصله : « يجوز شرعا لأي قاض شرعي في أي مطلع أن ينفذ حكم قاض شرعي آخر في مطلع آخر إذا وصل إليه خبره بطريق قطعي » وحينئذ يجب شرعا على جميع المسلمين في هذه المطالع المختلفة أن يعملوا بمقتضى أمر قاضيهم هذا من صيام أو إفطار أو غيرهما

عند إعلانه إليهم مع بقاء وحدة التاريخ واسم اليوم الأسبوعى وعلى من لم يعلن إليهم هذا الأمر قبل الفجر أن يمسكوا ويقضوا يوما بعد مضى هذا الشهر .

وأما الفقرة الثانية فحاصلها : لا كلام فى أن مطالع الشمس والقمر تختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة وتتعدد بتعددها وأن هذه نظرية مبرهنة فى علم الفلك ومعروفة لدى الشرعيين من العهد الأول فى الإسلام .

ولا كلام فى أن « اختلاف مطالع الشمس معتبر شرعا بمعنى أن الأحكام الشرعية المتعلقة بمطالع الشمس تختلف باختلافها وتتعدد بتعدد أمكنتها وأزمنتها . وأن هذا أمر واقعى ومعمول بمقتضاه من عهد النبوة ولم يعهد فيه أى خلاف إلى الآن . . .

وإنما الكلام فى أن « اختلاف مطالع القمر » هل هو معتبر شرعا كمطالع الشمس أولا ؟ .

بمعنى أن الأحكام الشرعية المتعلقة بمطالع القمر هل تختلف باختلافها وتتعدد بتعدد أمكنتها وأزمنتها أولا ؟ .

وهذه مسئلة فقهية تم بحثها بين أئمة الفقه فى أول عصور الإسلام بعد اتساع آفاقه وتعدد أقطاره إذ قال البعض باعتباره شرعا . وقال البعض بعدم اعتباره . ولكل وجهة . والقول بعدم اعتباره هو الراجح المعتمد عند الحنفية والصحيح عند الحنابلة .

ولما كان القول باعتبار اختلاف مطالع القمر شرعا ينحصر فى نقل شهادة الرؤية من مطلع إلى آخر دون « نقل حكم القضاء الشرعى بثبوت الشهر » إذ استثناه الشافعية والمالكية من هذا الاعتبار . فقد قال العلامة « ابن حجر الهيثمى » الشافعى : إن اختلاف مطالع القمر معتبر شرعا عند الإمام الشافعى، ما لم يحكم بوجوب الصيام حاكم يراه ، فإنه يلزم الجميع العمل بموجب ذلك الحكم ... انتهى .

وفى المختصر وشرحه للشيخ عبد الباقى المالكى : وعم الخطاب بالصوم سائر البلاد إن نقل ثبوته عند أهل بلد بعدلين وبالرؤية المستفيضة عنهما أى عن الحكم برؤية العدلين ، أو عن رؤية مستفيضة ... انتهى .

لما كان كذلك ، أعنى أن نقل الشهادة والحكم عند الحنفية والحنابلة ، وأن نقل الحكم عند الشافعية والمالكية لا يؤثر عليه اختلاف مطالع القمر ، اخترت أن تكون عملية توحيد إثبات الشهر إنما تكون بين الحكومات كمنطوق البند الأول . ويكون موضوع المسئلة الفقهية البعيدة عن النزاع هكذا . . .

« حكم القضاء الشرعى ببدء الشهر صراحة أو ضمنا هل يختص بمطلع بلد هذا القضاء عند اختلاف مطالع القمر أو لا » ؟ ...

وقد تبينا إجماع الكل كما تقدم على أنه لا يجب اختصاص حكم القاضى الشرعى بمطلع بلده ، بل لقاضى المطلع الآخر أن ينفذ حكم قاضى المطلع الأول إذا نقل إليه بطريق مقطوع بصدقه ، ومتى أعلن القاضى الثانى أمره بالتنفيذ وجب على جميع المسلمين فى أفقه العمل بمقتضاه من صيام أو غيره ...

وأما توضيح البند الثانى فلكياً وشرعياً ففى فقرة واحدة حاصلها :

أعنى بمضمون هذا البند أن كل دول العالم قد اتفقت مدنياً على جعل « المبدأ الدورانى لليوم المدنى » عند خط الطول المقابل لجرينتش المار بالمحيط الهادى شرق آسيا المسمى : « خط تغيير التاريخ » بمعنى أنه إذا كان اليوم والتاريخ فى أمريكا شرق هذا الخط ( الأحد ٢٢ مايو ) مثلا يكون فى شرق آسيا غرب هذا الخط ( الاثنين ٢٣ مايو ) .

وليس فى الشريعة الإسلامية أى مانع من أن تتفق الحكومات الإسلامية أيضا على اعتبار « المبدأ الدورانى لليوم الشرعى عند هذا الخط » إذ أن الشارع إنما ترك تحديد هذا المبدأ لليوم الشرعى فى مبدأ الإسلام لاختيار المسلمين حسب ظروفهم بعد اتساع آفاقهم .

على أن هذا المبدأ الدورانى لليوم الشرعى منفذ بالفعل فى الجداول الفلكية والنتائج السنوية وغيرها ، إذ أن محرريها يعتبرون اليوم الشرعى سابقا على المدنى بربع يوم دائما فى المبدأ الزمانى ، ويلزمه المساواة بين اليومين المدنى والشرعى فى المبدأ المكانى الدورانى . . .

بحيث إذا تصورنا دوران نصف الليل الذى هو المبدأ الزمانى لليوم المدنى من خط تغيير التاريخ نحو الغرب منه أعنى إلى آسيا ثم إفريقيا وأوربا والأطلانطى ثم أمريكا وهكذا فكذلك نتصور دوران المغرب الذى هو المبدأ الزمانى لليوم الشرعى من هذا الخط على هذا الترتيب وكل بلد يمران به يتجدد فيه اسم اليوم والتاريخ مدنيا وشرعيا ...

ومن حيث إنه إذا مر « نصف الليل » على القاهرة مثلا ثم تركها نحو الغرب ساعة واحدة صح لنا أن نقول إن الساعة عندنا أى فى « القاهرة » الواحدة صباحا أى بعد نصف ليلنا من يوم ( الاثنين ٢٣ مايو ) بعد أن كان قبل هذه الساعة ( الأحد ٢٢ مايو ) بينما تكون الساعة لا زالت فى لندن (١١) من مساء الأحد ( ٢٢ مايو ) وهكذا يمر نصف الليل بالبلد الشرقى قبل الغربى وبمروره يتجدد اسم اليوم والتاريخ من الشرق إلى الغرب بلدا بلدا على هذا الترتيب ...

فكذلك إذا مر ( المغرب ) بالقاهرة ثم تركها بساعة واحدة قلنا : إن الساعة عندنا الواحدة بعد المغرب من ( يوم الاثنين ٣ رمضان ) مثلا بالتوقيت والتاريخ العربى ( الإسلامى ) أو الساعة ٧ مساء من يوم ( الأحد ٢٢ مايو ) بالتوقيت والتاريخ المدنى ( الإفرنكى ) وهكذا ...

وبذلك يتبين أن عمل جميع الحكومات الإسلامية بل كل المسلمين فى بقاع الأرض برؤية أى بلد وحكم قضائها بثبوت الشهر ولو كانت أبعد الحكومات إلى الغرب كراكش مثلا لا يلزم عليه أى خــلاف أو تغيير فى التاريخ أو فى اسم اليوم الأسبوعى خلافا لما فهم البعض ...



وأما شرح البند الثالث ففى فقرة واحدة أيضا حاصلها :

أريد بهذا البند أن « الإعلام » بوجوب صيام هذا اليوم ( السبت ٢٣ مايو مثلا ) بعد أن مضى منه تسع ساعات بعد المغرب لا يقدح فى تسميته ولا فى تاريخه ( ٢٣ مايو ) أو ( ٣ رمضان ) ولا يلزم عليه أى مانع أو محرج فى صيامه أو فطره أو تعييده أو جعله أول شهر رمضان أو شوال أو ذى الحجة مثلا ، وليس هناك أى داع مدنى أو شرعى إلى نزع هذه الاعتبارات عن أى مكان فى هذه الدورة اليومية وإرجاء هذه الاعتبارات إلى الدورة التى بعدها فى هذا المكان بما يلزمه من الخلافات الاجتماعية مدنيا ودينيا وإحداث البلبلة والفوضى والاضطراب بين المسلمين فى أمور دينهم ودنياهم هنا وهناك ...

أقول هذا بعد أن رفع الحرج بإنشاء الإذاعة اللاسلكية . وعبرت الطائرات القارات والمحيطات واتصلت جميع أجزاء سطح الأرض بأنواع المواصلات . أعنى أن أساس إمكان

هـذا التوحيد فى زمننا هذا إنمـا هو آية اللاسلـكى . ومن يدرى أن آية ( التلفزيون ) بعد إتقانها وتعميمها سيرى بها أهل القاهرة بل أهل أندونيسيا شخص الهلال وهو أفق مراكش بعد غروب الشمس هنالك وبذا يرتفع خلاف الفقهاء أيضاً فى نقل نفس الرؤية : « سنريهم آياتنا فى الآفاق » صدق الله العظيم .

وأما شرح البند الرابع ففيه ( ٣ فقرات ) حاصل الأولى :

أريد : « بنص الشارع » ظاهر اللفظ فى حديث ( صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا ) إلخ وأما القول بأن لفظ الحـديث لا يفيد الحصر فى « الرؤية والإكمال» أو أن الحساب مراد فى رواية ( فاقدروا ) فلا يزحزحنا عن التمسك بهذا الظاهر ما دام لم يصح إسناد الثانى ولا دليل على الأول . . .

ولا غرابة فى أن نتمسك بهذا الظاهر إذ أنه رأى الجهور . وبيانه أن من يستوعب كلام المحققين من علماء الفقه وشراح الحديث يجدهم لايخرجون فى تفسير « النصوص الشرعية » فى هذا الموضوع عن معنيين اثنين :

أولهما : حصر مناط إثبات الشهر فى « الرؤية والإكمال » كما قدمنا وقائله جمهور السلف والخلف فى الحجاز والعراق والشام ومصر وبلاد المغرب ومنهم الأئمة مالك وأبو حنيفة والشافعى والأوزاعى والثورى رضى الله عنهم ، وسندهم فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : « فإن غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين » . وفى رواية : « فأكملوا العدة ثلاثين يوما » قالوا وهـذا تفسير لإجمال قوله صلى الله عليه وسلم : « فاقدروا له » من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وحمل المجمل على المفسر من قواعد الأصوليين التى لا خـلاف فيها إذ لا تعارض بين المجمل والمفصل عندهم ، قالوا : ولا يجوز أن يـكون المراد « حساب الفلكيين » لأن الناس لو كلفوا به لضاق عليهم إذ لا يعرفه إلا أفراد ، والشرع إنمـا يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم ...

« وحاصل المعنى الثانى » عدم حصر المناط فى « الرؤية والإكمال » وفيه رأيان ، فأصحاب الرأى الأول يقولون : إن معنى التقدير فى قوله صلى الله عليه وسلم ( فاقدروا له ) التضييق والتنقيص إلى ( ٢٩ يوما ) فى حالة الغيم وشبهه كقوله تعـالى : « ومن قدر عليه رزقه »

أى ضيق ويكون المعنى قدروا الهلال تحت السحاب فيبقى الشهر القديم ضيقاً ناقصا ( ٢٩ يوما ) وتكون ليلة الغيم أول الشهر الجديد على عكس معنى قوله ( فأكملوا ) وقائله الإمام أحمد ابن حنبل وتبعه قوم إلا أن منهم من تأول ( التقدير ) بمعنى قدروا له زمانا يطلع فى مثله الهلال ، أو يكون معناه فاعلموا من جهة الحكم أنه تحت الغيم كقوله تعالى : « إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين » أى علمناها . . .

« وحاصل الرأى الثانى » أن معنى التقدير فى الحديث :قدروه بالحساب والمنازل كقوله تعالى : « وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » قاله مطرف بن عبد الله من التابعين وابن قتيبة من المحدثين وابن شريح من الشافعية وطائفة من المتأخرين . وتمام الكلام فى مقال آخر إن شاء الله ؟

محمد أبو العلا البنا

أستاذ الفلك بكلية الشريعة



## تدريس الطب بالعربية

طالب الدكتور بشير العظمة وزير الصحة المركزى فى الإقليم الجنوبى بتدريس الطب باللغة العربية فى الجامعات المصرية الأربع ، وقرر أن الإقليم الشمالى نجح فى عشرات السنين الماضية بتعليم الطب بالعربية .

وقال الدكتور أحمد عمار عميد كلية طب الدمرداش إنه يؤيد وزير الصحة المركزى فى هذا الطلب .

# إلى الروحيـــــــــة

غريب فى هذا العصر وفى هذا المصر أن يكتب كاتب ليدعو الناس إلى الاقتصاد فى فى العمل ، والإجمال فى الطلب ، والتخفيف من السعى للحياة ، والإقبال على الدين وما فيه من غذاء للنفوس والأرواح .

نعم ، دعوة غريبة فى وقت تجاوبت أصداء الخطباء على المنابر فى الندوات والجمعيات ، وتظاهرت أقلام الكتاب فى الصحف والمجلات ، تستنهض أبناء الوطن إلى العمل ، وتستحثهم إلى الجد والسعى ليواجهوا مطالب الحياة، ويرتفعوا بمستواهم الاجتماعى، ويعيشوا فى أوطانهم سادة قادة لا مجال بينهم لطامع ولا مستغل ولا غاصب .

لقد أثمرت الدعوات إلى العمل ثمراتها فى مصر وفى غيرها من أنحاء العالم ، فعمل الناس وعملوا ونافسوا الآلات فى جدها ونشاطها ، واستطاعوا أن يتجروا وينتجوا ، وأن يقتصدوا ويجمعوا ، واستطاعوا بنشاطهم العلمى والاقتصادى أن ينشئوا حضارة باهرة بارعة ، شملت البر والبحر والجو ، وتدخلت فى شئون حياتهم العامة والخاصة ، فى المنازل والشوارع والحقول والمصانع، ولكن ذلك لم يملأ نفوسهم بالبهجة والغبطة ، ولم يحقق أمانيهم فى المتعة والرضا واستشعار اللذة ، واستولى على مشاعرهم القلق والخوف ، واليأس والقنوط ، وسارت حالهم عكسيا مع الحضارة والعمران ؛ فكلما تقدمت الحضارة ازداد السخط والتبرم بالحياة ، وازداد حنينهم إلى السكون والراحة النفسية ، ينشدونها فى الأشربة والملاهى ، وفى السياحة والرياضة ولا يحلون من ذلك بطائل .

وأكثر الجماعات قلقا وانزعاجا أرقاها ، وأشد أفرادها فى ذلك أغناها ، وكثير ممن يقتلن أنفسهن منتحرات هن ممثلات السينما اللواتى واتاهن الحظ المادى ، وتوافر لهن الترف الحسى . وكن محاط الأنظار فى الأمصار ، ومنهن من هرب من هذا القلق إلى الأديرة والمعابد ينشدن الهدوء النفسى والاستقرار الروحى الذى فشلت الحياة المادية بمالها وجاهها ورفاهيتها ونعمائها فى أن تحققه لهن .

لا شك أن أكثر مجتمعات العالم يسودها القلق والسخط ، وأنها تعانى منه آلاما وأمراضاً نفسية ، وأن هناك إحساسا بذلك ، وأن ذلك الإحساس أخذ يشتد ويقوى حتى لفت أنظار العلماء فى المجتمعات الأوربية والأمريكية، وأخذوا يتدارسون العلل والأسباب

ويفكرون فى الأدوية والعلاجات ، وأن فى هذه الدراسات ما ينبغى أن يكون موضع نظر لكثير من كتابنا والقائمين على دعوات الإصلاح فينا وربما دعاهم النظر إلى العدول عن كثير من مناهجهم فى دعوات الإصلاح ، وإن من حسن الحظ أن أتاحت الفرص الحاضرة لبعض كتابنا المنصفين أن يطوفوا بالعالم ويدرسوا بعض مظاهر الحياة فى شعوبه ومجتمعاته، وأن ينقلوا إلينا صورا من تلك الحياة التى تحياها وتعيش فيها مجتمعات العالم المتحضر الذى يروق لكتابنا أن يجعلوه القدوة والمنهج الصالح لحياة الشعوب والجماعات ، كما أن من حسن الحظ أن مجتمعاتنا لم تصل إلى الغاية التى وصلت إليها المجتمعات الغربية من القلق النفسى لعوامل كثيرة يطول شرحها ، وأهمها سيطرة الروح الدينية على كثير من أفرادها، والحرص على تقاليدنا الشرقية الفاضلة ، فعلاجها أيسر من علاج المجتمعات الغربية .

إن ما ذكره الكتاب من أسباب الفساد فى المجتمعات الغربية التى تكشفت عنها الدراسة ما يأتى :

١ — إقفار النفوس من الوازع الدينى وإهمال التعاليم الدينية .

٢ — الحرية المطلقة التى منحت للمرأة وتحررها من سلطان الرجل ، واندفاعها العاطفى نحو ما تشتهى وما تحب .

٣ — اشتراكها الكامل مع الرجل فى التعليم والعمل وفى الحياة العامة .

٤ — تهافت الشباب على الملاهى وعلى الأفلام السينمائية التى تعالج مسائل الجنس وتعتمد على إثارة الغرائز الجنسية .

٥ — تهالك الناس على المال تهالكا لا يبالون فى طريقه بالمشروع من الوسائل وغير المشروع .

هذه بعض الأسباب التى وصل إليها علماء الغرب فى دراستهم لفساد المجتمعات الغربية وإنها لأسباب وجيهة وحقيقية [illegible] وكانت تقابل بهز الأكتاف وإنغاض الرءوس .

لقد قلنا : إن امتلاء النفوس بالإيمان وبالوازع الدينى هو صمام الأمن فيها ، وهو الرقيب المسيطر على سلوكها وتصرفاتها ، يعصمها من الزلل ، وينير لها طريقها فى الحياة ، ويقدرها على التمييز بين المشروع وغير المشروع من الأعمال والعلاقات . وإن الدين دستور الحياة

الشريفة الراقية ، والأخلاق الواقية العاصمة . وقلنا : إن إلقاء الحبل على الغارب للمرأة طريق مخوف لا تؤمن عاقبته ، ولا تحمد مغبته . وإقحامها فى الأعمال كلها بلا تمييز بين ما يناسبها وما لا يناسبها خطر على الأسرة وعلى الأطفال وعلى المجتمع . وقلنا : إن الفوضى فى عرض الأفلام السينمائية وخصوصاً ما يعالج منها مسائل الجنس والحب والجرائم ، مفسدة لشبابنا ومجتمعاتنا ويعرضهم للمحاكاة والتقليد .

ومجمل العلاج فى نظرهم : إحياء الدعوة إلى الروحية ، أى العودة إلى الدين وإيقاظ النفوس لتقبل تعاليمه ، ومحاولة بثها بين الشباب فى المعاهد والمعابد ، وفى الصحف والمجلات ، حتى يستيقظ وعيهم الدينى ويكون له السيطرة على تصرفاتهم وسلوكهم ، والدعوة إلى عودة المرأة إلى مكانها الطبيعى فى بناء الأسرة ، وتدبير شئون المنزل ورعاية الأطفال رعاية صالحة ، فقد كان انصرافها عن المنزل إلى العمل عاملا من عوامل سوء التربية فى الأجيال التى نشأت فى ظل هذا النظام ، والدعوة إلى رقابة الأفلام السينمائية رقابة حازمة وحظر عرض ما يتناول مسائل الحب والجنس والجرائم البوليسية حتى لا تفسد وجدانات الشباب وسلوكهم بالتقليد والمحاكاة ، وإلهاب غرائزهم وعواطفهم دون أن يكون لهم القدرة على ضبطها وكبح جماحها .

هذا إجمال سريع لصور الحياة فى المجتمعات الغربية وما تعانيه من فساد ، وهذه دراسة علمائه فى أسباب ذلك وفى علاجه ، ومن العجيب أن هناك تشابهاً قوياً بين ما يشكونه وما شكوناه ، وبين ما يكتبونه وبين ما كتبناه ، وقد خوصمنا فى ذلك وهوجمنا واتهمنا بالجمود والرجعية ، ورأينا أن نترك هؤلاء المخاصمين للزمن يتولى إقناعهم ، وللتجربة تكشف أخطاءهم ، وهؤلاء هم علماء الغرب يتولون عن دراسة وتجربة ما قلناه ، ويلتقون معنا فى تشخيص العلل والأدواء . فهل يلتقى معنا بعض الكتاب الذين يهزءون بالروحية والعدل القاصد ، ويدعون إلى حرية المرأة حرية مطلقة دون سدود أو قيود . ويناصرون الأفلام الماجنة بدعوى الاستنارة والتثقيف ؟

نرجو ذلك ، لنكون وإياهم قوة دافعة نافعة تصلح من شأن المجتمع وتدفع عنه ما يتهدده من الأخطار التى يعانيها غيرنا ويألم لآثارها ، ويسعى جاهداً لعلاجها ، إن الأمل فى ذلك كبير ، فقد قال الغرب كلمته ، وإذا قال الغرب، فليسمع أولئك الكتاب وليسمع الزمن .

أبو الوفا المراغى

# مختارات من الفتوى

رأت إدارة مجلة الأزهر أن تنشر من وقت لآخر بعض الفتاوى التي تصدرها لجنة الفتوى بالأزهر مما تكون الظروف داعية إلى نشره حسبما تسمح به إمكانيات المجلة .

بسم الله الرحمن الرحيم :

## حكم الإجهاض

السؤال ـ من السيد / أستاذ قسم الطب الشرعي بجامعة القاهرة :

ما رأى الشريعة الغراء فى مسألة إجهاض المرأة الحامل ومتى يكون مباحا ومتى لا يباح . وهل يجوز إسقاط من حملت اغتصاباً ؟ ومن حملت سفاحاً ؟ ومن حملت من محرم ؟ ومن كثر ولدها ؟ وهل يجوز الإجهاض بقصد علاج أو مرض ناشئ عن الحمل ولو كان مرضاً نفسياً كحالة الحمل السفاح مثلا ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فنفيد بأن بعض المذاهب الفقهية يمنع الإجهاض مطلقاً ( سواء أكان الجنين حياً فى الرحم أم لم تنفخ فيه الروح ) لأن المادة مادة حية، وإنزالها وأد لجنين وهو ممنوع شرعاً، وذهب باقى الأئمة إلى جواز إسقاط الحمل ما دام لم تنفخ فيه الروح ، والزمن الذى يكون فيه الجنين غير ذى روح معروف للأطباء المختصين، وقد قدره الشرعيون بما دون أربعة أشهر . وعلى هذا القول لا يجوز الإجهاض إلا لضرورة معتبرة شرعا ، كما إذا كان بقاء الحمل مضراً ضرراً بليغاً بصحة الحامل أو مفضياً إلى موتها إذا ثقل حملها أو وضعت ، وفى غير حالات الضرورة لا يباح الإسقاط ، والضرورات تقدر بقدرها ، وليست محصورة فى عدد ، وإنما المناط فيها أن تكون ضرورة فى نظر الشارع .

والجنين فى نظر الشارع محترم يحافظ عليه ولو كان من زنا بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقم الحد على من زنت وكانت حاملا حتى وضعت . وفى رواية حتى مضى زمن بعد الوضع ترعى فيه الجنين ، فلا يكون مجرد كونه من الزنا موجباً لإسقاطه . والله أعلم .

حسنين محمد مخلوف

رئيس لجنة الفتوى

# الدين ... والانسان على الأرض

« السعادة : أنتركها وديعة بين يدى العالم الآخر ؟ . .

السعادة : فلنقتنصها على الأرض . .

أسرعوا ، نحن فى عجلة ، لا ضمان فى الغد ، ولا عبرة إلا بالحاضر . .

غافل من يقامر على المستقبل ، فلنضمن أولا رفاهية بشرية صرفة »

هكذا يصور بول هازار Paul Hozard « أزمة الضمير الأوربى ١٦٨٠ - ١٧١٥ م »

انتقلت الأزمة سريعا من أرجاء الأرض . . ووصلت بوادرها إلينا .

فما موقف الإسلام تجاه أزمة الإنسان ؟ ؟

* * *

يقولون إن عصر النهضة الأوربية هو الذى عرف للإنسان قدره ، وأنزله منزلته . . . نقل الاهتمام من ( الإله ) إلى ( الإنسان ) ، ونقل المعرفة من السماء إلى الأرض . . .

وأحدث هذا رد فعل عنيف : لقد تجرأ كوپرنيكوس وجاليليو أن يتكلما عن الفلك والطبيعة دون تقيد بما ورد فى التوراة والإنجيل ، وتجرأ العلم أن يتحدث عن عوالم هائلة لا تعد بجانبها ( اللعبة الأرضية ) التى يعيش عليها الإنسان شيئاً مذكوراً . . كيف : والمفروض أن الكوكب الذى يعيش عليه الكائن الإنسانى ينبغى أن يكون أشرف ما فى الوجود ؟ ؟

واستمع الناس فى دهشة ووجل إلى بايل Rerre Bayle سنة ١٦٨٣ م يقول :

« كلما درسنا الإنسان أيقنا أن الخيلاء شهوته المتسلطة عليه ، وأنه يصطنع الكبر حتى فى خضم البؤس والكرب . تبآ له ! فقد استطاع بما جبل عليه من ضعف وهوان أن يقنع نفسه بأنه لا يمكن أن يموت دون أن يزعج الطبيعة جمعاء ، ودون أن يجبر السماء

على تجشم نفقات جديدة لإنارة موكب جنازته ! فيا للخيلاء الباطلة الحمقاء ! لو أن لدينا فكرة صحيحة عن الكون ، لفهمنا سراعا أن ولادة أمير أو وفاته مسألة من التفاهة بمكان بالنسبة لطبيعة الأشياء ، وحتى إنه لعبث أن تتحرك من أجلها السماء ! ولكننا نقول مع سنيكا : إن العناية الإلهية لا تغفل عنا وإننا نأخذ نصيبنا منها ، ولكن هدفها يفوق كل ما نتصوره عنها . وإنه وإن كانت حركات السماء تعود علينا بفوائد جلى ، فلا يعني هذا أن هذه الأجرام الهائلة تتحرك محبة فى الأرض ! » .

وماذا عن المعلومات المقدسة المودعة فى سفر التكوين ؟ ؟

إن ريشار سيمون ينشر كتابه « تاريخ نقدى للعهد القديم » سنة ١٦٧٨ م « فترى أى تأثير يتركه فى القارئ إذا ما انتهى ؟ إن قصة الكتاب المقدس عن خلق الكون لا اتساق فيها ولا انسجام ، وإنها كتبت فى أزمان جد مختلفة وبأياد لم تؤت المهارة ولا الأهلية ، وإنها على الأقل اعتراها كثير من التبديل وفى غير حذق ، حتى أصبح من المستحيل أن تميز كاتبها الأصيل » ! !

كتب جون تولاند كتابه « المسيحية دون أسرار » Christ not Mysterious عام ١٦٩٦ « فالسر لفظ وثنى احتفظنا به كما احتفظنا بغيره من ألفاظ ، هو إما خرافة يجب أن نقضى عليها ، وإما صعوبة عارضة ينبغى أن نذللها ! ! إما أن المسيحية تتفق مع العقل ولا تمثل إلا مجرد ارتضاء للنظام الشامل متجردة عن كل ما يخرج عن هذا الارتضاء نفسه — كالتقاليد والمذاهب والشعائر ... إلخ — وإما أنه يستحيل عليها أن تعيش ! فما من شىء فى العالم يمكن أن يكون فوق العقل وما من شىء يمكن أن يتعارض مع العقل ! » .

ولوك يتحدث عن « المسيحية . المعقولة » Christianisme raisonable : فيوجز العقيدة فى أصلين : الإيمان بالمسيح والتوبة ، ولا يشترط شيئا آخر لإنقاذ رسالة الأرواح ، قبول رسالة المسيح ، والتزام سلوك طيب — هذا يكفى جداً ! وكان يرفض الاعتقاد بأن كل سلالة آدم قد حكم عليها بعذاب أبدى لا نهائى من أجل خطيئة الرجل الأول الذى لم يسمع عنه قط ملايين من الناس ! ! !

هل تبينت ملامح النهضة الجديدة ؟ . . . وهل عرفت من أين أتى رد الفعل ضد الدين فى بلاد الغرب ؟ ؟ ؟

يقف الإسلام ثابتاً على أساس متين ، إزاء هذه الزلازل والبراكين ، عند الآخرين ...

فهو قد أوقف الإنسان من أول الأمر على حقيقة مركزه فى الكون ، دون تهوين أو تهويل ، وقد بصره بخلق الله الذى تدركه حواسه أولا تدركه ، وجلى له أن الكون الفسيح بأرض وسمائه وأفلاكه محكوم بسنن منضبطة لا تشذ ولا تخطىء :

« الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ ؟ » .

« والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » .

« وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » .

« إنا كل شىء خلقناه بقدر » ، « وخلق كل شىء فقدره تقديرا » .

« فلن تجد لسنة الله تبديلا ... ولن تجد لسنة الله تحويلا » .

والذين قالوا لرسول الإسلام : كسفت الشمس لوفاة ابنه إبراهيم ، رد عليهم الرد المفحم الحاسم :

« إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته . . . ولكنهما آيتان من آيات الله [1] » .

والقرآن قد تحدث عن معجزات ، ولرسول الإسلام معجزات ، ولكن معجزة الإسلام الكبرى كانت القرآن : لا يزال يعرض للذكر والتدبر ، ومجاله هو العقل قبل كل شىء . والقرآن ينعى على الجمود والتقليد ، ويطلق العقل ليفكر ويعمل ، ويأتمنه على الحكم فى أمر العقيدة ، فيقيم لها الحجة والدليل ، ويرد على المنكرين

وشعائر هذا الدين لم تحبس الإنسان عن الدنيا ، بل هى محدودة ميسورة : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

(١) البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه ـ صحيح .

ولا تدع هــذه الشعائر مريضاً أو ضعيفاً أو مسافراً حتى تخفف عنه وترخص له وتيسر ما يسقط عنه الفرض بأقل جهد .

عن جابر قال : خرجنا فى سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه فى رأسه ثم احتلم ، فسأل أصحابه : هل تجدون لى رخصة فى التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على رسول الله أخبر بذلك فقال : « قتلوه قتلهم الله ! ! ألا سألوا إذ لم يعلموا ، فإنما شفاء العىّ السؤال ، إنما يكفيه أن يتيمم ، ويعصر أو يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده [١] » .

وشريعة هذا الدين تريد بالناس اليسر وترفع عنهم الحرج وتدفع المشقة وتتوقى عموم البلوى « . . . وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » ، « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » . وفى الحديث : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه [٢] » .

* * *

ونظرة الإسلام للإنسان ... وللحياة الدنيا ، كلها إنصاف .

إنه يعرف قدر الإنسان « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » ، « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

ولكنه لا يسلم الإنسان للأهواء « كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ، « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ـ أولئك هم الغافلون » ، « وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » ، « بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » .

إن القرآن يضع تحت يد الإنسان كثيراً من مفاتيح القوى والطاقات التى أودعها هذا الوجود « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ... » ، ولكنه لا يتركه يطيش « . . . وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » ، « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون » ،

(١) أبو داود وابن ماجه والدارقطنى ـ صححه ابن السكن .

(٢) الطبرانى فى الكبير ـ صحيح .

« ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور . إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » ، « يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز » ، « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

والدين قد صان الطاقة الإنسانية حين حررها من الانقياد للآلهة الباطلة ، والأهواء المتبعة . . . وقد صان الطاقة الإنسانية حين وجهها لعبادة ترضى بها أشواقها الخفية دون أن تبيع بذلك كرامة العقل أو مصالح الدنيا ، لأن إلهنا المعبود يخاطب عقولنا بالبرهان ، وهو غنى كريم لا يخدعنا ولا يقهرنا بالباطل ، ولا يستخف بنا ولا يسلبنا : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » .

إن هذه الأعماق البعيدة فى التحرير النفسى من الداخل لا يصل إليها إلا الدين ... إنه يقتلع الجرائم التى يستنبتها ويستكثرها الطغاة والمستبدون ، ويسلم زمام النفس لرب العالمين ، الذى لن يستغل هذه الطاعة لصالح طبقة أو حزب أو جنس « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » .

وكلما حرص المؤمن على عقيدته بالله ، كلما برئ من الشرك وأعلن الكفر بمن عداه ..

والمؤمن إذ يتمتع بحريته فى أفسح مداها إنما ينتظر منه أن يصيب فى مزاولته الحرية وأن يخطئ ، والخطأ ضريبة بشرية ، والدين يقرر أن هذه طبيعة الناس ويتعامل معهم على هذا الأساس « كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » [١] .

أما الدنيا فهى فى الإسلام مزرعة الآخرة ، لا يصح الانصراف عنها ، بل يجب التد بالعمل فى أرضه وابتغاء رزقه والإفادة من نعمه : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ،

---

(١) أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك - صحيح .

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » ، وفى الحديث : « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده »[١] .

الإسلام يكرم الإنسان لكنه لا يؤلهه بل يسلم أمره لله ، ويحل له طيبات الحياة الدنيا لكنه يذكره بمتاع خير وأبقى . . . والدين فى هذا يحفظ على الإنسان طاقته حتى لا تزل ولا تتبدد فى جحيم القلق دون قرار ، ويحقق له استمتاعه بإنسانيته ودنياه دون أن ( يستهلكه ) الدوار فى أفق ضيق لا ينشغل فيه بغير ذاته ومصالحه . . . إن سجن الأنانية والنفعية ليس أرحب من سجن الخرافات والتقاليد والاستبداد ومع ذلك ينبغى ألا يكون الداء فى الدواء ، فتكبت العقائد العقول وتحبس الطاقات وتغلل الأفراد والجماعات ! !

والإسلام لم يلغ الكيان الإنسانى باسم الدين ، ولم يقم الدار الآخرة لتصرف النظر عن دنيا يتفاقم فيها الحرمان والعجز والفساد .

إن ترقى الإنسان وازدهار الحضارة تسبيح لله العلى الأعلى ، وتمجيد للخالق الصانع العظيم .

* * *

والقرآن بعد ذلك كله . . . حافل بالصور الحية النابضة ذات المغزى الإنسانى الرفيع .

* فالرسول فى تصوير القرآن إنسان يمتلئ حياة وحركة ، وتزخر نفسه بالمشاعر والأحاسيس . . . إنسان حريص على نجاح دعوته بكل سبيل : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين . وإن كان كبر عليك إعراضهم ، فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » .

« فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز ، أو جاء معه ملك . . . إنما أنت نذير ، والله على كل شىء وكيل » .

[١] الترمذى والحاكم فى المستدرك - حسن .

إنه داعية فكرة يتشوق لانتصارها ، ويتطلع لمستقبلها ، ويقلق من أراجيف الخصوم ومكائدهم . . . وهذه النفس الإنسانية الحية صاحبها رسول مؤيد معصوم !

* والقرآن يعرض نماذج إنسانية حية لأفراد مؤمنين أخطأوا فتابوا - وهل حياة الإنسان إلا تردد بين الخطأ والصواب ؟ ؟ « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم ، إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إن الله هو التواب الرحيم » .

* والمجتمع الإسلامى كله ، مجتمع من البشر : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنون - هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً » ، « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون . ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية - يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل إن الأمر كله لله ، يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور » « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » . . .

كل هذه صور إنسانية للضعف البشرى ، يقدمها الدين للنفوس فيلمسها لمسات حانية رقيقة : إن الإسلام لا يريد الناس ملائكة ، حسبهم أن يجتهدوا ولو أخطأوا ، وأن ينتووا الخير ولو لم يسعفهم تحقيقه ، وان يتوبوا إذا خالفوا « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

فإن كانوا كذلك فهم قد اهتدوا إلى جوهر الإيمان وحقيقة النفس ، لقد تحرروا من التزمت والتحلل ، من الجمود والجحود ، ولا يضرهم بعد ذلك أن يترددوا بين الطاعة والمعصية ، بين النجاح والفشل ، بين النصر والهزيمة ، بين الكسب والخسارة - لأن هذه كلها عوارض

لا بد من اجتماعها و تتابعها بالنسبة للطبيعة الكونية والإنسانية : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

* هم إذا أخطأوا فليتحملوا نتيجة خطئهم ، دون أن ينتظروا قارعة زاجرة تأتيهم مباشرة مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ، إذ حصاد أيديهم وألسنتهم يكفيهم زاجرا وحده إن كانوا يزدجرون « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » ، « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفا » .

* وإذا ناء المسلمون بأعباء الحق فلن تتدخل المعجزات لنصرهم ، ولكن فى صبرهم ومصابرتهم ومرابطتهم الحصن الحصين والملجأ الأمين « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض » .

* وسنن الكون أمام الجميع ، ينال الخير العاملون لا الخاملون - مهما كانت الملة أو الدين ، فلا محاباة فى عون الله لطائفة دون أخرى من عباد الله « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون » ، « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا » .

ما أحوج الإنسان إلى دين الله ، فى عصر الإنسان .

« من كفر . . . فعليه كفره ، ومن عمل صالحاً . . . فلأنفسهم يمهدون » ؟

فتحى عثمان

---

## مكانة المعلم

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أرأيت أعظم أو أجل من الذى يبنى وينشئ أنفسا وعقولا ؟

« شوقى »

# رسالة الأزهر

## — ٦ —

### رسالة العلم :

المعروف عن الأزهر إجمالا فى تاريخه العلمى أنه هو الذى حفظ للمسلمين دينهم ولغتهم العربية : لغة القرآن الكريم .

إن رسالة الأزهر الإجمالية هذه لأضخم رسالة فى التاريخ العلمى الإسلامى . ولمن يريد التحدث عن هذه الرسالة بالتفصيل أن يلم فى بحثه بتاريخ العلم والمعرفة فى مصر منذ أن صارت إسلامية ، ومنذ أن كانت ملاذا للدين ولغته العربية الكريمة .

### التعليم فى مصر قبل الأزهر :

المسجد الجامع أو مسجد عمرو بن العاص هو المدرسة الأولى التى تلقت بواكير العلم والتعليم فى مصر . حتى رووا فى تاريخه أنه فى بعض أزمنته كان به بضع وأربعون حلقة لإقراء العلم : هكذا روى المقريزى عن بعض من استتمت له الرواية عنهم من المؤرخين قبله .

إن العناية الأولى للدراسة فى جميع أطوارها فى مساجد مصر كانت للدين وأصوله وفروعه أما دراسة العربية فقد كانت تابعة لدراسة الدين أينما كان . ومعنى ذلك أن دراسة الدين كانت هى الغاية ودراسة اللغة كانت هى الوسيلة . ولا ريب فى أن من لا يدرس الوسيلة حق دراستها لا يستطيع دراسة الغاية والدين أساسه القرآن فالحديث . وفهمهما لا يستقيم إلا لدارس اللغة وأصولها وفروعها .

أخذ جامع عمرو يدوى بالدروس الدينية تتبعها الدروس العربية فى مستهل القرن الثانى الهجرى : وكان أكبر الأساتذة فيه يومئذ عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويزيد بن أبى حبيب وعبد الله بن لهيعة ، والليث بن سعد ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، هؤلاء الأئمة هم الذين وضعوا بذرة التدريس العلمى فى المسجد الجامع ، وهم الذين كونوا فى مصر المدرسة الدينية والفقهية الأولى على نظام التحلق فى الدروس والاستماع إلى المدرس . ثم تتابع العلماء المدرسون بعد هذه الطبقة إلى أن صار جامع عمرو هو مدرسة الدين الإسلامى ولغته العربية .

فى سنة ٢٦٣ هجرية بنى أحمد بن طولون مسجده المعروف ، وأول من درس فيه العلم أحمد بن الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعى فقد أخذ يملى فيه دروس الحديث ، وقد دفع إليه ابن طولون فى أول درس له كيسا به ألف دينار . وما زالت تحبو فيه الدراسة إلى أن استقرت وصار له شأن فيها ، فقد رتبت فيه دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة .

لم يتعطل جامع عمرو من الدروس بقيام جامع ابن طولون ، وإنما ظل كما هو على حاله الأولى ، وقد صار للعلم معهدان : جامع عمرو وجامع ابن طولون .

بنى بعد هذين المسجدين الدراسيين الجامع الأزهر ، وقد بدئ فى بنائه فى جمادى الأولى سنة ٣٥٩ وأكمل بناؤه سنة ٣٦١ . ولم يعطل بناء الأزهر المسجدين السابقين عليه من التدريس ، لأن التدريس الدينى كان كأنه حسبة فى ذمة العلماء على فقرهم ، يؤدونه عن رضا وهم مغتبطون .

أسس الأزهر ليكون مدرسة للفاطميين ، يدرسون فيه مذهبهم الشيعى ، وبذلك اختلف منهاجه الدراسى عن منهاج جامع عمرو وجامع ابن طولون . لأنه لا يعرف عن هذين المسجدين أنه درس بهما ما يخرج عن مناهج أهل السنة والسلف الصالح . وبذلك تكون أول رسالة للأزهر هى الرسالة الشيعية الفاطمية التى جاء بها من المغرب هؤلاء العلويون . وقد اعتقدوا أن مصر من أكبر المراتع لنشر مذهبهم . ولكن القيام على هذه الرسالة لم يعمر طويلا ، فقد أزال السلطان صلاح الدين كل ما أقامه الفاطميون من دعوات شيعية . وقد عطل الأزهر عن أداء رسالته حتى لا يبقى ظلا للفاطميين فى مصر . فماذا صنع بالعلم والدراسة بعد تعطيل الأزهر ؟ إنه بنى المدارس لتدريس الفقه الإسلامى وأصوله على مذهب أهل السنة والجماعة .

فى هذا وقفة أطيل فيها رأيى فيما صنعه صلاح الدين [illegible] هذا الرأى من أن تأسيس هذه المدارس لم يخرج بالأزهر عن رسالته العلمية المطلقة . فإن الجامع الأزهر هو بنية من حجر وكل بنية قابلة لكل ما تعمر به . لأن بناءه كمعهد قابل لكل ما يدرس فيه . فهو ظرف مكان لا أكثر ، وظرف المكان قابل للتغيير والتبديل فيما يحتويه ، فالقول بأن رسالة الأزهر العلمية قد عطلت لا شيء فيه للتحقيق . لأننا لا ندرى ماذا كان يصنع صلاح الدين فى العلم

والتعليم لو أنه لم يجد فى مصر أزهراً يؤدى رسالة علمية لم ترق هذا السلطان. وكل ما فى الأمر أن مناهج العلم قد تغيرت وبنى لها أمكنة غير الأزهر. فالأزهر هو الذى رسم الرسالة العلمية التى غير السلطان مناهجها. وهذه الرسالة الشيعية هى التى أوحت إلى صلاح الدين بأن يجد طريقاً جديداً للتعليم. أما تعطيله الأزهر جملة فذلك رأيه الخاص ولكن الأزهر ( المعنوى ) لا الحجر ولا البناء، الذى جعله يتجه إلى ناحية جديدة فى تعليم الدين، وهو الذى رسم له الطريق العلمى، كما رسمت الجامعة الأزهرية طريقها حديثا فإننا نجد لها كليات شتى، فى شرق القاهرة، وفى غربها، وفى شمالها. وفى جنوبها وكلها تجمعها كلمة ( الجامعة ). فالمدارس التى أسسها صلاح الدين هى استمرار حقيقى - لا ظاهرى - فى أداء رسالة الأزهر العلمية وإن تغيرت السبل والمناهج. وإن لم يلتفت إلى هذه ( الأزهرية المعنوية ) أحد من المؤرخين. وأخيراً هل يقال إن الدراسات الأزهرية التى تفرقت فى الكليات الخارجة عن بنية الأزهر قد زحزحته عن رسالته ؟ . . . وأنه معطل الآن عن أداء هذه الرسالة ببناء هذه الكليات المنتشرة فى القاهرة ؟ ! إننى أترك القارىء بغير جواب منى ليجيب هو لنفسه من نفسه ؟

حسن الشيخة

---

## الاختلاط بين الجنسين

عيبنا أننا نقلد الغرب تقليداً أعمى فى كل شىء، حتى فى الأمور التى يقوم الدليل العلمى القاطع على فسادها، والتى يظهر للغرب نفسه خطؤه فى السير عليها، ويحاول أن يهدىء من اندفاعه فى سبيلها.

ويسعدنا أن نسجل أن مصر التى قطعت فى سبيل الاختلاط الجامعى شوطاً كبيراً قد فطنت الآن لهذه الحقائق، وأخذت تتدارك بعض أخطائها، فأنشأت كليات خاصة للبنات ملحقة بجامعة عين شمس.

الدكتور على عبد الواحد وافى

# حقائق فلسفية
## تحت شرعة الحرب فى تقدير الإسلام

لما استقر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأسس بها حكومته على ما يعرفه القراء ، كان مقصودا بالقتل والقتال من قريش ، وليس يعقل أن تغمض قريش جفنيها ، ومصلحتها الحيوية قائمة على زعامة الدين فى البلاد العربية ، عن قيام زعامة أخرى فى بلد كيثرب يصبح منافسا لأم القرى وربما بزها سلطانا على العقول ، وكر على قريش فأباد خضراءها وسلبها حقها الموروث ، ولا يسع الإسلام من جانبه مهما كانت ميوله سلبية ( فاصفح عنهم وقل سلام ) أن يستمر فى منع القائمين به عن الدفاع عن أنفسهم وعن الدين الذى أنزل للإنسانية كافة فى عالم يضيع الحق فيه إن لم تكن وراءه قوة تؤيده ، فكان لامناص من السماح للمسلمين بحماية أنفسهم ودينهم بالسلاح الذى يشهره خصومهم فى وجوههم فأنزل الله قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت صوامع وبيع ، وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

ولم يغفل الإسلام حتى فى هذا الموطن ، موطن الدفاع عن النفس والدين ، أن ينصح لأشياعه بعدم العدوان لأن الموضوع حماية حق لا موضوع انتقام وشفاء ثارات وهذا من مميزات الحكومات الإسلامية فإن القائم عليها يكون كالجراح يضع مبضعه حيث يوجد الداء لاستئصاله مع عدم المساس بالأعضاء السليمة ، ومقصده استيفاء حياة المريض لا قتله ، والعالم كله فى نظر الحكومة الإسلامية شخص مريض تعمل لاستدامة وجوده سليما قويا خالصا من الأمراض المستعصية ، والإسلام باعتبار أنه دين عام للناس كافة يعد العالم كله أمة واحدة غير معتد بما أحدثته البيئات والتقاسيم الجغرافية بينهم من الفروق فى الألوان واللغات والملل والأديان .

لهذا السبب ولأن موجبه هو رب العالمين الذى وسعت رحمته كل شىء أحيطت جميع آيات الجهاد فيه بأوامر مشددة فى مراعاة العدل مع المحاربين وعدم الإسراف فى سفك دمائهم والاعتداد بالظاهر من أعذارهم مما يعد مثلا عليا لم تصل المدنية بعد ألوف من السنين إلى خيال منها ناهيك أنه يحرم على أهله أن يقتلوا خدم المحاربين الذين يمدونهم بالطعام والشراب . ويعينونهم على حمل عتادهم وخدمة دوابهم وهذا غير ما أمر به من احترام حياة شيوخهم وولدانهم ونسائهم ، ورجال أديانهم ، وعدم الإجهاز على جرحاهم وعدم تعقب مهزوميهم للفتك بهم من خلفهم قال الله تعالى : «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وقال : « ولا يجرمنكم شنآن قوم ( أى ولا يحملنكم بغضكم لقوم ) أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

بهذه القيود الرحيمة وفى هذه الحدود العادلة أذن الله للمسلمين بعد نقض الكفار للعهد أن ينبذوا لهم على سواء وأن يقابلوا قوتهم بمثلها حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل ويظهر دين الله على ما حاكته الأوهام من عقائد باطلة وخيالات عاطلة ، ولما كان القرشيون قد صارحوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحرب ، ولو تركهم وشأنهم بعد شخوصه إلى المدينة لما تركوه وشأنه ، فقد اعتبرهم فى حالة حرب ، وعاملهم على موجب هذا الاعتبار .

هنا لا بد لنا من نفى شبهة كثيراً ما أثارها خصوم الإسلام ضده إذ قالوا : إن الإسلام دين شرعت فيه الحرب ، والدين الحق يجب أن يتنزه عن ذلك فلا يدعو إلا إلى الإسلام لأن الحرب من بقايا الوحشية الأولى ولا يجوز أن يعتمد عليها دين إلهى أنزل لكى يكون رحمة للعالمين .

لا جرم أن الذين يدلون بهذه الشبهة لا يعرفون من طبيعة العالم الأرضى ولا من عوامل الاجتماع الإنسانى ولا من تاريخ الأديان السماوية ما يجب أن يعرف ليجىء حكمهم عادلا ورأيهم سديدا .

إن طبيعة هذا العالم مبنية على التدافع والتغالب وتنازع البقاء ليس فيما بين الناس فحسب ولكن فيما بينهم وبين الوجود المحيط بهم ، بل وفيما بين كل فرد والعوامل المتسلطة عليه

من نفسه ، ولا تشذ عن هذه القاعدة العامة الحيوانات ولا النباتات أيضا . وقد بنى علماء النبات والحيوانات وعلماء الإنسان على هذا التدافع كل ترق طرأ على هذه العوالم الثلاثة ، ولا أظن أن قارئا من قرائنا يجهل الناموس الذى اكتشفه « داروين وروسل ولاس » ، ودعواه ناموس تنازع البقاء وبنيا عليه كل تطور أصاب الأنواع النباتية والحيوانية والإنسان أيضاً .

وقد أشار الله إلى خطر هـذا الأصل العظيم بقوله تعالى فيما يتصل بالإنسان : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولـكن الله ذو فضل على العالمين » . وإنما تفسد الأرض بتغلب الأشرار وتقاعس الأخيار عن التنكيل بهم ، وفضلا عن تغلغل الأشرار فى شرورهم فإنهم لا يدعون الأخيار أحراراً فى ممارسة فضائلهم ، وقد صرح الـكتاب الـكريم بهذا فى قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » . ألم تر كيف تصدى خصوم الدين النصرانى للمسيح وما كان يدعو إلا للصلاح والسلام حتى إنهم استصدروا أمراً بصلبه فنجاه الله منهم ، وما زالوا بالذين اتبعوه يضطهدونهم ويقتلونهم حتى مضت ثلاثة قرون وهم مشردون فى الأرض لا تجمعهم جامعة إلى أن حماهم من أعدائهم السيف على يد الأمبراطور قسطنطين الرومانى واتفق أنه كان يدين بالنصرانية . فلما ولى الملك أعمل السيف فى الوثنيين وهدم هياكلهم وأجبرهم على قبول المسيحية دينا لهم . ومن ذلك العهد أمكن المسيحيين أن يجاهروا بدينهم وأن يتخذوا لهم زعامة دينية ، وأفادهم هذا الدرس القاسى فى ضرورة استخدام السيف لنشر الدعوة ولقمع الوثنيين حتى دانت لهم أوربا كلها ، ولا يمكن أن ينسى أحد ما حدث بين البروتستانتية والـكاثوليـكية من الحروب الماحقة حتى استقر كل فريق منهم فى الحيز الذى هو فيه .

أو لم تر أيضاً كيف تصدى الجاهليون لمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعوه عن نشر الدين الذى أوحاه الله إليه ، وانتهى أمرهم بالتألب عليه لقتله والفراغ من أمره ؟ ثم ما حدث منهم بعد أن هاجر إلى المدينة حيث تقصدوه بها ، مؤلبين عليه القبائل الجاهلية لإبطال أمره والتعفية على أثره ؟

أفيريد مثيرو هذه الشبهة أن يقوم دين على غير السنن الطبيعية فى عالم مبنى على مبدأ التدافع والتنازع واستخدام القوة الحيوانية لطمس معالم الحق ودك صروح العدل ؟ يقول المعترضون : وماذا أعددتم من حجة حين تجمع الأمم على إبطال الحروب ، وحسم منازعاتها عن طريق التحكيم ، وهذا قرآنكم يدعوكم للجهاد ويحثكم على الاستبسال ؟ .

نقول أعددنا لهذا العهد قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » .

هذه كلمة بالغة من القرآن بل هذه معجزة من معجزاته الخوالد وهى أول دليل على أنه لم يشرع الحرب لذاتها ولكن لأنها من عوامل الاجتماع الذى لابد منها ما دام الإنسان فى عقليته ونفسيته المأثورتين عنه غير أنه لم ينف أن يحدث تطور عالمى متفق فيه على إبطال الحرب فصرح بهذا الحكم قبل حدوثه ليكون حجة لأهله من ناحية وليدل على أنه لا يريد الحرب لذاتها من ناحية أخرى .

ولو كان يريدها لذاتها لما نوه بهذا الحكم ، ولو كان ذكر له إمكان جنوح الأمم للسلم لكر على هذا القول بالدحض ولحض أهله على عدم الإصغاء إليه وعلى اعتباره من عوامل التثبيط لهم .



ومما يجب لفت النظر إليه أن الإسلام قد أشاد بذكر كلمة السلام بما لم يفعله مذهب اجتماعى قبله . ناهيك أن الله قد سمى نفسه السلام ، وجعل السلام تحية الإسلام يتبادلها المسلمون ملايين المرات ، ونوه القرآن فى آيات كثيرة بكلمة السلام ، ودعا الجنة التى وعد بها المؤمنين بدار السلام ، وذكر أن تحية أهلها فيها سلام ، فأجواء البلاد الإسلامية مشبعة بهذه الكلمة يتنفسها المسلمون ممتزجة بأوكسجين الهواء ، وليست هذه سيرة الأمم التى تجعل شعارها الحرب فى الحياة ، ولكنها سيرة الذين يحبون السلام ويعملون على رفع لوائه بين الناس .

ويزيد هذا الأمر اتضاحا أن الإسلام إنما سمح بالحرب لإيجاد السلام ، لا لتأييد مبدأ التناحر بين الأنام قال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » . ومن العجيب أن الأمم المؤيدة للسلام هى فى مثل هذه الضرورة اليوم فقد تجردت لحرب طاحنة مكرهة عليها لا هم لها إلا إيجاد السلام ، فعلى من يتهم الإسلام بإقرار مذهب

التناحر أن يعتبر بما سبقت إليه الأمم الديمقراطية اليوم من مجزرة بشرية هائلة دفعت إليها دفعاً فى سبيل تحطيم مبدأ التناحر لا فى سبيل شىء آخر فإذا كانت هذه الأمم التى وصلت من المدنية إلى درجة رفيعة تضطر إلى الدخول فى مثل هذه الحرب الماحقة فى القرن العشرين أفلا تكون أمثال تلك الضرورة تنشأ فى الجماعات التى فى دور التكون لتحمى وجودها فى عالم كان كل ما فيه موجها إليها لحلها وملاشاة كل ما حملته من عوامل الهدم والبناء لتأسيس عهد جديد يخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور .

يتضح مما مر كله أن اعتراف الإسلام بالحرب كضرورة لا محيد عنها كان لحكمة بالغة لو أغفلت لكان تلاشى كل ما حمله الإسلام من عوامل إنهاض الأمم ووسائل نقلها من عهد كانت فيه ترزح تحت كسف من الضلالات وتنوء تحت آصار من الأوهام إلى عهد حرية التعقل والنظر والبحث والتدليل والمسئولية الشخصية وهى الثلاثة الأركان التى ابتنى عليها صرح التطور الأخير الإنسانية المتجهة إلى كمالها المنشود .

ومن نافلة القول أن اليهودية العالمية تحفز حفزا من الدول الكبرى المتحالفة معها إلى شن حرب بشقيها حرب الأعصاب وحرب الفتك والإبادة ضد العرب المسلمين القابعين فى أوطانهم لا يسألون الناس شراً ولا ضراً فهل اليهودية العالمية تصغى إلى واقع أمرها ووجودها بين الأقطار العربية الإسلامية فتعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله وبذلك تصان الحقوق ويرتفع عن الأمم الضعيفة الشر والتنكيل ؟ ذلك مأمولنا إن شاء الله ؟

عباس طه
المحامى

---

## الذين نسوا تاريخهم

مثل القوم نسوا تاريخهم كلقيط عى فى الناس انتسابا
أو كمغلوب على ذاكرة يشتكى من صلة الماضى انقضابا

« شوقى »

# علماء شاطبة

كلما جرى على اللسان أو طاف بالذاكرة اسم بلدة من بلاد الأندلس كقرطبة أو غرناطة تدافعت على المسلم ذكريات حافلة مجيدة وأمجاد خالدة رفيعة تهز النفس فخرا وإعجابا وسموا وكرامة بما حققه أبطالنا الأولون الفاتحون من انتصارات ساحقة خلدت على الزمن ولم يغير من روعتها تعاقب الأحداث وتوالى الخطوب ، فمن ذكر الأندلس لابد حتما أن يذكر طارق بن زياد فاتحها وقاهر حكامها ، وذلك عندما أنزل جنده على الساحل الأوروبى عند الصخرة التى تعرف الآن بجبل طارق ، ثم زحف بجيشه العظيم حتى لقى رودرك وجنوده فى واقعة شريش سنة اثنتين وتسعين هجرية وانتصر عليه انتصارا باهرا حاسما أزعج دول أوربا المجاورة للأندلس ، وكان من نتائج هذه المعركة قتل رودرك مما كان له أعظم الأثر فى نفوس الجيش الإسلامى ، بل وفى دمشق عاصمة الخلافة الأموية ، تلك هى حال الزهو والفخر ، وبجانب هذه الحال حالة أخرى تؤلم نفس المسلم وتضيق صدره وتذيب قلبه حسرة وأسفا وتفيض دمعه دما إذ نفض المسلمون بعد ذلك أيديهم من هذا الملك الضخم العتيد وأصبحوا صفر اليدين مستعبدين فى هذه الأرض تتخذ مساجدهم كنائس ومرافق أخرى لغير العبادة بعد أن كانوا فيها سادة وأمراء فتركوا مدينة الزهراء التى بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر والتى أبدع فى وصفها الكتاب والشعراء بما أوحت إليهم من سحرها ورونق جمالها الفتان كما تركوا قرطبة وما كان فيها من حضارة اقتبسها الأوربيون وأسسوا عليها دعائم رقيهم وأركان عمرانهم ، بعد أن خرجوا من قرونهم الوسطى المظلمة التى جثموا فيها ردحا طويلا من الزمان ، وإن فى رثاء أبى البقاء صالح بن شريف الرندى إذ رثى الأندلس فى نونيته ما يبعث الأسى فى نفس المسلم ويقض مضجعه إذ يقول فيها : —

| | |
|---|---|
| وللحوادث سلوان يسهلها | وما لما حل بالإسلام سلوان |
| دهى الجزيرة أمر لا عزاء له | هوى له أحد وانهد ثهلان |
| فاسأل بلنسية ما شأن مرسية | وأين شاطبة أم أين جيان ؟ |
| وأين قرطبة دار العلوم ، فكم | من عالم قد سما فيها له شان |
| تلك المصيبة أنست ما تقدمها | وما لها بعد طول الدهر نسيان |

ففي هذه القصيدة عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وإن التاريخ الصحيح ليثبت للأوربيين أعظم جناية وحشية على العلم والمعرفة والثقافة تفوق جناياتهم البربرية على الأنفس والأرواح إذ أحرقوا ملايين الكتب التي صنفها علماء الأندلس في جميع العلوم والفنون والآداب بعد استيلائهم عليها ، ولقد أصبح لزاما علينا أن نكشف بعض جوانب المجهود العلمي الذي قام به علماء الأندلس .

فمن أشهر علماء شاطبة الذين سارت مؤلفاتهم مسير الشمس يعم ضياؤها جميع النواحي أبو محمد القاسم بن رفيره بن خلف بن أبي القاسم بن أحمد الرعيني الأندلسي المعروف بالشاطبي المولود ضريراً في شاطبة بالأندلس سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وقد درس في صباه وفي بلدته القراءات وأتقنها على يد أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفزي ، ثم رحل إلى بلنسية بلدة قريبة من شاطبة بعد أن حفظ المصنفات الجامعة لأصول القراءات وكان من بينها كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني فعرضه من حفظه على الإمام أبي الحسن علي بن هذيل البلنسي ، ولقد وجد الشاطبي في بلنسية مرتعا علميا خصيبا وفرصة واسعة فاغتنمها ورتع فيها فتمكن من تلقي علم الحديث والأدب والنحو والتفسير عن أشهر العلماء المشهود لهم بالتبريز ، وكما عرض التيسير على ابن هذيل سمع منه الحديث أيضا كما سمع من غيره وأخذ كتاب سيبويه والكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وغيرها عن أبي عبد الله محمد بن حميد . ثم رحل للحج فسمع من أبي طاهر بالإسكندرية ، ولما دخل مصر أكرمه القاضي الفاضل وعرف مقداره وأنزله بمدرسته وجعله شيخاً عليها وعظمه تعظيما كبيراً ، وأخذ يعلم القراءات لتلاميذه الذين تسابقوا على دروسه حتى صارت المدرسة الفاضلية كعبة يؤمها الظامئون إلى الارتواء من منابع العلم والفضل .

ولقد ترك لنا الشاطبي أثرين خالدين من مصنفاته أولها الشاطبية أو حرز الأماني .

ولقد أقبل الناس على دراسة الشاطبية وحفظها إقبالا منقطع النظير . وعجز القراء البلغاء من بعده عن معارضتها . ولا توجد منظومة في القراءات بلغت ما بلغت الشاطبية من الشهرة والقبول فلا يوجد قارئ للقرآن يعتد بنفسه إلا ويحفظ الشاطبية كما يحفظ القرآن ويعدها ركنا من أركان إجادة قراءته .

## صيحة فى الهواء :

# اتقوا الله فى الشباب

هى صيحة من صيحات الأزهر التى طالما انبعثت قوية مجلجلة : تصخ آذان الغافلين معلنة استنكارها لمأساة الاختلاط فى الجامعة والمعاهد العليا ، فكانت ترتد عن الآذان الفولاذية ، ثم تتبدد فى الهواء مع ضجيج الأصوات المنكرة التى تستعلن باسم التقدمية والتمدن . ثم يقال بعد ذلك إن الأزهر لا يؤدى رسالته ، وماذا يملك إلا أن يبرئ ذمته ويعلن كلمته ؟ فإذا استشرى الشر ، واتسع الخرق ، وظهر الحق لذى عينين ، كانت المكابرة التى تعمى عن الرجوع إلى صوابه ، وكانت الكبرياء الغاشمة التى تأنف من الاعتراف بالحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

إن رنين هذه الصيحات المؤمنة لا يزال فى أسماعنا وأذهاننا ، وإن آخر هذه الأصوات المستعلنة بالحق كان صوت أستاذنا الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكى الذى كان نصيبه من ذلك الاتهام بالرجعية ، والاتسام بالتطفل على ما ليس من شأنه . وماذا يكون إذن شأن العالم إذا لم ينكر المنكر ويستهجن القبيح ويعلن ما اؤتمن عليه من حكم الله وشرعة الرسول ؟ .

---

وكما حظيت بالقبول الشاطبية حظيت أيضا أختها الرائية أو عقيلة أتراب القصائد فقد أقبل العلماء عليها حفظا وتحصيلا وشرحها بعضهم بشروح كثيرة لا تقل عن شروح الشاطبية .

وتوفى الشاطبى صاحب الرحلات العديدة فى طلب العلم بعد عصر يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من سفح جبل المقطم وقبره معروف ويزار الآن ، تغمده الله برحمته وأنزل عليه شآبيب رضوانه كفاء ما قدمه للعلم من مجهود وما يسره لطلاب علم القراءات .

عبد الله المراغى

صيحة فى الهواء :

# اتقوا الله فى الشباب

هى صيحة من صيحات الأزهر التى طالما انبعثت قوية مجلجلة : تصخ آذان الغافلين معلنة استنكارها لمأساة الاختلاط فى الجامعة والمعاهد العليا ، فكانت ترتد عن الآذان الفولاذية ، ثم تتبدد فى الهواء مع ضجيج الأصوات المنكرة التى تستعلن باسم التقدمية والتمدن . ثم يقال بعد ذلك إن الأزهر لا يؤدى رسالته ، وماذا يملك إلا أن يبرئ ذمته ويعلن كلمته ؟ فإذا استشرى الشر ، واتسع الخرق ، وظهر الحق لذى عينين ، كانت المكابرة التى تعمى عن الرجوع إلى صوابه ، وكانت الكبرياء الغاشمة التى تأنف من الاعتراف بالحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

إن رنين هذه الصيحات المؤمنة لا يزال فى أسماعنا وأذهاننا ، وإن آخر هذه الأصوات المستعلنة بالحق كان صوت أستاذنا الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكى الذى كان نصيبه من ذلك الاتهام بالرجعية ، والاتسام بالتطفل على ما ليس من شأنه . وماذا يكون إذن شأن العالم إذا لم ينكر المنكر ويستهجن القبيح ويعلن ما اؤتمن عليه من حكم الله وشرعة الرسول ؟ .

---

وكما حظيت بالقبول الشاطبية حظيت أيضا أختها الرائية أو عقيلة أتراب القصائد فقد أقبل العلماء عليها حفظا وتحصيلا وشرحها بعضهم بشروح كثيرة لا تقل عن شروح الشاطبية .

وتوفى الشاطبى صاحب الرحلات العديدة فى طلب العلم بعد عصر يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من سفح جبل المقطم وقبره معروف ويزار الآن ، تغمده الله برحمته وأنزل عليه شآبيب رضوانه كفاء ما قدمه للعلم من مجهود وما يسره لطلاب علم القراءات .

عبد الله المراغى

لقد دارت هـذه المعانى فى نفسى وأنا فى الترام منذ أيام ، وكان يجلس بجانبى وأمامى ثلاثة من الشباب أحسبهم من طلبة إحدى الجامعات أو المعاهد العالية ، كانوا يتحدثون عن المحاضرات والمحاضرين ، وقال أحدهم للآخرين : أرأيتما كيف ضاعت محاضرة اليوم ؟ وفهمت من حديثهم أن الأستاذ المحاضر كان قد برم بعبث أحد الطلبة مع إحدى زميلاته أثناء المحاضرة فطلب منه الكف عن هذا العبث أو الانتقال إلى مكان آخر .

ولكن الطالب لم يشأ أن يصيخ للتوجيه ، وراح يثير بعض الأسئلة التى تتعلق بالاختلاط ، وكان مما قال : هل يجوز للطالب أن يرافق زميلته الطالبة إلى دار السينما باسم الزمالة ؟ وكان رد الأستاذ حازماً صارماً : لا يجوز ولو كانت خطيبته ، وأنا لا أعرف شيئاً اسمه اختلاط الزمالة أو الاختلاط البرىء بين شاب وشابة . وكأنما ألقى الهشيم على النار ، وهنا ويا للعار تنبعث صيحات الاعتراض ، ممن ؟ من الفتيات أنفسهن ، وتقول إحداهن فى غير تحرج ولا استحياء : وما الذى يمنع من ذلك أيها الأستاذ ؟ .

لقد كنا نتفكه بقول بعض الكاتبين : « إن الفتاة فى طريقها إلى حقها فى الحياة ، وسيأتى اليوم الذى تتحرر فيه من كل قيودها وتخرج من حجابها وحيائها ، حتى لنراها تتعرض للشبان فتدفعهم إلى الاستنجاد ببوليس الآداب » . وما كنا نقدر أن تتحقق هذه النبوءة هكذا بأسرع مما كان يقدر الكاتب ، وأن تنعكس الآية بتلك السرعة ، فتصبح الفتاة هى التى تدافع عن مآثم الاختلاط .

ومن عجيب المصادفة أن ألتقى فى ذلك اليوم بأستاذ أزهرى كبير كان يدرس فى إحدى الجامعات ثم تركها ، فسألته فى ذلك ، فقال : كرامتى . لقد كنت أشهد بعينى ما يخدش الحياء فأحاول أن أنحى الطالب بعيداً ، فتتصدى لى الطالبة قائلة : ماذا صنع ؟ .

وإنا لنذكر ذلك الاستفتاء الذى أجرته بعض الصحف اليومية حول جواز المراسلة بين الطلبة والطالبات ، فكانت الإجابات بالجواز أو الوجوب أكثر من ٩٠ ٪ .

وسمعت من بعض الماجنين الذين غمرهم تيار الوجودية والانحراف أنه كان فى ثلة من الشذاذ يؤلفون جماعة أسموها ( جماعة التحلل الخلقى ) من أعضائها بعض زميلاتهم فى الكلية ، وكانوا يلتقون فى كل مساء باسم التعاون فى مذاكرة الدروس ، فيتماجنون ويتعهرون ،

ثم ينصرفون آخر الليل أو وجه النهار ولم يذاكروا شيئا ، ولم يستفيدوا بشيء إلا العبث الفاضح والمجون المبتذل . وسألته : إذا لم يكن من الاختلاط بد فلم لا يكون باسم العلم وشرف العلم ؟ ولم يكون على حسابه وحساب الشرف ؟ فكان جوابه : وإذن فلا داعى للاختلاط ، لأن الحديث مع الفتاة فى مسائل العلم ينفرها ويصرفها عن زميلها إلى غيره ممن يديرون الحديث معها على مثل ( الروك أندرول ) مما يشوق ويروق ويعمل عمل السحر فى نفوس الفتيات .

لقد كنا نظن أن الاختلاط فى الدول الأخرى قد يكون مأمون العاقبة لأن طلاب الجامعات هناك يجدون المتنفس الفسيح خارج أسوار الجامعة ، حيث لا تحول ثمة تقاليد ولا تعصم عقيدة ، فتخلص الزمالة للعلم ، وتسلم الكرامة فى محاريبه ، ولكن هذا الظن قد تبدد بما تنقله الأنباء عن مآسى هذا الاختلاط .

فقد جاء فى جريدة الشعب بتاريخ ٢٦ / ٩ / ١٩٥٨ بعنوان ( نقطة بوليس لكل مدرسة ) ما يأتى :

« زادت موجة الانحلال الخلقى فى أمريكا بصورة مفزعة . أصبحت المدارس والمعاهد مرتعا خصيبا للشذوذ الجنسى . تحول التلاميذ والتلميذات إلى مدمنى خمر وسفاكى دماء . علب السجاير وأقراص منع الحمل فى حقائب الطالبات . لم يعد الأمر يحتمل السكوت ، لذلك قامت إحدى الهيئات القضائية ببحث جرائم الطلبة فى نيويورك ، وأوصت بتعيين رجل بوليس فى كل مدرسة ، وقد أبدت بعض الهيئات القضائية خوفها من أن يجرف التيار رجال البوليس أيضا » .

فإذا كانت هذه نتيجة الاختلاط فى بلاد ليس لها ما لبلادنا من محافظة وتقاليد ولطلابها فى الخارج متسع رحب ، فما بالك بنا ؟ .

إن الصحف لتطالعنا فى كل يوم بألوان فاضحة عن معارض الأزياء فى الجامعة ، ومناظر الفتيان والفتيات فى ساحة الرياضة وحمامات السباحة . فماذا يعصم الشباب وفى نفوسهم سعار الغريزة ، وبواعث الفتنة ، ودوافع الانزلاق ؟ .

إننا لا نخوض فى هذا الموضوع إشاعة للفاحشة ، أو ولوغا فى الشرف ، وإنما نحكم على مايقال ويشاع ، لنبرئ الذمة من هذه الوصمة ، وإن كان الاختلاط فى ذاته على هذه الصورة

وفى بلدنا هذا ليحمل على تصديق ما يروى ، وتحقيق ما يقال . فما بالك إذا شهد شاهد من أهلها ، وحدثك بما يجرى ثقة صدوق ، وحسبك من شر سماعه ؟ .

إننا لا نمنع الفتاة من حقها فى العلم ، ونصيبها من المشاركة فى العمل والنهوض بما يلائمها فى خدمة الوطن . بل إننا لنطالبها بذلك ، ولكننا نطالب كذلك بأن يهيأ لها هذا فى حصانة وحياطة ، وفى حدود تقاليدنا وديننا ، وفى معزل عن الاختلاط الذى نرى ونسمع آثاره تلك السيئة .

هــذه لمحات عارضة كرمز لما نشهد أو نسمع ، والله وحده يعلم ماخفى من المآسى والنكبات . فهل لا نزال بعد ذلك نصر على هـذه المحنة وندافع عنها ونتعصب لها ؟ وهل لايزال التقليد الأعمى يعصب عيوننا عن الخطر ويحجب قلوبنا عن الحق ؟ .

نحن أمة لها تقاليدها وطابعها ، ولها سماتها وشخصيتها ، ولها دينها وعقيدتها ، فهل تريد لتلك الشخصية أن تماع وتتحلل ، وأن تفقد عناصرها الأصيلة التى تنهض على الحفاظ والكرامة ، وأن تذوب فى شخصيات الدول الأخرى التى شاع فيها الانحلال ، وساغ التبذل والامتهان ؟ أم نستسلم للاستعمار الخلقى والفكرى الذى يبث سمومه ، وينفث أوضاره بعد أن تحررنا من الاستعمار السياسى ؟ .

أيها المشرفون على العلم . إن الشباب أمانة فى أعناقكم . وهم عدة المستقبل ، ورجال الغد ، وعماد الوطن ، وأدوات التوجيه للمجتمع ، وحملة أمانة الأمة ، فإذا لم نحطهم بسياج من الشرف ، ونعصمهم بوازع من الدين ، ونوجههم إلى الكرامة والخير ، ونضىء فى نفوسهم مشاعل العلم الصحيح ، وننشئهم على الإيمان الحق ، والمعرفة النافعة ، والحفاظ على تقاليدهم السليمة ، فكيف إذن تحمل سواعدهم أعباء المستقبل وأفئدتهم هواء ؟ .

أيها المشرفون على العلم : اتقوا الله فى الشباب . . . ؟

حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

# الأخلاق الاسلامية

## وأثرها في المسلمين الأولين

للأخلاق النفسية أثر كبير فى توجيه السلوك الفردى والجماعى ، وطبعه بالطابع الذى يتمشى فى صوره وبواعثه مع هذه الأخلاق ، لأن الأفعال التى يتمثل فيها السلوك الفردى والجماعى . لا تصدر إلا عن البواعث التى تبعث عليها . وهذه البواعث لا تتولد فى النفوس إلا عن مصدر يوحى بها ، وهذا المصدر هو العقائد القلبية والأخلاق النفسية .

وعلى هذه السنة التى يقوم عليها سلوك الأفراد والجماعات ، كان تأثير الأخلاق الإسلامية فى سلوك المسلمين الأولين ، الذين تلقوا هذه الأخلاق تلقيا روحيا عمليا ، فاستقرت فى أعماق قلوبهم وانفعلت بها أنفسهم . فكانوا بها خير أمة أخرجت للناس فى الدين والدنيا ، وأصبحوا مضرب الأمثال فى سمو الأخلاق واستقامة السلوك ، فقوة الشخصية وكمال الرجولة ، والاعتداد بالنفس والاعتزاز بالكرامة ، والحياء والاحتشام ، والشعور بكمال الفضيلة ونقص الرذيلة ، والأمانة فى الدين والتدين ، والحقوق والواجبات ، والصلات والمعاملات ، والوفاء بالعقود والعهود ، وطهارة القلوب وسلامة الصدور ، والتعاطف والتراحم ، والإخلاص فى القول والعمل ، وعفة اللسان وأدب النطق ، والصبر وقوة الاحتمال . هذه الأخلاق الإسلامية ، التى تغلغل سلطانها فى قلوبهم وانفعلت بها نفوسهم ، وأقاموا على قوانينها منهج حياتهم وسلوكهم ، هى التى حببت إليهم البطولة والتضحية ، وكرهت إليهم الضعف والهوان ، والاستكانة والاستسلام ، وفتحت أعينهم على آفاق الحياة العزيزة الكريمة ، وجعلت منهم حماة صادقين لدينهم ووطنهم ، وجنودا يعتزون برجولتهم وشخصيتهم ، ويؤمنون بأن الحياة فى كنف الهوان إهدار لرجولتهم وشرفهم ، وامتهان لعزة دينهم وكرامة وطنهم ، وأن عظمة الرجال وعز الحياة وكرامة الوجود ، ليست فى حيازة الأموال المقنطرة وسكنى القصور الشاهقة ، وإنما هى فى حمل الدروع الموشاة بالنجيع والمهج ، والتضحية فى سبيل مجد الدين والوطن ، والعيش فى ظلال العزة والكرامة ، ولو سكنوا الأكواخ والخيام ، ولبسوا الأصواف والأسمال .

هذه الأخلاق الإسلامية ، هى التى جعلت من أبناء الصحراء قادة وأبطالا ، فهروا قادة الحروب وأرباب العلوم والفنون ، الذين أرادوا العدوان على رسالتهم ووطنهم ، وسحقوا جيوشهم على كثرة عددها وعددها ، ودراية قوادها بفنون الحرب والقتال ، وسجلوا فى تاريخ حروبهم أروع ما عرف من صور البطولة والتضحية ، ويكفينا أن نذكر من هذا السجل الحافل بروائع البطولة الإسلامية ، تلك الصورة التى سجلها جعفر بن أبى طالب فى معركة مؤتة التى دارت رحاها بين ثلاثة آلاف من المسلمين ومائتى ألف من الروم ، فقد تولى رضى الله عنه وأرضاه قيادة الجيش فى المرحلة الثانية من مراحل هذه المعركة الرهيبة ، فحمل راية الجيش واندفع بها فى صفوف الأعداء ، وأخذ يقاتل قتال الأبطال حتى أحاط العدو بفرسه فنزل عنها واندفع بنفسه بين جموع العدو ، وأخذ يضرب فيهم بسيفه كيفما وقع ، حتى قطعت يده التى يحمل بها راية الجيش ، فأخذها بيده الأخرى فقطعت ، فاحتضن الراية بعضديه حتى لا تسقط تحت أقدام العدو ، وهكذا بقيت راية الجيش مرفوعة عالية ، حتى تسلمها عبد الله ابن رواحة ، الذى تولى قيادة الجيش بعد أن استشهد جعفر فى ميدان الشرف والكرامة ، فما أروع هذه البطولة ، وما أجمل هذه التضحية ، قائد الجيش يحيط به الأعداء من كل جانب ويعملون فيه طعنا بالرماح وضربا بالسيوف ، ويتعمدون قطع يديه لإسقاط راية القيادة وإشاعة الهزيمة فى جيشه ، فتأبى عليه بطولته وقوة إيمانه ويقينه ، أن يدعها تسقط تحت أقدام العدو ، فيحتضنها بعضديه ويفتديها بروحه ، لتبقى مرفوعة فوق الهامات والرءوس ، لأنها رمز العزة والكرامة ، وراية الإسلام ، وعلم جيش المسلمين .

هذه الأخلاق الإسلامية ، التى استولت على أحاسيسهم ومشاعرهم ، هى التى طبعتهم على الوقار والاحتشام ، وحفظ الأعراض والكرامات ، وصيانة الآداب العامة وتعظيم شأنها ، والترفع عن سفساف الأخلاق وذميم الأفعال ، فلا فجور ولا مجون ، ولا إباحية ولا تحلل ، بل كانت مظاهر الحياء والاحتشام والتعفف من أخص صفات المجتمعات الإسلامية ومقوماتها .

وهى التى حفظت عليهم دينهم وتدينهم من الابتداع واتباع الهوى ، فلا زيغ ولا انحراف عن الحق ، ولا تضليل ولا تدليس فى الدين ، وحببت إليهم المحافظة على تأدية الحقوق والواجبات ، والإحسان فى المعاملات والصلات ، فلا تقصير ولا إهمال ، ولا غش ولا خيانة ، ولا اختلاس ولا استغلال .

وهى التى حاطت عقودهم وعهودهم بسياج من الثقـة والطمأنينة ، والحفظ والوفاء ، ووجهتها إلى تحقيق مقاصدها وغاياتها النبيلة ، من جلب الخير وتبادل المنافع ، والتعاون على البر والتقوى ، وإصلاح ذات البين وحقن الدماء ، وتوطيـد دعائم الأمن والاستقرار ، فلا مماطلة فيها ولا خيانة ، ولا غدر فيها ولا خديعة .

هـذه الأخلاق الإسـلامية التى طهرت صدورهم من شوائب الأحقـاد والأضغان . وصانتها من أوضار الرياء والنفاق ، وملأتها بالحب والإخاء ، هى التى جمعت قلوبهم ووحدت صفوفهم . وعبـدت لهم طريق التآخى والتآلف ، ومهدت لهم سبيل التعـاون فى السراء والضراء ، والتناصر على دفع البغى والعدوان ، وحببت إليهم الصراحة والإخلاص فى القول والعمل ، فلا أثرة ولا أنانية ، ولا فرقة ولا تقاطع ، ولا رياء ولا نفاق .

وهى التى سمت بألسنتهم وأقلامهم عن البهتان والـكذب ، والافتراء والتقول ، والسباب والفحش ، والسعى بين الناس بالدس والوقيعة ، والإسفاف فى النقد والتجريح ، والخوض فى أعراض النـاس والنيل من كراماتهم ، وكشف أسرارهم ونشر هفواتهم وعثراتهم وإشاعة الفاحشة فى بيئاتهم ومجتمعاتهم ، فكانت المجتمعات الإسلامية نظيفة نقية ، والأعراض مصونة مقدسة ، وقوانين الآداب مرعية ومرهوبة .

هذه الأخلاق التى امتزجت بمهجهم وأرواحهم ، هى التى جعلت الحكام وأولى الأمر منهم ، يؤمنون بأن مناصب الحكم والولاية والإدارة ليست وسائل لجمع المـال واكتساب الجـاه والسلطان ، وإنما هى أمانات وضعت فى أعناقهم لخدمة أممهم وأوطانهم . وأنهم مسئولون أمام الله عن رعاية هذه الأمانات والمحافظة عليها ، فكانوا يرعونها حق رعايتها ، ويبذلون فى سبيل القيام بأعبائها كل ماوسعه الجهد والبذل ، فلا تنحرف بهم مغريات المـال والجاه والسلطان ، ولا يقصرون ولا يهملون ، ولا يمنون على أمتهم بما يقدمون من جهود فى خدمتها ، لأنهم كانوا يعملون ذلك استجابة لوحى الضمائر الحية والأخلاق الـكريمة ، ووفاء بحقوق الأمانات التى حملوها .

وهى التى حملت العلماء وقادة الرأى والفـكر منهم ، على أداء رسالة العلم وقيادة الرأى بكل أمانة وإخلاص ، فلا يسلـكون بها مسالك التمويه والتضليل ، ولا تميل بهم عن الطريق السوى مظاهر العجب والغرور ، ولا يتلاعبون بالألفاظ والحقائق ، ولا يتجرؤن على قدسية

الحق ، بل كانوا يراقبون الله فى بحثهم وتفكيرهم ، ويخشون حسابه فى قيادتهم وإرشادهم ، ويخضعون لسلطان الحجة فى جدلهم ومناظراتهم ، ويجعلون الحق غايتهم فى مذاهبهم وأقوالهم ويقصدون بعلمهم وقيادتهم خدمة دينهم وأمتهم ، فلا يجعلون قيادة الرأى سبيلا لتحقيق الأهواء والأغراض ، ولا وسيلة لإفساد العقائد وانحلال الأخلاق ، ولا يتخذون العلم تجارة لجمع المال وكنز الكنوز ، فكان ذلك أجدى عليهم فى دينهم ، وأدعى لحفظ كرامتهم ومهابتهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء ، وإن أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شيء » .

وهى التى حملت التجار والصناع منهم ، على أن يجعلوا الصدق والأمانة والقناعة ، شعارا لتجارتهم وصناعتهم ، فلا يجعلونها حبائل للطمع والجشع ، والغش والتدليس والكسب الخبيث ، واستنزاف الأموال وامتصاص الدماء .

هذا الإصلاح الخلقى الإسلامى ، الذى سادت قوانينه وآدابه فى مجتمعاتهم وبيئاتهم ، وساروا على مناهجه فى سلوكهم وأعمالهم هو الذى جعل منهم أمة قوية فى دينها ودنياها ، متحدة فى اتجاهاتها وغاياتها ، متماسكة كالبنيان المرصوص فى تعاونها وتساندها ، وأتاح لهم أن يقيموا لدينهم ودولتهم حصونا من القوة ومعاقل من المنعة ، وبوأهم من السلطان والسيادة منزلة لم تصل إليها أمة من قبلهم ، ولكن المسلمين بعد أن بلغوا هذه المنزلة من السيادة والسلطان ، نكبوا بقيادات ضالة ، وزعامات مضللة ، وحكومات جاهلة غاشمة ، استعبدهم حب المال والجاه والسلطان . واستحكم فيهم ضعف الأخلاق وانحلال العزائم ، وتضاءلت فى نفوسهم معانى الرجولة والبطولة الإسلامية ، فقعد بهم الجبن عن حماية سلطانهم والدفاع عن أوطانهم ، وسهل عليهم الضعف النفسى احتمال الذلة والهوان :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وزين لهم الضعف الخلقى أن سعادة الحياة فى جمع المال واقتناء العقار ، ولو كان ذلك من طريق الكسب الخبيث والسحت الحرام ، وأن عظمة الرجال فى حمل الألقاب الضخمة والأوسمة الذهبية ، ولو كان ذلك عن طريق خيانة الأوطان والتفريط فى حقوق البلاد ، زين لهم الضعف الخلقى كل هذا ، فخضعت أعناقهم للهوان والذل ، وامتدت أيديهم للرشوة والاختلاس والكسب الخبيث ، واتسعت صدورهم للخيانة وموت الضمائر وفساد الذمم ،

فباعوا أوطانهم بالإقطاعيات الواسعة ، والمناصب والألقاب الخلابة ، والأوسمة والوشاحات البراقة ، ورضوا بأن يكونوا أعوانا للأعداء على احتلال بلادهم ، ومطايا ذللا لاستعباد أممهم واستذلالها ، والبطش بالأحرار العاملين من أبنائها ، فعاشوا عبيد الأهواء والشهوات وأعوان الظلم والاستعباد ، حتى طوتهم الأيام والليالى ، وذهبوا مشيعين بلعنة الشعوب التى ورثوها الفقر والجهل ، وأضاعوا ما كان لها من مجد وسلطان ، وتركوا ضياعهم وقصورهم لغيرهم ، وصدق عليهم قول الله تعالى فى المفتونين من قبلهم : « كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوما آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » .

فعلى المسلمين أن يزنوا سلوكهم وما يجرى فى مجتمعاتهم وبيئاتهم ، بهذه الموازين الأخلاقية الإسلامية ، ليعرفوا مدى انطباقها على أخلاقهم وسلوكهم ، ومقدار ما بقى لهم من هذه الأخلاق التى ساد بها المسلمون الأولون ، و يتبينوا منازلهم من درجات الإيمان وصفات المؤمنين ، وعليهم أن ينظروا فى تاريخ سلفهم ويتعرفوا أسباب عزهم ومجدهم ، ليعلموا أنهم كانوا يستمدون قوتهم وسلطانهم ، من قوة عقائدهم وسمو أخلاقهم وصلاح أعمالهم ، لا من كثرة الأحزاب والطوائف ، ولا من تعدد القيادات والزعامات ، ولا من فلسفة المتفلسفين وثرثرة الثرثارين ، وأن ما أصاب المسلمين من ضعف وانحلال ، واستعباد واحتلال ، إنما كان نتيجة طبيعية لانحرافهم عن هذه الأخلاق الإسلامية ، واتباعهم لأهوائهم وشهواتهم ، وغفلتهم عن أسباب قوتهم وعوامل ضعفهم .

ألا فليعلم المسلمون إن كانوا لا يعلمون ، أنه لا سبيل إلى استعادة قوتهم وسلطانهم ، وإحياء عزهم ومجدهم وتحرير شعوبهم وأوطانهم ، إلا إذا عادوا إلى التخلق بهذه الأخلاق الإسلامية ، وأعادوا لقوانين الأخلاق والآداب سلطانها على النفوس وهيمنتها على السلوك ، وتعاونوا على تطهير بيئاتهم ومجتمعاتهم من عوامل الضعف والانحلال ، وليس ذلك بعزيز عليهم متى صدقت العزائم ، واستقامت العقول فى تطهرها وتفكيرها ، واتحدت الجهود فى اتجاهاتها وغاياتها ، فالله جل جلاله يقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

هـذا هو طريق البعث والنهوض ، والإصلاح والبناء ، والحياة والقوة ، والعزة والكرامة ، أما الدعوة إلى الإباحية والفجور ، والتهجم على قدسية الدين وتعاليمه ، والتطاول على أئمة المسلمين وعلمائهم ، والتشكيك فى علومهم وأماناتهم ، فإنما هى معاول هدم وإفساد ونذر شر وبلاء ، لا عوامل بعث ونهوض كما يضللون ، ولا وسائل إصلاح وبناء كما يموهون .

فعلى المسلمين أن يضعوا هذه الحقائق نصب أعينهم ، ويستحضروها فى عقولهم وأذهانهم ويضعوها موضع الاعتبار والتقدير ، كلما أرادوا أن يتعرفوا أسباب ضعفهم ومحنتهم ، وعوامل بعثهم ونهوضهم ، وعليهم أن يعتصموا بالله ربهم فى جهادهم وكفاحهم ، فالله جل جلاله يقول : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » ؟

**يس سويلم طه**
المفتش بالأزهر الشريف



## عمر بن الخطاب

عاهل تعنو له فرس وروم  يطعم الناس ومن جوع يصوم
وجـــد الدنيا متاعا لا يدوم  فاجتوى الدنيا فراراً من سقر
وابتغى الفردوس مأوى الخالدين

ولى الأمر نزيها عن نزيه  وهـو لا يبغيه بل يزهـد فيه
ثم ولى ، لم يورثه بنيـه  إنما الحكم عنـاء وسهر
لا مساغ وعى للحاكمين

راغب فى الله عف عن سواه  ما سبت عينيه زينات الحياة
لا ولا اغتر بسلطان وجاه  عمر الفـاروق حـدث عن عمر
موئل العـــدل إمام الزاهـدين

**محمود غنيم**

# ذكرى عيد النصر

أعيدوا حديث النصر فى مسمع الدهر    وهاتوا عقود الزهر من روضها النضر

وحيوا شهيداً لم يكن غـــير فاتك    تلقى سهام الموت من ثلل عشر

وأرسى بنـاء المجد من قبل أن يرى    ضفادع بحر «المـانش» فى الحلل الحمر

وقولوا لأهل البغى قـد ضل سعيكم    وخاب بنو «التاميز» فى البر والبحر

قصدتم خيار الناس بالشر فانبرت    ملائكة الرحمن تنهض بالأمر

* * *

أتيتم سكارى كالدمى وسط ملعب    وبتم حيارى كالبراذين فى القفر

شراذم نهب لفقت بعـــد خدعها    ومنزيس كالمعتاد من حولها يجرى

تنادت وقالت إنهـا خـــير فرصة    وسيقت إلى الهيجاء من حيث لا تدرى

فلمـا تراءى الموت للعـين أجفلت    وغابت عن الأنظار فى غلس الفجر

* * *

تعالوا نصف الربح من بعد حمـــلة    حشدتم لها المخبوء من عدد الشر

جلوتم بجـدع الأنف لا شئ غـيره    وما كان يجدى غير هـــذا مع الغدر

وعدتم بنصف الجيش ما بين أعرج    وآخـــر مبتور الذراع إلى الصدر

نمـاذج لم تـكسب من العطف نظرة    ولـكن رماها الناس بالنظر الشزر



* * *

ربحنا قلوب الناس من كل دولة    تقدر معنى الغزو فى الوطن الحـــر

وكانوا كأن الحرب فى عقر دارهم    وبان عريق الأصل فى زمن العسر

شربنا رحيق النصر من بعـد غفوة    عملتم عليها فى ضروب من المكر

وذقتم عـذاب الخسر من بعـد عزة    يتوق إليها الحاسدون مـــدى العمر

صمدنا صمود الصخر لا عن تـكلف    ولـكن بمعتاد التجلد والصـــبر

وفضل رئيس نابه الذكـــر حازم    عليه جلال الصالحين بـــلا فخر

سلمت «جمال العصر» من عين حاسد    وبلغت أقصى ما يرام من الأجر

**محمد كامل حمزة شلش**

مراقب بمعهد شبين الـكوم الدينى

# لغويات

## بذل مجهودا فى هذه المسألة

أنكر بعض الباحثين هذا الاستعمال ، وأوجب أن يقال : بذل جهده . وهو يرى أن المجهود هو الذى يجهده العمل أو غيره من الهموم ويشق عليه ، وهو اسم مفعول من جهده الأمر إذا عناه وأكله وأنصبه . ومما احتج به أن المجهود بمعنى الجهد لم يرد فى القاموس فى مادة جهد .

وقد جاء المجهود بمعنى الجهد فى القاموس فى غير هذه المادة . ففى ترجمة ( عجز ) : « وركب فى الطلب أعجاز الإبل أى ركب الذل والمشقة والصبر ، وبذل المجهود فى طلبه » . وفى مادة ( فرغ ) : « واستفرغ : تقيأ ، ومجهوده بذل طاقته » .

وجاء فى اللسان فى ( جهد ) : « واجتهدت رأيى ونفسى حتى بلغت مجهودى » . وفيه : « والاجتهاد والتجاهد : بذل الوسع والمجهود » . وفى الأساس : « وبلغ جهده ومجهوده أى طاقته » . وفى إصلاح المنطق ٣٨٩ : والنثيلة والنبيثة : والنجيثة : ما أخرج من تراب البئر . ونجيثة الخبر : ما ظهر من قبيحه . ويقال : بلغت نكيثته أى أقصى مجهوده » .

ويبين مما أوردته أن المجهود فى معنى الجهد عربى صحيح ، وهذا كما جاء الميسور فى معنى اليسر ، والمعسور فى معنى العسر ، والمعقول فى معنى العقل ، فى ألفاظ أخر .

## فعل ذلك رغم أنفه

يجرى هذا الاستعمال على أقلام الكتاب فى هذا العصر . والوارد فى العربية أن يقال : فعل ذلك على رغم أنفه ، وبالرغم منه أى على كره منه وإذلال له . وقد نسب الإذلال إلى الأنف لأنه موضع العزة والأنفة والشمم . ولم يعرف عن العرب حذف الحرف فى هذا الأسلوب . وإنما ورد فى كلام المولدين ، فقد جاء فى شعر للفضل بن الربيع وزير الرشيد

والأمين ، وكان مولى للخلفاء العباسيين ، وهو لذلك يفتخر بأنه من هاشم تبعاً لمواليه وهو يقول :

إنى امرؤ من هاشم بفناء معمور النواحى
أهل الهدى وذوى التقى وبنى البسالة والسماح
أهل النبوة والخلا قة والمحاسن رغم لاحى
أهل المعالم والمكا رم فى المساء وفى الصباح
يتألمون من الصدو د ويصبرون على الجراح

جاء هذا الشعر فى معجم الشعراء للمرزبانى ٣١٣ . وقوله : « بفناء معمور النواحى » كأنه يريد الكعبة ، وهى البيت المعمور ، ولبنى هاشم صلة وثيقة بهذا البيت إذ كانوا أهله وساكنى حرمه . ويصف فى البيت الأخير رقتهم وتأثرهم بالهوى ، ونجدتهم وتحملهم لأهوال الحروب .

## الحلق

يقول العامة للقرط : الحلق . والقرط : ما يعلق فى شحمة الأذن من حلى النساء ، ومجاز هذا فى لسان العامة أن القرط كان حلقة من الذهب أو غيره من الجواهر وكان يعلق بها درة أو حبة من جوهر نفيس . والقرط الآن قد لا يكون حلقة تنوس فيها حبة من الدر أو غيره . ويقال للقرط فى العربية : الخرص والرعثة . وجاء فى القاموس ( خرص ) : « الخرص - بالضم ويكسر - : حلقة الذهب والفضة ، أو حلقة القرط ، أو الحلقة الصغيرة من الحلى كهيئة القرط وغيرها . والجمع : الخرصان » . وفى إصلاح المنطق ١٤٠ : « والخرص : الحلقة . يقال : ما فى أذن الجارية خرص » وفى المخصص ٤ / ٤٣ : « الخرص والخرص والخرصة : القرط بحبة واحدة . وقيل . هى الحلقة من الذهب والفضة » . وفيه ص ٤٤ : الخرص : الحلقة التى تكون فى أذن الصبى أو الصبية أو المرأة ، فضة كانت أو ذهبا أو حديدا أو صفرا » .

وقد أخطأت العامة فى استعمال الحلق موضع الحلقة ، وإنما الحلق جمع الحلقة . وهذا كاستعمالهم المصران فى المعى الواحد ، وإنما المصران جمع المصير ، فتوهموا المصران

مفردا . وجمعوه على مصارين ، وإنما مصارين جمع الجمع . ومن هذا القبيل أنهم يقولون : أسورة فى موضع السوار ، وإنما الأسورة جمع السوار ، وقد أخطئوا فى كسر الهمزة . ولما جعلوا أسورة مفردا جمعوه على أساور .

## التناسب فى الرسم للشعر

يقع فى الشعر أن تختم الأبيات بألف ترسم بصورة الياء وأخرى ترسم ألفاً . والمتبع رسم كل ألف بما تستحقه ، وكذلك الحروف المتحركة فى القافية يكون منها ما حركته بعدها حرف من الكلمة ، وأخرى ما حركته لاحرف بعدها . وقد وقفت على نص فى هذا الشأن يبيح مراعاة التناسب فى الرسم كيفما كان . وإذا كان التناسب والازدواج يجيز تغيير الكلمة فى اللفظ فأولى أن يجوز لذلك التغيير فى الرسم ، كما قالوا : الغدايا والعشايا ، والغدايا جمع الغدوة ، ولا يكون ذلك إلا فى هذا الموطن ، وإلا فهى الغدوات . ويقولون : أخذه ما قدم وما حدث ، فيضمون الدال فى حدث مراعاة لقدم :

وأذكر أولا بعض الأمثلة لما نحن بصدده ، ثم أتبعها بالنص .

قال بشر بن أبى خازم ، من شعراء المفضليات :

ألا بان الخليط ولم يزاروا    وقلبك فى الظعائن مستعار
تؤم بها الحداة مياه نخل    وفيها عن أبانين ازورار
أسائل صاحبي ولقد أرانى    بصيراً بالظعائن حيث ساروا

فعلى كتابة التناسب يكتب : مستعارو ، ازورارو ، سارو . ويستحسن عدم كتابة الألف بعد الواو فى ساروا ، مراعاة للتوافق ، وقد كان بعض القدماء يسقط الألف عامة بعد واو الجماعة .

وقال الشاعر ملغزا :

ولقد رأيت مطيه معكوسه    تمشى بكلكلها وتزجيها الصبا
ولقد رأيت سبية فى أرضها    تسبى القلوب وما تنيب إلى هوى

يريد بالمطية المعكوسة السفينة . وعكسها أنها لا تعلف كالمطايا ، يقال : عكس الدابة إذا حبسها على غير علف . وقوله : سبية أصلها سبيئة خفف الهمزة بإبدالها ياء ، وإدغامها .

والسبيئة : الخمر لأنها تسبأ أي تشترى . والسبية : المرأة يسبيها العدو فى الحرب . وقد رشح هذا المعنى بقوله : تسبي القلوب ، ولكنه أشار بقوله : ما تنيب إلى هوى أنها ليست المرأة . والكتابة على التناسب تبيح أن يكتب الهوى : الهوا بالألف .

وقال عروة بن أذينة :

قالت وأبثثتها وجدى فبحت به : قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لها : غطى هواك وما ألقى على بصرى

والرسم على طريقة التناسب أن يكتب : فاستترى بالياء على صيغة أمر المؤنث ، ويؤمن من الإلباس أن الخطاب للمذكر .

وهاك النص : « إذا قيل : ما الاختيار فى القوافى إذا كانت مقصورة وكان فيها بنات الواو والياء ؟ قيل : الاختيار أن تكتب كلها بالألف لتستوى القوافى وتشتبه صورتها فى الخط . نص عليه الشيخ الرئيس ابن الأحدب فى كتابه ( شحذ القريحة فى علم القوافى ) . ولم يحك خلافا . وذلك لأن بنات الواو والياء يجوز كتابتها بالألف على اللفظ ، ولا كذلك عكسها ، فلما احتجنا إلى التسوية فى القوافى فى الفعلين كتبناهما بالأمر الجامع بينهما وهو الألف . ولأهل الأدب فى الخط توسع مفرط . قال السيد : رأيت بخط عبد الملك العصامى رسم مثل البعد بياء بعد الدال بمناسبة يعدى فى القافية الثانية ، كما فى قول مهيار الديلمى :

وكنت ألوم العاشقين ولا أرى مزية ما بين الوصال إلى البعـــدى
فأهدى إلى الحب صحبـــة أهله وما كنت أدرى أن داء الهوى يعدى

فسألته عن ذلك فقال : مذهب المحققين من أهل الأدب أن كل ما اقتضته المناسبة يقضى به ، حتى إنهم قالوا : إذا ذكر القر - بضم أوله - مع الحر فإنه يفتح للتناسب . وحدث المفتوح يضم مع قدم [١] » .

محمد على النجار

---

[١] مواسم الأدب ١/١٩٩ .

# كلمة الطب فى حديث الذباب

البحوث والمراجع العلمية تؤيد الحـــديث الشريف : « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء »

تحقيق علمى للدكتور محمود كمال والدكتور محمد عبد المنعم حسين

كثر التعرض لهذا الحديث وخصوصاً من جانب أطباء مكذبين للحديث لعلمهم بأن الذباب ينقل العدوى والجراثيم الحاملة للمرض ، ونحن نعلم أن من بين الأحاديث التى رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم ما هو صحيح وما هو مكذوب ، وكان على فقهاء الحديث أن يبينوا الصحيح ويستبعدوا المكذوب ، وتمسك رجال الحديث والفقهاء الأعلام بصحة الحديث لاستناده لثقة من الرواة ، وتمسك بعض الأطباء بالناحية الصحية وكذبوا الحديث ، وكنا نود أن يفهم الحديث على أسس ثلاثة :

١ — عدم التعرض لصحة الحديث فهذا من اختصاص فقهاء الحديث والعلماء الذين درسوا العلم والحديث وكيف يستبعدون الأحاديث المكذوبة .

٢ — محاولة البحث العلمى بافتراض صحة الحديث للوصول إلى حقائق أنبأنا عنها النبى عليه الصلاة والسلام : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » - قرآن كريم .

٣ — عدم الخوض فى موضوع مادة الحديث قبل الرجوع إلى المراجع العلمية الكافية عن الحشرات وعن طفيليات الحشرات . لهذا وجدنا بعد قراءة الموضوع والمجادلات المتبادلة بين الفريقين فى الصحف والمجلات منذ مدة طويلة أن نحاول أن نرد الحق إلى نصابه . ذلك أن بعضنا بعد قراءة آراء فقهاء الحديث عن صحة الحديث لم يتردد فى تصديقه وحاول أن يرجع إلى المراجع العلمية التى تؤيد صحة الحديث .

وقد جاء فى المراجع العلمية أن الأستاذ الألمانى بريفيلد من جامعة هال بألمانيا وجد فى عام ١٨٧١ أن الذبابة المنزلية مصابة بطفيلى من جنس الفطريات سماها امبوزا موسكى من عائلة انتوموفترالى من تحت فصيلة سيجومايسيس من فصيلة فيكومايسيس ويقضى هذا الفطر حياته فى الطبقة الدهنية داخل بطن الذبابة على شكل خلايا خميرة مستديرة ثم يستطيل ويخرج على نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية أو بين المفاصل البطنية وفى هذه الحالة

يصبح خارج جسم الذبابة . وهذا الشكل يمثل الدور التناسلى لهذا الفطر وتتجمع بذور الفطر فى داخل الخلية إلى قوة معينة تمكن الخلية من الانفجار وإطلاق البذور خارجها وهذا سيكون بقوة دفع شديدة لدرجة تطلق البذور إلى مسافة حوالى ٢ سنتيمتر من الخلية بواسطة انفجار الخلية واندفاع السائل على هيئة رشاش .

ويوجد دائماً حول الذبابة الميتة والمتروكة على الزجاج مجال من البذور لهذا الفطر ، ورؤوس الخلية المستطيلة التى يخرج منها البذور موجودة حول القسم الثالث والأخير من الذبابة على بطنها وظهرها ، وهذا القسم الثالث أو الأخير دائماً يكون مرتفعاً عندما تقف الذبابة على أى مسند لتحفظ توازنها واستعدادها للطيران ، والانفجار كما ذكرنا يحدث بعد ارتفاع ضغط السائل داخل الخلية المستطيلة إلى قوة معينة وهذا قد يكون مسببا من وجود نقطة زائدة من السائل حول الخلية المستطيلة . وفى وقت الانفجار يخرج من السائل والبذور جزء من السيتوبلازم من الفطر كما ذكر الأستاذ لانجيرون ( أكبر الأساتذة فى علم الفطريات ) فى عام ١٩٤٥ أن هذه الفطريات كما ذكرنا تعيش فى شكل خميرة مستديرة داخل أنسجة الذبابة وهى تفرز أنزيمات قوية تحلل وتذيب أجزاء الحشرة الحاملة للمرض .

ومن جهة أخرى تم فى سنة ١٩٤٧ عزل مادة مضادة للحيوية ( بواسطة آرنشتين وكوك من انجلترا وروليوس من سويسرا فى سنة ١٩٥٠ ) تسمى جافاسين من فطر من نفس الفصيلة التى ذكرناها والتى تعيش فى الذبابة وهذه المادة المضادة للحيوية تقتل جراثيم مختلفة من بينها جراثيم السالبة والموجبة لصبغة جرام وجراثيم الدوسنتاريا والتيفويد وفى سنة ١٩٤٨ عزل بريان وكورتيس وهيمنج وجيفيريس وماكجوان من بريطانيا مادة مضادة للحيوية تسمى كلوتينيزين من فطريات من نفس فصيلة الفطر الذى يعيش فى الذبابة وتؤثر على جراثيم السالبة لصبغة جرام من بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد وفى سنة ١٩٤٩ عزل كوكس وفارمر من انجلترا وجرمان وروث واتلنجر وبلاتنر من سويسرا مادة مضادة للحيوية تسمى انياتين من فطريات من نفس صنف الفطر الذى يعيش فى الذبابة تؤثر بقوة شديدة على جراثيم جرام موجب وجرام سالب وعلى بعض فطريات أخرى ومن بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد والكوليرا . ولم تدخل هذه المواد المضادة للحيوية بعد الاستعمال الطبى ولكنها فقط من العجائب العلمية لسبب واحد وهو أنها بدخولها بكميات كبيرة فى الجسم قد تؤدى إلى حدوث بعض المضاعفات بينما قوتها شديدة جدا وتفوق جميع مضادات الحيوية المستعملة فى علاج الأمراض المختلفة . وتكفى كمية قليلة جداً لمنع معيشة أو نمو الجراثيم التيفويد والدوسنتاريا والكوليرا وما يشبهها .

وفى سنة ١٩٤٧ عزل موفتيش مواد مضادة للحيوية من مزرعة الفطريات الموجودة على جسم الذبابة ووجد أنها ذات مفعول قوى فى بعض الجراثيم السالبة لصبغة جرام مثل جراثيم التيفويد والدوسنتاريا وما يشبهها ، وبالبحث عن فائدة هذه الفطريات لمقاومة الجراثيم التى تسبب أمراض الحميات التى يلزمها وقت قصير للحضانة وجد أن واحد جرام من هذه المواد المضادة للحيوية يمكن أن يحفظ أكثر من ١٠٠٠ لتر لبن من التلوث من الجراثيم المرضية المذكورة .

وهذا أكبر دليل على القوة الشديدة لمفعول هذه المواد .

أما بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضية كجراثيم الكوليرا والتيفويد والدوسنتاريا وغيرها التى ينقلها الذباب من المجارى والفضلات أو البراز من المرضى وهى الأماكن التى يرتادها الذباب بكثرة فمكان هذه الجراثيم يكون فقط على أطراف أرجل الذبابة أو فى برازها وهذا ثابت فى جميع المراجع البكتريولوجية وليس من الضرورى ذكر أسماء المؤلفين أو المراجع لهذه الحقيقة المعلومة .

ويستدل من كل هذا على أنه إذا وقعت الذبابة على الأكل فستلمس الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية ، التيفويد أو الكوليرا أو الدوسنتاريا أو غيرها ، وإذا تبرزت على الغذاء سيلوث الغذاء أيضا كما ذكرنا بأرجلها . أما الفطريات التى تفرز المواد المضادة للحيوية والتى تقتل الجراثيم المرضية الموجودة فى براز الذبابة وفى أرجلها فتوجد على بطن الذبابة ولا تنطلق مع سائل الخلية المستطيلة من الفطريات والمحتوى على المواد المضادة للحيوية إلا بعد أن يلمسها السائل الذى يزيد الضغط الداخلى لسائل الخلية ويسبب انفجار الخلية المستطيلة واندفاع البذور والسائل .

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوى الذى يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها فى السائل أو الغذاء إذا وقعت عليه لافساد أثر الجراثيم المرضية التى نقلتها بأرجلها أو ببرازها ، وكذلك يؤكد الحقيقة التى أشار إليها الحديث وهى أن فى أحد جناحيها داء ( أى فى أحد أجزاء جسمها الأمراض المنقولة بالجراثيم المرضية التى حملتها ) وفى الآخر شفاء وهو المواد المضادة للحيوية التى تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها والتى تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المستطيلة للفطريات ؟

# تعليقات

## عيد العلم

---

فى نسمات الربيع من عامنا السابق ، ومن عامنا هذا ، تجاوبت الرغبات ، وتآلفت الجهود فى تنظيم المهرجان لعيد العلم .

وهذه يقظة جماعية تشهد بنضوج الوعى ، وانتباه المشاعر نحو أكرم معنى يعتبر خير مقوم للإنسانية ، ومبعث الحياة فى الأرواح التى تحيا بها الأجسام ، ويسير فى ضوئه الركب على مسرح هذا الوجود ، وما بنا من حاجة إلى الحديث عن العلم وبيان فضله على الدنيا ، ورفعه من قيم الأفراد والجماعات . فتلك توجيهات مركوزة فى عقول الأحياء ، وتنبيهات على محامد شاخصة ، وهى أشبه بتوجيه المبصر إلى ضوء الشمس ، أو توجيـــه العطاش إلى ضرورة الماء .



وإنما حديثنا عن عيد العلم وما يقتضيه من مباهج تفصح عن تقديرنا للعلم ، وحرصنا عليه ، واعتزازنا به ، وإفادتنا منه لأنفسنا ، ولقوميتنا ، وللناس جميعا .

وإنه لمن تعبيرنا الصادق عن خلجات أنفسنا نحو العلم وعيده تلك الندوات التى تزخر بالعلماء والأدباء والتى يقوم عليها ولاة الأمر ، ويهيئون لها كل وسيلة تتيح لها أن تشع ضوء العلم فى كل ركن ، وأن تبلغ صوته إلى كل سامع ، وأن تثير عبيره فى كل ناحية ، حتى تتردد جنبات الزمان كلها بذكريات العلم وفضل العلم .

وما كان ليكفينا ابتهاجا بعيد العلم ونحن فى نهضة شاملة أن تخفق الرايات على مشارف الأبنية الحكومية ، ولا أن تصدح الموسيقى فى أكشاك الحدائق ، ولا أن يتغنى أطفالنا ، والمطربون بيننا ، بما يستعذبونه من الألحان والأناشيد . فتلك كلها تعبيرات قاصرة ، لا تترجم عما فى الجوانح من بهجة بعيد العلم .

وكانت تلك الوسائل الشكلية المحدودة تكفينا فى أعيادنا ، يوم كانت حياتنا متئدة ، وكنا مع حكامنا سابقا نعيش فى ظل باهت ، وجو خانق ، وكانت نظرتنا إلى المستقبل محجوبة بحواجز كثيفة .

فأما وقد غدونا فى ظل ظليل من الحرية ، وصرنا فى كفالة حكام أمناء يدفعون بالأمة دفعا قويا إلى أهدافها ، فليس يكفينا فى هذا العيد المبتكر الجديد ما كان يكفى من قبل ، بل لا بد من شيء جديد فى هذا العهد الجديد .

ولا ريب أن فى تلك الندوات ما ينم إلى حد بعيد عن شعورنا جميعا بهذا العيد .

فى هذه الندوات تنبعث توجيهات يذيعها رجال العلم ، وينشرونها ، فتتلقفها الأسماع هنا وهناك ، ويقرؤها القاصى والدانى ، فتزيد الناس تعريفاً بالعلم ، وتجذبهم إلى موارده فى تزاحم ومثابرة .

وفى تلك الندوات فيض من العطف ، يغمر النبغاء من أبطال العلم وأشباله ، يمنحهم الجوائز التى تنفخ فيهم الحيوية الدائبة ، وتبعث النشاط فى نفوس الآخرين .

والعلم فى حقيقته ومظهره وفى جملته وتفصيله قبس من نور الله تعالى ، تفضل به على عباده ، فبعث بالجانب الروحى منه رسله إلى الأمم يبلغونهم دعوة ربهم إلى توحيده ، وإلى الاتحاد والتعاون فيما بينهم ، وترك الجانب المادى منه للمواهب والعقول تبذل فى سبيله نشاطها ، وتدرك من أنواعه ما يتاح لها ، وتستخدمه فى الانتفاع بالطبيعة والكشف عن أسرارها ، وتهتدى به إلى ما أودع الله فى هذا الكون من آثار قدرته ، وعجائب صنعه .

ثم دعاهم إلى الجد فى دنياهم ، كما دعاهم إلى الحرص على دينهم ، وامتدح أهل العلم ورفع من قدرهم وأشاد بهم فى كتبه السماوية ، وخاصة ـ القرآن الكريم ـ وعرفنا ـ سبحانه ـ أن العلم للدين والدنيا جميعاً ، وأنه وسيلة إلى الخير العام ، دون ضرر أو إضرار به ، ودون انحراف به عن أهدافه الإيجابية للبشر جميعاً ، ومن شأن العلم أن يرتفع بالأنفس عن لوثة الغرور ، وأن يزيدها حباً فى الخير للإنسانية ، وأن يصقلها صقلا أدبياً يميز بينها وبين ذوى الجهالة والقسوة :

والعلم إن لم تكتنفه شمائل غراء كان مظنة الإخفاق

وعلمنا مهما كثر قليل فى ذاته : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

وحينما يجتاز العقل البشرى مراحل البحث ، ويستنفد طاقته فيما قدر له من معرفة تكون الدنيا آذنت برحيل : ( حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً ، فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ) .

ولعل فى هذا النبأ الصادق تبصيراً لأولى العلم بالتواضع ، والتراحم ، وعدم الشطط فى الغرور . وبعد ـ فإذا كانت للناس أعياد تهز مشاعرهم بالتعاطف ، وتدنى قلوبهم إلى استشعار الإخاء والتصافى ، فعيد العلم أجدر بذلك ، لأنه رباط يضمهم جميعاً فى إطار واحد واسع ، وإن تمايزت فيهم الجنسيات ، وتنوعت لديهم اللهجات ، والديانات .

ولو أن فى الامكان أكثر مما يبديه اليوم من شعائر البهجة بعيد العلم لوجب أن نفعل ، ولوجب أن ننهض به من فترة إلى فترة ، بدلا من عام إلى عام .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش

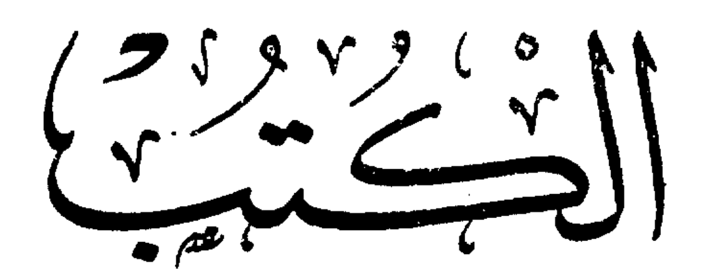


## الناحية الدينية فى مدارسنا

من مقال للدكتور على عبد الواحد وافى فى جزء جمادى الآخرة من مجلة (منبر الإسلام) :

« قامت النظم التى وضعها دنلوب للتعليم العام الابتدائى والثانوى ، وتعبد لها خلفاؤه من الإنجليز والمصريين ، على إغفال ناحية الدين من التربية فى المدرسة ، بل على محاربته من وراء ستار ، ومحاربة ما يتصل به من شئون التربية الخلقية والاجتماعية . وجريا على طريقتها الماكرة فى ستر سوءاتها فسحت مجالا يسيرا لبعض دروس فى الديانة ، لكنها أمعنت فى التهوين من شأنها فوضعتها فى هامش المنهج الدراسى ، وأعفت التلاميذ من الامتحان فيها .

ثم أخذت المدرسة المصرية بعد أن تحررت من سيطرة الإنجليز توجه بعض العناية لهذه النواحى ، ولكنها لا تزال إلى الوقت الحاضر مقصرة فى جنبها تقصيراً كبيرا ، ولا تزال بعيدة كل البعد عما ينبغى أن تكون عليه » .



## شرح شعلة على الشاطبية

لأبى عبد الله محمد بن أحمد الموصلى - ٦٥٦ ص - نشره الاتحاد العام لجماعة القراء

منظومة الشاطبية فى القراءات المسماة « حرز الأمانى » لأبى القاسم بن فيره الرعينى الشاطبى : ( ٥٣٨ - ٥٩٠ ) هى مرجع القراء فى ضبط القراءات السبع المتواترة ، وعليها العمدة فى مصر والعالم الإسلامى فى تلقى كتاب الله وتلقينه حفظا وتلاوة من القرن السابع الهجرى إلى الآن ، لما امتازت به من الإحاطة وجودة السبك وعذوبة اللفظ وحسن التوجيه.

وقد خدمت هذه المنظومة بالشروح الكثيرة ، وأحسن الاتحاد العام لجماعة القراء بنشر شرحها « كنز المعانى » لأبى عبد الله محمد بن أحمد الموصلى الشهير بشعلة ( ٦٢٣ - ٦٥٦ ) لما امتاز به من حسن النظام وجمال الترتيب ، حيث تكلم على كل بيت من ثلاث نواح : اللغة ، والإعراب ، والمعنى الذى هو المقصود الأول من الشرح . وبعد بيان معنى البيت وشرح المقصود منه والوقوف بالقارئ على قراءات الأئمة يبين وجهها من اللغة وعلتها من كلام العرب بلفظ موجز وعبارة سهلة .

وقد قام بتصحيحه ومراجعته والتعليق عليه الأستاذان الفاضلان الشيخ متولى عبد الله الفقاعى ، والشيخ محمد سليمان صالح المدرسان بمعهد القراءات بالأزهر . فنرجو الله أن ينفع به .

## القرآن - آداب تلاوته وسماعه

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف - ٣١ ص - مطبعة لجنة البيان العربى

هى رسالة وجيزة جامعة فى آداب تلاوة القرآن الحكيم وسماعه ، وحكم قراءته بالتطريب والألحان ، وحرمة تلحينه كالأغانى . قصد بها التنبيه إلى الصواب ، والتحذير مما يعاب

فى حق كلام الله جل جلاله ، والتأدب فى تلاوته وسماعه بالأدب القويم ، المأثور عن الرسول الكريم ، وقد جاءت هذه الرسالة فى وقتها عقب جرأة من لا يخافون الله فى كتابه على ما لم يجرؤ عليه أعداؤه من قبل حتى أحبط الله فتنتهم ، على ما نشرناه فى جزء صفر من هذا العام.

## القرآن الكريم

بالرسم العثمانى - ٤٩٦ صفحة - نشره جعفر محمد مصطفى

أهديت إلينا نسخة أنيقة من كتاب الله عز وجل على ما يوافق الرسم العثمانى . مختومة بفصل فى التعريف برسمه وطريقة ضبطه وعدد آياته واصطلاحات الضبط وعلامات الوقف نقلا عن الطبعة الرسمية فى سنة ١٣٣٧ . وهو مجهود مشكور فى نشر كتاب الله وتعميمه .

## الرسول القائد

للعقيد الركن محمود شيت خطاب - ٢٧٣ ص - المطبعة الإسلامية ببغداد

هو كتاب فى سيرة الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - من الناحية العسكرية . مبدوء بعد بيان المصطلحات العسكرية بفصل عن الحرب العادلة والقتال فى الإسلام ، تليه فصول عن الموقف العسكرى العام قبل نشوب القتال ، وعن دوريات القتال والاستطلاع الأولى ، ثم الصراع الحاسم بين الإسلام والشرك فى غزوة بدر ، وغزوة الحديبية وثمراتها وفتح مكة ، وغزوة حنين ، وحصار الطائف ، ومولد الامبراطورية الإسلامية فى حملة تبوك . وختم الكتاب بفصل فنى عن أسباب النصر الإسلامى بقيادة عبقرية ، وجنود ممتازين ، وحرب مثالية عادلة ، وأن الأرض للصالحين .

لقد جرب كثيرون من أفاضل رجال الجيش فى البلاد الإسلامية الكتابة عن السيرة المحمدية من الناحية العسكرية ، وهذا الكتاب آخرها وأدقها بحثا وأكثرها تحقيقا . وقد قدم له سيادة الفريق الركن محمد نجيب الربيعى رئيس مجلس السيادة فى العراق ، فلفت إليه الأنظار .

## ذكرى أبى الثناء الألوسى

للأستاذ المؤرخ عباس العزاوى المحامى - ١١٤ ص - طبع شركة التجارة والطباعة ببغداد

أبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسى ( ١٢١٧ - ١٢٧٠ ) صاحب التفسير الكبير

( روح المعانى ) علم من أعلام الإسلام فى القرن الثالث عشر الهجرى ، وقد أفرد حياته بالتأليف الأستاذ المؤرخ الكبير السيد عباس العزاوى الذى سبق لنا التنويه ببعض مؤلفاته القيمة التى ملأت فراغاً فى المكتبة العربية . فألم فى هذا الكتاب بعصر الألوسى وحياته وحالة الآداب والعلوم فى زمانه ، معتمدا فى كل فقرة على مستنداتها من تراث ذلك العصر ، وإن شطرا عظيما من هذه المستندات والوثائق من مدخرات مكتبة المؤلف التى تعد من أثمن المكتبات الخاصة فى العراق ، وتزداد قيمتها بما يصدره المؤلف من بحوث ومؤلفات متتابعة معتمدا عليها . زاده الله توفيقا .

## القلائد الجوهرية ، فى تاريخ الصالحية

لمحمد بن طولون الصالحى - ٥٩٥ ص - بتحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان

محمد بن على بن أحمد بن طولون ( ٨٨٠ - ٩٥٣ ) معدود فى علماء الشام بمنزلة الجلال السيوطى فى علماء مصر ، وقد أدرك ابن طولون ثلاثين سنة من حياة السيوطى ثم تأخر عنه ، وهو كالسيوطى فى غزارة إنتاجه وكثرة مؤلفاته ، فقد بلغت ٧٤٦ مؤلفا بين رسائل صغيرة وما يبلغ المجلد أو المجلدات المتعددة ، وكثير منها فى التاريخ والخطط .

وصالحية دمشق هى المدينة الرابضة فى سفح جبل قاسيون المتصل بدمشق ، وهى مدينة علم لها فيه قدم صدق ومقام رفيع ولا سيما بعد نكبة فلسطين بالحروب الصليبية وجلاء آل قدامة وغيرهم من أعلام العلم والفقه إلى دمشق ، فكان استقرارهم بجبل قاسيون ونبغ منهم الإمام الموفق الذى قال عنه ابن تيمية : ما دخل الشام بعد الأوزاعى أفقه منه ، وأخوه الشيخ أبو عمر وهم من سلالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقد أقاموا فى الصالحية مدارس ومعاهد للعلم ودورا للكتب وألفوا فى الفقه وأصول الدين وعلوم السنة الكتب النفيسة التى جددت شباب العلم الإسلامى من القرن السادس الهجرى .

وكتاب القلائد الجوهرية لابن طولون هو تسجيل لتاريخ العلم والدين والعمران فى هذه البقعة المباركة من عاصمة بنى أمية ، وقد قام الأستاذ العلامة الشيخ محمد أحمد دهمان بتحقيق هذا الكتاب عن صورة شمسية للنسخة الوحيدة منه بخط مؤلفه ، وبعث فيه أضواء تزيل غوامضه وتقارن ماضى تلك البقاع بحاضرها . واستدرك عليه من التحقيقات والحقائق مالا ينتظر

أن يصدر عن المؤلف نفسه لو أنه قام بهذا العمل العلمى الجليل . وصديقنا الجليل الأستاذ الشيخ محمد دهمان هو الذى عهد إليه المجمع العلمى الدقيق بدمشق تحقيق المجلد الثالث من تاريخ دمشق لابن عساكر ، فحضر إلى القاهرة لمقابلة الأصول التى تحت يده بالمخطوطة الثمينة منه الموجود كثير من مجلداتها فى المكتبة الأزهرية . فنشكره على عنايته السابقة بتاريخ الصالحية لابن طولون ، ونرجو له التوفيق فى مهمته اللاحقة لإنجاز جزء تاريخ ابن عساكر ، ولا يعرف قدر هذه الجهود العلمية إلا من يكابد أمثالها .

## فرائد إسلامية نافعة

للأستاذ حمدى عبيد ـــ مجموعة فى ستة كتب ـــ المكتبة العربية بدمشق

زار القاهرة فى الشهر الماضى الأديب الدمشقى الفاضل السيد حمدى عبيد ، وأتحفنا بمجموعة من منشوراته القيمة ، إحداها رسالة فى ٢٠٨ صفحات بعنوان « إلى الحياة » ، وهى آيات من كتاب الله تدعو إلى الصلاح والإصلاح ، أتبعها كلمات توضحها وتسهل فهمها ، وكل كلمة منها مما ينفع المسلمين فى الدنيا والآخرة .

والثانية فى ١٨٤ صفحة بعنوان « من تراث النبوة ، فى العلم والحكمة والأخوة » وهى طائفة من أحاديث الرسول ، اختارها من صحيح البخارى ورتبها وعلق عليها .

والثالثة فى ٩٦ صفحة بعنوان « الأحاديث النبوية فى الأخلاق والاجتماع والمدنية » ، وهى مائة حديث يحتاج إليها الخطيب والواعظ والتاجر والعامل والمحكوم والحاكم ، اختارها من صحيحى البخارى ومسلم ورتبها وعلق عليها .

والرابعة فى ٣٢ صفحة بعنوان « المختار من الأدعية والأذكار » ، اختارها من مختصر صحيح البخارى للزبيدى ومن كتاب الأذكار للنووى ، وألحق بها منسكا مختصرا فى ترتيب أعمال الحج.

والخامسة فى ٢١٦ صفحة بعنوان « من عيون الأخبار » وهى كلمات سياسة وعدل ، وعلم وفضل ، وأدب ونبل ، وجد وهزل ، اختارها من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة .

والأخيرة فى ١٢٠ صفحة بعنوان « من صميم الحياة » فى التوجيه الخلقى والاجتماعى والسمو الروحى والمادى ، وهى كلمات فى النصيحة والتذكير تزيد على مائة كلمة مستمدة كلها من مبادئ الإسلام وتوجيهاته . فنرجو الله أن ينفع بها .

# الأدب والعلوم

## تخطيط جديد شامل

### للتعليم الابتدائي

عقد السيد كمال الدين حسين اجتماعا مع خبراء وزارة التربية والتعليم استمر ثمانى ساعات لوضع الخطوط الرئيسية لتخطيط مشروعات التعليم الابتدائى وأهداف الدولة فى إعداد جيل المستقبل . قال لهم الوزير : إن مرحلة التعليم الابتدائى تعتبر من أخطر المراحل التعليمية التى يجب أن يعد فيها الطفل إعداداً سليما ، لأنه قد ثبت أن ٨٠ ٪ من تلاميذ المرحلة الابتدائية يكتفون بها وتكون معارفهم فيها هى سلاحهم الوحيد فى الحياة .

إن المدرسين والنظار والمناهج والمبانى يجب أن تجند كلها لإعداد تلميذ المرحلة الابتدائية إعداداً صالحا ، ومن أهم أهداف المدرسة الابتدائية أن لا ينفصل الطفل عن البيئة التى يعيش فيها ، وأن لا يتعالى عليها فى المستقبل أو يهرب منها . نريد أن نعد جيلا يخدم بيئته التى عاش فيها وتعلم فى مدارسها . ولذلك يجب أن يدرس الطفل كيف يحترم العمل اليدوى الذى هو أساس المجتمع ، والذى سيقضى على كل نوع من أنواع البطالة باشتراكه فى عمل الحقل وفى المصنع ضمن برنامج الدراسة ، وأن يراعى مستوى البيئة التى يعيش فيها . وسيتعلم الطفل الآداب والسلوك والعادات الصحية والاجتماعية لتكوين جيل يحسن التصرف مع الأفراد والجماعات . وسيعنى فى تدريسه بالمبادىء التعاونية الاشتراكية وتدعيم القومية العربية حتى إذا اكتفى متخرج المرحلة الابتدائية بذلك والتحق بالعمل فى بيئته كان مواطنا مستنيراً وعضواً صالحا فى المجتمع .

## وتخطيط للإعدادى والثانوى

### والتعليم الفنى

وعقد السيد كمال الدين حسين اجتماعا آخر مع خبراء وزارة التربية والتعليم استمر عشر ساعات ، لوضع الخطوط الرئيسية التعليم الإعدادى والثانوى العام والتعليم الفنى . وطلب من الخبراء أن توضع مواصفات معينة للتلميذ الذى يقبل بكل مرحلة ، والمستويات التى يجب أن يصل إليها . وأن توضع مناهج جديدة تتلاءم وحاجة البلاد . ومواجهة زيادة عدد المقبلين على التعليم ، ودراسة توحيد امتحانات القبول للإعدادى . وأن يراعى فى مناهج

المراحل الإعدادية والثانوية العامة موضوعات الفنون التطبيقية والأعمال اليدوية .

وقد تقرر أن يبدأ فورا إنشاء المدارس الثانوية الشاملة التي يدرس فيها الطلبة المواد النظرية والعملية . وستكون الدراسة في العلوم عملية بحتة ، وستلغى مدرجات العلوم ويستعاض عنها بالدراسة في المعامل .

وأثار الوزير في التعليم الفني موضوع تخريج العامل الفني الذي يعمل بيديه في الحقل والمصنع والشركة ، ويقوم بصناعة وإعداد الآلات البسيطة التي لا يستطيع العامل البسيط القيام بها ، وأن توضع مناهج جديدة لتخريج الفنيين اللازمين لمشروعات السد العالي والوادي الجديد ، ومشروعات التصنيع على أساس أنه حقيقة واقعة .

وطلب دراسة إنشاء مدارس إعدادية تجارية للبنين لتخريج باعة وموظفين فنيين في المؤسسات . وإعداد مناهج ثقافية جديدة تمس المهنة من حيث احترام العمل اليدوي . وإعداد كتاب للمعلم به نماذج تيسر له العمل في التدريس .

## الكتب المدرسية

أعدت وزارة التربية والتعليم مشروع قانون بتحريم طبع كتب مدرسية إلا بعد عرضها على الوزارة ، ويوجب هذا القانون على المطابع أن تقدم - خلال ستة أشهر - جميع ما لديها من كتب مدرسية خارجية إلى الوزارة لمراجعتها وسيصدر قرار وزاري يحرم على المدارس استعمال الكتب غير المعتمدة .

## صاروخ يبلغ المدار الشمسي

في يوم الجمعة ٢ يناير أطلقت روسيا صاروخا موجها إلى القمر بلغ وزن الجزء الأخير منه ١٤٧٢ كيلو جراما ، وهو مزود بأجهزة لمعرفة الحقل المغناطيسي للقمر ، وكثافة الأشعة الكونية خارج الحقل المغناطيسي للأرض ، والكشف عن النشاط الإشعاعي للقمر ، ودراسة توزيع النوويات الثقيلة في الإشعاع الكوني ، والعناصر الغازية بين الكواكب ، وذرات الأشعة الشمسية ، وجزئيات الشهب .

وقد عبر الصاروخ حدود روسيا الشرقية عقب إطلاقه ، ومر فوق المحيط الهادي ، وجزر هاواي وفوق جنوب سومطرة على ارتفاع ١١٠ آلاف كيلو متر من سطح الأرض . وهو يسير بسرعة ٧ أميال في الثانية ، وقطع حتى مساء السبت ٣ يناير أكثر من ٢٨٤ ألف كيلو متر ، أي حوالي ٨٠ في المائة من المسافة بين الأرض والقمر .

وفي يوم الثلاثاء ٦ يناير أعلن نويشيف نائب رئيس أكاديمية العلوم الروسية أن الصاروخ وصل إلى أقرب نقطة من القمر في الساعة الخامسة والدقيقة ٥٩ من صباح ٤ يناير بتوقيت موسكو ، وبعد مضي ٦٢ ساعة على إطلاقه وصل إلى مداره حول الشمس .

# أنباء العالم الإسلامي

---

## اتفاق السد العالى

تم فى يوم ٢٧ ديسمبر توقيع اتفاق المرحلة الأولى من بناء السد العالى بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة ، وصدر بذلك بلاغ مشترك . وينص الاتفاق على أن حكومة الاتحاد السوفيتى تقوم بتوريد ما يلزم لهذا المشروع من آلات ومعدات وماكينات وكذلك المواد التى لا تتوافر بالجمهورية العربية المتحدة . وستوفد العدد اللازم من الإخصائيين الفنيين للقيام بالإدارة الفنية لتنفيذ بناء السد .

ولتغطية النفقات التى تتكبدها الهيئات السوفيتية فيما يتعلق بتنفيذ التعهدات المشار إليها فإن حكومة الاتحاد السوفيتى تقدم إلى حكومة الجمهورية العربية المتحدة قرضاً طويل الأجل فى حدود أربعمائة مليون روبل بتسهيلات كبيرة ، على أن تؤدى قيمة هذا القرض عن طريق توريد السلع المحلية إلى الاتحاد السوفيتى وتقوم حكومة الجمهورية العربية المتحدة بتكوين هيئة خاصة تتولى الشئون الإدارية والفنية والمالية للمشروع .

وبعد توقيع الاتفاق خطب المشير عبد الحكيم عامر فقال :

إن مساهمة الاتحاد السوفيتى فى بناء السد العالى دليل جديد على المساعدة المخلصة التى يقوم بها الاتحاد السوفيتى بمساعدتنا فى بناء اقتصادنا القومى بلا قيد ولا شرط .

## الجيش العراقى

احتفل العراق بالذكرى الثامنة والثلاثين لتأسيس جيشه وخطب اللواء عبد الكريم قاسم رئيس الحكومة العراقية فى هذه الذكرى فأكد تصميم العراق على انتهاج سياسة التعاون والتضامن التام مع البلاد العربية المتحررة فى جميع الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، لتقف هذه الأمة صفاً واحداً فى العمل على تحقيق أهداف القومية العربية وإعلاء كلمة العرب .

## الوادى الجديد

### الموازى لوادى النيل

أشار الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه يوم ٢٣ ديسمبر فى بور سعيد إلى أن الوادى الجديد الموازى لوادى النيل سيكون هو المشروع الذى يأخذ الأولوية الثانية بعد السد العالى. وكان معلوما أن مياها جوفية تتسرب بكميات هائلة من منطقة بحيرة تشاد وتنحدر متدفقة إلى المناطق الواطئة فى اتجاه البحر، وطوال العام الماضى كاف سلاح المهندسين فى الجيش بإرسال بعثات إلى المنطقة وحفرت آبار تجريبية بين الواحات.

وتفيد نتائج هذه الأبحاث أن أقل الاحتمالات الممكنة هى الحصول على مليون فدان جديدة تزرع وتصل الواحة الخارجة بوادى النيل الأصلى، ويمكن أن يصل هذا الرقم إلى ثلاثة ملايين فدان. وقد تقرر البدء بدراسة المشروع على أعلى مستوى علمى ممكن، وسوف تبحثه الوزارات المختصة، ويعرض على خبراء عالميين ليبدوا آراءهم فيه. وإن كتائب الخدمة الوطنية التى تضم الشباب الفائض عن حاجة القوات المسلحة وغيرهم من المتطوعين سوف تكلف بالاشتراك فى تنفيذ هذا المشروع الكبير.

وقد تم وضع مشروع كامل للسكك الحديدية يربط بين وادى النيل والواحات، إذ يعتمد تعمير الوادى الجديد على سهولة المواصلات لنقل الأفراد والمواد والمعدات اللازمة إلى مناطق التعمير ونقل منتجات الوادى الزراعية.

وإن مشروع الوادى الجديد لايدخل ضمن مشروعات استصلاح الأراضى التى تعتمد على المياه التى يوفرها مشروع السد العالى، وإن كان المشروعان سيرتبطان فى النهاية بالطاقة الكهربائية التى ستستخدم فى إدارة المضخات والإنارة وتشغيل المولدات فى أراضى المشروعين.

وسوف يستخدم الفنيون جميع الوسائل لاستخراج المياه الجوفية ورفعها لرى الوادى الجديد الذى بدئ فعلا بزراعته، وسيجلبون القوة الرافعة باستخدام الوقود والكهرباء والمراوح حتى الطاقة الشمسية.

## مقاتلاتنا تسقط طائرة إسرائيلية

فى الساعة الواحدة بعد ظهر ٨ يناير اجتازت ٦ طائرات إسرائيلية حدود سيناء فوق منطقة القسيمة، فتصدت لها أربع من طائراتنا المقاتلة، ودارت معركة جوية أسفرت عن إصابة طائرتين شوهدت إحداهما وهى تسقط داخل الحدود الإسرائيلية عند «بيرين» بينما أخفقت الثانية فى التسحب، ولاذت الطائرات الإسرائيلية الأربع الأخرى بالفرار داخل الحدود الإسرائيلية.

وقد سجلت هذه المعركة بأجهزة التصوير المثبتة فى طائرات الجمهورية العربية المتحدة.

## صناعة

## السفن بالإسكندرية

تبين لحكومة الثورة سنة ١٩٥٥ أن البلاد فى حاجة إلى إنشاء دارصناعة بحرية تتناسب مع احتياجات الدولة ، لا سيما بعد أن تعرضت البلاد لضغط اقتصادي وسياسى شديدين إبان حرب فلسطين لعدم توافر السفن وناقلات البترول وتعذر إصلاح هذه السفن إصلاحا فنياً فى المياه المصرية .

لذلك أعد مشروع لإقامة دار صناعة بحرية فى الإسكندرية وطرح فى مناقصة عالمية فتقدمت عدة دول بعروض لإقامته ثم رسا المشروع على الاتحاد السوفيتى ليقوم بتنفيذه فى عام ١٩٥٩ / ١٩٦٠ على أساس أن تكفى دار الصناعة لبناء سفن تجارية وحربية وناقلات بترول ، ويخصص ٧٠٪ من كفاءة العمل للبناء و ٣٠٪ للإصلاح ، ويسمح التصميم ببناء سفن مختلفة النوع يصل طولها إلى ١٦٠ مترا ويعادل إنتاجها السنوى ما حمولته ٥٠ ألف طن ، ويستخدم فى بنائها ١٥ طن من الصلب الناتج من مصانع الحديد والصلب بحلوان .

وقد تبودلت البرقيات بين الهيئة العامة لمشروعات السنوات الخمس بالإقليم المصرى والسلطات المختصة بالحكومة السوفيتية فى موسكو بالموافقة على أن يقوم الجانب الروسى بهذا المشروع ، وإلحاقه باتفاقية التصنيع بين البلدين .

## الحرب

## على الإسراف

بعثت رياسة الجمهورية خطابات رسمية إلى جميع الوزراء المركزيين والتنفيذيين تطلب فيها إليهم أن يدرسوا جميع الأوضاع فى وزاراتهم على ضوء ما ذكره الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى المؤتمر التعاونى فيما يختص بموضوع الإسراف ، وطلب فيه إلى جميع الوزراء أن يكتبوا إلى رياسة الجمهورية تقارير مفصلة عن اقتراحاتهم العملية - كل فى دائرة اختصاصه - لضغط هذا الإسراف وتلافيه ، وينتظر أن تشكل لجنة عليا لدراسة هذه التقارير ، وستدرس هى بنفسها الموقف فى جميع الوزارات على ضوء تقارير الوزراء ، وترسم خطوط السياسة العامة للحد من الإنفاق الذى يزيد عن حدوده فى كثير النواحى .

# آراء وأحاديث

لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

# فضيلة الأستاذ الأكبر

## الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

* يوضح حكم الشريعة الإسلامية فى المسائل الدقيقة التى تهم المسلمين وغيرهم .
* ويشرح الخطوط العريضة للسياسة التى وضعها فضيلته ، ليقوم الأزهر بأعباء رسالته العالمية .
* ويبين الحلول الصحيحة للمشكلات الدولية والمحلية .

**حديث الأستاذ الأكبر مع مندوب جريدة البوبولو الايطالية :**

الدكتور دايوكا انجيلو مندوب جريدة البوبولو صحفى إيطالى، طلب مقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، لا بوصف كونه صحفياً فحسب ، إنما ينضم إلى ذلك أنه صحفى يريد أن يضع كتاباً عن النهضة الإسلامية فى العالم ، وأثر هذه النهضة فى دعم السلام وخاصة النهضة الإسلامية فى الجمهورية العربية المتحدة ، التى تضم الأزهر قبلة العالم الإسلامى العلمية ، والذى يتطلع إليه المسلمون والعرب على أنه بيده أمانة القومية العربية، والمكان الذى تنبثق منه الأشعة التوجيهية ، البلد الذى أنجب جمال عبد الناصر ، باعث القومية العربية ، ورافع لواء نهضتها ومذكى شعلة التقدم فيها .

قال الصحفى : لقد سمعت عن الشيخ الأكبر شلتوت وأنا فى إيطاليا ، وتاقت نفسى لأن أرى إمام المسلمين ، ورائدهم ، وأن أجلس إليه لأستمع إلى حديث تتدفق معه سيل يحدد المسائل التى تعلق بالأذهان فى هذه الحقبة من الزمن ، وتوضع أمامها علامات الاستفهام ؛ لأرفع علامات الاستفهام التى تتخيلها الأذهان وترسمها أمام بعض المسائل ، تمنيت ذلك كثيراً وعندما حدد لى الموعد الذى سألقى فيه الشيخ الأكبر وأستمع إلى إمام المسلمين تنبأت لكتابى بأنه سيؤتى أكله ويفيد فائدته ، ويحقق الغاية العلمية من ورائه .

ـ وهنا قال فضيلة الأستاذ الأكبر بصوته الجهورى فى ثقة وإيمان واعتزاز ، وقد رفع المصحف بيده : هذا هو القرآن الكريم ، ثالث الكتب ، أنزله الله سبحانه على محمد صلى الله عليه وسلم ، ليرشد الناس به إلى ما يجب أن يأخذوا به أنفسهم ، ويوحدوا به حياتهم ، ويكونوا به مجتمعهم ، على الوجه الذى يسعدهم فى الدنيا بالعزة والسلطان ، والتمكين والهيمنة على الحق « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » القرآن وضعت فيه مبادئ هامة وقوية ، يجب على البشرية أن تعلمها وأن يتعرفوا إليها ، فإنه مهما تقدمت المدنية وانتصرت فلن تصل إلى ما حمله القرآن للبشرية جمعاء . إن القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم تستطيع أن تجد فيه كل ما تعتبره المدنية حديثا وجديدا ، فإليك النظام الذى جمع المصالح المشتركة ودافع عنها « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » وفى سبيل ذلك يؤلف قلوبهم بإرجاعهم إلى أصل واحد حيث يناديهم بقوله تعالى : « يا بنى آدم » فى آيات كثيرة تنبه إلى أنهم من أصل واحد فأولى بهم التقارب والتآلف والتعارف والتناصر والتآزر ، وفى هيئات التحكيم وفى البوليس الدولى تستطيع أن تجد ذلك فى قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا ... ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله » ، ثم ترا ... ادى بالسلام نداء صريحا واضحا : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا » ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » .

## من دعائم السلام

### نشر العدل والإحسان

الظلم هو أساس الحروب وطريق من طرق نشر الفوضى وعدم الاستتباب ، بل هو أساس الاشتباكات التى تحدث بين الأفراد والجماعات ، لكن العدل هو اليد البانية ، والقلم الذى يخط خطوط الاستقرار والهدوء ، والذى يرسم الحق واضحا ، فلا يأخذ من أحد ليعطى غيره إلا عن حق من غير ما طغيان أو ظلم « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

### موقف الدين الإسلامى من الأديان الأخرى

إن الشريعة الإسلامية إنما جاء القرآن بها مصدقا لما بين يديه من الكتب ، كما أنه يحث

جلس الزائر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر وحياه تحية عبقة فى احترام وعمق تقدير ، فابتدره فضيلة الأستاذ الأكبر بحسن ترحيب قائلا : إننا نحيي فيكم البحث عن الحقائق ، وميلكم إلى الوصول إليها فى دقة مهما كلفكم الأمر ، وهذا هو الأمر عندنا فى الشريعة الإسلامية ، تستحثنا على بذل الجهد وتحرى الحقائق ، وتتبعها أينما كانت ، وحيثما وجدت ، كما يأمرنا الله بالدقة فى الأخبار بحيث لا يتهجم الإنسان على العلم والمعرفة ، إلا بعد انتهاله من مناهلها الصحيحة ، ولذا يقول الله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب . ولا تقف ما ليس لك به علم » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن رأيت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع » .

واستطرد فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا : إن الأزهر وشيخه ليقدر الصحافة حق قدرها ، فإننى أراها موجهة ومرشدة ومبصرة للناس والشعوب ، وذا مما يتفق إلى حد كبير ، وطبيعة رسالة الأزهر التى تقوم على المعارف الإلهية . تنير طريق الناس وتأخذ بأيديهم إلى الخير والسداد ، إن رسالة الصحافة تدفع إلى الطريق المستقيم حينما يحسن الت. وتخلص النية وبذا تصبح الأهداف قريبة والغايات يسهل الوصول إليها .

وإننى أعتقد يا أخى أن مقالا واحداً من صحفى يؤمن بفكرته ، ويأمل الوصول إلى غاية سامية ، لأجدى على المجتمع من آلاف الدروس والمحاضرات ، حيا الله الصحافة الحرة ، وبارك لها فى أهدافها وقوى أجنحتها فى كل مكان ؛ لنتعاون جميعاً على البر والتقوى إن شاء الله .

قال الصحفى الإيطالى مسيو دايوكا انجيلو : إننى لفخور بما ظفرت به الصحافة من جميل تقديركم لها ، وسامى شعوركم نحوها ، وأود أن أقول لكم : إننى بالرغم من أننى إنما جئت لأسجل ما أظفر به فى كتاب أعلن فيه عن النهضة الإسلامية ، فسأكتب مقالا فى أوسع الصحف انتشاراً لأننى أعلق على كل ما أظفر به من توضيح لرسالتكم فى الأزهر آمالا كباراً ، بقدر ما يشاركنى فى ذلك الصحفيون والمسلمون فى أنحاء الدنيا .

* ما مدى التطور الذى يستطيع الناس أن يلمسوا فيه تحقيقاً المبادىء التى تحرص عليها الأمم الحرة الآن لتكون دعائم السلام الذى تنشده ؟

على عدم التنابز بالأديان « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

والإسلام دائماً يدعو إلى الوحدة وينهى عن التنابز ، وينبه إلى التكتل ، وإذا قاتل فإنما هو قتال الدفاع لا قتال العدوان « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

وإنك لترى أن الدين الإسلامى لا يرغم أحداً ولا يكرهه على الدخول فيه « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى» ، « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

## أوثق الروابط بين الشريعة الإسلامية والأديان الأخرى

ولعلك تستطيع أن تدرك مدى ما يحرص عليه الإسلام من توثيق الصلات وتقوية الارتباطات بينه وبين غيره من الأديان ، لتصفو الأمة وتتحد كلمتها وتحافظ عناصرها بعضها على بعض ، فربط بينها وبينهم برباط المصاهرة التى يترتب عليها أن يكون خال الولد من أهل الكتاب ، وإذا وجدت هذه الخئولة توطدت العلاقات وقويت الصلات ، وكذلك ترى التبادل فى المأكل والمشرب ، إذ أن التبادل دائماً مهمته تقريب القلوب وتحبيب النفوس « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب » ، والحل فى مقابلة هؤلاء بهؤلاء إظهار الود وحسن تقريب القلوب .

« كيف تفرق بين كلمة الإسلام والجهاد الإسلامى ، وبين الثورة الحالية فى سبيل التطور نحو مبادئ الاشتراكية والقومية العربية ؟

إن أساس الاشتراكية فى الإسلام الزكاة ، والزكاة فى حقيقتها وواقعها نقل الأمة بعض مالها من إحدى يديها وهى المستخلفة على حفظه وتنميته إلى اليد الأخرى وهى اليد العاجزة عن الكسب والانتفاع « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، فأنت ترى من هذا أن الزكاة فى نظر الإسلام أخذ للمال من الأمة فى شخص أغنيائها إلى نفس الأمة فى شخص فقرائها . وهذا الوضع فى الإسلام أقوى ما يحقق للأمة وحدتها وتكافلها الاجتماعى الذى تسعى إليه الأمم ومظهر هذا التكافل أن الله جلت قدرته قد أوجب الزكاة فى النقدية ، وأوجبها فى المواشى : فى الإبل والبقر والغنم وفى الزروع والثمار والسلع

التى يتجر فيها التجار من أى نوع ، وهذه هى الاشتراكية المنظمة فى أجلى معانيها وفى أعمق مقاصدها ؛ ذلكم أنها ربط الغنى بالفقير كما هى تعاون للشعب مع الحكومة والحكومة مع الشعب فى الإصلاح والنظام العام . فالاشتراكية فى الإسلام إذن تعاون مالى قوى وليست نهباً ولا قوة ولا غصباً . فزكاة الزروع عامة فى الزروع كلها فى كل ماتخرجه الأرض « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، والنخل والزرع مختلفاً أكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره إذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فيما سقت السماء العشر » ، وهذا التعميم هو الذى يحقق التكافؤ الاجتماعى ، وتلكم هى الاشتراكية التى يوضح معالمها الإسلام ؛ فيما يحقق الألفة والإخاء بين أفراد الأمة وجماعاتها ، وهى النواحى الاشتراكية التى تعمل الثورة على تركيزها ، ونشر التكافؤ الاجتماعى بين أفراد الأمة .

يا أخى إن الثورة الحالية : تلكم الثورة البيضاء ثورة إذا ما تتبعت أهدافها وغاياتها وسبل الوصول إلى تلكم الغايات والأهداف ، لوجدت ألا فارق مطلقاً بين الإسلام والجهاد الإسلامى ، وثورتنا المصرية .

ذلكم أن من مبادئ الثورة : —

١ — سلام لا استسلام .

٢ — الضمان الجماعى .

٣ — التعاون .

٤ — لا إقليمية ولا عصبية ولا مذهبية .

وتلك كلها يدعو إليها الإسلام فيه ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا » .

ومظهر الضمان الجماعى فى الإسلام هو ما ربط بين أفراد الإنسانية برباط قلبى يوحد بينهم فى الاتجاه والهدف ، ويجعل منهم وحدة قوية متماسكة يأخذ بعضها برقاب بعض ، سداها المحبة ولحمتها الصالح العام وهدفها السعادة ، قال تعالى « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين

أخويكم » ، « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » إن هذه هى الأخوة التى يعتمدها الإسلام عن طريق واحد هو طريق الإيمان والعقيدة الصحيحة ، وعلى كل فإن الشعوب لا يعود إليها دائما مجدها وعظمتها إلا إذا طهرت نفوسها من الذاتية والغرور .

ومبدأ التعاون هو الذى يقوم على أساسه بناء الدولة الإسلامية مترابطا متماسكا فى عون وتفاهم ، والذى من أجله ينادى الإسلام « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ويقول صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

والمجتمع الذى تترابط أطرافه وتتماسك أجزاؤه مجتمع يستحق أن يحيا ، والإسلام يمقت الإقليمية والعصبية ، فقد نزل القرآن وفى العالم مجتمعات مختلفة الأسس والغايات ، استمدت حياتها من أوضاع بشرية ، على أن العصبية وليدة نزعات خاصة لا تمت إلى القلب الإنسانى ولا إلى الصالح العام ، وفيها بينها يذوب الضمير العالمى والروح الإنسانى ، ويقضى على الرحم وصلات القربى ، وبذا يصير أفراد الإنسان ومجتمعاته كالحيوانات المفترسة ، وكان من رحمة الله أن أنزل الكتاب إرشادا وهداية ، لنسلكه فى تنظيم حياتنا الجنسية العصبية والإقليمية ونحوها .

وإن المتتبع لهذه النواحى ليجد الثورة ثورة لم تتزحزح فى خطواتها وتحقق أهدافها إلا وفق الشريعة من جميع نواحيها ، ومن ثم هيأ الله لها النجاح والتوفيق فى كل خطواتها التى خطتها لإصلاح هذا الوطن، الذى طالما تطلع إلى الإصلاح حتى هيأ الله لمصر الشاب القوى المؤمن جمال .

* ما موقف الإسلام من التقدم الذى أحرزته المرأة المسلمة حتى اشتركت فى الانتخابات ؟

— الإسلام هو الذى رفع المرأة ومكن لها من حقوق لم تكن لها من قبل ، إذ لم تكن ترث ولا كانت تعطى ، « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » .

ليس لأحد أن ينقص منه شيئا ، وبذا أنقذها من إيلامهم لها ورفعها من وهدتها فأخذت دورها فى الحياة ، ويكفى أن تعرف مدى عناية الإسلام بها تلك التى تظهر فى إبراز شخصيتها ـ

فينزل الوحي برأيها فى قوله تعالى « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها » وهى خوله بنت ثعلبة ، حين ظاهرها زوجها ، وكانت حالها كما وصفت النبى صلى الله عليه وسلم إذ قالت : إن أوسا تزوجنى وأنا شابة صغيرة مرغوب فيها ، فلما كبرت وكثر عيالى جعلنى عليه كظهر أمه فى سورة غضب ، ثم رجع وندم ، قال لها النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل على فيك شىء ، وكانت فى هذا كله تلتمس طريقا تعود به إلى زوجها ، وفعلا نزل الوحى بما أرادت ، وهو الظهار الذى جعل له كفارة « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ».

وأشركها سبحانه مع الزوج فى الحقوق ، يقول تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » .

كما سوى القرآن بين الرجل والمرأة فى العمل الصالح « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » ويجعل عليها القرآن مسئولية مستقلة فلا ينفعها عمل زوجها الصالح إن كانت فاسدة ، ولا ينفع الرجل الفاسد صلاحها هى إن كانت صالحة ، يقول صلى الله عليه وسلم « يا فاطمة اعملى لا أغنى عنك من الله شيئا » .

* — هل فى نية الأزهر تدريس اللغة الإيطالية مع ما أدخل من لغات ؟

— فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : نعم وسنعمل على الانتفاع بهذه الدراسة لدعم الصلة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين جمهورية إيطاليا ، وإن اليوم الذى نتبادل تعلم الإيطالية والعربية فتفهموا معانى القرآن الجمة ، ونتفهم بعض ما عندكم ، فنتجاوب ونتقارب ، لهو يوم سعادة الإنسانية بما يحقق ذلك من خير للبلدين ، أسأل الله تعالى أن يكتب الخير للإنسانية جميعا .

* إلى أى حد اكتسب الإسلام بواسطة بعثاته ثقة الدول الإفريقية والآسيوية ؟

— اشرأبت الدول الإسلامية : الآسيوية والإفريقية جميعها نحو أزهر الجمهورية العربية المتحدة تطلب منه الأساتذة المرشدين ، وتوفد إليه أبناءها ليعودوا إليهم هداة ومرشدين ، وكذلك يتجهون إليه يستفتونه فى كل مشاكلهم الدينية والدنيوية .

* ما هى وجهة نظر الإسلام تجاه مشكلة تحديد النسل التى تعتبر ضرورية فى مصر ؟

— إن كلمة « تحديد النسل » بهذا القيد وبمعنى إيقاف النسل إلى حد معين لا يتفق مع أمة تريد النهوض والقوة ، واتساع العمران ، وكثرة الأيدى العاملة فى الزراعة والصناعة ،

والمشروعات الخاصة العامة . وهو فوق ذلك لا يتفق وما حثت عليه الشريعة الإسلامية من الزواج ، وما بينته أيضا من امتنان المولى على الناس بنعمة البنين والحفدة ، كأثر من آثار الزواج مع طمأنينة النفوس على الرزق إذ يقول جل شأنه « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا . وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة . ورزقكم من الطيبات » وجاء فى وصايا الرسول ( تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة ) ، ( وسوداء ولود خير من حسناء عقيم ) و ( من ترك الزواج مخافة العيال فليس منا ) ، والقرآن ينعى على أهل الجاهلية قتلهم أبناءهم مخافة الفقر « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » ، وفى آية أخرى « نحن نرزقكم وإياهم » ، وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى قد أعد مائدة لعباده فى ظاهر الأرض وباطنها ، ولا يمكن أن تضيق عن حاجتهم وحاجة نسلهم مهما كثروا ومهما عاشوا ، وبذلك ترى أن التحديد بهذا المعنى العام تأباه طبيعة الحياة ، وحكمة الحكيم تأباه ، وتنبه الوعى القومى لا يرضاه ، وكذا فإن الشريعة الإسلامية كما تبين من الآيات والأحاديث ، تمنعه ولا ترضاه .

أما تحديد النسل بمعنى تنظيمه بالنسبة :

( أولا ) للسيدات اللاتى يسرع إليهن الحمل .

( ثانيا ) بالنسبة لذوى الأمراض المتنقلة .

( ثالثا ) بالنسبة للذين تضعف أعصابهم عن مواجهة المسئوليات .

أقول : إن تنظيم النسل لشىء من هذا ، وهو تنظيم فردى لا يتعدى مجاله شأن علاجى تدفع به أضرار محققة ، والتنظيم بهذا المعنى لا يجافى الطبيعة ولا يأباه الوعى القومى ولا تمنعه الشريعة ، إن لم تكن تطلبه وتحث عليه .

ذلكم أن القرآن حدد مدة الرضاع بحولين كاملين ، وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يرضع الطفل من ابن الحامل ، وهذا يقتضى إباحة العمل على وقف الحمل مدة الرضاع ، وإذا كانت الشريعة تتطلب كثرة قوية لا هزيلة ، فهى تعمل على صيانة النسل من الضعف والهزال ، وتعمل على دفع الضرر الذى يلحق الإنسان فى حياته ، ومن هنا قرر العلماء إباحة منع الحمل ـ مؤقتا ـ بين زوجين ـ أو دائما بهما أو بأحدهما داء من شأنه أن ينتقل فى الذرية والأحفاد ، وهكذا نرى أن الشريعة تحافظ على قوة الأمة ، وقوة أفرادها ، وتباعد بينها وبين أسباب الضعف ، فإن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

والجمهورية العربية المتحدة مع هذه المشروعات الضخمة الصناعية والزراعية أشد حاجة إلى النسل الكثير القوي .

وبهذا يتبين لنا أن الشريعة الإسلامية تبيح « تنظيم النسل » لا تحديده .

* ما رأي فضيلتكم في كيفية حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومشكلة إسرائيل ؟ وهل توجد قرابة بين اليهود والعرب ؟ وهل يمكن العيش في ظل الخلافات والمنازعات الدائمة بين العرب واليهود ؟

لا حل لهذه المشكلة إلا بأن يعود اللاجئون إلى أوطانهم التي منها أخرجوا بغيا وعدوانا ، وأن يتخلى الاستعمار عن دسائسه ، فهو الذي أوجد هذه المشكلة وأثار هذا الخلاف ، ليستطيع أن يعيش في الشرق العربي ؛ لأنه لا يستطيع أن يعيش إلا مع هذا الخلاف وذلك الانقسام ، ولو ترك الاستعمار العرب واليهود لعاشوا في تآلف وتعاون إخوة متحابين كما كانوا يعيشون قبلا ، وكما يعيشون اليوم في الأقطار العربية المختلفة .

وإذا كان الناس جميعاً يرجعون إلى أصل واحد « يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ، « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، وينادیهم المولى دائما في القرآن ، إثارة لمعاني الود ، وتقريبا للنفوس « يا بني آدم » ، « يأيها الناس » ، فيردهم إلى أصل واحد ، ويربطهم برحم واحد ، ويخلع عليهم وصف الإنسانية منبع العلم والحكمة ؛ فإن واجب رجال الاستعمار إن كانوا يؤمنون بمعنى الإنسانية الفاضلة التي يزعمون أنهم وضعوا حقوقها وأنهم حراس عليها ، إن واجبهم يقضي عليهم بالتخلي عن موقفهم من إيثار نار العداوة والبغضاء بين العرب وغيرهم ، وأن يتركوا للعرب أرضهم التي جعل الله لهم فيها معايش ، وطلب منهم أن يعمروها ، فيعود الوئام والسلام إلى هذه المنطقة بل إلى الانسانية كلها ، وهذا ما تتطلبه الأديان ، وتدعو اليه الشرائع ، وهذه دعوتنا نعلنها على زعماء الأديان وقادة السياسة ، وهي دعوة السماء إلى أهل الأرض ، « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ؛ حتى يستقر السلام ، ويطهر العالم من البغي والعدوان ، ويعيش في أمن ورفاهية وطمأنينة .

وفق الله الجميع لخدمة الإنسانية ، وأزال عنها كابوس البغي والعدوان .

# الأستاذ الأكبر يشرح رسالة الأزهر فى العصر الحديث

---

وكتب مندوب « المساء » يقول :

بدأت حديثى مع الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر ، بسؤال عن الوسائل العلمية التى يراها كفيلة بأداء الأزهر رسالته فى عصرنا الراهن فأجابنى بقوله :

رسالة الأزهر رسالة ضخمة فهى ليست من الرسالات المحلية ، وإنما هى أعم من ذلك وأشمل . فهى رسالة تتجاوز ظاهر الحياة إلى باطنها ، وتتجاوز توصيل المعرفة للفرد والجماعة إلى تنمية العلاقات بين الشعوب الإسلامية من ناحية ، ونشر ثقافة الإسلام فى جميع ربوع العالم من ناحية أخرى .

والأزهر فى وضعه الحاضر لا يؤدى هذه الرسالة إلا بالأسلوب التقليدى القديم وإلا فى نطاق ضيق محدود ، ونحن الآن أمام هذا الوضع بين عاملين . . إما أن تعدل الأوضاع وتيسر للأزهر مهمته ، وإما أن نبقى فى ظل هذه الآفاق الضيقة ، ونخضع للأساليب القديمة ، ونظل هكذا حتى يفوتنا القطار ، ثم نندب الحظ بعد ذلك ونعتب على الأيام .

وقد لمست والحمد لله من السيد الرئيس عنايته الشاملة بالأزهر ، ورعايته له ومساعدته على أن ينهض برسالته ويؤديها خير أداء ، وأمام هذه الروح الكريمة لم يبق أمامنا إلا أن نسارع لتحقيق أمل المسلمين فى العالم الإسلامى فى هذا المعهد الكبير .

## تخريج علماء أفذاذ :

ومن أجل تحقيق هذه الغاية ، لا أريد أن يخرج الأزهر المتعلمين فيه تخريجا مدرسيا فقط ، وإنما نعمل على أن يخرج أئمة فى اللغة وفروعها ، وأئمة الفقه والأصول ، لا نريده تخريجا تلتزم فيه مخلفات الماضى من آراء ومذاهب ، بل يجب أن نجتهد وأن نؤمن بأن حاجة اليوم فى الفقه واللغة وعقائد الدين غيرها بالأمس .

قلت لفضيلته : إن الرأى السائد أن باب الاجتهاد قد أغلق وأن لا مجال للاجتهاد الآن ، فرد على فى غضب وقال :

هذا غير صحيح إنه إفلاس من الذين يذيعون مثل هذا القول . . غير صحيح ما يقال من أن السابقين جاءوا على كل ما يمكن أن يجيء به الزمن ، وما يحدث للناس من أقضية وحاجات، علينا أن نؤمن بأن فضل الله لم يكن وقفا على الأولين .

تعديل المناهج :

قلت هل أفهم من هذا أنكم بصدد تعديل مناهج الدراسة . فأجابني قائلا :

هذا إجراء لابد منه ، وعندنا كنوز مطمورة أو ضائعة فى غمرة نظام التأليف القديم ، فالفقه الإسلامى كما تعلم ثروة من ثرواتنا الغالية ، ولكن محاسنه غير واضحة المعالم فى الكتب الموجودة الآن ، ولا بد من تنظيم هذا الفقه تنظيما ييسر الانتفاع به لكل من يريد الانتفاع .

وعلى سبيل المثال أسوق لك أننى فى مؤتمر لاهاى الذى عقد فى سنة ١٩٣٧ للقانون المقارن ، قدمت بحثاً عن المسئولية المدنية والمسئولية الجنائية فى الشريعة الإسلامية ، وقدمت لهم نوعا جديداً من المسئوليات لا تعرفه القوانين ، موجود عندنا فى الفقه الإسلامى وهو المسئولية السلبية ، وهو تقصير الإنسان فى عمل توجبه الإنسانية ، وذلك كما لو منع إنسان الماء عن آخر حتى مات . أو ترك مبصر أعمى يتردى فى هاوية ولم ينقذه ، فالشريعة الإسلامية تحاسب على هذا العمل ولا تعفى صاحبه من المسئولية .

هذا النوع من المسئولية الإنسانية فى زوايا كتب الفقه غير مبرز وغير واضح لمن يريد الوقوف عليه .

تنظيم الفقه الإسلامى :

وواجبنا أن نعيد تنظيم الفقه الإسلامى ، وأن نوضح مقاصده ، وأن ننظم مسائله . وليس هذا فحسب ولكنه جزء من مهمتنا ، وعلينا بعد ذلك واجب آخر لا يقل أهمية عن هذا الواجب ، وهو ربط الفقه بالحياة العامة ، ومعرفة رأيه فى كل مسألة من المسائل المستحدثة .

وعلى هذا النحو ستكون نظرتنا لجميع مناهج التعليم فى الأزهر حتى نسمو بها ، و نفيد منها ونستفيد .

التنظيمات الجديدة :

وقلت لفضيلته : أريد أن أعرف المغزى من وراء التنظيمات الإدارية الجديدة التى صدرت أخيراً فأجاب بقوله :

هذا التنظيم كان ضرورة لا بد منها لتنسيق الأعمال وتوزيع الاختصاصات ، فكليات الأزهر لم يكن لها من قبل إدارة خاصة بها ، وكانت شئونها موزعة هنا وهناك بين الإدارات المختلفة بالأزهر ، فعملت على أن تستقل هذه الكليات بإدارة خاصة تعنى بشئونها و بتنظيمها وبتيسير أمورها ، وسيكون مديرها على صلة وثيقة بعمداء الكليات ، وكذلك الحال بالنسبة لشئون المعاهد الدينية مع مدير إدارتها .

قلت : وهل سيتبع هذا التنظيم إعادة النظر فى تكوين هيئات التدريس بالكليات ؟

فقال فضيلته :

بطبيعة الحال ، سيكون من اختصاص مجلس الجامعة الأزهرية إعادة النظر فى هيئات التدريس وتنظيمها من جديد ، تنظيما يحقق الغاية المنشودة ، ويزيل كل أسباب الشكوى ، ويعمل على حفظ حقوق الأساتذة .

## تعديل قانون الأزهر :

وقلت للأستاذ الأكبر : إن التنظيم الجديد سيستدعى بالطبع تعديلات فى قانون الأزهر فقال :

إن قانون الأزهر يحتاج إلى مراجعة عامة ، لا فيما يتعلق بهذه التنظيمات والاختصاصات فحسب ، ولكن فى كل ما يتعلق بشئون الأزهر .

واستطرد فضيلته قائلا : إن نظام التعليم والمناهج الحديثة التى سيدرسها الطلاب مع إتقانهم للغات الأجنبية ، ستؤهلهم لأن يكونوا أفذاذاً فى ناحيتهم ، مطلوبين للعمل فى كل مكان ، ومن لم يجد منهم عملا فى الداخل سيجد أمامه فى كافة أنحاء العالم الإسلامى مجالا للعمل والخدمة العامة .

والذى أطلبه من إخوانى الأزهريين جميعاً ، أساتذة وطلاباً أن يؤدى كل واجبه على وجه يرضى الله ويرضى الضمير ، مع شعور بالمسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقهم نحو وطنهم العربى ، ونحو العالم الإسلامى . فالعمل الخالص لوجه الله أساس كل نجاح .

فإنه لما وضع رجال ثورتنا هذه المبادئ الخالصة لوجه الله نصب أعينهم ، مد الله إليهم يد المعونة ووفقهم ، ووصلت البلاد على أيديهم إلى ما نراه اليوم من عز وسؤدد .

# حديث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر ، مع مندوب صحيفة الشعب

---

جلست إلى الشيخ الأكبر . . إلى شيخ الجامع الأزهر . . إلى إمام المسلمين ورائدهم . . إلى الصيحة القوية التى ظلت تدوى أعواما طوالا ، مطالبة بالخروج بالأزهر من روتينه العتيق ، ومسايرته لتطورات العصر الحديث بما يستحق من علوم وآداب .

وكان لا بد من سؤال أبدأ به حديثى ليكون أول رد فى حديث الشيخ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بعد توليه منصبه الكبير . قلت لفضيلته :

* ما هى رسالة فضيلتكم فى العهد الجديد ؟

ـــ إن الحديث عن رسالة الأزهر ليطول بقدر ما سلخ الأزهر فى الحياة العامة من قرون ناوأته فيها الأحداث ، فصمد أمامها ، ووقف دونها محافظا على كيانه وقوته ، مؤديا مهمته فى الحفاظ على اللغة والدين ، متخطيا العقبات التى اعترضت طريقه ، حتى سلمنا هذه الأمانة فى عصرنا الحديث ، إننى إذ أحدثك عن رسالة الأزهر فإنما أجمل لك القول فى نواح خاصة أحدد لك بها هذا الموضوع فيما يأتى :

١ ـــ رسالة الأزهر فى ذاتها ، وما يجب أن يكون عليه الأزهر حتى تؤدى هذه الرسالة .

وإن رسالة الأزهر فى ذاتها هى تراث الفكر الإسلامى العميق الأصيل ، بل هى الحياة الإسلامية السليمة ، لأن مصدر هذه الثقافة هو القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، إن الأزهر بقيامه بهذه الرسالة إنما يحقق أمل المسلمين ، ويحمى آمال العروبة التى خدمها ، وقام على نهضتها والحفاظ على تراثها عن طريق دراسة القرآن العربى المبين ، الذى جعل الله له القدرة على أن يجعل من غير المسلم مسلما ، واستطاع أن يجعل من غير العربى عربيا ، وبذلك التقت العروبة والإسلام فى صحن الأزهر وفى أروقته ، وفى كل مكان تنبض فيه الحياة العلمية . وإن مهمة الأزهر لم تكن فى يوم ما مهمة تخريج مدرسين ومعلمين فقط ، إنما تنتظم أول ما تنتظم أمرين هما أهم ما يجب أن يناط بالأزهر :

أولها : تخريج أئمة مبرزين فى اللغة وفروعها ، ورجال بحث واجتهاد سليم ، وابتكار مفيد ، وإذن لا نريده تخريجا نلتزم فيه مخلفات الماضى من آراء ومذاهب ، بل يجب أن

نجتهد ونؤمن بأن حاجة اليوم فى الفقه واللغة وعقائد الدين غيرها بالأمس ، وأن فضل الله لم يكن قصرا على أولئك الأولين .

ثانيا – تخريج دعاة ومرشدين أقوياء فى العلم والإدراك والتدين ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن الدعوة إلى الله .

ومن هنا يتضح لنا جميعا ما يجب أن يكون عليه الأزهرى – من أنه ليس أستاذ فصل أو فرقة ، إنما هو قبل ذلك أستاذ علم وبحث ، وأستاذ دعوة وإرشاد . وبذلك كانت مدرسته الشعب كله ، والعالم الإسلامى أجمع ، وكان طلابه المسلمين فى جميع بقاع الأرض بكل طبقاتهم وأجناسهم ولغاتهم وأقطارهم ، وهذا هو ما يجب أن يشاد عليه صرح الأزهر فى نهضته فى عهد النهضة المباركة للجمهورية العربية المتحدة .

ومن هنا يتبين أن رسالتى هى تحقيق هذه الآمال ؛ ليؤدى الأزهر مهمته السامية نحو وطننا العربى والإسلامى ، هذه وجهتى وتلكم طريقتى ، وإننى والمسلمين فى أنحاء الأرض لنتجه إلى الله فى تحقيق هذه الرسالة على يد الشاب المؤمن القوى الرئيس جمال ، الذى أحيا موات هذه الأمة ، وجعل فى كل ناحية نهضة ، لنتجه إلى الله أن يديم له التوفيق فى خدمة لغتنا وديننا وقوميتنا ، بما يمد به الأزهر من عون وتوجيه .



## برنامج الأزهر

* فى محاضرة عامة عام ١٩٤٢ تحدثتم عن برامج الأزهر وطالبتم ببحثها وتغييرها ، فهل لا زلتم عند هذا الرأى ؟

– أجل يا أخى : فإننى متمسك بنظرى فى وجهة الإصلاح ، ولا أحيد عنه إلا لما هو أكثر صلاحية ، وإننى وإن كنت قد أبديت وجهة نظرى فى إصلاح الأزهر فى الوقت الذى أشرت إليه ، فإن الأزهر اليوم لسعيد بأن تحقق له هذه الآراء ، وأن تجدد له مجالات من الحياة ، إذ قد شع من الشرق على العالم كله نور الإصلاح الذى حملته ثورة مصر الحديثة ، على يد قائدها وبطلها الذى يولى الأزهر عنايته الكبرى ؛ إيمانا منه بدينه وعنايته القوية .

هذه هى وجهتى فى إصلاح الأزهر كما قدمت ، وكما ذكرت فى « رسالة الأزهر » التى بينتها فى المؤتمر الثقافى فى الصيف الماضى – وهى مهمة كبيرة ، وعبء يحتاج إلى التعاون ، وإن

ثقتى فى إخوانى وأبنائى الذين يتعاونون معى ، ويشاركوننى تحمل هذا العبء بعد إيمانى بالله وتوجهى إليه ، ثم معاونة رجال الحكومة وعلى رأسهم الرئيس العظيم ، وهم أمل هذه الأمة ، وروح هذه النهضة . لتجعل الأمل قوياً فى أن يصل إصلاح الأزهر إلى غايته التى يعلق المسلمون عليها آمالا كبارا .

## رسالة الجامعة الأزهرية

* الجامعة الأزهرية - ولا شك - من أقدم الجامعات فى العالم فماذا أعددتم لها لتؤدى رسالتها فى عهدكم نحو المسلمين فى جميع بقاع العالم ؟

— الأزهر يا أخى هو الجامعة الوحيدة فى العالم التى تضم أمم الأرض بين أحضانها ، وتحنو عليهم وتوجههم ، ثم يعودون إلى أوطانهم التى نفروا منها مفقهين لقومهم . الأزهر فيه السودانى والمغربى ، والحبشى والسنغالى والزنجبارى ، وفيه اليمنى والأندونيسى والفليبينى ، وفيه التركى واليونانى والألبانى ، واليوغسلافى والروسى ، وفيه الصينى والهندى ، وفيه وفيه . الخ . وأود أن يعلم الناس جميعا أننى معنى كل العناية بمعهد البعوث الذى يضم هؤلاء جميعا ، فإنهم رسل بيننا وبين بلادهم ، بل هم نشرات حية إلى الأمم المحبة للسلام فى الأرض ، ومن أجل ذلك كله عنيت كل العناية بإصلاح مناهج الدراسة فى هذا المعهد ، بحيث يفيد كل وافد إلى الأزهر ، ويهيأ لأن يعيش فى بيئته على الوجه الذى يحقق له حياة سعيدة ، فأمرت بتكوين لجان لبحث المناهج فيه ، ورسم الخطط التى تحقق هذه الغايات جميعها ؛ وذلك ليحقق الغاية التى لأجلها بعث المسلمون بأبنائهم إلى الأزهر . وحتى يكونوا نشرات متطورة إلى أممهم ، رابطين بيننا وبين أممهم بألوان الصلات والود ؛ بما يحقق السلام فى الأرض .

وأما البعوث التى يرسلها الأزهر إلى البلاد العربية وغير العربية ، فإننى حريص على ألا أرسل إلا الصالح الذى يستطيع أن يؤدى رسالة الجمهورية العربية المتحدة فى عصرها الزاهر ، ونهضتها المباركة ، ولعلك عرفت بعض ذلك عند ما تكلمت معك عن مسابقة اللغات ومعهد الإعداد والتوجيه .

## الكتب الصفراء

* الكتب الصفراء تشغل الآن كثيراً من الأذهان ، فهل لكم رأى فيها يوضح الرأى والاتجاه حيالها ؟

— إن الكتب الأزهرية القديمة التي تركها لنا الأولون . والتي خرجت جهابذة العلماء ذات قيمة علمية ، ولا دخل للون الورق فيها بياضا أو صفاراً ، وإنما قيمة الكتاب فيما يحويه من أفكار سليمة أو غير سليمة ، وإننا لا ننكر أن بعض الكتب لاتساير موضوعاتها ، ولا طريقة عرضها روح العصر ، ولذلك فإنني حريص كل الحرص على أن يوجه الطلاب إلى النافع منها ، وأن تقوم اللجان التي ستؤلف لبحث المناهج والكتب بالعمل على أن تصل الطالب ببيئته وبالجو المحيط به ، من ناحية دينه ووطنه وقوميته ، فإن عقلية الأزهري تتسع لما توجه اليه من علوم ومعارف ، فأولى بها أن توجه التوجيه الصالح .

ويذكرني هذا الحديث بما دار حول « غطاء الرأس » واختلاف الرأي فيه . وكان ردي « أن العبرة بما في الرأس وليس بما يغطي الرأس » .

## مسائل تربوية

* لقد اجتمعتم بالسيد كمال الدين حسين ودام الاجتماع وقتا غير قصير . فهل دار بينكما حديث حول الثقافة والتعليم ؟ أم كانت الزيارة للتهنئة بالشفاء وخالص التمنيات ؟

— إن السيد كمال الدين حسين من خيرة الشباب الناهض الواعي ، وقد تحدثنا في كثير من المسائل التربوية . وقد شكرت لسيادته حرص الحكومة على تثقيف أبناء الأمة تثقيفا دينيا ، وما أجمل هذا الحرص عندما يأتي من الحكومة والأزهر في وقت واحد .

## ترجمة القرآن

* هناك محاولات فردية يبذلها البعض لترجمة القرآن الكريم . . فما رأيكم في ذلك . ؟ وهل تقومون من جانبكم بهذا العمل الجليل وتحمل مسئولياته ؟

— إنني معني كل العناية بإصلاح نظام جماعة كبار العلماء ، حتى تؤدي مهمتها ، وتحقق الغرض من وجودها ، وسيهيأ لها في القريب العاجل إن شاء الله النظام الذي يمكنها من أداء مهمتها في الثقافة التي يرجوها المسلمون على أيدي علمائهم ، ويوم أن يتكامل هذا النظام سيكون ضمن مهمة الجماعة وضع تفسير سهل ميسر للقرآن الكريم . منبع النور والهداية ، ثم يترجم هذا التفسير إلى اللغات الشرقية والغربية ؛ ليقضي على ماغرسه الاستعمار في عقول كثير من أبناء المسلمين من أفكار خاطئة جعلتهم شيعا وأحزابا . . وغير ذلك من المشروعات المساعدة في الوصول إلى هذا الهدف العظيم .

## العصبية المذهبية

يتخذ الاستعمار من العصبية المذهبية وسيلة للتفرقة بين المسلم والمسلم ، فهل وضعتم أمام أعينكم هذا الاعتبار ، وحاربتم وقضيتم على هذه العصبية كوسيلة من الوسائل الاستعمارية التي يجب التخلص منها ؟

— يا أخي إن الاستعمار كما قدمت لك قد غرس مبدأ « فرق تسد » ، واستغل بعض الخلافات المذهبية في تنفيذ هذا المبدأ ، وإنني أرجو أن يهيأ للأزهر-الوقت الذي يستطيع فيه التقريب بين المذاهب المختلفة ، فكلها يتجه إلى غاية طيبة ، والكل يتفق في المنبع الذي ينتهل منه ، وهذه الخلافات إنما جرت المسلمين نتيجة لآراء المتأخرين المتعصبين من الفقهاء ، وفي المناهج التي أرجو أن تحقق إن شاء الله في الكليات . من الفقه المقارن وغيره ، ما آمل أن يقضي به على هذه العصبية التي أثرت في وحدة المسلمين .

## النشاط الرياضي والاجتماعي

* يقولون إن العقل السليم في الجسم السليم ، فهل في برنامج فضيلتكم ما يقوي الأبدان من نشاط رياضي واجتماعي إلى جانب الثقافة النظرية ؟ . .

— في علوم الأزهر وجهة البحث العميق ، والاستنباط من المصادر الأولى الشرعية واللغوية ، مع المقارنة بين الآراء والأفكار ، فيما قد يكون في المسألة من مذاهب وآراء ، وهو كثير في علمي الأحكام والعقائد .

وإنني وأنا المؤمن بأن ما للتربية الرياضية والاجتماعية من أثر محمود في بناء الفرد الصالح للمجتمع ، فقد عنيت العناية الكاملة بالنشاط الرياضي والثقافي والاجتماعي ، وقضيت على المركزية فجعلت لكل معهد مستقلا في ميزانية النشاط يوجهها في طريق مصلحة الطلاب وخدمتهم ، تحت إشراف مراقبة أنشئت في الأزهر لهذا الغرض . وهي تقوم بمهمتها خير قيام . وأحب أن أنبه إلى أن النشاط الرياضي بمختلف أنواعه ونواحيه في كليات الأزهر ومعاهده قائم على أتم وجه ، ولا أقول إنه بلغ الكمال فإنني معني بأن يزيد ويتكامل ؛ فإن الدين الإسلامي يحث على هذا . وينبه إليه إذ أن العقل السليم في الجسم السليم ، « والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

وأما النشاط الاجتماعي فمهمة أساسية من مهمة الأزهر ، وذلك فضلا عن الدراسات الاجتماعية التي أقبل عليها طلاب الأزهر ، واتجهوا إليها فأثبتوا فيها تفوقا وتقدما ، وإن المجلس الأعلى لرعاية الشباب الذي يعنى بهذه النواحي، ليجد في الأزهر الخامات الطيبة الأصيلة، وإننا نرجو أن يعنى المجلس إن شاء الله بزيادة ميزانيته في الأزهر في العام القادم ، فقد انتويت أن أنشئ في الميزانية الجديدة مراقبة مستقلة للتربية العسكرية والنشاط الرياضي والاجتماعي ، وأظن أن الإقليم الجنوبي قد رأى القوة العسكرية التي أبداها طلاب الأزهر في العرض العام الذي أقيم في يوم عيد النصر ، كما شهدها أخيراً في العرض العام الذي أقيم بمناسبة مؤتمر الشباب الآسيوي الإفريقي ، الذي يضم مختلف الجنسيات الممثلة في الأزهر ، والتي تسهم في نشاطه الثقافي والرياضي والاجتماعي . ولعل ذلك كله قد لمسته حينما قرأت كتابي « منهج القرآن في بناء المجتمع » فإن للقرآن الأثر القوي في خلق المجتمع الحي القوي السليم .

## سن القبول

* يتردد أن في النية تعديل سن القبول بالأزهر فما الغرض من هذا التعديل ؟ .

— إن ما سمعته صحيح فالتفكير جاد في أمر تخريج الأزهري ذي القدرة على مواصلة الدرس والتثقيف ، وخاصة بعد ضم جمعيات المحافظة على القرآن الكريم إلى الأزهر . وسيدرس هذا الموضوع ويبت فيه عند إعادة النظر في المناهج الدراسية .

## معهد الفتيات

* معنا من نفكر في إنشاء معهد للفتيات ولم نستبعد هذه الفكرة ، لأن في التاريخ الإسلامي ما ينبئنا بوجود قاضيات ومشرعات ومحدثات في الدين . . فما رأي فضيلتكم في هذا الشأن ؟

— إلى الآن لم نصل إلى الوقت المناسب لإنشاء مثل هذا المعهد . . ثم إن بعض الوعاظ في بعض المساجد يقومون بإلقاء الدروس على السيدات في أوقات معينة . ولعل ذلك يكون النواة والتمهيد لإنشاء مثل هذا المعهد في الوقت المناسب .

## معهد المحلة الكبرى

• يقولون إن معهد المحلة الكبرى لم يفتتح حتى الآن . وكان من الممكن أن يكون ذلك منذ بدء الدراسة أو بعدها بقليل . فما الداعي لهذا التأخير ؟

— إن افتتاح مثل هذا المعهد أي خلقه وتكوينه يحتاج إلى وقت حتى لا يكون عملنا ارتجاليا ، ونواجه المشكلات الواحدة تلو الأخرى بعد التعجيل فى افتتاحه .

إنما نحن سائرون فى استكمال أجهزته وهيئة تدريسه وأدواته ، حتى يبدأ ويسير دون عقبات أو مشكلات ( كان هذا الحديث قبل افتتاح المعهد ) والآن قد تم بفضل الله ، ثم بمعونة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، افتتاح هذا المعهد افتتاحا كاملا ، كما يريده المسلمون عامة ، وشعب الجمهورية العربية المتحدة خاصة ، وذلك تحقيقا لخطوط الإصلاح العريضة التى رسمها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

• تدريس اللغات الأجنبية فى الأزهر خطوة جريئة . فما الداعى للتعجيل بها وإجراء المسابقات فى هذه اللغات ؟

— أنت تعرف والمسلمون جميعاً أن الأزهر هو قبلة الأنظار فى جميع الأقطار ، يفد إليه الطلاب من كل صوب ، ومن مختلف الجنسيات والبيئات ، ولما كان كثير من المسلمين فى مختلف أنحاء الأرض لم تمكنهم ظروفهم الخاصة من تلقى ثقافتهم العربية والإسلامية من منابعها الأولى فى الأزهر ، لأن الاستعمار عمل جاهداً على إبعادهم عن لغة القرآن وتعاليمه ، التى تبعث فى نفوسهم معانى العزة والكرامة ، لذلك فهم يتوجهون إلى مشيخة الأزهر بطلبات كثيرة يعربون فيها عن مسيس حاجتهم إلى الأزهر ، بمدهم بعلمائه حيث يزودونهم بمصادر الثقافة الإسلامية بلغاتهم الخاصة ، ورسالة الأزهر تقتضيه أن يجيب هذه الرغبات ، مع ملاحظة أن يكون العالم المبعوث إلى هذه الجهات ملما بلغتهم فوق إلمامه بالثقافة الإسلامية .

لذلك قد اتجهت لتحقيق هذا الغرض من طريقين . اولها : اختيار من يصلح لأداء هذه المهمة من المتخرجين فى الأزهر المجيدين للغات الأجنبية ، لبعثهم إلى هذه الجهات . وذلك عن طريق مسابقة أجراها الأزهر فى شهر ديسمبر الماضى . وكانت نتيجتها طيبة ، تبعث الأمل فى أن الأزهر بإذن الله سيحقق أمل المسلمين فيه ، وستعقد هذه المسابقة فى كل ستة أشهر لاختيار الصالح من المتقدمين ليكون رسول الأزهر إلى إخوانه المسلمين .

وقد نجح فى هذه المسابقة تسعة وثلاثون أزهريا فى اللغات الثلاث « الانجليزية والفرنسية والألمانية » وستتخذ الإجراءات السريعة لبعث المتفوقين منهم فورا ، وأما الباقون من الناجحين فسيلحقون بمعهد « الإعداد والتوجيه » الذى يعتبر الأول من نوعه فى تاريخ الأزهر ، والذى سيفتح أبوابه فى الفصل الدراسى الثانى من هذا العام ، حتى يتم إعدادهم فيه إعدادا يلمون فيه بلغات البلاد التى يبعثون إليها ، وبعاداتها وتقاليدها ومذاهبها التى اتخذت سلاحا فى تقطيع ما بين المسلمين من صلات الرحم الثقافى الإيمانى . . ويلمون أيضا فيه بالثقافة الإسلامية الواسعة .

وأما الطريق الثانى فقد رأينا تدريس اللغات الأجنبية فى المعاهد الدينية ، ومعهد البعوث الإسلامية والكليات الأزهرية ، وذلك ليتزود الطالب الأزهرى مع ثقافته الدينية باللغات الأجنبية التى تمكنه مستقبلا من أداء مهمته نحو إخوانه الذين لا يتكلمون العربية . وقد أدخلت فعلا بالمعاهد الدينية والكليات .

## نداء

وإنى لأتوجه إلى إخوانى وأبنائى الأساتذة والطلاب ، فى أن يكونوا معوانا لى فى تحقيق هذه الغاية ، بأن يؤمن كل منهم بواجبه ، ويخلص الإخلاص كله فى أدائه ، وأن يحرصوا على أداء الأزهر لرسالته نحو وطنهم العربى والإسلامى . وليكن لهم فى رسولنا الأسوة الحسنة ، وفى زعيمهم وبطل نهضتهم ورجال ثورتهم القدوة الصالحة . والله المستعان ، عليه توكلت وإليه أنيب .

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر يقول :

# الإسلام دين الوحدة

دعا الإسلام إلى الوحدة ، وجعل المحور الذى يتمسك به المسلمون ويلتفون حوله هو الاعتصام بحبل الله ، وقد جاء ذلك فى كثير من آيات الذكر الحكيم ، وأصرحها فى ذلك قوله تعالى فى سورة آل عمران « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

نهى عن التفرق ، والتفرق بعمومه يشمل التفرق بسبب العصبية ، وقد صح « لا عصبية فى الإسلام » وبسبب المذهبية . وقد انبثقت المذاهب الفقهية الإسلامية على كثرتها واختلاف طرقها من أصول واحدة هى « كتاب الله وسنن نبيه » .

الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية :

وقد كان للاجتهاد فى الأحكام مجال واسع تفرقت به المذاهب وتعددت ، وعلى رغم تعددها واختلافها فى كثير من الأحكام ، وتعدد الآراء فى المسألة الواحدة ، فقد كان الجميع يلتقون عند حد واحد وكلمة سواء ، هى الإيمان بالمصادر الأولى وتقديس كتاب الله وسنة الرسول ، وقد صح عن جميع الأئمة : « إذا صح الحديث فهو مذهبي ، واضربوا بقولى عرض الحائط » .

من هنا تعاون الشافعى ، والحنفى ، والمالكى ، والحنبلى ، والسنى والشيعى ، ولم يبذر الخلاف بين أرباب المذاهب الإسلامية إلا حينما نظروا إلى طرق الاجتهاد الخاصة وتأثروا بالرغبات ، وخضعوا للإيحاءات الوافدة فوجدت ثقوب نفذ منها العدو المستعمر ، وأخذ يعمل على توسيع تلك الثقوب ، حتى استطاع أن يلج منها إلى وحدة المسلمين ، يمزقها ويفرق شملها ويبعث العداوة والبغضاء إلى أهلها ، وبذلك دبت فيما بينهم عقارب العصبية المذهبية ، وكان من آثارها السيئة ما كان مما يحفظه التاريخ من تنابز أهل المذاهب بعضهم مع بعض ، وتحين الفرص لإيقاع بعضهم لبعض ، والدين من ورائهم يدعوهم : هلموا إلى كلمة الله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » .

## أحاديث الأستاذ الأكبر

### انتهى زمن هذه العصبية :

هذا وقد مضى زمن تلك العصبية الجاهلية ، وانطوت صفحتها المظلمة . وعرف المسلمون أن اختلاف الأشقاء لا يمكن أن يدوم ولا أن يطرد ، فلا بد أن يأتى عليهم يوم يحققون فيه نسبهم إلى أبيهم ، وينتمون فيه إلى أصلهم الذى انبثقوا منه وتفرعوا عنه ، وأخذت هذه الروح تنمو ، وتضيق شقة الخلاف بين أهل المذاهب حتى اقتدى الحنفي بالشافعي ، والسنى بالشيعى ، وتبودلت المنافع بينهم ، واتصلت الآراء وأخذ كل ينتفع بما فى مذهب الآخر ، حتى وصلنا إلى وقتنا هذا ، وقد رأينا كتبا وخاصة كتب الحديث المعتبرة تعرض لمذاهب أهل السنة ومذاهب الشيعة المعتدلة من إمامية وزيدية ، وقد ترجح غير مذهب أهل السنة .

ولا أنسى أنى درّست المقارنة بين المذاهب بكلية الشريعة بالأزهر، فكنت أعرض آراء المذاهب فى المسألة الواحدة — وأبرز من بينها مذهب الشيعة ، وكثيرا ما كنت أرجح مذهبهم خضوعا لقوة الدليل .

ولا أنسى أيضا أنى كنت أفتى فى كثير من المسائل بمذهب الشيعة وأخص منها بالذكر ما نجد الناس فى حاجة ملحة إليه ، وهو فيما يختص بالقدر المحرم من الرضاع ، كما أخص بالذكر ما تضمنه قانون الأحوال للشخصية الأخير ، ونذكر على سبيل المثال المسائل الآتية :

أولا — الطلاق الثلاث بلفظ واحد فإنه يقع فى أكثر المذاهب السنية ثلاثا ولكنه فى الشيعة يقع واحدة رجعية ، وقد رأى القانون العمل به ، وأصبحت الفتوى بمذهب أهل السنة لا يقام لها وزن فى نظر القضاء الشرعى السنى .

ثانيا — رأى قانون الأحوال الشخصية فى تنظيمه الأخير أن الطلاق المعلق منه ما يقع ومنه ما لا يقع تبعا لقصد التهديد أو قصد التطليق ، ولكن مذهب الشيعة يرى أن تعليق الطلاق مطلقا قصد به التهديد أو التطليق لا يقع به الطلاق وقد رجحت هذا الرأى ، وكثيرا ما أفتيت به . وكثيرا ما أذعته ، وكتبته فى أحاديثى المتعلقة بالطلاق وأجوبة السائلين عن إيقاع الطلاق . وكم وكم . . . الخ .

والباحث المستوعب المنصف سيجد كثيراً فى مذهب الشيعة ما يقوى دليله ويلتئم مع أهداف الشريعة من صلاح الأسرة والمجتمع ، ويدفعه إلى الأخذ به والإرشاد إليه .

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الثامن - القاهرة : شعبان سنة ١٣٧٨ - فبراير ( شباط ) سنة ١٩٥٩ - المجلد الثلاثون



# شهر شعبان

إذا تحدثنا عن الأشهر والأيام والأمكنة ، وعن قيمتها فى نظر الإسلام لحديثنا عنها فى واقع الأمر هو حديث عما ارتبط بها من ذكريات وأحداث كانت لها دلالتها فى تصوير بعض مبادئ الإسلام نفسه . ومن ذلك حديثنا اليوم عن شهر شعبان : فتروى عائشة رضى الله عنها فى حديث لها تقول فيه : « لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من شعبان . فإنه كان يصوم شعبان كله . وفى رواية كان يصوم شعبان إلا قليلا » .

لحرص النبي صلى الله عليه وسلم على صوم شعبان أو صوم أكثره ، يعطى ما للصوم عامة من أهمية فى حياة الإنسان وحياة المجتمع ، ثم ماله من أهمية على وجه الخصوص فى شهر شعبان . وأهميته على وجه العموم ؛ لأنه وسيلة يصفى بها الإنسان نفسه وقلبه

ويهذب بها لسانه وسلوكه . ثم هو وسيلة من جانب آخر يلتقى بها الإنسان أزمات الحياة الخاصة والعامة ، وما أكثرها وما أشدها فى بعض الأحايين ، أما أهمية الصوم فى هذا الشهر بخصوصه فهى : فى أنه تمهيد لأداء واجب الصوم المفروض : وهو صوم رمضان . فإذا صام الإنسان بعض أيام هذا الشهر قلت أو كثرت . فسيشعر بأنه قد أعد نفسه لقبول صوم رمضان ، كما أعدها لأدائه إعداداً فيه رضاء نفسى وعدم مشقة فى الأداء .

* * *

ومما يرتبط بشهر شعبان أيضا وله أثر فى توكيد بعض مبادئ الإسلام ، ما يحدثنا به تاريخ الإسلام عند ما اتصل المسلمون بغير المسلمين والتقوا بهم فى بعض المواقع والحروب . فهو يحدثنا أنه فى الأيام الأولى لولاية عمر رضى الله عنه التقى جيش المسلمين بجيش الفرس فى شعبان ، فى موقع يعرف « بالنمارق » فى أرض الفرس ، وكان على رأس جيش المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفى . فلما انتصر المسلمون اتضح لأبى عبيد أن قائداً كبيراً من قواد الفرس وقع فى الأسر ، وأمنه أحد المسلمين ، أى وعده بسلامة حياته من القتل . وهنا أشار بعض المسلمين على أبى عبيد بقتل هذا القائد فكان جواب أبى عبيد « إنى أخاف الله أن أقتله : وقد أمنه رجل مسلم ، والمسلمون كالجسد الواحد ، ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم » . وما صنعه أبو عبيد هنا هو تطبيق عملى لما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل « فيروى - فى رواية البخارى - عن أم هانئ بنت أبى طالب أنها قالت : قلت يا رسول الله : زعم ابن أمى على ( رضى الله عنه ) أنه قاتل رجلا قد أجرته ( أمنته ) فلان بن هبيرة - تعنى ( جعدة بن زوجها هبيرة بن وهب المخزومى ) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا ( أمنا ) من أمنت يا أم هانئ » .

فما وقع من أبى عبيد فى خلافة عمر رضى الله عنه من أنه احترم عهدا لأحد المسلمين ، أعطاه اليوم لمن وقف منهم بالأمس موقف العدو المحارب اللدود - وهو عهد تأمين سلامته والإبقاء عليه حيا لا يؤذى ولا يضار - هذا الذى وقع من أبى عبيد يدل دلالة واضحة على أن الروح الإسلامية ، وهى روح العفو والصفح عند المقدرة ، وعند النصر كانت سنة المسلمين الذين فهموا إسلامهم واتبعوه فى شئون حياتهم ، ثم يدل دلالة أخرى على أن الفرد

المسلم فى المجتمع الإسلامى له كيانه وله احترامه ، لا يلغيه المجتمع ولا يضحى بإرادته ورأيه ؛ لأنها إرادة المسلم الذى يشعر فى نفسه بمقومات مجتمعه ويحرص على كيانه كما يحرص على وجود نفسه ، ولذلك ما يلتزمه بعضهم يلتزمه البعض الآخر كما قال أبو عبيد نفسه : « والمسلمون كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم » .

هذه الذكريات التى يرويها تاريخ الإسلام والتى ترتبط بشهر شعبان من شأنها أن تعيد إلى عقولنا صورة صحيحة سليمة لمبادئ الإسلام ، ومن شأنها أيضا أن تقوى فى قلوبنا الإيمان به كنظام سليم للحياة الإنسانية التى لا عوج ولا انحراف فيها .

اليوم تحاول أن تغزو المسلمين ـ تغزو أسماعهم وعقولهم وقلوبهم ـ اتجاهات يحاول بعضها أن يلغى اعتبار الفرد كلية فى مجتمعه ، ويحاول البعض الآخر منها أن يجعل الفرد كل شىء ، يهون فى سبيل فرديته وأنانيته المجتمع الذى يعيش فيه .

ولكن الإسلام كما يبدو من هذا المبدأ وهذا التطبيق له الذى رويناه الآن ـ كإحدى ذكريات شعبان ـ يوضح لنا مدى احترام الفرد فى مجتمعه ، ثم مدى حرص الفرد على هذا المجتمع.

الإسلام يريد فردا بناءا متعاونا ، ويريد مجتمعا مكونا من أفراد لهم حريتهم ومشيئتهم ، ولكن يعمر قلوبهم الإيمان بوجود هذا المجتمع وبالمثل التى يسعى إليها .

يقول القرآن الكريم « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . يريد أمة واحدة فى مقوماتها وأهدافها ، أمة واحدة فى عبادتها ربا واحدا ، أمة واحدة فى تعاونها وتماسكها ، ولكن لأفرادها حريتهم ومشيئتهم . حرية بعيدة عن الفوضى ومشيئة بعيدة عن الهوى والأنانية .

الدكتور محمد البهى
مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر

# مسايرة القرآن للطبيعة الانسانية

من أهم سور القرآن الكريم فى جانب العناية بلفت الأنظار إلى المعانى النفسية التى تسيطر على الناس ، والتى تؤثر فى تصرفاتهم واتجاهاتهم ومستقبلهم على وجه واضح ،سورة الأنفال .

نزلت هذه السورة بعد غزوة بدر التى كانت مبدأ انتصار المسلمين وبروزهم فى الجزيرة العربية كدولة يحسب حسابها ، ولم يكن المسلمون قبل ذلك إلا جماعة من اللاجئين المضطهدين انحازوا إلى بلد آمن كثير من أهله بما آمنوا به فآووهم ونصروهم ، وتقاسموا وإياهم مساكنهم وأسباب معيشتهم ، فعرف هؤلاء وهؤلاء باسم المهاجرين والأنصار : الأولون لهجرتهم ، والآخرون لنصرتهم .

كانت المثالية تسود هذا المجتمع قبل غزوة بدر على نحو رائع يحدثنا به أهل التاريخ ، وأصحاب السيرة والحديث ، وناهيك بمجتمع يصل التعاون فيه إلى أن ينزل الرجل عن إحدى زوجتيه فيطلقها لكى يمكن ضيفه من فرصة التزوج بها مكتفياً بالأخرى ، ثم لا ينزل عن زوجة ما ، ولكن يخير ضيفه بين الزوجتين كى يختار هو من تروقه منهما ، فينزل له عنها بالطلاق ، فيتزوجها .

وقد سجل القرآن الكريم هذا الخلق التعاونى الإيثارى الذى يبدو فى مثل هذا المظهر فقال « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم » .

فهناك حب متبادل بين أفراد المجتمع : الأنصار يحبون المهاجرين ، ولا يشعرون فى أنفسهم بأية غضاضة أو أى حقد عليهم فيما أوتوه ، بل يؤثرونهم على أنفسهم أعظم الإيثار ، والمهاجرون يحبون الأنصار فيرفعون أكف الضراعة إلى الله تعالى أن يغفر لهم ولإخوانهم ، وأن يطهر قلوبهم من عوامل الغل والحسد التى تخالج المحروم حين يلقى صاحب النعيم ، وهكذا يظلل الجميع محبة وسلام نابعان من القلوب ، باديان فى مظاهر التعاون الكامل ، والتراحم التام ...

هكذا كان مجتمعهم قبل بدر ، يوم كانوا مضطهدين يخافون أن يتخطفهم الناس .

وما أحسن ما كان يتمثل به أبو بكر الصديق رضى الله عنه من شعر طفيل الغنوى فى بنى جعفر بن كلاب ، فقد روى المرزبانى فى كتاب الشعر بإسناد قال : لما تشاغل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بأهل الردة استبطأته الأنصار فقال : إما كلفتمونى أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما ذاك عندى ولا عند أحد من الناس ، ولكنى والله ما أوتى من مودة لكم ولا حسن رأى فيكم ، وكيف لا نحبكم ؟ فوالله ما وجدت لنا ولكم مثلا إلا ما قال طفيل الغنوى لبنى جعفر بن كلاب :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت … بنا نعلنا فى الواطئين فزلت

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا … تلاقى الذى لاقوه منا لملت

هم خلطونا بالنفوس وألجئوا … إلى حجرات أدفأت وأظلت !

* * *

تعرض هذا المجتمع المثالى المتضامن المتراحم ، لأول مرة ، إلى ما تتعرض له كل المجتمعات من الوقوف أمام عوامل التمحيص والابتلاء ، ومجابهة الحوادث الطارئة التى تستدعى تفكيراً وتقديراً ، وموازنة وترجيحا ، والتى تشتجر فيها دوافع الرغبة البشرية فى إيثار السلامة والغنيمة ، ودوافع الواجبات الدينية والوطنية إلى التضحية وإنكار الذات ، وكان ذلك قبيل غزوة بدر ، وفى أثنائها ، وبعدها .

يصور القرآن الكريم موقف التردد فى الإقدام على أخطار ملاقاة المشركين فى بدر ، وينسب هذا الموقف إلى فريق من المؤمنين فيقول :

« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » .

وإذا نظرنا إلى الجو النفسى الذى تشير إليه هاتان الآيتان نرى أنه كان هناك كراهية شديدة للانبعاث إلى القتال ، وأن فريقا من المؤمنين كان يحمل لواء المعارضة ، وأن هذه المعارضة كانت من القوة والعنف بمنزلة كبيرة ، وما ظنك بمعارضة للرسول صلى الله عليه وسلم يصفها الله تعالى بأنها جدال له عن الحق بعد ما تبين ، ويصور مظهر أصحابها وهم يلحون فيها ويلجون بأن مثلهم كمثل الذين يساقون إلى الموت وهم يشاهدونه

عيانا ، ثم ما بالك بمعارضة بقتال فى الانتصار عليها ، وإبطال ما يدعو إليه « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » تصويرا لما احتاج الأمر إليه من الحسم بأن يكون الإخراج من الله لرسوله ، وبأن يعبر عن الله فى هذا المقام باسم الربوبية إيذانا بما فى هذا الإخراج من لطف الحبيب لحبيبه ، وبأن يؤكد هذا الإخراج الربانى بأنه متلبس « بالحق » ، كل هذا يدل على أن الجو قبيل هذه الغزوة كان جواً مليئا بالمعارضة والخوف والتردد ، وأن هذه الغزوة ما كانت لتتم لولا لطف من الله وتدبير لرسوله ولدينه وللمؤمنين .

ثم يأتى بعد ذلك فى القرآن الكريم تسجيل لموقف الإغراء الذى اقتضى الأمر أن يغرى الله به المؤمنين ، وأن ينشط فيهم عوامل الأمل حتى تغلب عوامل اليأس ، وأن يفسح المجال فى هذا الأمل حتى للرغبات الشخصية البشرية تلطفا بهم فى الحث على تحقيق أمر الله ، كل ذلك ندركه حين نسمع قوله تعالى :

« وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » (١) .

تستطيع أن تدرك من هذا ما قاله المفسرون فى أسباب النزول ، من أن القوم لم يكونوا يرغبون فى قتال المشركين ، وإنما كانوا يتصدون طائفة العير التى كانت قادمة بالتجارة إلى مكة وعليها أبو سفيان بن حرب ، وأن أبا سفيان أحس بذلك فأرسل إلى قريش أن أدركوا عيركم وأموالكم قبل أن يغير عليها محمد وأصحابه ، وأن قريشاً نفرت للنجدة ، وأن المسلمين وجدوا أنفسهم بذلك فى موقف جديد : أيحولون وجوههم إلى الطائفة المحاربة وهى ذات الشوكة ، أم يعودون من حيث أتوا فإنهم لم يكونوا قد خرجوا للقتال ولا استعدوا للقتال ، وهذا هو موقف التردد الذى وقفوه ، والذى عرفناه .

ولقد أوحى الله إلى رسوله بوعد وعده المؤمنين وقطعه على نفسه : أن يظفرهم بإحدى الطائفتين : طائفة العير أو طائفة النفير .

وهنا نقف وقفة يسيرة أمام ما يدل عليه هذا الوعد الإلهى :

إن الله تعالى هو خالق الإنسان ، وهو الذى يعلم ما توسوس به نفسه ، والإنسان

---

(١) الآيتان ٧ ، ٨ من سورة الأنفال .

بطبيعته يكره القتال لأنه ينظر فيه إلى الجانب المؤدى إلى فنائه وبطلان سعيه ، فهو لا يخف إليه ، بل يحتاج إلى حث عليه ، وترغيب فيه ، ودعوة إليه باسم المعانى التى يؤمن بها ، أو باسم الرغبات التى يحب تحقيقها ، لذلك نرى القرآن الكريم يتحدث عن القتال وهو ناظر إلى هذه الطبيعة البشرية ، رام إلى علاجها ، فهو يقول « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » [١] .

فقد احتاجت معالجة هذه الطبيعة الإنسانية إلى عدة أشياء جاءت بها هذه الآية الكريمة : احتاجت إلى بيان أن القتال فريضة مكتوبة ، ولا تجد التعبير عن المفروض بلفظ « الكتابة » إلا حيث يكون الأمر محتاجا إلى قوة فى الإيجاب لثقله فى التكليف ، مثل « كتب عليكم الصيام » « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » [٢] « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين » [٣] إلى غير ذلك [٤] ، واحتاجت إلى الاعتراف بأن القتال مكروه « وهو كره لكم » ، وهذا الاعتراف فيه فائدة تمهيدية لعلاج النفوس من هذه الكراهية ، فإنك إذا اعترفت لمن تريد علاجه بالحقيقة التى يحس بها ولو كانت مرة أو كانت مما لا يلتئم وما تريده عليه ، فإنه يأنس إليك ، ويستمع لتوجيهك ، إذ يعلم أنك منصف ، وأنك لا تنازع فيما لا مجال للنزاع فيه ، فهى طريقة تربوية قائمة على الصراحة وعدم الهروب من مواجهة الواقع ، ثم تدرجت من هذا الاعتراف إلى بيان أمر لا تنكره النفوس ؛ لأنها جربته مراراً ؛ ذلك هو أنه ليس ما يكرهه الإنسان شرا دائما ، ولا ما يحبه الإنسان خيرا دائما ، فعسى أن يكون وراء المكروه خير والإنسان يجهله ؛ وعسى أن يكون وراء المحبوب شر وهو لا يعلمه ؛ والله وحده هو الذى يعلم عاقبة الأمور ، فإذا أمر بشىء أو نهى عن شىء ، فإن أمره ونهيه هما المصلحة والخير بدون شك .

هذا المعنى ، أو هذه الحقيقة ، وهى أن القرآن الكريم ينظر إلى النفوس وما هو من طبيعتها ، وأن الله تعالى ـ وهو العليم الحكيم الرحمن الرحيم ، لا يمكن أن يسوس عباده سياسة قوامها التغاضى عن فطرتهم وما يعلمه من طبائعهم ـ هذا المعنى هو الذى اقتضى عدل الله أن يرعاه حين أوحى إلى رسوله بوعده المؤمنين إحدى الطائفتين : العير أو النفير

---

[١] الآية ٢١٦ من سورة البقرة . [٢] الآية ٤٥ من سورة المائدة . [٣] الآية ١٨٠ من سورة البقرة . [٤] راجع ص ٢١ من كتابنا دعائم الاستقرار فى التشريع القرآنى .

فهذا الوعد بالظفر من شأنه أن يثبت القلوب ، وأن يهزم عوامل التردد ، ثم مجيئه على هذا النحو من الإبهام بين الطائفتين ، من شأنه أن يوسع آفاق الأمل أمام المؤمنين ، وأن يراعى اختلاف الناس فيما يستهويهم ويأخذ بألبابهم ، فليس كل الناس مثالياً إلى الحد الذى يصلح معه أن يناشد الجميع باسم المثالية : وقد يقول قائل : كيف وقف القرآن هذا الموقف منهم وهو إنما قام على أساس تقديس المعانى الروحية ، وتقدير القيم الخلقية ، فهل يتفق مع هذا أن يلاحظ ما فى بعض النفوس من الميول الشخصية ، وأن يبهم فى مثل « إحدى الطائفتين » مراعاة لها ؟ قد يقول هذا قائل ، والجواب أن ملاحظة القرآن وجميع أصول الإسلام للميول الشخصية ، وانبناء التشريع على الجمع بينها وبين ما هو من جنس المعانى الروحية ، والقيم المثالية ، إنما هو حيث لا تكون الماديات والشخصيات ممنوعة أو حراما أو منافية للمبادئ الفاضلة ، وفى قضيتنا هذه نجد المؤمنين أمام أعداء لهم أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ، وأصبحت بينهم وبينهم عداوة تخولهم حق مصادرة ما يستطيعون مصادرته من أموالهم ، فالذين كانوا يرون أن يتجهوا إلى طائفة العير ، لم يخرجوا بهذا عن دائرة معاقبة المشركين وإيلامهم وإن كان فى ذلك نفع مادى لهم ، فإنه من حقهم ، وليسوا به خارجين على مثلهم ومبادئهم . لذلك ليس هناك بأس فى مسايرة القرآن لهم نوعا من المسايرة بهذا الإبهام فى الوعد بإحدى الطائفتين ، حتى يتسع أمام الجميع كما قلنا أفق الأمل كل على حسب ما يستهويه ، وحتى يبدو المؤمنون جميعاً فى موقف ثابت متوحد أمام أعدائهم دون تردد فى الإقدام على ملاقاته ، وبذلك يتم تدبير الله تعالى ، ويتم لطفه الخفى الذى تأتى به إلى نصر المؤمنين ، ولله الحكمة البالغة .

وينبغى ألا يفوتنا أن القرآن مع ذلك لم يترك المؤمنين لهذا الأمل الشخصى ، وإن كان مباحا ، ولكنه سايرهم عليه نوعا من المسايرة كما قلنا تدرجا بهم ، ثم أعلى شأن المقصد الأكبر الذى من أجله دبر ، ومن أجله لطف ، وهو إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وقطع دابر الكافرين . وذلك حيث يقول « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

وناهيك بالتوجيه العظيم الذى يوحى به قوله جل شأنه « وتحبون » « ويريد الله » .

محمد محمد المدنى

أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة

# السنة

## عمـــل المرء لغيره

## – ١ –

| صلاح العمل عند الله ـ الأعمال أصناف ثلاثة ـ عمل الولد من عمل والديه ـ موت الولد العاق أيسر البلايا به ! ! ـ من شكر الوالدين . . . . . . . . . |
|---|

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم قال : إذا ماتَ الإنسانُ انقطع عملُه إلا من ثلاثةٍ : إلا من صدقةٍ جاريةٍ ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ به ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له . رواه مسلم (*)

كثر الجدل قديماً وحـديثاً ـ ولا يزال قائماً ـ في مثوبة الله تعـالى وجزائه لعبده على عمل غيره . . . فرجونا من الله أن يهدينا سبيل الرشاد ، حتى نخلص إلى الحق من بين هذه المعركة الثائرة ، وأن يشرح بالحق صدورا لا تزال بالجدل ضائقة حائرة « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

لا جدال في أن من أصول الإسلام البينة ، ألا يقبل عند الله عمل غـير صالح ، سواء

---

(*) في كتاب الوصية ، بهذا اللفظ ليس غير ، وهـو الذى رواه ابن القيم في كتابه « الروح » لكن بلفظ « ثلاث » من غير تاء ، ورفعه النووي في شرح مقدمة مسلم بلفظ : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية . . الخ ، ومن الغريب أن ينسبه صاحب كشف الخفاء إلى أبي داود والترمذي والنسائي والبخاري في الأدب المفرد ويترك « مسلما » ولعله سهو منه أو من الناسخ ، ومن الخطأ نسبته إلى الشيخين أو إلى البخاري وحده فإنه لم يخرجه في « صحيحه » وهو المراد عند الإطلاق .

أعمله المرء لنفسه ، وهو ما قدمنا الحديث عنه فى الجزء الأسبق ؛ أم عمله المرء لغيره ، وهو ما نعرض له فى هذا الحديث ؛ ولا جدال كذلك فى أن صلاح العمل عند الله سبحانه ، إنما هو ببنائه على العلم المأثور ، وخلوصه من الشرك أكبره وأصغره ، حتى لا يبتغى به عامله إلا وجه ربه الأعلى .

ومن الأوليات التى يعرفها كل مسلم أن الإسلام بنى على الإيمان والعمل ، والتعاون على البر والتقوى .

ومما يجب التنبيه عليه فى هذه المقدمة إحقاقا للحق وإيضاحا له ، أن عمل العبد قد ينتهى بانتهاء أجله ، وقد يمتد إلى أمد قريب أو بعيد بعد أجله ، وربما كان عظيما خالدا لا ينقطع أثره . . وقد يكون المرء سببا فى عمل غيره له فينسب إليه كأنه عمله ، ويلحقه ثوابه وأجره من غير أن ينقص شىء من أجر العامل نفسه ، ومن هنا كان الدال على الخير كفاعله . . . وإذاً فالأعمال أصناف ثلاثة :

١ — عمل المرء لنفسه كسبا وسعيا وتحصيلا من طريق متصل مباشر ، لا وساطة فيه ولا سبب ، كصلاته وصيامه وحجه ، وسائر أعماله البارة التى تنتهى بموته ، أو يمتد أثرها بعده إلى ما شاء الله لها أن تمتد ، مسجلة فى صحيفته ، كعلمه النافع ، وتأليفه الراشد ، وحبسه الخير على أهله . .

٢ — وعمل لم يعمله المرء لنفسه ، ولكنه كان سببا فيه أو داعيا له ودالا عليه ، ولولاه ما نبت هذا العمل ولا أثمر ، كمن أنقذ كافرا ، أو أرشد حائرا ، أو هدى ضالا ، أو علم جاهلا ، أو دعا إلى الرشد حاكما ، أو رد إلى العدل ظالما . . . لا جرم أن له أعمالا مباشرة متصلة ، هى الإنقاذ والإرشاد والهداية والتعليم والدعوة والرد ، وله وراءها أجور آثارها الحسنة إذ كان سببا فيها ، ولولاه لهدمها الكفر وما بعده . .

٣ — وعمل لم يعمله المرء ولم يكن له فيه سعى ولا سبب ، اللهم إلا السبب العام ، وهو الإيمان بالله وبما جاء به خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم .

والحديث شاهد عدل على أن المرء ينتفع بعمله الذى امتد أثره بعد موته ، كما ينتفع بعمله الذى انقطع ثوابه بموته ، وعلى بطلان ما ذهب إليه شرذمة من أهل الكلام والبدع

زعموا أن الميت لا ينتفع بعد أن فارق حياته بشيء ألبتة . وشاهد عدل كذلك على أنه ينتفع بما كان سببا فيه وداعيا له ، فإن استثناء هذه الأعمال الثلاثة من جملة عمله دليل على أنها منه وأن سبب العمل والسعي فيه يلحقه به . لا جرم أن الولد من كسب الوالد وسعيه ، وأن ما يعمله من الصالحات فلأبيه وأمه فى صحائفهما مثل أجره . إذ كانا السبب فى وجوده وتربيته ومن هنا كان من أعظم الأعمال أثراً ، وأجلها قدراً ، تنشئة الأولاد على الهدى والاستقامة وتربيتهم على الصالحات التى يدخرها الوالدان لأنفسهما ، وليس عليهما بعد بلوغ الجهد والوسع فى التربية على الهداية ، ألا يهتدى الولد ، فإن التوفيق للهداية بيد الله وحده ، وقد قال لنبيه صلوات الله عليه وسلامه : « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » .

ويؤيد هذا الحديث ويفصله ما رواه ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما نشره ، وولداً صالحا تركه ، ومصحفا ورثه ، ومسجدا بناه ، وبيتا لابن السبيل بناه ، ونهرا أجراه وصدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته » .

والاقتصار على الثلاثة فى حديث مسلم ؛ لأنها أصول الصالحات المذخورة التى يرد إليها غيرها ، ويقاس عليها أمثالها ، أو لأن الله أعلمه بالثلاثة أولا ثم أعلمه بما زاد عليها ثانياً ، « وقل رب زدنى علما » .

وفى الحديث التحريض على وقف الخيرات والمبرات الدائمة التى يبقى ذخرها وأجرها ما بقيت أعيانها . . .

وتقييد العلم بالمنتفع به ؛ لأن العلم الذى لا ينتفع به لا يثمر أجرا ، بل ربما كان وزرا وبلاء وإثما على صاحبه ! ومن سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء *

---

* اقتباس من حديث جرير بن عبد الله رضى الله عنه . رواه مسلم ، وشرحناه فى جزء رجب من المجلد ١٨ عام ١٣٦٦ .

وإنما وصف الولد بالصلاح ، لأن الأجر قلما يكون من غيره ، اللهم إلا أجر الصبر على مصيبته والنكبة به والجهاد فى تقويمه ! ! لاجرم أن فسق الأولاد وعقوقهم من أشد البلايا والمصائب والفتن التى يمتحن الله بها آباءهم ! ! وإن موتهم لأهون هذه البلايا وأيسرها على ذويهم ! !

* * *

ولا يلحق الوالد شىء من أوزار ولده وسيئاته ، إذا كانت نيته فى تربيته تحصيل الخير له والعمل على ما ينفعه فى دينه ودنياه ، ولم يكن معينا له على فساده . . .

وليس دعاء الولد شرطاً فى حصول أجر الوالد ومثوبته ؛ فإن الأجر ثابت للوالدين كلما عمل ولدهما الصالح عملا صالحاً وإن لم يدع لهما ، كمن غرس شجراً ، أو أجرى نهراً ، أو وقف خيراً . . فإن له أجرها سواء دعا له من انتفع بها أم لم يدع له .

وإنما ذكر الدعاء تحريضاً للولد على الدعاء لوالديه ، براً بهما ، وشكراً لهما ، ووفاء لبعض حقهما عليه ، وامتثالا لأمر الله تعالى ، واقتداء برسله صلوات الله وسلامه عليهم ، فقد قال جل ثناؤه : « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً » وحكى عن شيخ رسله وأنبيائه نوح عليه السلام دعاءه لوالديه خاصة ، وللمؤمنين عامة ، فقال عز من قائل : « رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً » . لا جرم أن الولد يؤجر على الدعاء لوالديه ، وأن الوالدين ينتفعان بدعاء ولدهما ، علاوة على انتفاعهما بكل عمل صالح يعمله .

* * *

أما بعد ، فها هو ذا الحديث شمل صنفين من أعمال العباد ، أجمع المسلمون على مثوبتهما وعظم آثارهما والانتفاع بهما [illegible] وبقى النظر فى [illegible]

فما أجدره بجزء مستقل . والله المستعان على قول الحق واتباع سبيل المؤمنين ، ولا حول ولا قوة إلا به ؟

طه محمد الساكت

# تشريع الزكاة

كما عنى الإسلام بتطهير العقيدة من شوائب الشرك وإخلاص العبادة لله موجد هذا الكون ، عنى أيضاً بتربية المجتمع وتنشئته تنشئة تدعو إلى ارتباطه برباط المحبة وتوثيق الصلة بين أفراده وشعوبه بصلة الأخوة ، وقد ظهرت آثار عناية الإسلام بهذا المجتمع فى كثير من تشريعاته الحكيمة وفى مقدمتها تشريع الزكاة الذى فرض للفقراء نصيبا مقدرا فى أموال الأغنياء ، وحاجة الفقراء إلى هذه الزكاة قد تكون ماحة إذ يكون الحرمان شديداً بحيث لا يتذوق الفقير حلاوة اللذيذ من الطعام ، ولا يلبس ما يعتمد عليه فى دفع وطأة البرد القاسى ، وقد تكون حاجته أشد وأشد حينما تتكاثر عليه المطالب لتربية أولاده ، أو علاجهم ومحاربة أمراضه وأمراضهم ، فإذا ما أمده الغنى بما يستطيع من المساعدة بما فرض الله فى ماله ، أو زاده على ذلك ، شعر الفقير بهذا العطف والحنو والعناية بشأنه واهتمام أخيه الغنى بإصلاح حاله ، وبذلك يفيض قلبه حبا للغنى وإخلاصا ، ويتبادل معه المعونة الصادقة فيما يكون بينهما من عمل ، ويسود الوفاق جميع الشئون التى تربط بينهما ، فيرقى المجتمع ويتضاعف الإنتاج ويرتفع مستوى المعيشة لجميع أبناء الشعب ويعمهم السرور والسعادة .

فبالزكاة يمكن أن يدرأ كثير من الشرور عن المجتمع بجميع طبقاته ، وبها تمكن المساهمة فى تسليح جيش قوى أو إقامة قواعد محصنة لدرء الخطر عن الوطن إذا ما جمعت حصيلتها أو كمية كبيرة من حصيلتها .

لمثل هذا شرعت الزكاة التى هى إحدى دعائم الإسلام الخمس والتى هى فرض عينى من فروضه ، وكانت فرضيتها فى السنة الثانية من الهجرة ، وثبتت بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، وصارت معلومة من الدين بالضرورة ، فمن أنكر وجوب الزكاة وكان ممن يخفى على مثله حكمها ، كأن كان حديث عهد بالإسلام ، أو نشأ بعيداً عن المسلمين عرفناه وجوبها وأخذناها منه إن كان عنده مال .

أما من أنكر وجوب الزكاة وكان ممن لا يخفى عليه حكمها كمسلم عاش بين المسلمين ثم منع الزكاة جحدا لوجوبها ، صار بهذا كافرا تجرى عليه أحكام المرتدين فيستتاب ، فإن تاب وإلا قتل .

أما مانع الزكاة بخلا بها مع اعترافه بوجوبها فإنه لا يكون كافرا ولكنه عاص يعزر وتؤخذ منه قهرا ، هـذا إذا لم يكن له منعة وشوكة ، أما إذا منع الزكاة اعتمادا على منعته وشوكته ، فإنه يجب على الإمام والمسلمين قتاله حتى تزول منعته ويذعن للإمام ويؤدى الزكاة ؛ لما ثبت فى الصحيحين أن الصحابة حينما منع الزكاة من منعها من المسلمين فى أول عهد أبى بكر ، اختلفوا فى حكم قتال مانعى الزكاة ، وكان رأى أبى بكر رضى الله عنه أنه يجب قتالهم ، وأقام للناس الدليل على وجوب قتالهم ، فلما ظهر لهم الدليل واقتنعوا بحجته وافقوه فى الرأى ، وقاتلوا معه مانعى الزكاة حتى زالت شوكتهم وأذعنوا للإمام وأدوا الزكاة ، وصار ذلك إجماعا للمسلمين .

ويعتمد وجوب الزكاة أول ما يعتمد على ملكية المال الذى تجب فيه ، والمال أحد الكليات الخمس التى أجمعت الأديان على حرمتها ووجوب المحافظة عليها ، وهى : النفس والمال والعرض والدين والعقل ، فمن قتل دون شىء من هذه الخمس فهو شهيد كما صرحت بذلك الأحاديث .

فالملكية الفردية محترمة فى دين الإسلام وسائر الأديان ، وكتاب الله تعالى قد أضاف الأموال إلى ذويها فى آيات بلغت من الكثرة حدا كبيرا « خذ من أموالهم صدقة » ، « فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم » ، « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » ، « جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم » ، « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا » ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيض بنسبة المال إلى صاحبه ، وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فقال فى خطبته على رءوس الأشهاد : ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ، ألا هل بلغت اللهم اشهد .

وقد ظهر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف فى أنه هل يجب على المسلم إنفاق كل ما فضل من ماله عن حاجته ، فعن أبى ذر يجب على المسلم ذلك وخالفه فى ذلك سائر أصحاب رسول الله ، ومنشأ ذلك الخلاف قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب

والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » فمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال : إن قوله والذين يكنزون الذهب خاص بالأحبار والرهبان المتقدم ذكرهم ، وكان هذا رأى معاوية حينما شجر بينه وبين أبى ذر الخلاف فى الشام ، وجمهور أصحاب رسول الله يرى أن الآية عامة تشمل المسلمين ، ولهذا أشفقوا منها أول ما نزلت ثم زال خوفهم .

أخرج ابن أبى شيبة فى مسنده وأبو داود وأبو يعلى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هـذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة » كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا أن يبقى بعده مالا لولده فقال : عمر أنا أفرج عنكم فانطلق وتبعه ثوبان فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله إنه قد كبر على أصحابك هـذه الآية فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقى من أموالكم ، وإنما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم فكبر عمر رضى الله عنه .

وروى مرفوعا عن أبى هريرة ( إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك ) . وروى موقوفا على ابن عباس وعمر وابن عمر وجابر : أى مال أديت زكاته فليس بكنز ، ومثل هذا لا يكون من قبيل الرأى فهو بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن ابن عمر إنما كان هـذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال ثم قال : ما أبالى لو كان عندى مثل أحد ذهبا أعلم عدده وأزكيه وأعمل فيه بطاعة الله .

قال ابن عبد البر وردت عن أبى ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز يذم فاعله ، وأن آية الوعيد نزلت فى ذلك ، وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم وحملوا الوعيد على ما نعى الزكاة وأصح ما تمسكوا به حديث طلحة وغيره ـ ونصه عند البخارى ومسلم عن طلحة ( جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوى صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات فى اليوم والليلة . فقال: هل على غيرهن ؟ قال: لا إلا أن تطوع. وصيام شهر رمضان . فقال : هل على غيره؟ قال: لا إلا أن تطوع . وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فقال: هل على غيرها ؟ قال: لا إلا أن تطوع. قال فأدبر الرجل وهو يقول والله

لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح إن صدق) قال: ابن عبد البر وإن نصوص الكتاب تأمر بالقصد والاعتدال في الإنفاق، لا بإنفاق كل المال من ذلك قوله تعالى: « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »، وقوله: « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ».

ومن الأدلة أيضا على رأى جمهور أصحاب رسول الله حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم وغيره ونصه عن عامر بن سعد عن أبيه قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت. فقلت: يا رسول الله بلغني ماترى من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة. أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: لا. الثلث، والثلث كثير. إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس.

فما تقدم من نصوص الكتاب والسنة أدلة قوية على أنه لا يجب على المسلم إنفاق مافضل عن حاجته من المال، ولعل ذلك إنما كان أول الأمر كما صرح بذلك ابن عمر فيما ذكر عنه سابقا، وقد نسخ هذا بتشريع الميراث، فهو كما نص على ذلك في الحديث إنما يكون في الأموال التي تبقى بعد موت ذويها، وقد أشار الحديث إلى أن الزكاة طهرة للمال فكل مال أديت زكاته ليس بكنز كما وردت بذلك النصوص وكما قرره العلماء.

فالكنز هو المال المجموع الذي لم تؤد زكاته وقد توعد الله فاعل ذلك بقوله: « يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره.

وروى البخاري عن أبي هريرة مرفوعا « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه يقول: (أنا مالك أنا كنزك وقد ذكر العلماء أن أبا ذر أخذ بالعزيمة التي وردت أولا بوجوب إنفاق مافضل عن الحاجة ولم تبلغه الرخصة فبقي على مذهبه، فقد أخرج أحمد والطبراني عن شداد بن أوس قال كان أبو ذر رضي الله عنه يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر فيه الشدة ثم يخرج إلى باديته ثم يرخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، فيحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر الرخصة فلا يسمعها أبو ذر فيأخذ أبو ذر بالأمر الأول الذي سمع قبل ذلك اه، والسبب الحقيقي لتشدده استعداده الفطري لتحمل الشدائد والأخذ بالعزائم

فإنفاق ما فضل عن الحاجة عزيمة الخواص وليس هو المشروع لكل الناس ، فإن نصوص الكتاب والسنة تنافى وجوب إنفاق كل ما يملك المرء كما تقدم ، ولعله من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين كما يذكر ذلك العلماء .

وسواء قلنا إن شريعة الإسلام رأسمالية محضة ، أم قلنا إنها رأسمالية اشتراكية فإنها على كلتا الحالين قد جعلت للفقراء حقا مقدرا فى مال الأغنياء : هو الزكاة .

والشرط الأساسى لوجوب الزكاة أن يكون المال الذى تجب فيه مملوكا لمن تجب عليه ملكا تاما . فلا تجب الزكاة فيما ملك قبل قبضه كمؤخر صداق المرأة ، وكالمبيع قبل القبض ، وكالأجرة قبل مضى مدة الإجارة .

والمال الذى تجب فيه الزكاة أربعة أنواع : الذهب والفضة ، والزروع والثمار ، والنعم : الإبل والبقر والغنم ، وعروض التجارة من أى مال .

وهذه الأموال قسمان : أموال ظاهرة وهى الزروع والثمار والأنعام . وأموال باطنة وهى الذهب والفضة وعروض التجارة ، وكان الإمام يبعث السعاة لجمع الزكاة فى المحرم من كل عام ، وكانوا يجمعونها من الأموال الظاهرة والباطنة إلى زمن الخليفة عثمان حيث كانت تجمع من الأموال الظاهرة فقط . أما الأموال الباطنة فقد جعل ملاكها وكلاء عنه فى أخذ زكاتها من أموالهم وصرفها إلى مستحقيها ، وصار الأمر من حينئذ على هذا . ومذاهب الأئمة لا توجب دفع الزكاة إلى الإمام إلا فى الأموال الظاهرة دون الباطنة ، وجعلوا من الباطنة زكاة الفطر .

وهل يشترط لوجوب الزكاة البلوغ والعقل : المالكية والشافعية والحنابلة لا يشترطون ذلك فتجب الزكاة فى مال الصبى والمجنون ، وقال أبو وائل وسعيد بن جبير والحسن البصرى والنخعى لا زكاة فى مال الصبى والمجنون مطلقا . وقال أبو حنيفة لا زكاة فى مالهما إلا المعشرات من الزروع والثمار ، ونرى الأخذ برأى من لا يوجب الزكاة على الصبى والمجنون ، لأنهما ليسا من أهل التكليف ، ولأنها عبادة محضة وليسا مخاطبين بها كالصلاة والصيام ، فلا زكاة فى أموال القصر المودعة فى المصارف بمعرفة المجالس الحسبية حتى لا تستهلك أو يستهلك جزء كبير منها ، وفى الجزء القادم إن شاء الله بقية لأحكام الزكاة .

عبد الرحمن عيسى
مدير التفتيش بالأزهر

# أمة ورسالة

جل الأمم الآن إن لم يكن كلها يسعى لرفع مستوى معيشته ، وتكثير الضرورات والمرفهات لمختلف الطبقات . .

وهذا شيء حسن . فمنذا الذى يكره العافية والسعة والاسترواح ؟ .

إن كدح الناس للحصول على مزيد من خير الله ، والاستمكان فى أرضه عمل مفهوم البواعث . إلا أننا لا نرضى لأبناء آدم ، ولا يرضى عاقل لنفسه أن تكون الغاية القصوى من الحياة هى البطن الملآن . والبدن المزدان ، فذلك هدف حيوانى لا إنسانى .

ووقوف الحكومات والشعوب عنده هبوط بقيمة العالم ورسالته ، ونزول عن المكانة التى أرادها الله له ، وذهول عن الحق الذى يقول لنا فى استنكار . .

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق » .

إن للإنسانية غاية أرقى من توفير الخبز لآكليه !

غاية ترادف النبيون لتوضيحها . ثم جاء عميدهم الخاتم ، صاحب الرسالة العظمى ، ليصنع أمة تمثلها وتقوم عليها ، وترفع علمها فى الآفاق ...

وظيفة هذه الأمة بين شتى الأجناس والأوطان أن تدعم الخير وأن تعلى صوت المعروف وأن تحمى شارة الإيمان ، وأن تجعل من كيانها موئلا للفضائل . . . !

وأن تكره الآثام وتنكر لفاعلها ، وتعقب على أخطائهم وخطاياهم بالتفنيد والرد . .

وظيفة هذه الأمة [illegible] يومض بالإشعاع الهادى ، كى يهتدى به السارون فى ظلمات البر والبحر . .

والأمة التى تحمل هذا العبء أو تتولى هذا المنصب أو ترشح لهذا الشرف هى الأمة الإسلامية . .

وقد أوضح الله ذلك فى كتابه العزيز « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . وقال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وبين أن منزلة الناس أجمعين من هذه الأمة كمنزلة هذه الأمة من رسولها . .

فكما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله معلما ومبشراً ونذيرا ، وكما أخرج هذه الأمة بإذن الله من العمى إلى الهدى . فعلى أتباعه أن يشيعوا الحق الذى شرفوا به ؛ وأن ينشروا الرسالة التى نزلت بينهم ، وأن يكونوا جسراً تعبر إليه الهداية لتعم أرجاء الأرض « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » والسلف الصالح الذى تلقى آيات القرآن وسعد بصحبة النبى صلى الله عليه وسلم فهم وظيفته على هذا النحو : فهم أن أداء الدعوة واجب ، وأن إبلاغ رسالات الله حق ، وأن حبس أنوار الإسلام فى حيز من الأرض جريمة ...

وعلى ذلك الأساس تكونت الأمة الإسلامية تكونا متميز الطبيعة والحركة ، مستبين المبنى والمعنى ، تزدوج مثلها العليا مع قواها المادية ، كما يزدوج الروح والجسد ، لا يتصور بينهما فكاك .

* * *

وشعور المسلمين بفرائض الإسلام عليهم جعل نشاطهم الأدبى يتخذ عدة طرائق ، تنتهى كلها بخدمة دينهم فى الداخل والخارج :

( ا ) فتعلم الإسلام وتعليمه أحيا ألوف المدارس لحفظ القرآن وتعهده ولفقه السنة ، وصيانة كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من توجيهات عامة .

(ب) واستدعى ذلك نهضة شاملة لآداب اللغة العربية وقواعدها حتى ساوت علوم اللغة علوم الدين فى درجتها ، ولا عجب فإن الوسائل والمقاصد متلازمة الوجود ، والإسلام إذا ضمرت العربية وذبلت فهو مهدد بأفتك الأخطار ، وسترى مصداق ذلك فيما نقصه عليك بعد حين .

( ج ) استبحرت المعارف التشريعية ، وتكونت مذاهب فى صور العبادات وقوانين المعاملات من أقوى وأزهى ما عرفت الدنيا .

( د ) انتشرت دراسات الخلق والسلوك مع ما يسمى « بالتصوف » وشاعت بين العامة والخاصة شيوعا واسع النطاق .

(هـ) تطوع المسلمون من تلقاء أنفسهم للمحافظة على المجتمع ضد السيئات والمناكر : إذ أن طبيعة الإسلام تلزم كل مؤمن بإقرار المعروف ومطاردة المنكر . والقوى الشعبية لا السلطات الحكومية هى التى تولت حياطة الأمة من شرور كثيرة . وإن كانت الحكومات ـ من الناحية التنفيذية ـ هى صاحبة الاختصاص ، وقيام الجماهير فى الداخل بذلك الواجب أبقى شعائر الإسلام حية فى المجتمع ، وجعل أمام العصاة والمنحلين حواجز مرهبة ، وفسح المجال أمام السطوة الأدبية على الضمائر والعواطف .

وكانت السعادة العظمى لأى مسلم أن يشرح صدر إنسان للإسلام ، وأن ينقله من كفره القديم إلى رحاب هذا الدين .

والمسلم الذى يوفق إلى إدخال شخص ما فى الإسلام تراه مبتهج النفس ، بادى البشر ، متألق الجبين .

وتتعاون الجماعة المؤمنة غالبا على كفالة القادم الجديد ، وتوثيق الأواصر العاطفية معه .

* * *

وقد امتد الإسلام إلى أغلب البقاع المعروفة فى العالم ، ونشبت جذوره بألوف مؤلفة من المدائن والقرى فى آسيا وإفريقيا وأوروبا .

وتراخت العصور عليه وهو ينساح فى أرض الله بقوة رائعة ، ليس لها مدد إلا حماس المؤمنين ، وقدرتهم على الإقناع بالحق والمقاومة للباطل .

وقد عرضت للأمة الإسلامية فترات انهزمت فيها أمام أعدائها .

أو بتعبير أدق ، انهزمت فيها أمام نداء الواجب الذى يملى عليها ضرورات الوفاء لرسالتها ، فكان تفريطها فى جنب الدعوة ـ التى زكت بها سببا فى ذهاب ريحها وانهيار مجدها ، لقد انحلت الخلافة التركية الأخيرة عن نيف وثلاثين دولة مبعثرة فى قارات الأرض ينتسب أغلبها إلى الإسلام انتسابا اسمياً ، وتضطرب دعوته فى أنحائها اضطراباً بعيد المدى ، يحتاج شرحه إلى قليل من الإسهاب .

يا عجبا ، كيف تبددت هذه القوة العظيمة . وأقفرت تلك المعالم النضرة ؟

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

الواقع أن ذلك الانكسار لم يقع بغتة ، ولم تلتق أسبابه فجأة .

إن الأمة الإسلامية - كما قلنا - صاحبة رسالة ، وحاملة دعوة ، ووريثة وحي يجب أن تبلغه بالعلم ، وأن تظهره بالعمل .

بيد أنها نسيت ذلك أو تناسته . وضعف أخذها به ، ووفاؤها له على اختلاف الليل والنهار . واطرد هذا التفريط أولا فى شكل متواليات حسابية ، وأخيراً فى شكل متضاعفات هندسية . وقد تقفه بين الحين والحين نهضات المصلحين . وصيحات المذكرين ، إلا أن الأمر عز على العلاج فى العصور الأخيرة فلم تستفق هذه الأمة إلا والأجانب قد أحاطوا بها ، وأنشبوا أظافيرهم فى أعناقها ، وشرعوا فى الإجهاز عليها .

ولولا عناية من السماء مسعفة لكانت اليوم تحت أطباق التراب .

وظهرت بوادر الانفصال بين الأمة ورسالتها فى أكثر من ميدان .

ففى حقل التعليم ذبلت الدراسات الإسلامية ، ونبتت خلالها أشواك كثيرة .

وفشت الظنون والخرافات والإسرائيليات والنصرانيات والإغريقيات ، حتى لكأن حصاد هذه الدراسات طين لا قمح ، وحسك لا تمر ! .

والعلم الإسلامى اليوم متوار فى معاهد خاصة ، بعد ما عزل عن الحياة العامة ، وساء تقويمه ، وقل التعويل عليه .



وفى حقل التشريع ساد القحط كل ناحية ، وعجز الفقه سنين عددا أن يحكم المعاملات المتجددة ، وأن يضبطها باسم الله فى مجراها العتيد .

ووقف الاجتهاد عند صور انقضى زمانها وأهلوها .

فلما زحفت الحياة الحديثة كان من الشلل بحيث لم تتم له حركة ، أو يحسب له حساب وهو الآن محبوس فى بعض قضايا الأسرة ، معزول أتم العزل عما وراءها من نشاط اجتماعى ، محلى أو دولى ! .

وتبع هوان المعرفة الدينية انسحاب يكاد يكون شاملا من آفاق الحياة كلها ، وتضعضعت قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أمام مدنية وافدة عارمة تحل الحرام وتحرم الحلال . . .

وتوقف - بداهة - سير الدعوة الإسلامية فى الأرض ، وجهادها القديم لإدخال الناس أفواجا فى دين الله . . وكيف لا تتوقف وهى تكافح لتحتفظ بحياتها فحسب أمام سياسات

ما كرة وعداوات فاجرة . ويمكننا أن نومئ إلى عدة أمور . هى فى نظرنا مظهر لتفريط المسلمين التاريخى فى رسالتهم ، وتقصيرهم فى خدمتها :

١ ـــ ضعف أجهزة الدعاية الخارجية للإسلام ، أو انعدامها ، وترك تعليم الأجانب لجهود الأفراد ونشاطهم الخاص .

ومعروف أن انتشار الإسلام فى أواسط إفريقيا ، وأغلب آسيا يرجع إلى ذلك الجهاد الفردى المسالم الدءوب .

وهو جهاد لم ترسمه خطط منظمة ، ولم تستفد من أرباحه عيون يقظة ، بل لم تحرس ثمراته قوى معدة .

والسبب فى هذا التقصير المعيب ، أن الدول الإسلامية كثيراً ما شغلتها منافع خاصة أو سياسات قصيرة النظر ، بل كثيراً ما قامت على أنقاض المثل الدينية الرفيعة .

وهذا الاعتلال فى أداة الحكم أضر بسير الإســلام فى أرجاء الأرض أبلغ الضرر ، والواقع ، أن كثيراً من الحكومات الإسلامية فى التاريخ القديم ، كانت عقبات فى طريق انطلاق الدعاة لأداء واجبهم على نحو واضح ونهج مرسوم .

٢ ـــ مع أن أمما كثيرة عربها الإسلام ومحا عنها خصائصها اللغوية والثقافية القديمة ، فإن العربية لم تلق ما ينبغى لها من رعاية وحفاوة ، خصوصا فنون الأدب المختلفة . فقد غلبت العجمة على عصور طويلة ، واصطبغت بها أداة الحكم حينا من الدهر ، وتولى المناصب الكبرى أناس عاطلون من حلية البيان وسلامة المنطق ، وأوت الكتابة والبلاغة والشعر إلى طبقات من المحترفين والمرتزقة .

ثم انتهى الأمر فى القرون الأخيرة إلى أن علماء الإسلام ـ وفيهم جمهرة من خريجى الأزهر ـ كانوا اغرباء عن الأدب ، بل كانت حاستهم البيانية ميتة .

وغريب أن تكون معجزة الإســلام الكبرى آية بلاغية ، وأن تكون اللغة العربية أساس هذا الدين وترجمان عباداته ، ومع ذلك تهون إلى هذا الحد .

والواجب أن تعود للأدب مكانته ، وأن تتضافر الجهود على تقوية مادته ، وتجلية رونقه ، وإمداده بأسباب النماء والازدهار .

٣ — هناك خلافات علمية ، ومذهبية ، حفرت فجوات عميقة بين المسلمين ، وقطعتهم فى الأرض أمما متدابرة ، وهم فى واقع أمرهم وطبيعة دينهم أمة واحدة .

والدارس لهذه الخلافات يتكشف له على عجل أنها افتعلت افتعالا ، وبولغ فى استبقاء آثارها وتفتيق جراحاتها ، ونقل حزازات شخصية أو نزعات قبلية إلى ميدان العقيدة والتشريع ، وذاك ما لا يجوز بقاؤه إن جاز ابتداؤه .

وكلما زادت حصيلة العلم الدينى ، وتوفرت مواد الدراسة الصحيحة انكمشت هذه الخلافات ، واتحدت الأمة الإسلامية منهجا وهدفا .

ولذلك نحن نرى التقريب بين هذه المذاهب فرضا لا بد من أدائه ، وأخذ الأجيال الجديدة به ، كما نرى ضرورة إحسان النظر فى دراسة التاريخ الإسلامى ، وتنقيته من الشوائب التى تعكر صفاءه .

٤ — الأمة صاحبة الرسالة لا تنسى وظيفتها الاجتماعية فى تصرفاتها العالمية والمحلية على سواء :

بل هى تستصحب أهدافها الروحية والثقافية فى علاقاتها القريبة والبعيدة ، وتؤكد شخصيتها المعنوية فى كل اتجاه .



وتسخر أدواتها الخاصة فى بلوغ غايتها كما يسخر الجسم أجهزته ومشاعره فى تيسير مآربه ، ويقتضى ذلك أن تساق وجوه شتى من النشاط العام لخدمة الإسلام وجمع القلوب عليه .

وإذا كان الله جل شأنه قد جعل لتأليف القلوب سهما من الزكاة المفروضة فما ذلك إلا رمز للتوصل بضروب البر المختلفة كى يقبل الناس على الدين : وكى تدرك العامة أنه دين يعطى ولا يأخذ ، ويبذل الفضول للمحتاجين ، ولا يرزؤهم شيئا .

وبعض الأديان الآن تدس عقائدها المعلولة وسط مساعدات كثيرة .

وكان حريا بالمسلمين أن يسبقوا إلى نشر الحق وإلى تربيته فى القلوب بألوان العون المادى والأدبى التى كلفوا بها .

بيد أنهم للأسف تركوا الحق يخدم نفسه بنفسه ، وينصر قضاياه اعتمادا على ما فيها من صواب .

ونسوا أن تلفيق الشبه وتجميع الحيل يمكن أن يصد الجماهير عن الإيمان ، ويعلق أبصارهم بخدع لا قيمة لها .

وقد كان ذلك من أسباب انحسار المد الإسلامى فى بعض الأقطار .

إن قصة تفريطنا فى رسالة الإسلام طويلة الفصول ضافية الذيول ، ولسنا بصدد سردها وإنما نشير إلى نقاط محدودة منها — مهيبين بأولى النهى ألا يجروا أخطاء الماضى وهم يمهدون لمستقبل مرموق .

وللإسلام أعداء لا تهدأ لهم تره ، ولا ينكسر لهم ضغن ، وهم ينشئون الأذى إنشاء ، فهل نعينهم على أنفسنا باستدامة الأخطاء ؟

إن طاعية خصومنا فى تحطيم ديننا ، وفى صرفنا عنه أكدتها ألوف الدلالات والأعمال !

وقد استثمل الاستعمار ما ظفر به من غلب ، فزادت جهوده لكى ينسى المسلمون أن لهم دعوة واجبة الأداء . بل لكى ينسى المسلمون أن لهم دينا واجب الاتباع .

إنه يريد أن يضربوا صفحا عن القرون التى خلت ، والتاريخ الذى مضى ، والحضارة التى أشرقت لها ظلمات الدنيا دهرا طويلا . . ! !

ومن أخبث المؤامرات لصرف المسلمين عن دينهم ، الدعوة إلى تغيير الكتابة العربية . إما إلى الحروف اللاتينية كما فعلت تركيا بعد ارتداد حكامها ، وإما إلى حروف أخرى تحل مكان هذه الحروف التى عرفناها وعرفها آباؤنا وخطوا بها ألوف الألوف من المجلدات والرسائل . . ولم ذلك ؟ .

قال الخبثاء : للتفاوت القائم بين لغة النطق وطريقة الكتابة .

وهذا أقبح تعليل يمكن أن يذكره إنسان دارس للغات .

فإن التفاوت القائم بين ما يكتب وما ينطق هو أقل ما يكون فى العربية ، وأسوأ ما يكون فى الإنجليزية والفرنسية . . .

إن صيغ الأفعال الفرنسية ـ وعددها ثمانية عشر فعلا ـ تحمل كل صيغة منها عدداً من الحروف الميتة يبلغ الستة أحياناً ، تكتب ولا تنطق ، وتنتشر فى اللغة كلها كما تنتشر العثرات فى طريق ردىء .

وإلى جانب هـــذا فإن الحروف الساكنة تتجمع مثنى وثلاث فى أوائل الكلمات وأواخرها بصورة مزرية لا يمكن تعليلها . ولا يمكن أن يرتبط بها معنى محترم . أوغير محترم وإثقالها للذهن فى علم الإملاء لا شك فيها .

ويطرد كذلك فى هذه اللغة إغفال النطق بعلامات الجمع فى الأدوات والأسماء ، كما يطرد النطق بحروف كثيرة على غير ما تكتب به .

ومع هذه المقابح فاللغة الفرنسية فى نظر البعض أيسر من اللغة العربية ، ويجب أن نحول لغتنا .

لتتوافق لغة الكتابة مع ما ينطق . .

ونحن لا ندرى ما يقال لهذا الجور ، ولا مايوصف به هذا التبجح ! !

والغرض من هذا النشاط ظاهر . وهو فصل مسلمى اليوم عن تاريخهم الروحى والثقافى بعد إلقاء ستار كثيف على ماضيهم العلمى كله . . .

وفى هذا الميدان نفسه يعمل آخرون من ذوى الثقافة الانجليزية . واللغة الانجليزية من ناحية الكتابة والإملاء أحط من زميلتها الفرنسية ، ولولا قوة أهلها ما انتشرت . .

ولكن التبشير الاستعمارى يغطى كل عيوبها ، ويطيل الألسنة فى قدح لغتنا وذم قواعدها وإهانة حروفها . . .

والغرض ؟ هو حفر فجوة غائرة بين ماضينا الإسلامى وحاضرنا .

بين ثقافة القرآن وروحه ، وهجوم الغرب الأخير المفعم بالمفاتن والخوادع . . . ! !

وهاك ما نشرته إحدى الصحف اليومية :

قالت الصحيفة : إن الدنيا تتطور وهى تجرى تحاول أن تلحق بالمستقبل . .

والمستقبل عبارة عن سرعة وصواريخ ، سرعة على الأرض ، وصواريخ تندفع إلى الشمس ، سرعة حتى فى أسلوب العرض والقراءة والشراء .

اختزال لكل التفاصيل .

فالصيغة التلغرافية هى المفهومة المقررة الآن .

إننا نتسابق مع الزمن نحاول الجرى مع عقرب الثوانى قبل عقرب الدقائق . . .

وتسأل أيها القارئ : ماذا بعد هذه الصيحات المفتعلة كلها ؟ فإذا الاقتراح الذى يرحب به الكاتب ويروج له : أن المجمع اللغوى يفكر فى اختصار حروف لغة سيبويه ! ! !

إن الدنيا تجرى وتلهث من شدة الجرى كما يقول الكاتب ، فيجب أن نغير حروف اللغة العربية وحدها .

أما اللغتان الانجليزية والفرنسية ، وسائر اللغات الأخرى فإن الدنيا بالنسبة لها واقفة ؛ إنها لغات مقدسة القواعد أو لعلها لغات سبقت الدنيا الجارية ! !

إنى لأستغرب الصفاقة التى كست هذه الوجوه . . . !

* * *

ونعود إلى موضوعنا . .

إن أمتنا لم تكن ذنباً لإحدى « الامبراطوريات » التى ظهرت فى التاريخ ، ولن تكون ذنباً لإحدى الجبهات القائمة الآن فى العالم .

إن أمتنا أمة ذات رسالة لا يجوز أن تتخلى عنها ، ولا أن تجهل قيمتها ، ولا أن تتقهقر عن حملها .

وهذه الرسالة تثمر الخير لأصحابها ، وللناس طرا .

إنها رسالة الحق والسلم والعدالة .

إن الإسلام يوطد مكانة الإنسان فى الأرض إذ يحسن صلته بالسماء ، وهو إذ يعد بالآجلة ؛ فلكى يصلح هذه الدار العاجلة ، ويضمن ما بعدها « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

وإذا كانت حاجة العالم إلى إرشادات ربه لا تنتهى ، فإن [illegible] معها ضرورة إنسانية ملحة .

ومن ثم ، وجب أن تدور جميع أجهزتنا العاملة لتحقق هذه الغاية ، ولنمضى قدما فى تلك السبيل ، سبيل الإسلام الحنيف ، ودعوته الجليلة ؟

محمد الغزالى

مدير التفتيش بوزارة الأوقاف

# منهج السلوك فى الاسلام

١ — تهذيب سلوك الأفراد وتوجيههم نحو المثل الأعلى هو الأسلوب الصحيح لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدور خطير فى الحياة وتسهم بنصيب كبير فى تزويدها بما هو أنفع وأرشد .

والدين بما له من سلطان على القلوب والنفوس وتأثير على المشاعر والأحاسيس وبما وضع من خطط عملية وتوجيهات حكيمة يستطيع أن يحقق هذه الغاية ويبلغ هذا القصد دون تعثر أو انحراف .

والدين فى جملته وتفصيله ماهو إلا إرشاد لما يجب أن يكون عليه الإنسان ليأخذ من الكمال بحظ وافر فى هذه الحياة وليعد نفسه لجوار ذى الجلال فى حياة أرقى وأبقى .

وقد جاء الإسلام ليضع المنهج الرشيد فى هذه الكلمات المباركة « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده » .

فالعبادة وفعل الخير والجهاد فى الله هى دستور المسلم ورسالته فى الحياة .

٢ — وعبادة الله الواحد تنتظم إفراده بالحب والتوقير ، وإخلاص العمل له دون التفات إلى غيره ، والتوكل عليه فيما دق وجل من الأمور ، وإسلام الوجه إليه والرضا بقضائه وقدره ، وتعظيم أمره ونهيه ، وبذل النفس والمال ابتغاء وجهه الأعلى .

والعبادة على هذا النحو لاتتم إلا بفقه فى دين الله ومجاهدة للنفس وحملها على الفضائل ؛ حتى تزكو وتسمو وترتفع عن الدنايا والخطايا .

وهذا الضرب من الرياضة الروحية يضفى على الحياة ثوب الجمال ويظلها بظلال المحبة والسلام ؛ فتنقطع الخصومة ، ويرتفع النزاع ، ويحل الوفاق محل الشقاق ، ويتقارب الناس ويتآلفوا ، ويسعى الفرد لخير الجماعة ، وتحرص الجماعة على إصلاح الفرد وإسعاده ، ومن ثم تبدو الحكمة واضحة فى جعل العبادة غاية الحياة ، وفى أن الله لم يخل جيلا من الأجيال ولا أمة من الأمم من نذير يجهر فيهم باسم الله « لا إله إلا أنا فاتقون » . كما تبدو فى أن هذه الدعوة

إنما كانت تأتى بعد فساد الضمير الإنسانى، وبعد أن تتحطم كل القيم العليا فى نفس الإنسان، وأنه فى حاجة إلى معجزة تعيده إلى فطرته السليمة ؛ ليصلح لعمارة الأرض وخلافة الله فيها .

٣ — والتعاليم الإسلامية تستهدف تحقيق الخلق العالى، والأدب الرفيع، وإشاعة الخير والرحمة والبر والإحسان، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ومن أجل هذا المعنى نجد الارتباط الوثيق بين عقيدة الإسلام وتشريعاته، وبين هذا المعنى، فكلها وسائل لصقل النفس وتهذيبها وإقامتها على الصراط السوى .

فالعقيدة من إيمان بالله وتقديس له من شأنها أن توقظ حواس الجد، وتربى ملكة المراقبة، وتبعث على طلب معالى الأمور وأشرافها، وتنأى بالإنسان عن محقرات الأمور وسفاسف الأعمال .

والله سبحانه هو الكمال المطلق والرحمة الواسعة، ولا يدخل فى حظيرة قدسه إلا من تخلق بأخلاقه واتصف بصفاته، وفى الحديث : « تخلقوا بأخلاق الله » .

وجميع العبادات والمعاملات وكل أوامر الله ونواهيه إنما تتجه هذا الاتجاه، وتدور فى هذا الفلك، « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » .

فالآية تقرر أن الغاية من إنزال الكتب وإرسال الرسل إقامة الحق والعدل فى الأرض، ولا يدع الإسلام أى جانب من جوانب الخلق الحسن إلا ويدعو إليه بقوة، ويحث عليه فى حماس .

ومقياس الإيمان الخلق . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم » . وقد يجهد المرء نفسه فى عبادة يستمد منها دوام الثواب بحيث لا ينقطع لا فى ليل ولا فى نهار ؛ فيديم صيام النهار فلا يفطر، ويديم قيام الليل فلا يفتر، ولا ريب فى أن المواظبة على هذا، والمثابرة عليه من عمل الصديقين . وليس كل إنسان بقادر عليه ولا مستطيع له . ولكن الإسلام يفتح باب هذا الخير من طريق الخلق فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .

وإنما يثقل ميزان الفرد أو يخف حسب قيمته الخلقية . يقول الرسول صلوات الله

وسلامه عليه : « ما من شيء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذى » .

وتفاضل الناس واقتسامهم المنازل والدرجات عند الله بحسب الحالة الخلقية التى وصلوا إليها ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا ، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه » .

والخلق إنما يصدر عن نفس سمحة وضمير حى ، فكما يبدو حسنه فى الأمر الكبير ، يتجلى كذلك فى الأمر الذى يبدو وكأنه لاشأن له .

فالإحسان إلى المسىء خلق حسن ، والابتسامة فى وجه الصديق خلق حسن كذلك ، وإن النفس الفاضلة التى تنطلق على سجيتها لا تفرق بين هذا وذاك . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لاتحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلق أخاك بوجه طليق » .

ونار الله الموقدة إنما يطفئها نصف تمرة أو كلمة طيبة ؛ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

وغفران الله يغمر المذنب الدنس إذا تفجر فى قلبه نبع البر والرحمة ؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش ، إذ رأته بغى من بغايا بنى إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته فغفر لها به » وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين .

والإحسان هو غاية من الغايات التى يريد الإسلام أن يجعلها جزءا من الطبيعة الإنسانية ؛ بحيث يصدر الإنسان عنها فى كل ما يأتى وما يذر . . يقول الرسول صلوات الله عليه : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

وإدخال السرور على الناس والاهتمام بضروراتهم من أقرب القربات ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال : « إدخال السرور على المؤمن ، قيل وما إدخال السرور على المؤمن ؟ قال سد جوعته وفك كربته وقضاء دينه » .

وهكذا يمضى الإسلام يضع الأسس الأدبية لحياة راقية رفيعة يمكن أن يكون عنوانها تلك الحكمة النبوية المشرقة « الناس عيال الله . وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » .

ولا يكتفى الإسلام بأن يطبع الناس على فضائل الأخلاق ومحاسن الآداب ، بل يفرض إلى جانب ذلك فريضة الجهاد من أجل استقرار هذه المبادئ والتمكين لها ، حتى تكون القاعدة العامة والعرف الذى تتقيد الجماعة به وتصدر عنه .

وهذا الجهاد يقتضى التعب والنصب والعرق والدموع والصبر والمصابرة ، لأن تثبيت معالم الخير ، ومحاربة الانحراف والشذوذ ، والعادات السيئة والتقاليد الفاسدة ، والأهواء المضلة والعقائد الزائفة ، ليس بالأمر السهل الذى يتم بكلمة تذاع أو مقال ينشر .

ومن أجل ذلك أطلق الشارع على محاربة المنكر أيا كان لونه ، ومحاولة تغييره لفظ الجهاد المأخوذ من الجهد والمشقة ، وجعل ثواب المجاهدين المغفرة والجنة .

وقد ورد فى الحديث أن الجهاد هو رهبانية المسلمين : ، أى أن حقيقة الرهبانية فى هذا الدين ليست فى اعتزال الناس ، ولا فى الانطواء على النفس ، ولا فى هجر ما أحل الله من الطيبات من الرزق ، وإنما هى تضحيه كريمة من أجل الحق ، واقتحام للشدائد فى سبيل الإنسانية ، وتحمل للتبعات الجسام إعلاء لكلمة الله .

فهى عمل إيجابى ، ومخاطرة يتعرض الإنسان فيها لإتلاف نفسه وإزهاق روحه ، أداء للواجب وانتصاراً للحق .

هذه هى الخطة التى جاء بها الإسلام ، والتى اتخذها سلفنا الصالح منهجا عمليا لسلوكهم ، فعاشوا فى ظلها سعداء آمنين . قدموا للدنيا أحسن ما عندهم وأخذوا منها أحسن ما فيها . ثم خلف من بعدهم خلف جردوا هذه الألفاظ من معانيها ، فبعثت ألفاظا ميتة لاتحيي نفسا ، ولا تنير قلبا ، ولا تهذب خلقا .

فهل للمسلمين أن يحيوا هذه الألفاظ بإحياء نفوسهم حتى يهبهم الله الجدة والحياة ؟

السيد سابق
مدير الثقافة بوزارة الأوقاف

# الروحية الحديثة دعوة هدامة

— ٢ —

كانت تربطنى بالأستاذ أحمد فهمى أبى الخير صلة قديمة إذكان أحد أساتذتى الذين أحبهم وأحترمهم ممن تلقيت عليهم العلم فى مرحلة الدراسة الثانوية . وكان الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير قد رزق وقتذاك بمولود سماه ( لبيب ) بعد طول تشوف وانتظار وحرمان . ثم لم يلبث أن توفى ابنه فى عام ١٩٣٧ وهو بعد فى المهد فحزن عليه حزنا شديداً . ووقع فى يده وقتذاك كتاب انجليزى لأحد المشتغلين بالروحية والاتصال بالموتى وهو كتاب ON the Edge of the Etheric تأليف فندلاى J. Arther Eindlay فارتاحت نفسه الحزينة له ووجد فى دعاواه عزاء عن فقد ابنه وترجمه إلى العربية تحت عنوان : ( على حافة العالم الأثيرى ) . ودفعه إعجابه بما جاء فى الكتاب ، وتعلقه بأمل الاتصال بابنه ، إلى أن يبدأ فى ترسم طريقة مؤلفه . وقرأت الكتاب وقتذاك وكنت على صلة بمترجمه قبل وفاة ولده ، وشاركته الإعجاب به. فقد مهد لدعاواه بمقدمة بارعة فى الكشوف الطبيعية الحديثة التى حطمت الذرة واقتحمت ظلماتها وانتهت إلى أن العالم ليس إلا حركة ، فهو مجموعة من الموجات التى تختلف كما وكيفا ، والتى يمكن أن تتداخل ، ويمكن أيضا تحويلها وتغييرها من مادة إلى أخرى حسب ما اصطلحنا على تسميتها فى واقعنا الحسى المحدود . وقرن المؤلف ذلك بأن حواسنا لا تدرك من هذه الاهتزازات أو هذه الموجات إلا أقلها ، وأن ما تدركه لا يكاد يقاس فى تفاهته وضآلته إلى ما لا تستطيع إدراكه ، وأن بعض هذا الذى لا تدركه قد أمكن إدراكه بوسائل علمية مختلفة . ثم انتقل المؤلف من ذلك إلى أن للروح وجودا حقيقيا مستقلا ، وأنها تتداخل مع الحس المادى الملموس وتتخلله وتطابقه مطابقة تامة ، ولكننا فى اهتزازها خارجة عن المدى الذى تستجيب له حواسنا . وانتهى إلى أن عجز الحواس عن إدراكها لا يعنى إذن أنها غير موجودة ، أو أن من غير الممكن إدراكها بوسيلة من الوسائل التى نتغلب بها على المجهول ، ونوسع بها المدى الضيق الذى تنحصر فيه حواسنا بحكم الفطرة التى فطرت عليها . وبهذه المقدمة البارعة التى تلبس ثوب العلم ، والتى تبعد عن المؤلف تهمة الشعوذة والمخادعة ، وتنفى

عن الموضوع الذى يمهد له بهذا الكلام شبهة الخرافة ، استطاع المؤلف أن يستدرج القارىء لقصصه الغريبة فيا رواه عن تجاربه المزعومة وعما خلص إليه من صور فيا بعد الموت .

وكنت وقتذاك أجتاز طورا من أطوار الشباب التى يشتد فيها الولع باقتحام المجهول وخوض ظلماته والكشف عن جوانبه الغامضة ، وكنت شديد الولع باستكشاف ما وراء هذه الحياة الفارغة التى تكاد لتفاهة شأنها أن تكون وهما من الأوهام أو حلما من الأحلام القصيرة العابرة فى عمر طويل مديد ، لذلك وقع منى هذا الكتاب بعد أن فرغت منه موقع الإعجاب . وزادنى به إعجابا أن مؤلفه - وهو مسيحى - ينفى عن المسيح عليه السلام صفته الإلهية ويؤكد أنه بشر رسول على ما يؤكده الإسلام . وظننت أنى قد اهتديت للحل الذى الذى يريح من كل شك ويقطع دابر كل دعوة إلى المادية والإلحاد والكفر برسالات الله سبحانه وتعالى إلى رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، بل يصحح ما علق ببعض هذه الرسالات من بدع وضلالات .

وأقبلت على مشاركة الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير تجاربه فى الاتصال بالأرواح منذ بدء هذه التجارب ، بدأنا بطريقة الكوب والمنضدة ، فلم أجد فيها ما يبعث على الطمأنينة والإقناع . ثم لم يلبث أن دخل فى هذه التجارب ممرض فى مستشفى القصر العينى كان يدعى يس محمد عبد الله — ولا أدرى كيف عثر به الأستاذ أبو الخير — فتحولت الجلسات منذ ذلك الوقت إلى الاعتماد على وسيط الغيبوبة ، وانضم إلينا فى هذه المرحلة الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله ، وحاولنا أن نصل إلى مشاهدة شىء من حالات التجسد أو الصوت المباشر التى يطنطن بها دعاة الروحية ويرونها الدليل القاطع على صدق دعاواهم فلم ننجح فى شىء من ذلك ، واكتفى الأستاذ أبو الخير بتحويل الجلسات إلى ما يسميه أصحاب هذا الفن بالعلاج الروحى ، ولا يزال واقفا حيث تركته لم يحصل هو ولا أى دائرة أخرى فى مصر - على كثرة الدوائر التى تنتحل الصفة الروحية الآن - على حالة من حالات التجسد أو الصوت المباشر أو نقل المحاورات العيانية أو غيرها مما نقرأ عنه فى كتب الروحيين الأوروبية والأمريكيه . والسبب فى ذلك هو أن هذه الحالات لا وجود لها فى حقيقة الأمر . فهى ألاعيب محكمة متقنة تقوم على حيل خفية بارعة ، وسيعلم القارىء من بعد أنها ترمى إلى هدم الأديان كلها - وفى مقدمتها المسيحية - على غير ما تكشف عنه النظرة الأولى الساذجة ، وأغلب ظنى أن إصبع الصهيونية العالمية الهدامة ليست بعيدة عنها .

ولم تسترح نفسي إلى ما كان يجري من حولي في هذه الاجتماعات من حركات وإشارات ، ولم يطمئن عقلي إلى ما أرى وما أسمع ، ولم يلبث هذا الشك أن أصبح يقينا بأن هـذا الذي يجري من حولي ليس إلا ضربا من الدجل والشعوذة ، فاكتفيت وقتذاك بأن أنسحب في هدوء ، وخلاصة ما حدث وقتذاك مما صرفني عن هذه التجارب هو أني لم أطمئن إلى الضوء الأحمر الخافت الذي كان كل شيء يجري فيه ، ولم أستطع تعليل الحركات المتشنجة وأصوات النفخ المزعج والشخير المنكر التي تخرج من فم الوسيط عند قيامه بالعلاج الروحي المزعوم ، ولم أستطع أن أسيغ ما قيل في تعليل ذلك من أن العلاج يتم بإشعاعات غير منظورة ، تأتي من عالم الروح عن طريق الوسيط . فالإشعاعات لا تستلزم هـذه الأصوات التي لا تصلح إلا لأن تكون وسيلة من وسائل الاسترهاب ، وزاد في عجبي وفي شكوكي أن الوسيط ـ وكان وقتذاك هو المدعو يس ـ كان يتفوه في غيبوبته المزعومة برطانات غامضة ، زاعما أن هـذا الخليط المضطرب من الأصوات هو اللغة التي يتفاهم بها الأرواح فيما بينهم ، وكان من السهل على أي مدقق أن يكتشف أن هـذه الأصوات المتنافرة التي تخلو من أي ضرب من ضروب النظام أو التناسق لا يمكن أن تكون لغة ، وظل الشك يراودني زمنا حتى فوجئت في بعض الجلسات برجل غريب يقتحم علينا اجتماعنا زاعما أن قوة خفية قد ساقته إلى ذلك المكان ، ثم لا يلبث أن يقع في غيبوبة فيرقد إلى جانب الوسيط الأول ويتبادل معه الرطانة .

وعند ذلك وجدت الفرصة سانحة للكشف عن حقيقة الأمر ، فأخرجت إبرة ذات رأس مما تعودت وقتذاك أن احتفظ به في ثنية الصدر بمعطفي ، ودفعتها خلسة في ساق الوسيط الجديد وكررت ذلك مرتين فتململ ولم يلبث أن أتبع ذلك بكلمات وحركات أدركت منها أنه يتمتع بكامل وعيه . ولم يلبث هذا الرجل الغامض أن اختفى فجأة كما ظهر فجأة . واستوضحت الأستاذ أبا الخير حقيقته فقال لي : إنه دجال لا خير فيه وأنه لم يجئ إلا طمعا في مغنم يصيبه من وراء عمله . ثم إني لقيت الرجل بعد ذلك مصادفة أثناء زيارتي لأحد أصدقائي بمنيل الروضة في سنة ١٩٣٩ قبيل نشوب الحرب . ولم أجد صعوبة كبيرة في استدراجه فقد كان حنقه على الأستاذ أبي الخير لا يقل عن حنق الأستاذ أبي الخير عليه . لذلك لم أكد أسأله جلية أمره حتى اندفع في الكلام بلا تحفظ يقص علي كل ما حدث أثناء غيبوبته المزعومة في تلك الجلسة التي اختفى على أثرها ، وقدم لي من الدلائل ما تأكدت معه أنه لم يكن غائبا عن الوعي كما كان يتظاهر . وهذا يعني أن الوسيط الآخر الذي يقوم

بالعلاج الروحي المزعوم لا بد أن يكون مخادعا مثله ، لأنه كان يبادله الرطانة في أثناء تظاهرهما بالغيبوبة . واستنتجت وقتذاك أنه كان طامعا في أن يشارك في المغانم والمكاسب التي توهم أن القائمين على هذه التجارب يجنونها من وراء العلاج الروحي ، وأن الأستاذ أبا الخير لم يلبث أن تخلص منه حين تبين منه هذه النية .

والمهم في الأمر هو أن هذا المحتال كان يباطن الوسيط الأول الذي يبني عليه أبو الخير كل نتائج بحوثه الروحية . فإذا ثبت أنه دجال فلا بد أن يكون الآخر دجالا مثله . ولا بد أن يكون ما نحن فيه باطلا من أوله إلى آخره . وقد صارحت الأستاذ أبا الخير بكل ماحققته فلم أجد منه إقبالا على كلامي أو إصغاء إليه ، ورأيت فيه إسرافا في حسن الظن بالوسيط يتجاوز في تقديري ما ينبغي أن يتسم به البحث العلمي الدقيق ، فاكتفيت وقتذاك بأن أعتزل اجتماعاته في هدوء ، لما كنت أكنه له من تقدير واحترام منذ تتلمذت عليه ، ولأني قد رجحت حينذاك أنه ضحية لخداع الوسيط وثقته به وأنه غير مشترك في هذا الخداع ، ولأني كنت لا أزال وقتذاك مخدوعا بدعاوى الروحيين لا تتجاوز شكوكي شخص الوسيط . فكنت أقول لنفسي : إن فشل تجربتنا لا يدل على فساد الدعوى ، ولعل مواصلة التجربة تؤدي إلى نتائج سليمة . ولم ألبث أن نقلت إلى فرع كلية الآداب بالإسكندرية في العام التالي سنة ١٩٤٠ فانقطعت صلتي بالجماعة إلا ما كان من زيارات متباعدة كلما سمحت الفرصة أثناء وجودي في القاهرة . ولكني تتبعت أخبارها في الصحيفة التي أصدرتها من بعد باسم ( عالم الروح ) والتي ظل الأستاذ أبو الخير يتفضل بإرسالها إلى مشكورا حتى الآن . فعرفت منها أنه قد استبدل بالوسيط الأول وسيطا آخر يدعى محمد أبو سريع عيد وهو صانع يعمل في تبييض الجدران وطلاء الأبواب . ثم انتهى إلى جماعة من المثقفين الذين أشرت إلى أسماء بعضهم منذ قليل ، فاستغلوا صفتهم هذه التي تمكنهم من إملاء ما يشاءون باسم الأرواح ، وانحرفوا إلى الدعاية للفرعونية وتمجيدها في شتى نواحيها الحضارية والثقافية ، بل الدينية أيضا ، حتى أصبحت بعض أعداد مجلة « عالم الروح » الشهرية مسخرة لهذا الغرض وحده في كل مقالاتها .

وأتاح الله لي بمنه وفضله بعد من أسباب الهداية ما ملأ نفسي يقينا وما أقامني على الجادة ، وكفاني التعرض لهذه المجازفات الخطرة المهلكة . وأعدت النظر في هذه المزاعم الروحية

فإذا هي شعبة من الدعوات المريبة التي تأخذ الناس من كل جانب ، والتي تلبس مختلف الأثواب ، وتخفي حقيقتها تحت مختلف الأسماء ، محاولة بذلك أن تغطي كل الميادين ، وتتغلغل إلى كل الاتجاهات . فهي تارة تنتحل اسم العلم ، وهي تارة أخرى تنتحل اسم السلام أو الرحمة أو الإنسانية أو محاربة الإلحاد والمادية . وهي أبعد شيء حقيقة وهدفا عن كل ما تتستر تحته من أسماء وأغراض . وهالني الأمر حين تبينت حقيقة أمرها ، وكثرة المخدوعين بها والواقعين تحت سلطانها ، من الأبرياء الذين لا تزال تستدرجهم حتى تستل من صدورهم الإيمان ، وتسلمهم إلى خليط مضطرب من الظنون والأوهام ، يتزعزع معه كل ما استقر في نفوسهم من عقائد دينية ومعايير خلقية . عند ذلك أيقنت أن في عنقي أمانة لا تبرأ ذمتي إلا بأدائها ، وهي أن أشهد بما علمت وأكشف عما عرفت من أمر هذه الدعوة الهدامة . فلعل في مقالي هذا الذي أكشف فيه عن أباطيل هؤلاء الهدامين إبراء لذمتي من تبعة كتمان الحق ، وقياما بواجب الشكر على بعض نعم الله سبحانه وتعالى علي .

وبعد ، فإني أستميح القارىء عذرا عن إقحام شخصي في هذا الحديث ، فما إلى التحدث عن نفسي قصدت . ولكني أردت أولا أن أدلي بشهادة يأثم قلبي بكتمانها ، ثم إني أردت أن يعلم القارىء وأن يعرف المشتغلون بهذه الأوهام أني لا أجازف بالخوض فيما لا أعرفه ، وأني غير مدفوع في كلامي هذا بالتشبث بالمألوف الموروث والإعراض عن كل جديد ، على ما يزعمه ويكرره أصحاب كل ضلالة تساق تحت اسم « جديد » . ومن الواضح أن كلامي غير موجه للغشاشين والمخادعين والمضللين والمغرضين من طلاب المغانم شهرة كانت أو مالا . فهؤلاء لا حيلة لي معهم ، وأمري وأمرهم إلى الله سبحانه وتعالى . وكل ما أستطيعه إزاءهم هو أن أنبه الناس لشرهم وأكشف الغطاء عن ألاعيبهم . أما المخلصون والباحثون عن الحقيقة من المشتغلين بهذه التجارب ، ممن استهواهم بريقها الخداع ، وظاهرها المزيف ، ودعاواها المزورة ، فإليهم يساق الحديث . والأمل كبير في أن يراجعوا أنفسهم ، ويعيدوا النظر فيما قرءوا وما شاهدوا ، وفيما يقرءون وما يشاهدون ، في ضوء ما سوف أكشف عنه أثناء مناقشة حججهم وأساليبهم وفضح أغراضهم . وإلى الجزء القادم إن شاء الله ؟

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

# كلمـــة

## حول الاحتفال بليلة النصف من شعبان

---

كتب الأستاذ الشيخ محمد البنا فى العدد الثانى عشر من مجلة لواء الإسلام لسنتها الحادية عشرة كلمة فى حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، وما ورد فيها من الصلاة والدعاء اللذين يفعلهما المسلمون فى مساجدهم وبيوتهم مع أهليهم لم يصب فيها كبد الحقيقة التى ينشدها المسلمون من الدعاة الهادين ، لأنه ظن أن الأحاديث الواردة فيها ـ وقد ذكر بعضها ـ صحيحة سالمة من التجريح ، مع أنها على ما نقل عن الحافظ ابن حجر لا تساوى سماعها ، وبكل أسف أرخى العنان لقلمه فجمح به وند عن طريق الرشاد الذى يدعو إليه القرآن الكريم ، فرمى صفوة العلماء أئمة الدين بالحماقة وسوء التصرف والبعد عن الحكمة وتفريق كلمة المسلمين ؛ لأنهم اختلفوا فى حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان هل هو موسم دينى مشروع أو غير مشروع ؟ حيث قال ما ملخصه : إن ما يفعله المسلمون فى هذه الليلة فى مساجدهم وبيوتهم مع أهليهم من الصلاة والدعاء وقراءة القرآن تقليد لا أراه منافيا للدين أو مراغما لسنة من سنن سيد المرسلين ، وفى الاحتفال بهذه الليلة تذكير الناس بالإقلاع عن الرذائل والتحلى بالفضائل ، والأولى أن يدعو الإنسان فى هذه الليلة بما ورد مع قراءة سورة يس .

ثم قال عن اختلافهم فى حكمه : والعلماء قدوة للناس فإذا أوقدوا بينهم نار الخلاف لأمر صغير كانوا قدوة سيئة وشرا مستطيرا ، وإذا غلبت الحكمة واتفقوا على هدف واحد بالتفاهم والتعاون كانوا مثلا صالحا وخيرا للعالمين ، كيف وقد عرف من أخلاق سيد الخلق أنه كان لا يزجر أحدا إلا عن معصية ، وليس فى هؤلاء العلماء من يدعى أن الدعاء فى هذه الليلة منكر والابتهال إلى الله فيها معصية ، وماذا عليهم لو قالوا كما يقول عقلاء الأمة : إن ما ورد صحيح ، لو قالوا ذلك لساد الوفاق وارتفع الشقاق وكان ذلك هو الحكمة وفصل الخطاب .

وللرد على كلمته أقول للأستاذ محمد البنا : إن الدين رسم إلهى وتشريع سماوى ، شرعه العليم الحكيم على لسان رسله بما يليق لعبادته وشكره ومصالح عباده ، فبين العبادات وكيفيتها

وزمانها ومكانها ومواسم اجتماعها ، فليس للرأى والقياس العقليين فيه دخل ، فمن أحدث زيادة أو نقصا فى عددها أو كيفيتها أو أحدث مواسم أو اجتماعات أو أحكاما من حلال أو حرام فقد جعل نفسه شريكا لله فى التشريع كالأحبار والرهبان ، أو افترى الكذب على الله إن نسب ذلك إليه تعالى ، وهذا ابتداع فى الدين فهو ضلالة ، فقول الأستاذ محمد البنا : إن هذا « تقليد » اعتراف صريح منه بأن هذا الاحتفال غير مشروع ، وأنه تقليد لمبتدعيه كتقليد الكتابيين للكهنة فى طقوسهم الدينية ، وقوله : لا أراه منافيا للدين ، قول بالرأى فى الدين ، وتشريع بما لم يأذن به الله ، فهو ضلالة وفتنة . روى عوف بن مالك الأشجعى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ( تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة ، أعظمها فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم ، يحرمون ما أحل الله ، ويحلون ما حرم الله ) ، وقال عمر بن الخطاب « إياكم وأصحاب الرأى فإنهم أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يعوها وتفلتت منهم أن يحفظوها ، فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا » .

ويؤيد ما ذكرته من أن التشريع الدينى لا دخل للرأى العقلى فيه ما وقع بين على كرم الله وجهه وبين رجل آخر ، وهو أن رجلا يوم العيد فى الجبانة أراد أن يصلى قبل صلاة العيد فنهاه على فقال له الرجل : إنى أعلم أن الله لا يعذب على الصلاة ، فقال له على : إنى أعلم أن الله لا يثيب على فعل حتى يفعله رسول الله أو يحث عليه . فما أشبه قول الأستاذ محمد البنا بقول هذا الرجل فيرد عليه بما قاله على رضى الله عنه ، وروى أن رجلا سأل مالك بن أنس من أين أحرم ؟ فقال له مالك من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له الرجل : فإن أحرمت من أبعد منه ؟ فقال له مالك : لا تفعل فإنى أخاف عليك الفتنة . فقال الرجل : وأى فتنة فى ازدياد الخير فقال له مالك : يقول الله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة » وأى فتنة أعظم من أنك ترى أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله صلى الله عليه سلم .

ودعوى الأستاذ البنا أنه ورد فى ليلة النصف من شعبان صلاة ودعاء وقراءة قرآن دعوى غير مطابقة للواقع . بل كل ما ورد فيها ابتداع الضالين المضلين على ما سنبينها .

وقوله وقد عرف من أخلاق سيد الخلق أنه كان لا يزجر أحدا إلا عن معصية ، فيقال له أى معصية أعظم من الابتداع فى الدين وافتراء الكذب على الله وتشريع مالم يأذن به الله ؟

والله يقول : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا » والنبي يقول فى خطبته « وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » وعن مالك « من أحدث فى هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ، لأن الله يقول: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دنيا » وعن حذيفة بن اليمان وابن مسعود « كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله فلا تعبدوها ، فإن الأول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله يامعشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم » . وعن ابن عمر « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة » .

والاحتفال بليلة النصف من شعبان بالطريقة التى يفعلها المسلمون فى مساجدهم وبيوتهم مع أهليهم لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بفعل أو قول ، ولم يجعل الشارع هذه الليلة من مواسم الاجتماع الدينية ، ولم يتعبدها أصحاب رسول الله ، بل هو محدث فى سنة ٤٤٨ ﻫ . فهو بدعة ضلالة .

وقوله وفى الاحتفال بهذه الليلة تذكير الناس بالإقلاع عن الرذائل والتحلى بالفضائل ، سهو من الأستاذ البنا عن مواقع التذكير يحتاج الى تنبيه بأن تذكير الناس بذلك من قبيل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو مطلوب من القادر على ذلك فى جميع الأوقات لا فى خصوص ليلة النصف من شعبان ، فتخصيصها بذلك بدعة ضلالة .

وقوله وماذا على العلماء لو قالوا كما يقول عقلاء الأمة إن ماورد صحيح ؟ هــــذه عبارة نابية عن حدود آداب المناظرة ، ولا يليق صدورها من رجل أعد نفسه للإرشاد إلى مكارم الأخلاق مع الأئمة المحدثين الحفاظ الذين بذلوا حياتهم وعقولهم لتأييد الحق من الدين ونبذ الباطل الذى ألصقه المبتدعة به : كالعز بن عبد السلام وتقى الدين بن الصلاح وأبو بكر ابن العربى وأبى شامة شيخ الإمام النووى وابن تيمية ، وغيرهم من أعلام المحدثين الذين بلغوا درجة الاجتهاد، ويصفهم بأنهم غير عقلاء ومفرقون للأمة الإسلامية، لأنهم اختلفوا فى الاحتفال بليلة النصف من شعبان هل هو موسم دينى له صلاة خاصة ودعاء وقراءة قرآن ؟ وكان عليهم أن يتفقوا على مشروعيته وصحة أحاديثه وإن ثبت عندهم أنها موضوعة . فأذكر الأستاذ محمد البنا ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ بأن الاختلاف الذى هو تبادل الرأى للوصول إلى الحق للعمل به دينيا أو دنيويا جائز شرعا مقبول عقلا ، وقد خلق الله الإنسان متفاوت العقل

مستعدا لتبادل الرأى ، لتحصيل العلم الذى تتحقق به إنسانيته ويصلح به أن يكون خليفة فى الأرض ليعمرها . فطلب الأستاذ البنا من أعلام الأمة نبذ الاختلاف وتبادل الرأى بينهم كطلب ألا يكون الإنسان إنسانا ، وفى القرآن الكريم كثير من الاختلاف بين بنى الإنسان بل وبين الملائكة ، فقد اختلف موسى مع أخيه هارون ومع الخضر ، واختلف النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى كثير من الشئون الدينية والدنيوية ، واختلف السلف بعضهم مع بعض ، وما الشورى فى الإسلام إلا تبادل الرأى ، وما القضاء فى الخصومات إلا بعد تبادل الرأى بين المتخاصمين أمام القاضى ، وما اختلاف العلماء فى مشروعية الاحتفال بليلة النصف من شعبان وعدم مشروعيته إلا تبادل الرأى لإقرار الحق ونبذ الباطل الذى لا تقره الشريعة الإسلامية . فهم عقلاء الأمة وقدوتها ، وشمس هدايتها وجامعو شتاتها ومنظمو عقدها ، فجزاهم الله خيرا . وأختم كلمتى بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم « لا تزال أمتى بخير ما وقر صغيرها كبيرها ورحم كبيرها صغيرها وحفظوا لعالمهم حقه » ، نسأل الله أن يجعلنا من الذين يحفظون حقوق علمائهم ويجنبنا الانحراف عن صواب آرائهم .

وإليك نبذة مما قاله حفاظ الحديث وأهل التعديل والتجريح فى حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان وما رد فيها وتاريخ حدوثها .

( قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة » من سورة الدخان ما نصه : قال القاضى أبو بكر بن العربى وجمهور العلماء : إنها أى الليلة المباركة ليلة القدر ، ومنهم من قال إنها ليلة النصف من شعبان ، وهو باطل ، لأن الله تعالى قال فى كتابه الصادق القاطع « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » فنص على أن ميقات نزوله رمضان ، ثم عين نزوله الليل هاهنا بقوله « فى ليلة مباركة » ، فمن زعم أنه فى غيره فقد أعظم الفرية على الله ، وليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه لا فى فضلها ولا فى نسخ الآجال فيها ، فلا تلتفتوا إليها ) ا . ه .

وقال جمال الدين القاسمى فى كتابه « إصلاح المساجد » نقلا عن كتاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبى شامه شيخ الإمام النووى فى حكم صلاة رجب : وقد جزم حفاظ الحديث بوضع أحاديثها . ثم قال : وما ذكره الحافظ أبو الخطاب فى أمر صلاتى رجب وشعبان من أنهما بدعتان وحديثهما موضوع هو كان سبب تعطيلهما فى بلاد مصر بأمر سلطانها الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب رحمه الله ، فإنه كان مائلا إلى إظهار السنن وإماتة

البدع . وقال فى بدعة زيادة التنوير فى ليـلة النصف من شعبان ونشر فضائلها وقراءة أدعية فيها : وهو من بقايا ما كان ابتدع فيها سنة ٤٤٨ ھ من الصلاة الألفية ، يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة ، فى مائة ركعة تتلى بعد الفاتحة عشر مرات سورة الإخلاص، وكانت تنور المساجد لأجلها ويجتمع الألوف لأدائها ، إلى أن أبطلها الملك الكامل ، ثم قال : قال ابن وضاح عن زيد بن أسلم : ما أدركنا أحـدا من مشايخنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان ولا فقهاؤنا يلتفتون إلى حـديث مكحول ولا يرون لها فضـلا على سواها ، وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية تروى النـاس الأغفال فى صلاة ليلة النصف من شعبان أحاديث موضوعة ، وكلفوا عباد الله بالأحاديث الموضوعة فوق طاقتهم من صـلاة مائة ركعة ، وقال أهل التعديل والتجريح : ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يصح ، فتحفظوا عباد الله من مفتر يروى لكم حديثا موضـوعا يسوقه فى معرض الخـير ، فاستعمال الخير ينبغى أن يكون مشروعا من النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا صح أنه كذب خرج عن المشروعية ، وكان مستعمله من خدم الشيطان ، لاستعماله حديثا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل الله به من سلطان . ثم قال « وما أحدثه المبتدعون وجروا فيه على سنن المجوس واتخذوا دينهم لهوا ولعبا من الوقيد ليلة النصف من شعبان ، لم يصح فيها شىء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نطق بالصـلاة فيها والإيقاد وصـدق من الرواة ، وما أحدثه المتلاعب بالشريعة المحمدية راغب فى دين المجوسية لأن النار معبودهم ، وأول ما حدث ذلك فى زمن البرامكة فأدخلوا فى دين الإسلام ما كان أصلهم عليه من عبادة النيران . ثم قال : وأما دعاؤها المشهور فلم يرد من طريق صحيح ولا غـيره ، وإنمـا هو من جمع بعض المشايخ » اھ كلام العلامة القاسمى رحمه الله .

وعن النجم الغيطى فى فضائل ليلة النصف من شعبان : ( أن ما يروى فى هـذه الليلة من الأحاديث باطل وموضوع ) اھ .

وقد أنكر الإمام الشيخ محمد عبده الاحتفال بليلة النصف من شعبان [illegible] أشد الإنكار فى درس التفسير الذى كان يقرؤه فى الأزهر على ملأ العلماء والعظماء . ومن أهم ما استند إليه المبتدعون لهذا الاحتفال تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحـرام فى يوم النصف من شعبان ، فالاحتفال بليلته تذكير بهذا الحادث العظيم وفى بهجة المحافل عن

المواهب اللدنية ( روى الإمام أحمد عن ابن عباس بإسناد صحيح أن تحويل القبلة كان فى رجب ، قال الواقدى وهو أثبت ) أى من القول بأنه فى شعبان . وقال الحافظ أبو الخطاب وهو الصحيح وجزم به الجمهور ) اهـ . على أنه لو ثبت قطعا أنه فى شعبان لم يكن هذا مسوغا لجعلها موسما يحتفل به دينيا ؛ لأن كل احتفال دينى لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة كالجمعة والعيدين والحج ، ولم يكن له مسوغ شرعى ، كالاتعاظ والاعتبار أو التأسى والاستبصار بذكر حوادثه وأسبابها وما نجم عنها كذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، يكون عبثا وتشريعا بما لم يأذن به الله فيكون بدعة ضلالة ، وعلى علماء المسلمين أن يقاطعوا هذا الاحتفال ، وجميع الاحتفالات المبتدعة ، كاحتفالات المولد التى ابتدعها أرباب طرق التصوف الباطلة ، التى شوهت جمال الدين المحمدى وسترت ضوءه ، وأساءت سمعته لدى أعدائه بما اشتملت عليه من المفاسد وجعلت الأمة الإسلامية شيعاً وأحزابا متفرقة متعادية ؛ لأنهم على غير المنهج النبوى ، فهم لا يرون إلا أكل أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ؛ فإن شهود العلماء لهذه الحفلات وهذه الموالد بدون إنكارها وهم أئمة الدين مما يوهم العامة أنها من الدين وهو منها براء ، بل وعلى العلماء خصوصا الوعاظ منهم أن يبينوا للناس أنها فتنة وإلا كان عليهم إثم السكوت والإقرار على الباطل . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم « وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة قالوا من هى يا رسول الله ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابى » . أسأل الله أن يوفقنا إلى اتباع هدى النبى صلى الله عليه وسلم .

عمر عبد الوهاب الجندى
شيخ معهد دسوق سابقا

---

# صحابة الرسول

شم العرانين أبطال لبوسهم — من نسج داود فى الهيجا سرابيل
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم — قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا

كعب بن زهير

# من تاريخ السنة النبوية

## ( ١ )

## حجية السنة ووجوب العمل بها

السنة معناها فى اللغة الطريقة والعادة المتبعة ، وأما معناها فى عرف المحدثين والأصوليين، فهى قول النبى صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ، والمراد بتقريره سكوته وعدم إنكاره لقول أو عمل رآه أو علم به ، صدر ممن هو خاضع لحكمه وسلطانه ، فهذا السكوت يكون تقريراً لمشروعية ذلك القول أو العمل ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقر أحداً على باطل ، أما إذا صدر ذلك القول أو العمل ممن ليس خاضعا لحكمه وسلطانه ، فلا يكون عدم إنكاره تقريراً لمشروعيته .

والسنة بهذا المعنى الاصطلاحى ، هى المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم ، فقد أجمع أهل الحق من أئمة المسلمين وعلمائهم ، على أن السنة النبوية حجة شرعية يجب العمل بها ، وقد تحدث القرآن عن هذا الأصل فى آيات كثيرة ، وأظهره فى أساليب متنوعة ، فيها إيجاب وإلزام ، وفيها ترغيب وترهيب ، فأوجب علينا امتثال أمره واجتناب نهيه ، والاقتداء به فى قوله وفعله ، والانقياد لحكمه والتسليم لقضائه ، كما فى قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ، « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ، « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ، « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » قال العلماء : معناه إلى الكتاب والسنة ، وجعل طاعة الرسول طاعة لله عز وجل كما فى قوله « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا » وجعل اتباعه مستتبعا لحب الله لنا ورضائه عنا كما قال تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ، وحذرنا من مخالفة أمره وأوعد المخالفين بسوء العذاب ، كما قال تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم ذلك وأكده فى كثير من الأحاديث ، كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى ومسلم « فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم »

وفيا رواه البخارى « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله » وقوله صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله » .

فحجية السنة النبوية معلومة من الدين بالضرورة ، والإيمان بها أصل من أصول الدين ، والعمل بها واجب كالعمل بالقرآن الكريم ، لايخالف فى ذلك إلا من ضل سواء السبيل ، فكل حديث روى بطريق النقل الصحيح وتضمن حكما تشريعيا ، فإنه يكون حجة شرعية فيا دل عليه من إيجاب أو ندب ، أو تحريم أو كراهة أو إباحة ، بشرط ألا يكون مناقضا لصريح العقل ، أو للنصوص القرآنية الصريحة ، أو الأصول الشرعية المجمع عليها ، أما إذا كان مناقضا لشىء مما ذكر ، فإن قبل التأويل بما يرفع عنه هذه المناقضة ، وجب تأويله مع المحافظة على قوانين اللغة العربية فى أوضاعها ودلالاتها ، وإن لم يقبل التأويل وجب رده وعدم الأخذ به ؛ لأن هذه المناقضة التى لاتقبل التأويل المعهود فى الأساليب العربية ، تدل على أنه حديث موضوع مختلق كما قال أئمة الحديث .

فما كل راو بعدل ضابط ثقة ، وما كل مروى بحديث صحيح ، بل الرواة منهم العدول الضابطون الثقات ، ومنهم الضعفاء وأهل الغفلة ، ومنهم الوضاع أصحاب الأهواء والغايات ، والأحاديث الجارية على ألسنة الرواة منها الصحيح المعروف ، ومنها الضعيف المنكر ، ومنها الموضوع المختلق ، هذا هو الحق الذى ينطق به واقع الحال فيا روى من أحاديث وسنن ، فإن كل من عرف أحوال الصحابة الذين نقلت عنهم أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وعرف أحوال التابعين الذين نقلوا عنهم هذه الأحاديث ، وعرف أحوال الأئمة الذين رووها عنهم وجمعوها ودونوها فى دواوينهم ، وأحاط خبراً بمدى عناية هذه الصفوة القوية فى عقائدها وأخلاقها وتدينها ، والممتازة فى حفظها وعدالتها وضبطها ، بحفظ هذه الأحاديث والتثبت فى روايتها والتحدث بها ، ووقف مع ذلك على تاريخ المسلمين وما عرض لهم من أحداث وفتن ، وما تكشف عنه هذه الأحداث والفتن ، من أحزاب وشيع ، وأهواء وابتداع ، وعرف كيف هيمن على تفكير هذه الشيع طغيان التعصب والهوى ، ووقف على أحوال الطوائف التى كانت تكيد فى الخفاء للإسلام والمسلمين ، فإن كل من عرف ذلك معرفة رسوخ وتثبت ، فإنه يحكم حكما جازما لا يرقى إليه الشك والارتياب ، بثبوت الصحة ووجوب الصدق ، فى مجموعة كبيرة من الأحاديث والسنن ، التى جاءت مبينة لمقاصد القرآن ومتممة لشرائع الإسلام ، كالأحاديث التى رواها الأئمة الراشدون وتلقتها الأمة بالقبول ، وتوارثها

المسلمون جيلا بعد جيل ، وبوقوع الكذب والاختلاق من الوضاع فى كثير من الأحاديث كالأحاديث التى وضعها الزنادقة لإفساد الدين ، والأحاديث التى وضعها أهل الأهواء تعصبا لمذاهبهم وانتصاراً لأهوائهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم » غير أن هـــذه الطوائف على كثرتها وتعدد اتجاهاتها وتباين أغراضها ، لم يخف أمرها على أئمة السنة وحفاظها ، بل عرفوهم معرفة الناقد البصير ، وكشفوا للمسلمين عن سوء مقاصدهم وخبث طوياتهم ، وبينوا لهم ما فى هذه الأحاديث التى وضعوها من زيف وبطلان ، فجزاهم الله عن الإسلام وسنة نبى الإسلام أحسن الجزاء .

## أثر السنة فى التشريع الإسلامى :

للسنة النبوية أثر كبير فى التشريع الإسلامى . إذ هى المصدر الثانى له بعد القرآن كما قلنا ، ويتجلى هذا الأثر العظيم فى الجوانب الآتية :

« الجانب الأول » : تبيين القرآن وتوضيح أصوله وقواعده . كما قال تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » فالذكر هو القرآن المنزل من عند الله بلفظه ومعناه ، وهو الدستور الإلهى الذى أودع الله فيه الأصول العامة ، لإصلاح العقائد والأخلاق والأعمال . ونظمها فى آياته القدسية بأبلغ الأساليب العربية وأدق التراكيب البلاغية ، ثم أفاض على نبيه بيانها بسنته المطهرة ، تارة بالسنة القولية وتارة بالسنة العملية ، كبيان كيفيات الصلاة وأعدادها وأوقاتها ، ومقادير الزكاة وأوقاتها التى تؤدى فيها ، وأنواع الأموال التى تؤخذ منها ، ومناسك الحج وأحكام العقود والمعاملات ، وغيرها من شرائع الإسلام التى جاء القرآن بأصولها ، وجاءت السنة النبوية ببيانها وتفاصيلها ، كما يتجلى ذلك فى كتب الحديث التى عنى جامعوها بفقه الحديث النبوى ، فالموطأ ، وجامع الترمذى وسنن النسائى وسنن أبى داود ، والكتب الجامعة لأحاديث الأحكام ، كالمنتقى لابن تيمية وبلوغ المرام لابن حجر .

فالسنة النبوية هى التى وضحت مبادئ التشريع القرآنى وأصوله ، وبينت كيف كان يعمل الرسول وأصحابه بهذه المبادئ والأصول ، وكيف كان أثرها فى حياتهم المدنية والاجتماعية .

« الجانب الثاني » : استقلالها بتشريع كثير من الأحكام العملية، كما يدل لذلك قوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقوله تعالى « ويعلمهم الكتاب والحكمة » قال العلماء الكتاب هو القرآن الكريم ، والحكمة هي السنة النبوية ، وما رواه أبو داود والترمذي من قوله صلى الله عليه وسلم « يوشك رجل منكم متكئا على أريكته ، يحدث بحديث عني فيقول ، بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله — زاد أبو داود في روايته — ألا إني قد أوتيت الكتاب ومثله معه » . فقد دل هذا الحديث بمجموع طرقه ورواياته على ثلاثة أمور « أحدها » أن السنة مصدر تشريعي كالقرآن الكريم ، وأنه صلى الله عليه وسلم أوتي من هذا الوحي الباطني وهو السنة ، مثل ما أوتي من الوحي الظاهري وهو القرآن الكريم ، فالقرآن منزل من عند الله بألفاظه ومعانيه . والسنة معانيها وهي من الله تعالى ، وألفاظها الدالة على هذه المعاني من عند النبي صلى الله عليه وسلم وإنشائه ، كما يدل على ذلك عموم قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى » فلم تكن أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، تصدر عنه على نهج خطباء العرب وشعرائهم ، وإنما كانت روحه العلوية تتلقى من الملأ الأعلى ، ما شاء الله من معاني الحكمة ، ثم يصوغها في تراكيب تعبر عن هذا الوحي الباطني الإلهي ، بخلاف خطباء العرب وشعرائهم ، فإن أرواحهم كانت تستمد المعاني التي تجيش في صدورهم ، من عواطفهم وأحاسيسهم ، وما يحيط بهم من العوامل والمؤثرات ، ثم يعبرون عن هذه المعاني ، بالأساليب التي تتفق مع هذه العواطف والأحاسيس والمؤثرات ، « وثانيها » التحذير من مخالفة السنن التي سنها الرسول بما لم يذكر في القرآن الكريم ، فالاحتجاج والعمل بالقرآن مع الإعراض عن السنة ، إنما هو ضلال في الرأي وفساد في العقيدة وإلحاد في الدين ، « وثالثها » أنه لا حاجة في الاحتجاج بالحديث إلى عرضه على كتاب الله كما زعم بعضهم ، بل هو حجة شرعية قائمة بنفسها ، وأما ما يروى من حديث « إذا جاءكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه » فقد قال فيه القرطبي نقلا عن الخطابي ، إنه حديث باطل لا أصل له ، ونقل ابن عبد البر في كتاب جامع العلم أنه من وضع الزنادقة والخوارج .

« الجانب الثالث » : هو ما جاءت به السنة النبوية من الأخلاق الفاضلة . والآداب

السامية ، والحكم البالغة ، والمواعظ الشافية ، فهي الناصح الأمين فى نصحه ، والمرشد الصادق فى إرشاده ، والقائد الحكيم فى قيادته ، والرائد الذى لا يكذب أهله ، والسلسل العذب الذى يحيي موات القلوب التى لم تستحكم فيها غباوة الجهل ، ولم تحجبها عن منهله حجب الأهواء والشهوات ، وهى النور الإلهى الذى ينفذ إلى أعماق النفوس المستعدة للخير والهداية فيملأ جوانبها هداية ونورا ، فليس شيء بعد القرآن أهدى للنفوس ، وأنجع فى شفاء الصدور وطهارة القلوب ، وأقوى فى تتمة مكارم الأخلاق ومواهب الخير والكمال ، من دراسة السنة دراسة رائدها الإخلاص للدين والعلم ، والوصول إلى مكنون حقائقها وأسرارها . وغايتها ترقية الأرواح وتزكية النفوس ، وتقوية الأخلاق وإصلاح الأعمال ، وقوامها البحث العلمى الذى لا تشوبه شوائب الأغراض والأهواء ، ولا تتحكم فيه عصبية المذاهب وتقديس الآراء ، ولا تلتوى به مسالك الزيغ والانحراف ، ولا تذهب بفائدته معوقات الجدل الذى لا نفع فيه ولا جدوى ، فإذا تكاملت لدراسة السنة هذه العناصر التى لا بد منها، فحدث عن مواقع الغيث ومواهب الخير ولا حرج ، حدث بما شئت وشاء لك الحديث ، عما تثمره هذه الدراسة من طهارة القلوب وصفاء النفوس ، وكمال الأخلاق واستقامة السلوك والإحاطة بأصول التشريع الإسلامى وفروعه ، والوقوف على أغراضه ومقاصده ، واحكم وأنت صادق فى حكمك ، بأن كل قلب لا يمتلئ بتعظيم شأن السنة النبوية ، ولا يستضيء بنورها وهديها ، ولا يعرف حق حفاظها ورواتها من الإجلال والإكبار ، لهو قلب هواء لا خير فيه ، ولا يقين له ولا طمأنينة ، ولا نور فيه ولا هداية .

هذه هى خلاصة الجوانب التى تجلى أثر السنة فى التشريع الإسلامى ، وتبين منزلتها من الكتاب العزيز ، وتتيم الحجة الواضحة على أن الكتاب والسنة صنوان لا يفترقان ، وكيف يفترقان وقد جمع الله بينهما فى العقيدة والعمل ، فمن فرق بينهما أو حاول التشكيك فى هذا الميراث النبوى ، فقد ضل فى عقيدته وعمله ضلالا بعيدا .

عناية المسلمين بالسنة :

عرف المسلمون الأولون أن السنة النبوية المطهرة ، هى معتصم المسلمين وقبلة أنظارهم بعد القرآن الكريم ، ولهذا عنى بها علماء المسلمين وأئمتهم عناية كبرى ، فلم يدعوا جانبا من جوانب حفظها وجمعها ، وتدوينها وشرحها ، إلا جاءوا فيه بأقصى ما تحتمله طاقة البشر ، فقد

قيض الله لها من خيرة الحفاظ المتقنين . والرواة الصادقين ، وأعلام الأئمة الراسخين ، رجالا عرفوا من توجيهات القرآن وتعاليم الإسلام ، أن الوجود الدنيوى بكل ما يتطلبه من عمل وكفاح ، وما يصل إليه من رقى وكمال ، وما ينطوى عليه من حكم وأسرار ، إنما هو إعداد لوجود أخروى هو أرقى من هذا الوجود ، وحياة أبدية هى أكمل من هذه الحياة فارتفعت بهم هذه المعرفة عن الرضا بالحياة الراكدة العاطلة ، وسمت بهم عن التطلع إلى المجد الرخيص المبتذل ، وفتحت أعينهم على أبواب هذا الإعداد ومسالكه ، وملأت قلوبهم بأجل المقاصد وأعظم الغايات ، ورأوا بنور بصائرهم ، واستقامة تفكيرهم ، أن الاشتغال بحفظ السنة وتدوينها ، واستخلاصها من كل دخيل مكذوب ، واستخراج ما انطوت عليه من علوم وفنون ، من أشرف المقاصد وأنبل الغايات ، فوهبوا حياتهم وجهودهم لخدمتها والعناية بها ، واتخذوا من رياضها مسارح لعقولهم وأفهامهم ، وبذلوا فى سبيلها كل ما تحتمله الطاقة البشرية من جهد عقلى واحتمال جثمانى ، فسهرت عيونهم والجهال فى نوم يغطون ، وتعبت أجسامهم وطلاب المال والجاه فى لهو يلعبون ، لأن نفوسهم كانت كبارا :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأ .

فكانت نورا لعقولهم ، وغذاء لأرواحهم ، وسكنا لأفئدتهم ، ورائداً لهم فى تدينهم وسلوكهم ، ومرجعا لهم فى فتاويهم واجتهادهم .

وبهذه الجهود التى تواصلت حلقاتها ، وسارت مع السنة فى جميع عصورها وأطوارها ، والتى لم تعرف لكلام نبوى من قبل ، حفظوا على السنة جلالها وقداستها ، ونفوا عنها تحريف الغالين فى الدين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وصارت ميراثا خالدا فى المسلمين ، وتراثا باقيا فى العالمين ، وبذلك كانوا حماة الدين الصادقين ، والأئمة الهداة الراشدين ، ومصداقا لما رواه البيهقى من قوله صلى الله عليه وسلم : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » . وتتجلى مظاهر هذه الجهود فى ثلاثة أطوار : وهى طور الحفظ والاعتماد على الذاكرة ، وطور الجمع والتدوين ، وطور الشرح والتفسير ، وتفصيل ذلك فيما يأتى إن شاء الله ؟ .

يس سويلم طه
شيخ معهد الزقازيق

من أبطال التاريخ :

# أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

رضى الله تعالى عنه

---

يقف التاريخ وقفات طويلة ، عند كثير من الخلفاء والحاكمين المنصفين ، ويسجل لهم من صحائف المجد والفخار ، ما لا يبليه الجديدان ، ولا يمحوه الليل والنهار ، ولقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ـ نضر الله تعالى تاريخه ـ من بين هؤلاء العادلين ، الذين دونوا تاريخهم بمداد من الفخر ، على صفحات من نور .

## مولده ونشأته :

بن عبد العزيز بالمدينة المنورة ، على المشهور ، فى السنة الثالثة والستين نبوية ، وأمه أم عاصم ، بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، ونشا بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، نشأة عزيزة كريمة ، قبل أن تتهيأ لسواه ، ثم أرسل به إلى أبيه عبد العزيز بن مروان ، والى مصر حينذاك ، فمكث بها عمر مدة ، يزهو مع نسيمها ، ويتمتع بخيراتها ، وينعم بجميل مشاهدها ، وصافى سمائها ، وروائع حسنها وآثارها . فلما بلغ سن التعلم أرسله والده إلى المدينة ، محط الثقافة الإسلامية ، وموطن علماء اللسان العربى إذ ذاك ، ومقر البقية الباقية من أصحاب الرسول الأعظم ، صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم من كبار التابعين ، وجعل صالح بن كيسان رحمه الله ، مؤدبه الخاص ، فأخذ عمر علومه من المنابع العذبة الفياضة ، واستقاها من الموارد الصافية .

## زواجه وحكمه .

ولما ذاع فضله أعجب به الخليفة ، عبد الملك بن مروان ، فزوجه بنته فاطمة ، ولما مات عبد العزيز فى السنة الخامسة والثمانين من الهجرة ، بعد أن حكم مصر باسم الامويين زهاء عشرين عاما ، ولى الخليفة عمر حاكما على خناصرة ، وهى بلدة كبيرة تابعة لحلب ، ففرح أهلها كثيراً بحكمه ، لما سمعوه عنه وودع الخليفة الحياة ،

وولى الأمر بعده ابنه الوليد . وضج أهل المدينة بالشكوى من واليهم ، فلم يجد الوليد أصلح لهم ، ولا أعلم بشئونهم من عمر ، الذى نشأ بينهم ، وأقام طويلا فيهم ، فولاه عليهم ، ثم ضم إليه بلاد الحجاز كلها . فحكمها عمر قرابة ست سنوات ، من سنة سبع أو ثمانية للهجرة ، إلى سنة ثلاث وتسعين منها ، وتوخى الحق فى أموره ، واختار حاشيته عشرة من الأئمة المشهورين فى المدينة بالصلاح والتقوى ، وكان يرجع إليهم فى الشئون العامة . وحفر الآبار الكثيرة ومهد الطرق القديمة ، وشق أخرى جديدة ، وهدم المسجد النبوى ، وبناه ووسعه وجمله ، وسار فى الناس سيرة حميدة ، قربته من نفوسهم ، ومكنت حبه فى قلوبهم ، فأطاعوه وانصرفوا إلى أعمالهم ، وأمسى الأمن فى الحجاز حديث القاصى والدانى ، ونزح الناس إليه من كل صوب وحدب ، فراراً من ظلم الولاة وكان أهل العراق أسرع من سواهم ، فأقبلوا على الحجاز أفراداً وجماعات ، هاربين من الحجاج بن يوسف واليهم . فأكرمهم عمر وسهل لهم سبل الإقامة والمعيشة ، وكتب للخليفة يصف له قسوة الحجاج ويندد بأعماله ، فكتب الحجاج للوليد يشكو عمر ، ويقول : إن حاكم الحجاز يحمى ثوار العراق ، الأمر الذى يزلزل أركان الحكم بالعراق ويزيد الفتن اشتعالا .

وكان الخليفة مطمئنا إلى بلاد الحجاز وطاعة أهلها ، حريصا أشد الحرص على تهدئة الأحوال فى العراق ، فعزل عمر ، وولى مكانه حاكمين بمكة والمدينة ، فبادرا بطرد العراقيين إلى بلادهم ، وشددا على كل من يؤوى عراقيا ، أو يعاونه .

## عمر فى الشام :

رجع عمر ، رحمه الله ، إلى بلاد الشام ، حيث الأهل والعشيرة ، والجاه العريض والثراء الواسع ، ولم يؤلمه العزل ، لأن له من جاهه وحسبه وغناه ما يكفيه عن كل ولاية ـ ولكن الذى كان يحز فى نفسه أن يرى الأمويين يؤيدون الطغاة ويمالئونهم على ظلم الرعية ، حتى ضج الناس بالشكوى ، واستعان الحكام ببعض القبائل على بعض ، ورجعت العصبية التى استأصل الإسلام جذورها إلى ما كانت عليه .

وبرئ عمر من كل ذلك إلى الله ، وانقطع للطاعة والعبادة ، وأعرض عن الدنيا وأقبل على مولاه يرجو رحمته ويخشى عذابه ، وضرب فى مضمار الورع والزهد بسهم وافر ، ورثه عن جده لأمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه ، ونماه فيه أئمة المدينة وزهادها .

تو ليته الخلافة وزهده فى مال المسلمين :

ولقد امتاز عمر بعدله ووقاره ، وسيرته العطرة فى الحكم ، وتقواه وصلاحه ، ورحمته بالمحكومين . واشتد الوجع بالخليفة سليمان بن عبد الملك ، وتوقع الناس موته ، ولم يكن هناك من يصلح للجلوس على الخلافة إلا عمر ، فدخل وفد من العلماء ، وذوى المكانة والرأى على سليمان ، ورغبوا إليه أن يعهد بالخلافة لعمر ، فنزل على رأيهم وكتب وصيته بذلك ، ودعا وجوه الأمويين لإقرارها ، ولم يوضح لهم اسم من اختاره ، فوافقوا عليها وكل منهم يدور بخلده أن الوصية له ، وصعدت روح الخليفة لبارئها ، فى العام التاسع والتسعين للهجرة ، وفضت الوصية فإذا هى لعمر ، فاستبشر الناس وأقبلوا إليه مهنئين ومبايعين ، وسار فيهم سيرة الخلفاء الراشدين ، حتى عده بعضهم خامس هؤلاء المهديين .

ولقد وجد أمير المؤمنين من سبقه من خلفاء الأمويين يتناولون من بيت المال ما يشاءون ، ويعطون أقاربهم ما يريدون ، ويسكنون القصور الفخمة ويركبون الجياد المطهمة ، ويلبسون الثياب الفاخرة ، ويستعملون العطور الذكية ، ويستكثرون من الحرس ويحوطون أنفسهم بضروب مختلفة من الأبهة ، فرد عمر إلى بيت المال ما أخذوه بغير حق ، وأمر ببيع الخيول وأثاث القصور ، والثياب والعطور ، وجواهر زوجته ، ورد أثمان ذلك لبيت مال المسلمين ، وصرف الحراس ولم يبق منهم إلا من تمس الحاجة إليه ، وخاف أن يكون فى ضيعته شىء مغصوب أو حرام ، فضمها لبيت المال ، مع خاتم نفيس كان قد أهداه إليه بعض الخلفاء الأمويين .

ولقد حرم أمير المؤمنين على نفسه وأهله أن يأخذوا شيئا من مال المسلمين ، إلا عطاءه القليل ، الذى قدره كثير من المؤرخين بما يساوى مائة جنيه فى العام ، وكان ما يصيب عمر منها فى اليوم يقارب خمسة قروش !!!

شفقته بالرعية وخوفه من الله :

ليس هناك أدل على شفقته بالرعية ، ورحمته بالمحكومين ، مما روته زوجه السيدة فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، قالت : دخلت على عمر يوما فى مصلاه فرأيته يبكى ، والدموع تسيل على لحيته ، فسألته ما يبكيك ؟ فقال : يا فاطمة لقد تقلدت أمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فتفكرت فى الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والغازى المجهود ،

والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ، والشيخ الكبير ، وذى العيال الكثيرة والمال القليل ، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وخشيت ألا أجد حجة أدلى بها أمام الله ، فبكيت !!!

ولقد رتب رحمه الله للفقراء معونات ثابتة وفرض للمرضى عطاء خاصا ، وجعل للموالى منحا تساعدهم على العتق ، وأمر بقضاء الديون عن الغارمين ، وأقام ببعض النواحى أماكن عامة ، يلجأ إليها من أتعبه السفر وأضناه الرحيل ، يقيم بها يوما وليلة ، أو يومين وليلتين ، فى رعاية الوالى يمده بما يحتاج إليه ويبلغه مأمنه .

ولقد كانت أعمال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، تنطق بعظيم خوفه من الله سبحانه ، وكان يقسم نهاره ومعظم ليله ، بين النظر فى أمور الرعية وعبادة مولاه وتعليم الناس ، حتى اعتراه الضعف وأصابه النحول ، وإذا ذكر فى مجلسه الموت وما بعده اضطربت أوصاله ، وانهمرت دموعه ، وأبكى من حوله . فإذا أوى إلى فراشه تقلب فيه ساعات لا يألف النوم جفنه ، ويحاسب نفسه على ما قدمت وأخرت ، ويقول : ياليت بينى وبين الخلافة بعد المشرقين .

ودخل عليه بعض المقربين إليه ، فى آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، وقالوا يا أمير المؤمنين إن أولادك كثيرون ، فلا تتركهم يقاسون متاعب الحياة وشظف العيش ، فأوص لهم بشىء ، فقرأ قول الله تبارك وتعالى : « إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » [١] .

فلن أوصى لهم بشىء ، من كان منهم صالحا فالله يتولاه ، ومن كان خارجا على حدود الله فلا أعينه على خروجه ، ثم استدعاهم وأسمعهم مثل ذلك ، ثم ودعهم قائلا : انصرفوا عصمكم الله تعالى ، وأحسن الخلافة فيكم [٢] .

عدله وإنصافه .

لقد أقام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من نفسه حارسا للعدل لا يغفل ، وحاميا للإنصاف لا يقصر ، وميزانا للحق لا يحابى ولا يجامل ، وجعل الناس أمامه سواء ، لا فرق

[١] الآية رقم ١٩٦ من سورة الأعراف .
[٢] جعلكم خلفا حسنا لى .

بين غنيهم وفقيرهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، وعظيمهم وحقيرهم ، وقريبهم وبعيدهم ، وحرهم وعبدهم ، فلا غرو أن ضربت الأمثال بعدله ، وسارت الركبان بإنصافه . وتلهف الناس أن يروا ذلك العدل العمري المأثور أو يظفروا ببعضه ، لتستقيم أمورهم ، وتنتظم شئونهم ، ويسعدوا فى حياتهم بالرغد والرفاهية ، والسعادة والطمأنينة .

فقد استهل خلافته بعزل الولاة والحكام الظالمين ، من أمويين وغير أمويين ، ولم يثنه عن ذلك شفاعة ، ولا رحم ماسة ، ولما عزل رئيس الحرس تزاحم عليه الأمويون ليختار أحدهم ، فأعرض عنهم واختار عمرو بن مهاجر الأنصارى ، لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن العظيم ، ويبتعد بطاعته عن الرياء والسمعة ، وكان الموالى يحاربون قبله فى صفوف المسلمين ولا ينالون من الغنائم شيئا ، فجعل لهم منها أنصبة معينة ، ولقد عرف فضله العلويون ، وحمايته لهم ، ومنعه سب على فوق أعواد المنابر ، وكان قد درج على ذلك الخلفاء الأمويون قبل عمر ، فكانوا يسبون عليا فى نهاية الخطبة ، فأبطل أمير المؤمنين هذه العادة وأمر أن تختم الخطب بقول الله عز شأنه .

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون [1] » أو بقوله جل جلاله : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم » [2]

ولقد استطاع أمير المؤمنين بعدله وإنصافه ، أن يملك قلوب رعيته ، ويمحو الأحقاد من النفوس ، ويميت العصبية الجاهلية ، التى أو شكت أن تقضى على دولة المروانيين وتقوض دعائم الحكم فيها ، لولا أن تداركها الله تعالى بأعدل الأمويين .

**وفاته :**

ومما يملأ النفوس أسى ولوعة أن المنية لم تمهله فاختطفه الموت فى العام الواحد بعد المائة من الهجرة ، وقد قضى فى حكمه الصالح سنتين وخمسة أشهر ، وعمره تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ، ودفن بدير سمعان قرب حمص ، فاشتد الجزع لوفاته . وتبارى الشعراء والأدباء فى رثائه ، رضى الله تعالى عنه ونضر تاريخه .

أحمد على منصور
أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم

[١] الآية رقم ٩٠ من سورة النحل . [٢] الآية رقم ١٠ من سورة الحشر

# رسالة الأزهر

« ٧ »

تابع الرسالة العلمية :

الواقع أن المتحدث عن رسالة الأزهر العلمية ، إنما يتحدث عن رسالة مصر العلمية ؛ ذلك لأن الأزهر قدرت له ظروفه التاريخية أن يحمل هو رسالة العلم ، وأن تسمى باسمه ، وتنسب إليه . فقد ورث هذا المعهد تراث الجامع العتيق ( عمرو بن العاص ) ورسالة جامع ابن طولون ، ورسالة جامع الحاكم ، ورسالة المدارس التى أنشأها السلطان الأيوبى لتدرس فيها المذاهب الأربعة بعد أن عطل الأزهر من كل حلية علمية حتى من خطبة يوم الجمعة . ويبدو أن تركيز رسالة مصر العلمية كلها فى الأزهر هى النسق الذى انساق إليه تفكيرى فى كتابة الرسالة العلمية لهذا المعهد ، حتى أننى فى مقالى السابق استقام لى أن أعد المدارس التى أنشأها السلطان صلاح الدين بعد تعطيل الأزهر ـ استمراراً لرسالة الأزهر ( ! وإن بعدت عنه ظاهرا كبنية مركبة من طوب وأحجار .

وخلاصة القول أن الرسالة العلمية لمصر قدر للأزهر أن يكون اسمه هو مظهرها ، وهو العلم عليها ، وهو المنطوق باسمه دون المساجد العلمية جميعاً . وقع ذلك فى الماضى البعيد ، ووقع فى أقرب الأزمنة الحديثة ، فلقد كان قبل تأسيس الكليات الأزهرية مساجد عدة تلقى فيها الدروس العلمية ، مثل جامع محمد بك أبى الذهب ، وجامع القلعة ، وجامع الحسين . وجامع الفاكهانى ، وجامع المؤيد وكثير غيرها ، ومع هذا التعدد فى الأسماء كانت النسبة إنما هى للأزهر . سواء فى مصر أو فى بلاد العروبة جميعاً .

بدأ الأزهر ـ كمعهد ـ يستعيد سيرته الأولى أيام كان معهد الفواطم . بدأ يستعيد ذلك فى عهد الظاهر بيبرس البندقدارى ، مستمرا فى أداء رسالة العلم إلى يومنا . فما الذى كان يدرس به من أنواع العلوم ؟ من العسير أن نحدد له فى هذه الأزمنة منهاجا معينا ؛ لأنه كان معهداً حرا يدرس كل من أراد الدراسة فى أى علم من علوم ذلك الوقت ، ويتخذ له فيه

( عموداً ) كما كانوا يصطلحون يومئذ . هذا ولأن هذا العهد لم يكن عهد وضع مناهج مكتوبة محددة حتى ندور حول البحث عنها . نتلمسها فى أى مرجع تاريخى يعينها لنا تعيينا بصفة قاطعة . ولكن الباحث لا يعدم وسيلة لأن يجدما يقربه مما يريد . فقد وجدت منهاجا لما كان يدرس فى هذا المعهد يقترب من أن يكون هو منهج الدراسة فى الأزهر فى هذه العهود المتباعدة .

ذلك المنهج هو ما أخذته من أوثق المصادر . إننى أخذته من الإمام جلال الدين السيوطى لا من ترجمة غيره له ، وإنما من ترجمته هو لنفسه ، فقد عد العلوم التى صنف فيها الثلثمائة كتاب ما بين مطول كالإتقان فى تفسير القرآن . وكالمزهر فى علوم العربية وما بين وجيز مختصر . عد الرجل أنواع العلوم التى ألف فيها ، ومن يؤلف فى علم يكون ـ بالطبع ـ قد درسه حق دراسته ، لا سيما فى هذا العهد الذى هو عهد تحقيق وتدقيق فى كل ما كان يدرس من العلوم ، هذه العلوم هى : التفسير وتعلقاته ، والحديث وتعلقاته ، والفقه وتعلقاته ، والأجزاء المفردة : ويريد بها رسائله القصيرة فيما لا يحتاج إلى تطويل . وفن العربية وتعلقاته ، والأصول ، والبيان ، والتصوف ، وفن التاريخ ، وفن الأدب .

المنهاج الذى رسمه لنا السيوطى فى أهم العلوم التى ألف فيها ، ومما لا ريب فيه علوم كانت تدرس بالأزهر كأصول للدراسة العامة . ومعروف أن الشيخ السيوطى كان من علماء القرن التاسع الهجرى .

هناك علوم أخرى جاءت فى ترجمة معاصر له وأخ وزميل ، هو شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، فقد عثرت على ترجمة له فيها : أنه درس بالأزهر علوم الطب والهندسة ، والحساب ، والجبر والمقابلة . ورأيى أن هذه العلوم كانت تدرس فى الأزهر لا على أنها علوم أصيلة ، وإنما هى توسع فى المعرفة بطريقة نظرية بحتة لا تطبيق فيها وليست كما كانت تدرس فى عهد ابن سينا والكندى والرازى ، وغيرهم من الفلاسفة الذين قد تخصصوا لها ووعوها حق وعيها وطبقوا فيها العلم على العمل قدر الطاقة . وإلا فكيف استسيغ أن يعد الطب مثلا علما من علوم الأزهر فى عهد السيوطى والأنصارى ـ ليدرس نظريا فى ( متن ) من متون العلوم التى شاع استعمالها فى ذلك الوقت ـ كأساسات وجيزة لمختلف العلوم ؟

إذا رجعنا برسالة العلم فى مصر إلى عهد سابق على هذا العهد لوجدنا أن كثيراً من مسائل الفقه الإسلامى قد تناول أصول الحكم ، مثلما كان يدرس فى مدرسة الإمام الشافعى بجامع عمرو بن العاص ، فإنه تناول هذا الموضوع بالبحث ، مثل أن يفتى بأن الخلافة يجب أن تكون فى قريش ، وهو يتابع فى ذلك الرأى أهل السنة ، وأن كل قرشى أخذ الخلافة بالسيف واجتمع عليه الناس فهو خليفة . ولا ريب أن هذا فقه فى نظام الحكم والحكومة ، كان يدرس بالأزهر لا على أنه دراسة للأوضاع الحكومية التى كان يجب التوسع فى دراستها إلى أبعد الآفاق ، وأن تؤلف فيها الكتب من الأزهريين الذين يحملون وحدهم مشعل العلم والمعرفة يومئذ اقتداء بالإمام الشافعى ، واقتداء بمن سبقه من العلماء الفلاسفة مثل المعلم الثانى أبى نصر الفارابى فى كتابه ( آراء أهل المدينة الفاضلة ) ، وإنما كان يدرس ما كان يدرس منها بالأزهر على أنه مسألة فقهية ( من المذهب ) وكفى ، كالوضوء والطهارة ! ! ولو أن علماء الأزهر اقتدوا بالأئمة والفلاسفة ، بل وبالفاطميين أيضاً فى نشر مذهبهم الدينى الذى يحمل فى ثناياه مقومات سياسة الحكم على مذهبهم ، لكونوا من ذلك تكويناً سياسياً يضىء للناس سبيل الرشد فى عهود المماليك الظلمة العتاة ، الذين استغلوا جهل الناس بأحكام سياسة الحكم ، فأشبعوا رغباتهم الوحشية ظلما للناس وجبروتا .



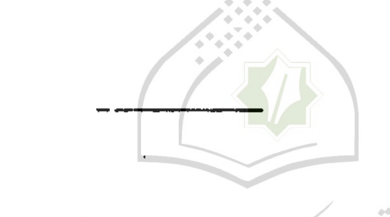
لا أنكر أن من بين العلماء الأزهريين فى القرن السابع الهجرى من وصلت به رفعة الخلق إلى وصف مظالم الحكام ، وإلى الأنفة والكبرياء عليهم ، مثل الشيخ الصعيدى القوصى ( ابن دقيق العيد ) ، فكان يخاطب السلطان بما يخاطب به من دونه - بقوله ( يا إنسان ) . ثم يأبى قبول منصب القضاء إلا بعد إلحاح بالغ غايته ، ثم يعزل نفسه منه ، ثم يعيدونه إليه شبه مرغم ، لأنه فى زمن حكم المماليك الفاسد الظالم الذى وصفه كثيراً فى شعره . ومنه قوله :

أهل المناصب فى الدنيا ورفعتها ... أهل الفضائل مرذولون بينهم
قد أنزلونا لأنا غير جنسهم ... منازل الوحش فى الإهمال عندهم
فما لهم فى توقى ضيرنا نظر ... وما لهم فى ترقى قدرنا همم
فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم ... مقدارهم عندنا أو لو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى ... وعندنا المتعبان العلم والعدم

ومثل الشيخ جلال الدين المحلى الذى كان لا يأنف من شىء أنفته من مجالسة الظلمة من الحكام ، وكانوا يتقربون إليه فلا يقترب منهم ، وكانوا يذهبون إلى داره لزيارته فيأبى عليهم الإذن بدخول مجلسه . وليس لذلك ترجمة فى العالمين الجليلين اللذين ضربت بهما المثل - إلا أن العلم الدينى ومعرفة أسرار الإسلام رفعاهما إلى أعلى المراتب النفسية ، أمام من خضعت لهم رقاب الناس . وامتلأت قلوب الأقوام منهم رهبة وفزعا . وهكذا يفعل العلم بالخواص من أهله .

وسنزيد ذلك بيانا فى الموضوع الآتى إن شاء الله ؟

**حسن الشيخ**
عضو نقابة الصحفيين
والمحرر الأدبى بجريدة الشعب



---

## « الشيخ سالم طلبه حجازى »

جاءتنا كلمة جيدة من الأستاذ عبد الحميد المسلوت ، أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية ، فى تأبين المرحوم العالم الجليل : الشيخ سالم طلبه حجازى ، نشرت صفحة زاهرة عن جهاده المشكور من أجل الدين والوطن ؛ فقد شارك - رحمه الله - كما جاء فيها - بحماس الشباب ، وحرارة الوطنية ، فى الحملة على الاستعمار ، وكان نصيبه الاعتقال ، كما ألهب الشعور بما حرره قلمه فى كثير من المجلات الأدبية والسياسية ، ونصب نفسه لمحاربة عصابات المبشرين التى كانت منتشرة حينذاك ، واعتمد فى إبطال كيدهم على المنطق والحجة والبرهان ، فهدى الله به الكثيرين ، ومكنه من رد دعوى المبطلين ، وظل يشارك - رحمه الله - طوال حياته فى الدعوة للخير ، ومساندة جمعيات المحافظة على القرآن الكريم . جزاه الله عن الإسلام والمسلمين والوطن خيرا ، وأنزله منازل الأبرار .

# مدحة على بن الحسين
## بين الفرزدق والحزين الكنانى

— ٢ —

تعرض الحصرى فى زهر الآداب لعلى بن الحسين وذكر قصته مع هشام بن عبد الملك أو الوليد أخيه ثم ساق القصيدة وعددها عنده ثلاثون بيتاً ، تتفق مع أبيات ديوان الفرزدق فى أكثرها ، وتزيد عليها أربعة أبيات ، ثم ذكر قصة الحزين الكنانى مع عبد الله بن عبد الملك ، ونسب البيتين ( فى كفه خيزران ــ يغضى حياء ) له . ثم ردد ما ذكره ابن رشيق فى العمدة .

ومن الممكن أن يصل الباحث إلى النتائج الآتية :

١ ــ أن البيتين ( فى كفه خيزران ــ يغضى حياء ) للحزين وليسا للفرزدق .

٢ ــ أن القصيدة المشهورة فى مدح على بن الحسين للفرزدق ، وأنه ارتجلها أمام هشام ابن عبد الملك .

٣ ــ لم يذكر أحد ممن رجعنا إليهم أن الكنانى مدح على بن الحسين إلا ما ورد فى بعض طبعات الحماسة ، وربما كان هذا صنيع أبى تمام ، وربما كان من زيادة الناشر اعتماداً على شهرة القصيدة فى على بن الحسين .

٤ ــ أن الحزين ارتجل البيتين اللذين رجحنا نسبتهما إليه أمام عبد الله بن عبد الملك فى المدينة ثم أدخلهما فى قصيدة مدحه بها وهو فى مصر ، يدل على ذلك روايتا الأغانى والتوفيق بينهما ، كما يدل على أنه مدحه وهو فى مصر مطلع القصيدة حيث ذكر أنه جاب البلاد من يمن إلى العراقين إلى الجزيرة أعلاها وأسفلها إلى الحجاز ( حيث تلاقى عند الجرة اللمم ) إلى دمشق ثم أتى مصر حيث وجد النائل العمم فحياه بالسلام وأنشده مدحته .

٥ ــ أن القصيدة التى قالها الفرزدق أو على وجه الدقة ارتجلها والتى تزيد فيها الرواة لم تنسب لأحد غيره فى على بن الحسين إلا للعين المنقرى حسب رواية ابن رشيق .

٦ — أن الشعر نسب إلى جماعة من الشعراء غير الفرزدق والحزين . نسب لداود ابن سلم فى قثم بن العباس حسب رواية الأغانى والعمدة ، ونسب لخالد بن يزيد مولى قثم فيه حسب رواية الأغانى أيضاً .

٧ — أن الممدوحين الذين جاءوا فى هذا الشعر هم على بن الحسين وعبد الله بن عبد الملك وقثم بن العباس وعبد العزيز بن مروان .

٨ — صنيع التبريزى شارح ديوان الحماسة يدل على أن أبا تمام ذكر « فى أصل الحماسة » الممدوح لأنه - أعنى التبريزى - بنى كلامه على أن الممدوح على بن الحسين فلم يذكره فى شرحه اكتفاء بذكره فى أصل الديوان .

٩ — صنيع صاحب الأغانى فى تدوينه قصيدة الفرزدق يدل على أنه ينوى الإحاطة بالقصيدة كلها ، لا أنه يريد أن يكتفى ببعض أبياتها ، وهذا يدل على أنه لم يكن فى حفظه غير ما ذكره ، وأن ما أضيف إليها - أو بعبارة أخرى - ما ورد فيها زائداً على ما ذكره أبو الفرج لم يكن يعرفه هذا المؤلف .

١٠ — ما رواه الأصمعى لا ينهض دليلا ، فهو لم يقل أن الرجل أنشأ ، وإنما قال ( ناداه ) فلا مانع أن يكون أخذ البيت الأول من قصيدة الفرزدق وضم إليه البيت الثانى .



وأرى - وأظن أن الكثير ممن يقرءون هذا البحث يوافقوننى - على أن البيتين المشهورين إنما أضيفا إلى قصيدة الفرزدق من محبى على بن الحسين وهم عدد الرمل والحصى والتراب ، ولأنهما بيتان من عيون الشعر ، أو لعل الفرزدق أغار عليهما - وكان فى الشعر غوارا - فأضافهما لنفسه ، وحوادث الفرزدق فى الإغارة على شعر غيره كثيرة .

حدث محمد بن سلام قال ، قال جميل من قصيدة :

وكنا إذا مامعشر جحفوا بنا ومرت جوارى طيرهم وتعيفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة وسوف نوفيها إذا الناس طففوا
ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

قال : فشد الفرزدق على هذا البيت وقال ، أنا أحق به منك ، وقال : لاتعد فيه ولم يكترث له .

وروى محمد بن سلام أيضاً عن كردين البصرى أن عريفهم عون بن ثعلبة علق بالفرزدق وقال : يا عدو الله ، سرقتنا قول صاحبنا الأعلم العبدى ، وذكر تسعة أبيات ، ثم قال ابن سلام : وهذه الأبيات للأعلم كلها فأدخلها الفرزدق فى قصيدته ( عزفت بأعشاش ) مع ماسرق من جميل فيها ، فقال له الفرزدق ـ أى لعون بن ثعلبة ـ اذهب نخذها من الرواة ! .

قال ، فخلى سبيله .

وعلل يحيى بن المنجم صنيع الفرزدق هذا بأنه إذا مر به شعر جيد رأى نفسه أحق به من قائله لفضله عليه فى الشعر ، ولأنه من جنس جيده لا رديء غيره .

وقد لقيه أبو عمرو بن العلاء فى المربد فقال : يا أبا فراس ، أحدثت شيئا ؟ قال الفرزدق ، خذ ، ثم أنشده :

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع العيس

فقال أبو عمرو : سبحان الله ، هذا للمتلمس ، فقال الفرزدق : اكتمها ، فلضوال الشعر أحب إلى من ضوال الإبل .

هذه حال الفرزدق ، ونوادره فى هذا الباب كثيرة ، فيترجح عندى أنه حين وقع على البيتين فى شعر الحزين ـ ولم يكن الحزين من فحول طبقته ـ اهتبلهما فى قصيدته المرتجلة ، فسارت فى الناس ، ولم يتنبه لها إلا القليل ، كصاحب الأغانى .

والعجب من صاحب الأغانى حيث رد هذا المديح فى البيتين اللذين أشاد بهما ابن قتيبة بدليل فى غاية الضعف ، حيث يرى أن هذا الشعر لا يمدح به مثل على ؛ لأن له من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

فأولا : البيتان من الشعر الجيد ، ولا سيما البيت الثانى ( يغضى حياء ) حتى أن ابن قتيبة جعلهما مما جاد معناه وحسن لفظه ، وحتى أضيفا إلى الفرزدق ، أو اغتصبهما هو على ما أرجح .

وثانياً : أن الشعر لا يرد لأنه دون مقام الممدوح ، ولو كان ذلك صحيحا لقضينا على كثير من المدائح النبوية بالوضع ؛ لأن أكثرها دون مقامه صلى الله عليه وسلم ، وأين الشعر الذى يليق به والبوصيرى يقول ـ وهو محق ـ :

غاية المدح فى علاك ابتداء ليت شعرى ما تصنع الشعراء

وثالثاً : كان على صاحب الأغانى ألا يغفل عن المقام الذى قيلت فيه القصيدة ، فالفرزدق مرتجل ، والمرتجل يقول ما يليق بالممدوح وما لا يليق . على فرض تسليمنا بأن هذا المديح غير لائق .

وأما ما تنفج به ابن عبد ربه - وكان معجبا بنفسه - من تفضيله بيته ( فى زاده عن المهابة ذلة ) على بيت الكنانى ( يغضى حياء ) فلعمرى ليس بذاك ، وبيته لا يقع بجوار بيت الكنانى ولا قريبا منه .

بقى أن قصيدة الفرزدق على حسب ما رويت فى ديوانه تشتمل على أبيات ضعيفة لا تليق بمثله ، والقصيدة كلها بعيدة عن طابع الفرزدق من إيثار الخشونة ، والغريب من الألفاظ ، ولكن يعلل هذا بأنها مرتجلة ، وهذه المسحة على هذه القصيدة ملموسة فى كل ما ارتجله الفرزدق من مقطعات ، والارتجال غير الروية ، وفى ذلك يقول ابن الرومى :

نار الروية نار غير منضجة وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لسرعتها لكنها سرعة تمضى مع الريح

لكننا - مع ذلك - لا يمكننا أن نقر أبياتا وردت فى القصيدة بلغت درجة من الضعف لا نعقل أنها تصدر عن شاعر كالفرزدق ، فالشاعر - وإن ارتجل - يحتفظ ببعض خصائصه على أن القصيدة على حسب رواية الديوان تبلغ سبعة وعشرين بيتا ، وعلى حسب رواية زهر الآداب تبلغ ثلاثين بيتا ، وما عرفنا الفرزدق حين يرتجل يصل إلى هذا الحد أو إلى قريب منه فمن المرجح عندى أن القصيدة أضيف إليها كثير ، وأنها كانت حين ارتجلها الفرزدق فى الحجم الذى دونه صاحب الأغانى أو تزيد قليلا . وهذا القدر هو الذى يتفق مع طبع الفرزدق ، وينم على روحه ومشربه ، ويتمشى مع طريقته التى ألفها .

( وبعد ) : فهذه نظرة سريعة فى هذه المدحة ، اعتمدت فيها على بعض الكتب التى تيسر لى الاطلاع عليها ، ولعل هناك من الكتب . أو من الباحثين من ينبئنا بغير هذا أو أن يضيف إليه جديدا ، وفوق كل ذى علم عليم ؟

على العمارى

# نقـــد الـكتب

## القرآن المقدس

## Der Heilige Qur-ân

تقرير عنه بقلم

**الدكتور محمد عبد الله ماضى**

مدير المعاهد الدينية

نشرت هذه الترجمة البعثة الأحمدية فى زيورخ وهامبورج ، تحت إشراف حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ، الخليفة الثانى للمسيح الموعود (!كذا .) مرزا غلام أحمد ، والرئيس الأعلى للحركة الأحمدية الإسلامية .

الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ بمطبعة أتوهرسوفتس (Attoharrassowits)
بفيس بادن من مدن ألمانيا الغربية

هذه الترجمة أو هذا الكتاب يحتوى على مقدمة مفصلة وعلى ترجمة معانى القرآن باللغة الألمانية ، والمقدمة كتبها رئيس الطائفة الأحمدية الحالى « حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد » ، أما الترجمة نفسها فقد اختبرتها فى مواضع مختلفة ، وفى كثير من الآيات فى مختلف السور ، فوجدتها من خير الترجمات التى ظهرت للقرآن الكريم ، فى أسلوب دقيق محتاط ، ومحاولة بارعة لأداء المعنى ، الذى يدل عليه التعبير العربى المنزل لآيات القرآن الكريم ، وقد نبه المترجم إلى أنه ليس فى الاستطاعة نقل ما يؤديه الأسلوب العربى المحكم ، من الروعة البلاغية وسمات الإعجاز التى هى من خصائص القرآن إلى لغة أخرى ؛ فهى خصائص انفرد بها كتاب الله المنزل فى أسلوبه العربى ، الذى نزل به من عند الله على نبيه المرسل . والذى لا تبديل فيه ولا تحريف ، فهو يمثل كلام الله فى معناه وفى مبناه ، وهذا فمن باب الاحتياط جعل النص

العربي بجوار الترجمة الألمانية ، حتى يستطيع القارئ أن يقارن ويختار بنفسه المعنى الذى تطمئن نفسه إلى صحته .

وعلى وجه الخصوص اختبرت ترجمة الآيات التى تتعلق بالقتال والجهاد فى سبيل الله ؛ بحثاً عما عساه يكون قد ضمن الترجمة مما يتصل بما يراه الأحمدية فى الجهاد ، ويخالفون به جماعة المسلمين حيث إنهم يقولون : « إن الجهاد يجب ألا يقوم على امتشاق الحسام ، بل يجب أن يقوم على وسائل سلمية ، وعلى هذا أظهر الأحمدية دائماً ولاءهم لحكومة الاستعمار البريطانية » .

اختبرت ترجمة هـــذه الآيات المشار إليها ، فوجدتها سليمة لا تتضمن أدنى الإشارات إلى هذا الذى كنت أخشى أن تتضمنه .

---

وفى المقدمة أورد كاتبها بحوثاً إسلامية فلسفية قيمة ، وقسمها إلى قسمين تحدث فى القسم الأول منهما عن حاجة البشرية التى اقتضت نزول القرآن . وبين أن الإسلام كان من تعاليمه وحدة الإله ، وكان من عوامل توحيد البشرية ، فذكر أنه لما ارتقت البشرية وأصبح الناس على اتصال يكونون جماعة واحدة ، أصبحوا فى حاجة إلى تعاليم سماوية شاملة ، تشمل الناس جميعا . وتصلح لهم فى كل زمان ومكان ، وتدلهم على قدرة الله وعظمة رب الناس كافة . فكان القرآن هو الذى أدى تلك الرسالة جميعها ، كما تحدث عن كتاب العهد القديم ( التوراة ) ، وكتاب العهد الجديد ( الإنجيل ) . وبين أنه نالهما التحريف والتبديل فأصبحا معه لا يمثلان كتب الله المنزلة ، وذكر بعض المتناقضات فيهما وبعض المبادئ التى تخالف العقل ، وبعض الخرافات ، وبعض القواعد الخلقية غير الثابتة ، كما تحدث عما ورد فى التوراة والإنجيل من التبشير بظهور النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى غير ذلك مما أورده صاحب المقدمة فى القسم الأول .

وفى القسم الثانى من المقدمة كان الحديث عن : بناء القرآن ـ فذكر المؤلف ما سبق أن تعرض له ، من بيان أن القرآن هو الكتاب المقدس الذى يمثل كلام الله المنزل ، والذى يحفظه الله من كل تحريف وتبديل ، وتحدث فى هذا الصدد عن المحافظة على القرآن بكل الوسائل المختلفة فى عهد الرسول من كتابة الوحى وتقييده ، ومن وعى الحفاظ له . وتحدث كذلك عن ترتيب الآيات والسور ، مبينا أن ذلك كان بوحى من الله نزل على نبيه ، وتابع الحديث عن الأمور الآتية :

بعض النبوءات المصدقة التى وردت فى القرآن .

تشخيص تعاليم القرآن .

العقيدة عن الله الحى .

الأنبياء والملائكة والشيطان وفكرتها فى القرآن .

الخير والشر فى القرآن .

الروح فى القرآن .

المعجزات النبوية فى القرآن .

الصلاة ومساجد الإسلام .

الصيام والحج .

الزكاة والصدقة .

الحقوق والواجبات الاجتماعية .

النظام الاقتصادى .

حقوق المرأة .

مسألة الرق .

النفس الإنسانية أو الروح .

طريق القرآن المرسوم لتكوين الحياة الروحية .

طبيعة الإله .

الله رب الشعوب جميعها .

الله هو علة العلل فى الوجود .

صفات الإله وبيان أنه لا تناقض بينها .

أسماء الله الحسنى .

الإنسان كنقطة ارتكاز للحياة .

الغرض من خلق الإنسان .

قانون الطبيعة وقانون الشريعة .

القانون الخلقى والقانون الاجتماعى .

القرآن هو الكتاب المقدس الكامل .

الحياة بعد الموت . . . إلى غير ذلك من البحوث الدينية . . . . !

وإذا صرفنا النظر عن بعض التلميحات العامة غير الصريحة المتصلة بمذهب الأحمدية فى الجهاد، والتى وردت فى صحيفة (١٣٤) من المقدمة تحت عنوان « المنازعات الدينية » . فإننا نجد أن المقدمة بقسميها اشتملت فى الجملة على بحوث إسلامية رائعة . ونقلت صورة من الأفكار والتعاليم الإسلامية المتعلقة بالقرآن ، فى ثوب وإطار إسلامى إلى اللغة الألمانية .

**ولكن !**

نعم ولكن مع الأسف الشديد ختمت هذه المقدمة بفصل عن المسيح المنتظر ( مرزا غلام أحمد ) وعن ابنه الذى بشره الله به من قبل مولده ( مرزا بشير الدين محمود أحمد ) .

هذا الفصل الذى قد تضمن المبادئ الأحمدية التى تخالف تعاليم الإسلام ، والتى تدعى أن (مرزا غلام أحمد) هو المهدى المنتظر يتجسد فيه المسيح والنبى فى وقت واحد ، فيدعى الأحمدية « أن (مرزا غلام أحمد ) كان نبيا ينزل عليه الوحى ولكن رسالته لم تكن منفصلة عن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإنما كانت امتدادا لها ، فلا يظهر بعد النبى محمد عليه الصلاة والسلام رسول آخر يأتينا بمبادئ سماوية جديدة ، لأن القرآن تضمن كل المبادئ السماوية ، ولكن يظهر المسيح المهدى ليعيد للإسلام سلطانه من جديد ، وليعيد لمبادئ الإسلام قوتها وليظهر صدقها ، ويكون ظهوره دليلا على صدق آيات القرآن التى أخبرت بظهور المسيح كما تحدثت بذلك السنة النبوية . [1] »

ولقد ظهر المسيح والمهدى المنتظر المزعوم وهو حضرة ( مرزا غلام أحمد ) من سنة ١٨٢٥ - سنة ١٩٠٨ ميلادية .

كما ادعى ذلك وأخبر به عن رب العالمين مؤسس الحركة الأحمدية الإسلامية فى الإسلام ، فلقد أوحى إليه من الله من مدة تزيد على السبعين عاما أنه بعث لخدمة الإسلام وخدمة نبى الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، وللعمل على رفعة اسم الله فى الأرض . أخذا بالوحى أن الله أعطاه النبوة على شرط أن يبلغ تعاليم القرآن السماوية ويعمل على تنفيذها وألا يأتى بكتاب جديد ، لأنه يعتبر خليفة لرسول الإسلام محمد عليه السلام [2]

---

[١] ص ١٥٧ من المقدمة الألمانية .

[٢] ص ١٥٨ من المقدمة الألمانية .

ثم يتابع المؤلف حديثه عن بعض ما يدعى أنه أوحى إلى ( مرزا غلام أحمد ) ، مقتبسا ذلك من كتاب « حقيقة الوحى » ومن كتاب « براهين أحمدية » الذى ألفه « مرزا غلام أحمد » ، والذى ظهر المجلد الأول منه عام ١٨٨٠ وزعم المؤلف فيه أنه المهدى مع أنه لم يطالب أتباعه للبيعة إلا فى ٤ مارس ١٨٨٩ .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الصعوبات التى لاقاها ( مرزا غلام أحمد ) ، حينما أعلن اختياره للنبوة وبعثه . وعن مقدار تأييد الله له ، ووحيه إليه بأنه سيؤيده بواسطة العلامات الكبرى ، وأنه سيعلو اسم الله بدعوته ، ويدوى فى أقصى أنحاء الأرض ، ويذكر أن دعوة هذا النبي المزعوم تأيدت ، وأنها ستمتد جذورها وتتسع ، وأن خلفاءه سوف يصلون إلى درجة القرب من الله ، كما أوحى بذلك إلى ( مرزا غلام أحمد ) .

ثم يذكر المؤلف أنه أوحى إلى ( غلام أحمد ) أن الله سيرزقه فى ظرف تسع سنوات ومن تاريخ نبوته بولد ، وسيحقق الله على يد هذا الولد الكثير من التنبؤات التى تنبأ بها ، وأنه سيحمل اسمه إلى أنحاء الدنيا ، جميعها وسيخطو سريعا من نصر إلى نصر ، وسيبارك بروح من الله .

ثم يعيد الحديث عن تفصيل الصعوبات التى لاقاها ( غلام أحمد ) حينما جهر بدعوته وأعلن عن رسالته . فيبين كيف قامت ضده عاصفة من المعارضة من كل جانب ، فتحالف ضده المسلمون والهندوس والمسيحيون والسك ، وأجمعوا أمرهم على إسقاطه والقضاء عليه ، ويدعى أن هذه المعارضة الإجماعية القوية كانت دليلا على اختيار الله له وبعثه إياه ، لأن مثل هذه المعارضة القوية الإجماعية لا تكون إلا للأنبياء الصادقين فى دعواهم ، فهم وحدهم الذين عليهم أن يتحملوا مثل هذا الكفاح ، ثم يختم هذا بقوله « ولكن الله قوى هذا الوحيد المحارب من كل طائفة ، حتى أخذ أعداؤه الأقوياء يسلمون ، ويتبعونه واحدا بعد الآخر ، فكثر أتباعه رويدا رويدا ، وكان له شأن يذكر فى البنجاب ، ثم فى الهند جميعها ، ثم فيما وراء ذلك من أنحاء العالم .

وبهذه النتيجة يصل المؤلف إلى صدق ( مرزا غلام أحمد ) فيما ادعاه .

وفى الحديث عن ابن المسيح الموعود الذى بشر به ( مرزا غلام أحمد ) يتحدث هذا الابن ( مرزا بشير الدين محمود أحمد ) ، عن موت مؤسس الحركة ( مرزا غلام أحمد ) ،

سنة ١٩٠٨ ، وعن موقف خصوم الدعوة منه ، وتوقعهم بعد موته لحلول نهاية هذه الحركة واقتراب انحلالها بموته ، ثم عن اختيار (مولوى نور الدين الخليفة الأول لمرزا غلام أحمد) ، وعن وفاته سنة ١٩١٤ ، وبعد ذلك يأخذ الابن الموعود في الحديث عن نفسه في تلك الظروف ، ويبين أنه كان حينذاك مجرداً من كل الإمكانيات المادية ، وأنه كان له خصوم أقوياء ، مدعيا أنه في هذه الظروف العصيبة أوحى الله إليه بمساعدته ونصره ، مذكراً بوعد الله الذى وعده أباه (مرزا غلام أحمد) ، في أنه سيرزقه بغلام سيدوى اسمه في كل الأرض ويحمل علم الرسالة ، ثم يعقب على هذا ويقول : « فتحقق وعد الله وأصبحت كلمة الله هى العليا ، ومع كل صباح منحت ما جعل نجاحى كبيراً ، وكل يوم ينقضى يترك ما يعجل بالقضاء على خصومى ، وكأن الله جعلنى أداة لنشر الحركة الأحمدية في كل بقاع الدنيا ، ومع كل خطوة باركنى الله بتوجيه من عنده ، وفي فرص ومناسبات كثيرة فضلنى الله بوحيه . وأخيراً حل اليوم الذى أوحى الله فيه إلى : أننى الابن الموعود الذى وعد الله به المسيح المنتظر ( مرزا غلام أحمد ) وقد وعده الله بقدومى في عام ١٨٨٤ ، قبل مولدى بخمسة أعوام ، ومن هذا اليوم أخذت المعونة والمساعدة من الله تتزايد بأسرع مما سبق . واليوم يمارس المبشرون بالأحمديه نشر الإسلام وكفاح الإسلام في كل القارات » .

ثم يقول : « ولقد جعل الله القرآن الذى كان قد أصبح للمسلمين كتابا مغلقا ـ جعله الله لنا معشر الأحمدية ببركة النبي المقدس ( محمد عليه السلام ) وبواسطة المسيح المنتظر ( مرزا غلام أحمد ) كتاب هداية ، وفتح لنا مغاليقه من جديد ، وغدت ينابيع المعرفة تتفتح لنا بواسطة القرآن ، ويستطرد فيقول : وعندما تنشد وتمتحن دائما تعاليم القرآن بالنسبة للتطورات العلمية الحديثة المتجددة يلهمنى الله ، ويوحى إلى بالجواب الصحيح الذى تتضمنه تعاليم القرآن . فلقد اختارنا الله لرفع علم سيادة القرآن » .

وهكذا نجد أن الحديث في هذا الفصل الأخير من المقدمة كان إنكاراً وخروجا على العقيدة الإسلامية ، التى تقرر أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان خاتم الأنبياء ، وأن رسالته كانت خاتمة الرسالات ( فمرزا غلام أحمد ) فيما ذكر المؤلف نبى أوحى إليه وأيد بروح الله ، كما أن المؤلف نفسه (مرزا بشير الدين محمود أحمد) صاحب المقدمة ، والرئيس الأعلى لطائفة الأحمدية الحالى ، والخليفة الثانى لوالده ، يدعى لنفسه أيضا أنه يوحى إليه ..

وبهذا يكون المؤلف قد « وضع السم فى العسل » ، فأفسد بذلك هذا العمل القيم الذى نوهنا به فى شأن الترجمة نفسها ، والبحوث الدينية الفلسفية القيمة التى وردت بالمقدمة .

ولذلك فإننا نقول : إن هذه الترجمة أو هذا الكتاب بوصفه الحالى وبما تضمنه من الحديث المشار إليه عن ( مرزا غلام أحمد ) وعن ابنه ينبغى مصادرته .

وحبذا لو كان من المستطاع فصل هذا الجزء الأخير عن الترجمة ، وعن المقدمة ، والعمل على نشرها دون هذا الجزء ، فإنه لو أمكن ذلك لكان فيه خير كثير .

الدكتور محمد عبد الله ماضى

المدير العام للمعاهد الدينية

---

## رئيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ببيروت

### يشكر فضيلة الأستاذ الأكبر

### « ويشيد بالتعاون الأخوى بين الجمهورية العربية المتحدة ولبنان الشقيق »

حضرة صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد . فبيد السرور والامتنان استلمنا كتابكم الكريم بتاريخ ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ الذى تكرمتم فيه بإعادة ندب الشيخ معوض عوض ابراهيم للوعظ والإرشاد فى لبنان . ويسرنا أن نجد فى فضيلتكم دوما وأبدا ، كما وجدنا لدى حكومة الجمهورية العربية الموقرة ، بشخص وزارة التربية والتعليم ، وفى مختلف السلطات العليا كل عضد ، وسند لمشروع جمعيتنا الثقافى الإسلامى فى بيروت والأوقاف . هذا المشروع الذى يعتبر الدعامة الوحيدة للإسلام والعروبة فى الساحل اللبنانى ، ونرى لزاما علينا أن نشير إلى أن هذه الصلات ، التى ما برحتم تعملون فضيلتكم على توثيقها يعود تاريخها إلى نيف ومائة عام تقريبا ، عند ما كانت مختلف جامعات القاهرة تتقبل مجانا فى صفوفها بعثات الجمعية المدرسية ؛ لإتمام التحصيل العالى فى مختلف الفروع ، وفى الختام نرى لزاما علينا أن نشيد بالخدمات الجلى التى ما برح الأزهر الشريف يقدمها فى مختلف الحقول والميادين ، ليس للعالم العربى فى الشرق فحسب ، بل فى كافة أقطار المعمورة ، أخذ الله بيدكم وأبقاكم ذخرا للإسلام والمسلمين والعرب قاطبة . ووفقنا الله وإياكم لما فيه جمع الكلمة وتوثيق الصلات بين كافة الأقطار العربية والإسلامية .      والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته      امضاء

( رئيس جمعية المقاصد الخيرية ببيروت )

# نقد كتاب

## « أضواء على السنة المحمدية »

— ٧ —

فى ص ( ١٢٣ ) جعل مراجعة موسى لنبينا محمد عليهما الصلاة والسلام فى حديث الإسراء والمعراج من الإسرائيليات ، وجهل الذين يعتقدون صحة ذلك واعتبرهم من حشوية آخر الزمان إلى آخر مانضح به قلمه من نبز وسباب ، وللرد على هذا أقول لهذا المؤلف :

إن الرمى بالقول على عواهنه من غير حجة وبرهان لايليق بالباحث المنصف المتثبت ، وهل يقتضى ذكر موسى عليه السلام ومراجعته للنبي عليه السلام ليلة المعراج كى يخفف الله سبحانه على أمته الصلوات أن يكون من الإسرائيليات ؟ وعلى منطق المؤلف تكون كل الأحاديث التى ذكرت فضيلة لموسى أو لنبى من أنبياء بنى إسرائيل من الإسرائيليات ، وأعتقد أن هذا لايقوله عاقل فضلا عن باحث ، ويحسب القارئ ماذكرته فى المقال السابق من موقف علماء الإسلام من أخبار بنى إسرائيل ، ولو أن حديث الإسراء والمعراج كان مرويا عن كعب الأحبار أو غيره من علماء بنى إسرائيل لجاز فى العقل أن يكون ذكر موسى عليه السلام من دسهم ، أما والحديث مروى عن بضع وعشرين صحابيا ليس فيهم ولا فيمن أخذ عنهم أحد من مسلمة أهل الكتاب فقد أصبح الاحتمال بعيداً كل البعد إن لم يكن غير ممكن فى منطق البحث الصحيح ، وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى كتابه « التنوير فى مولد السراج المنير » الصحابة الذين روى عنهم حديث الإسراء والمعراج فوصل بهم إلى خمس وعشرين صحابيا واعتبر الروايات الواردة فيه متواترة ونقل كلامه الحافظ الناقد ابن كثير فى تفسيره ووصفه بالإفادة والجودة (١) فهل يجوز عند العقلاء أن يكون للدس مجال فى هذا ؟ وقد خرج حديث المعراج البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب المعتمدة من طرق متعددة وقد استعرض هذه الروايات الإمام ابن كثير فى تفسيره

---

[١] انظر تفسير ابن كثير والبغوى ج ٥ ص ١٤٣ .

فليرجع إليه من يريد زيادة اليقين ، ولم أر - فيما أعلم - عن أحد من أهل العلم الموثوق بهم أنه ذكر أن مراجعة موسى لنبينا عليهما السلام دسيسة إسرائيلية ، فهل خفى على علماء الأمة جميعهم ماتخيله هـذا المؤلف ؟ ! ! ! وكان الأولى به أن يبحث عن السر فى المراجعة وحكمتها بدل التشكيك فيها ومحاولة بيان استلزامها لنفى علم الله عز شأنه وعلم رسوله مبلغ احتمال الأمة وقدرتها على أدائها قبل التخفيف . وأى ضير فى أن يعلم موسى عليه السلام بما سبق إليه من تجربة الناس ومعالجة بنى إسرائيل أشد المعالجة ماخفى على نبينا عليه الصلاة والسلام حتى أشار عليه بالرجوع إلى ربه وطلب التخفيف حتى يرتب عليه المؤلف مازعم ؟ ثم من قال إن فرض الصلوات خمسين وتخفيفها إلى خمس بسبب المراجعة تستلزم أن يكون الله سبحانه لايعلم مبلغ قوة احتمال عباده على أدائها حتى رتب عليه مارتب ؟ إن الله سبحانه يعلم كل ماكان وما يكون ، ويعلم أن نبيه محمداً صلوات الله وسلامه عليه سيسأله التخفيف على العباد ، وبسبب هذا السؤال سيخفف الصلوات من خمسين إلى خمس ، ولذلك سر وحكمة وهى إظهار رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة ومنته عليها بالتخفيف عليها بدليل قول الرب تعالى « أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى » كما أن فيها إظهار منزلة النبى عند ربه بقبول شفاعته فى التخفيف عن أمته وبيان رأفته ورحمته بأمته باستماعه إلى مشورة أخيه موسى ولا تسل عما فى المراجعة من تكرار المناجاة بين العبد والمعبود والمحب والمحبوب .

* * *

فى ص ( ١٢٨ ) قال « الإسرائيليات فى فضل بيت المقدس » وذكر بعضا منها .

وفى ص ( ١٢٩ ) ذكر أن الأحاديث الصحيحة كانت فى أول الأمر فى فضل المسجد الحرام ومسجد الرسول ولكن بعد بناء قبة الصخرة ظهرت أحاديث فى فضلها وفضل المسجد الأقصى واعتبر ذكر المسجد الأقصى فى حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » من الإسرائيليات الموضوعة واستند فى دعواه إلى ما روى عن ابن عباس أن امرأة اشتكت شكوى فقالت : إن شفانى الله لأخرجن فلأصلين فى بيت المقدس فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج فجاءت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرتها بذلك فقالت : اجلسى فكلى ما صنعت وصلى فى مسجد رسول الله ، فإنى سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة » قال : ولو أن المسجد الأقصى كان قد ورد فيه تلك الأحاديث لما منعت ميمونة هذه المرأة من أن توفى بنذرها ! ! !

وللجواب على هذه المزاعم نقول :

١ — إننا لا ننكر أنه وضع فى فضل بيت المقدس والصخرة أحاديث وآثار كثيرة ولكن الذى ننكره حقا أن يكون ذكر بيت المقدس فى حديث « لا تشد الرحال » من قبيل الوضع والدس ، وأعتقد أنه من الإسراف فى الحكم والشطط فى البحث أن يجرد باحث بيت المقدس من الفضيلة ويعتبر كل ما ورد فيه من صنع بنى إسرائيل وكيف وفضل بيت المقدس لم يثبت بالأحاديث الصحيحة فحسب ؟ ولكنه ثبت ثبوتا قطعيا بالقرآن المتواتر الذى لا يتطرق إليه الشك قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . فلم يعد ثمت مجال للحدس والظن الذى لم يقم على أساس ولا يستند إلى دليل ، وبيت المقدس قبلة الأنبياء السابقين ومهاجرهم ، وثانى المساجد التى وضعت فى الأرض وشرفت ، بناه حفيد الخليل يعقوب عليهما الصلاة والسلام وجدده نبى الله سليمان عليه السلام ، وإليه توجه المسلمون فى صلاتهم بعد الهجرة بضعة عشر شهرا ، فكيف يستبعد المؤلف أن يذكر هو ومسجد مكة والمدينة فى حديث وإن كان دونهما فى الفضل ؟ والمساجد الثلاثة يجمعها أنها آثار وتحمل ذكريات مجيدة لبعض أنبياء الله ورسله الكرام ، ولو أن المؤلف كان باحثا حقا لنقده من جهة سنده ومتنه نقداً علميا صحيحا بدل أن يلقى بالقول جزافا .

٢ — هذا الحديث رواه الإمامان الجليلان : البخارى ومسلم فى صحيحهما ، وهما من هما فى علو كعبهما فى التصحيح ، ومعرفتهما التامة بالرجال والعلل ، ونظرهما الثاقب فى الكشف عن خفايا الأحاديث وعللها ، ورواه غيرهما كابن حبان فى صحيحه ، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فى سننهم ، ورواه أحمد والبزار فى مسنديهما ، والطبرانى فى المعجم الكبير والأوسط ، وروى عن جمع من الصحابة كعمر وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة وأبى بصرة الغفارى وأبيه وأبى الجعد (١) وقد تلقت الأمة هذا الحديث بالقبول ، واحتج به أئمة فطاحل

---

(١) انظر عمدة القارى على البخارى ج ٧ ص ٢٥٢ ط منير .

لا يخصيهم العد ولا يشق لهم غبار فى النقد والبصر بالأحاديث من عصر السلف إلى وقتنا هذا .
فهل كل هؤلاء خفى عليهم مالاح وظهر لهذا المؤلف ؟ ! ! !

٣ — أما ما ذكره من قصة المرأة التى نذرت أن تصلى فى بيت المقدس إن شفاها الله الخ .
فما يضحك الثكلى ! ومن قال يامن زعمت أنك طوفت فى عشرات الكتب والمراجع
إن الفتوى على خلاف ما يدل عليه حديث أو العمل على خلافه يكون دليلا على كذبه ؟
لو كان الأمر كذلك لحكمنا على كثير من الأحاديث بالوضع والاختلاق .

قال العلامة ابن الصلاح « وهكذا نقول : إن عمل العالم أو فتياه على وفق حديث ليس
حكما منه بصحة ذلك الحديث . وكذلك مخالفته للحديث ليس قدحا منه فى صحته ولا فى راويه
والله أعلم »[1] والسيدة ميمونة استندت فى فتواها إلى هذا الحديث الذى يثبت أن الصلاة
فى المسجدين أفضل من الصلاة فى المسجد الأقصى فيكون أداء النذر فى الأفضل أولى
ولا سيما أن فيه راحة من مشقة السفر وهى امرأة .

قال الإمام العينى « واستدل قوم بهذا الحديث - حديث لا تشد الرحال - على أن
من نذر إتيان أحد هذه المساجد لزمه ذلك وبه قال مالك وأحمد والشافعى فى البويطى .
وقال أبو حنيفة لا يجب مطلقا ، وقال الشافعى فى الأم : يجب فى المسجد الحرام لتعلق
النسك به بخلاف المسجدين الآخرين ، وقال ابن المنذر : يجب إلى الحرمين وأما الأقصى
فلا واستأنس بحديث جابر أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إنى نذرت إن فتح الله عليك
مكة أن أصلى فى بيت المقدس قال صل ههنا[2] » فمدار الفتوى فى حديث جابر والسيدة
ميمونة على أن من نذر الصلاة فى مفضول أجزأه الصلاة فى الأفضل ولا عكس[3] .
وها نحن نرى أن الشافعى رحمه الله فى الأم أوجب أداء النذر فى المسجد الحرام دون
المسجدين الآخرين المشرفين مع أن الشافعى ممن يرى صحة حديث « لا تشد الرحال » . وعلى منطق
المؤلف فى البحث كان يلزم أن نقول استنادا إلى رأى الشافعى فى الأم : إن فضيلة المسجدين .

---

١ — مقدمة ابن الصلاح ص ١٢١ ط حلب .
٢ — عمدة القارى ج ٧ ص ٢٥٣ .
٣ — المغنى والشرح الكبير ج ١١ ص ٣٥٢ .

مسجد المدينة ، والأقصى غير ثابتة وإن ذكرها فى الحديث اختلاق ، وهو منهج فى البحث سقيم لم نر له مثيلا فى القديم ولا فى الحديث .

* * *

فى ص (١٢١) ذكر تحت عنوان « اليد اليهودية فى تفضيل الشام » حديث الصحيحين المرفوع ولفظه « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » قال : روى البخارى هم بالشام .

ونحن لا ننكر فى أن بلاد الشام وغيرها من بلاد الإسلام قد وضعت فيها أحاديث كثيرة بداعى العصبية الوطنية ، وقد سبق أئمة الحديث وصيارفته إلى بيان ذلك من منذ مئات السنين ، ولكن الذى ننكره على المؤلف الطعن فى الأحاديث الصحيحة بالظن من غير تثبت ، أو اعتمادا على تأويل مؤول للحديث .

وليس أدل على هذا من ذكره هذا الحديث واعتباره من صنع اليد اليهودية ، وأى فائدة تعود على اليهود من هذا ، وبلاد الشام ليست بلادهم وإنما هى بلاد العرب قبل أن تكون بلادا لهم ؟ وهل يعقل من اليهود فى سبيل التزلف إلى بنى أمية أن يضعوا هذا الحديث الذى يدل على بقاء الإسلام وبقاء سلطانه ، وبقاء هذه الطائفة الثابتة على الحق من الأمة المحمدية إلى يوم القيامة ؟ وكيف وهم يدعون أنهم شعب الله المختار - كذبا وزورا - وأنهم أحق الشعوب بالبقاء ، لقد وصفهم المؤلف بالدهاء والمكر ، فكيف يضعون أحاديث تعلى بنيان أعدائهم وتقوض بيتهم من أساسه ؟ الحق أن المؤلف يريد منا أن نلغى عقولنا .

وهذا الحديث رواه الشيخان فى صحيحهما ، رواه البخارى فى « كتاب الاعتصام » عن المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » والرواية التى أشار إليها المؤلف رواها البخارى فى باب بعد علامات النبوة ببابين ، عن عمير بن هانئ أنه سمع معاوية يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون » قال عمير : فقال مالك بن يخامر : قال معاذ : وهم بالشام فقال معاوية : هذا مالك يزعم أنه سمع معاذا يقول وهم بالشام .

ورواه مسلم فى صحيحه عن ثوبان وعن المغيرة بن شعبة وعن معاوية وعن جابر بن عبد الله وليس فى رواية مسلم عن معاوية « قال معاذ وهم بالشام » ورواه غير البخارى ومسلم .

ومما ينبغى أن يتنبه إليه أن قول معاذ ليس من الحديث المرفوع كما يوهم صنيع المؤلف وإنما هو تأويل لمعاذ فى الحديث ، أما المرفوع فليس فيه هــذه الزيادة ، قال البدر العينى فى شرحه على البخارى « وحديث مالك هذا ـ يعنى مالك بن يخامر عن معاذ ـ غير مرفوع » وقد فسر البخارى هذه الطائفة فقال بعد إيراد الترجمة للحديث : وهم أهل العلم ، وعن على ابن المدينى أنه قال : هم أصحاب الحديث ، وكذا روى عن الإمام أحمد ، وقيل غير ذلك ، وهكذا نرى أن الأئمة من لدن الصحابة اختلفوا فى تعيين المراد من هذه الطائفة ، فتخريج الإمام البخارى لهذه الرواية عن معاذ فى فهم الحديث لا ينهض دليلا للطعن فى الحديث الصحيح واعتباره من دسائس اليهود .

وكذلك قول بعض العلماء فى الحــديث الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن سعد ابن أبى وقاص مرفوعا « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » أن المراد بهم أهل الشام لا ينهض للطعن فى الحــديث ، وذكره مع أحاديث نبه العلماء على وضعها فى قرن واحد .



ومن عجيب أمر هذا المؤلف أنه يعتمد فى نقل بعض الأحاديث التى توافق هواه على كتب الأدب كنهاية الأرب ، وكتب التاريخ «كالمعجب فى تلخيص أخبار المغرب » على حين يطعن فى أحاديث فى الصحيحين بالوضع ما دامت على غير هواه ، ولا أدرى كيف غاب عنه أن كتب الأدب والتواريخ ونحوها تجمع الغث والسمين والمقبول والمردود فكيف يعتمد عليها فيما ينقل ؟ ألا إن المعول عليه فى السنة هى كتب الحديث المعتمدة التى تبرز الأسانيد أو تعزو الأحاديث وتميز بين الصحيح والضعيف والمقبول والمردود ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

# تعليقات

## حول مؤتمر الأدباء

حينما أراد ابن عبد ربه الأندلسى أن يبتدئ الحديث عن العلم والأدب فى كتابه « العقد » ، افتتح ذلك بقوله : « ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه فى العلم والأدب ، فإنهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا . وفرق ما بين الإنسان وسائر الحيوان ، وما بين الطبيعة الملكية والطبيعة البهيمية ؛ وهما مادة العقل ، وسراج البدن ، ونور القلب ، وعماد الروح . . . » ثم يقول : « والطفل الصغير لو لم تعرفه أدبا ، وتلقنه كتابا ، كان كأبله البهائم وأضل الدواب » ! ! :

ومن مثل هذا البيان نستطيع أن ندرك مكانة الأدب فى الحياة ، وتأثير الأدب فى المجتمع ولقد شاء الله للأدباء فى الأمة العربية أن يجتمعوا منذ سنوات فيكونوا لهم جماعة ، ويعقدوا مؤتمرا يتدارسون فيه شئون الفكر والأدب ؛ ولقد تلقيت دعوة كريمة من حكومة الكويت الشقيقة للاشتراك فى الدورة الرابعة لمؤتمر الأدباء التى انعقدت فى الكويت ، وبدأت يوم السبت ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٨ وانتهت فى يوم الأحد ٢٨ من الشهر المذكور ، وتفضل الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر فأصدر قرارا بقبولى هذه الدعوة وبالاشتراك فى المؤتمر ؛ وكان هذا الاشتراك فرصة للالتقاء بمجموعة ضخمة من أدباء الأمة وشعرائها ومفكريها وذوى الرأى فيها ، فوق اشتراكى فى مناقشات المؤتمر واقتراحاته وبعض لجانه .

ولقد كان للمؤتمر موضوعان رئيسيان خصهما بالعناية والبحث : الأول منهما هو البطولة كما يصورها الأدب العربى فى مختلف عصوره ، والآخر هو مشكلات الكتاب العربى ، وتشمل النشر والتوزيع والترجمة وبعث التراث . . . وقد بحث المؤتمر الموضوع الأول عن طريق بحوث تلقى ، ويعقبها تعقيبات ومناقشات ومقترحات . وبحث الموضوع الثانى عن طريق لجان تقدمت فى نهاية بحثها بتوصيات ، ويبدو من هذا أن الموضوع الأول قد لاقى من كثرة المشتركين فى الكلام والسامعين له أكثر من الموضـــوع الآخر الذى كان أمره محصورا داخل نطاق اللجان . .

وعلى الرغم من النظام الذى كان مستتبا فى المؤتمر بفضل الجهود الكبيرة التى بذلتها حكومة الكويت ودائرة المعارف فيها ، وعلى الرغم من النجاح الذى ناله المؤتمر بصفة عامة ، ليس هناك ما يمنع من إبداء بعض الملاحظات التى لاحظتها ، وقد يكون فى تسجيلها وفاء بحق التاريخ من جهة ، وحق التوجيه الخالص من جهة أخرى .

ألاحظ أن أصحاب البحوث التى دارت حول البطولة لم يعرفوا البطولة تعريفا كافيا شافيا ، أو تعريفا « جامعا مانعا » كما نقول فى الأزهر ، فقد عرف بعضهم البطولة بأنها الشجاعة ، وأنها سمو وتشوف الكمال ، ورياضة للروح والجسم ، وتعبير عن طاقة قوية منفردة . وهذا باحث ثان يقرر أن البطل هو ذلك الفرد الذى تتمثل فيه رغبات مجموع من الناس وآماله ، والذى يدرك بإحساسه المرهف وذكائه الوقاد وعبقريته النادرة مطامح مجتمعه وأمانيه ، فإذا به فى طليعة من يسعى لهذه المطامح ، ويكافح لتحقيق هذه الأمانى !! .

وهذا ثالث يعرف البطولة بأنها مثل أعلى لا يزال البشر يسعون اليه ، وعنوان بارز من عناوين المجد والرفعة المعنوية ما فتئ الإنسان يحرص على شرف الانتساب إليه والاتصاف به ، وروح ما انفكت المجتمعات تنفخه فى أجيالها ! ! . . وهذا باحث رابع يعرف البطولة بأنها بطولة رأى وكفاح من دون هذا الرأى ، وبطولة تجرد وجهاد فى سبيل هذا التجرد !! .

وهكذا ظل الأعضاء الباحثون فى أغلب جلسات المؤتمر يطلعون علينا بتعاريف للبطولة بعضها يتقارب ، وبعضها يتضارب ولذلك قلت فى إحدى مناقشاتى : إن تنظيم البحوث عن البطولة كان يقتضى أن تبدأ هذه البحوث ببحث عن تعريف البطولة وتبيان المراد بها ، حتى يستقر الأعضاء فى ذلك على منهج وطريق ، وأبديت خشيتى أن نخرج من جلسات المؤتمر دون أن نتفق على تعريف للبطولة ، لأن كل باحث يصورها من زاوية رأيه الخاص أو اتجاهه المعين .

وقد يتصل بهذا الموضوع أن الباحثين فى المؤتمر لم يعنوا بأن يشيروا إلى المصادر والمراجع القديمة والحديثة التى بحثت موضوع البطولة ، أو كانت تحوم حول حماها من قرب أو بعد ، ولذلك اقترحت على المؤتمر أن يعنى بوضع قائمة تتضمن الكتب التى تحدثت عن البطولة والفروسية والفتوة بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر ، وأنا أذكر من هذه الكتب كتاب « الفروسية » لابن القيم ، وكتاب « غرر الخصائص الواضحة » للوطواط .

وديوان الحماسة لأبى تمام ، وديوان الحماسه لأبى عبادة البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ . وديوان الحماسة لأبى السعادات الشجرى العلوى المتوفى سنة ٤٥٢ ، وكتاب الحماسة البصرية لأبى الحسن البصرى المتوفى سنة ٦٤٧ ، وديوان الحماسة للعسكرى ، وديوان الحماسة لأبى الحسن شميم الأندلسى المتوفى سنة ٦٥٣ ، وكتاب الفتوة عند العرب لعمر الدسوقى ، وكتاب أيام العرب فى الجاهلية ، وقصص العرب لعلى البجاوى وأبو الفضل إبراهيم ، وكتاب الملامتية والصوفية وأهل الفتوة لأبى العلا عفيفى ، وكتاب المروءة لبشر فارس ، وكتاب الفتوة والفتيان قديماً وحديثاً لمصطفى جواد ، وكتاب بطل الأبطال لعبد الرحمن عزام ، وكتاب صور من البطولة لمحمد أحمد الحوفى ، وكتاب الأبطال لكارليل . الخ

* * *

ومن غرائب البحوث فى هذا المؤتمر أن باحثاً قد أتى بحثاً صبغه بصبغة التفسير المادى الصرف للتاريخ ، وأسرف فى الخروج على الموضوع المخصص له ، وقد قرر فى هذا البحث أن حركة « القرامطة » من « حركات البطولة القليلة المثال فى المجتمع الإسلامى . وأنها حملت لواء الإصلاح الاجتماعى ، وكانت أروع حركات الإصلاح وأكثرها تنظيما » ! .

يقول الباحث هذا عن حركة « القرامطة » التى ظهرت فى عهد المعتضد فى البحرين والعراق والشام ، والتى أشعل أصحابها نار الفتنة التى أصابت المسلمين بالبلايا ، وأضاعت الأمن من طريق المسلمين إلى بيت المقدس ، وأحرقوا مسجد الرصافة ، وقتلوا الكثيرين ، وسلبوا البلاد والقرى .

والقرامطة هم الذين أعملوا التقتيل والتخريب فى البصرة ، وقطعوا الطريق على الحجاج ، وأخذوا منهم الجمال وما أرادوه من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان ؛ وحبسوا الكثيرين منهم فى الصحراء ، حتى ماتوا جوعاً وعطشاً من حرارة الشمس ، وفعلوا مثل ذلك التخريب والتقتيل فى الكوفة والأنبار ، وعاثوا فى أرض الجزيرة نهباً وقتلا

والقرامطة هم الذين كانوا يكفرون المسلمين ، ويقولون : إن لهم إماماً هو « المهدى » . ووصل بهم الأمر أن زعيمهم كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله ، وكان إذا كره رجلا يقول عنه : « إنه مريض » - يعنى أنه قد شك فى دينه - ويأمر بقتله ! .

والقرامطة هم الذين هاجموا مكة يوم التروية سنة ٣١٧ ولم يرعوا للبيت الحرام حرمة

أو كرامة ، بل نهبوا الحجاج وقتلوهم فى المسجد الحرام ، وفى جانب الكعبة نفسها ، وخلعوا الحجر الأسود من مكانه ونقلوه إلى « هجر » . وقلعوا باب الكعبة أيضاً ، ورموا الكثير من القتلى فى بئر زمزم ، والباقون دفنوهم فى المسجد الحرام بلا غسل ولا كفن . وأخذوا كسوة البيت فقسموها بينهم ، ونهبوا دور مكة ! . ومن العجيب مع هذا أنهم كانوا ينسبون أنفسهم للتشيع لآل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام .

يقول المؤرخ المنصف المرحوم الشيخ محمد الخضرى فى كتابه « تاريخ الأمم الإسلامية » تعليقاً على ذلك ما نصه : « ولم يحصل فى التاريخ أن انتهكت حرمة هذا البيت إلى هذا الحد ، حتى إن المهدى عبيد الله العلوى لما علم ذلك كتب إلى أبى طاهر ينكر عليه ذلك ويلومه ، ويلعنه ويقيم عليه القيامة ، ويقول : « قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت ؛ وإن لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم ، وترد الحجر الأسود إلى مكانه ، وترد كسوة الكعبة ، فأنا برىء منك فى الدنيا والآخرة . . . ولما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود ، واستعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة فرده وقال : إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ، ولا أقدر على منعهم » .

ولم يرد القرامطة الحجر الأسود إلا مضطرين خائفين ، بدليل أنهم قد طولبوا برد هذا الحجر قبل ذلك ولكنهم رفضوا ، وهذا هو المؤرخ المعتدل الشيخ الخضرى يقول فى موضع آخر : « لم تزل القرامطة على حالهم فى الإفساد والعيث واعتراض الحجاج ، وفى سنة ٢٣٢ أرسل محمد بن ياقوت رسولا إلى أبى طاهر ـ زعيم القرامطة حينئذ ـ يدعوه إلى طاعة الخليفة ليقره على ما بيده من البلاد ، ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان ، ويحسن إليه ، ويلتمس أن يكف عن الحاج جميعهم ، وأن يرد الحجر الأسود إلى موضعه بمكة ، فأجاب أبو طاهر إلى أنه لا يعترض الحاج ، ولا يصيبهم بمكروه ، ولم يجب إلى رد الحجر الأسود إلى مكة ، وسأل أن تطلق له الميرة من البصرة ليخطب للخليفة بهجر ؛ فسار الحاج إلى مكة هذه السنة ولم يعترضهم القرمطى ؛ ولكنه فى سنة ٢٣٣ اعترضهم فخرج جماعة من العلويين بالكوفة إلى أبى طاهر فسألوه أن يكف عن الحاج فكف عنهم ، وشرط عليهم أن يرجعوا إلى بغداد فرجعوا ، ولم يحج هذه السنة من العراق أحد ، وسار أبو طاهر إلى الكوفة فأقام بها عدة أيام ، ورحل عنها » ! ...

وهكذا نرى أن القرامطة كانوا يبغون ويطغون كلما تهيأت لهم الفرص ، وينكمشون أو يتراجعون إذا لم تواتهم فرصة ، ومهما يكن فقد كان منهم ما كان من الكوارث العظمى التى حلت بالأمة الإسلامية كما يعبر الشيخ الخضرى فى موضع ثالث .

أمثل هذه الحركة يقال عنها إنها حركة بطولة ، وإنها كانت أروع حركات الإصلاح وأكثرها تنظيما ؟ ! ... ولو فرضنا وتصورنا أن كلاما كهذا يقال فى مؤتمر هدام أفيصح أن يقال فى مؤتمر عربى للأدباء العرب فى بلد عربى إسلامى هو الكويت ؟ ! ...

وقد وقفت فى نفس الجلسة التى ألقى فيها البحث السابق ، وناقشت صاحبه فيما ذهب إليه ، كما ناقشه غيرى بعد ذلك . وكان من المضحك أن نسمع متحدثا يصف محاولة « سجاح » المتنبئة الكذابة بأنها بطولة ! . . نعم « سجاح » التغلبية التى كان لها مع « مسيلمة » الكذاب مواقف مخجلة وأنباء مخزية ، وعلى الرغم من تزيد الكاتبين عن « سجاح » نجد أن ما ذكرته المصادر المتزنة عنها شىء يستحى منه الإنسان وهو يطالعه فكيف وهو يقوله أو يحكم بأنه بطولة ؟ ! ... ولماذا إذن لم يعد هذا الباحث « مسيلمة » من بين الأبطال ، وقد كان مسيلمة فى ادعائه وتنبئه وكذبه أرفع ذكراً وأوسع خطراً من « سجاح » ؟ ! ...

ووقف باحث آخر يتحدث عن ابن هانئ الأندلسى وكيف صور البطولة فى شعره ، فيقول : « لذلك نراه يرفع من منزلة المعز مثلا ، ويسمو به عن مستوى البشر العام ، حتى يكاد يخرجه عن دائرتهم ، فجاء شعره طافحا بصفات البطولة النادرة . ومغاليا فى تشخيص آثارها ، ويكفى أن أذكركم بالقصيدة الشهيرة :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبى محمد وكأنما أنصارك الأنصار »

وهذان البيتان صريحان فى أن قائلهما لم يتقيد بأصول الدين . ولم يلتزم الأدب مع الله ، بل شط شطط الزنادقة والملحدين ، فنسب إلى ممدوحه - وهو بشر - صفات الألوهية الصريحة ، بل تبجح فجعله أقوى من الأقدار ، وفوق هذا فأسلوب المديح سمج نافر ، لأن المبالغة المجنونة الكذوب التى جاءت فيه فبحته وشوهته ، ولا يكفى فى التعليق على هذا أن يقال : « إنه يسمو بممدوحه عن مستوى البشر العام » ، وهل هناك مستوى خاص لم يسم به عنه ؟ ... ولا يكفى أن يقال : « حتى يكاد يخرجه عن دائرتهم » ... لأنه قد أخرجه عن دائرتهم فعلا ، بل بلغ

به حمته أن جعل مشيئته فوق مشيئة الأقدار ، وجعله « الواحد القهار » !!.. وإذا كان هذا الممدوح قد بلغ هذه المرتبة الخيالية التي توهمها تبجح المادح ، فكيف يقال إنها بطولة وقد أوغلت في التقحم الكاذب على حمى الألوهية ؟ ! .

رفقا بموازين الحكم الأدبي ورفقا بالدقة في التعبير ، أيها الأدباء !! ... أيقال هذا في جمع له مكانته وقيمته ، ثم لا نقف لتفنيده وإظهار كلمة الحق أمامه ؟ ... « تلك إذن قسمة ضيزى » !! .

وبينما يسرف أحد الباحثين في الحكم حين يقول : « وتخليد الأبطال إنما أريد به رفعهم إلى مستوى الآلهة ، وذلك تسليم مطلق بقدرتهم الخارقة » نجد باحثا آخر يناقضه فيبخس الحقيقة والواقع التاريخي بخسا شديدا حينما يقصر أمر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على البطولة والعبقرية فقط ، دون أن يدخل في حساب حكمه على الرسل أنهم أنبياء ورسل يوحى إليهم !! ...

الأول يتوسع توسعاً مؤلما فيقرر أن تمجيد ذكريات الأبطال رفع لهم إلى مستوى الألوهية ، ويستعمل في ذلك لفظ « إنما » الذي يفيد القصر والحصر ، فكأنه لم يخلد الناس بطلا من الأبطال إلا ليجعلوه إلها أو كالإله ، والآخر يهضم الرسل حقهم الأصيل ، وصفتهم المميزة وهي أنهم بشر صنعهم الله على عينه ؟ وعصمهم بالنبوة والرسالة ، وأوحى إليهم ما أوحى ..

وبطبيعة الحال وقفت لأناقش ، لا بروح رجل الدين الغيور فقط ، بل بروح المنصف الذي يهوله أن يرى الحقائق تشوه وتحرف ... واقترحت على المؤتمر أن يخصص بحث لتفصيل الحديث عن « بطولة الأنبياء » ، لأنها بطولة من نوع خاص ، اقترحت أن يكون هناك موضوع مستقل للحديث عن « بطل الأبطال محمد عليه الصلاة والسلام » ، لأنه بطل العرب جميعا وبطل المسلمين بأسرهم فوق أنه نبي رسول ! !

وقد جاءت إشارات عابرة في أحد البحوث عن البطولة في القرآن ، ولم تكن تلك الإشارات غرضا أساسياً للباحث كما ذكرت خلال المؤتمر ، ولذلك اقترحت أن يخصص بحث للحديث عن « ألوان البطولة كما يصورها القرآن الكريم » . وهذا فوق قيمته الأدبية يحقق غرضا له قيمته ومكانته وهو حسن الجمع بين العقيدة والأدب ، حتى يستمد الأدب

فى بعض نواحيه من نبع الأدب الدينى ، وحتى تتوثق الصلة بين رجل الدين ورجل الأدب ، ليلتقيا على شرعة سواء فى خدمة العقيدة السامية والأدب الكريم ، ولعل هذا كان من بين الدوافع التى دفعتنى إلى أن اقترح على المؤتمر جعل شخصية معنوية للأزهر الشريف ، فيوجه المؤتمر فى الدورات القادمة الدعوة إلى الأزهر ليكون له وفد فى هذه الدورات يشارك فى بحوثها ويسهم فى حسن الجمع بين رحاب الدين ورحاب الأدب ... وقد أبنت أن الأزهر الشريف بعمره الطويل الذى زاد على ألف عام قد حفظ التراث العربى والتراث الأدبى بجوار حفظه للتراث الدينى ، وكان الأزهر خلال هذا العمر المديد حصنا حصينا لعلوم العربية ومواريثها الأدبية ، وما زال الأزهر ينهض برسالته حتى اليوم ...

ولاحظت أن مستوى الحفاظ على اللغة العربية السليمة وعلى قواعدها الأصيلة يوحى بإهمال عدد كبير من الأدباء ، فهم فى بحوثهم وإلقائهم لا يعنون العناية الواجبة بسلامة العبارة ولا بجودة الأسلوب ، ولا بالضبط اللغوى أو الصرفى للألفاظ ، ولا بمراعاة النحو فى الكلام ، وقد تأذت النفوس والآذان مما سمعته أحيانا كثيرة من لحن وخطأ وتحريف ؛ وكان هذا داعيا إلى أن أتقدم باقتراح ظاهره الدعابة وباطنه الجد ، وهو أن يقف المؤتمر جلسته دقائق حدادا على المرحوم « سيبويه » حتى تهدأ عظامه فى قبره ! ! . . .

إن اللغة من أقوى الدعائم فى ميدان الأدب وميدان القومية وميدان الوحدة ، فالواجب علينا أن نعطيها حقها من الرعاية والعناية ، وإذا كان هذا واجب الأمة العربية كلها ، فإنه على الأدباء أوجب ولهم ألزم ، لأنهم ألسنة هـــذه الأمة ، وهم الذين يترجمون أفكارها وعواطفها بالكلمة والتبيان . والأدب فكرة وصورة ، وكلما كانت الفكرة جليلة احتاجت إلى عبارة سليمة وكريمة ، فلا تنسوا واجب اللغة والنحو أيها الأدباء ! ! . . .

ومن الأمور الشكلية التى كانت فى المؤتمر أن كثيراً من المتحدثين كانوا يبدءون حديثهم بقولهم : « تحية أدبية » أو « تحية الأدب » أو « تحية عربية » أو « تحية العروبة » ؛ وكنا نتساءل : وما تحية الأدب ! وما تحية العروبة ؟ . . . ألا يصح أن نتفق عليها حتى نرددها بدل الاقتصار بعبارة مبهمة كهذه ؟ . . . وما المانع من أن تكون تحية الأدب والعروبة هى تحية الإســـلام وتحية العرب المؤمنين وتحية الإنسانية الفاضلة كلها ، وهى تحية : « السلام عليكم ورحمة الله » ؟ .

إننا لا نريد أن تظل تلك الفجوة المصطنعة بين القومية العربية والإسلام ، وليس واجبنا أن نبحث عن وجوه التمايز بينهما ، إن كان هناك وجوه اختلاف . بل واجبنا أن نؤكد أسباب الاتفاق والوفاق والاتساق بين القومية والعقيدة . لأن القومية تكتسب بهذا قوة واعتزازا . ولأن العقيدة تكتسب بهذا تمكنا من نفوس العرب المؤمنين .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

---

# أضـــواء

* * *

## طريق السؤدد

بدراسة القرآن الكريم ، ومايتصل به من مصادر الرسالة الإسلامية ، وإعداد الأزهر لذلك على الوجه الأكمل ، نصل إلى الخير ، وإلى السعادة ، وتتمتع الجمهورية العربية المتحدة قمة المجد .

الأستاذ الأكبر الشيخ

محمود شلتوت



## أتباع ديوى

إن أتباع ديوى يعيشون على أرض هذا الوطن غرباء ، وآن لهم أن يدركوا مقومات هذا الوطن العزيز ، وتوجيه هذه الثورة البناءة ، إن هم أرادوا تنظيم التوجيه ، وإيجاد وعى سليم عن طريق التربية .

الدكتور محمد البهى

* * *

## اتحاد العرب والمسلمين

كل ما قصد إلى توهين اتحادنا ( نحن العرب والمسلمين ) ، وبث روح الفرقة والعصبية ، والشعوبية الجاهلية بيننا . لا يخدم إلا أهداف العدو ، ولا يورثنا إلا الضعف .

الدكتور محمد محمد حسين

# الأدب والعلوم

## وقف تدريس الكتب

التى تتضمن مساسا بالقومية العربية

قال الأستاذ أحمد حلمى المدير المساعد للتعليم الأجنبي : إن ٦٤ مدرسة أجنبية فى الإسكندرية تضم ٢٤ ألف طالب وطالبة ، تقدمت بإقرارات تتضمن عدم تدريس أى كتاب فيه مساس بالروح القومية العربية ، كما تم جمع الكتب المخالفة لهذا الشعور وأعدمت .

## مؤسسة للثقافة العمالية

أعلن السيد وزير الشئون الاجتماعية التنفيذى بالإقليم المصرى ، فى مؤتمر اتحاد العمال ، أنه سينظر بعين الاعتبار ، إلى المشروع الخاص بإقامة مؤسسة للثقافة العمالية .

## مدرسة لتدريس اللغة العربية بفينا

قررت حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، منح إعانة مالية لإحدى الجمعيات بالنمسا ، لبناء مدرسة لتدريس اللغة العربية بفينا .

## دائرة معارف عن آسيا وإفريقيا

يقوم مجلس الفنون والآداب بإعداد دائرة معارف عن آسيا وإفريقيا .

## إنتاج المياه الثقيلة

أتم أحد الخبراء الألمان بتكليف من حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، وضع مشروع لإنتاج المياه الثقيلة ، والمعروف أن هذه المياه تستخدم فى صنع القنابل الذرية .

## تعمير الصحارى

تكونت لجنة بوزارة حربية الجمهورية العربية المتحدة ، لدراسة تعمير الصحارى ، وطلبت من سفارتى الجمهورية فى موسكو وواشنطن موافاتها بالمطبوعات والنشرات الخاصة بتعمير الصحارى .

## زراعة الأشجار الخشبية

قرر المسئولون بالإقليم المصرى ، تعميم زراعة الأشجار الخشبية على جوانب الطرق الرئيسية ، للإكثار من خشب الأثاث والمصنوعات الأخرى .

## التخطيط العلمى للجامعات

تقرر تشكيل ٤٥٠ لجنة للتخطيط العلمى لجامعات الجمهورية العربية المتحدة .

## ٣٠٠٠ مدرسة ابتدائية

تنشئها الدولة فى ٢٠ عاما

تعد الوزارة المركزية للتربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة، مشروعا بما تحتاج إليه المبانى المدرسية فى المرحلة الابتدائية، فى السنوات العشرين القادمة على أساس بناء ١٥٠ مدرسة كل عام، منها ٥٠ مدرسة بدل مدارس قائمة قديمة، و١٠٠ مدرسة جديدة.

## نفقات الطلبة اليمنيين

تعتبر معونة ثقافية

تقرر اعتبار نفقات الطلبة اليمنيين بالكليات والمعاهد والمدارس العسكرية، فى الجمهورية العربية المتحدة بالإقليم الجنوبى معونة ثقافية.

## إعفاء طلبة جزائريين

من رسوم الدراسة

أعفت حكومة الجمهورية العربية المتحدة، تسعة طلاب جزائريين ملحقين بكلية البوليس من الرسوم طوال سنى الدراسة.

## أول قرية

يعاد تخطيطها بالإقليم المصرى

قامت إدارة تخطيط القرى فى وزارة الشئون البلدية والقروية بالإقليم المصرى، بإعداد مشروع تخطيط القرى، وستكون قرية «بنى هلال» بمديرية الشرقية القرية الأولى التى تطبق عليها دراسات هذا المشروع.

## الكون كتاب ...

والقرآن كتاب

جاء فى حديث نشر لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر: أن على الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن، أو تفسيره، أو احتوائه على مظاهر الكون، فالكون كتاب ... والقرآن كتاب. والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون، وتقصى سنن الله فيه، وليس من شأن الرسالات الإلهية سوى ذلك، فلا تحملوها أكثر مما حملها الله.

## جامعة حرة بالإقليم المصرى

تقرر إنشاء جامعة حرة فى الإقليم المصرى، وستدعى الشركات والمؤسسات الكبرى للمساهمة فى تكاليف هذه الجامعة الجديدة، التى ستحل مشكلات القبول، واغتراب الطلبة فى الخارج، كما توفر النقد الأجنبى، فضلا عن أنها ستضع الطلاب تحت رقابة أسرهم.

## التدخين

يسبب ضعف النظر

أعلن الدكتور «جيمس دوجارت» الجراح البريطانى، أن التدخين يسبب ضعف النظر، وأن معظم المصابين بالعمى الجزئى، هم من مدمنى التدخين.

# أنباء العالم الإسلامي

## عيد الوحدة

احتفل إقليما الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٣ رجب ١٣٧٨ الموافق أول فبراير الحالى بعيد الوحدة الأول ، وشاركهما فى هذه الفرحة وهذا العيد شعوب العرب فى كل مكان .

ويذكرنا هذا العيد بالتصميم الصادق ، الذى بعث هذه الجمهورية الفتية إلى الوجود ، ففاجأ بها أبناؤها خصوم الوحدة من مستعمرين وانفصاليين ورجعيين ، هذا التصميم الذى رعى ولا يزال يرعى جمهوريتنا ، ويدعم بنيانها ويؤكد سلامتها ، ويحقق لها النجاح تلو النجاح فى كل خطوة تخطوها وفى كل إصلاح تقدم عليه .

وقد بثت هذه الوحدة الإحساس فى نفس كل عربى بالقوة الذاتية وبالقدرة على إزالة كل أدران الماضى ومخلفاته .

وبعثت الثقة بأن وطن العرب لهم ، وثرواتهم من حقهم ، وبأن تلاعب النفوذ الأجنبى بأقدارهم أصبح أو يكاد يصبح خرافة عفا عليها الزمان . ولهذا لم يقتصر الاحتفال بقيام الوحدة على أبناء الجمهورية العربية وحدهم ، بل شاركتهم هذه الفرحة أجزاء أخرى من الوطن العربى ، وابتهجت معهم بهذه الذكرى ، وتعالى دعاؤها مع دعائهم بأن يصون الله تعالى الجمهورية العربية المتحدة ، لأنها سند القومية العربية وصنو التحرر والعزة فى الوطن العربى الكبير .

## بعثة لبنانية

لتهنئة الرئيس بعيد الوحدة

قررت الحكومة اللبنانية إيفاد بعثة رسمية برياسة السيد رشيد كرامى رئيس الوزراء ؛ لتهنئة الرئيس جمال عبد الناصر بعيد الوحدة ، وستضم البعثة السيد بيير الجميل وزير الأشغال ورئيس حزب الكتائب ، وبعض الشخصيات اللبنانية .

## مؤتمر شباب آسيا وإفريقيا

افتتح صباح يوم الاثنين ٢٤ رجب ١٣٧٨ ( ٢ فبراير ١٩٥٩ ) مؤتمر شباب آسيا وإفريقيا ، المنبثق عن مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية والإفريقية فى العام الماضى .

فمنذ الصباح الباكر أخذت وفود ٣٦ دولة من شباب القارتين ، طريقها إلى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ، حيث مكان الاجتماع ، فاستقبلها شباب الجمهورية العربية المتحدة : « بإقليميها » ، بالهتاف

والتصفيق ، وعزف الموسيقات ، وإطلاق الحمام الذى يرمز إلى السلام . والمؤتمر فى ذاته تعبير مجسم عن وحـــدة الكفاح ، التى جمعت الشعوب الآسيوية والإفريقية ، التى قاست الاستعمار . وعاشت لتقاوم ما خلفه من تأخر وانحلال ، ومن تعصب وتفرقة ، ومن ضعف وجهل . وهذه الشعوب على اختلاف أجناسها ، وتباين نظم حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمذهبية ، قد اجتمعت على نصرة الحرية ، واحترام الحق ، وإقرار السلام . ومثلها فى هـذا المؤتمر شبابها ، لأن الشباب هم قوة الشعوب ، وهم الذين سيقررون المستقبل لها وللإنسانية كلها ؛ ومن هنا كانت صيحة التضامن الآسيوى الإفريقى ، صيحة إنسانية ضخمة ، أفزعت أعداء الحرية ، وأثلجت صدور محبيها .

وقد لوحظ لأبناء الأزهر ، فى احتفالات المؤتمر مع إخوانهم طلبة جامعات الجمهورية العربية المتحدة نشاط حيوى مبارك ، كان له أثره فى إنجاح المؤتمر ، وإدخال السرور على نفوس ضيوفهم من شباب الشعوب الآسيوية والإفريقية الشقيقة .

## برقية الرئيس إلى مؤتمر الشباب

بعث الرئيس جمال عبد الناصر بالبرقية التالية ، إلى مؤتمر الشباب حيث تليت ، وهذا نصها : إلى إخوانى من شباب آسيا وإفريقيا : فى اجتماعكم الأول ، الذى يضم زهرة شباب آسيا وإفريقيا وأملها المنشود ، أبعث إليكم بأخلص تحياتى ، متمنياً لكم النجاح فى تحقيق الأهداف السامية التى اجتمعتم من أجلها ، وفى توطيد دعائم التضامن بين شعوبكم ، وتقوية أواصر المحبة والإخاء والتعاون فى سبيل تحقيق الرخاء لشعوبنا ، والحرية للشعوب كلها ، والسلام للعالم أجمع .

## الرئيس جمال عبد الناصر

### يخطب فى مهرجان الشباب العربى

فى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم الأول لمؤتمر شباب آسيا وإفريقيا ، ألقى الرئيس جمال عبد الناصر - فى مهرجان الشباب العربى ، الذى أقيم بالنادى الأهلى ، بمناسبة افتتاح المؤتمر - خطابا سياسيا جامعا ، استمع له السادة الوزراء والسفراء وغيرهم من كبار الدولة ، وشباب المؤتمر الآسيوى الإفريقى ، وعدد ضخم من أبناء الجمهورية العربية المتحدة باقليميها . وقدر عدد الحاضرين بما يقرب من مائة ألف شخص ، غصت بهم مدرجات النادى الأهلى ، والسرادقات الواسعة ، التى أعدت فى الأماكن الخالية من ملاعب النادى . وحيا الرئيس فى خطابه العظيم ، شباب آسيا وإفريقيا ، وأكد أن مؤتمرهم

تثبيت لمبادئ مؤتمر باندونج عن تقرير المصير والحرية والمساواة والتضامن .

وقال : إن الاتحاد هو سلاح الأمة العربية ضد الاستعمار والسيطرة والتحكم والاستغلال ، كما أعلن سيادته أن الجمهورية العربية المتحدة ، هدفها توحيـــد الأمة العربية كلها ، ونصرة الشعوب المغلوبة على أمرها . وعلى أثر انتهاء الرئيس من خطابه الرائع ، تعالت الهتافات بحياة الرئيس جمال عبد الناصر : رجل السلام ، وزعيم الحياد الإيجابي ، وبطل الوحدة .

## إذاعة خاصة بالجامعة العربية

استعان مؤتمر الأنباء العربي ، بالإدارة الهندسية بإذاعة الجمهورية العربية المتحدة ، لوضع مشروع جهاز للاستقبال والإرسال اللاسلكي ، خاص بالجامعة العربية .

## تركيا والجامعة العربية

اعتذرت الجامعة العربية من عدم تحقيق رغبة إحدى شركات البترول التركية ، فى الاشتراك فى المؤتمر الأول للبترول العربي . وصرح السيد محمد سلمان ، المشرف على إدارة البترول فى الجامعة بأن المجلس الاقتصادى العربي ، حدد الدول التى تشترك فى المؤتمر ، وهى الدول العربية ، وأمارات الخليج ، والشركات التى نتعامل معها .

## فلسطين بدلا من « إسرائيل »

أوصت اللجنة السياسية التابعة لمؤتمر الشباب الآسيوى الإفريقى . بإطلاق عبارة « فلسطين المغتصبة » على الجزء المحتل من فلسطين بدلا من إسرائيل .

## جيش الجمهورية العربية المتحدة

فخر لكل عربي

زار السيد / إبراهيم شعبان وزير الدفاع الليبي بعض الوحدات العسكرية فى الإقليم الجنوبى ، وصرح سيادته عقب ذلك : بأن هذه الزيارة تركت فى نفسه أثرا عميقاً ، وأطلعته على مدى التقدم العظيم الذى أحرزته القوات المسلحة العربية ، مما يجعل كل عربي يزهو فخرا .

## العرب أمة واحدة

أدلى السيد / عبد الرحمن البزاز عميد كلية الحقوق ببغداد ، بشهادته فى محاكمة البطل العربي عبدالسلام عارف ، ومما جاء فيها قوله :

أنا أومن بأن الأمة العربية أمة واحدة ، وأن ما أصبنا به من نكبات فيما مضى ، وما قد نتعرض له فى المستقبل سببه فرقتنا ، وأن حق الأمة العربية فى التكتل حق طبيعى وأساسى ، وأنا أدعو إلى ذلك .

## عبد الناصر

أقوى من الأساطيل والجيوش

فى محاضرة ألقاها النائب اللبنانى ، أميل

البستانى ، فى جامعة اكسفورد ، فى معرض الحديث عن الرئيس جمال عبد الناصر قال :

إن الرئيس عبد الناصر هو بطل العرب الوطنى العظيم ، وعلى بريطانيا ألا تعترض إذا اختاره العرب زعيما لهم ؛ فقد أثبت الرئيس جمال عبد الناصر أنه أقوى من الأسطول السادس ، ومن القوات البريطانية.

## جيش التحرير الجزائرى

### يخترق خط الدفاع الفرنسى

اعترفت القيادة الفرنسية بأن مئات من الجنود الوطنيين الجزائريين ، اخترقوا خط الدفاع الفرنسى المعروف باسم خط موريس المكهرب ، وكان الفرنسيون قد بالغوا فى تحصينه مما جعلهم يعلنون مراراً استحالة اختراقه .

## القواعد الأمريكية بليبيا

طلب الرسميون الليبيون من أمريكا ، فتح باب المفاوضة لتعديل اتفاقية عام ١٩٥٤ الخاصة بالقواعد الأمريكية والمعونة المالية التى تقدمها أمريكا لليبيا .

## موافقة روسيا على اتفاقية

### السد العالى

وافقت الهيئة النيابية العليا فى روسيا على اتفاقية بناء المرحلة الأولى للسد العالى ، وبمقتضى هذه الاتفاقية ستقدم روسيا للجمهورية العربية المتحدة ، قرضاً يبلغ ٤٠٠ مليون روبل للبدء فى بناء السد .

## رفض الشعوب العربية

### للأنظمة الاجتماعية

### المخالفة لأنظمتها لا يعتبر عملا عدائيا

قال السيد حسين العوينى ، وزير خارجية لبنان فى حديث له : إن لكل أمة خصائصها ، ولا يحق لأى أمة أن تخضع أمة أخرى لمبادئ ابتكرتها، ولا أن تتدخل فى شئونها .

وإذا كان التعاون بين شعبنا العربى والشعوب الأخرى مفروض لخير الجميع ؛ فإن رفضنا مبادئ أو تقاليد دولة ما - مما لا يتفق مع مبادئنا وتقاليدنا - لا يعتبر عملا عدائيا تجاه هذه الدولة .

## أندونيسيا

## تؤمم المؤسسات الهولندية

قررت الحكومة الأندونيسية تأميم جميع المؤسسات الهولندية ، وعددها ٣٨٧ مؤسسة زراعية تشمل مزارع التبغ والمطاط والسكر .

## بعثات باكستانية للأزهر

أبدى السيد سفير باكستان فى القاهرة للمسئولين بالأزهر ، رغبة حكومته فى إفساح المجال لبعثات باكستانية قادمة إلى الأزهر .

# الفهرس

مدير المجلة ورئيس تحريرها
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

يشترك فى تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء التاسع - القاهرة فى شهر رمضان سنة ١٣٧٨ — مارس سنة ١٩٥٩ — المجلد الثلاثون

## فهرس

# الأزهر كدين الله ولغة العرب لا يتخلف

## بقلم أحمد حسن الزيات

لقيني منذ أيام فى طريقى إلى إدارة الأزهر أستاذ جامعى يعرفه النـاس بعداوته للثقافة الإسلامية ، وكراهته للآداب العربية . فقال لى وهو يقلص شفتيه عن ابتسامة ذات معنى : ماذا عسى أن تصنع لمجلة الأزهر وهى إن كانت لسانا لحاله فلا بد أن تكون مرآة لجموده وصورة لتخلفه ؟ وما دامت الثقافة الغربيـة قد نسخت الثقافة الشرقية ، واللغة العامية قد هزمت اللغة الفصحى . فإن الأزهر وهو مدين بوجوده وبقائه للدين واللغة لم يعد إلا طللا من الأطلال وأثراً من الآثار ، والطلل يوقف عليه للذكرى ، والأثر يحتفظ به للتاريخ ؟

فقلت له وأنا أجزيه عن ابتسامة غاضبة بابتسامة عاتبة : إن رأيك فى ثقافة الإسـلام وحضارة العرب ورسالة الأزهر قد يكون رأى الكثرة ممن فتنت قلوبهم واقعية الفكر فى أوربا ، وسحرت عيونهم مادية العلم فى أمريكا فلم [illegible] سمع عن رسالة الله الخالدة التى تجدد فيها كل دين ، وتكمل بها كل شرع ، فلم يدركوا منها إلا مايدرك الأرمد من ضوء النهار !

ولكنك من دون هؤلاء لم تؤتَ من قبل الجهل لأنك عالم ، ولا من قبل الإلحاد لأنك مؤمن ، وإنما أتيت من قبل التمرد الطاغى على القديم لقدمه لا لفساده ، ومن تعصبك العنيد للجديد لجدته لا لصلاحه !

إنك مصاب بالأللرجيا الأزهر ، لأنه مادام ، دام التراث الغالى وتمثل الماضى المجيد ، والأللرجيا مرض لايزال مجهول السبب فلا طب له ولا حيلة فيه . وإذن يكون جوابى عما سألت رداً لا يقطع اللسان ، ومناقشتى إياك فيما قلت جدلا لا يقنع المكابر . وإنك لتعلم عن طريق اعتقادك بالقرآن وعلمك بالتاريخ ، أن الدين قوام الجماعة الإسلامية ، وأن اللغة نظام القومية العربية ، وأن رعاية الدين وحماية اللغة هما رسالة الأزهر . ومادام الإسـلام يتجدد بحكم طبيعته على الزمن ، واللغة تتسع بفضل مرونتها على الحضارة ، فإن الأزهر لابد أن يتجدد مع الدين ويتسع مع اللغة وإن لم يفعل فما بلغ رسالته .

ولعلك لاتنسى أن الأزهر منذ اضمحلت الخلافة ، واستعجمت الثقافة ، وخشع السلطان واختلف اللسان وكاد يرفع القرآن ، كان وحده هو المنار الذى أضاء الطريق ، والحصن الذى حفظ التراث ، والمنتجع الذى أوى إليه طلاب

الفقه والعلم من جميع أقطار الأرض ، فوجدوا فى كنفه العيش والأمن والكتاب والقلم ، ثم صدروا عنه صدور الشعاع عن الشمس ، يحملون نور الله إلى كل قلب ، وحرارة الإيمان إلى كل نفس ، وكان منهم الزعماء فى كل نهضة ، والقادة فى كل ثورة .

كان الأزهر منذ زحف الاستعمار إلى الشرق طليعة الجهاد القومى فى ميادينه المختلفة ، فلم يتخلف أبداً عن مكانه من الصف الأول .

كان ينبه الوعى الغافى ، ويجمع الرأى الشتيت ، ويصل ما تقطع من الأسباب بين ديار الإسلام وأقطار العروبه .

وما أحسبك تجهل أن العرب حاولوا الوحدة مرتين فى تاريخهم الطويل : مرة فى القرن السادس بعد أن فرقتهم العصبية الجاهلية فنالوها بالإسلام ، ومرة فى القرن العشرين بعد أن مزقتهم النعرة التركية فأوشكوا أن ينالوها بالأدب . والدين والأدب يملكهما الأزهر جميعا لأنه وريث النبوة وخليفة الدعوة .

تقول : إن الزمن قد استحال وإن العالم قد تغير ، وإن العلم المادى قد انبسط سلطانه على الأرض ، وإن الوسائل التى كانت تغنى بالأمس ، أصبحت لا تغنى اليوم ، وأنا لا أنكر أن سنة الله فى الكون أن يتقدم دائما وأن يترقى أبدا ، ولكنى أنكر ألا يكون للوسائل الروحية من دين وأدب ما كان لها قبلا من الغناء فى جمع القلوب والشعوب على المحبة والتعاون ؛ فإن نور الدين الذى يضىء البصيرة ، كنور الشمس الذى يضىء البصر ، لا يغير من طبعه تطور الزمن ولا اختلاف الناس ، وكلما تشعبت الأمور وتفرقت السبل واستبهمت المسالك افتقد الركب النور الإلهى الذى يهدى إلى سبيل السلام ويرشد إلى طريق الحق .

وهذه النهضة العامة التى تهز الوطن العربى هزا أحوج ما تكون إلى الدين ينفحها بروحه حتى لا تضرى ، وإلى الأدب ينضحها بنداه حتى لا تجف . ونحن العرب لا نستطيع أن نفصل بين حضارتنا والدين اتعاظا بالفشل المروع الذى أصيبت به الحضارة المادية الغربية ، وإيمانا بأن لنا رسالة روحية اصطفانا الله لأدائها جيلا بعد جيل ، ليبقى الاتصال بين السماء والأرض ، ويدوم المدد بين الله والإنسان .

أنا معك فى أن انفلاق الذرة فى الغرب دفع العالم إلى الأمام بسرعة الصاروخ ، وأن انفجار الثورة فى مصر رج النيام فى الشرق رجة الزلزال ، وأن الأزهر لا يستطيع أن يواكب ركب الإنسانية الثائر الطائر مالم يركب مركبه ويسرع إسراعه .. ولكن من ذا الذى قال إن السرعة التى تنتقل بها الروح أو الفكرة أبطأ من السرعة التى يصل بها الصوت أو الضوء ؟ إن الأزهر لا بأس عليه ألا يرسل الطائرة وألا يطلق القذيفة ، فإن دعوته وكلمته تنفذان من أقطار السموات

والأرض قبل أن تنفذ منها الطائرة النفاثة والقمر المصنوع .

على أن الأزهر يعتريه مايعترى الكائن الحى من نقص الكمال وضعف القدرة ، فقد بلغ فى العصر المملوكى ذروة مجده العلمى وسلطانه القومى ، ثم أدركه فى العصر التركى ما أدرك العرب جميعا من الغفوة التى أشبهت الموت فنام على موروث علمه ومأثور طريقته ، حتى صحا على مدافع نابوليون تقصف أبواب القاهرة ، فبعث فى مصر روح المقاومة وتبوأ منها مكان القيادة .

ورأى الذين زاروا الغرب من أهله أن فى أوربا علما أوسع من علمه ، وتعليما أرقى من تعليمه ، ففكروا فى إصلاحه ليظل مرجع الأمر للمسلمين والعرب . وكان من بين أبنائه النابغين النابهين ثلاثة انفردوا بمحاولة هذا الإصلاح ، ولكنهم منوا جميعا بالعجز عنه لاستبداد (القصر) يومئذ بسياسة الأزهر ، يجريه على هواه وينزله على حكمه ، فقضى محمد عبده بحسرة من بغى عباس ، ومضى المراغى بخيبة من هوى فؤاد ، وخرج عبد المجيد سليم بنزوة من نزق فاروق .

وكان هنالك رجل رابع جمع إلى عنفوان الشباب عنفوان الفكر ، فأدرك بحاسة المصلح الموهوب ما أدركوا من سوء الحال فى الأزهر فاتجه بعقله وقلبه إلى المشاركة فى إصلاحه .

اتبع الأول وكان يتحرق أسفا على تعويقه عن مقصده . وأيد الثانى وكان يضيق ذرعا بطول تردده . وعاون الثالث وكان يرتمض أسى على كف يده .

وكان هو وثلاثة من إخوان الرأى يجتمعون فى دار (الرسالة) فيتشاكون ما حاق بالأزهر من ركود ريحه وانحسار ظله ويشفقون على ينبوع الثقافة الإسلامية أن يصد تياره ما ارتكم فى مجراه من الحطام البالى والغثاء الدخيل .

وكانوا كسائر طلاب الإصلاح يرصدون الأفق الغائم ليرقبوا القائد المنتظر الذى يبعث الحياة فيه ويدرأ الفساد عنه . وكان هذا الرجل قد تفرد بدعوة الإصلاح الأزهرى بعد فشل دعاته من قبله ، فرسم الخطط ، وسن المناهج ، وكتب الرسائل ، وحبر المقالات ، وقدم التقريرات ، ثم جعل للإسلام النقى الواضح قولا فى كل مسألة ، ورأيا فى كل معضلة ، وتوجيها فى كل قصد ، تارة بلسانه فى الإذاعة ، وأخرى بقلمه فى الصحف .

ذلك الرجل الرابع هو الشيخ محمود شلتوت الذى اختارته ( ثورة الإصلاح العام ) شيخاً للأزهر ليدفع به إلى مكانه الخالى من صف القيادة العامة .

وتلك مشيئة الله يا أستاذ ليدوم نور الهدى مشرقا من هذه المنارة ، ويظل دين الله روحاً لهذه الحضارة .

أحمد حسن الزيات

# لغة التعبير: اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

يقال عن الشاعر البليغ إنه هو الشاعر الذى نعرفه من كلامه ، وإن لم يقصد إلى تعريفنا بسيرته وترجمة حياته ، لأنه يصف لنا شعوره بما حوله من الأحياء وسائر الأشياء ، ومتى عرفنا من كلامه ما يحب وما يكره وما يرتضيه وما ينكره ، وما يحرك طبعه وفكره أو يمر بهما فى غير اكتراث ، فقد بدت لنا حقيقة جلية سافرة ، وكان لسان الحال فيها ، بحق ، أصدق من لسان المقال .

واللغة على عمومها أولى أن يقال فيها هذا الذى يقال عن الشاعر البليغ ، لأن اللغة هى قوام التعبير الناطق بين جميع المتكلمين بها ، فإن لم نتعرف منها حقائق أحوالهم فما هى بأداة وافية بوسائل التعريف .

فليس من الغلو فى وصف اللغة المعبرة أن يقال إنك تضع معجمها بين يديك فكأنما قد وضعت أمامك قواعد تاريخها ومعالم بيئتها ، ولم تدع لمراجع التاريخ والجغرافية غير تفصيلات الأسماء والأيام .

واللغة العربية فى طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالم الشرقية أو الغربية ، فلا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تتراءى لنا أطوار المجتمع العربى من مادة ألفاظه ومفرداته فى أسلوب الواقع وأسلوب المجاز .

ونبدأ بالمجتمع نفسه فنعلم أن المجتمع العربى فى قوامه الأصيل إنما كان مجتمع رحلة ومرعى ، وأن الكلمات التى تدل على معنى الجماعة فى لسان العرب قلما تخلو من الإشارة إلى الرحلة والرعاية .

فالأمة هى الجماعة التى تؤم مكانا واحداً أو تأتم بقيادة واحدة .

والشعب هو الجماعة التى تتخذ لها شعبة واحدة من الطريق ، والطائفة هى الجماعة التى تطوف معا . والقبيلة هى الجماعة التى تسير إلى قبلة مشتركة ، والفصيلة هى الجماعة التى تنفصل معا ، والفرقة هى الجماعة التى تفارق فى مسلك واحد ، والفئة هى الجماعة التى تفىء إلى ظل واحد ، والجيل من الناس هم الذين يشتركون فى محال واحد ، والبيئة هى الموطن الذى يبوء إليه أصحابه بعد الرحلة عنه ، والنفر من القوم من ينفرون معا للقتال أو لغيره ، والقوم فى جملتهم هم الذين « يقومون » قومة واحدة للقتال خاصة ، ولهذا أطلقت أولا على الرجال ثم شملت الرجال والنساء ، ومن هنا

قوله تعالى « ولا نساء من نساء » بعد قوله : « لايسخر قوم من قوم » . . . . ومنه قول زهير :

وما أدري ولست أخال أدري
أقوم آل حصن أم نساء

وإذا لاحظنا هنا المعنى فى دلالة أسماء الأمكنة فهى دلالة مطردة على هذا المثال فى أكثر البقاع التى تسكن أو يرحل منها وإليها . .

فالمنزل حيث ينزل الإنسان ، والبيت حيث يبيت بالليل ، وكذلك الموقع والمرجع والمأوى . وكذلك المسافة بين مكان ومكان إنما هى الموضع الذى يساف ترابه للاهتداء إلى الطريق .

وقد يدل اسم المكان بمادته على عيشة « المشاع » فى البادية الأولى ، فيطلق اسم « القصر » على المكان الذى يبنى مقصوراً على بانيه ، خلافا للبيوت والخيام التى تقام فى كل مكان .

واسم المكان قبل كل شيء مامعناه ؟ معناه من « التمكن » خلافا للنقلة والمتنقل بغير استقرار .

ويلاحظ هذا أيضاً فى الكلمات التى تدل على العشير أو على الرابطة الاجتماعية بين الآحاد .

فالصاحب هو من يمشى معك فى السفر ، وكذلك الرفيق الذى يؤخذ مع الطريق وقبل الطريق ، وكذلك الزميل من صحبته الزاملة ، والقريب الذى يقترب من منزلك ، وتناسبه كلمة « العدو » للخصم الذى يعدوك أو يعدو على جوارك .

ونتتبع هذا المعنى ، أو نتقراه . فى المعانى المجازية ، فنقول المذهب للطريقة الفكرية كما نقول المنهج والمشرب والنحو والمصدر والمورد والمقام والمقامة ، ونطلق السيرة على الترجمة وهى من سار يسير ، ونطلق القصة على الحكاية وهى من قص الأثر ، ونطلق الأثر على المخلفات وهى من بقايا المواطئ والأقدام .

وقد قلنا : نتتبع ، ونتقرى ، وقلنا المجاز وكلها مما لوحظت فيه هذه الدلالة فى أصولها .

فالتتبع من السير وراء الراحل ، والتقرى من البحث عنه حيث كان مقره ، والمجاز من العبور . وماالتعبير نفسه فى أصوله؟ هوالعبور .

ولابد من مناسبة قريبة أو بعيدة تنتهى إلى هذه الدلالة فى الألفاظ المعبرة عن الجماعات والأمكنة .

فنحن نقول « الجيش » من جيشان الحركة فى الأمكنة المتعددة أو المكان الواحد .

ونقول الجند والراجح أن الأصل فيه يرجع إلى « الجند » وهى الأرض الغليظة التى لايسهل طروقها ، كأنهم استعاروه لمناعة المكان الذى يحميه المقاتلون المسلحون أو المستعدون للقتال .

ونعتقد أن النظر إلى ألفاظ اللغة من هذه الناحية متمم لكل دراسة من دراساتها، سواء منها مايراد للتاريخ أو لتحقيق أصالة الكلمات أو لتقرير قواعد «البلاغة» ... وهى كذلك من التبليغ أو البلوغ إلى المكان.

فإذا التبس علينا أمر كلمة من الكلمات، فلم نعلم فى ظاهر الأمر أهى من ألفاظ العرب الأصيلة أم من الدخيل عليها، فلدينا هذا المقياس الحاضر نقيس به دلالة الكلمة ونردها إلى حياة العرب وإلى المعهود من تعبيرها عن معالم تلك الحياة، فلا يطول بنا العناء فى الرجوع بها إلى أصل معقول نطمئن إليه.

قيل - مثلا - إن كلمة «القلم» مأخوذة من «كلموس» اليونانية وعز الاستناد فى هذا القول إلى مرجع من مراجع التاريخ المحقق غير مجرد الظن القائم على التشابه فى مخارج اللفظين، وهو لا يدل على السابق إلى وضع الكلمة من اللغتين.

ولكننا نستطيع أن نرد الكلمة إلى القلم أو التقليم من القلامة فى اللغة العربية، فنرى أنها أصيلة فى هذه اللغة بهذا المعنى، ونتقصى المادة فنعلم أنها لا تنتقل بجملتها من لغة إلى لغة.

فهذه القاف والميم وما يتوسطهما مطردة فى الدلالة على الشق والقطع، ومنها قحم وقرم وقسم وقصم وقضم وقطم وقلم وهى آخرها فى ترتيب الأبجدية.

ونعود إلى الشىء الذى «يقلم» فنعلم أن القناة والقصبة والريشة مما يقلمه العرب ويتخذون منه القلامات، فيحق لنا أن نفهم أننا بصدد هذه الكلمة أمام لفظ أصيل فى لغة العرب، لاينقلونه من لفظ آخر فى لغة أجنبية.

وأذكر أن طبيباً فاضلا لقينى فى الإسكندرية فأخذ على بعض ماكتبت يومئذ عن القانون، أن كلمة «القانون» دخيلة فى العربية وأن «الشريعة» أحق منها بالاستعمال فى كتابتنا ما دامت نظائرها ميسورة لدينا.

قلت للطبيب الفاضل: إن الكلمة من بضاعتنا التى ردت إلينا، وأن القانون اليونانية ليست هى إلا القناة بصيغة التصغير عندهم؛ لأن الغالب فى لغتهم على معنى القانون أنه مستعار من القصبة التى توضع بها الحدود وتقاس بها المواقع. وهم يطلقون فى اللغات الغربية كلمة رولر Ruler على المسطرة التى ترسم الخطوط والحدود وعلى الحاكم الذى يقيم الأحكام. ونحن فى الشرق نستخدم القصبة للقياس والفصل بين المواقع. وتسمى عاصمة الحكم «قصبة» فى بعض اللهجات.

فالقانون Canon تصغير للقناة Cane لأن القناة الصغيرة هى التى تستخدم عندهم استخدام المسطرة لوضع الحدود والفصل بين الرسوم، وإذا رجعنا إلى القناة أمكن أن نقول إن القانون هو «قناتنا» قد رجعت إلينا بعد أن صيغت عندهم فى صيغة التصغير، ولسنا نجزم بأن كلمة Cane مأخوذة من العربية بغير

خلاف ، ولكننا نجزم بأن « القناة » كلمة لم يأخذها العرب من اليونان ، لأن الأقنية من النخل ومن عيدان الشجر ومن مسايل الماء ومن أسنة الرماح أصول عريقة فى حياة العرب لا تستعار .

* * *

وإن من أنفع ما تنفعنا به هذه المقارنة أن نعول عليها حين تتشابه الكلمات باللفظ ، أو تتقارب بالمخارج بين لغتين أو لغات عدة . فإن لم نستطع أن نعرف أيها السابق إلى وضع الكلمة فلعلنا مستطيعون أن نعرف أنها أصيلة أو مستعارة فى لغتها بالمقابلة بين تعبيراتها وأحوال معيشتها .

وقد كان زميلنا العالم المجتهد الأستاذ عبد القادر المغربى ، يرى أن كلمة المرج فى العربية مأخوذة من كلمة « المرغ » الفارسية ، فكان مما يشككنا فى هذا الظن أن مادة « مرج » و « مرغ » و « مرت » فى اللغة العربية متقاربة فى مدلولها وأنها على صلة بالمرع وبالمرعى على قدم الحاجة إلى المرعى فى بلاد العرب ، فإن لم نستطع أن نجزم باستعارة الفرس كلمتهم المرغ [illegible] أن نجزم بأن العرب أصلاء فى كلماتهم غير مستعيرين .

وهناك كلمات تتشابه فى مخارجها بين أبعد اللغات ، لأنها قد نشأت من الحكاية الصوتية التى تنقل الأصوات كما تقع فى الآذان ، وقد نفهم من تكرر المادة فى أمثال هذه الألفاظ أنها نشأت فى اللغة ، ولم تنتقل إليها بعد تداولها فى لغة أخرى .

ففى الانجليزية يدل لفظ «كت» على القطع كما يدل عليه لفظ «كسيه» باللغة الفرنسية ، والمشابهة بين اللفظين وبين « القط » بهذا المعنى فى اللغة العربية ظاهرة للسماع . ولكن القاف والطاء وما يثلثهما فى لغتنا شائعة فى الدلالة على القطع بأنواعه ، ومنها قطب وقطر وقطف وقطم ، ويلحق بهذه الملاحظة أن القاف والتاء والقاف والدال والقاف والصاد تؤدى معنى قريبا من هذا المعنى ، فلا وجه للقول بالاستعارة فى أمثال هذه الألفاظ .

* * *

ومن الجائز أن يمتد القياس إلى أغراض أخرى فى المقارنة بين الكلمات واللغات تحريا لأصولها ، أو للعلاقة بين معانيها ومعيشة أبنائها ، ولكن البحث على هذا المثال ضرورة لا محيد عنها فى اللغات التعبيرية واللغة العربية فى مقدمتها ، فإنه بحث يجمع بين أغراض التاريخ وأغراض البيان وأغراض الدراسات النفسية والاجتماعية ، ولا نحسب أن فى اللغة العربية كلمة يطول الخلاف [illegible] على هذا النحو إلى أصولها ودواعيها من حياة الناطقين بالضاد ، وأولها كلمات الفصاحة والبلاغة والنحو والصرف والإعراب ؟

**عباس محمود العقاد**

# منهج فقهي سليم في أصول المعاملات الحديثة

للأستاذ محمد محمد المدني

---

إن الشريعة الإسلامية لها ميادين ثلاثة في حياة الناس تصول فيها وتجول ، ولها في كل ميدان من هذه الميادين أسلوب يختلف عن أسلوبها في غيره .

أما الميادين الثلاثة فهي :

١ — ميدان العقائد .

٢ — وميدان العبادات .

٣ — وميدان المعاملات .

وأما أسلوبها في كل ميدان من هذه الميادين فهو على الترتيب :

١ — أسلوب المخبر الواصف .

٢ — وأسلوب المنشئ المجدد .

٣ — وأسلوب الناقد المهذب .

* * *

بيان ذلك :

١ — أن العقائد التي يفرض علينا الدين أن نؤمن بها ما هي إلا حقائق ثابتة في نفسها لها وجود واقعي ، وهي تفترق في هذا عن المبادئ والأحكام التي هي من قبيل الإنشاء والتي تشرع للناس بعد أن لم تكن ، وتتغير أحيانا بتغير الزمان والمكان ، وتقبل النسخ في عهد الرسالة .

وإذا أردنا أن نعبر عن هذا المعنى بالعبارة الفنية عند علماء الأصول قلنا : إن العقائد من باب الأخبار ، والأخبار لا تقبل النسخ ؛ لأن النسخ هو الإزالة والتغيير ، والواقع يخبر عنه أو يوصف ، ولكنه لا يغير ولا يرفع .

فالألوهية وصفاتها حقائق ثابتة ، والرسالة والوحي والكتب السماوية حقائق ثابتة ، والبعث بعد الموت والحساب والثواب والعقاب حقائق ثابتة ، والجنة والنار والنعيم والعذاب . كل ذلك حقائق ثابتة ، ليس للدين فيها دور يقوم به إلا دور الكشف عنها ، والاستدلال عليها ، والإقناع بها ، فلا هو بالذي أنشأها ، ولا هو بالذي يبدلها أو يزيلها وينسخها .

ومن هنا قالوا :

* إن العقائد لا تقبل النسخ .

* ولا تتغير بتغير الزمان أو المكان .

* ولا يسوغ أن تكون محل اجتهاد .

٢ — أما العبادات فهى تختلف عن العقائد فى أنها إنشاءات أنشأها الله تعالى، ورسم حدودها، وهيأها على صور خاصة، وطلب من عباده أن يعبدوه بها.

فالصلاة عبادة منشأة مؤلفة من أفعال خاصة وأقوال خاصة على ترتيب خاص.

والصيام إمساك عن الطعام والشراب وجميع الشهوات فى زمان مخصوص.

والحج مناسك معينة لها رسومها وأوقاتها وأمكنتها وأركانها وشروطها.

وهكذا...

ومن الواضح أنها ليست كالعقائد أى ليست حقائق واقعية مهمة المشرع أن يكشف عنها، وإنما هى صور ركبها وهيأها ورسمها وأنشأها بعد أن لم تكن، وهذا محض حقه باعتباره هو الإله المعبود، فمن حقه أن يشرع لعباده مايعبدونه به، وعليهم أن يرجعوا إليه فى معرفة ذلك كما وكيفا ومكانا وزمانا.

ولهذا يقول أهل الشريعة فى إحدى قواعدهم المشهورة: «لايعبد الله إلا بما شرع».

فالأصل فى العبادات والقرب أنها ممنوعة حتى يرد من الشارع مايدل على طلبها، ويبين لنا هيآتها ورسومها الخاصة، ولا يجوز لأحد أن يؤلف عبادة من عنده، أو يتصرف فى صورة من صور العبادة المشروعة، ثم يعبد الله بذلك، وفى هذا يقول القرآن الكريم ناعيا على المشركين «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله» (١).

وبهذا الأصل أبطلت البدع فى الدين والعبادات وما يتصل بها، فكل من أراد القربة فعليه أن يتقرب إلى الله بما شرعه الله، ومن تقرب إليه بما لم يشرعه، ولو كان مظهره طاعة وقربة؛ فإنه مبتدع متلاعب بالدين.

ومثل ذلك كما لو قال قائل: سأصلى الظهر خمسا بدل أربع، أو أصلى المغرب أربعا بدل ثلاث، أو أجعل الركعة الواحدة ذات ركوعين بدل ركوع واحد، أو أتجه إلى بيت المقدس، أو إلى المدينة بدل اتجاهى إلى الكعبة، أو أصوم شعبان بدل رمضان، أو نحو ذلك، فكل هذا افتئات على الدين، وعلى حق المعبود فى أن يرسم طقوس عبادته، ولا يرتضى سواها.

* *

٣ — وأما موقف المشرع فى ميدان المعاملات؛ فإنه يختلف اختلافا جوهريا عن موقفه فى كل من ميدان العقائد، وميدان العبادات:

إن الشريعة ليست هى التى أنشأت للناس صور التبادل والتعاون والتعامل، ولكنها

(١) الآية ٢١ من سورة الشورى.

جاءت فوجدت صوراً يتعامل الناس بها ، فكان لها موقف منها ، غير موقف الإنشاء والرسم ، وغير موقف الإخبار والوصف ، وذلك الموقف هو موقف الإقرار ، أو التعديل ، أو الإلغاء ، وهو الذي سميناه في أول هذا البحث « أسلوب الناقد المهذب » .

وهي لا تتدخل في هذا الميدان إلا بمقدار ماتحمي مثلها ومبادئها التي جاءت بها ، من العدل والتيسير ، والرحمة ، ودفع أسباب التشاحن والبغضاء ، وربط أفراد المجتمع برباط من المحبة ، والتعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان .

إن هذا هو ما حدثنا به تاريخ التشريع الإسلامي عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم إلى المدينة ، وكان فيها مجتمع ، وفيها أسواق ، ولها صور معينة في البيع والشراء والتعامل والتعاون بالمزارعة ، والمساقاة ، والمضاربة ، والسلم ، والقرض ، والرهن ، والهبة ، والعمرى ، وغير ذلك .

فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أنشأ ذلك باسم الشريعة ، ولم ينزل الله تعالى في شيء من ذلك اية او ايات تضيف إلى ما كان لونا آخر لم يكن .

وإنما كان موقفه موقف الناقد المهذب فقط : هذه المعاملة تحقق مصالح الناس ولا ضرر فيها ؛ فهي مقبولة ، ولا اعتراض عليها .

وهذه المعاملة فيها ضرر بين ، أو تؤدي إلى الشحناء والبغضاء ، أو تنافي الفضيلة وما يجب من التعاون على البر والتقوى ؛ فهي غير مقبولة .

وهذه المعاملة ليست خيراً كلها ، وليست شراً كلها ، فإذا استطعنا أن نخلصها إلى الخير أو نتجاوز عن بعض ما فيها من الضرر أو الغرر ملاحظة للصالح العام ، وأخذاً بجانب التيسير على الناس وتقدير حاجاتهم ؛ فلا بأس من الترخيص بها ، والنزول على حكم العرف والمجتمع في قبول التعامل عليها .

هذا كان موقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أي موقف الإسلام ، من مجتمع المدينة ووجوه التعامل فيه :

وقد عقد ابن قيم الجوزية فصلا في كتابه « أعلام الموقعين » ذكر فيه أمثلة من إقراره صلى الله عليه وآله وسلم لأفعال الناس في المدينة ، كإقراره إياهم على تجاراتهم التي كانوا يتجرونها ، وهي على ثلاثة أنواع : تجارة الضرب في الأرض ، وتجارة الإدارة ، وتجارة السلم ، وكإقرارهم على صنائعهم المختلفة من تجارة وخياطة وصياغة وفلاحة ، وكإقرارهم على ما يتعاملون به من الدراهم ، وربما كان عليه صور الملوك الذين ضربوها ، ولم يضرب

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا لخلفاؤه مدة حياتهم دينارا ولا درهما ، وإنما كانوا يتعاملون بما ضربه غير المسلمين [1] .

وكما أقر النبي صلى الله عليه وسلم بعض المعاملات نهى عن بعض آخر ، فقد صح أنه نهى عن بيع الملامسة ، وعن بيع المنابذة ، وعن بيع الحصاة ، وعن بيع حبل الحبلة ، وعن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها .

وكانت صورة بيع الملامسة أن يلمس الرجل الثوب ولا ينشره ، أو يبتاعه ليلا دون أن يعلم ما فيه .

وسبب تحريمه الجهل بالصفة .

وصورة بيع المنابذة أن ينبذ كل واحد من المتبايعين إلى صاحبه ثوبه على غير تأمل منهما ويقول كل واحد منهما : هذا بهذا .

وصورة بيع الحصاة أن يقول المشترى أى ثوب وقعت عليه الحصاة التى أرمى بها فهو لى . وقيل أيضا إنهم كانوا يقولون إذا وقعت الحصاة من يدى فقد وجب البيع . وهذا قمار شبيه بما يحدث الآن فى بعض الأسواق والموالد .

وأما بيع حبل الحبلة ففيه تأويلان : أحدهما أنها كانت بيوعا يؤجلونها إلى أن تنتج الناقة ما فى بطنها ، ثم ينتج ما فى بطنها ، والغرر من جهة الأجل فى هذا بين ، وقيل إنما هو بيع جنين الناقة ، وهذا من باب النهى عن بيع المضامين والملاقيح ، والمضامين هى ما فى بطون الحوامل ، والملاقيح ما فى ظهور الفحول .

فهذه كلها بيوع جاهلية نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها [2] .

وقد يكون النهى فى بعض الأحيان واقعا على سبيل المشورة فلا يعد من باب التحريم ولكن من باب الكراهة .

ومن ذلك ما روى عن زيد بن ثابت قال : كان الناس فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبايعون الثمار قبل أن يبدو صلاحها ، فإذا جذ الناس وحضر تقاضيهم قال المبتاع أصاب الثمر الزمان، أصابه مرض ، أصابه قشام ، ومراض ، لعاهات يذكرونها ، فلما كثرت خصومتهم عند النبى قال كالمشورة يشير بها عليهم . لا تبيعوا الثمار حتى يبدو صلاحها

وبهذا الحديث أيد الكوفيون قولهم بجواز بيع الثمار قبل أن تزهى ، فقالوا إن النهى فيه على طريق المشورة فقط لا على سبيل التحريم والمنع .

وقد ترد السنة بالتعديل والتهذيب

ومن ذلك ما رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن من حديث ابن عباس قال : قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون فى

[1] أعلام الموقعين ج ٢ ص ٤٣٧ وما بعدها .

[2] بداية المجتهد لابن رشد ص ١٢١، ١٢٢ ج ٢ .

الثمار السنة والسنتين، فقال «من أسلف فليسلف فى كيل معلوم، ووزن معلوم إلى أجل معلوم».

فالكيل المعلوم، والوزن المعلوم، والأجل المعلوم، هى التعديل الذى عدل به الإسلام هذه المعاملة، لأنهم كانوا يسلفون فى ثمار نخيل بأعيانها، فلا يدرى هل تأتى هذه النخيل بالقدر الذى يوفى أو لا تأتى إلا ببعضه، أو لا تأتى فى العام الأول بشىء أصلا فيؤخر الوفاء لعام قابل، وفى هذا ما فيه من الغرر المؤدى إلى الاختلاف والمشاحنة.

ومن ذلك حديث ابن عمر فى الصحيحين وغيرهما: «أنهم كانوا يتبايعون الطعام جزافا بأعلى السوق فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعوه حتى يحولوه — وفى رواية «حتى ينقلوه» — وقال: من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه».

* * *

ومن هنا نرى أهل العلم بالشريعة كما وضعوا فى جانب العبادات القاعدة التى ذكرناها، وهى «لا يعبد الله إلا بما شرع»، وضعوا فى جانب المعاملات قاعدة أخرى مقابلة لها تقول: «المعاملات طلق حتى يرد المنع».

وفى هذا وذاك يقول العلامة ابن قيم الجوزية: «الأصل فى العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الأمر، والأصل فى العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم. والفرق بينهما أن الله سبحانه لا يعبد إلا بما شرعه على ألسنة رسله، فإن العبادة حقه على عباده. وحقه الذى أحقه هو ورضى به وشرعه. وأما العقود والشروط والمعاملات، فهى عفو حتى يحرمها، ولهذا نعى الله سبحانه على المشركين مخالفة هذين الأصلين. وهو تحريم ما لم يحرمه، والتقرب إليه بما لم يشرعه، وهو سبحانه لو سكت عن إباحة ذلك وتحريمه لكان ذلك عفوا لا يجوز الحكم بتحريمه وإبطاله، فإن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه، وما سكت عنه فهو عفو، فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها فإنه لا يجوز القول بتحريمها، فإنه سكت عنها رحمة منه من غير نسيان وإهمال»[1].

* * *

وهناك أمر ينبغى ألا يغيب عنا ونحن بصدد موقف الإسلام من المعاملات التى رأى الناس يتعاملون بها، ذلك هو ما اصطلح الفقهاء والأصوليون على تسميته بالترخيص:

فإنه مع الاعتراف بأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، قد نظر إلى بعض المعاملات نظرة أساسها الرفق بالناس، وتقدير ما تدعو إليه الحاجة من تسامح وتيسير، فأباح هذه المعاملات

[1] أعلام الموقعين ص ٣٤ ج ٢.

مغضيا عما يلابسها من بعض الغبن أو الغرر أو الجهالة ؛ فإننا نجد الجمهرة الكبرى من علماء المذاهب الإسلامية يقفون أمام هذه المعاملات موقف من يعتبرها استثناء وترخيصا على خلاف القواعد العامة . ويرتبون على ذلك أن أحكامها خاصة لا تنسحب على غير الصور التى وردت فيها ؛ ولذلك يكثر فى كلامهم أن يقولوا : هذه رخصة والرخصة يقتصر فيها على ما ورد ، ولا تتعدى موضعها ، ويضعون الشروط والأوصاف للحالة التى ورد فيها الترخيص بعينها حتى لا ينتقل الحكم إلى غيرها.

وهذا مسلك فيه من الحرج والتضييق ما لا يتفق وروح التشريع فى المعاملات . ومظاهر التطور الزمنى فى الحاجات والضرورات .

وهو بعد عكس للقضية التى شرحناها آنفا من أن المعاملات على الإباحة حتى يرد النهى ، فالشارع لم يستعمل أسلوب النهى العام المطرد فى المعاملات حتى يسوغ لنا إذا رأينا صورة تخرج على هذا العموم أن نعتبرها استثناء وترخيصا ، إنما العموم الأصلى للإباحة ، وما جاء على خلافها إنما هو التعديل والاستثناء ، وإذن فالمنع من بعض الصور هو منع جزئى شخصى لا يسرى إلى غير الصورة أو الصور الممنوعة مهما تعددت ، فكيف يعتبر ما وراء هذه الصورة أو الصور استثناء وهو لم يدخل فى عموم ، وكيف يعتبر ترخيصا أى تخفيفا وإحلالا بعد التحريم والفرض أنه هو القاعدة ، وأن حكم الحل مصاحب له من قبل بمقتضى الإباحة الأصلية . وبمقتضى القاعدة الآنفة الذكر فى المعاملات ؟ .

إن منطق هذه القاعدة ، وهى كون الأصل فى المعاملات الحل يجعلنا نقول إن الذى حرم هو الذى استثنى من الحل ، ويبقى كل ما وراءه حلالا .

على أننا لو سلمنا أن هناك ترخيصا بالمعنى الذى ذكروه ، أى استثناء لبعض الصور من أصل محرم كما يقولون ، فإن للمشكلة حلا فقهيا آخر هو أن نأخذ برأى من يجيز القياس على الترخص إذا فهم هنالك أسباب أعم من الأشياء التى علقت الرخص بالنص بها .

ويوضح هذا أن المساقاة مثلا جائزة عند الجمهور خلافا لأبى حنيفة ، والذين يجيزونها يعتمدون على حديث أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها ، على أن يعملوها من أموالهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم شطر ثمرها ، وأبو حنيفة يقول إن المساقاة مخالفة لأصول ممنوعة ، منها المزابنة ، وبيع ما لم يخلق ، وكراء الأرض ببعض ما يخرج منها وهو المعروف عند الفقهاء بالمخابرة .

قال الجمهور نعم إنها مخالفة للأصول ، ولكنها رخصة ثابتة بهذا الحديث .

ثم اختلفوا فى محل المساقاة ، فالذين يرون أن الرخصة يقتصر فيها على ما ورد قالوا لا تكون المساقاة إلا فى النخل فقط ، لأن المحل الذى ورد فيه الترخيص هو النخل ، والذين يجيزون القياس فى الرخص قالوا : تجوز المساقاة فى كل أصل ثابت من نخل أو كرم أو رمان أو تين أو زيتون أو ما أشبه ذلك ، بل زاد المالكية أنه فى حالة الضرورة تجوز المساقاة حتى فى الأصول غير الثابتة كالمقاتى والبطيخ مع عجز صاحبها عنها ، وفى بيان سبب الخلاف يقول ابن رشد : « فعمدة من قصرها على النخل أنها رخصة فوجب ألا يتعدى بها محلها الذى جاءت به السنة ، وأما مالك فرأى أنها رخصة ينقدح فيها سبب عام فوجب تعدية ذلك إلى الغير » (١) .

وبهذا يتبين أنه قد يقاس على الرخص .

وقد بين الشاطبى فى كتابه الموافقات ذلك حيث ذكر أن الشريعة عامة « وإن فرض فى نصوصها أو معقولها خصوص ما ، فهو راجع إلى عموم ، كالعرايا ، وضرب الدية على العاقلة ، والقراض ، والمساقاة ، والصاع فى المصراة ، وأشباه ذلك ، فإنها راجعة إلى أصول حاجية أو تحسينية أو ما يكملها ، وهى أمور عامة ، فلا خاص فى الظاهر إلا وهو عام فى الحقيقة » .

وقد علق على ذلك شارحه المرحوم الشيخ عبدالله دراز بقوله : « فعموم النهى عن الغرر ، وعدم مسئولية الشخص عن فعل غيره ، وفساد المعاملات المشتملة على الجهالة فى الثمن أو الأجرة مثلا ، يشمل بظاهره هذه المسائل ، ولكن لما كان لها فى الواقع علل معقولة تجعل حكمها مغايرا لحكم العموميات المذكورة ، وقد أخذت حكمها المعقول على خلاف حكم ما يشملها فى الظاهر ، أطلقوا عليها أنها مستثناة ، وقالوا إنها خاصة ، وهى فى الحقيقة قواعد كلية أيضا أثبتت على أصول من مقاصد الشريعة الثلاث » (١) .

وبهذا يتبين أن تسمية الفقهاء لبعض ما أبيح مع اشتماله على ما يقتضى تحريمه « رخصة » إنما هى تسمية ملاحظ فيها مجرد مغايرة حكم الصورة المباحة لمقتضى النهى الشامل لها ، وإلا فهى فى الحقيقة أصل كلى متفق مع روح التشريع فى التيسير ودفع الحرج .

⁂

[١] بداية المجتهد لابن رشد ص ٢٠٣ ج ٢ طبعة صبيح .

(١) انظر ص ٧٨ ج ١ من الموافقات وتعليق المرحوم الشيخ عبدالله دراز عليها فى نفس الموضوع .

وثمرة هذا البحث أننا نستطيع أن نرسم على ضوئه منهجا فقهيا فى دراسة المعاملات الحديثة ، يقوم على دعامات ثلاث :

الدعامة الأولى : أن من حق المجتمع الإسلامى أن يبتكر ماشاء من ألوان المعاملات، وأن يجارى النشاط الاقتصادى العالمى بالمساهمة فيه حسب الطرق الحديثة دون تحرج ، وأن الله لم يوجب على الناس أن يلتزموا صوراً خاصة من المعاملات لا يتجاوزونها ، وليست الصور التى يبحثها أهل الفقه والحديث إلا ألوانا من المعاملات يمكن أن يضاف اليها ويحذف منها ويعدل فيها ، فى ظل أصول الشريعة من رعاية المصالح ، وحفظ النفوس والأموال والأخلاق وعدم الحرج والتعسير .

والمسلمون إذا عرفوا ذلك وعملوا بمقتضاه ، يدفعون عن أنفسهم ودينهم تهمة طالما أخلد إليها الأجانب والمغرورون بهم ، فإنهم يقولون : إن الشريعة الإسلامية تمنع المؤمنين بها من مجاراة عالم الاقتصاد الحديث ، وتوجب عليهم أن يظلوا على أساليبهم القديمة فى التجارة وشروط الشركات المعقدة التى ضيق بها الفقهاء على الناس ، وما دام المسلمون يرون هذا دينا واجب الاتباع فسيبقون عاجزين عن مجاراة الأساليب الحديثة ، قابعين وراء أساليب القرون الخالية .

الدعامة الثانية : أن الأصل فى المعاملات الإباحة ، فلا يجوز المسارعة إلى تحريم صورة من صور المعاملات المحدثة حتى يتبين أن الله حرمها .

الدعامة الثالثة : أن اشتمال المعاملة على ناحية من نواحى المنع والتحريم لا يكفى فى القول بتحريمها ، بل لابد من دراسة هذه الناحية ، ودراسة حال الناس فى شأنها ومدى ماتشتمل عليه من منفعة أو مضرة ، فقد يظهر أن منفعتها غالبة على مضرتها ، أو أن مضرتها من النوع الذى يمكن التغاضى عنه تيسيراً على الناس ، فيسلك بها مسلك الترخيص ، أو أنها من المعاملات التى يمكن تهذيبها وتقويم العوج فيها .

* * *

بهذا المنهج نستطيع أن نعيد الشريعة إلى مجال التعامل والاقتصاد بعد أن نحيت عن هذا المجال منذ جمد المتأخرون من أتباع الفقهاء على ما ورثوا دون أن يتابعوا النظر ، أو يحاولوا درس الجديد من ألوان المعاملات .

والله الموفق للصواب ؟

**محمد محمد المدنى**

أستاذ الشريعة الإسلامية

فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

# نفحات القرآن

## واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة

« يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب ، يردوكم بعد إيمانكم كافرين ١٠٠ * وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ١٠١ * يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ١٠٢ * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٣ * ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ١٠٤ * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم ١٠٥ * » .



هذه الآيات الكريمة من سورة آل عمران عظيمة الجدا ، كثيرة الفائدة ؛ فهى تحذر المسلمين من معاول لا تزال تنقض مجتمعهم وتحاول هدمه ، وهى سعاية الأعداء فيهم ، ونشر النمائم بينهم . ولا سلامة لمجتمعهم إلا بعصيانهم والحذر منهم ورد نصحهم عليهم ، وكيف يرجى النصح ممن ينطوى على غل وضغن وحسد وحقد ؟ ثم أمرهم الله بأوامر فيها قوة المجتمع وعون على دفع كيد الكائدين :

أولها : تقوى الله حق تقاته باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وأن يلزم المؤمنون الإسلام ، حتى لا يموتوا إلا وهم مسلمون .

ثانيها : أن يعتصموا بحبل الله جميعا وهو كتابه وعهده الذى عهد إليهم فيه من الألفة والجماعة .

ثالثا : أن يذكروا نعمة الله عليهم إذ جعلهم إخوانا متحابين بعد أن كانوا أعداء متباغضين ؛ وذلك أنه جعلهم وحدة اجتماعية . جمعهم على دين واحد ورب واحد ، فصاروا إخوانا متعاونين على دفع الأعداء ، يردون

من أرادهم بسوء. أراد منهم أن يذكروا ذلك دائما ليعلموا فرق ما كانوا عليه وما آلوا إليه. فيعلموا أن الخير الذى نالوه والشر الذى نجاهم الله منه إنما كان بنعمة الإسلام، فيحافظوا عليه ويعضوا عليه بالنواجذ ولا يفرطوا فيه.

رابعها: أن تكون منهم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فتحافظ على هذه القواعد أن تنهار فينهار البناء.

وبذلك يكون المجتمع الإسلامى قوى البنيان متين الأركان، كالجبل الأشم ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير.

يبين الله لنبيه والمسلمين فى هذه الآيات: أن من أهل الكتاب من اليهود والنصارى من هم منطوون لهم على غش وغل وحسد وبغض، وأن الحيطة تقضى ألا يقبلوا منهم رأياً ولا نصحاً، فإنهم يبثون النميمة بين المسلمين متنصحين، وهم السم الناقع والبلاء النازل، فإن أطاعوهم أضلوهم وردوهم بعد إيمانهم كافرين يتعادون ويتقاتلون.

ثم قال: «وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم».

المراد بالاستفهام هنا الإنكار والتعجب: أى من أين يتطرق إليكم الكفر والضلال وأنتم تتلى عليكم آيات الله على لسان نبيكم غضة طرية، وفيها العظة والإرشاد لما فيه نفعكم، والنهى والتحذير عما يضركم، وفيها الأمر بالاجتماع والألفة، والتحذير من الانقسام والفرقة.

ومن يتعلق بأسباب الله فيتمسك بدينه وطاعته، فقد وفق لطريق واضح ومحجة مستقيمة لا أمت فيها ولا اعوجاج.

والاعتصام من العصم وهو المنع، فكل مانع شيئا فهو عاصمه، والممتنع به معتصم به. قال الفرزدق:

أنا ابن العاصمين بنى تميم
إذا ما أعظم الحدثان نابا

ولذلك قيل للحبل عصام، وللسبب الذى يتسبب به الرجل إلى حاجته عصام. قال الأعشى:

إلى المرء قيس أطيل السرى
وآخذ من كل حى عصم

يعنى بالعصم الأسباب وهى الذمة والأمان.

روى الواحدى بسنده فى سبب نزول هذه الآيات عن عكرمة قال: كان بين هذين الحيين من الأوس والخزرج قتال فى الجاهلية، فلما جاء الإسلام اصطلحوا وألف الله بين قلوبهم، وجلس يهودى فى مجلس فيه نفر من الأوس والخزرج فأنشد شعراً قاله أحد الحيين فى حربهم، فكأنما دخلهم من ذلك شىء. فقال الحى الآخرون وقد قال شاعرنا فى يوم كذا: كذا وكذا، فقال الآخرون وقد قال شاعرنا فى يوم

كذا كذا وكذا ، فقالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يآل أوس ، ونادى هؤلاء يآل خزرج ، واجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال، فنزلت هذه الآية فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته، فلما سمعوا صوته أنصتوا وجعلوا يستمعون ، فلما فرغ ألقوا السـلاح وعانق بعضهم بعضا ، وجعلوا يبكون .

وقال زيد بن أسلم : مر شاس بن قيس اليهودى ، وكان شيخا قد غبر فى الجاهلية ، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم ، فمر على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج فى مجلس جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم فى الإسلام ، بعد الذى كان بينهم فى الجاهلية من العداوة ، فقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد . لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار . فأمر شابا من اليهود كان معه فقال اعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم ذكرهم بعاث وما كان فيه ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار . وكان بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج . وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج . ففعل فتكلم القوم عند ذلك . فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين : أوس بن قيظى أحد بنى حارثة من الأوس ، وجابر بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج ، فتقاولا وقال أحدهما لصاحبه إن شئت رددتها جذعا . وغضب الفريقان جميعا وقالا ارجعا . السلاح ! السلاح ! موعدكم الظاهرة . وهى حرة فخرجوا إليها . فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم . فقال يا معشر المسلمين أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟ الله الله .. ! فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا ، وعانق بعضهم بعضا . ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين . فأنزل الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا » يعنى الأوس والخزرج « إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب » يعنى شاسا وأصحابه « يردوكم بعد إيمانكم كافرين » .

فهذا شاس بن قيس اليهودى الذى انطوى صدره على غل وحقد على المسلمين ، قد غاظته ألفتهم واجتماعهم ، ففكر فيما يفرق جمعهم ويصدع ألفتهم . وأى شىء أبلغ من أن يذكرهم بحروبهم فى الجاهلية ، وما قالوا فيها من أشعار يفخر فيها بعضهم على بعض ، ويعير فيها بعضهم بعضا بمن قتل منهم ؛ وذلك يبعث الأضغان

القديمة من مراقدها ، والإحن الكامنة من مكامنها وكذلك كان .

لاتظنوا أيها المسلمون أن شاس بن قيس قد هلك وانقضى ، بل هو حي يرزق تجدونه فى كل بيت وفى كل بلد وفى كل مملكة يمشى بينكم بالنميمة ، ويخوف الأخ من أخيه ، والوالد من أبيه ، حتى يفرق جمعكم ، ويشعب ألفتكم .

ومن عجب أن هـــذا الداء ساير الأمة الإسلامية من يوم وجدت إلى يومنا هذا ، ولا يزال داؤها العضال هو شاس بن قيس ! ينفث سمومه كالأفعى ؛ فيحل العقد الوثيقة والروابط المحكمة بين المسلمين و يفصم عرى التعاون والتراحم بينهم .

ومن عجب أن الله تقدم إلى هذه الأمة من يوم وجدت ، فعرفها هذا الداء وعرفها الدواء ، فى تلك الآيات الذهبية . فلم تفطن له ولم ترد كيده فى نحره وخدعت بدسائسه فيها ، فنال منها ما أراد من تمزيق ألفتها وتصديع وحدتها .

ثم لا يمنعها ما لاقت منه بالأمس أن تعود فتصدقه اليوم ، فهل آن للمسلمين أن يحذروا كيد الأعداء ، وتنصح البعداء . . . !

ألا صيحة توقظ النائمين ، وتنبه الخامدين !

ألا قارعة من تلك القوارع تقرع أسماعهم !

ألا زجرة من تلك الزواجر توقظ قلوبهم !

ألا نفحة من تلك النفحات تفتح عيونهم على الأعداء والأصدقاء . . ! فيروا هؤلاء الأعداء المتنصحين على حقيقتهم يصدعون الجمع ، ويفرقون الشمل ، ويروا الضعف الناشئ عن الفرقة ، والمصير السيئ المحتوم بالتشتت والانقسام ، فيعصوا الأعداء المتنصحين ويلموا الشمل ويرأبوا الصدع ، قبل أن يلتهمهم العدو الفاغر فاه . . . ! وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ؟

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

---

مثل المصلح فى الأمة كالمصباح فى الصحراء لا ينشر ضوءه إلا إذا تركته الرياح آمنا .

* * *

مثل المتكبر كمثل الرجل فوق قمة الجبل يرى الناس صغاراً وهم يرونه صغيراً .

* * *

المتصل بمال السلطان كالسفينة فى البحر ، إذا أخذت منه فى جوفها أخذها فى جوفه .

* * *

الأرض لولا الرياض واحدة والناس لولا الفعال أمثال

# الإسلام وحاجة الإنسانية إليه

## للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

كانت الإنسانية تتطلع زمنا طويلا إلى دين جديد ؛ دين يدعو إلى العقيدة الحقة ، ويبين للناس الشريعة العادلة السمحة ، والأخلاق الفاضلة ، والنظم التي تقوم بها الأمة . وكان هذا الدين هو الإسلام آخر الرسالات الإلهية ، فليس لنا أن ننتظر دينا آخر توحى به السماء ؛ كما كان رسوله صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل والمصطفين الأخيار ، فليس لنا أن نرجو ظهور رسول آخر من لدن الله العلي الحكيم .

ما الذي نرجوه إذن لإصلاح هذا العالم الذي نعيش فيه ، بعد أن أفلست كل نظمه السياسية والأخلاقية ، والاقتصادية والاجتماعية ، وبعد أن نجحت فيه فلسفات تدعو إلى إنكار وجود الله ، والتحلل من شريعته ومن الأخلاق الفاضلة ؟

إنه لا شيء إلا هذا الدين الإسلامي نؤمن به حقاً ونفهمه حقاً ، ونعمل بما أتى به من عقيدة وشريعة وخلق ونظم ، ويكون له منا دعاة وزعماء مخلصون لله ورسوله : دعاة وزعماء يجعلون حياتهم وقفا على الدعوة إليه ، ويرون سعادتهم في القيام بهذا الواجب النبيل المقدس ويكونون في سرهم وعلانيتهم مثلا طيبة وقدى صالحة تدعو بنفسها إلى الإسلام .

هذا الدين لا يزال العالم في حاجة شديدة إليه ، ولا خلاص للإنسانية مما تعانيه إلا بالإيمان به واتباعه ؛ فهو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، والداعي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم .

وما أشبه اليوم بالأمس ! فقد ظهر الإسلام والعرب والعالم كله في أشد الحاجة إليه ، فآتاهم العقيدة الحقة بعد أن ضل القوم فيها ضلالا بعيداً ، والشريعة الصحيحة بعد طول ما عصفت بهم النزعات والأهواء ، والنظم الصالحة لبناء أمة قادرة على أن تسهم في بعث العالم ونهضته ووحدته ، وكان من هذه الشريعة والنظم ما نسميه « الفقه الإسلامي » .

* * *

هذا ، وقد كنت على عزم أن أتناول بالبحث في مجلة الأزهر ، في هذا العهد المبارك بإذن الله وفضله ، الفقه الإسلامي ووجوب تجديده وتطوره على أسس كتاب الله وسنة رسوله ، واجتهاد فقهاء الصحابة والتابعين .

ولكننى رأيت من الخير أن أبدأ بالحديث عن خصائص الإسلام : الدين العام الخالد على مدى الأزمان .

هذا الدين الذى ندعو إليه جاهدين ، والذى لا خلاص للعالم إلا بما جاء به من أخوة وإنسانية ، بعد أن انقسم العالم إلى معسكرات يتربص بعضها ببعض الدوائر ، وبعد ما انتابه من محن وويلات لا يدرى طريق الخلاص منها !

على أنه ليس من اليسير أن يستقصى الباحث كل خصائص الإسلام ، هذه الخصائص التى صار بها خاتم الرسالات الإلهية ، كما صار الدين الحق الذى ارتضاه الله للعالم والناس جميعا حتى تقوم الساعة ويكون الملك لله تعالى وحده .

ولذلك نكتفى هنا أن نتحدث بإيجاز عن بعض هذه الخصائص التى تفرد الإسلام بها ، وهى أنه دين الوحـــدة الدينية ، والوحدة السياسية . والوحدة الاجتماعية ، ودين العقل والوضوح ، ودين الحرية ، ودين الإنسانية وهو لذلك كله دين ودولة ونظام ، والدين الذى صدع بحقوق الإنسان منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ونصف من الزمان .

**الإسلام دين الوحدة الدينية :**

نعم الإسلام هو دين الوحـدة لا التوحيد فقط ، فإن كلمة « التوحيد » قد أخذت معنى أو مدلولا خاصا لا تعدوه ، وهو القول بإله واحد خلق السموات والأرض وما بينهما ، وإليه وحده يرد الأمر كله ، وهذا فى مقابلة القول بإلهين اثنين أو آلهة متعددة .

على حين أن الإسلام لا يدعو إلى توحيد الخالق فحسب ، بل إنه قام على مد الوحـدة فى كل أمر وشىء : فى الناحية الإلهية ، والناحية السياسية ، والناحية الاجتماعية ، إلى غير هذا وذاك كله من نواحى العالم والحياة .

فقد جاء والناس فى العالم كله يعبدون آلهة شتى ، فكان أول ما عنى به رفض هذه الآلهة جميعا ، وتقرير أنه ليس إلا إله واحـد هو مالك الأمر كله ، فليس هناك آلهة كثر كما يرى المشركون بعامة ، ولا إله للخير وآخر للشر كما كانت عليـه الديانة الثنوية بفارس ، ولا آلهة ثلاثة على ما يعتقد النصارى بعد أن حرفوا التوراة والإنجيل .

وقد قرر القرآن العظيم هـذه العقيدة التى قام عليها فى آيات كثيرة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : « قل هو الله أحـد » ، « وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا » ، « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » ، « قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون » .

ومن هذه الآيات أيضا قوله تعالى مخاطبا النصارى الذين كفروا بالمسيحية الصحيحة

« ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم » ، وقوله فى آية أخرى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد » .

ومن العجيب حقا ، الدال على فساد العقل وضلاله وعدم التمييز بين الحق والباطل ، أن أولئك المشركين ـ وقد جاءهم القرآن بعقيدة التوحيد وأقام عليها الأدلة العقلية والحسية التى لا ريب فيها ـ كانوا يقولون كما حكى القرآن عنهم : « أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشىء عجاب » !

يقولون هذا وهم يرون أن مازعموهم آلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم شيئاً ، وأنها لن تستطيع أن تخلق ذبابا ولو اجتمعوا له وكان بعضهم لبعض ظهيرا . ولكنه ضلال العقل ، وفساد الحس ، وسلطان التقاليد .

ولم يكتف الإسلام بتقرير هذه « الوحدة » فى الإله الذى يستحق العبادة ، بل بين لنا أنه وسائر الأديان السماوية التى سبقته « وحدة » واحدة ، وأنها جميعا رسالة واحدة من الله تعالى للبشرية عامة يكمل بعضها بعضا طبقا لسنة التدرج فى التعاليم والتربية ، وكلها يصرف إلى غاية واحدة وإن اختلفت وسائل الوصول إليها باختلاف الأزمان والناس .

ولنستمع فى هذا إلى قوله تعالى فى سورة البقرة : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ؛ لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » .

ومثل هذا قوله تعالى فى أواخر هذه السورة نفسها : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » .

ولنسمع كذلك فى هذه الناحية إلى ما جاء فى سورة الشورى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، ثم إلى أمره تعالى فى السورة نفسها لرسوله أن يقول : « آمنت بما أنزل الله من كتاب » أى بالقرآن وسائر الكتب السماوية السابقة زمانا عليه .

ففى هذه الآيات ـ ولو شئنا لآتينا بالكثير أمثالها فى هذه الناحية ـ دليل أى دليل ! ، على أن الإسلام يعتبر أن رسالات الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام « وحدة » لا تحتمل التفرقة ، وأن من لم يؤمن بإحداها لا يكون مسلما قط . وأنه ـ نتيجة لهذا ـ يكون الناس جميعا أمام هذه الديانات والشرائع وأمام الله سواء ، بلا تفرقة بين أتباع هذا أو ذاك من الرسل ، ما داموا جميعا يؤمنون برسالة خاتم الرسل والأنبياء .

والإسلام بعد هذا ، لم يقل كما قال أتباع موسى وعيسى عليهما السلام : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » بل رد على هذه المقالة بما يفصل بين الأديان وأصحابها ومتبعيها ، فقال : « بلى » من أسلم وجهه لله وهو محسن ، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

كما قال قبل هذه الآية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ومن البدهى أن الايمان بالله يقتضى الإيمان بكل رسله وبما جاءوا به ، ومنهم طبعا خاتم الأنبياء والمرسلين .

وهذا الأصل الذى تضمنته هاتان الآيتان الأخيرتان ، يقرر صراحة ماجاء به الإسلام من « الوحدة » فى الدين ورسالات الله لأنبيائه ورسله ، وما يتبع ذلك من « الوحدة » فى الحقوق والواجبات ، وفى المسئولية والجزاء فى الدنيا والآخرة .

ومن هنا نرى الإمام « الشاطبى » يلاحظ فى كتابه « الموافقات » أن السور المكية من القرآن قررت من الأصول والتشريعات الأمور الكلية العامة ؛ يعنى الأمور التى لا تخص فردا دون فرد أو فريقا من الناس دون فريق . والتى تبقى دائما أبداً لأنها كلية عامة إذ لا يخالف فيها دين دينا ، ولذا يكون من صالح العالم كله أن يظل متبعا لها فى كل زمان ومكان .

## وهو دين الوحدة السياسية

ذلك من الناحية الدينية الإلهية ، ومن الناحية السياسية نرى أن الله تعالى قد من على العرب بالإسلام وهم قبائل متفككة الروابط ، متقطعة الوشائج والأوصال ؛ فبعضهم لبعض عدو ، وبعضهم لبعض حرب ، وكان من هذا ما عرفه التاريخ باسم « أيام العرب » أى حروبها فى العصر الجاهلى .

وكان لبعض البلاد العربية « إمارات » عليها أمراء يحكمونها ويلون أمورها ، ولبعضها ضرب من الاستقلال ، وإن كانت تتبع سياسيا دولة الفرس أو دولة الرومان ، فماذا صنع الإسلام بتلك القبائل وهؤلاء الأقوام المتفرقين ؟

كان أن صنع منهم أمة واحدة حقا ، لها رئيس واحد ، وتتبع سياسة واحدة ، وتستهدف غاية واحدة ؛ وهذه الغاية فى نشر الدين الحق للإنسانية جميعاً ، وذلك ليكون هاديها إلى الخير فى الدنيا والآخرة .

وكان من أوائل ما صنع الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الناحية ، وهو يدرك تمام الإدراك رسالته وأهدافها وغايتها ، أن عمل

على إزالة ما كان بين الأوس والخزرج بمدينة « يثرب » من عداوة ظلت دهرا طويلا مشبوبة الأوار ، وذلك بأن وحد بينهم وجعلهم « الأنصار » له على أعدائهم من المشركين ، وهذا على ما هو معروف من تاريخ فجر الإسلام .

ثم كان ، بعد أن هاجر إلى « المدينة » ، أن آخى بين المهاجرين والأنصار ، فصاروا إخوانا فى الدين وفى كل شىء ، ويداً واحدة فى الجهاد فى سبيل الله ودينه الذى ارتضاه لهم وللناس جميعاً ، يؤلف الدين بين قلوبهم ، ويتعاونون فى السراء والضراء .

وكان من أثر هذه « الوحدة » السياسية ، التى جاء بها الإسلام وعمل لها الرسول والمؤمنون ، أنه لما لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، واجتمع المسلمون فى « سقيفة بنى ساعدة » لاختيار خليفة له ، رأى الأنصار أن لهم حقاً أن يكون الخليفة منهم لسابق نصرتهم للإسلام ورسوله .

ولكن أبا بكر الصديق رضى الله عنه والمهاجرين جميعاً مع عرفانهم فضل الأنصار ومآثرهم ، ذهبوا إلى أن يكون الخليفة من قريش لما أثر عن الرسول ، وهنا قال « الحباب بن المنذر » من الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فقال عمر بن الخطاب : هيهات لا يجتمع اثنان فى قرن ! وكان أن انتهى الأمر بتولية أبى بكر الخلافة .

وهكذا مضى الأمر أيام مجد الإسلام والعرب والمسلمين ، فلم يكن إلا خليفة ورئيس واحد للأمة كلها ، على اتساع الدولة الإسلامية وترامى أطرافها ، وكان هذا محافظة على « الوحدة » السياسية للأمة كلها .

وفى هذا السبيل ، سبيل الاستمساك بوحدة الأمة السياسية ، يرى فقهاء القانون الدستورى والإدارى فى الإسلام أنه لا يجوز أن يكون خليفتان فى الأمة الواحدة ، حتى إنه ليجب قتال من يخرج على « إمام » عصره طالباً الخلافة لنفسه بغير وجه حق .

فأين هذا مما نحن عليه اليوم من تجزئة الأمة الإسلامية العربية إلى دول ، حتى ... بلد رئيس وعلم ، مع ... إلى الاتحاد وجمع الكلمة وتوحيد القوى .

## وهو أيضا دين الوحدة الاجتماعية

وإذا تركنا الجانب السياسى إلى الجانب الاجتماعى ، نرى « الوحدة » التى قررها الإسلام فى هذه الناحية بلغت من الروعة والجلال حد الإعجاب ، وصارت مثلا فريدا يتحدى التاريخ والأمم جميعا .

فليس فى الإسلام تقسيم أبنائه إلى طبقات ، على خلاف الديانة البرهمية فى الهند التى تجعل متبعيها طبقات على رأسها البراهمة أو الكهنة ، وفى الحضيض السفلة أو الأنجاس . وليس بين المسلمين من يقول : نحن أبناء الله

وأحباؤه ، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، كما يزعم اليهود والنصارى .

بل إن الإسلام يقرر فى صراحة لا لبس فيها ، وفى قوة لا هوادة معها ، « وحدة » الناس جميعا من الناحية الاجتماعية . ومن ثم ، يتساوى أبناؤه جميعاً فى الحقوق والواجبات ؛ لا فرق بين جنس وجنس ، ومهما اختلفت الأحساب والأنساب .

فقد محا الإسلام من أول الأمر النعرة الجاهلية ، والتفاخر بالأصول والأنساب ، وإذ أبان أن أصل الناس جميعا واحد ؛ وهذا إذ ينادى كتابه الأول : « يا أيها الناس [illegible] ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا [illegible] ، إن أكرمكم عند الله [illegible] » ، وإذ لا يزال صوت رسوله المصطفى يجلجل بقوله : « كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

ومن أجل هذا ، ليس هناك طبقات فى الإسلام سببها الجنس أو النسب أو الجاه مثلا ، وليس فيه تشريعات للعربى وأخرى لغير العربى كما كان الأمر عند اليونان والرومان . بل المسلمون جميعاً « وحدة » واحدة من هذه الناحية أيضاً ، تحكمهم شريعة واحدة ؛ لا فرق بين الشريف وغير الشريف ، أو الغنى والفقير ، ولا بين الحاكم والمحكوم ، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى حادثة معروفة : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » !

بل إنه لا فرق فى هذا كله بين المسلمين وبين غيرهم من المقيمين بدار الإسلام وتحت لوائه ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقرر أن لهم ما لنا من حقوق وعليهم ما علينا من واجبات . وإن كان لهم أن يتحاكموا إلى شرائعهم فى مسائل « الأحوال الشخصية » ؛ فقد أمرنا الرسول بتركهم وما يدينون به .

وكذلك نجد الإسلام ساوى بين هؤلاء وبين المسلمين فى وجوب أن تعين الدولة مالياً من يحتاج منهم إلى العون والمساعدة ؛ لعجزه عن العمل أو لأنه لا يجد إليه سبيلا ، وقد كان من عمر بن الخطاب أنه أمر فى كتاب عام له أن يعطى العاجز عن العمل منهم ما يكفيه هو وعياله ما أقام بدار الإسلام .

وهكذا كما رأينا ، جعل الإسلام كل أبنائه « وحدة » واحدة فى كل حال ، من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية ، وهذا ما لا نجده فى دين آخر ؛ وذلك لأنه دين « الوحدة » الجامعة الشاملة ، ودين الإنسانية عامة ؟

[illegible]
أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية
بحقوق عين شمس

# فى التحليل النفسى للأدب

# الشاعر الذليل ابن سهل الأندلسى

## للأستاذ كامل الدسوقى

دعامة الإسلام العزة والقوة .

ودعامة المسيحية الرحمة والشفقة .

ودعامة اليهودية الذل والإشفاق .

هذا مجمل ما انتهت إليه دراسات الأديان المقارنة .

فبينما الإسلام يبعث فى النفس الاعتزاز بالذات ، ويعلى من شأن الكيان الفردى بما يدعو إليه من الاعتداد بالرأى ، والحرية فى الفكر ، وسلوك أى السبيلين إلى الخير أو الشر بمحض الرغبة والاختيار .

إذا المسيحية دين التسامح والخضوع - التسامح مع النفس ومع الغير خصوصا فيما هو حق لك - ابتغاء المحبة ، واجتناب العداوة والبغضاء وإيثاراً للسلام النفسى والإنسانى . والخضوع إلى حد التكفير والاستغفار حتى عن سيئات الغير ، ممن قد لا تعرف من بنى البشر اقتداء بحياة [illegible] التى كانت كلها نبلا وسمواً وتضحية . .

أما اليهودية فقد طبعت أتباعها — بما نشأت عليه من تقاليد صارمة قاسية ، وما جاءت به من تعاليم مهلكة — بطابع الحرص والخوف ، والاستعباد ، وذلك لما باعدت بين العبد والرب ، وما جعلت من الصعوبات والعراقيل دون التقرب إليه أو الطمع فى نيل ثوابه ورضوانه .

فأنت ترى أنه بينما الإسلام يجعل المرء بعقله وعمله وإيمانه على صلة مباشرة بالله أساسها العزة والكرامة ؛ فالمسيحية تصل العبد ( بالرب ) عن طريق الاقتداء والتشبه ( بالابن ) فى التضحية والفداء ونكران الذات ، وعموما بتمثل ( الروح القدس ) ؛ أما اليهودية فتوحى بقطع الصلة المباشرة أى بالواسطة بين العبد والرب ، وتوسع البون بينهما إلى حد ييأس معه الناس من أى أمل أو [illegible] أو غفران .

ومن هنا كان سلوك أصحاب هذه الأديان صدى واضحاً لما وقر فى نفوسهم ، وتوارثوه عن أجدادهم ، من مقتضيات العمل للدنيا والآخرة . فاليهودى يائس من الآخرة مقبل

على الدنيا بحرص ونهم، والمسيحى معرض عن الدنيا: يميل إلى الرهبنة والانطواء والسكينة مهما يكن حظه من الجاه والجد؛ أما المسلم فيجمع بين العمل للدين والدنيا فى اعتدال وجرأة وشجاعة.

خطرت لى هذه التحليلات وأنا أتسلى بقراءة ديوان ابن سهل الإسرائيلى الأندلسى هذا الشاعر العاطفى الرقيق - الفريد فى نوعه - الذى مات غريقا عن أربعين سنة (٦٠٩ - ٦٤٩) هـ.

وعجيب من اليهودى أن يكون شاعرا! فما أبعد عباد المادة والواقع الحى الملموس عن رياضة الخيال واصطناع الأدب والفن - لذات الأدب والفن - أنا أفهم أن يكون من اليهود علماء فى الذرة، وأن يشغلوا فى جامعات أوربا وأمريكا كراسى كثير من العلوم والرياضيات، بل أن يحتكروا فى فرنسا علما كالاجتماع طيلة القرن التاسع عشر - وحتى الآن - يتولاه فوكونيه عن ديركايم عن أوجست كونت، فيفسدونه بماديتهم أبشع إفساد... أفهم هذا ولا أنكره بقدر ما لا أسيغ أن أجد بين اليهود شاعراً... وشاعراً فى العربية!

ولكن إبراهيم بن سهل لا شك شاعر، وشاعر وجدانى يمكن أن يعترف به تاريخ الأدب العربى، وآية كونه شاعراً حقيقياً أنه لم يرض من فنون الشعر العربى - على كثرتها - إلا الغزل؛ الفن الذى يحتاج - مهما بلغ من إمكان تكلفه - إلى القلب والشعور:

كم ليلة بتها - والنجم يشهد لى
صريع شوق إذا غالبته غلبا
مردداً فى الدجى لهفى! ولو نطقت
نجومه؛ رددت من حالتى عجبا

....

ماذا ترى من محب ما ذكرت له
إلا شكا أو بكى أو حن أوطربا
يرى خيالك فى الماء الزلال إذا
رام الورود، فيروى وهو ماشربا!

وابن سهل على قلة ما شعر؛ لموته حدثاً؛ ثم على قلة ما بقى لنا من شعره؛ لضياع أغلبه؛ شاعر مقل غرير - يدور فى فلك بعينه من الأفكار والألفاظ والأهداف الشعرية، ولكن الطرافة والتجديد اللذين يصادفهما المرء أحيانا فى ثنايا شعره مما يوحى بالخسارة من فقده فى هذه السن التى هى بداية النضج. استمع إليه يصف معشوقه:

لحظ يرى القتل منى نفسه
والعاد أن يترك قلب الخلى
صور من نور ومن فتنة
والناس من ماء ومن صلصل
منسلب الحيلة والصبر لا
يأوى إلى عقل ولا معقل
ذو ضنة يمنع بذل المنى
قولا؛ ومهما قال لم يفعل

يا شرك الألباب كن مجملا
واستح من منظرك الأجمل
أخشى عليك العار من قولهم
معتدل القامة لم يعدل
أبيت فرداً منك ؛ لكننى
من المنى والذكر فى محفل
وقد رثى من سهرى فى الدجى
شقيقك البدر ولم ترث لى

فشاعر اشبيلية ووشاحها - كما سمى إبراهيم ابن سهل ؛ تقديراً لأثره فى الشعر ومكانه بين الشعراء - خصوصاً الأندلسيين - رجل ذو حس صاف ووجدان مشرق ؛ صفاء المدينة التى توجته وإشراقها ؛ الحب فيه طبيعة ، والطبيعة عنده حب :

انظر إلى لون الأصيل كأنه
لا شك لون مودع لفراق
والشمس تنظر نحوه مصفرة
قد خمشت خداً من الإشفاق
لاقت بحمرتها الخليج فألفا
خجل الصبا ومدامع العشاق
سقطت أوان غروبها محمرة
كالكأس خرت من أنامل ساق

وله فى الوصف هذه القطعة التى لم تخل منها محفوظات أحدنا أو أبنائنا ، لبساطتها وسهولة انسيابها وجمالها .

الأرض قد لبست رداء أخضراً
والطل ينثر فى رباها جوهراً
هاجت فخلت الزهر كافوراً بها
وحسبت فيها الترب مسكا أذفراً
والنهر ما بين الرياض تخاله
سيفاً تعلق فى نجاد أخضراً

وأبرز ما يستوقفك فى شعره عدا ما ذكرنا استغلاله الألفاظ وتلاعبه بها وتفننه فى رصفها - حتى الألفاظ الفنية المستعملة فى النحو والعروض وعلوم اللغة - مما يؤذن فى النهاية بأن الشاعر دخيل على العربية حديث العهد بدراستها واستذكار علومها ؛ فهو يظهر براعة متكلفة :

لك الثناء ، فإن يذكر سواك به
يوماً ؛ فكالرابع المعهود فى البدل

* * *

خفضت مكانى إذ جزمت وسائلى
فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا ؟

* * *

تنأى وتدنو والتفاتك واحد
كالفعل يعمل ظاهراً ومقدراً

* * *

إذا اليأس ناجى النفس منك «بلن» «ولا»
أجابت ظنونى «ربما» و «عسانى»

* * *

وأبادر فأقول إنه لم يرعنى فى شعر ابن سهل كل هذه المزايا بقدر ما راعتنى هذه الذلة والمهانة فى الحب التى أوحت إلى بالفكرة التى قدمت بها بين يدى هذا المقال : حقاً إن التذلل فى الحب والاستسلام للهوى شىء لا يعاب ، ولكن لابن سهل هذا الذل الناشىء عن طبع فيه أصيل :

يقولون لو قبلته لاشتفى الهوى
أيطمع فى التقبيل من يعشق البدرا
ولو غفل الواشون قبلت نعله
أنزهه أن أذكر الجيد والثغرا
ومن لى بوعد منه أشكو بخلفه
ومن لى بعهد منه أشكو به الغدرا

فأنت ترى أن حب الشاعر حب سلبى ذليل ، حب بينه وبين التقبيل ما بين السماء والأرض ، حب حظ صاحبه منه مجرد لثم النعل ، مجرد التماس الشكوى من الخلف والغدر ، حب كله عليه غرم وليس له فيه أى غنم ، وهو فى عرف الشعر مما يستملح لو لم يصدر عن روح اليأس والهوان التى تناولت تحليلها . فالاستسلام إذا صدر عن القوى المنتصر كان حلماً ، أما إذا صدر عن الرعديد الجبان لم يعد إلا ضعفاً وجبناً .

والشاعر نفسه يعبر عن ذله وهوانه على المحبوب ـ وهو يعنى من باب أولى ذله ذل اليهود على سائر الناس ـ معتذرا لقاتله عن أنه قد جشمه صعوبة قتله ( وأين هذا من الثأر العربى ! ) مما يتكرر فى كثير من شعره :

إنى له عن دمى المسفوك معتذر
أقول حملته فى سفكه تعبا
نفسى تلذ الأسى فيه وتألفه
هل تعلمون لنفسى بالأسى نسبا

وتبحث فى شعره عن تبرير لهذا اليأس القاتل فى الحب ماسببه ؟ وهل ضاقت بالمحب الوسائل وأعوزته الحيل ؟ وهل الذى خلق هذا الحبيب الذى لا يعترف بوجوده لم يخلق غيره ؟ فتفهم إيمان الشاعر بأن كل شىء مقدر بقضاء يسبق كل حيلة أو وسيلة ، وأن لا يدله فى رفع هذا الذل والمهانة فى الحب ، فضلا عن غيره من الشئون :

حديث عنقاء : صب أدرك الأملا
حظى من الحب أنى بعض من قتلا
أما لقد نصح العذال ، لو قبلوا
السيف من لحظ (موسى) يسبق العذلا
طلبت حيلة برء من محبته
فنص لى لحظه الأمراض والعللا

* * *

أشكو إلى الحدق المراض ، وضلة
أن يشتكى هدف إلى سهم مضى
بلوى على القلب المعذب جرها
لحظى الظلوم ولحظ موسى والقضا

عجائب لم تدرك : فعنقاء مغرب
وإقبال موسى ، أو زمان الصبا ردا

وإن الشاعر لتزداد مشكلته النفسية تعقيداً بأن يسلم . وسواء أكان إسلامه حقيقة أم رئاء الناس فإنه ارتداد عن دين آبائه وأجداده أملته ضرورة - ومهما يكن ارتد عن دين ذليل إلى آخر أقوى وأعز ، فإن عقله الباطن لا يزال يتهمه بالخيانة بقدر ما يصدمه الواقع الحي بأنه دخيل على الإسلام .

لقد أعلن إبراهيم إسلامه وأسلم فعلا ، فقرأ القرآن ودرس العربية وخالط المسلمين ومدح النبي محمدا - وقال الشعر العربي ، ولكن ذاته اليهودية قد تضاعفت بإسلامه وازدادت تعقيدا : استمع إليه يعترف :

تسليت عن موسى بحب محمد
هديت ولولا الله ما كنت أهتدى
وما عن قلى قد كان ذاك وإنما
شريعة موسى عطلت بمحمد

واختلف المؤرخون في حقيقة ( موسى ) الذي لم يرد في ديوان ابن سهل غير اسمه ، ولم يتغزل إلا فيه ولم يتغن إلا به . فقالوا هو نبي اليهودية وقالوا هو صبي أحبه ، وأغلب ظني أن الصبابة بموسى والتعذب في حبه والتألم لفراقه وتمني وصاله الميئوس منه الذي أيسر منه العنقاء والعجائب ورجوع الصبا ... كل هذا تنفيس عن هجر دين (موسى) وتكفير عن الخروج عليه والارتداد عنه .

وإلا فكيف نعلل عكوف الشاعر على الغزل المصطنع المتكلف لا يعدل عنه ؟ لو أن موسى هذا كان له حسن يوسف وكان هو على صلة آثمة به أفما كان لهذه الصلة نهاية بأن يكبر الصبي مثلا وتنقطع علاقته به فيحل غيره محله ؟ أو ليكن الشاعر منحرفاً يعشق الغلمان ، ألم يتح له مرة واحدة أن يحب أو يخالط امرأة فيعدل عن التعلق بموسى هذا ؟

إن اسم موسى في شعر ابن سهل ليس من الشعر ، إنما يهتف في ذهني وتحليلي لنفسيته بأنه دخيل على العربية والإسلام . ولك أن تعترض بأن كثيراً من أدباء العربية وشعرائها في المشرق كانوا أعاجم دخلاء ، فأجيبك بأن فصاحة ابن سهل ورقته وتمكنه من اللغة والدين الجديد - إن صح - لم تخنه . إنما الذي فضحه ما لازمه وتضاعف عليه من ذل اليهودية .

فليس كالعربية لغة تريك المطبوع والمصنوع . واقرأ عينيته في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لتتثبت مما أقول !

كمال دسوقي

# نظرية ارتقاء الأنواع وانشعاب بعضها من بعض عند مفكرى الإسلام

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

يقترن اسم دارون (١) بنظرية ارتقاء الأنواع، وانشعاب أعلاها من أدناها (٢) وتفرع الإنسان عن القردة العليا (٣) أو تفرعها هى والإنسان عن أصل واحد مجهول.

وقد جرت عادة الباحثين فى «علم الحياة» (٤) حينما يعرضون لنظريات دارون أن يذكروا لها أشباها ونظائر عند بعض القدامى من باحثى الفرس والهنود واليونان، ولبعض المحدثين السابقين لدارون من علماء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وخاصة لامارك الفرنسى (١).

ولكن لم يفطن أحد منهم إلى أن مجمل النظرية وكثيراً من تفاصيلها، حتى ما تعلق منها بأصل الإنسان وصلته بفصائل القردة، قد قال بهما مفكر عربى ظهر قبل دارون بنحو خمسة قرون: ذلكم هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون (٢).

---

١ ــ هو شارل روبرت دارون Charles Robert Darwin من أشهر علماء الإنجليز فى علوم الطبيعة والحياة ووظائف الأعضاء، ولد سنة ١٨٠٤ وتوفى سنة ١٨٧٢ ومن أشهر مؤلفاته التى بسط فيها نظريته كتاب «أصل الأنواع» وقد تابعه فى مذهبه هذا عدد كبير من الباحثين من أشهرهم من الإنجليز هكسلى Huxley «١٨٢٥ — ١٨٩٥» وهربرت سبنسر Herbert Spencer «١٨٢٠ ـ ١٩٠٣»

٢ ــ اشتهرت هذه النظرية باسم النظرية الارتقائية Evolutionnisme واشتهر أنصارها باسم الارتقائيين أو أصحاب مذهب النشوء والارتقاء Evolutionnistes.

٣ ــ يطلق اسم القردة العليا Anthropoides على أنواع من القردة مجردة من الذيول وتشبه الإنسان شبها كبيرا فى تكوينها الجسمى، ومن أشهرها: الغوريلا؛ والشمبنزيه؛ والجيبون؛ والأورانج ـ أو طانج.

٤ ــ هو ما يسمى بعلم البيولوجيا Biologie

---

١ ــ هو جان باتيست لامارك Jean Baptiste Chevalier de Lamarck من أشهر علماء فرنسا فى علوم الطبيعة والحياة ووظائف الأعضاء. ومن أشهر مؤلفاته التى بسط فيها نظرية ارتقاء الأنواع كتاب «فلسفة علم الحيوان» Philosophie Zoologique وتاريخ الحيوانات عديمة الفقرات Histoire des Animaux sans vertébres ولد سنة ١٧٤٤ وتوفى سنة ١٨٢٩

٢ ــ ولد ابن خلدون بتونس سنة ١٣٣٢ وتوفى بمصر سنة ١٤٠٦ ( انظر تاريخ حياته ومكانته العلمية وإنشاءه لعلم الاجتماع فى كتابنا: «ابن خلدون منشئ علم الاجتماع». ــ مكتبة نهضة مصر بالفجالة).

وبحسبنا دليلا على ذلك أن نورد فيما يلى بعض ما جاء على قلم ابن خلدون خاصا بهذا الموضوع، وسنضع خطا تحت ما يشير منه إشارة صريحة إلى ارتقاء الأنواع واستحالة بعضها إلى بعض وإلى انطباق هذا القانون على الإنسان وصلته ببعض فصائل القردة. فقد جاء فى المقدمة السادسة من الفصل الأول من الكتاب الأول من مؤلفه الشهير فى التاريخ الذى سماه «كتاب العبر، وديوان المبتدا والخبر، فى أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» (١) ما يلى:

«اعلم، أرشدنا الله وإياك. أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام، وربط الأسباب بالمسببات، واتصال الأكوان بالأكوان، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض، لا تنقضى عجائبه فى ذلك ولا تنتهى غاياته. وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجثمانى. وأولا عالم العناصر المشاهدة، كيف تدرج صاعداً من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصلا بعضها ببعض. وكل واحد منها مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً وهابطا ويستحيل بعض الأوقات.. ثم انظر

---

(١) يشتمل هذا المؤلف على ستة أقسام. «أحدها» الخطبة أو الديباجة أو الافتتاحية وتشغل نحو سبع صفحات. «وثانيها» تمهيد يشغل نحو ثلاثين صفحة، وقد سماه المؤلف «المقدمة فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام..» «وثالثها» هو ما سماه المؤلف «الكتاب الأول فى طبيعة العمران فى الخليقة..»، ويشغل هذا القسم نحو ستمائة وخمسين صفحة؛ ويشتمل على تمهيد فى نحو سبع صفحات، وعلى ستة فصول رئيسية ينتظم الفصل الأول منها ست مقدمات، وينتظم كل فصل من الفصول الخمسة الأخرى عدة فصول فرعية. والنص الذى سنذكره قد ورد فى المقدمة السادسة من الفصل الأول من هذا القسم. «ورابعها» هو ما سماه ابن خلدون «الكتاب الثانى فى أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة إلى هذا العهد..» «وخامسها» هو ما سماه المؤلف: «الكتاب الثالث فى تاريخ البربر ومن إليهم.» «وسادسها» هو ما سماه المؤلف «التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا» وهو القسم الذى ترجم فيه المؤلف لنفسه.

وقد جمعت الأقسام الثلاثة الأولى فى مجلد واحد اشتهر باسم «مقدمة ابن خلدون».

هذا، ولأهمية هذه المقدمة، وعظيم مكانتها فى عالم الاجتماع، ولما أصابها فى مختلف طبعاتها من حذف وتحريف، ولحاجتها فى كثير من المواطن إلى الشرح والتعليق، قمنا بنشرها، مع التمهيد لها، ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها، وتحقيقها، وضبط كلماتها، وشرحها، والتعليق عليها، وعمل فهارسها «طبعة لجنة البيان العربى». وقد ظهر من هذه الطبعة جزءان يشتملان على نحو ألف وخمسمائة تعليق، ويفتتح أولهما بتمهيد للمقدمة يقع فى نحو مائتى صفحة من القطع الكبير، وسيظهر فى المقدمة فى جزءين آخرين إن شاء الله.

إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج : آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات، مثل الحشائش وما لا بذر له ؛ وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط . ومعنى الاتصال فى هذه المكونات أن آخر كل أفق منها مستعد بالاستعداد الفطرى (١) لأن يصير أول أفق الذى بعده . واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانتهى فى تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية ، ترتفع إليه من عالم القردة (٢) الذى اجتمع فيه الكيس (٣) والإدراك ، ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل ؛ وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده » (١) .

وأشار ابن خلدون كذلك إلى هذا المعنى نفسه بعبارة أكثر وضوحا فى فصل من الفصول التى تزيد بها طبعة باريس للمقدمة ( طبعة كاترمير ) عن الطبعات المتداولة فى العالم العربى (٢) ، وهو الفصل الذى جعل عنوانه : « علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » ( وهو الفصل الخامس من الباب السادس ، حسب طبعة باريس ) ؛ وذلك إذ يقول :

« وقد تقدم لنا الكلام فى الوحى أول الكتاب فى فصل المدركين للغيب ، وبينا هنالك أن الوجود كله فى عوالمه البسيطة والمركبة على ترتيب طبيعى من أعلاها وأسفلها متصلة كلها اتصالا لا ينخرم ، وأن الذوات التى فى آخر كل أفق من العوالم مستعدة لأن

---

[١] فى بعض النسخ « بالاستعداد القريب » ، وفى بعضها « بالاستعداد الغريب » ، وكلتا الكلمتين تحريف لكلمة « الفطرى » .

[٢] فى جميع النسخ السابقة لطبعتنا « عالم القدرة » بالدال قبل الراء . وهو تحريف شنيع غير معنى العبارة تغييراً تاما ، بل جردها من الدلالة ، وأخفى نظرية هامة قال بها ابن خلدون وسبق بها دارون وغيره من جماعة الارتقائيين بنحو خمسة قرون ، وإن اختلف رأيه عن رأينا من بعض الوجوه .

٣ فى جميع النسخ السابقة لطبعتنا : « الحس والإدراك » وصوابه « الكيس والإدراك » ، كما ورد فى نسخة خطية محفوظة فى دار الكتب المصرية وذلك لأن مجرد الحس تشترك فيه الحيوانات جميعا ، وإنما يمتاز أرقاها بالكيس وهو الحذق .

[١] صفحات ٣٥٢ — ٣٥٤ من طبعة لجنة البيان العربى .

[٢] وذلك أن طبعة باريس للمقدمة ، وهى الطبعة التى أشرف عليها المستشرق كاترمير Quatremère وظهرت سنة ١٨٥٨ ، تزيد عن الطبعات المتداولة فى العالم العربى « وكلها منقولة عن طبعة الهورينى التى ظهرت سنة ١٨٥٨ كذلك » بأحد عشر فصلا فرعيا ، كما تزيد عنها فى ثنايا بعض الفصول المشتركة بينهما وفى خواتيمها بفقرات كثيرة . وجميع الزيادات التى تختص بها طبعة باريس منقولة عن نسخ خطية موثوق بها .

تنقلب إلى الذات، التي تجاورها من الأسفل والأعلى استعداداً طبيعياً كما في العناصر الجسمانية البسيطة، وكما في النخل والكرم من آخر أفق النبات مع الحلزون والصدف من الحيوان، وكما في القردة التي استجمع فيها الكيس والإدراك مع الإنسان صاحب الفكر والروية. وهذا الاستعداد الذي في جانبي كل أفق من العوالم هو معنى الاتصال فيها» (١).

* * *

ولعل الذي جعل الباحثين لا يفطنون لرأي ابن خلدون في استحالة الأنواع بعضها إلى بعض، وفي انطباق هذا القانون على الإنسان وصلته بفصائل القردة، أن كلمة «عالم القردة» في النص السابق قد حرفت في جميع طبعات المقدمة المتداولة في العالم العربي في العصر الحاضر إلى كلمة «عالم القدرة»، فجاءت العبارة على هذا الوضع: «واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية، ترتفع إليه من عالم «القدرة» الذي اجتمع فيه الحس والإدراك ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل وهو تحريف شنيع غير معنى العبارة، بل جردها من الدلالة. وأخفى نظرية هامة قال بها ابن خلدون وسبق بها دارون وغيره من جماعة الارتقائيين، وإن اختلف رأيه عن رأيهم من بعض الوجوه.

* * *

هذا، وفكرة تقسيم الكائنات إلى مراتب يتصل آخر كل مرتبة منها بأول المرتبة التالية لها ليست من مبتكرات ابن خلدون، بل قد سبقه إليها كثير من الباحثين من قبله، واستخدموا في تحريرها بعض الألفاظ، والعبارات التي استخدمها وقسموا الكائنات إلى الأقسام نفسها التي قال بها.

فقد قرر هذه الفكرة القزويني (وهو سابق لابن خلدون) في كتابه «عجائب المخلوقات إذ يقول: «إن المعادن متصل أولها بالجماد وآخرها بالنبات. والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان. والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان. والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية».

وأشار إلى هذه الفكرة نفسها من قبل القزويني، ابن الطفيل في كتابه «حي بن يقظان» وأشار إليها من قبل ابن الطفيل، ابن مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) في كتابه «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق». فقد ذكر مراتب الجماد والنبات والحيوان واستخدم لفظي «الأفق» «والاتصال» اللذين استخدمهما ابن خلدون. فمن ذلك قوله:

(١) طبعة كاترمير ص ٣٧٣ من المجلد الثاني.

« فلذلك هى فى أفق الجمادات » ، وقوله « ويصير فى أفق الحيوان » ، وقوله : « وأول هذه المراتب من الأفق الإنسانى المتصل بآخر ذلك الأفق الحيوانى مراتب الناس . . . . » .

وأشار إلى الفكرة نفسها من قبل ابن مسكويه « إخوان الصفاء » فى رسائلهم التى ظهرت بين سنتى ٣٣٤ و ٣٧٣ على الأرجح ، وذلك إذ يقررون أن أول مرتبة الحيوان متصل بآخر مرتبة النبات ؛ وآخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الإنسان ، كما أن أول المرتبة النباتية متصل بآخر المرتبة المعدنية ؛ وأول المرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء . فأدون الحيوان وأنقصه فى نظرهم هو الذى ليس له إلا حاسة واحدة ، وهو الحلزون وأكثر الديدان التى تكون فى الطين وفى البحار وأعماق الأنهار . إذ ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شم ، فهذا النوع حيوان نباتى ، لأن جسمه ينبت كما ينبت بعض النبات ، ويقوم على ساقه دائما وهو من أجل أن يتحرك جسمه حركة اختيارية حيوان . ومن أجل أنه ليست له إلا حاسة واحدة فهو أنقص الحيوان رتبة فى الحيوانية . وقد يشاركه النبات فى تلك الحاسة ، فللنبات حاسة اللمس فقط ، ويتمثل هذا فى إرساله جذوره نحو المواضع الندية وامتناعه من إرسالها نحو الصخور واليبس . أما مرتبة الحيوان مما يلى رتبة الإنسانية فليست من وجه واحد ولكن من عدة وجوه : فمنها ما قارب رتبة الإنسان بصورة جسمه مثل القرد . ومنها ما قاربها بالأخلاق النفسانية كالفرس فى كثير من أخلاقه ، وكالفيل فى ذكائه ، والببغاء الهزاز ونحوها من الأطيار الكثيرة الأصوات والألحان والنغمات ، وكالنحل لطيف الصنائع ، إلى ما شاكل هذه الأجناس . والقرد لقرب شكل جسمه من جسم الإنسان صارت ، نفسه تحاكى أفعال النفس الإنسانية ، أما الفرس بأخلاقه ، والفيل بذكائه ، وهذه الطيور بنغماتها وموسيقاها ، فقد صارت فى آخر مرتبة الحيوان مما يلى رتبة الإنسان ؛ لما يظهر فيها من الفضائل . (١)

وأشار إلى هذه الفكرة نفسها من قبل هؤلاء جميعا أرسطو فى نظريته فى ترتيب الكائنات وتدرجها فى سلم العالم ، فأدنى درجات السلم فى نظره هى الأجسام اللاعضوية ، وفيها تضعف الصورة حتى لتكاد تكون هيولى بلا صورة ، وأول مايسعى إليه الجسم العضوى (وهو التالى فى المرتبة للأجسام اللاعضوية) تحقيق شخصه ونوعه ، وأحط درجات السلم فى الأجسام العضوية هو ما اقتصر على الغذاء والتناسل ونمو النبات ، ثم يليه

[١] رسائل إخوان الصفاء جزء ٢ صفحتى ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، وجزء ٣ صفحتى ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، حـ ٤ صفحتى ٢٧٨ ، ٣١٧ .

الحيوان إذ يزيد عنه بالإحساس ، ويتبع الإحساس الشعور باللذة والألم .

وانتقل هذا الرأى إلى فلاسفة الإسلام وعلى رأسهم الفارابى فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » إذ يقول : « إن ترتيب هذه الموجودات هو أن يتقدم أولا أخسها ، ثم الأفضل فالأفضل ، إلى أن تنتهى إلى أفضلها الذى لا أفضل منه ، فأخسها المادة الأولى المشتركة ، والأفضل منها الإسطقسات ، ثم المعدنية ، ثم النبات ، ثم الحيوان غير الناطق ، ثم الحيوان الناطق ، وليس بعد الحيوان الناطق أفضل منه (١) .

* * *

ولكن ابن خلدون تختلف نظريته عن هؤلاء جميعا من وجهين :

( أحدهما ) أن الرقى عند هؤلاء هو رقى فى المرتبة فحسب ، فهم يحاولون ترتيب الكائنات من الأسفل إلى الأعلى ترتيباً عقليا ومنطقيا ، حتى إن بعضهم ليضع الفيل والفرس والنحل والببغاء وبعض الطيور الذكية فى مرتبة قريبة من الإنسان وفى أعلى مراتب الحيوانية ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى مذهب إخوان الصفاء . أما ابن خلدون فيقصد الارتقاء من الناحية العضوية البيولوجية .

( وثانيهما ) أنه لم يتمل أحد من هؤلاء باستحالة هذه الكائنات بعضها إلى بعض ، أما ابن خلدون فقد قرر فى عبارات صريحة أن الكائنات الأخيرة من كل مرتبة قابلة بطبعها لأن تستحيل إلى الكائنات الأولى من المرتبة التى تليها ، وأنها قد تستحيل إليها بالفعل ، كما ورد فى النصوص السابق ذكرها .

وبهذين الوجهين نفسيهما تقرب نظرية ابن خلدون من نظرية داروين ومن تابعه من جماعة الارتقائيين المحدثين بقدر ما تبعد عن آراء من عرض لهذا الموضوع من قبله ؟

دكتور

علي عبد الواحد وافي

[١] انظر كتابنا « فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة » صفحتى ٢٩ — ٣١ .

## من الحكم المأثورة

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم .

المـوت لا يكون إلا مرة      والموت أحلى من حياة مرة

# الحركة الموسوعية في الإسلام

## للأستاذ حسين علي الداقوقي

إن أغلب مصنفات علماء المسلمين وفلاسفتهم تقع على شكل موسوعات. ولما لم يكن في العصور الوسطى الاختصاص بمعناه المعروف في الوقت الحاضر أخذ المفكرون وبوجه خاص الفلاسفة يتبعون خطى أرسطو، ويرون وضع مؤلفات تحوى شتى أنواع العلوم كالفارابي وابن سينا وأضرابهما. وقد عبر الشاعر العربي عن هذا الاتجاه بقوله :

احرص على كل علم تبلغ الأملا ... ولا تموتن بعلم واحد كسلا

النحل لما رعت من كل فاكهة ... أبدت لنا الجوهرين: الشمع والعسلا

اتبعت الحركة الانسكلوبيدية تطور الحياة في العالم الإسلامي، وتنوعت كلما تغيرت عناصر الحياة في هذا العالم، فبدأت بشكل بسيط إلى أن اتخذت شكلها الحقيقي الوافي في كتاب (العالم) لأحمد بن أبان، وفي رسائل إخوان الصفا.

ويقتضي تنظيم البحث أن نبدأ أولا باستعراض الموسوعات العامة ثم نتطرق إلى الأنواع الخاصة منها.

وضع الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الله الكسائي (المتوفى ١٨٩هـ)، أحد مؤسسي علم النحو واللغة مجلداً كبيراً باسم (خلق الدنيا وما فيها) بدأ فيه باللوح والقلم ثم ذكر السموات والأرض والعوالم الأخرى بسرد الآثار والأخبار، واستند في ذلك إلى الحديث والمؤلفات العلمية الأخرى الموجودة يومئذ. (١)

وكتب أبو حاتم ابن حيان البستي (٣٥٤هـ) كتاباً في (وصف العلوم وأنواعها) في ثلاثين جزءاً.

ومن أقرب المؤلفات إلى الشكل الموسوعي ما ألفه أحمد بن أبان بن سيد الأندلسي (٣٨٢هـ) وهو عالم فاضل، ولغوي كبير يكنى أبا القاسم كان صاحب الشرطة بقرطبة (٢) وكان في أيام المستنصر (٣). روى عن أبي علي البغدادي وأخذ عنه كتاب (النوادر)، وروى عن سعيد

---

[١] حاجي خليفة : كشف الظنون و
H. Z Ulken ; Islam 365 .

[٢] ابن بشكوال : كتاب الصلة ص ٧ المجلد الأول. مجريط ١٨٨٢.

[٣] الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ص ٥٢٢ مجريط ١٨٨٤.

ابن جابر الإشبيلي وغيرهما، أخذ عنه أبو القاسم ابن الإفليلي .

كان ابن سيده مولعاً بالآداب واللغات وروايتهما وتصنيفهما متقدماً فى معرفتهما وإتقانهما وكان مطلق القلم بالتصنيف ، فمن آثاره كتاب ( العالم ) (١) ، وهو يقع فى مائة مجلدة ، ومرتب على الأجناس ، ابتدأ فيه بالكلام عن الفلك لكونه أعظم الأجسام وختمه بالذرة (٢) . وله كتاب ( العالم والمتعلم فى النحو ) (٣) وكتاب شرح فيه مؤلف الأخفش وغير ذلك (٤) .

وعلى نفس الشاكلة فى القرن العاشر الميلادى ( الرابع الهجرى ) نجد رسائل إخوان الصفا فإن هذه الرسائل وكتاب ( العالم ) يعتبران أقدم الانسكلوبيديات المكتوبة فى العالم . أما المؤلفات السابقة لها فإنها ليست بمستواهما من حيث الاستيفاء والشمول .

كانت هذه الرسائل دائرة معارف فلسفية عالية للقرن الرابع الهجرى (١) حازت عند جماعة من الحكماء والجهابذة قبولا كثيراً وعرفوا مقامها فأحلوها محلها الرفيع واعتنوا بالتنويه بها والتنبيه عليها .

تقسم الرسائل إلى أربعة أقسام : منها رياضية تعليمية وهى أربع عشرة رسالة ، ومنها الرسائل الجسمانية الطبيعية وهى سبع عشرة رسالة ، ومنها الرسائل النفسانية العقلية وتشتمل على عشر رسائل ، ومنها الرسائل الناموسية الإلهية والشرعية والدينية وهى إحدى عشرة رسالة (٢) .

تعددت النظريات التخمينية فيها لعدد من الباحثين فمن قائل إنها تنسب إلى عالم فى ما وراء الطبيعية من علماء المعتزلة (٣) . ومنهم من عزاها إلى الإمام جعفر الصادق (٤) وبعضهم اعتبرها من إنتاج أبى القاسم مسلمة المجريطى القرطبى المتوفى ٢٩٨ هـ (٥) . ومما لاشك فيه أن هذه الرسائل تعبر عن آراء

---

[١] القفطى : أنباء الرواة ص ٣٠ ــ ٣١ .
[٢] حاجى خليفة : نفس المرجع .
[٣] القفطى : نفس المرجع ص ٣١ .
[٤] السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة .

راجع : روضات الجنات ص ٦٥ ــ وسلم الوصول ص ٦٢ ومعجم الأدباء ٢ : ٢٠٣ . الوافى بالوفيات ج ٢ مجلد الأول ص ٨٠ .

---

[١] O'Leay ; Arabic thought and Its Place History. P. 165. 1922.
[٢] [illegible]
[٣] Flügel; Z,D M G 20.
[٤] ابن حجر : الفتاوى ص ٩٣ طبعة القاهرة .
[٥] In Casiri 1, No. 364.

وراجع كشف الظنون .

واتجاه زمرة من الفلاسفة والمفكرين من رجال القرن الرابع كانوا أعظم المختصين فى العلوم والفنون فى عهدهم بما فيهم متدينون مخلصون متكلمون ومتصوفة . وبجانبهم زنادقة ملحدون (١) .

حاولت هذه الزمرة جمع الأفكار الفلسفية والاجتماعية التى كانت قد تطورت فى العالم الإسلامى حتى العهد الذى عاشوا فيه وهدفت إلى تنظيم هذه الأفكار والمزج بينها فأوجدت مصنفاً موسوعيا ضخما مبسطا استهدفت فيه قبل كل شىء مقاومة تيار الانحطاط الذى أصاب المجتمع العباسى ؛ وذلك بنشر مقومات ومشارب أخلاقية وعناصر ثقافية راقية ، سلكوا فى تحقيقها طريقة علمية وحاولوا فيها التوفيق بين أفكار سقراط وأفلاطون وأرسطو وفيثاغورث والفارابى من جهة ، وبين بعض المبادىء الشيعية من جهة أخرى لذلك يطلق على مذهبهم فى الفلسفة الإسلامية مذهب التوفيق والاختيار Eclectisme (٢)

ومن الكتب المهمة أيضاً مفاتيح العلوم للخوارزمى ( ٣٧٨ هـ ) ألفه لأبى الحسن عبد الله بن أحمد العتبى (٣) ، وكتاب طبقات العلوم ) لأبى المظفر الأبيوردى ( ٥٠٧ هـ )

(١) H.Z. (apud; Der Islam 1932.) Ulken: Op. cet. 365.

(٢) 2 Sosyoloji Dergisi No. 6-7.

(٣) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٣٢ .

وكذلك كتاب (الفنون) لأبى الوفاء بن عقيل البغدادى ( ٥١٣ هـ ) .

ولابن عقيل تصانيف كثيرة فى أنواع العلوم وأكبر تصانيفه كتاب ( الفنون ) وهو كتاب كبير قال ابن الجوزى : هذا الكتاب مائتا مجلد وقع لى منه نحو من مائة وخمسين مجلدة ، وقال الحافظ الذهبى فى تاريخه لم يصنف فى الدنيا أكبر من هذا الكتاب . حدثنى من رأى منه المجلد الفلانى بعد الأربعمائة ، هذا وفى رواية أخرى أنه ثمانمائة مجلد (١) .

وألف أبو الفرج بن الجوزى ( ٥٩٧ هـ ) فى فنون شتى وخلف مؤلفات يزيد عددها على مائة كتاب (٢) وكتابه ( المجتبى ) أقرب كتبه إلى الشكل الانسكلوبيدى العام ، وهو فى أنواع من العلوم كالقراءة والسير ونحوه (٣)

ومن التصانيف القيمة فى هذا الباب كتاب ( حدائق الأنوار فى حقائق الأسرار ) للإمام فخر الدين الرازى ( ٦٠٦ هـ ) الواعظ البليغ والفقيه الشافعى الكبير أورد فيه موضوعات ستين علماً ألفه للسلطان علاء الدين تكشى الخوارزمى (٤) .

وكتاب ( درة التاج لغرة الدباج ) فارسى العلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى

(١) ابن رجب : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ص : ٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٨ .

(٢) جورجى زيدان : نفس المرجع .

(٣) حاجى خليفة : نفس المرجع ج ٢

(٤) كشف الظنون ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ .

( المتوفى ١٠١٧ هـ ) وهو المشهور بـ ( أنموذج العلوم ) جامع لجميع أقسام الحكمة النظرية والعملية ( ) ألفه لدياج بن فيلشاه (٢) .

ولا ينبغى أن ننسى بهذه المناسبة كتاب ( إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ) لشمس الدين محمد الأنصارى الذى أصبح مصدراً لطاشكوبرى زاده فى ( موضوعات العلوم ) . وكذلك يتطلب التطرق إلى كتاب ( إتمام الدراية لقراء النقاية ) لجلال الدين السيوطى الكاتب الذى بلغ عدد مؤلفاته أكثر من ( ٣٠٠ ) كتاب ورسالة (٣) .

ومن أجل ما يذكر من الجهود فى هذا المضمار ، ومن أقربها إلى الإلمام بحذافير ثقافة العصر مقدمة ابن خلدون . تشكل المقدمة كتاباً مستقلا بذاته بحيث إنها فى مضمونها لا تتصل بالتاريخ برابطة ، تحوى معلومات واسعة الأطراف غزيرة الفائدة ، يقول عنها المسيو مونييه R. Maunier أستاذ علم الاجتماع فى كلية الحقوق بباريس ، بأنها مركب عظيم من القوانين الكونية ودائرة معارف لعلوم العصر (٤) .

(١) كشف الظنون ، وتاريخ آداب العربية جـ ٣

(٢) 2 H.Z. Ulken. Ibid.

(٣) حسن فهمى بك : الكتب العربية المطبوعة فى مكتبة الجامعة باستانبول .

(٤) مباحث علمية : من منشورات الجامعة العثمانيه فى حيدر آباد ص ٧٣ .

كذلك فى العالم الإسلامى طراز من التأليف الانسكلوبيدى يدعى غالباً بـ ( الأمالى ) . والأمالى جمع الإملاء . وهو أن يحضر العالم ويحضر حوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم منتقلا من بحث إلى بحث ، ومن شعر إلى شعر بطريقة التداعى الحر ويكتب التلاميذ فيصير كتاباً يسمونه الإملاء والأمالى والمؤلفات من هذا الطراز كان يطلق على البعض منها اسم ( التعليق ) (١) .

وثمة ما يسمى ( مجالس ) وهى أجمع من الأمالى لأن الموضوع لم يكن خاصاً بالرئيس فحسب ، بل فيما يدور بين من يضمهم المجلس كمجالس ثعلب فهى أوفى من الأمالى إلى حد بعيد .

وكتب كثير من الفلاسفة نماذجهم الفلسفية على الطريقة الانسكلوبيدية ، ويذكر من هذا النوع كتاب ( تعليم الصنائع ) للفارابى ، وإحياء علوم الدين للغزالى وكتابا الشفاء والنجاة لابن سينا ، أو كتاب الكليات والجوامع لابن رشد .

ووضع العلماء المتخصصون التراجم والأنساب والتذكرة على هيئة انسكلوبيدية ، وكتبا حول بحاثى الحديث وتدقيق سيرهم باسم علم أسماء الرجال . ووضعت مجلدات ضخمة حول النحاة والأدباء والحكماء والفلاسفة

[١] كشف الظنون .

والمفسرين والقراء والمتكلمين والمتصوفة الكبار، والطبيعيين والرياضيين، والفقهاء والمحدثين. وكثير غيرهم ممن نبغوا فى مختلف الاختصاصات، وحققوا أنسابهم ومؤلفاتهم وسيرهم.

ومن الذين كتبوا فى البلدانيات المفكر الكبير والمتكلم الشهير الجاحظ (٢٥٥ هـ) فوضع كتابه (الأمصار) والزمخشرى (٥٣٨هـ) فكتب (الأمكنة والجبال والمياه) ويافوت الحموى (٦٣٠ هـ) فكتب معجم البلدان (١) وهو خزانة علم وأدب وتاريخ وجغرافية. وقد لخص هذا المعجم صفى الدين بن عبد الحق (٧٣٩هـ) فاقتصر فيه على الجغرافية وسماه (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) وابن فضل الله العمرى (٧٤٨ هـ) فكتب (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) وهو موسوعة فى بضعة وعشرين مجلداً من الكتب الهامة فى الأدب والتاريخ والجغرافية والتاريخ الطبيعى وغيرها (٢).

وكتب فى التراجم مؤلفات قيمة جداً فكتب ابن سعد (٢٣٠ هـ) (الطبقات فى سير أصحاب الرسول) وكتب ابن عبد البر النمرى القرطبى (٤٦٣ هـ) (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) وعز الدين بن الأثير الجزرى (٦٣٠ هـ) (أسد الغابة).

وكتب حول سير المفسرين كتب أشهرها كتاب (طبقات المفسرين) للسيوطى (٩١١هـ) وكتب كثيرة حول سير الفقهاء منها كتب خاصة باسم طبقات الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية وأهم ما كتب فى طبقات الحنفية كتاب لعبد القادر القرشى (٧٥٥هـ) باسم الجواهر، وكتاب للقاضى نجم الدين ابراهيم بن على الطرسوسى (٧٥٨ هـ) باسم (وفيات الأعيان من مذهب أبى حنيفة النعمان)، وكتاب لقاسم بن قوتلوبوغا الحنفى (٨٧٩ هـ) باسم (تاج التراجم فى طبقات الحنفية)، ويجدر بالذكر من العهد العثمانى كتاب (الشقائق النعمانية) وأذيالها.

وأهم ما كتب فى طبقات الصوفية كتاب (حلية الأولياء) لأبى نعيم (٤٣٠ هـ) وكتاب (تذكرة الأولياء) لفريد الدين العطار، وكتاب (نفحات الأنس) للاجامى وما يتعلق بالأدب يجدر ذكر كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة و (معجم الأدباء) لياقوت الحموى، وفى تراجم المفكرين الآخرين كتاب (طبقات القراء) للجزرى، وكتاب (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) لابن أبى أصيبعة وكتاب (طبقات الحكماء) لابن القفطى، ولابن صاعد والشهرستانى آثار

---

(١) H. Z. Ulken :Op. Cit. 366.

(٢) جورجى زيدان، الوافى بالوفيات للصفدى.

جليلة فى هذا الشأن ، وثمة كتب حول مذاهب الـكلام لابن حزم والباقلانى ، وكتب فى الأنساب للكلبى والبلاذرى والسمعانى وابن الخوطى ، وتعتبر كتب ابن خلكان ( وفيات الأعيان ) والصفدى ( الوافى بالوفيات ) ، وابن حجر ( الدرر الكامنة ) والسخاوى ( الضوء اللامع ) والمحبى والمرادى من ضمن هذه الكتب الجليلة فى التراجم .

وقد تألفت فى العهد الأخير ( دائرة المعارف ) للبستانى وأخرى لفريد وجدى . وبوشر بترجمة ( دائرة المعارف الإسلامية ) ونشرت منها أجزاء .

وينبغى ألا يعزب عن الذهن من العهد العثمانى كتاب ( موضوعات العلوم ) لطاشكوبرى زاده و ( سفينة الراغب ) لمؤلفه راغب باشا و ( كشف الظنون ) لحاجى خليفه وقد تضاءل عدد المؤلفات من هذا النوع بعد التنظيمات حتى ألف شمس الدين سامى ( قاموس الأعلام ) والمترجم عاصم افندى ( أوقيانوس ) أو ترجمة القاموس ، وألف خواجه اسحق قاموس العلوم الرياضية ، وبدأ أمر الله افندى بترتيب موسوعة باسم ( محيط المعارف ) ، إلا أن المنية وافته بعد نشر الجزء الأول ولم تكمل الأجزاء الأخرى . واستطاع رضا توفيق نشر بضعة أجزاء من ( قاموس فلسفة ) . وفى الأيام الأخيرة حدثت حركة تأليف انسكلوبيدى بجد ونشاط أبرز ما فيها لجنة ترجمة ( دائرة المعارف الإسلامية ) ولجنة أخرى لوضع موسوعة أخرى باسم ( اينونو انسكلوبيديس ) وتبدل اسمها الآن فسميت بـ ( تورك انسكلوبيديس ) .(١)

حسين على الداقوقى
مفتش معارف كركوك بالعراق

---

(١) H.Z. Ulken: Op. cit. 368

---

رأى بعض العرب سيفا فقال : ما أجوده لولا قصر فيه . . .
فقال صاحبه : نصله بخطوة . . . فقال الرجل [illegible] الخطوة
أشق من مشية إلى الصين .

# أسرار القسم في القرآن الكريم

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

يستعمل القسم بين الإنسان والإنسان لدفع الشك بما يحدثه من التأكيد والتوثيق؛ لأن الفكرة الأولى فيه هي أن الإنسان المقسم يحلف إما بشيء عظيم في نفسه، أو بشيء عظيم في نفس السامع أو بهما معا، ويكون القسم عندئذ رباطا متينا؛ لأنه يوحي بصدق المقسم وجده؛ وذلك لاعتقاد السامع أن القسم الكاذب ينتهي إلى هلاك صاحبه، وهذا ناشئ في البدء من ارتباط القسم بفكرة القداسة وهي فكرة دينية محضة؛ ولذلك كان المعبود هو موضوع القسم الأول.

على هذا جاء الحلف عند العرب في الجاهلية، فقد كانوا يتمسمون بأكثر شيء قداسة لديهم، فحلفوا بالله، ولقد سجل عليهم القرآن ذلك في مواضع متعددة فقال تعالى «وأقسموا بالله جهد أيمانهم» وأقسموا بأصنامهم التي كانت تقربهم إلى الله زلفى كاللات والعزى ومناة.

ثم اتسعت الفكرة لديهم فلم تعد قاصرة على المعبود بل شملت بيوت العبادة ومناسك الحج، والإبل التي تحمل الحجيج والقرابين التي تقدم للآلهة. شملت كل أولئك؛ لأن فيها قبسا من قداسة المعبود وعليها مسحة من عظمته في نظرهم.

فعرب الجاهلية عرفوا القسم واستخدموه في كلامهم وأحكامهم. فلما نزل القرآن بلغة العرب وعلى ما ألفوه من أساليبهم؛ ليكون مفهوما لديهم حبيبا إلى نفوسهم حتى إذا ما ظهر عجزهم عن الإتيان بسورة من مثله كان ذلك عن أمر عرفوه، وأسلوب ألفوه، وإنما عجزوا؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد. فهو ليس من صنع البشر. وإنما هو كلام خالق القوى والقدر. يقول نولدكه في دائرة المعارف البريطانية. وفي كتابه «تاريخ القرآن»: «كان غرض محمد الوحيد في السور المكية تحويل الناس بطريق الإقناع عن عبادة الأصنام الباطلة إلى عبادة إله واحد. هذا هو الهدف الأساسي في دعوته مهما تشعب الموضوع. إلا أن محمدا بدلا من أن يتوجه إلى عقول سامعيه يقنعها بالبراهين المنطقية، لجأ إلى الفن الخطابي ليؤثر على عقولهم من طريق الخيال والوجدان».

ثم نعرف أنه من الأسلوب الخطابي الاستدلال بالحلف والأيمان. وهذا خطأ من نولدكه في زعمه هذا من أن القرآن المكي خلو من الحجاج بالبراهين العقلية والمناقشة بالأدلة المنطقية. وقد روج هذا الزعم بعض

الباحثين المعاصرين على غير أساس فى بحثهم وتثبت من قولهم . فقد جاء فى القرآن المكى الإقناع بالحجة والجدال والبرهان ولا سيما فى السور الأخيرة من العهد المكى . ورسم القرآن للنبى صلى الله عليه وسلم أساليب الدعوة تختلف باختلاف من يدعوهم ، فقال تعالى فى سورة النحل وهى مكية : ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ) .

يقول الغزالى فى كتابه «القسطاس المستقيم» :

« إن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة قوم ، وبالمجادلة قوم ؛ فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وإن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الآدمى .

وقد جاء القسم فى القرآن الكريم فاتحة للسور المكية خاصة فى خمس عشرة سورة نحو (والصافات ، والذاريات ، والسماء ذات البروج ، والسماء والطارق ) ووقوع القسم فى ابتداء السور له أثره النفسى ، فإن البدء به هو جذب لانتباه السامع ؛ لوقوع القسم على سمعه فى شىء من الرهبة . فإذا حدث ذلك صحبه تهيؤ نفسى لتلقى ما يقال . خصوصا وأن ما يقال مبنى على قسم والقسم شىء يهول . وفى هذه الحال يكون الإنسان أشد تأثيرا بما يسمع مما لو فاتحته بما تريد من طريق الجدل والنقاش . لأن الإقناع العقلى فيه انتصار حاد لعقل على آخر ، ومن الصعب على النفوس الجامحة العقيدة ، كنفوس العرب فى جاهليتهم ، أن تقر لأحد المتجادلين ، بالغلبة أو تسلم له بالانتصار من طريق الإفحام . بل كثيرا ما يكون السامع غير عارف بأصول الإقناع العقلى ؛ فلا فائدة إذن من فتح هذا الباب أمامه والدخول عليه من هذا الطريق الذى يجهله.

فالقسم فى أوائل السور يعطيها نضرة فى بهجتها ، ورونقا فى ديباجتها فتاتع الأقسام فى قسمات السور ، كالغرة البارقة . بل هى أشبه شىء بالمطالع الحسنة فى القصيدة الجيدة ، وفى هذا رعاية لجانب المستمع ، لكيلا ينفر فيسد أذنيه. ومن كان الحجة تليين القول وتأليف القلب ، فقد أمر الله الأنبياء بهذا كما قال تعالى لموسى وهرون حين أرسلهما إلى فرعون ( فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ) .

وقد أشكل أمر القسم فى القرآن الكريم على كثيرين : فذهب فريق من الناس إلى القول بأن القسم لا يصدر إلا ممن شك الناس فى صدقه ، فهو يلجأ إلى اكتساب الثقة باليمين ، وهنا لا يليق بجلال الله ، وهو قول مردود إذا تذكرنا شيئين .

أولا ـ أن القرآن نزل بلغة العرب وخاطبهم بالأساليب التى عرفوها ومنها القسم .

ثانيا – لم يكن الغرض من القسم فى القرآن دائما التأكيد، بل يكون أحيانا بيان شرف المقسم به وعلو قدره، حتى يعرف الناس مكانته ورفعة منزلته : كالقسم بحياة النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ( لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون ) ، وكالقسم بالنفس اللوامة فى قوله تعالى ( لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة )، وكالقسم بالأماكن التى أنبتت الأنبياء، وكانت موطن إنزال الوحى إليهم : كما فى قوله تعالى ( والتين والزيتون وطور سينين ، وهذا البلد الأمين ) .

فأقسم سبحانه بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة، التى هى مظاهر أنبيائه ورسله أصحاب الشرائع العظام .

فالتين والزيتون المراد منبتهما وهو أرض بيت المقدس، فإنها أكثر البقاع زيتونا وتينا. قال ابن القيم فى كتابه « التبيان » :

« إن منبت هاتين الشجرتين حقيق أن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة ، وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلمته عيسى بن مريم، كما أن طور سينين هو الجبل الذى أوحى إلى موسى فيه . وهذا البلد الأمين هو مكة .

ثالثا – أحيانا يكون الغرض من القسم توجيه النظر إلى الآيات المكنونة ، والمشاهد الطبيعية ، لنتوصل منها إلى خالقها ، والتأمل فيها تأملا يبين مبلغ نعمتها ، وأنها غير جديرة بالعبادة ، وإنما الجدير بالعبادة هو خالقها : كالقسم بالسماء ذات البروج ، والسماء والطارق، والشمس وضحاها ، وكالقسم بالفجر وليال عشر، وبالنجم إذا هوى ، وما أشبه ذلك .

رابعا – من أسرار القسم أنه لو كان الاستدلال على أمور لا تتعلق بها الرغبة أو الرهبة ، مثل ما نرى فى العلوم الطبيعية والرياضية، كان ذكر الأدلة فيها أولى بالتصريح. فأما والاستدلال على أمور نفسية ، من حث واستنكار وزجر وردع ، فالاحتياج أكثر إلى إيراد الأدلة على وجوه مختلفة : من أساليب القول متفاوتة فى الوضاحة واللطافة والقوة والحدة ، سريعة التأثير قريبة الإقناع ؛ لأن أكثر الآراء الاعتقادية إنما هى نتيجة التلقين. والتلقين هو فى الحقيقة يتوقف على قوة الإقناع وأساليب التأثير .

هذا إلى أن فى القسم إيجازا فى الاستدلال، والعرب لذكائهم كانوا يحبون الإيجاز، وطبيعة لغتهم تساعدهم على ذلك ، ولذلك لا ترى شيئا من القرآن إلا ومعناه أوفى من اللفظ ؛ فإن أطنب قولا من وجه ، أو جزء من وجه آخر ، فهو لا تنقضى عجائبه ولا تفنى أسراره ؟

( للبحث بقية )

عبد الوهاب حموده

# التعليم الديني في السودان

## للأستاذ علي العماري

— ١ —

لعل أصدق تعبير وأوجزه في وصف الشعب السوداني أنه شعب عربي متدين . يعرف ذلك حق المعرفة أولئك الذين قدر لهم أن يعيشوا فترة من الزمن في ربوع تلك البلاد ، وأن يعرفوا العادات والتقاليد والأخلاق التي تميز شعب السودان عن غيره من الشعوب .

فإذا ذهبنا نستنطق التاريخ وجدنا تأييداً قوياً لهذه القضية ، وأسعفنا بالدليل تلو الدليل على عراقة هذا الشعب في العروبة ، واستجابته الصادقة لتعاليم الدين .

فالمؤرخون يكادون يجمعون على أن اتصال العرب بالسودانيين كان قبل الإسلام بزمن غير قصير « فمما هو ثابت أن تجار العرب دخلوا السودان عن طريق البحر الأحمر ، وعن طريق مصر في العصور القديمة ، وفي عهد البطالسة والرومان ، غير أن دخولهم السودان بعد الإسلام سواء عن طريق مصر أو البحر الأحمر أو من الغرب كان في هيئة جماعات كبيرة كبطون أو بدنات من القبائل (١) .

[١] التربية في السودان ج ١ ص ٢٠ لعبد العزيز عبد المجيد .

وليس معنى هذا أن جميع السكان عرب ، وإنما معناه أنهم الكثرة الكاثرة ، والعدد الأوفر ، وفي أيديهم الآن ومنذ زمن بعيد مقاليد الأمور في السودان .

جاء في تاريخ السودان لنعوم شقير ما يأتي « وأما العرب فهم معظم سكان السودان وأكرمهم أصلا ، وأوفرهم عقلا ، وأرقاهم حضارة ، وقد هاجروا إليها بعد الإسلام عن طريق مصر أو البحر الأحمر فاستولوا عليها تدريجا وسكنوا أطيب بلادها وأسسوا فيها عدة ممالك ، سيأتي ذكرها ، وهم إما حضر أو بادية ، أما الحضر فأكثرهم على النيل الكبير والنيلين الأزرق والأبيض وفي الجزيرة بينهما . . . وأما البادية فأكثرهم في البطانة وصحاري البيوضة وكردوفان ، ودارفور . . . واسم العرب في السودان إنما يطلق على بادية العرب فقط ، وأما حضرهم فيعرفون بأسماء قبائلهم أو بأسماء البلاد التي يسكنونها ، وهم يرجعون في أنسابهم إلى الصحابة وآل البيت وغيرهم من الأصول الشريفة (٢) » .

[٢] نفس المرجع ص ٥٣ .

على أن اللهجات العربية السائدة فى السودان لا تدع مجالا للشك فى عروبة هذا القطر الشقيق فإننا لو أنعمنا النظر فى كلامهم لظهرت لنا السمات العربية الأصيلة فيه ، وهذا طبيعى ما دام القوم - لاسيما البادون منهم - لم يختلطوا بغيرهم من الأمم ، وقد ألف أحد علمائهم كتابا سماه ( العربية فى السودان ) عنى فيه برد كثير من الكلمات المستعملة عندهم إلى أصلها العربى ، وربما كان هذا ممكنا فى كل البلاد العربية غير أنا نلاحظ أن الكلمات السودانية لم تبعد كثيراً عن أصلها العربى ، كما نلاحظ أن الكلمات الدخيلة قليلة بالنسبة إلى مثيلاتها فى الأقطار العربية الأخرى ، ولعل ذلك يكون أكثر وضوحا فى الأمثال الشائعة هناك فإن الأمثال هى القدر الوحيد المشترك بين الفن ولغة التخاطب ، أعنى أننا إذا أردنا أن نعرف مدى تغلغل اللغة العربية فى عامية أى قطر من الأقطار ، وأردنا أن ندرس بجوار ذلك فنا أدبيا ، فليس أمامنا إلا الأمثال التى تجرى على ألسنة العامة ، فهى فوق إيفائها بما نريد من الدلالة على قوة الصلة أو ضعفها بالعربية الفصحى ، توقفنا على معان سامية نطرب لها ونعجب .

وقد أطلت النظر فى الأمثال السودانية ، بعد أن جمعت منها قدراً صالحاً فتبين لى أنها لا تبعد عن الفصحى إلا بمقدار يسير ، ومن هذه الأمثال ما لا تحريف فيه من مثل قولهم ( يا حافر حفرة السوء وسع مراقدها ) وله نظائر كثيرة .

وقد دخل الإسلام بلاد السودان فى أول عهده بمصر ، قال المقريزى فى خططه « وفى سنة ٢١ هـ بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعيد بن أبى السرح فى عشرين ألفا إلى النوبة فمكث بها عبد الله بن سعد زمانا وصالحهم ، وقرر عليهم شيئا معلوما من المال » .

وقد جاء فى كتاب الصلح الذى عقده عبد الله مع النوبة ، ما يصرح بأن المسلمين بنوا هنالك مسجداً ، وأن المسلمين سينزلون بهذه البلاد ، ويحسن أن نقتطف من هذا الكتاب بعض الفقرات ، لأنه أول وثيقة تاريخية تتضمن دخول المسلمين بلاد السودان « عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبى السرح لعظيم النوبة ، ولجميع أهل مملكته ، عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة . إن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وصدقة جارية بينهم وبين المسلمين من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة ، إنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم ألا نحاربكم ولا ننصب لكم حربا ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم ، على أن تدخلوا

بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو بطرفه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم ، وأن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ، ولا تتعرضوا لمسلم قصده وجاوره إلى أن ينصرف عنه . وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كنسه وإسراجه وتكريمه ، فإن أنتم أويتم عبداً لمسلم أو قتلتم مسلما أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم ... فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان » .

هذا أول مسجد بنى فى أرض السودان ، وقد كان فى مدينة ( دنقلة ) وقد سألت عن هذا المسجد بعض سكان هذا الإقليم فلم ينبئنى أحد بخبره ، ويبدو أنه لم يستمر طويلا ، ذلك أن النوبيين كانوا حين حاربهم المسلمون على المسيحية التى وفدت إليهم من مصر فى منتصف القرن السادس الميلادى . وكانوا قبل ذلك على الوثنية يعبدون الكواكب ، ويصبون لها التماثيل ، وقد ظلوا على النصرانية حتى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى . فاعتنقوا الإسلام ، ولكنهم بقوا محافظين على لغتهم . فيبدو أنهم ــ وقد ظلوا على المسيحية بعد اتصالهم بالمسلمين نحو سبعة قرون ــ حين أحسوا فى أنفسهم القوة على نقض هذا العهد نقضوه ، وهدموا المسجد .

ولكن المسلمين لم يثنهم وقوف النوبيين فى وجه الإسلام عن دخول السودان من جهات أخرى ، فقد هاجروا فى القرن الأول الهجرى إلى قبائل ( البجــة ) . وهم بادية الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر ــ وعلموهم الإسلام ، وكان ( البجة ) على الوثنية . كذلك اتصل العرب بعد الإسلام بسكان دارفور ، وقد كانوا على الديانة ( الفتشية ) فعلموهم الإسلام ، فتقبلوه بقبول حسن ، وبالغوا فى التمسك بآدابه وفضائله .

وكان من عادة المسلمين أنهم إذا دخلوا بلداً بنوا فيه مسجداً ، ( تؤدى فيه الصلوات ، ويعلم فيه القرآن . ويكون منتدى لهم يعقدون فيه مجالس شوراهم ويجهزون منه سراياهم ، فاستنار السودان بنور القرآن فى كل مكان ، وكان لمديرية دنقلة فى ذلك القدح المعلى إذ ذاك لأنها فى بداية الطريق ، ففازت بالسبق فى هذا المضمار ، وأسست فيها مساجد كثيرة) (١) .

ولعل من الإنصاف ألا نجعل الفضل كله أو أكثره لدنقلا ، فإن جهات أخرى من السودان كانت فيها مساجد كثيرة لهذه

(١) من مقال للعالم الفاضل الشيخ مجذوب جلال الدين بمجلة معهد أم درمان ص ١١ العدد الأول .

الأغراض ، بل ربما مر عهد من العهود كان الفضل كله لغير دنقلة من بعض أقاليم السودان وكان لملوك دارفور . فى عهدهم الزاهر فضل أي فضل على التعليم الدينى فى السودان ، وكذلك كان لملوك الفونج ، « وكان فى دارفور مساجد جمة فى كل بلدة مسجد أو أكثر يعلم بها الكتابة والقرآن ، وكان لكل عالم مسجد قرب منزله يصلى به الصلوات الخمس ، وفى لصقه خلوات للمجاورين يعلم بها العلوم الشرعية ، وله ( حاكورة ) هبة من السلطان ، يعيش هو وتلامذته من ريعها ، وكان بعضهم يجىء إلى مصر لتلقى العلوم فى الأزهر ولهم رواق معروف برواق دارفور » (١) .

وقبل أن نتحدث عن أساليب التعليم الدينى فى السودان ومنهجه ، والعلوم التى شاعت دراستها نعود إلى تدين أهل السودان ، ليكون ذلك عونا لنا على فهم عنايتهم بالتعليم الدينى منذ دخل الإسلام فى بلادهم .

السودانيون - إذا استثنينا فئة قليلة ممن أضلهم الاستعمار - محافظون أشد المحافظة على تعاليم الإسلام ، فهم يؤدون الصلاة فى أوقاتها لا يشغلهم عنها شاغل ، ومن المألوف حتى فى العواصم الكبرى أن ترى جماعات المصلين أمام المحلات التجارية وفى الميادين العامة إذا كان المسجد بعيداً ، وهم يقيمون الصلاة فى أول وقتها ، ولا تكاد ترى شابا يتهاون فى هذا الفرض الإسلامى ، وكما يحافظون على الصلاة يحافظون على غيرها من شعائر الدين .

ومن أبرز صفاتهم الأمانة ، وقد أقمت فى مدينة أم درمان زهاء ست سنوات ما سمعت بحادث سرقة ، ولا اختلاس ، ولا ( نشل ) .

كما أنى لم أسمع فى هذه المدة بحادث قتل إلا مرة واحدة وكان القاتل غير سودانى ، وهم يسمرون فى مجالسهم بالاستماع إلى المدائح النبوية ، ولهذه المدائح شأن كبير فى حياتهم ، ينظمونها ، ويتغنون بها ، ويجتمعون عليها ، ولأحد مداحهم ديوان عنوانه ( أبو شريعة فى مدح صاحب الشريعة ) وهو قصائد منظومة باللغة العامية ، وكثير منهم يحفظون هذا الديوان ، وينشدون منه فى مجالسهم الخاصة والعامة .

ومن مظاهر تدينهم إكرامهم للعلم والعلماء فهم يعظمون العلماء ويجلونهم ، ومن عاداتهم الغريبة أن العالم إذا زارهم وأراد الرحيل قدموا له الهدايا ، وكثيراً ما تكون نقودا يجمعونها له ، وأشد غرابة من ذلك أن الرجل منهم إذا زار عالما قدم له شيئا من المال حين ينصرف عنه ، وقد شهدت من ذلك حادثة ، فقد كنت جالسا فى حجرة شيخ علماء السودان بمعهد أم درمان ، فأقبل رجل

(١) تاريخ السودان لنعوم ح ٢ ص ١٤٦ .

سوداني يزوره فلما هم الرجل بالانصراف أخرج من جيبه قطعة من ذوات الخمسة القروش ووضعها على مكتب شيخ العلماء وسلم وانصرف ، وأدرك الشيخ - وكان ليماقطنا - ما يدور بنفسي ، فقال : هـذه عادة أهل السودان ، يرون ذلك من إكرام العلماء ، ثم نادى على حاجبه وأمره بأخذ تحية الضيف التي قدمها المضيف !

ومما يكاد يكون فيصلا في إكرامهم للعلم والعلماء ، أن أحد رجال التعليم كان يريد بناء مدرسة فطاف في بلاد السودان يجمع المال لهذا الغرض ، وقابلته بعد أن حضر من رحلته فوجدته غاضبا ، فقلت له في ذلك فقال : أتصدق أني لم أستطع أن أجمع من الناس في هذه الرحلة الطويلة غير عشرين ألفا من الجنيهات ... لقد قل الخير في الناس !

وقد أدركنا كبار الأساتذة في معهد أم درمان لا يتحركون من مقاعدهم في فصول الدراسة إذا كانوا يدرسون تفسيراً أو حديثا إذا زارهم غريب مهما كان مركز الزائر ، وذلك إجلالا لكلام الله ، وحديث رسوله.

والسودانيون يشتهرون بصفات يرجعها بعضهم إلى ما فيهم من دماء العروبة ، وأرى أن للإسلام دخلا كبيرا في هذه الصفات ، وأيا ما كان فهي شواهد على عروبتهم وحسن إسلامهم .

من هذه الصفات حبهم للضيف ، وشدة احتفائهم به ، وإعداد منازلهم - في بعض الجهات - إعدادا كاملا لاستقبال الضيف مهما كان عددهم ، ومن تلك الصفات محافظتهم على الجار ، وصيانتهم للأعراض . والعفة عما في أيدي الناس ، ذكر نعوم شقير في كتابه قال : ومن غريب أخلاقهم أنه إذا أتى الجدب واشتد الجوع أغلق الواحد منهم بابه على نفسه وأولاده وانتظر الموت جوعا ولم يسأل أحدا خوفا من التعيير بذل السؤال .

وفيهم صبر عجيب على الشدة ، فالمريض مهما اشتد ألمه لا ينطق بكلمة تدل على تألمه ، وقد شهدت هنا عملية أجريت لعالم كبير من علمائهم من غير مخدر ، ولم نسمع له أنة ، ولا توجعا فلما سألته في ذلك ، قال : أتريد أن ينقل عني ابني هذا أني رفعت صوتي من الألم ؟!

والمسوق إلى القتل لا يبدي أقل جزع أو خوف ، ومن هذا القبيل أن الرجل منهم إذا كان سائرا وحدثت خلفه ضوضاء لا يلتفت كمن به جزع ، بل يتحول بجميع جسمه في غاية الهدوء .

والسودانيون في المذهب سنيون وفي العقائد على مذهب الإمام الأشعري ، وللصوفية في أخلاقهم آثار وآثار ، ولذلك انتشرت الطرق الصوفية عندهم وعظم احترامهم لها ؟

( للحديث بقية )

**علي العماري**
المدرس بالأزهر

# موسيقى القرآن
## بين الترتيل والتلحين
### للأستاذ أحمد الشرباصى

الموسيقى هى لغة البشر الطبيعية العميقة الجذور فى النفوس والقلوب ، وحب الناس للصوت الجميل أمر معروف مشهور ، ولا ينكر تأثير هذا الصوت إلا عليل أو مكابر ، وقد كثر حديث الكتب الفنية والأدبية عن هذا التأثير وذلك الحب ، ثم سرى الحديث من كتب الفن والأدب إلى كتب الدين ، والعقائد ، فنرى كتباً كثيرة قد ألفها فقهاء أو علماء عن السماع وعن أحكام السماع ، ونرى رجلا كالغزالى يفرد للسماع وللغناء والموسيقى باباً طويلا فى كتابه « إحياء علوم الدين » ، وهو ينتصر للسماع ويشيد بروعة الأصوات الجميلة ، ويرد على الذين يحرمون السماع ويحاربون الصوت الجميل ، كما نرى ابن القيم يصنع نحو هذا الصنيع فى كتابه « زاد المعاد » وكل من الغزالى وابن القيم معروف بفقهه وتدينه وغيرته على الإسلام وكذلك نجد فى كتب الصوفية وفى الكتب التى وضعها عنهم الواضعون فيضا من الحديث عن الموسيقى والأصوات والغناء والسماع .

واقتحام الموسيقى لبيئة الدين أمر قديم عريق القدم ، فقد رووا أن نبى الله داود عليه السلام كانت له معزفة يتغنى عليها ، فيبكى ويستبكى ، وكان يقرأ الكتاب المنزل عليه وهو « الزبور » بسبعين لحنا ، وكان يقرأ قراءة تطرب منها المحموم ورووا عن رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام أنه أحب الصوت الحسن ، ولما اتفق المسلمون على كلمات الأذان للصلاة كلف النبى بلالا بأن يرددها ويرتلها واصفا له بأنه « أندى صوتا من غيره . كما وصف النبى أبا موسى الأشعرى وكان حسن الصوت - بقوله « لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود » .

ويروى صاحب « التاج الجامع للأصول » أنه جاء فى رواية : دخلت دار أبى موسى الأشعرى فما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناى أحسن من صوته . والصنج آلة من نحاس كالطبقين يضرب بأحدهما على الآخر والبربط بوزن جعفر - آلة موسيقية كالعود والناى هو المزمار . فلما سمع أبو موسى ذلك قال : لو علمت يا رسول الله أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً ( أى حسنته تحسينا وزينته تزيينا )

وهذا عمر بن الخطاب القوى المتشدد فى دينه كان يسمع قراءة أبى موسى الأشعرى وهو يتلاحق فيقول عمر معجبا به : « من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل » :

وقد اشتهر طائفة من صحابة النبي رضوان الله عليهم بحسن الصوت وحلاوة النبرة ، فمنهم أبو موسى الأشعرى الذى أوتى مزمارا من مزامير داود . وعقبة بن عامر الذى وصفوه بأنه كان من أحسن الصحابة صوتا ، وبلال بن أبى رباح مؤذن السماء وصاحب الصوت الندى الرخيم . وأبو بكر الصديق صاحب الصوت الرقيق الحزين !...

وهذا هو القرآن الكريم الذى أمر الله المسلمين بأن يرددوه ويرتلوه ترتيلا ، إننا ننظر إليه فنجد فيه كثيرا من الخصائص الموسيقية ، كانتظام الفاصلة فى كثير من المواطن، ووجود الانسجام الصوتى والإيقاع الموسيقى ، ولنقرأ مثلا قول الله تعالى : «والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى .... » . أليس من الانتظام والانسجام هذا الحرف المنطلق بالمدة المفتوحة ، وهو الواو فى أغلب هذه الآيات ؟ .

وفى سورة الرحمن نسمع القرآن يقول : « الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان ، والسماء رفعها ووضع الميزان » . أليس من اتساق الصوت هذه النون المسبوقة بألف المدة التى تأتى فى نهاية كل آية ؟ . وأليس اختيار حرف النون هنا لونا من ألوان هذا الاتساق ؟ .

وقل نحو هذا فى قول الله عز وجل : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » أرأيت هذه الهاء المفتوحة المنطلقة التى ختمت بها كل آية من آيات هذه السورة ؟ ألا تراها فاصلة لازمة مكررة ، فيها موسيقية وفيها اتساق ؟ .

وفى سورة القمر نرى هذا الإيقاع الموسيقى حين نسمع الحديث عن نوح عليه السلام : « فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر » . فهذه الراء الساكنة التى تحدث فى اللسان ذبذبة حين النطق بها تعطى الكلام رنينا وموسيقية خاصة ؛ ولأن حرف الراء حرف له موسيقيته وذبذبته نجده كثير

الورود فى فواصل الآيات القرآنية ، فنجده - مثلا - يأتى فى نهاية أغلب الآيات الموجودة فى سورة الإسراء . وفى نهاية أكثر الآيات الواردة فى سورة الفرقان ، وفى نهاية كل آية من آيات سورة القمر ، وعدد آياتها خمس وخمسون ، فكأن حرف الراء جاء خمسا وخمسين مرة متتابعة ؟ .

وجاء حرف الراء فى نهاية أغلب الآيات الواردة فى سورة الدهر ، وفى نهاية جميع الآيات الواردة بسورة القدر ... الخ .

وأحيانا نرى حرفا محذوفا من آية لكى يتوافر هذا الاتساق الصوتى ، كما فى قوله تعالى : « والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر » . فالأصل : « يسرى » لحذفت منها الياء لتتفق الفواصل ؛ وأحيانا نرى حرفا يزاد لنفس الغرض ، كما فى قوله تعالى : « إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » ، فالأصل هو « الظنون » ولكن زيدت فى آخر الكلمة ألف المد لتتفق مع نهاية الآية المرافقة المختومة بكلمة « شديدا » ! .

وبعض الناس يقرر أن التلحين الموسيقى والاتساق الغنائى مما لا يمكن أن يلتقى مع ما يسمونه بالترتيل القرآنى ، وهذا غير صحيح ؛ لأننا نستطيع فى سهولة أن نسمى علم « التجويد » وهو علم الترتيل القرآنى باسم « علم الموسيقى القرآنية » ! .

وهذا العلم يتضمن أحكام تلاوة القرآن ، وتبيان مخارج الحروف ، وشرح صفاتها المختلفة ، ويتعرض لبحث المد بأنواعه ، وبحث الإخفاء والإظهار ، والفك والادغام ، والجهر والهمس ، والغن والإمالة ، والقلقلة والإشمام ، والوقف والوصل ، والتفخيم والترقيق ، وتعلية الصوت وخفضه ، وغير ذلك من موضوعات هى من صميم المسائل الصوتية ؛ لأنها تتعلق بكيفية النطق وهيئة الأداء ، والمسائل الصوتية هى من صميم الموضوعات الموسيقية .

ومهمة « علم التجويد » أو « علم الموسيقى القرآنية » هى الهداية إلى الطريقة المثلى لترتيل القرآن الكريم ، إذ أن الله تبارك وتعالى يقول : « ورتل القرآن ترتيلا » والترتيل هو ضبط النطق ، وإتقان التلاوة ، وتجويد القراءة ، وتحسين الصوت ، ومناسبته لفحوى الكلام ؛ ويقال إن الإمام عليا سئل عن الترتيل فأجاب : « الترتيل تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف » .

وقد وضع العلماء منذ العصور السابقة كثيراً من الكتب التى تبحث فى علم التجويد ومسائله ، وعندى أنه يجب على الموسيقيين

أن يدرسوا هذا العلم دراسة واسعة ، لأنه من صميم صناعتهم ، ولأنهم عن طريق هذه الدراسة يستطيعون أن يدركوا الصلة القوية الوثيقة بين علم التجويد وبين الموسيقى ؛ وإذا كنا قد طالبنا من قبل — ونطالب الآن — رجل التلاوة القرآنية بأن يكون على شيء من الدراية للقواعد الموسيقية لينتفع بها فى ضبط تلاوته ، فمن الواجب أن نطالب رجل الموسيقى بأن يفقه قواعد التجويد ومسائله ؛ لأنها من صميم الموسيقى والنغم الصوتى .

وهناك طائفة من الأحاديث النبوية تشير فى وضوح وجلاء إلى أن تلاوة القرآن تحسن إذا كان فيها حلاوة صوت وجمال تغن ، فمن هذه الأحاديث قول النبى صلى الله عليه وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم » ، وقوله : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » ، وقوله : « أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن بتحزن فيه » ، وقوله : « ما أذن الله ( أى ما استمع ) لشىء كإذنه لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » وقوله : « تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه ، والذى نفسى بيده هو أشد تفصيا من المخاض من العقل » ، واستمع النبى ليلة لقراءة أبى موسى الأشعرى — كما سبقت الإشارة — فأعجب بقراءته ، وأخبره فى الصباح قائلا : لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة ؟ ( أى أسررت ) ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود ( أى لقد أعطيت لحنا من حسن صوت داود عليه السلام ، وكان صوت داود فى نهاية الحسن ) .

أظن أن هذه الأحاديث تضيق كثيراً مسافة الخلف بين أنصار التلحين وأنصار الترتيل ، وتخفف حدة العداوة بين الفريقين ، فإن الترتيل المستحب يتضمن بمقتضى هذه الأحاديث شيئا من التلحين والتغنى والتطريب والترجيع .

وقد ذكروا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتغنى بالقرآن ، ويرجع صوته به أحيانا ، كما رجع يوم الفتح فى قراءته : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » ، وكان يمد قراءته ويقطع فيها أى يجزئها .

وذكر الطبرى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكرنا ربنا ، فيقرأ أبو موسى ويتلاحق ؛ ويقول عمر : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل .

وكان عقبة بن عامر كما ذكرنا — من أحسن الناس صوتا بالقرآن . فقال له عمر : أعرض على سورة كذا . أى اقرأها على ، فعرض عليه بصوته وتلحينه ، فبكى عمر وقال : ما كنت أظنها نزلت ! .

وقد رووا أن الإمام أبا حنيفة وأصحابه

كانوا يسمعون القرآن بالألحان . وكذلك روى عن الإمام الشافعي أنه كان يستمع القرآن بالألحان ، وذكر ابن القيم في ( زاد المعاد ) تعليل المجيزين لقراءة القرآن بالتلحين فقال : « لأن تزيينه وتحسين الصوت به والتطريب بقراءته أوقع في النفوس ، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه ، ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع ومعانيه إلى القلوب ، وذلك عون على المقصود ، وهو بمنزلة الحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفذه إلى موضع الداء ، وبمنزلة الأفاويه والطيب الذي يجعل في الطعام لتكون الطبيعة أدعى له قبولا ، وبمنزلة الطيب والتحلي وتجمل المرأة لبعلها ، ليكون أدعى إلى مقاصد النكاح ، قالوا : ولا بد للنفس من طرب واشتياق إلى الغناء ، فعوضت عن طرب الغناء بطرب القرآن ، كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه ، كما عوضت عن الاستقسام بالأزلام بالاستخارة التي هي محض التوحيد والتوكل ، وعن السفاح بالنكاح ، وعن القمار بالمراهنة بالنصال وسباق الخيل ، وعن السماع الشيطاني بالسماع الرحماني القرآني ، ونظائره كثيرة جداً » .

نعم هنالك فريق من الفقهاء مثل الإمامين أحمد ومالك يرى أن قراءة القرآن بالألحان بدعة ، ولم تعجبهم هذه القراءة وكرهوها ، ولعل هذا الفريق يقصد بالألحان هنا تلك الألحان المحددة التي كانت معروفة للأغاني ، والتي لا تناسب جلال القرآن ولا روح وعظه وتذكيره ، إذ أن هذه الألحان بقواعدها المعروفة وهيئاتها المتكلفة المحددة لا تتلاءم مع عظمة القرآن ورسالته ، وإذا كنا نقول : إن للقرآن موسيقى ، فنحن نقصد موسيقى القرآن الملائمة لجلاله وجماله من ناحية تحسين الصوت به والتطريب في إلقائه وإثارة العواطف والمشاعر بترتيله وتلاوته :

وأظن أنه لا يخالف أحد يفقه روح الإسلام ويعرف جلال القرآن في وجوب امتناع التالي للقرآن عن استخدام لحون أهل الفسق في تلاوة القرآن وترتيله ، وعن اتخاذ القرآن المجيد كالأغاني التي يراد منها مجرد اللهو والطرب فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر ، فإنه سيجيء أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح » .

ومن المشاهد أن بعض القراء المرتلين للقرآن الكريم هنا وهناك يسيئون التصرف في الترتيل ، إذ يسرفون في التطريب ، ويعتسفون في التلحين ، ويخرجون عن حد الأدب والذوق ، وأحيانا يخطئون من ناحية اللغة ومن ناحية النطق ومن ناحية التجويد ، ومن ناحية إعطاء المعنى المقصود ، فقد

يهمزون ـ فى سبيل التطريب المسرف ـ ما ليس بمهموز ، وقد يزيدون فى المد حتى يختل أو يعتل ، وقد يقفون حيث يجب الوصل ، وقد يصلون حيث يجب الوقف . . وهكذا .

وهنا أذكر أنه كانت تعجبنى تلاوة المرحوم الشيخ محمد رفعت ، كما تعجبنى تلاوة الشيخين الشعشاعى والحصرى أطال الله حياتهما ، وهناك من غير شك كثير من المحسنين للتلاوة ولست أحصى ولكنى أضرب المثل . .

والواجب على كل مرتل للقرآن الكريم أن يتذكر قبل أن يتلو ، وأن يتذكر وهو يتلو أنه يرتل كلام الله ، وكتاب الله ، وقرآن الله وأنه يبلغ عن الله قيوم السموات والأرض ورب العالمين جميعا ، وأنه يرتل لا للإضحاك أو التسلية ، بل ليذكر ويهتدى ويرشد ، وليذكر كل مرتل حين يرتل قول الله عز وجل « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد » .

ليتذكر أن هناك تطريبا يراد به التأثير ، وتطريبا يراد به الإغناء ، وأن الأول منهما هو الأليق بجلال القرآن ورسالته ، وها هو ذا ابن القيم بعد أن ذكر أدلة المبيحين للتغنى والترجيع والتطريب والتلاوة ، وأدلة المانعين لذلك ، أراد أن يفصل فى النزاع بين الطائفتين فقال :

وفصل النزاع أن يقال : التطريب والتغنى على وجهين : أحدهما ما اقتضته الطبيعة ، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل إذا خلى وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين ، فذلك جائز ، وإن أعان طبيعته فضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى للنبى صلى الله عليه وسلم : لو علمت أنك تسمع لحبرته تحبيراً . .

والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب فى القراءة ، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقته الطبع وعدم التكلف والتصنع ، فهو مطبوع لا متطبع . وكلف لا متكلف ، فهذا هو الذى كان السلف يفعلونه ويستمعونه ، وهو التغنى الممدوح المحمود . وهو الذى يتأثر به السامع والتالى . وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها .

والوجه الثانى ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ، وليس فى الطبع السماحة به ، بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن ، كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة ، لا تحصل إلا بالتعلم والتكلف ، فهذه هى التى كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها ، وأنكروا على من قرأ بها ، وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه .

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره ، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعا أنهم برآء من القراءة بالألحان الموسيقية المتكلفة التي هي إيقاع وحركات موزونة معدودة محدودة ، وأنهم أتقى لله من أن يقرءوا بها ويسوغوها ، ويعلم قطعا أنهم كانوا يقرءون بالتحزين والتطريب ، ويحسنون أصواتهم بالقرآن ، ويقرأونه بشجى تارة ، وبطرب تارة ، وبشوق تارة وهذا أمر في الطباع تقاضيه ، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له ، بل أرشد إليه وندب إليه ، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به ، وقال : ليس منا من لم يتغن بالقرآن وفيه وجهان : أحدهما أنه إخبار بالواقع الذي كلنا نفعله . والثاني أنه نفي لهدى من لم يفعله عن هديه وطريقته صلى الله عليه وسلم » .

وإذن فليقرأ القراء كتاب الله عز وجل، وليرتلوا ترتيلا ، وليحسنوا به صوتهم ما استطاعوا ، وليتغنوا به ما قدروا ، وليلتمسوا بتطريبهم وتلحينهم مواطن التأثير والزجر والعظة ، ولكن ليحفظوا مع هذا جلال القرآن المجيد ، وليتذكروا دائما أنه كلام العزيز الحميد ؟

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف



---

من روائع تمثيله صلوات الله عليه قوله في تقييد الحرية إذا أضرت بالغير : إن قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل منهم موضع ، فأراد أحدهم أن ينقر موضعه بفأس . فقالوا له : ما تصنع ؟ قال هو مكاني أصنع به ما أشاء ، فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا .

# عصر نبذ الإله الواحد فوقع فى شرك آلهة شتى

للأستاذ فتحى عثمان

وقع المجتمع الأوربى فى أزمة ...

وجاء عصر النهضة فانفجرت الأزمة ، وتمرد الناس على كل رابطة تربطهم بطاغية : سواء أكان دوقا إقطاعيا أم كاهنا دينيا ... ثم جاء عصر الثورة الفرنسية والنهضة الصناعية فاشتعل البركان ضد الملوك ...

وكانت النتيجة الحتمية لرد الفعل أن يلتهب الحماس ضد كل علاقة تبعية بعد أن أضاء نور الحرية ، فرأى الهائجون فى انطلاقهم أن يشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ، وأن يتمردوا على الله أيضا : أفليس هو ملك الملوك الذى استمد منه الملوك والكهان سلطانهم الذى طالما أذلوا به الرقاب وسفكوا الدماء ونهبوا الحقوق ؟ ؟ .

« لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان الا من الله ، والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله ، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة ، فإن الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة ، أفتريد أن لا تخاف السلطان ؟ افعل الصلاح فيكون لك مدح منه ، لأنه خادم الله للصلاح ، ولكن إن فعلت الشر فخف ، لأنه لا يحمل السيف عبثا إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر ، لذلك يلزم أن يخضع له - ليس بسبب الغضب فقط ، بل أيضا بسبب الضمير ، فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضا ، إذهم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه . فاعطوا الجميع حقوقهم : الجزية لمن له الجزية ، الجباية لمن له الجباية ، والخوف لمن له الخوف ، والإكرام لمن له الإكرام » (١) .

إن شرارة الحرية تريد أن تحرق طغيان الفرد ولو كان إلها ، وتريد أن تنزل كل الملوك عن تيجانهم وعروشهم ...

« سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » .

---

وقالت أوربا . نريد أن نعيش أحرارا ...

فهل نجحت أوربا فى أن تحتفظ بحريتها ، وهل استطاعت أن تعيش بغير دين أو إله ؟ ؟

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية ١٣ : ١ - ٧

ماهو الدين ؟؟ وما أبرز خصائصه ؟؟

إن روجيه باستيد Bastide يقول « للدين تعاريف لاتدخل تحت حصر ، وكل فيلسوف يعرض علينا تعريفه ...

فهربرت سبنسر Spencer, يعرف الدين بأنه الشعور بأننا نسبح فى خضم من الأسرار ، وماكس مولر Mul er يعرفه بأنه الشعور باللانهائى ، وشليرمارشر Scheleirmarcher يعرفه بالخضوع لوجود لايناله إدراكنا ، وفيورباخ Feuerbach يعرفه بالغريزة التى تدفعنا نحو السعادة ... ويقول دوركايم Durkheim : إن العنصر المشترك حقيقة بين جميع الديانات معنى أكثر اتساعا من ذلك وهو معنى الأمور المقدسة » (١)

ولنكتشف الآن من عناصر الدين وخصائصه بعنصرين أساسيين متميزين :

١ — الاعتقاد ( بإله ) معبود يكون مركز الاهتمام الكلى وقبلة الاتجاه الرئيسى فى الفكر والعمل .

٢ — الاعتقاد ( بعالم الغيب ) الذى يجاوز نطاق الحس ، لكن يكون موضع ( الإيمان ) الذى يعتبر هذه الغيبيات مسلمات حقيقية ثابتة .

فلننظر الآن فى جوانب الفكر الأوربى والمجتمع الأوربى - ومثل ذلك فى أمريكا ، هل استطاع العالم الغربى أن يعيش بغير إله وبغير دين ؟

إن فكرة الإله ليست إلا تركيزا للاهتمامات والدوافع والعواطف حول محور أساسى ، تتبلور عنده كل المطالب الجزئية والمشاعر العرضية . وتكون هى المقياس والميزان لكل خاطر أو سلوك .

والفرد الذى يعيش لنفسه ، إنما يؤله ذاته . . . ففى كل فكرة وعمل ، يزن الأمور وفقا لمصلحته الشخصية ، وقد يتسع أفقه فيكون مركز اهتمامه أسرته وأطفاله .

والفرد الأنانى على هذا النحو لم يتحرر من الانقياد لإله . بل إن هواه يطالبه بما لا يطالبه به رب السموات والأرض . وهو فى سبيل عبادة إلهه يقيد نفسه بالكثير ، ويتنازل عن الكثير ، ويتحمل من المخاطر الكثير .

« إن الفرد الأنانى يقيد نفسه (بوجوب) إرضاء مطالب ذاته فورا . . . . ولا يعترف بعقبة تحجزه ، أو اعتبار يستحق أن يدخله فى تقديره » . انه أمام الحاح من ضغوط مزاجه وهو لايستطيع أن يؤجل أو يلغى مطالبه... كيف وليس فى تقديره إلا حساب ذاته ؟ ؟

نحن إذن أمام إنسان مسعور ، تؤرقه رغباته وشهواته ، ولا يزال يلح عليه الطلب

(١) مبادئ علم الاجتماع الدينى — ترجمة الدكتور قاسم ص ٢٣ — ٢٧ .

ويندفع إلى الإجابة فلا الطلب ينتهى ولا الإجابة تسعفه فى كل الظروف فبينما نجد إله السموات والأرض رحيما لا يكلف نفسا إلا وسعها . إذا بإله الهوى لا يقبل معـــذرة ولا يرضى بتسويف .

إن الفرائض التى تفرضها أهواء الملحد لأضخم فى كثير من أوامر الله الكبير المتعال ، والفرد الأنانى يتنازل عن الكثير فى سبيل عبادة هواه ... يتنازل عن نزعاته الاجتماعية ، ولا يأبه لمكانه من قلوب الناس أو منزلته من المجتمع ، ويتنازل عن أشواقه الخفية ومنطقه العقلى ، ويتنازل عن تقدير ما يسمى بالصالح الآجل أو الحساب النهائى ، ويغض النظر عن منفعة الجماعة التى تعود على جميع الأفراد ومنهم هو ذاته ... إنه يعيش فى الساعة التى هو فيها !

إن النواهى التى تفرضها أهواء الملحد ، وتحتم عليه أن يسقطها من اعتباره ، هى تضحيات وخسائر أكبر مما يريده الله الرحيم من العباد .

والفرد الأنانى يتحمل الكثير من المخاطر فى سبيل عبادة هواه ... يتحمل مخاطر بدنية وعقلية ونفسية ، ويعيش فى جحيم من الاضطراب والتخليط ، وقد يتعرض فى سبيل تكليف عاجل من ( وحى ) إله الهوى إلى سفك دمه أو تعكير صفوه أو إلغاء عقله ، وهو يدفع ضريبة البشرية بآلامها وتضحياتها ونقائصها ولكن فى حدود الحلقة المفرغة والأفق المحدود والمجال الهزيل الذى ربط نفسه به .

إنه جحيم الدنيا يتحدر فى دركاته الملحد ، وتكلفه أهواله من الهزات والقلاقل والنقائض أضعاف ما يتطلبه الإيمان بيوم الحساب !

« إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » .

* * *

وماذا وفر الناس على أنفسهم إذن حين كفروا بربهم ؟ .

آمنوا بأنفسهم ، فكلفتهم فوق ما يكلفهم دين الله . . . ولربما اتسع نطاق عقائدهم ومذاهبهم فآمنوا ( بالجماعة ) أو ( الأمة ) أو ( الدولة ) وحدها دون سواها ، فإذا بالحرب الضروس تقوم بين جماعة وجماعة ، أو بين أمة وأمة ، أو بين دولة ودولة . . . صراع بين الآلهة التى آمن بها من يريدون أن يؤمنوا بغير ( إله ) ، فكأننا فوق (جبل الأولمب ) حيث لا تكف آلهة الإغريق الأسطورية عن القتال ! وتناثرت المذاهب فوق الرءوس المتطايرة فى الصراع ، فإذا بنا أمام

أديان جديدة بأسماء أخرى تملك على أتباعها مشاعرهم وتأخذ عليهم عقولهم وتفكيرهم ، وإذا بنا أمام عصبيات جديدة مجنونة تسوق البشر إلى مجازر صليبية جديدة باسم ( سيادة الجنس ) أو ضرورة ( المجال الحيوى ) أو انتصارا ( لفلسفة من الفلسفات ) . . فاشية أو استعمارية ، فردية أو جماعية . . . أو ، أو . . . حتى قال المتفائلون نحن فى هذا القرن العشرين نخوض ( أزمـــة التمذهب ism ) وتطالعنا الرايات تخفق فوق رءوسنا كل منها تريد أن تنتزع لنفسها الولاء والانقياد . . . أو ( العبادة ) - مع الاعتذار لأعداء الدين!

والولاء الجماعى كلف الناس ما كلفهم الهوى الفردى من شطط . . . وليقل لنا ذلك دوركايم حتى نصدقه :

« تمتاز الظاهرة الاجتماعية بأنها خارج شعور الفرد ، وتمتاز أيضا بقوة آمرة قاهرة هى السبب فى أنها تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك أم لم يرد . حقا إننى لا أشعر بهذا القهر أو لا أكاد أشعر به حين أستسلم له بمحض اختيارى ، وذلك لأن الشعور بالقهر فى مثل هذه الحال ليس مجديا . ولكن ذلك لا يحول دون أن يكون القهر خاصة تتميز بها الظواهر الاجتماعية ، ويدل على ذلك أن هذا القهر يؤكد وجوده بقوة متى حاولت مقابلته بالمقاومة . . . وذلك إما بأن تحول دون نفاذ فعلى إذا كان ثمة متسع من الوقت قبل وقوعه ، وإما بأن تمحو ما يترتب عليه من الآثار ، أو تضعه فى قالب طبيعى إذا كان قد نفذ بالفعل وكان جبره ممكنا ، وإما بأن تلزمنى بالتكفير عنه إذا لم يمكن جبره بحال . . وإذا كنت من أرباب الصناعة فليس ثمة ما يمنعنى من استخدام الأساليب وطرق الصناعة التى كان يستخدمها الناس فى القرن الماضى ، ولكنى لو فعلت ذلك للحق بى الدمار ما فى ذلك شك . ولو فرضنا أننى تمكنت فى الواقع من الخروج على هذه القواعد ومن خرقها بنجاح فلن أتمكن من ذلك إلا بشرط أن أضطر إلى صراعها ، ولو فرضنا أننى استطعت التغلب عليها فى نهاية هذا الصراع فإنها سوف تشعرنى بقوة قهرها إلى حد كاف ، وذلك بسبب ما سألقاه من مقاومتها . وليس ثمة مجدد إلا واصطدمت محاولاته بمقاومة من هذا القبيل ، حتى لو كان مجددا سعيد الطالع [١] » .

فأين يذهب الإنسان ؟ ؟

هل فى وسعه أن يعيش بغير دين وإله ، إلا إن استطاع أن ينخلع من كيانه ودوافعه ، وإن استطاع أن ينتزع نفسه من الكون والحياة ؟ ؟

---

[١] قواعد المنهج فى علم الاجتماع — ترجمة الدكتور قاسم ص ٣٢ - ٣٣ .

« يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا .... لا تنفذون إلا بسلطان » .

« قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا . . . ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله . . . كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران . . . »

« ألا إن لله من فى السموات ومن فى الأرض وما يتبع الذين يدعون من الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » . « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد » .

*

وإذا كانت الحضارة المادية قد نصبت للأفراد آلهتهم التى لا يخطئونها فى قصد ، ولا ينفكون من ربقتها فى سلوك ، فإن لهذه الفلسفة المادية ( غيبها ) الذى يحاول أن يرضى فى الإنسان أشواقه الخفية . . . . أو يحاول الإنسان باستسلامه لهذا الغيب أن يرضى أشواقه الخفية .

كتب جوستاف لوبون عن ( الأصبغة الدينية التى تصبغ بها عقائد الجماعات ) يقول : « ولهذا الشعور مميزات بسيطة جداً . وهى عبادة موجود افترض سموه وخشية ما يعزى إليه من القدرة ، والانقياد الأعمى لأوامره وتعذر الجدال فى تعاليمه . والرغبة فى نشر هذه التعاليم وعد كل من يرفض اعتناقها عدوا . ويظل ذلك الشعور الدينى من جوهر واحد على الدوام ، سواء أطبق على إله خفى أو على صنم حجرى أو على مطلب أو فكر سياسى ، وتجد فى ذلك الشعور ما فوق الطبيعة وما هو معجز على السواء ، والجماعات تلبس مثل هذه القدرة الدينية ما يغريها على التعصب من صبغة سياسية ، أو زعيم منصور حينا من الزمن . ولا يكون الإنسان متديناً إذا عبد إلها فقط ، بل يصبح متديناً أيضا عند ما يضع جميع منابع نفسه وجميع انقيادات إرادته فى خدمة قضية أو موجود غدا غاية المشاعر ورائدها ويمكن أن يقال إذن : إن جميع المعتقدات ذات صبغة دينية . . .

لا بد للجماعات من دين ، ولا تستقر المعتقدات السياسية والإلهية والاجتماعية بالجماعات إلا باكتسابها شكلا دينيا على الدوام فيكون به فى حمى من الجدل ، ولو أمكن حمل الجماعات على الإلحاد لاكتسب هذا الإلحاد ما فى الشعور الدينى من شدة تعصب ولأضحى

فى وجوهه الظاهرة ضربا من العبادة بسرعة .
ولنا فى تطور المذهب الوضعى مثال طريف على ذلك : ويشابه هذا المذهب ذلك العهد من Nihiiisre الذى روى دستويفسكى لنا قصته فقد سطعت أنوار العقل على هذا العرض ذات يوم فحطم صور الآلهة والقديسين التى كانت تزين هيكل معبده الصغير ، وأطفأ الشموع ولم يبدد من الوقت ثانية ! ! . . . فأحل محل الصور المحطمة كتب بعض الفلاسفة الملحدين كبوخز ومولشوت ثم أشعل الشموع ثانية بورع ! ! .

أجل : لقد تحول موضوع معتقداته ، الدينية ، ولكن أيمكن أن يقال . إن مشاعره الدينية تغيرت ؟ ؟ ! » . (١)

هذه الحقيقة التى أبرزها الفيلسوف لوبون يقررها علم النفس بالنسبة للفرد ، وعلم الاجتماع بالنسبة للمجتمع على السواء .

يقول الدكتور عبد المنعم المليجى عن نفسية المراهق .

« ونحن نعلم أن المراهق - برغم إطلاقه العنان لتفكيره واستطلاعه ، يرى العالم من خلال مشاعره وتصوراته . . . واكتساب ببعض التعلم بالعلوم والفنون المختلفة دون أن يتمثلها تمثلا كافيا يضع تحت تصرفه مادة يستغلها فى الجدال والمحاجة ، فيتلاعب بالألفاظ الضخمة ويكلف بالصيغ والتراكيب ويتشدق بالمصطلحات العلمية والفلسفية ويتوهم المراهق أن فكره معين لا ينضب فى حين أن كآبته تكشف عن الضحالة والافتقار إلى وضوح الفكر . . ولذلك ما يكاد يقع على مبدأ علمى أو مذهب فلسفى يرضى تطلعه ونزعته ، إلى التحرر . حتى يتحمس له تحمسا هو أقرب . إلى التعصب ، منه إلى الفكر العلمى الرزين . فإن كان يفيد من الثقافة العلمية الموضوعية أو الأفكار الفلسفية المتحررة ، فهو لا يفيد اتجاها موضوعيا أو منطقيا فى التفكير ، بل يفيد منها ما يؤيد طموحه إلى عقيدة مطلقة ورأى نهائى . وليس يخاف علينا انتشار كتب وآراء بعينها بين جمهور المراهقين فى الشطر الأخير من المراهقة من أمثال داروين ونيتشة وماركس ، وليس يخاف كذلك كيف أن كتابات هؤلاء كانت لدى بعض المراهقين بمثابة كتب مقدسة تحتل فى نفوسهم ما تحتله الكتب السماوية لدى المؤمنين من مكانة رفيعة .

ونحن نجد الدليل على ذلك من مذكرات رجل نشأ ( سلامة موسى ) فهو يقول :
( ... ولكنى أذكر أنى وأنا دون العشرين أحسست أن نظرية التطور تأخذ مكانا دينيا فى نفسى ، وأنها قد حملتنى واجبا روحيا ،

---

(١) روح الجماعات ترجمة زعيتر ص ٦٨ - ٧٠ .

وقد نما هذا الواجب فى نفسى إلى واجبات [١] وهكذا يشغل الفرد ( الفراغ النفسى ) ويسد ( الجوعة الروحية ) بأى بديل يستغرقه نفس الاستغراق .

وكذلك الأمر بالنسبة للمجتمع أيضا ، جاء فى كتاب ماكيفر وبيج عن(قواعد الدين وقواعد السلوك ) :

« ... إن بعض العبادات الخلقية مثل عقيدة أوجست كونت بشأن ( المذهب الوضعى ) أو جمعية الثقافة الخلقية المعاصرة تدعى أنها دينية أيضا ، وإلى جانب ذلك يوجد ما يمكن أن نسميه ( الديانات البديلة ) حيث ترتبط الخصائص العاطفية التى تصاحب أداء الواجبات الدينية بعناصر لادينية ـ بل مضادة للدين، كما هى الحال فى بعض تعبيرات الشيوعية أو فى أى دستور اجتماعى غير ذلك [٢] » .

فأين يهرب الناس من نوازع أنفسهم ؟ ؟ ألا يتواضعون للحقائق ويتأملون رصيد التجارب الإنسانية الذى خرج منه الأستاذ العقاد بتقريره الدقيق « الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية ... »

ولم يكن الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية ، لأنه مصلحة وطنية أو حاجة نوعية، لأن الدين قد وجد قبل وجود الأوطان ولأن الحاجة النوعية بيولوجية تتحقق أغراضها فى كل زمن وتتوافر أسبابها فى كل حالة ولا زال الإنسان بعد تحقق أغراضها ، وتوفر وسائلها فى حاجة إلى الدين . وغرائز الإنسان النوعية واحدة فى كل فرد من أفراد النوع وكل سلالة من سلالاته ، ولكنه فى الدين يختلف أكبر اختلاف ، لأنه يتجه من الدين إلى غاية لا تنحصر فى النوع ولا تتوقف على غرائزه دون غيرها ، وليس الغرض منها حفظ النوع وكفى ، بل تقرير مكانه فى هذا الكون أو فى هذه الحياة . فالإنسان يتعلق من النوع بالحياة، ويتعلق من الدين بمعنى الحياة ... فالإيمان ضرورة كونية لا تخلقها مشيئة أحد من الآحاد ، ولو كان فى قدرة الرسل والأنبياء . فإذا أجمع الناس على الاعتقاد كيفما كان اختلافهم فى الجنس والزمن والموطن والمصلحة ـ فليس هذا عمل فرد ، ولا هو مما يتفق بين الحين والحين عرضا واتفاقا من فعل الحيلة والتدبير ، ولكنه باعث من صميم قوى الكون ، لا يفلح الرسل والأنبياء فى نشر دعوته ما لم يكن فى تلك الدعوة مطابقة لحكمة الخلق وسر التكوين ...

وقد رأيت أناسا يبطلون الأديان فى العصر الحديث باسم الفلسفة المادية ، فإذا بهم يستمدون من الدين كل خاصة من خواصه

---

« ١ » تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

« ٢ » المجتمع ـ ترجمة الدكتور على عيسى ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤

وكل لازمة من لوازمه . ولا يستغنون عما فيه من عنصر الإيمان والاعتقاد التي لا سند لها غير مجرد التصديق والشعور ، ثم يجردونه من قوته التي يبثها في أعماق النفس لأنهم اصطنعوه اصطناعا ولم يرجعوا به إلى مصدره الأصيل.

فالمؤمنون بهذه الفلسفة المادية يطلبون من شيعتهم أن يكفروا بكل شيء غير المادة وأن يعتقدوا أن الأكوان تنشأ من هذه المادة في دورات متسلسلة ، تنحل كل دورة منها في نهايتها لتعود إلى التركيب في دورة جديدة وهكذا دواليك ثم دواليك إلى غير انتهاء .

ويطلبون منهم أن ينتظروا النعيم المقيم على هذه الأرض متى صحت نبوءتهم عن زوال الطبقات الاجتماعيـــة ، فإن زالت الطبقات الاجتماعية في هـــذه السنة أو بعدها ببضع سنوات فتلك بداية الفردوس الأبدي الذي يدوم ما دامت الأرض والسموات وتنتهي إليه أطوار التاريخ كما تنتهي بيوم القيامة في عقيدة المؤمنين بالأديان . ولا يكلف دين من الأديان أتباعه تصديقا أغرب من هذا التصديق ولا تسليما أتم من هذا التسليم ، ولا يخلو دين الفلسفة المادية من شيطانه وهو الرأسمالية الخبيثة ، فكل ما في الدنيا من عمل سيء أو فكرة سوء فهو كيد من هـــذا الشيطان الماكر المريد . . . ولما طبقت هذه العقيدة على أيدي أصحاب الفلسفة المادية خيل إليهم أنهم ظفروا بحقيقة الحقائق واستغنوا بها عن كل ما اعتقده الإنسان في جميع الأزمان ، ولا سيما عقائد الأديان والأوطان . وادخروها للزمن كله بل للأبد كله . ولكنهم لم يصطدموا صدمتهم الأولى في الحرب العالمية الأخيرة حتى لجأوا إلى الوطن وإلى الديانة . . .

وفحوى هذه العبرة البالغة أن أسرار العقيدة أعمق وأصدق مما يدور بأوهام منكريها ، وأنها ذخيرة من القوة وحوافز الحياة تمد الجماعات البشرية بزاد صالح لا تستمدها من غيرها ، وأن هذه الذخيرة ( الضرورية ) خلقت لتعمل عملها ولم تخلق ليعبث بها العابثون كلما طاف بأحدهم طائف من الوهم أو طارت برأسه نزعة عارضة لا تثبت على امتحان «١»

هذه الصورة الدقيقة للأديان البديلة الكلية الشاملة totalisme يبرزها « نهرو » كذلك حيث يقول .

« ما هي الماركسية ؟ إنها طريقة لتفسير التاريخ والسياسة والاقتصاد والحياة والنزعات البشرية ، وهي نظرية ودعوة لعمل ما ، وفلسفة تتناول جميع نواحي النشاط الإنساني ، ومحاولة لجعل التاريخ بماضيه وحاضره ومستقبله نظاما منطقيا يحمل في طياته مصائر محتومة كالقدر ، ولكن الناس يشكون في كون حياتهم منطقية بهذا الشكل ومعتمدة على قواعد مقطوعة مبتوت فيها » «٢» وكم من نبوءات ماركس لم تصب التحقيق ؟ ؟

---

«١» من مقدمة الفلسفة القرآنية .

«٢» لمحات من تاريخ العالم ـ طبع بيروت ص ١٦٨ .

لا ملجأ من الله إلا إليه . . .

تلك عبرة الواقع ، وما أفدح الثمن الذى دفعته البشرية للتخلص من الدين والإله . . .

لقد رفضت شيئا أرادت أن تتوقاه . . . وآمنت بأضعاف ما أرادت أن تتحرر منه حين تكفر بالله .

أما المؤمن بالله ، فهو كافر بكل ما عداه :

يؤمن بالله فيتحرر من كل الضغوط والنزوات ، وتنطلق قواه التى لا ترضخ لغير فاطرها ، والتى يكسبها الإيمان قوة دافعة إذ يرضى الأشواق الخفية ويحطم أغلال الآلهة الباطلة الظاهرة ويوازن بين شتى الدوافع والاحتياجات :

فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وكم تتبدد طاقات الناس بين الضعف الكسير والكبر المغرور . . . وكم تضيع فى التخبط والتمزق قوى كانت تأتى بربح أوفر لو أنفقت فى الاعتقاد المستنير المتجه إلى قبلة واحدة ومعبود ليس له شريك .

« قل إن كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

يريد الإنسان أن يتحرر من الخوف حتى من الله . فإذا به يخاف من القطة السوداء ، ورقم ١٣ ، وتشكيلة عجيبة من أوهام التشاؤم ويتفاءل بتشكيلة أخرى أعجب من ألوان المبشرات !!

« والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات ، من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » .

« سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق . وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ، حبطت أعمالهم ، هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ؟ » .

« فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ؟ فأنى تصرفون » .

« أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

فتحى عثمان

من رجالات الإسلام

# السيد أحمد خان

## مؤسس جامعة عليكره

---

بلغ تدهور الشعوب الإسلامية أدنى درجاته في القرن التاسع عشر، وما أن ابتدأت موجة المد ترتفع قليلا حتى هبت بعض الشخصيات اللامعة تقود حركة التقدم فى شتى الأقطار الإسلامية. وكان منهم من قاد حركات على نطاق دولى وآخرون قصروا جهودهم على الميدان القومى. وكان بعض هذه الحركات يقوم على أساس دينى، والبعض الآخر على أساس دستورى، وحركات تقوم على أساس ثورى أوسلبي لا تتعداه. فمحمد بن عبد الوهاب، زعيم الحركة الوهابية فى نجد، كان زعيما دينيا لم يعبأ بالشئون السياسية والاقتصادية أما محمد أحمد، الذى ادعى بأنه المهدى، فقد شن حربا فى السودان قامت على أسس دينية سياسية، كان القصد منها تحرير السودان من السيطرة الأجنبية. أما ثورتا عرابى فى مصر والشيخ عبد القادر فى الجزائر فلم تأتيا بالنتيجة المطلوبة. وحارب الشيخ شامل حكومة القيصر فى جبال داغستان ( القوقاز ) سنوات عديدة دون أن يحقق أهدافه. وحاول اسماعيل جاسبرنسكى أن يقنع حكومة روسيا باتباع موقف ودى مع المسلمين الروس بينما قام مدحت ( باشا ) بتكوين حكومة دستورية فى تركيا افتتح السلطان عبد الحميد نفسه أول برلمان فيها.

### أحمد خان يهب للعمل ...

فى مثل هذه الظروف هب السيد أحمد خان لقيادة حركة النهضة فى شبه القارة الهندية الباكستانية. والسيد أحمد هو سليل عائلة عريقة فى دلهى، وقد ارتقى مناصب الدولة حتى عين وزيراً لآخر ملك من ملوك «الحصن الأحمر». وقد ألجأته الظروف إلى العمل فى شركة الهند الشرقية وأن يظل فى خدمة «التاج» بعد عام ١٨٥٧. وقد أنقذ حياة عدد كبير من البريطانيين والبريطانيات وعرض نفسه فى سبيل ذلك الأخطار. وشاءت الحكومة الجديدة أن تكافئه على هذه الخدمات

ولكنه رفض عطاياها الضخمة مكتفيا بما كان يناله من معاش ضئيل . وظل يعمل فى خدمة الحكومة حتى عام ١٨٧٦ . وبعد أن شاهد حالة الرعب التى سادت عام ١٨٥٧ وأعمال الانتقام التى كان يقودها الحكام الجدد للقضاء على المسلمين فى الهند ابتدأ عقله الكبير ذو الحساسية الشديدة يبحث عن وسائل لقيادة حركة النهضة . ولما كان موظفا حكوميا فقد حيل بينه وبين الاشتراك فى نواحى الحياة العامة ، إلا ما تعلق منها بالشئون الثقافية . واختط السيد أحمد لنفسه طريقا مناسبا للظروف ، وكانت جميع القرائن توحى بأن هذا الطريق سيؤتى أكله . وذلك لما عرف عن السيد أحمد من عبقرية نادرة . وقد شعر السيد أحمد منذ البدء بأنه إذا رغب مسلمو شبه القارة الهندية فى إنقاذ أنفسهم من الفناء فإن عليهم أن يتعلموا اللغة الانجليزية وأن يشتركوا فى إدارة دفة البلاد بالقدر الذى يسمح به البريطانيون لرعاياهم من الهنود . كما أنه طلب من المسلمين أن يقدروا مدنية أسيادهم الجدد وثقافتهم حق قدرها ، وأن يدرسوا خلف العلوم التى جعلت الغرب يسبقهم بمراحل طويلة ويتركهم فى المؤخرة . واستهل السيد أحمد أعماله بافتتاح مدارس ثانويه رعليا فى بنارس وجازيبور ومرادأباد . وكانت هذه البداية محدودة ولكنها كانت تشير إلى الاتجاه الذى يسلكه عقله المفكر . فقد أراد من المسلمين أن يطرحوا رداء اليأس والقنوط ويحاولوا إنقاذ ما يمكن إنقاذه . وكان من الطبيعى ألا يصادف نداءه هذا آذانا صاغية لدى أمته فى بادئ الأمر وخاصة وأنها كانت سادرة فى خمولها وجهلها ، ناظرة بعين الازدراء إلى ذلك التطور الذى كان يصيب شتى مرافق البلاد ولا يستفيد منه إلا الهندوس فإذا ما هاجم القادة الاجتماعيون ، والزعماء الدينيون دراسة اللغة الانجليزية والعلوم الغربية فإنهم إنما كانوا يفعلون ذلك تعبيراً عن خواطر الأمة وتنفيسا عن حقد دفين لم يكن له ما يبرره .

وابتدأ عمله الحقيقى بعد استقالته من وظيفته الحكومية لدى بلوغه التاسعة والخمسين ، وقد بدأ هذا العمل فيما أطلق عليه « حركة عليكرة » وكان فى ذلك الوقت قد تمكن من التفرغ لمتابعة تحقيق الحلم الذى طالما راوده . واستهل هذا العمل بإنشاء جمعية عليكرة العلمية وذلك لكى يفتح أذهان بنى قومه ويبصرهم بشئون التقدم العلمى الذى وضع زعامة العالم فى أيدى الدول الغربية . وابتدأت ترجمة الكتب العلمية من الإنجليزية إلى الأوردية كما ألفت كتب عديدة حول الموضوعات الهامة كالتاريخ والدين ، ألفها بعض العلماء المشهورين .

وإذا كانت عظمة الزعيم تقاس بالرجال

الذين يحيطون به فإن شخصيات شيراغ علي ، وحالي ومحسن الملك ، وذكاء الله ونذير أحمد وغيرهم من الخلصاء والمساعدين لجديرة بأن تمنح الرجل صفات العظمة . ولم يقتصر عمل السيد أحمد على حث الآخرين على النهوض بالأدب الأوردي بل إنه ألف بنفسه كتبا كثيرة باللغة الأوردية ، وقدم للبلاد أسلوبا حديثا لهذه اللغة . ولم يشأ السيد أحمد خان أن يقصر ميدان نشاطه على الطبقة المثقفة المتعلمة بل أراد أن يشمل هذا النشاط جميع طبقات الشعب ، فأنشأ لهذا الغرض مجلة أسبوعية سماها « تهذيب الأخلاق » وراح يحاول فيها تهذيب فكرة الإسلام التي كانت قد علقت بها الشوائب في ذلك الحين . وقد أحدثت هذه الصحيفة نشوة خاصة بين طبقات المتدينين .

وكانت الخدمات الدينية التي قدمها السيد أحمد متعددة متشعبة أنارت بصيرة بني قومه الذين كانوا يغطون في سبات عميق . ومن بين هذه الخدمات صحيفة « تهذيب الأخلاق » التي غزت جميع الأوساط ومنها تعليقاته العالية على القرآن التي شرع بها [illegible] قبل وفاته ، ومنها كتابه الجريء ومقالاته عن حياة محمد الذي ألفه ونشره في لندن . وقد ألف السيد أحمد خان هذا الكتاب رداً على كتاب « حياة محمد » للسير وليم موير . وتتلخص المبادئ التي تنطوي عليها كتاباته الدينية في إمكانية تفسير الدين تفسيراً منطقيا بحتا . وتشمل هذه المبادئ كذلك أن الدين إذا كان دينا حقا فيجب ألا يتعارض مع مكتشفات العلم الحديث لأنه يؤمن باستحالة تعارض ما يصدر عن الله جل جلاله من عمل وما يوحى به من الكلام .

وقد أكسبت هذه الآراء السيد أحمد صفة « الرجل الطبيعي » وهي صفة غامضة ترادف في معناها كلمة « الملحد » ، وهذا خلاف الواقع . ولكن السيد أحمد لم يسمح لهذه المعارضة الشديدة بأن تنال من عزيمته ، واحتفظ بروحه العالية حتى النهاية . بل إن هذه المعارضة الشديدة قد زادت عزيمته مضاء وضاعفت من جهوده حتى قضى عليها . ولم يمض جيل واحد على وفاته حتى وضع زعماء مدرستي « ديوباند » و « فرنجي محل » أيديهم في أيدي أتباع مدرسة عليكرة في حركتهم الجديدة .

## مكانة سياسية

ويحتل كتابه « أسباب العصيان الهندي » الذي أسرف في إطرائه مستر هيوم ، مكانة مرموقة على الرغم من صغر حجمه . وقد ألفه السيد أحمد رداً على كتاب « مسلمي الهند » الشهير الذي ألفه و . هنتر وانتقد فيه المسلمين وطلب فيه من الحكومة أن تأخذ حذرها منهم . وقد وضح هذا الكتاب

للبريطانيين ، بما فيه من تحاليل رائع أخاذ ، فداحة الأخطاء التي يرتكبونها في الهند ، وأبان لهم مسئوليتهم عن الحوادث التي وقعت عام ١٨٥٧ . فهو يقول أن أسباب وقوع هذه الحوادث ترجع إلى عدم إشراك الهنود في إدارة شئون بلادهم وانعدام الاختلاط الاجتماعي بين الحكام والمحكومين وتدخل الحكومة في الشئون الدينية تدخلا غير مرغوب فيه . وجدير بالذكر أن السيد أحمد خان كان يطبع هذه الآراء الجريئة وينشرها في وقت كانت كل الهند تئن فيه تحت وطأة الأحكام العرفية . وعلى الرغم من جميع الخلافات التي كانت قائمة بين الهندوس والمسلمين حول المسائل الدينية والنظرة الاجتماعية فإن السيد أحمد خان كان يشعر دائماً بأن العمل المشترك لابد وأن يؤدى في النهاية إلى وحدة وتفاهم في الميدان السياسي . وقد قام زعيم حركة عليكرة بقيادة حركة المطالبة بحقوق الهنود وحريتهم في المجلس التشريعي للحاكم العام ، على الرغم من ضآلة ما يعرفه من اللغة الإنجليزية وكان ذلك قبل أن يسمع أحد « بالمؤتمر الهندي الوطني » بسنوات عديدة ، ولا يزال خطابه الشهير عن الحكم الذاتي في الهند يجد صدى لدى جميع الذين يطالبون بالحرية . ويروى أن مؤسس « المؤتمر الهندي الوطني » ، مستر ا . هيوم ، قال لصاحب زاده افتاب أحمد خان : « إنني لم أشعر بحاجتنا إلى معرض للآراء في الهند إلا بعد قراءة كتاب السيد أحمد خان ( أسباب العصيان الهندي ) » وتلا ذلك تأسيس حزب المؤتمر الهندي الوطني . أما النصيحة التي قدمها السيد أحمد خان للمسلمين بعدم الانضمام إلى حزب المؤتمر فقد جاءت بعد تأسيسه بفترة طويلة ، وكانت وليدة تجارب مريرة ، فقد بدأ حركته بتشبيه الهندوس والمسلمين بعيني الدولة ، ولكنه ما أن اكتشف أن الهندوس يعملون على إزالة كل أثر للثقافة الإسلامية وعلى إزالة معالم اللغة الأوردية حتى غير موقفه وطلب من المسلمين الابتعاد عن هذا الحزب .

وقد جاء دفاعه المجيد عن تمثيل الهنود في الهيئات التشريعية بعد أن راقب عن كثب كيفية إدارة الحكم الديموقراطي في البلاد والسياسة التي يتبعها زملاؤه الهندوس في المجلس التشريعي . وقد ألقى السيد أحمد خان في يناير عام ١٨٨٣ خطابا أثناء مناقشة مشروع قرار اللورد ريبون عن الحكم الذاتي فقال :

«إن نظام التمثيل النيابي عن طريق الانتخاب يعني تمثيل رأى أغلبية الشعب ومصالحها . وهذا النظام هو أصلح النظم للبلاد التي تضم

عنصراً واحداً يمثل عقيدة واحدة . أما فى بلد كالهند حيث لا يزال التميز العنصرى سائدا ، وحيث ينعدم تمازج العناصر المتفرقة ، وحيث التميز الدينى لا يزال على أشده ، وحيث عجز التعليم عن تقديم الفرص المتكافئة لجميع العناصر ، فإننى أعتقد أن أتباع مبادئ الانتخابات المعروفة لتمثيل مختلف المصالح فى المجالس المحلية والمجالس الإقليمية لن يؤدى إلا إلى نتائج وخيمة لا تقتصر على الناحية الاقتصادية وحدها . إننا لا نستطيع أن نأمن عثرات هذا النظام الانتخابى المألوف ما دامت الخلافات قائمة بين العناصر والأديان ، وما دام التميز العنصرى يشكل عاملا هاما من عوامل التكوين الاجتماعى السياسى فى الهند ، ويؤثر على سكان الهند فى المسائل التى تتعلق بإدارة شئون البلاد ورعاية مصالحها . فى مثل هذه الحالة ستتحكم طائفة الأغلبية فى مصالح الأقلية الضئيلة » .

ونقتطف فيما يلى نبذة من ترجمة حياة السيد أحمد التى ألفها « حالى » وهى تعطينا صورة واضحة عن رجل سياسى تنبأ بوقوع حوادث فى المستقبل انتهت بتأسيس دولة الباكستان :

« اتخذ بعض زعماء الهندوس فى بنارس عام ١٨٦٧ قرارا بوقف استخدام اللغة الأوردية التى تكتب بأحرف فارسية فى دواوين الحكومة بقدر الإمكان والاستعاضة عنها باللغة الهندوسية . وكان السيد أحمد يقول دائما : إنه ابتدأ يشعر بعد هذا القرار بأنه قد أصبح من المتعذر على المسلمين والهندوس أن يكونوا أمة واحدة ، كما أصبح من المتعذر على طرف من الطرفين العمل من أجل الطرفين معا . وهذه هى كلماته فى هذا الموضوع : « فى هذه الأيام التى اشتد فيها الصراع بين اللغتين الأوردية والهندوسية فى بنارس قابلت مستر شكسبير ، المندوب البريطانى هناك ، وكنت أحدثه عن شئون تعليم المسلمين وهو يستمع إلىّ والدهشة تعلو وجهه ثم قال : هذه هى المرة الأولى التى أستمع فيها إليك وأنت تتحدث عن تقدم المسلمين وحدهم . لقد كنت دائما حريصا على أن تتكلم عن مصالح بنى قومك جميعا . فقلت : لقد اقتنعت الآن بأن هاتين الأمتين لن يقدر لهما الاتحاد حول أى موضوع أبدا .

### نضال من أجل التعليم :

وكان السيد أحمد يعتقد أن حاجة المسلمين إلى تعليم صحيح يقوم على أسس سليمة تزيد على حاجتهم إلى كفاح سياسى . لهذا فقد أسس أعظم مركز للتعليم الإسلامى الحديث والثقافة الإسلامية فى شبه القارة الأوروبية ـ جامعة عليكرة الإسلامية ـ وقد ابتدأت هذه الجامعة كمدرسة صغيرة تضم اثنى عشر

تلميذا ، واتخذت أول مقر لها فى أحد مساكن الضباط المهجورة فى معسكر عليكرة . ثم نمت حتى أصبحت الكلية المحمدية الإنجليزية الشرقية عام ١٨٧٦ ، وكان مؤسس هذه المدرسة يهدف من وراء هذا المشروع إلى تكوين « قرطبة » جديدة فى الشرق تحث على البحث الحر والتسامح وتدرس خير ما فى الشرق والغرب معا ، وتحاول خلق فرع من الثقافة الإسلامية والعلوم الغربية ، لقد شاهد السيد أحمد أكسفورد وكمبردج ودرس فيهما فائدة نظام الحياة الجامعية : وقد وقفت سياسة الحكومة العاملة والقوانين التى تقيد تقديم المساعدات المالية للدارس دون تحقيق هذا المشروع . ولذا فقد قنع السيد أحمد بتأسيس أكبر كلية داخلية فى البلاد ، وترك للمستقبل مسألة تحويل هذه الكلية إلى جامعة أحلامه .

وابتدأت بإنشاء هذه الكليات حركة عليكرة ، وهى أكبر حركة من نوعها صادفت نجاحا كبيراً فى العالم الإسلامى . وقد وضع السيد أحمد نصب عينيه منذ البدء ألا يقتصر نشاط هذه الكلية على الإقليم الذى أنشئت فيه وتحقيقا لهذا الغرض قام بزيارة جميع المراكز الإسلامية فى الهند وحث مسلمى جميع الأقاليم فى المؤتمر التعليمى الإسلامى على فتح المعاهد التعليمية فى مناطقهم . وازداد نجاح الحركة وابتدأ شبان المسلمين يدخلون وظائف الحكومة وميدان الأعمال الحرة . وارتقى البعض أرقى مناصب الدولة وتزعم البعض الآخر ميادين القانون والطب والهندسة والصحافة وغيرها من المهن . ولم يكن هذا ليحدث بدون هذه الحركة التى رفعت شأن المسلمين بعد أن طال عليهم الأمد وهم فى الحضيض من الناحيتين الاجتماعية والسياسية . وضمت حركة عليكرة فضلا عن الطلاب الذين قدموا إليها من شتى أنحاء الهند طلابا من بورما والملايو وسيلان وجنوب إفريقيا وشرقها وأفغانستان . وانبعثت عن هذه الحركة حركتا « خدام الكعبة » و « حركة الخلفاء » ، وقد نظم حفلة تنصيب نائب الملك فى عام ١٩٠٦ النواب محسن الملك خليفة السيد أحمد فى عليكرة وكان ظهور حزب الرابطة الإسلامية نتيجة منطقية لهذه الحركة وكان زعماء هذا الحزب يستنيرون بآراء نواب وقار الملك فى عليكرة .

وليس هناك أدنى شك فى أن جميع مظاهر نهضة المسلمين فى شبه القارة تعود فى أصلها إلى حركة عليكرة . لقد أحيا السيد أحمد بحركته هذه تظاما من الفوضى ، وكون كتلة إسلامية فى العالم من بين أنياب البؤس وأعدها لتكون مصيرها على صورة « الباكستان » .

# الإسلام والفلسفة

## للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

يبدو أن كتاب الغزالى المعنون « تهافت الفلاسفة » قد جر على الغزالى الاتهام بأنه عدو الفلسفة ، وجر على الإسلام بالتالى تهمة العداء للفلسفة .

فهل صحيح أن صاحب « تهافت الفلاسفة » عدو للفلسفة ؟ وأن الإسلام عدو للفلسفة كذلك ؟

أريد أن أعرض رأيى فى هذه المسألة آملا أن يصل صوتى إلى آذان كان لأصحابها كلام عاجل حول هذه المسألة ، فى مجلس ضمنى بهم ، ولكنه مع عجلته صريح فيما يريدون .

والظروف التى اضطرتهم إلى العجلة فيما يقولون هى نفسها التى حالت دون تعقيبى على ما يقولون . ولكن إذا كانت فرصة التعقيب الشفوى قد فاتت ، فلا أحب أن تفوت الفرصة كلية ؛ ذلك لأنى لا أعرف المجاملة فى العلم ، فللعلم عندى قدسية تسمو على المجاملة ؛ ولأن نفسى لا تطاوعنى أن أقف من آراء تبينت لى صحتها موقفا سلبيا وهى تهاجم ، ولا أن يعرف الناس عنى هذا الموقف .

ولن يحملنى كل ذلك على أن أتعصب أو أتحامل ؛ لأن قدسية العلم التى أراها تسمو على المجاملة ، أرى أن التعصب لها بغير حق امتهان لها وافتيات عليها .

والآن ، هل فى تأليف الغزالى لكتاب « تهافت الفلاسفة » ما يصحح القول بأنه هو والإسلام معا عدوان للفلسفة ؟ لنأخذ الأمر مسألة مسألة ، ولننظر أولا فى موقف الغزالى من الفلسفة . ولأضع بين يدى القارئ النص التالى من كتاب « تهافت الفلاسفة » يقول الغزالى ص ٧٧ ط ٣ دار المعارف :

« ليعلم أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق ثلاثة أقسام :

قسم يرجع النزاع فيه إلى لفظ مجرد كتسميتهم صانع العالم ، تعالى عن قولهم ، جوهرا ، مع تفسيرهم الجوهر بأنه الموجود لا فى موضوع ، أى القائم بنفسه الذى لا يحتاج إلى مقوم يقومه ، ولم يريدوا بالجوهر المتحيز ، على ما أراده خصومهم .

ولسنا نخوض فى إبطال هذا ؛ لأن معنى القيام بالنفس إذا صار متفقاً عليه ، رجع الكلام فى التعبير باسم الجوهر عن هذا المعنى

إلى البحث عن اللغة . وإن سوعت اللغة إطلاقه رجع جواز إطلاقه فى الشرع إلى المباحث الفقهية ؛ فإن تحريم إطلاق الأسامى وإباحتها يؤخذ مما يدل عليه ظواهر الشرع .

ولعلك تقول : هذا إنما ذكره المتكلمون فى الصفات ، ولم يورده الفقهاء فى فن الفقه . فلا ينبغى أن تلتبس عليك حقائق الأمور بالعادات والمراسم ، فقد عرفت أنه بحث عن جواز التلفظ بلفظ صدق معناه على المسمى به فهو كالبحث عن جواز فعل من الأفعال .

القسم الثانى : ما لا يصدم مذهبهم فيه أصلا من أصول الدين وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل — صلوات الله عليهم — منازعتهم فيه كقولهم : إن الكسوف القمرى عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس ، من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس ، والأرض كرة ، والسماء محيط بها من الجوانب ؛ فإذا وقع القمر فى ظل الأرض انقطع عنه نور الشمس .

وكقولهم : إن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما فى العقدتين على دقيقة واحدة .

وهذا الفن أيضا لسنا نخوض فى إبطاله ؛ إذ لا يتعلق به غرض ؛ ومن ظن أن المناظرة فى إبطال هذا من الدين ، فقد جنى على الدين وضعف أمره ؛ فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية . لا يبقى معها ريبة ، فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما إلى الانجلاء ، إذا قيل له : إن هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يستريب فى الشرع . وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه ، وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل .

فإن قيل : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر لآيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة » . فكيف يلائم هذا ما قالوه ؟ قلنا : وليس فى هذا ما يناقض ما قالوه ؛ إذ ليس فيه إلا نفى وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته والأمر بالصلاة عنده ، والشرع الذى يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع ، من أين يبعد منه أن يأمر عند الكسوف بها استحبابا ؟

فإن قيل : فقد روى أنه قال فى آخر الحديث : « ولكن الله إذا تجلى لشىء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلى . قلنا : هذه الزيادة لم يصح نقلها ، فيجب تكذيب ناقلها ، وإنما المروى ما ذكرناه ، كيف ولو كان صحيحا لكان

تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ، فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التي لا تنتهي في الوضوح إلى هذا الحد ؟ وأعظم ما يفرح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق إبطال الشرع إن كان شرطه أمثال ذلك .

وهذا لأن البحث في العالم عن كونه حادثا أو قديما . ثم إذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطا ، أو مسدسا أو مثمنا ، وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة كما قالوه ، أو أقل أو أكثر ، فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهي كنسبة النظر في طبقات البصلة وعددها ، وعدد حب الرمان ، فالمقصود كونه من فعل الله فقط ، كيفما كان .

القسم الثالث : ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كالقول في حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الأجساد والأبدان ، وقد أنكروا جميع ذلك .

فهذا الفن ونظائره هو الذي ينبغي أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه » .

وليعذرني القارئ إذا أثقلت عليه بذكر نص طويل كهذا ؛ فإن المقصود أن نشركه في الأمر ، وأن نضع حيثيات حكمنا كاملة بين يديه ، والتلخيص وحكاية الرأي في غير عبارة صاحبه يفوتان هذا القصد .

ومن النص يتبين أن الغزالي في حديثه عن القسم الأول من أوجه الخلاف بين من ينصب نفسه مدافعاً عن الدين ، وبين غيره ممن لا يتخذ الدفاع عن الدين غرضا من أغراض تفكيره ، يهتم بالمعاني أكثر مما يهتم بالألفاظ وإذا كان قد انتهى آخر الأمر إلى ضرورة الرجوع إلى الفقه لأخذ إذن منه باستعمال ألفاظ مستحدثة في مجالات الدين ، فهو يعلم أبلغ العلم - لأن له أبحاثا في الفقه تنبئ عن تضلعه فيه - أن الفقه لا يمنع من هذا الاستعمال ؛ لأن من أقواله الراجحة ، أن هذا الاستعمال مباح ، متى سلم المعنى .

ولنترك القسم الأول ؛ فإن خطره فيما نحن بصدده من أمر ، ضئيل ، ولننتقل إلى القسم الثاني ، وهو - عند الغزالي - كل أمر من الأمور التي لا تعالج أصلا من أصول الدين .

وما أوسع مجال هذا القسم وأبعد مداه ، فهو يشمل المسائل الطبيعية كلها ، يشمل بحث الأرض وما تحتويه من معادن وعناصر ونبات وحيوان ، وإنسان ، ويشمل السماء وما تحتويه من كواكب وأفلاك وهواء ، ويشمل المنطق والرياضيات .

وإذا كان الاستثناء معيار العموم ، كما يقول رجال النحو القدماء ، فإن الاقتصار على إخراج المسائل التي تعالج أصول الدين ، من مجال هذا القسم إيذان بشموله وعمومه ؛ فإن المسائل التي تعالج أصول الدين معدودة محدودة .

وفى هذا المجال الفسيح يعطى الغزالى للعقل البشرى حرية مطلقة يبحث ويفتش ويستنتج ويقرر كل ما يعن له من أمر . ويحرم الغزالى تحريما باتا قاطعا أن يتدخل إنسان فى هذا المجال باسم الدين . ويسلك الغزالى فى بيان ذلك التحريم مسلكا يشعر بأن مصلحة الدين نفسه تقضى بعدم التعرض للباحثين فى هذه المجالات ، ليكون ذلك أدخل فى إقناع من تحملهم الغيرة المفرطة على الدين أن يزجوا باسمه فى كل شأن من الشئون ، بعدم التعرض باسم الدين للباحثين فى هذه المجالات ،

وإذا كانت هذه المجالات واسعة كل السعة تتناول العلوم كلها وفروع الفلسفة كلها ما عدا فرعا واحدا منها يسمى ماوراء الطبيعة وبعض مسائل تلابسه ، وإذا كان الغزالى يعطى للعقل حقا مطلقا فى أن يتصرف فى هذه المجالات كما يشاء وكما تهديه المناهج الصحيحة ، فلا يرضى الإنصاف أن يقال عن الغزالى : إنه عدو للفلسفة لأنه ألف كتابا اسمه «تهافت الفلاسفة» اللهم إلا أن يكون الكتاب يقرأ من عنوانه .

فأية جرأة يمكن أن تساند العقل وتقف بجانبه أكبر من قول الغزالى : «كيف ولو كان صحيحاً ما قيل من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : «إن الكسوف خضوع بسبب التجلى» لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ، فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التى لا تنتهى فى الوضوح إلى هذا الحد»

يا عجباً كل العجب ؟ ! ! كيف يقال عمن يوجب تأويل النصوص الدينية إذا عارضت أموراً يقطع العقل بصحتها إنه عدو للفلسفة وإنى لأتساءل فى دهشة : هل مسائل الفلسفة قطعية ؟ أم ليست بقطعية ؟ فإن كانت قطعية فالغزالى الذى يقال عنه : إنه عدو للفلسفة يرى ضرورة التمسك بها وصرف النصوص الدينية التى تتعارض معها عن ظواهرها ؛ فماذا ينتظر منه أن يقول — لكى يرضوا عنه ولكى لا يكون فى نظرهم عدوا للفلسفة — أكثر من هذا ؟ .

وإن لم تكن مسائلها قطعية ، فهل يريد دعاة التجديد — وقت ما يكونون هم أنفسهم فى حيرة من أمر بحوثهم — أن يسبقهم الغزالى إلى الإيمان بها لكى يرضوا عنه ولا يتهموه بعداوة الفلسفة ؟ .

أستميح القارئ عذرا إذ أخرج به قليلا عن الحدود التى رسمتها للبحث وهى الوقوف مع كتاب التهافت لمعرفة هل يستحق الغزالى من أجله أن يصير عدوا للفلسفة ، لأضع بين يديه فقرات من كتاب مقاصد الفلاسفة الذى ألفه الغزالى ليكون تمهيداً لكتاب تهافت الفلاسفة ، حيث تبين هذه الفقرات رأى الغزالى صراحة فى تمكين العقل من البحث فى فروع الفلسفة المختلفة ، يقول الغزالى ص٢ ج١ صبيح :

« إن علومهم أربعة أقسام : الرياضيات . والمنطقيات . والطبيعيات . والإلهيات .

أما الرياضيات : فهى نظر فى الحساب والهندسة ، وليس فى ، مقتضيات الهندسة والحساب ما يخالف العقل ولا شىء مما يمكن أن يقابل بإنكار وجحد ، وإذا كان كذلك فلا غرض لنا فى الاشتغال بإيراده .

وأما الإلهيات ، فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ، والصواب نادر فيها .

وأما المنطقيات : فأكثرها على منهج الصواب ، والخطأ نادر فيها ، وإنما يخالفون أهل الحق فيها بالاصطلاحات والإيرادات دون المعانى والمقاصد ، إذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات ، وذلك مما يشترك فيه النظار .

وأما الطبيعيات : فالحق فيها مشوب بالباطل والصواب فيها مشتبه بالخطأ فلا يمكن الحكم عليها بغالب ومغلوب ، وسيتضح فى كتاب التهافت بطلان ما ينبغى أن يعتقد بطلانه » .

وفى قول الغزالى عن الرياضيات « وليس فى مقتضياتها ما يخالف العقل ، ولا هى مما يمكن أن يقابل بجحد » ، ما يشير إلى أنه يتخذ العقل وسيلته فى قبول ما يقبل ورفض ما يرفض ، وكيف يقال عمن يحكم العقل فيما يقبل ويرفض : إنه عدو للفلسفة إلا أن تكون الفلسفة تأبى حكم العقل ؟

وفى قول الغزالى عن الإلهيات « فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ، والصواب فيها نادر » دون قوله « فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الدين » ما يشير أيضا إلى أنه يلتزم الحق والصواب ويبحث عنهما ، فهل يقال عمن يبحث عن الحق والصواب : إنه عدو للفلسفة إلا أن تكون الفلسفة تبحث عن شىء غير الحق والصواب ؟

وفى قول الغزالى عن المنطقيات « إنها على منهج الصواب » ما يشير إلى أن الغزالى يحترم المنطق الذى كان معروفا فى عهده ، وهو المعروف بالمنطق الأرسطى ، ولشد ما أنا مندهش ممن أتحدث إليهم فى مقالى هذا ، أن أجدهم يقولون : إن الغزالى عدو لمنطق أرسطو وله تآليف فى نقده وتزييفه ، ولم يك ذلك القول منهم يعنى أن الغزالى بلغ شأوا يجعله قادرا على أن يستدرك على أرسطو ويصحح بعض أخطائه ، وإنما كان يعنى أن الغزالى بلغ من السخف مبلغا جعله يتطاول على أرسطو . نعم لشد ما أنا مندهش أن أسمع عن الغزالى ذلك ، وهو الذى يقول عن منطق أرسطو فى كتاب « مقاصد الفلاسفة » : إنه منهج الصواب . وهو الذى يقول أيضا عن هذا المنطق نفسه فى كتابه « تهافت الفلاسفة » ص ٨٣ :

« نعم قولهم : إن المنطقيات لابد من إحكامها

هو صحيح . ولكن المنطق ليس مخصوصا بهم وإنما هو الأصل الذى نسميه فى فن الكلام « كتاب النظر » فغيروا عبارته إلى المنطق تهويلا . وقد نسميه « كتاب الجدل » وقد نسميه « مدارك العقول » فإذا سمع المتكايس المستضعف اسم المنطق ظن أنه فن غريب لا يعرفه المتكلمون ، ولا يطلع عليه إلا الفلاسفة ونحن لدفع هذا الخبال ، واستئصال هذه الحيلة فى الإضلال نرى أن نفرد القول فى مدارك العقول فى هذا الكتاب ونهجر فيه ألفاظ المتكلمين والأصوليين ، بل نوردها بعبارات المنطقيين ونصبها فى قوالبهم ونقتفى آثارهم لفظا لفظا ، ونناظرهم فى هذا الكتاب بلغتهم — أى بعباراتهم فى المنطق — ونبين أن ما شرطوه فى صحة مادة القياس فى قسم البرهان من المنطق ، وما شرطوه فى صورته فى كتاب القياس ، وما وضعوه من الأوضاع فى إيساغوجى وقاطيغورياس التى هى من أجزاء المنطق ومقدماته لم يتمكنوا من الوفاء بشىء منه فى علومهم الإلهية .

ولكنا نرى أن نورد « مدارك العقول » فى آخر الكتاب ، فإنه كالآلة لدرك مقصود الكتاب ، ولكن رب ناظر يستغنى عنه فى الفهم فنؤخره حتى يعرض عنه من لا يحتاج إليه ، ومن لا يفهم ألفاظنا فى آحاد المسائل فى الرد عليهم ، فينبغى أن يبتدئ أولا بحفظ كتاب « معيار العلم » الذى هو الملقب بالمنطق عندهم » .

وكتاب « معيار العلم » الذى هو منطق صرف على نهج أرسطو مطبوع موجود ، وهو شاهد مادى على أن الغزالى ألف فى تأييد منطق أرسطو واحتكم إليه فى أعنف خصوماته .

نعود إلى القسم الثالث والأخير من الأقسام التى أوردنا الأول والثانى منها . ويحدد الغزالى هـذا القسم بأنه الذى تصطدم فيه أفكار الفلاسفة بأصل من أصول الدين ، وحتى فى هذا القسم لا يقول الغزالى للفلاسفة : أنتم تقولون كذا ، والله يقول بخلافه ، فأنتم كاذبون والله صادق ، نعم لم يقل الغزالى للفلاسفة ذلك ، ولو أنه فعل لما جاز لنا أن ننسى ما فتح أمام العقل من ميادين متعددة فسيحة جعله فيها حراً طليقا من كل قيد ، ونذكر له فقط مسائل معدودة قيد فيها العقل بقيود ، وننعته من أجل ذلك بأنه عدو للعقل والفلسفة ، فما بالنا وهو لم يفعل ، بل حتى فى مسائل هـذا القسم التى يرى أن الفلاسفة فيها يخالفون أصول الدين ، لم يلجأ إلى قدسية الدين يصوغ منها ردوده على الفلاسفة ، وكيف والدين خصم ، والخصم لا يكون حكما ، نعم لم يلجأ الغزالى إلى الدين يفرض قدسيته على خصومه ، بل لجأ إلى العقل نفسه ورضيه حكما بين الفلاسفة والدين .

فماذا يغضب الناس من الغزالى إذا كان قد استطاع أن يكشف عن أن العقل قد تخلى عن الفلاسفة فى المسائل التى صادموا فيها شيئا من أصول الدين ؟ هل يغضبهم منه أنه كشف عن أن أفكار الفلاسفة التى صادمت أصول الدين ليست جديرة بأن تسمى فلسفة ، لأن العقل قد تخلى عن نصرتها وتأييدها ؟ هل يغضبهم أن يكون الغزالى قد توصل إلى معرفة أن للعقل حدودا إذا جاوزها ضل ؟ وهل البحث فى قيمة العقل إلا بحث فى صميم الفلسفة ؟ حتى ولو تأدى البحث فيه إلى عدم الاغترار به ، والوقوف به عند حدوده ؛ إذ العبرة فى الفلسفة ليست بالنتائج ولكنها بالمناهج والطرائق . وقديما قال أرسطو :

( إن من ينكر الميتافيزيكا يتفلسف ميتافيزيكيا )

وقال : ( فلنتفلسف إذا اقتضى الأمر أن نتفلسف ، فإذا لم يقتض الأمر التفلسف ، وجب أن نتفلسف لنثبت أن التفلسف لا ضرورة له ) .

وحديثا قال بعض الفلاسفة الميتافيزيكيين عن خصومهم الوضعيين :

( إنهم الفلاسفة الذين يفاخرون بأنهم ليسوا بفلاسفة ، إن موقفهم من إنكار الفلسفة موقف فلسفى لا محالة ) ؛

ذلك لأن الفلسفة ليست أفكارا معينة ، ولكنها طرائق ومناهج إذا صحت قبل ما تأدت إليه ، كان ما تأدت إليه ما كان .

* * *

هذا هو الغزالى كما يطل علينا من كتاب التهافت ، فهل أنا صادق فى تصويرى له ؟ أريد أن أعرف . وإن أك صادقا ، فهل هو فى هذه الصورة ، كما نعته الناعتون ، عدو للفلسفة ولمنطق أرسطو ؟ أريد أن أعرف أيضا .

وأنتقل بعد هذا إلى الكلام عن الإسلام نفسه ، فهل الإسلام عدو للفلسفة ؟ إن فيما قلناه عن الغزالى ما يتيح لنا القول فى وضوح بأن الإسلام ليس عدوا للفلسفة ؛ لأن المجالات التى أباحها الغزالى للعقل لم يكن الغزالى هو مصدر إباحتها ، ولكن الذى أباحها هو الدين ، فالدين هو الذى أباح للعقل حرية التصرف فى هذه الآفاق الفسيحة بين الأرض والسماء .

وتعويل الغزالى على العقل فى نقاشه مع الفلاسفة بخصوص المسائل التى خالفوا فيها أصول الدين ، دليل على طواعية أصول الدين للعقل . إذ لو كانت هذه الأصول على غير مقتضى العقل لما تأتى للغزالى أن يناصرها بالعقل .

ولنترك الغزالى جانبا ، ونتجه إلى القرآن رأسا ، وحسبنا أن نجد القرآن لا يكتفى بأن يخول الناس حق تحكيم عقولهم فى مشاكلهم بل يجعل عقولهم حكما بينه عز شأنه وبينهم .

# رســـالة وجوابـُـها

## بين إمام الشّيعة وإمام أهل السّنة

صدر عن جامعة ( مدينة العلم ) بالكاظمية فى العراق رسالة لسماحة الإمام الخالصى الكبير ، شيخ شيوخ الشيعة يهنئ فيها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بتوليه مشيخة الجامع الأزهر ، فأجابه الأستاذ عنها برسالة مشرقة الرأى سامية الدلالة .

والرسالتان تعبران عن فكرتى الإمامين فى الإصلاح الدينى والاجتماعى، واتجاههما فيه إلى توحيد الكلمة وتأليف الأمة ، وتنقية الدين مما علق به من شوائب البدع والأباطيل . وإليك نص الرسالة والجواب :

**الرسالة**

سماحة العلامة المفسر المحدث الفقيه المتبحر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهـــر .

أدام الله أيام حياته ، ونفع المسترشدين بهداه وعميم بركاته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد : فقد بلغنى خبر جلوسكم على أريكة إدارة الأزهر الشريف والإشراف على سير علمائه ومدرسيه وطلابه ، وتربيتهم وإروائهم من منهل علمكم الزاخر ، وما تقدم الناس به إليكم فى بقاع العالم من التبريك والإطراء والثناء .



---

وذلك حيث يقول : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فى هذه الآية تقرير لمبدأ محاجة العباد لله ، فماذا بعد هذا من تقدير ممكن ، للعقل؟

وكلمة أخيرة أسوقها بين يدى أولئك الذين لا يريدون أن يعادى الدين من يعاديه أقول لهم : إن الدين ، ككل قانون آخر ، مثله مثل الكائن الحى ، والكائن الحى إذا استسلم لعدوان الغير عليه ولم يدافع عن نفسه كان غير جدير بالبقاء ، فالذين يريدون من الدين أن يتلقى الهجمات والطعنات مستسلما لا يحاول ان يدافع عن نفسه ، كى لا يرمى بالجمود والرجعية ، يريدون له الفناء ؟

**الدكتور سليمان دنيا**
الأستاذ بكلية أصول الدين

# رســـالة وجوابـُـها

## بين إمام الشّيعة وإمام أهل السّنّة

صدر عن جامعة ( مدينة العلم ) بالكاظمية فى العراق رسالة لسماحة الإمام الخالصى الكبير ، شيخ شيوخ الشيعة يهنئ فيها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بتوليه مشيخة الجامع الأزهر ، فأجابه الأستاذ عنها برسالة مشرقة الرأى سامية الدلالة .

والرسالتان تعبران عن فكرتى الإمامين فى الإصلاح الدينى والاجتماعى ، واتجاههما فيه إلى توحيد الكلمة وتأليف الأمة ، وتنقية الدين مما علق به من شوائب البدع والأباطيل . وإليك نص الرسالة والجواب :

**الرسالة**

سماحة العلامة المفسر المحدث الفقيه المتبحر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهــــر .

أدام الله أيام حياته ، ونفع المسترشدين بهداه وعميم بركاته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد : فقد بلغنى خبر جلوسكم على أريكة إدارة الأزهر الشريف والإشراف على سير علمائه ومدرسيه وطلابه ، وتربيتهم وإروائهم من منهل علمكم الزاخر ، وما تقدم الناس به إليكم فى بقاع العالم من التبريك والإطراء والثناء .



---

وذلك حيث يقول : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ففى هذه الآية تقرير لمبدأ محاجة العباد لله ، فماذا بعد هذا من تقدير ممكن ، للعقل؟

وكلمة أخيرة أسوقها بين يدى أولئك الذين لا يريدون أن يعادى الدين من يعاديه أقول لهم : إن الدين ، ككل قانون آخر ، مثله مثل الكائن الحى ، والكائن الحى إذا استسلم لعدوان الغير عليه ولم يدافع عن نفسه كان غير جدير بالبقاء ، فالذين يريدون من الدين أن يتلقى الهجمات والطعنات مستسلما لا يحاول ان يدافع عن نفسه ، كى لا يرمى بالجمود والرجعية ، يريدون له الفناء ؟

**الدكتور سليمان دنيا**

الأستاذ بكلية أصول الدين

وانتظار ما سوف تقومون به من الإصلاح الشامل العميم فى الأزهر وفى جميع الديار ، ولم أكن بين أولئك الناس ، لأنى أرى فى شخصكم منزلة تسمو على تلك الأريكة وتعلو . ويجدر أن أبارك للأزهر بكم لا لكم به ، وكنت أشاركهم فى انتظار الإصلاحات الشاملة لأتقدم إليكم بالشكر ، وتقدير مساعيكم الجميلة ، ومازلت فى الانتظار حتى قرطت سمعى إذاعة صوت العرب بدرر منثورة من كلماتكم فى توحيد كلمة المسلمين ، وإظهاركم الحق باتباع الكتاب والسنة بنفسيهما ، لا بما يقوله الرجال عنهما ، ومن وراء ذلك تمام الكلمة ، وائتلاف الفرقة ، وجمع الشمل ، وتوحيد الصفوف تحت راية التوحيد الخالص ، والإسلام الصحيح المنزه عن شائبة البدع والأوهام ، حتى يظهره الله على الدين كله ، ويزيل عن العالم ما حدث من اضطراب فى الآراء والأفكار المؤدى إلى البوار والدمار . وهيهات أن تقوم للعالم إدارة أو يحصل له استقرار إلا بالإسلام ، ويغنينى عن الاستدلال وبسط المقال علمكم بالحال ، ومن الضرورى لنا ولجامعتنا أن نقف على آرائكم فى الوصول إلى توحيد كلمة المسلمين ، وإظهار الإسلام بحقيقته مجرداً

عن كل بدعة وخرافة ، لنسترشد بآرائكم ونسير معكم فى طريق واحدة عسى أن يكون ذلك معيناً على سرعة الوصول إلى الغاية المقصودة وهى معرفة الإسلام كما هو . وإظهاره لأهل العالم على اختلاف شعوبهم ومللهم ونحلهم كى يكون لهم ملجأ ومنجى من المهلكات والبوائق التى تهدد أهـل العالم بالفناء . وأسأل الله تعالى أن يرينا الإسلام كما أرسل ، والقرآن كما أنزل ، ويوفقنا لإزالة الأستار الكثيفة عنه ، لتظهر أنواره المشعة ويخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، ولو كره الملحدون والمشركون والغافلون المبعدون .

وإنى منذ رأيتكم فى دار المرحوم الشيخ عبدالمجيد سليم ( رضى الله عنه ) ، عند زيارتى للقاهرة ، كنت أجد فى نفسى شعوراً بأنكم من الذين وفقهم الله لهداية عباده ، وقد ظهرت آثار ذلك . وأسأل الله التمام ، وأشكره على الإحسان والإنعام . وأن يديم حياتكم لإنقاذ الأمة وإزالة النعرات الطائفية وجمع الكلمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

٥ شعبان المبارك ١٣٧٨ هـ .

محمد الخالصى

الجواب

حضرة الأخ الجليل صاحب السماحة الأستاذ العلامة المجاهد فى سبيل الله الشيخ محمد الخالصى أدام الله توفيقه والنفع به .

سلام الله عليكم ورحمته وعلى جميع إخواننا المؤمنين من تلاميذكم وحوارييكم وسائر من تحبون .

أما بعد : فقد تلقيت ببالغ الغبطة كتاب سماحتكم الذى حييتمونى فيه بمناسبة تعيينى شيخاً للجامع الأزهر الشريف ، وتفضلتم بإبداء كريم ارتياحكم وعظيم أملكم وخالص دعائكم بأن يحقق الله للأمة الإسلامية ما نحن مشتركون فى الحرص عليه ، والدعوة إليه من توحيد الكلمة وتأليف القلوب تحت راية القرآن العظيم والسنة المطهرة .

لقد أعاد إلى كتابكم الكريم ذكرى لقائنا الأول فى منزل أستاذنا المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم ، وما كان لكم من حديث عذب يفيض إيمانا وغيرة على الإسلام والمسلمين ، وإنكم يومئذ كنتم فى جولة إسلامية ودعوة إصلاحية تريدون بها أن تجمعوا المسلمين فى طائفتيهم العظيمتين : السنة والشيعة على ميثاق واحد ، يعرفون أصوله التى هى أصول الإسلام فيتعاهدون عليها ، ويعذر بعضهم بعضا فيما وراءها على أن يكون الروح بينهم جميعاً هو روح الأخوة التى قررها الله تعالى فى كتابه الكريم حقيقة ثابتة حيث يقول : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

إن هذه الآية الكريمة يا سيدى الأخ ترسم للمؤمنين خطة الفلاح لو عملوا بها ، فهى كما لا يخفى عليكم تثبت الأخوة بين المؤمنين إثبات الحقائق ، ولا توردها مورد الأمر يؤمر به ، وينهى عن التفريط فيه ، كما هو الشأن فى مختلف الأوامر والنواهى التشريعية . فينبغى أن يدرك المؤمنون ذلك ، ويعلموا أنهم إخوة وإن باعدت بينهم الأيام ، أو قطعت بينهم السياسة الماكرة ، فتلك حقيقة ثابتة والحقائق لا تمحى ولو طال على نسيانها الأمد ، وهى تدعو بثباتها إلى نفسها وتنتظر ممن تجافوها أو أغضوا عنها لعارض من عوارض الدهر أن يعودوا إليها .

ثم تعقب الآية الكريمة على هذه الحقيقة بما هو ألزم مقتضياتها من وجوب الإصلاح بين الأخوين إصلاحا عاما شاملا مبنياً على دعائم هذه الأخوة ، منبثقا من عاطفتها القوية ، وتدعو إلى تقوى الله تعالى فى ذلك ولا شك أن التقوى تلزم أصحابها بأن يكونوا مخلصين فى تحقيق واجب الإصلاح ، عاملين عليه بكل ما يستطيعون من قوة ، فإذا وجدت

الرغبة فى الإصلاح ، واقترنت بتقوى الله وارتسام أوامره ونواهيه وصراطه المستقيم إخلاصا فى تحقيقها ، وسبيلا إلى تدعيمها كانت رحمة الله تعالى مرجوة أن تنال المؤمنين فإن رحمة الله قريب من المحسنين .

تلك يا أخى فى الله هى غايتنا ، أما وسيلتنا إليها فبث الدعوة إليها ، عن طريق العلم الخالص المنصف الذى لا يعرف التعصب ولا يرمى إلى الفلج بالمجادلة والمخاصمة ، وتلوين الحقائق بغير ألوانها ، إن من أعز أمانينا أن يتعارف المسلمون ، لأنهم إذا تعارفوا تكاشفوا ، وإذا تكاشفوا تواصفوا الداء ، وبحثوا عن الدواء وما الدواء لو علموا إلا الالتفاف حول كتاب ربهم ، والاهتداء بسنة رسولهم ، والاطلاع على أقوى صورة بالأمانة التى حملوها : أن يكونوا فى العالم أمة داعية إلى الخير ، آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر وأولئك هم المفلحون . لا أن يكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم .

وأسأل الله لى ولك ولجميع إخواننا المؤمنين أن يجعلنا من عباده المتقين ، حتى نستحق أن نكون أولياءه « إن أولياؤه إلا المتقون » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحريراً فى

٢٠ من شعبان سنة ١٣٧٨ ﻫ

٢٨ من فبراير سنة ١٩٥٩ م

**محمود شلتوت**

شيخ الجامع الأزهر

---

قال ابن المقفع :

على العاقل ألا يصاحب من الناس إلا ذا فضل فى العلم والأخلاق فيأخذ عنه ، أو موافقاً له على صلاح ذلك فيؤيد ما عنده وإن لم يكن له عليه فضل ، فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين والمؤيدين والمؤاسين ، وليس لذى الفضل قريب ولا حميم هو أقرب إليه ممن وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته . ولذلك زعم بعض الأولين أن صحبة بليد نشأ مع العلماء أحب إليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال .

# دَوْرٌ مِنْ أَدْوَارِ التَّارِيخ فى الكِتَابَةِ عَنِ الأَنْدَلُسِ الإِسْلَامِيَّة

لِلأُسْتَاذ عَبَّاس مَحْمُود العَقَّاد

عرض تحليلى لكتاب « الأندلس ، أو أسبانيا فى ظل المسلمين » الذى صدر سنة ١٩٥٨ لمؤلفه الأستاذ « أدوين هول »

---

أعجب من زوال دولة الإسلام فى الأندلس بقاء آثارها سارية حتى اليوم فى كل ناحية من نواحى الحضارة الأوربية ، ويكفى أن نذكر من آثارها قيام دعوة الإنسانيين منذ القرن الثانى عشر للميلاد ، ثم قيام دعوة النهضة ودعوة الإصلاح الدينى وما يليها من الثورات الاجتماعية والسياسية ، لنعلم بعد هذا الإجمال السريع أن آثار الإسلام فى الأندلس قد أحاطت بأصول كل حركة من حركات الثقافة الغربية الحديثة .

وقد كان للمؤرخين الأوربيين مواقف مختلفة ، متناقضة ، فى تقدير تلك الآثار بين الإنكار والاعتراف ، وبين التهوين والإكبار .

كان موقف العداء والمحاربة أسبق تلك المواقف فى عصر « التعصب الدينى » من بقايا القرون الوسطى . فكان القائمون على ثافقة الغرب يتبعون خطة « الإخفاء والطمس » لمصادرة العلوم الإسلامية ، ويتعمدون مطاردتها وإبعادها ، وإن شهدوا بفضلها واعترفوا بمحاسنها ، لأنها مصدر قوة للإسلام وآية من آيات « سحره » الذى يجتذب إليه قلوب المتعلمين من غير المسلمين .

ومضت القرون الوسطى ببقاياها فجاء بعدها عصر الكشف والتنقيب عن المجهولات فى كل باب من أبواب المعرفة الإنسانية ، فانكشفت فى هذا العصر مفاخر الحضارة الإسلامية فى الشرق والغرب ، وكان للحضارة الأندلسية نصيبها الأوفر من عناية القوم لاتصالها بمواطنهم فى صميم القارة الأوربية ، وهنا تفرقت مواقف المؤرخين والنقاد من الغربيين مع تفرق المقاصد والمصالح أو تفرق النظرات والآراء :

فمنهم من كان ينظر إلى موضوعه من خلال النزاع بين الكنيسة والمنشقين عليها فينتصر لمن حرمتهم الكنيسة واضطهدتهم ، وفي مقدمتهم أحرار الفكر المتأثرون بالثقافة الإسلامية ، ولابد - مع الدفاع عن هؤلاء - من الدفاع عن فلاسفة الإسلام وعلمائه وقادة الفكر والمعرفة في بلاده .

ومنهم من كان ينظر إلى هذا الموضوع التاريخي من خلال النزاع على حقوق السلطة القائمة فيتخذ من المواقف ما يناسب هواه : إن كان من أعوان السلطة فهو من المحافظين الجامدين ، وإن كان من أعوان الحرية فهو في الجانب المقابل للمحافظة والجمود .

ومنهم من كان يعمل لحساب الاستعمار السياسي فهو ينكر فضائل الإسلام أو يشهد لها الشهادة التي تقف عند حدود الماضي ولا تتعداها إلى الحاضر الذي غلبت فيه سيادة المستعمرين . فلا حرج عنده من الشهادة للإسلام بالعظمة التي صلحت في زمانها لتعظيم قومها ، ولكنها ذهبت مع زمانها فهي الآن في خبر كان .

منذ الحرب العالمية الثانية تغيرت هذه المواقف جميعا وخلفتها مواقف أخرى أقرب إلى الإنصاف والاستقلال النظري ، لأنها تصدر عن بواعث « عامة » يقل فيها التوجيه والإملاء ويستلهم أصحابها مطالب النشر ورغبات القراء ويجرون مع العصر في مجراه الغالب عليه ، وهو « النزعة العالمية » التي تؤثر الاطلاع على شئون العالم قديمها وحديثها وتتوسع في طلب الأخبار والمعلومات من جميع المصادر والجهات .

فالذين يكتبون اليوم عن الأندلس الإسلامية يجمعون بين النزعة العالمية ونزعة « الهواية الشخصية » ، ولا ينسون مطالب النشر التي تتحرى ميول القراء ولا تقوم على التوجيه والإملاء من جانب الدول ، أو جانب الهيئات التي تشبهها في اصطناع الدعاية .

* * *

من أحدث المؤلفات التي ظهرت في هذا - الدور - سنة ١٩٥٨ م - كتاب « الأندلس أو أسبانيا في ظل المسلمين » لمؤلفه الأستاذ أدوين هول Edwin Hole المستشرق المعروف .

عمل هذا المؤلف بمصر وسوريا وتركيا والبلقان ، ثم اغتنم فرصة العمل في وكالة « ملقة » القنصلية فعكف على دراسة الحضارة الأندلسية من قريب ، وقضى في هذه الدراسة زهاء خمس سنوات ، خرج منها بهذا الكتاب الموجز الذي يقع في نحو مائتي صفحة ويشتمل على أحدث الأقوال والآراء في تاريخ هذه الحضارة ، وجملة ما يقال

عن أقواله وآرائه ان الرجل أنصف حضارة الأندلس الإسلامية فيما فهمه وتأتى له أن يحكم عليه . ولكنه جهل منها بعض جوانبها — ولا سيما جانب الشعر والأدب — فأحال فيه التبعة على غيره وبلغ بذلك غاية ما يستطيعه جاهل الشيء من إنصافه وتقديره .

يكاد المؤلف أن يقول عن جانب الثقافة من حضارة الإسلام فى الأندلس ان الدولة الإسلامية قد صنعت الخوارق فى ترقية العقول والأذواق ، وإن ولاة الأمر فيها كانوا يعدون عدو الجياد حيث سار اللاحقون بهم فى خطوهم الهزيل ، فيتعثرون وهم يدرجون .

ففى كلمة « الكتاب » تتلخص المعجزة التى صنعتها الدولة الإسلامية فى القارة الأوربية .

قال المؤلف عن مكتبة الخليفة « الحكم » إن عدد كتبها ومجاميعها قدر بنحو أربعمائة ألف كتاب ومجموعة . وقد حاول الملك الفرنسى شارل الملقب بالحكيم بعد الحكم بأربعة قرون أن ينشئ مكتبته فلم يستطع أن يجمع فيها أكثر من تسعمائة كتاب ، ستمائة منها تبحث فى اللاهوت .

وقد تجاوبت آفاق القارة الأوربية من مشرقها إلى مغربها بسمعة الخلفاء المسلمين فى طلب العلم والتحصيل والحرص على اقتناء الكتب النفيسة والمدونات النادرة ، فكان « الكتاب » أعز الهدايا التى يخطب بها ود الخليفة بين ملوك القارة وأمرائها ، وكانت السفارة الناجحة فى بلاط قرطبة سفارة الملك الذى يزود رسوله بتحفة من تحف العلم والحكمة ويقول المؤلف فى سياق كلامه عن الكتب : « إن الرغبة فى المعرفة كانت مستفيضة لاحدود لها . وقد حدث أن الامبراطور البيزنطى أرسل إلى عبد الرحمن الثالث كتاب : « ديو سقريدس » فى العقاقير » . . فعهد إلى جامعة الطب بترجمته وحل رموزه ، وكان الحكم ابن عبد الرحمن نفسه من كبار العلماء يشترك فى البحث ويبعث بالوفود إلى أطراف البلاد لشراء المخطوطات ودعوة العلماء إلى بلاطه حيث يعاملون معاملة السخاء والحفاوة . فأصبحت أسبانيا قطبا قويا يجذب أساطين العلم من كل مكان » .

وظل الكتاب فى المغرب الإسلامى ذخيرة مضنوناً بها على الضياع حتى فى أيام الإدبار والأفول بعد زوال الدولة فى شبه الجزيرة الأندلسية . فلما استولى الإفرنج على سفينة محملة بالكتب والأمتعة لمولاى زيدان المراكشى فى القرن السابع عشر ، أرسل الأمير يطلب الكتب ولم يحفل بما عداها من حمولة السفينة ، ويقول المؤلف إن المسألة أحيلت على محكمة التفتيش وأرادت هذه المحكمة أن تبدى بعض السماحة فى جوابها على الأمير

المغربى ، فقررت أن ترد إليه كتب العلم والجغرافية وما إليها ، وأن تحجز الكتب الدينية التى قد تعزز سطوة الإسلام ، ورفع الأمر إلى مجلس الوزراء فرفض أكثر أعضائه اقتراح محكمة التفتيش ، وأشاروا بإحراق الكتب العلمية والدينية على السواء ، وتوسط النبيل المستنير المركيز دى فيلادا De Velada عند الملك لإنقاذ هذه الذخيرة ، فأمر الملك بحبسها وإغلاق الأبواب عليها فى مكان حصين » .

ويفيض المؤلف فى استقصاء أخبار المكتبة الأندلسية من مصادرها ، ولكنه يعنى فى شرحه لآثارها وتعاليمها بجانب يقل المعنيون به من المؤرخين الغربيين ، فلا يدع القارىء يفهم من الإفاضة فى ذكر الكتب والمطلعين عليها أن المدرسة الأندلسية مدرسة معقولات ومحفوظات ، قصاراها أن تخرج الفقهاء والحكماء وتحشو أذهانهم بمسائل العلم والأدب أو بمسائل الطب والهندسة وصناعات المرافق النافعة ، ولا يدع القارىء يفهم أن المقبلين على المطالعة فى إبان الدولة كانوا من تلك الزمرة التى يطلق عليها الأوربيون اسم « ديدان الأوراق » بل المفهوم من نوادر الكتاب وطرائفه أن الاطلاع على تلك الأوراق قد كان زادا من أزواد المعيشة الصالحة ، والحياة الإنسانية : حياة الحس والعاطفة وحياة السلوك المهذب ، والكياسة العملية وما توحيه من آداب المعاشرة الطيبة فى البيئة الإسلامية وغيرها من البيئات الأوربية . ولعل السياسة التى اشتغل بها المؤلف فى مهام القناصل والرسل المحنكين الذين يتولون أعمالهم بين الأعداء والأصدقاء فى أيام الحروب والقلاقل هى التى اتجهت به إلى البحث عن نصيب « الأندلسى المثقف » من مهام « الدبلوماسية » فى تلك العصور المحفوفة بالظلمات والأخطار .

نقل المؤلف عن مخطوطة وجدت بمدينة فاس مما اطلع عليه المستشرق ليفى بروفنسال أخبار أول سفارة تبودلت بين الإمبراطور البيزنطى تيوفيلوس والخليفة عبد الرحمن الثانى فقال فى فصل العلاقات الخارجية :

« أراد تيوفيلوس أن يثير حفيظة عبد الرحمن الثانى فذكره بذبح العباسيين لآبائه وأحب أن يرضيه بالزراية من خلفاء بغداد فلم يسمهم بالأسماء التى اشتهروا بها كالمأمون والمعتصم بل نسبهم إلى أمهاتهم من جوارى القصور ... ولكن الزناد لم ينقدح لأن آباء عبد الرحمن نفسه لم يكونوا ممن ينكرون التسرى بالإماء ، فأجابه جوابا مفزعا فى قالب المجاملة مع التحفظ والاحتجاز ، ووكل أمر السفارة إلى الشاعر النابه يحيى ابن الحكم البكرى الذى كان لرشاقته وجماله يلقب بالغزال .. » .

قال المؤلف : « وقوبل الوفد فى القسطنطينية

بالحفاوة الملكية ، ولكن الإمبراطور أضمر في نيته أن يضطر الغزال إلى الانحناء بين يديه على الرغم مما هو معلوم من تعذر ذلك . فأمر بفتح باب صغير في غرفة العرش لا يدخله القادم قائماً. فلما أقبل الغزال جلس عند الباب وتقدم زاحفاً حتى بلغ ساحة العرش فنهض على قدميه، وكان الإمبراطور قد أحاط نفسه بعرض حافل بالأسلحة والنفائس يريد أن يروع السفير ويهوله ، ولكنه لم يرع ولم يستهول ما رآه بل مضى على أثر وقوفه في إلقاء رسالته وسلم الإمبراطور خطاب مولاه وودائع التحف والهدايا من المصوغات والآنية الفاخرة ، فكان لها أجمل الوقع في نفس الإمبراطور وكفلت للوفد الأندلسي طيب المقام وحسن الخدمة ، واهتم السفير اهتمامه الخاص بأهل البلد فخبر علماءهم بالمشكلات الفكرية والمناقشات الذكية ، وكال الضربات الموفقة لقادتهم وفرسانهم ، وشاع خبره حتى انتهى إلى مسامع الملكة فأرسلت تستدعيه إلى حضرتها ومثل أمامها فسلم منحنيا وأمعن النظر إليها كالمشدوه ، فأمرت الترجمان أن يسأله أكان يديم النظر إليها إعجاباً أو لغرابة مرآها ؟ فكان جوابه الحاضر : أنه قد رأى الحسان حافات بمليكه فلم ير منهن من تضارعها في جمالها ودار الحديث بعد ذلك على هذه النغمة المحبوبة ، واستجابت الملكة لرجاء الغزال أن تسمح له برؤية الحسان من خواتين المملكة ، فجعل ينظر إليهن من الفروع إلى الأقدام ، ثم قال ليباقي بحكمه المنتظر : إنهن في الحق لجميلات ، ولكن لا وجه للمقارنة بينهن وبين الملكة التي تتنزه محاسنها وشمائلها عن النظيرات ولا يحسن وصفها غير المجيدين من الشعراء ، وعرض عليها أن ينظم هذا الوصف في قصيد من شعره يتغنى به الأندلسيون، فوثبت الملكة فرحا ومنحته هدية نفيسة من حلاها ، فأبى أن يأخذها وقال : إنها على نفاستها وعلى اعتزازه بما تمنحه الملكة من هدية كائنة ما كانت ، بحسب أنها قد وفته فوق حقه من النعمة ، ومنحته غاية ما في الوسع أن تمنحه بسماحها له أن يتملى النظر إلى طلعتها ، وأنها إن شاءت أن تضاعف له العطاء فحسبها أن تزيده حظا من النظر إليها . ولم تكن الملكة تنتظر ما هو أحب إليها من ذلك، فلم تزل تدعوه إلى مجلسها كل يوم لتسأله عن مشاهداته ورحلاته وما وعاه من التواريخ والقصص ، ثم تبعث إليه بعد انصرافه بالتحف الثمينة من الأنسجة والعطور . . . »

* * *

وليس في كتابه « الأندلس في ظل الإسلام » غير القليل مما لم يرد في المطولات من أخبار الترف والبذخ وظواهر الرغد والرخاء التي اشتهر بها ذلك الفردوس المفقود ، ولكن

هــذا الكتاب الحديث يورد أنباء البذخ والترف، ويتخللها هنا وهناك بنادرة أو عبرة تنم على إدراك لمعنى الحياة، موكل بالصفو الرفيع من لذات الروح وأشواق العاطفة الإنسانية، يتفقــده الأندلسى المثقف ولو خلصت له متعة الجاه والثراء، ومسرة الملك والسطوة . . . . فكان عبد الرحمن الناصر « يقيم نفسه مقام الحكم المطاع بين ملوك المسيحية، ويستقبل فى عزته وعليائه وفودهم المتنازعة، كما يستقبل الملوك أنفسهم أحيانا وقد حنوا أعناقهم العصية لمراسم الاستقبال فى بلاط الخــلافة . ولكنهم وجدوا بين أوراقه بعد وفاته أنه لا يذكر من أيام حكمه الطويل ـ نحو خمسين سنة ـ غير أربعة عشر يوما يعدهما من أيام الصفو التى لا تشوبها سحابة » .

* * *

كانت حضارة متاع ونعمة، وكانت حضارة عقل وفهم وعاطفة .

كانت حضارة « إنسانية » كاملة، تلك الحضارة التى وصفها صاحب كتاب « الأندلس فى ظل الإسلام » متوخيا لها الإنصاف غاية ما يستطيعه الكاتب الأوربى المعتز بحضارته العصرية فى القرن العشرين .

أما الذى فاته أن ينصفه من تلك الحضارة فهو الذى فاته أن يفهمه من خيرة المأثورات عنها، وهو بلاغتها الشعرية الشائقة : بلاغة الموشحات والألحان .

يقول صاحب الكتاب فى الفصل الذى خصصه للكلام على الشعــر الأندلسى :

« إن أكثر هذه المنظومات مما لا يطيقه العقل الغربى، وهو رأى يصرح به الخبراء بتلك المنظومات . ولا نعرف من هو أحق بالحكم عليها من جارسيا جوميز garcia gomez الذى يجمع بين الأستاذية فى العلم والذوق المرهف لفهم القريض، وهو يقول فى فصل عقده للكلام على ابن قزمان أحد الشعراء المتأخرين : إن الصناعة اللفظية هى موضع العناية الكبرى فى الأدب العربى، بين نثر مقيد بالأسجاع وبين ألوان من المجازات والأشباه والطلاوات واللوازم، تعوزها الحرارة والشعور، وكأنما هى كلها عرض من العروض المقنعة بالبراقع، حيث البسمات لآلىء والعيون أزهار بنفسجيات والرياحين جواهر والجداول سيوف . وأن القارىء ليجتهد اجتهاده بين ترجمات بيرِ Peres أو شاك Schack فينوء ذهنه بما يطبق عليه من النسق المتفق المتواتر ! خصور كالأغصان تنشق من آكام الرمال، أو شاعر يشبه نفسه بالطير الذى أثقل ندى الممدوح جناحيه فأعياه أن يطير، أو برق يومض بين الغمام كأنه ضرام العشق فى قلب الشاعر يتوهج من خلل دموعه،

ونصفها - أو أكثر من نصفها - قوالب منقولة يحكيها النظامون من وحي الذاكرة . »

وهذا الخطأ الذريع فى الحكم على الشعر العربى شائع غالب على أقوال المستشرقين ، نفهمه ولا نرى صعوبة فى فهمه إذا ذكرنا أن الغالب على هؤلاء المستشرقين أنهم من زمرة الحفاظ يشتغلون بجانب « الحفظ » من الأدب ولا يشتغلون بلباب الأدب فى لغاتهم ولا فى لغات غيرهم من المشارقة أو المغاربة . فهم لايحسنون الحكم على شاعر من أبناء جلدتهم وأحرى بهم ألا يحسنوا الحكم على الشعراء من أبناء اللغات التى تخالف لغاتهم فى تراكيبها ومصطلحاتها ، ومن أبناء الأمم التى تخالف أممهم فى أمزجتها وعاداتها ، وقد ينظر الكثيرون منهم إلى القصيدة الرائعـــة فيقفون عند مجازاتها ويشعرون « بالربكة » التى يشعر بها عندنا من يقول مثلا : هات الاسطوانة ! فيحضر له السامع قرصا من أقراص الغناء المسجل ، فيختلط عليه الأمر بين ما توقعه من لفظ الكلمة وما رآه بعد ذلك من حقيقة المسمى .

وكذلك يشعر المستشرق بالربكة حين يتوقف بذهنه عند مجازات التشبيه فيحسبها مقصودة لذاتها ويتقيد بقشورها اللفظية دون ثمراتها وبذورها ، فلا يدرى كيف يطرب العربى لهذا الشعر ولا يحاول أن يرجع بالعجب إلى نفسه قبل أن يتهم أمة كاملة بضلال الحس وسوء التعبير ، وهى - فيما يعلم - من الأمم التى تفخر بلسانها وتنكر العجمة من ألفاظها ومعانيها .

ولقد كان من أقرب التفسيرات إلينا أن نرجع بأخطاء المستشرقين فى فهم الشعر العربى إلى الفارق الأبدى « المزعوم » بين أذواق الشعراء فى لغاتنا وأذواق الشعراء فى لغاتهم على تباينها ، وكنا نستقرب ذلك التفسير لولا أننا نعلم أن قراءنا يتذوقون شعرهم كما يتذوقون شعرنا ، وأن الفوارق الكلامية لاتحول دون ظهور المعانى الإنسانية لمن يلتمسها فى مواطنها ويتحرى أن يزنها بموازينها وأن ينفذ إلى بواطنها . فليس بين الأذواق الإنسانية من فاصل فى تمييز فنون البلاغة الخالدة ، وإنما هو الفاصل بين « الحفظ » والذوق يحول دون الفهم الصحيح فى اللغة الواحدة فضلا عن اللغات المتعددة ، وهذا هو الفاصل بين المستشرقين « الحفاظ » وبين محاسن الشعر العربى فى ظواهره وخفاياه .

على أن العذر ممهد لمن لا يستحسن ؛ لأنه يجهل ولا يدعى أنه يعلم ، وإنما اللوم على من يسىء النية قبل أن يسىء الفهم ، فلا يرجى منه إنصاف .

عباس محمود العقاد

# يا رسول الله

## أنت أنت

شعر

للأستاذ محمد على الحومانى

أيهذا البانى وعيت فأحكمت
بناء الأذان فى الآذان

إذ تحسست من وجودك حتى
جلت فى كنهه بغير كيان

وتغلغلت فى النواميس حتى
دان منها لوعيك الخافقان

أنت أسست دولة الفكر فاعتز
بك العلم شامخ البنيان

ومشت حولك الملائك يملو
ن على الدهر سورة الإنسان

وتعالى هتافهم بالتسابيح
عذارى النشيد والألحان

* * *

أنت غذيت كرمة الفن فاهتز
ت دواليه غضة الأفنان

وتراءت منها عناقيد زهراء
المجانى بديعة الألوان

كلما عب طائر الفكر منها
جنحته قوادم العقبان

وتعالى مهيمنا يتلقى
حكمة الكون من أبى الأكوان

ثم أهوى يزق هذى الأناسى
حديث الملائك الربانى

فإذا فوق كل نهد من الأرض
جلال من روعة القرآن

أنت أنطقت هذه المقل الخر
س بما شئت من فنون البيان

فعيون من البصائر يجتز
ن إلى الحق ضلة الأوثان

وعيون من الضمائر تجتاز
إلى الروح عصمة الأبدان

وعيون من السماء يهمن
فيكلأن دفة الربان

وعيون من الثرى يتفجر
ن ، ففى كل جنة عينان

تستمدان من معين أبى القا
سم رى المدله الظمآن

أنت آمنت يوم كانت محاريب
« يهوذا » صفرا من الإيمان

فبعثت الإسلام مخضوضرالوا
دى نقى الجيوب والأردان
وترامى إليك من كل فج
كل ظمأى قريحة الأجفان
فأغثت النفوس حتى روت وا
ردها جنة بلا رضوان
ومسحت الجفون حتى رأت خا
لقها مقلة بلا إنسان
فإذا أنت قائل بالغ الحجة
فى قوله بغير لسان

* * *

أنت يا واضع الموازين بالقس
ط لنا أنت سر كل اتزان
علمتنا صراحة فيك أن نص
لح بين الضمير والإعلان
علمتنا أن السياسة قلب
ولسان صنوان متحدان
إن من جرد السياسة فى النا
س عن الدين لج فى البهتان
إن زعم الغبى : لادين للسا
ئس فينا ضرب من الهذيان
أى نقص فى ساسة المثل العليا
بما يشرعون من أديان ؟؟

* * *

أنت جاهرت بالحقيقة ، والبا
غى على الحق ثائر البركان
فتنادت عوالم الأرض لبي
ك وثابوا إليك بالإذعان
وتداعى لديك إيوان كسرى
وهوى عنه صاحب الإيوان
بم كنت المؤمل الفرد فى الخل
ق وكنت المهيمن الروحانى ؟؟
أسوى أن بين جنبيك عين
ين يرى الكون بعض ماتريان
تبصران الحياة أبهاء كسرى
تتداعى على يدى سلمان ؟؟

* * *

أنت آثرت أن تقيم على الفقر
دعام الرقى والعمران
فلبست الأيام لم تزه بالمع
طف من خزها ولا الطيلسان
ولمست الحصى فتاه على الدر
وأزرى بروعة المرجان
وآثرت الهيجاء تعصف بالفر
س وتجتاح هيكل الرومان
فترامى إليك بالنصر من بيدا
ئه كل جائع عريان
فإذا أنت بالجياع تدك الأ
رض من قيصر إلى ساسان
وإذا بالتراث تحت « أبى ذر »
مدلا على « أبى سفيان »

محمد على الحومانى

# ما يقال عن الإسلام

## الاسلام ونفسية المسلم

## islam And The psychology of The musulman

تأليف

أندريه سرفييه andre Servier

٢٧١٠ صفحة من الحجم المتوسط

عرض له وتعليق عليه

### للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

---

صدر الكتاب فى عام ١٩٢٢، وظهرت الترجمة الإنجليزية عام ١٩٢٤، وهذه الترجمة الإنجليزية هى التى نرجع إليها فى عرض الكتاب. وصدرت الترجمة الإنجليزية بمقدمة قصيرة من قلم لويس برنارد lowis Bernard. ويقع الكتاب فى ستة عشر فصلا.

* * *

الغرض الذى يهدف إليه المؤلف قد صرح به فى الفصل الأول، حث يقول إن فرنسا دولة إسلامية كبيرة Muhammddan power حيث إنها تحكم أكثر من عشرين مليونا من المسلمين، غير أن هذه الملايين العشرين متحدون بتضامنهم الدينى مع كتلة متينة مكونة من ٣٥٠ مليون مسلم من أتباع الرسول ويوافقه لويس برنارد، كاتب المقدمة، على هذا الرأى، إذ يقول: إن الغرض من الكتاب «خدمة قضية فرنسا فى شمال إفريقيا».

ويضيف بعد ذلك لويس برنارد: «أن الشىء الوحيد الذى أبدعه العرب هو دينهم وهذا الدين هو العقبة الرئيسية بينهم وبيننا. وفى سبيل حسن التفاهم مع رعايانا المسلمين، ينبغى علينا أن نتجنب بكياسة أى شىء قد يؤدى إلى تقوية عصبيتهم الدينية....

بمعنى آخر، وبلغة أكثر صراحة، إن الطريق لخدمة الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقية هو هدم الإسلام الذى يقف عقبة فى سبيل

تحقيق أغراض المستعمرين . وليس هذا فحسب بل إنه يقف عقبة في سبيل الاستعمار الأوربي على جميع الشعوب الإسلامية .

ومن أجل ذلك شرع المؤلف يبحث فى الأساليب التى تجعل المسلمين متماسكين فيما بينهم وتدفع بهم إلى مكافحة الاستعمار . ورأى أن البحث المجدى ينبغى أن ينصرف إلى تحليل نفسية المسلم .

فالإسلام دين وأمة Country وإذا كانت الأمة الإسلامية لم تفلح فى تهديد الإنسانية حتى الآن ، فذلك يرجع إلى سقوطه فى هاوية من التأخر والانحلال يجعلها من المستحيل أن تناضل قوى العلم وتقدمه فى العالم الغربى ( ص ٢ ) .

وعلى الرغم من جمود الإسلام ، فإن قبضته القوية على عقول المسلمين أدت إلى الشلل العقلى الذى يصاب به المسلمون ، وإلى انحطاط عقليتهم . ومع ذلك فلا يزال الإسلام مؤثرا فى العالم والدليل على ذلك إسلام ملايين كثيرة أخيرا فى الصين والتركستان والملايو وإفريقية . ولكن القساوسة يقاومون هذا التيار فى إفريقية بنجاح

من أجل ذلك يجب دراسة الإسلام دراسة بصيرة ، لا لوضع سياسة تواجه المسلمين فى المستعمرات الإفريقية فقط ، بل فى جميع أنحاء العالم الإسلامى . وذلك بمعرفة عقلية المسلم ونفسيته . فالمسلم ليس شخصا منعزلا يقف عند حدود الأرض التى يعيش فوقها ، إذ أن المسلمين هم أولا مواطنون مسلمون ، وينتمون أخلاقيا ودينيا وفكريا إلى العالم الإسلامى ، وعاصمته مكة وحاكمه - نظريا - أمير المؤمنين . ( ص ٣ ) .

لقد نسجت هذه العقلية على مر الزمن ، وصيغت ، فى المذهب الدينى للرسول . ولما كان هذا المذهب ليس شيئا آخر سوى إفراز للعقل العربى Secretion of the Arab Brain فينبغى دراسة التاريخ العربى لفهم العالم الإسلامى .

والعرب أعداء الحضارة . وما اكتسبوه فى ظل الأمويين والعباسيين إنما يرجع إلى نقل علوم اليونان والرومان ، وبفضل المواطنين غير العرب الذين كانوا يعيشون فى ظل الإسلام ، أو دخلوا الإسلام حديثا ، ولقد فقد السوريون والمصريون والبربر بعد إسلامهم ما كان لهم من نشاط وذكاء تحت حكم الإغريق والرومان (ص ٥ ) .

فكيف فقد العرب أنفسهم - وهم الذين [illegible] - كل ما كان لهم من بريق ، وانزووا فى غيابات الجهل ؟

الجواب عن ذلك هو نفسية المسلم ، والدين الذى يعتنقه ، مما أصابه بالشلل والجمود ،

حيث كان هــذا الدين يسيطر على كل شيء في الحيــاة .

ومع ذلك فـكل ما نقل عن العرب فى العصر الوسيط ، لم يكن إلا ترجمة كتبت بحروف عربية لفلسفة اليونان الإسكندرانية . وبعد فليس هناك حضارة عربية ، وإنما هنـــاك حضارة يونانية ، أو رومانية . أما فتوحات العرب وانتصاراتهم البـاهرة ، فلا تدل على شىء ، كما لا يدل انتصار المغول تحت راية جنكيز خان .

ثم إن العربى لا خيال له ، بل هو محدود بما يراه بحواسه ويحفظه بذاكرته . فهو عاجز عن تصور ماوراء الحس . ( ص ١١ )

والدين الإسلامى نفسه ليس مذهبا أصيلا فهو جمع وتلفيق من التقاليد اليونانية والرومانية والتعاليم المسيحية . وعند ما تمثل العربى هذه المادة المختلفة المتباينة ، نزع عقله عنها كل ما فيها من حلية شعرية ، ولم يستطع فهم ما فيها من رمزية وفلسفة ، ثم أخرج منها مذهبا دينيا باردا ، جامدا كأنه نظرية هندسية ، وهى : الله والرسول ، والإنسانية (ص١٢) .

« والخلاصة ( ص ١٣ ) لقد نقل العرب عن الأمم الأخرى كل شىء : الأدب والفن ، والعلم ، بل الأفكار الدينية . ولقد مرت هذه الثقافات كلها من خلال عقله الضيق ، ولما كان عاجزا عن السمو إلى منزلة التصورات الفلسفية العالية ، فقد مزق وقطع كل شيء . وهـذا الأثر المخرب هو الذى يفسر انحطاط الأمم الإسلاميـة ، وعجزهم عن الانفصال من البربرية . وهو يفسر كذلك الصعوبات التى يواجهها الفرنسيون فى شمال إفريقية » .

* * *

فى هـذا الفصل الأول بيان واضح لخطة الكتاب ، وليست فصوله التالية إلا تدليلا على هذه القواعد العامة التى بسطها المؤلف ، والتى نجملها فيما يأتى :

١ — حاجة الاستعمار إلى فهم نفسية المسلمين للتغلب عليهم .

٢ — تماسك المسلمين جميعا برابطـــة الإسـلام .

٣ — الإسلام إفراز لعقلية العرب .

٤ — عقلية العرب فقيرة ، لاخيال لها ولا ابتـكار ، ولا حضارة .

٥ — لا فضل للعـــرب وللمسلمين على الحضارة مطلقا .

٦ — ينبغى محاربة الإسلام وهــدمه ليتسنى التغلب على الشعوب الإسلامية وحكمها بعد ذلك بسهولة .

* * *

الفصل الثانى عرض لعقلية العرب ونفسيتهم ، وأنهم صورة للصحراء التى نشئوا فيها . ونزع عن العرب كل فضيلة ، ونسب إليهم كل رذيلة .

فهم محبون للسلب والنهب ، وسفك الدماء . ونسب إلى الرســول صلى الله عليه وسلم قوله لأحد أسرى بدر ، حين أمر بقتله وطلب الأسير منه الرحمة « أحمد الله أنه متع عيني برؤية قتلك » . فلما سأله الأسير ومن يرعى أولادي من بعدى ، أجابه الرسول «فليذهبوا إلى النار(ص٢١) .

والحديث واضح الضعف ، وهـــو من تشنيعات المستشرقين للطعن فى الرسول ، والطعن فى الإسلام (١) .

ولا نود أن نشير إلى طعن المؤلف على الرسول الكريم من جهـــة تعدد الزوجات ، واللهفة على النساء ، فهو كلام معروف من المستشرقين. يقول المؤلف إن النبي وهو فى الثالثة والخمسين وقـــع فى غرام عائشة ، وهى فتاة صغيرة فى الثامنة من عمرها «ص٢٥ . وتعرض المؤلف كذلك لزواجه من زينب ، ليثبت أن العرب جميعا يحبون الانهماك فى اللذات الجنسية ، وأن هذه الصفة من صفاتهم الأصيلة المنافية للحضارة .

ومن صفات العرب انعدام الخيال والبساطة وما بساطة الإســـلام إلا انعكاس لعقلية العرب ، على حين أن عقائده مستمدة من الأديان الأخرى: فالوحدانية من الصابئة ، وكذلك الصلاة والصوم فى رمضان .

ولسنا ندرى كيف يجهل المؤلف أن الصابئة كانوا يعبدون الكواكب الى جانب قولهم بإله واحد . ولكنه التعصب الأعمى ضد الإسلام مما جعله يزيف التاريخ .

وهنا نصل إلى نهاية ما يمكن أن يبلغه الحقد على صاحب الرسالة ، حين يقول إن محمدا كان بدويا من مكة ، ولكنه بدوى منحل .

Mobamet was a Bedowin of mecca' But a debenerate Bedowin.

ص ٤٣ . كان يبكى كالنساء ، وكان عصبيا وكان فقــيرا معدما « اضطر إلى الاشتغال برعى الغنم ، فلما شعر بحطة هذه المهنة قبل أن يكون مساعدا لتاجر اقمشة يسمى « سائب » « Sapı » (١) وساقت الصدف سائب ومساعده الجديد الى « حياشا (٢)Hayacha وهى سوق عامة فى جنوب مكة حيث تعرف محمد بخديجة التى كانت تتاجر فى القوافل . فدخل خدمتها ، أولا كسائق جمل ، ثم كمدير ، ثم « كشريك » ص ٤٦ .

وقد سقنا هذه العبارة بتمامها لنبين جهل المؤلف بالتاريخ ، او تزييفه له إن كان على

[١] هو عقبة بن أبى معيط ، وكان من جيران النبى فى مكة ، وكان من النفر الذين يؤذون النبى وهو فى بيته يصلى ، ولم يسلم قــط ، حتى بعـد أسره . فى السيرة لابن هشام ، عن ابن اسحاق « فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله . فمن للصبية يا محمد ؟ قال النار — السيرة ج ٢ ص٢٩٨ .

[١] لعله يريد عمار بن ياسر .

[٢] لعله يريد الحزورة .

علم به ، ثم محاولته الطعن فى شخصية الرسول واتهامه إياه بالوصولية ، ونفى صفة النبوة عنه ، وصفة « الرجولة » ، وكل ذلك لتحويل أنظار المسلمين عنه . ونحن نعلم صبر الرسول على أذى المشركين ، ومشاركته فى الغزوات ، وشجاعته غير أن المؤلف يقول عنه إنه كان « يتهاوى فى ساحة القتال ، وإن بعض العرب رآه يبكى كالنساء . وجملة القول إن قريشا كانت تنظر إليه على أنه شخص أدنى منهم » ص ٤٧

They looked upon him asan inferior being

أما نزول الوحى ، فالمؤلف يرجعه إلى أحلام محمد وأوهامه وخيالاته وإلى مزاجه العصبى وإلى النوبات التى تصيب فى الغالب أهل المناطق الحارة ، وإلى حالة من التهويم ، حين يكون الإنسان بين النوم واليقظة half-sleep تفضى به إلى الأحلام وإلى رؤية الرؤى . ص ٤٩ .

* * *

ومن البديهى وقد طعن المؤلف فى محمد ، أن يمتد طعنه إلى القرآن . وإلى الإسلام . وقد سبق أن ذكر ذلك إجمالا ، وفى الفصل الخامس يذكره تفصيلا . «فالإسلام هو المسيحية وقد اصطنعتها العقلية العربية ، أو بوجه أكثر دقة ، هو كل ما استطاع عقل «البدوى» ( يريد الرسول عليه الصلاة والسلام ) الخالى من الخيال أن يتمثله من العقائد المسيحية . ص ٦١ .

ولم يهتم محمد بالأخلاق ، بل كان اهتمامه الأول بالسياسة ، فقد كان رئيس حزب يكافح لغرض سلطانه ، واعتمد فى الوصول إلى أغراضه على القوة Force ص ٦٤ .

ولما كان المؤلف يكرر الفكرة ويعيدها خلال الكتاب ، فقد نسى أو تناسى أن الإسلام لم يكن الذى انتشر أولا بقوة السلاح ، بل بالدعوة والإقناع . جاء فى القرآن الكريم . «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وقال تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . ونسى أن انتشار الإسلام فى أمم كثيرة ، حتى فى الوقت الحاضر ، لم يعتمد أبدا على السيف ، مثل إسلام أندونيسيا والصين ، وكثيرين من أهل إفريقية ؛ وذلك لأن الإسلام هو دين الحق ، وهو أكثر الأديان موافقة للعقل ، وأكثرها دعوة إلى الفضيلة والعدل والأخلاق الكريمة . وهل يمكن أن يدوم الإسلام هذه القرون الطويلة لو لا أنه يدعو إلى تهذيب الأخلاق ، والسمو بالفرد .

وهذا خلاف ما يقوله المؤلف : « ليس الإسلام فى ذاته مذهبا يدعو إلى تكميل الفرد ، وإنما هو مذهب يدعو إلى الانضمام مع أولئك الذين يعترفون بمحمد على أنه رسول الله » ص ٦٥ » وبذلك نزع عن الإسلام كل فضل .

ويبدو أن السر فى حقد المؤلف على الإسلام هو فشل المبشرين من المسيحيين الذين يبذلون غاية جهدهم فى نشر المسيحية بين زنوج إفريقية، بإزاء القوة الساحقة للإسلام بغير تبشير. وهو يزعم أن المسلمين فى أوغندا، وفكتوريا نيانزا اتبعوا أسلوبا فى الدعاية (البروباجندا) يفصح عن الروح الحقيقية للإسلام، أى ملاطفة شهوات الشر عند الزنوج ص ٦٥.

يقول المؤلف (ص ٧٠) إن محمدا باعتباره سياسيا محنكا، أراد أن يرضى كل إنسان، فلم يفرض لإسلامه سوى شرطين، الاعتراف بالإسلام والإقرار برسالته. وغاب عن بال المؤلف أن أبا بكر حارب المرتدين الذين قبلوا الإسلام وأقروا بنبوة محمد، ولكنهم رفضوا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. حاربهم لأن «الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى».

وفى هذه الآية ما يرد به على المؤلف فيما زعمه من أن الإسلام ليس دين أخلاق، بل دين سياسة فقط.

ثم يقول بعد ذلك إن هم الرسول أن يضم الأتباع تحت لوائه وذلك بأمرين: الأول نشر روح التضامن بين المسلمين؛ والثانى تحريمه الاستشهاد. ص ٧١ — ٧٢.

أما الأمر الأول فصحيح، وهو راجع لا إلى الأسباب التى توهمها المؤلف بل إلى صدق العقيدة الإسلامية وتهذيبها للنفوس وتصفيتها لها. أما الأمر الثانى، فيخالف كل ما عرفه التاريخ عن المسلمين، فإن روح الاستشهاد Martyrdom فى سبيل الإسلام، هى العلة الحقيقية فى انتشاره وبخاصة فى الصدر الأول. يريد المؤلف أن يرمى المسلمين بالجبن.

وإذ قد نزع المؤلف عن الإسلام كل فضل، فهو يقول: «إنه من الخطأ البين الزعم بأن الإسلام قد اتخذ طريقه إلى عقول الناس منجذبين اليه بسحر عقائده» (ص ٨١) يريد أن يقول إنه فرض بالحرب والقتال، وذلك بصدد الحديث عن هزيمة الفرس والروم أيام أبى بكر وعمر. وهنا يظهر جليا التناقض فى كلامه، إذ كيف يصف الجيوش العربية بسوء النظام، والتنظيم، والتماسك، ثم تنتصر على الجيوش المجيشة التى تبلغ من العدد عشرة أضعاف؟ ولقد نسى أنه وصف المسلمين من قبل بالتضامن، وهو هنا يصفهم بعدم التضامن. ونسى أنه وصفهم بعدم الاستشهاد، فكيف يحاربون دون أن يموتوا شهداء؟

أما عرضه للأحداث التاريخية فى زمن الخلفاء الراشدين، والأمويين والعباسيين، فإنه يلتمس لها أسبابا تحط من شأن المسلمين، وترميهم بكل نقيصة. ويصور الحكم الإسلامى أنه صادر عن الذين.

ولا يعنينا كثيراً رأى المؤلف فى العرض التاريخى للأمم الإسلامية ، إذ ليس هذا هو المقصود من الكتاب ، وننتقل إلى ص ١٨٥ حيث يصور عقلية العرب بعد ذلك العرض لتاريخهم السياسى ، ويذكر أسباب انحطاطهم وسقوطهم .

فهناك أسباب عامة : منها أن العرب لم يكونوا أبداً أهل سياسة يستطيعون وضع الأهداف الكبيرة مع الصبر على تحقيقها .

ومنها عجز العربى عن الاختراع ، والتقدم ، فهو ليس مهندساً . بل مقلداً .

ومنها أن العربى ليس إداريا ، ولا منظما ، فهو يحكم بمساعدة الأجانب .

ومنها أنه بربرى لا ينشئ حضارة .

ومنها أن الدين عقبة فى سبيل التقدم .

* * *

وفى ص ١٩٧ ، يؤيد المؤلف نظريته القائلة بأن الإسلام عقبة فى سبيل التقدم فيقول : « أن القرآن مكتوب بلغة ميتة لا يستطيع المسلم أن يفهمها إلا بدراسة خاصة » . وهنا بداية الخطة التى يريد المؤلف أن يعلنها ، أى الطعن فى العرب الذين يتكلمون اللغة العربية ، وفى إسلامهم ، والالتجاء إلى مسلمين لا يتكلمون اللغة العربية ، ومن ثم لا يفهمون القرآن ، وهم الأتراك .

وقد دعا إلى ذلك بصراحة ، بعد تحليل الحركات الوطنية ، وبخاصة فى مصر ، بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد ، وأحمد لطفى السيد ، وأن هذه الحركات الوطنية إنما يرجع السر فى نجاحها إلى التمسك بالإسلام ، وأن هذه الحركات الوطنية تنعكس على المسلمين فى تونس والجزائر ومراكش ، وتسبب للمستعمرين قلقاً شديداً .

فما السبيل إلى إيقاف هذه الحركات فى الدول العربية ؟

السبيل فى نظر المؤلف هو مساعدة تركيا ، اعتبارها قلب الإسلام ( فى الوقت الذى كان يكتب فيه هذا الكتاب ) . لأن الأتراك « أقل المسلمين إسلاما » . ( ص ٢٦٢ )

The least Islamized of all Musulmun people.

وفى هذا الفصل الأخير تعليل للحركات التى نشاهدها اليوم على مسرح الاستعمار الأوربى ، من احتضان الغرب لتركيا ودخولها فى حلف بغداد ، واتفاقها مع إسرائيل ضد العرب .

ولهذا السبب نظن أن الكتاب له أهمية كبيرة تفضح أساليب المستعمرين وخططهم بإزاء العالم الإسلامى كله .

أحمد فؤاد الأهوانى

# آراء وأحاديث

## الأستاذ الأكبر يستقبل شهر رمضان ويهنئ المسلمين به

في أول ليلة من شهر رمضان المعظم أذاع صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر من [ صوت العرب ] على العالم الإسلامي هذا الحديث الجامع بصوته المعبر المؤثر وأسلوبه القوى النابض بدأه بقوله .

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

وبعد : ففي مطلع هذا الشهر المبارك ، وباسم الإسلام الذي هو دين الوحدة والتوحيد ، ودين العلم والعمل ، ودين العزة والكرامة .

وعلى موجات هذا الصوت الأثيري الجهير « صوت العرب » ، صوت الدعوة إلى الحرية والثقة بالنفس ، والإيمان بالعروبة والإسلام .

وبلسان الأزهر الشريف الذي ظل أكثر من ألف عام موردا عذبا للثقافة الإسلامية ، وموئلا حصينا للحرية الفكرية ، والذي يلتقى فيه المسلمون من كل شعب ، ومن كل مذهب ، طلابا للعلم ، وروادا للبحث ، إخوانا متعاونين ، لا فرق بين شرقي وغربي ، ولا بين عربي وعجمي ، ولا بين أبيض وأسود ، بجامعة الإسلام يجتمعون ، وبظلال أخوة الإيمان يستظلون ، وإلى حنان أمهم مصر العربية الإسلامية يسكنون ويطمئنون .

في فيض من هذا كله ، أفتتح « صوت الأزهر » الذي سيوجه إليكم إن شاء الله بين برامج « صوت العرب » ، كلماته المنبعثة من تعاليم الإسلام الراشدة التي لا هدف لها إلا إسعاد البشر ، والأخذ بأيديهم إلى كل ما يهديهم ويصلح بالهم .

أيها السادة :

إن الصوم ولا شك يوحد بين المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها ، في أوقات النوم واليقظة ، وفي أوقات الأكل والشرب ، وفي أوقات الذكر والتسبيح والعبادة ، وهو يوحد بينهم في إحياء المراقبة القلبية

لله رب العالمين ، فترى المؤمن فيه خاشعا ، قانتا ، مخبتا ، داعيا مستغفرا ، مرتلا لوحيه وقرآنه منيبا إلى ربه ، ثم هو بعد ذلك يصلهم بماضى ذكرياتهم المجيدة - يذكرهم بأن النصر حليف الصبر، وأن الوحدة رائد الغلب، حينما يمر بهم السابع عشر من شهر رمضان، ويذكرون به غزو الحق للباطل فى موقعة بدر التى تركز بها سلطانهم فى جزيرة العرب ، والتى امتد بها سلطان التوحيد حتى أشرقت الجزيرة بنور ربها ، « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

وحينما يذكرون أن القرآن الذى جمع كلمتهم، وربط قلوبهم ووجههم إلى سبيل العزة والسيادة ، وقضى أن العـزة لله ولرسوله وللمؤمنين نزل فى رمضان ، « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

وفيه يذكرون ذلكم الحادث العظيم الذى عاد به أولياء الله وأنصاره والمؤمنون به إلى بلدهم الذى منه أخرجوا بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ذلكم الحادث هو فتح مكة ، الذى سجله القرآن أبلغ تسجيل، وجعله سبيلا للمغفرة والسكينة تملأ قلوب المؤمنين « إنا فتحنا لك فتحا مبينا : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصراً عزيزاً ، هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ، ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليما حكيما » ، « ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ويكفر عنهم سيئاتهم ،وكان ذلك عند الله فوزاً عظيما » .

فما أجمل أن يسمع المؤمنون وهم على عتبة هذه الفريضة أن أنيبوا إلى ربكم واعبدوه ، ووحدوا مناهجكم فى الحياة ، لتصلوا إلى هدفكم الموحد ، وغايتكم المشتركة النبيلة « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول، إذا دعاكم لما يحييكم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وإذا كان رمضان وما وقع فيه من أحداث، وما نزل فيه من هداية ركزت سلطان الحق ، وزعزعت عروش الباطل ، وزلزلت كيان الضلال والبهتان ، وربطت قلوب الموحدين بالله من أكبر نعم الله على عباده المؤمنين ، التى أخرجتهم من الظلمات إلى النور ، وهدتهم إلى صراطه المستقيم ، فإن أبلغ الشكر على تلك النعم ما كان من جنسها : هداية وإرشاد وتقى وإيمان ، واعتصام بحبل الله ، وجمع للشمل

# تحقيق صحفى

قامت به محررة فى جريدة أخبار اليوم لدى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، اشتمل على رأى الإسلام فى طائفة من الأمور الاجتماعية والنسائية .

قالت المحررة :

لما عجزت ثلاثة أشهر عن مقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أرسلت إليه أقول : أريد أن أعرف إن كان سبب امتناعكم عن مقابلتى هو أننى فتاة ؟ فجاءنى الرد فى اليوم التالى «إن فضيلة الأستاذ الأكبر قرر أن يقابلك ، لكى يثبت لك أنه لا فرق عنده فى المعاملة بين فتى وفتاة» .

قلت لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت : أريد أن أعرف رأى فضيلتكم فى شباب هذا الجيل . . أهو أفضل أم أسوأ من شباب الجيل الماضى . . وما رأيكم فيه من الناحية الأخلاقية .

وأشرق وجه الشيخ شلتوت بابتسامة كلها تسامح . . كلها حب . . كلها رضى ، وقال بصوت لا يرتفع عن الهمس إلا قليلا :

يا ابنتى : إن البشرية فى كل عصر .. وفى كل طبقاتها . . فيها الخبيث الممقوت ، والطيب المحبوب .. وما خلت البشرية من الخبث قط ، وما خلت البشرية من الطيب . قط وعلى العاقل أن يتفقد الخير والشر ، وأن يمحص حياته ويسلك سبيل الهدى والرشاد ، بما يحفظ قيمته ويعلى كرامته . هذا مبدؤنا ولا فرق بين هذا الجيل وغيره فى خضوعه لهذا المبدأ .

قلت لشيخ الأزهر : الدين الإسلامى دين

---

وتوحيد للكلمة ، وتحل بالصبر والمصابرة والمرابطة .

فإلى جميع إخوانى المسلمين أتقدم أطيب التحيات ، وأعمق التهانى القلبية ، وأضرع إلى الله أن يتم عليهم نوره ، وأن يكمل لهم وحدتهم حتى يعم خيرها الإنسانية كلها ، وأن ينتفع بهم آخر الإنسانية - كما انتفع بأوائلهم أوائلها - والله يهدينا جميعا إلى سواء السبيل ، ويوفق قادتنا إلى خير الإسلام والعروبة .

أيها الأخوه .

أحييكم أحييكم ، وأهنيكم أهنيكم ، وأدعوكم إلى كلمة الله ودعوة رسوله النبى الأمين ، وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

يسر من مقتضاه التطور مع الزمن فهل يمكننا أن نطوع النصوص الدينية لمقتضيات العصر فيما يتعلق بالكثير من الأوضاع الاجتماعية التي أصبح من الصعب تنفيذ نصوص الشريعة بخصوصها تنفيذاً حرفيا ؟

قال : اضرب لي مثلا . .

قلت : مثلا الطريقة التي تلبس بها السيدات في هذا العصر تختلف كثيراً عن الطريقة التي قررتها الشريعة . والسيدة التي ترتدي ثيابها على الطريقة الإسلامية في هذه الأيام لابد أن تصادف حرجا ومضايقات في كل مكان تذهب إليه . . بل إن ذلك قد يمنعها من تلقي العلم أو العمل . . فما هو الحل في رأيكم للتوفيق بين النصوص الدينية وبين مقتضيات العصر ؟

وهناك مشاكل أخرى مثل العلاقات الاجتماعية التي أصبحت تربط الشبان بالشابات مثل الاختلاط في الجامعة ، وفي العمل وفي الأندية وهناك أيضا مسألة مشاهدة الأفلام السينمائية الغرامية والاستماع إلى الأغاني العاطفية ؟

فرد شيخ الأزهر وفي صوته انفعال :

لا أحب أن أسمع أن الجيل الجديد من الشباب يطلب كذا ولا بد أن نطوع أحكام الإسلام لمقتضيات هذا الجيل . لأن تطويع أحكام الإسلام لغير الجهة التي حددها خروج بالإسلام عن وضعه وإفساد لتعاليمه . إنما علينا أن نفهمه حق الفهم ولا نحكم فيه رغباتنا وشهواتنا ، والإسلام على وجه عام يدعو إلى التقدم وإلى النهوض وإلى العزة والكرامة والقوة والمجد . وحسب الشباب من فتيان وفتيات أن يفهموا هذا وأن يعملوا على التحلي به .

قلت : أريد أن أعرف . هل يمنع الإسلام اشتغال المرأة . وإذا لم يكن يمنع فهل هناك أعمال معينــــة بالذات يحرمها عليها ؟ مثلا . . هناك ضجة في هذه الأيام بسبب عدم تعيين الفتيات في السلك الديبلوماسي . فهل يسمح الإسلام بأن تمثل المرأة بلادها في الخارج . وأن تعيش هناك وحدها بلا رقيب ؟

قال : اسمعي . سأضع لك قاعدة عامة تطبقينها على كل ما يتعلق بأمر المرأة في هذا الخصوص . فالإسلام يعمل أساساً على حفظ الأخلاق وصيانة الأعراض وعلى ألا تبرز الأنثى بمظاهر الإغراء التي من شأنها إثارة الغرائز . فكل اجتماع لا يتحقق فيه هذا المعنى عمل ممقوت . وكل عمل يفتح على الفتاة أبواب الريب والغرائز البشرية عمل ممقوت . وللفتاة داخل هذا الإطار أن تقوم بما يتممها ، وبما تحتاج إليه في معاشها وتنظيم أسرتها وتربية أطفالها حين الزواج ومشاركة مجتمعها . أما الجزئيات فأمرها بعد هذا الأصل هين . ومن السهل أن تعرف كل فتاة ما يحفظ كرامتها ويصون عرضها .

قلت : يعنى يجوز للفتاة أن تعمل فى أى مهنة ما دامت تحفظ كرامتها وتصون عرضها ؟

قال : نعم . .

قلت : هل يجوز للفتاة أن تعمل بالوعظ والإرشاد ؟

قال : نعم . .

قلت : وما هو رأيكم فى الوسيلة التى يمكن بها محاربة موجة الإلحاد التى تجتاح العالم : وما هو السبيل إلى إعادة الإيمان للقلوب التى أصبح يهزها الشك .

قال : هذا سؤال جدير أن تشرئب إلى الإجابة إليه الأعناق ، وجدير أن يجتمع فى سبيل الإجابة العملية عنه رجال التربية ورجال التعليم ورجال الحكم . ولا أريد أن يغرس رجال الحكم الإيمان فى القلوب بالقوانين وإنما أريد أن يكونوا قدوة عملية يقتدى الناس بهم ويأمرهم فى الإيمان وآثاره ومظاهره ، وأن يسدوا النوافذ التى تفد منها إلى الشباب دواعى الإلحاد . فالعقيدة أسمى ما يملكه الإنسان فى حياته ، والشاب المثمر فى وطنه المكافح هو من قوى إيمانه ، ومن هنا نرى أن يبتدئ المعلم ملزمة بغرس شجرة الإيمان فى قلوب التلاميذ من مبدأ نشأتهم حتى تنمو بنموهم وتزدهر وتثمر ، ولا أريد الإيمان التلقينى ، وإنما أريد الإيمان النابع من القلب بلفت الأنظار إلى سنن الله فى الكون ومظاهر قدرته وأفاعيله فى خلقه . وكم لله من آيات فى الأرض والسماء يستطيع المسلمون النابهون المؤمنون أن يغرسوا شجرتها فى قلوب التلاميذ . وهناك جهة أخرى ، وهى أن تعمل الحكومة وجميع معاهد التربية والتعليم على تهيئة الفرص للتلاميذ فى القيام بواجبات الإيمان العملية وأداء الشعائر الإسلامية من الصلاة والصوم وكل ما من شأنه أن ينمى الإيمان فى القلوب . فالمطلوب أمران علم ومعرفة ، وعمل وتدريب ، وبذلك ينهض الشاب مؤمنا قويا فى قوله وعمله وحياته . . وما دامت دراسة الدين فى مدارسنا ومعاهدنا دراسة شكلية صورية لا تصل إلى القلب ، وما دمنا نسخر من الصلاة ومن المصلين ومن الصوم والصائمين كذلك فمحال أن نصل إلى الهدف ، وهو تقوية الإيمان فى قلوب الشباب . وإذن ستظل أمتنا وشعوبنا تعانى من وجود شباب ورجال يعمل الإيمان فى قلوبهم كما يحب الله ويحب الرسول : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » فالمطلوب إيمان يبعد عنه الشك والريب . ولا يفوتنا كبح جماح الصحافة « ولا مؤاخذة » والمجلات التى تعرض صور الإغراء فى إفساد الأخلاق والآراء الشاذة الوافدة إلينا من بؤر أو من آفاق تضمر لشعوبنا العربية

الإسلامية كل الشرور وما هى ببعيدة عنا . . باسم الحرية وما هى بالحرية ، وإنما هى الفوضى الممقوتة والحياة المكذوبة والفجور المنكر . وهذه يدى أمدها لعقلاء الصحفيين وفى مقدمتهم الأستاذ على أمين راجيا أن نتعاهد على إخلاء الطريق للإيمان الحق ليصل إلى قلوب أبنائنا وبناتنا وأسرنا ، فتبنى بذلك أمة قوية لا يفكر الأعداء فى اقتحام أسوارها . ونرجو الله بعد هذا أن يوفقنا جميعا لما يحفظ كياننا ويغرس معانى الاستقرار فى نفوسنا والله المعين والمستعان .

* * *

قلت : يريد الناس أن يعرفوا رأى الإسلام فى محاولة الوصول إلى القمر . . هل هى حلال أم حرام . . وهل هناك فى القرآن الكريم آيات فيها ذكر لهذه المحاولات التى يبذلها الإنسان للوصول إلى الكواكب الأخرى ؟

قال : هذا جانب بشرى تركه الإسلام فى ذاته وفى وسائله للعقل البشرى ولم يحدد له طريقا ولم يبين له فيه حقيقة . نعم حث الإسلام بوجه عام على النظر فى الكائنات وعلى البحث فى ملكوت السموات والأرض فى الشمس وآثارها وظهورها ودورانها والقمر وآثاره ومحوره ودورانه . وترك ما وراء ذلك للعقل البشرى . وليس من شأن الديانات السماوية أن تكشف الحقائق الكونية . وأقرب مثال لنا أن القوم فى زمن التنزيل حينما رأوا القمر يصغر ثم يكبر ويكبر ثم يصغر ويتخذ أشكالا مختلفة . وراعتهم هذه الظاهرة ولم يعرفوا عن أسبابها شيئا اتجه بعضهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الهلال ما باله يبدو صغيراً ثم يكبر يطلبون كشف هذه الحقيقة الكونية . . فكان جواب الحكمة الإلهية أن أخذت بهم عن البحث فى هذا الجانب إلى بيان الثمرة والحكمة المترتبة على صغر القمر وكبره ، ونرى ذلك فيما يتعلق بشرح الآية الآتية وهى قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج ، وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » . والآية تشير إلى أن التوجه إلى بحث الكائنات أو تفسير الشرائع السماوية بالسنن الكونية إتيان للبيوت من ظهورها . . . فعلى الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن أو تفسيره أو احتوائه على مظاهر الكون ، فالكون كتاب والقرآن كتاب ، والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون وتقصى سنن الله فيه ، وليس من شأن الرسالات الإلهية سوى ذلك فلا تحملوها أكثر مما حملها الله .

* * *

قلت للأستاذ الأكبر : ترى ما هو رأى الدين ورأى فضيلتكم فى الحب ؟

قال فى تجاهل : الحب ألوان متعددة .

قلت فى إصرار : أنا أعنى بالحب تلك العاطفة التى تنشأ بين فتى وفتاة .

قال : لو كنت أثق أن الفتيان والفتيات لا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا أن الصحافة لا تتخذ من تصريحات أمثالنا طريقا لدعوتها الخاصة التى تريدها ، لتحدثت معك فى جواب هذا السؤال . ولكنى تعودت من الصحافة أنها تجعل من « الحبة قبة » ، وأن تنسب الرأى الذى تريده إلى الكلمة التى أدلى بها مهما كانت دلالة الكلمة ، فتخرج عن الفائدة المرجوة لنا وللصحيفة ولما نريده للشباب .. فلذلك أرجو إعفائى من الحديث فى هذه المسألة .

قلت : ولكننى أعدك ألا أحرف كلمة واحدة من كلماتك .

قال : لا . . لن أتكلم فى هذا الموضوع . . إسألينى فى موضوع آخر أكثر جدية .

قلت : إذن . . سيكون سؤالى الأخير جاداً للغاية وهو . . ما رأى فضيلتكم فى الفكرة التى نادى بها على أمين والتى طالب فيها بحماية المرأة المطلقة من الانتظار طويلا والتسكع على أرصفة المحاكم حتى يحكم لها القضاء بمؤخر الصداق والنفقة وذلك عن طريق إصدار قانون يقضى بمنع المأذون من تسليم الزوج ورقة الطلاق إلا إذا تسلم منه إذن بريد بقيمة مؤخر الصداق ، وطالب فيها أيضاً بأن يحدد القانون نسبة معينة من دخل الزوج كنفقة للزوجة والأولاد ، وأنه يطالب من المصلحة أو المؤسسة التى يعمل فيها الزوج المطلق أن تتعهد بأن تدفع هذه النسبة آليا للزوجة المطلقة عند الطلاق ، وبذلك يقل عدد قضايا النفقة المنظورة أمام المحاكم ونحمى الزوجات من استهتار الأزواج ، وعلى الزوج المطلق أو الزوجة المطلقة أن ترفع الأمر إلى القضاء بعد ذلك إذا كان لديه اعتراض على قيمة هذه النسبة المعينة كنفقة .

وسكت شيخ الأزهر قليلا ثم قال : واضح أن هذه الفكرة ترمى إلى هدف معين محدد هو صيانة المطلقة من التردد على أبواب المحاكم التماسا لحقها فى مؤخر الصداق وقد فاتتها الإقامة بالطلاق فى حظيرة الزواج ، وليس من شك فى أن الإسلام يعمل بكل تشريعاته على حفظ كرامة المرأة : متزوجة أو مطلقة ، وهى فكرة بعد هذا لا تمس شرعية الطلاق ولا تمنع الزوج من حقه فى أن يطلق ، وإنما هى مجرد تنظيم يقصد به حفظ حق المستحق كما يقصد به صون كرامة المرأة بعد طلاقها وفوات الإنفاق عليها . والإسلام فى تنظيماته كلها يدور حول محور حفظ الحقوق وحفظ الكرامات للرجال والنساء . وكم من تنظيمات مثل هذا التنظيم تضمنها قانون الأحوال الشخصية « لائحة المحاكم الشرعية » وما كان القصد منها سوى حفظ الحق وتمكين صاحبه منه . فقانون تحديد سن الزواج وعدم سماع الدعوى بالزواج العرفى

الذى لم يدون فى وثيقة .. هذان وأمثالها من باب هذا التنظيم الذى يرمى إلى حفظ الحق وحفظ الكرامة. وفى خصوص ضمان راحة المطلقة من جهة المعاش جاءت آيات فى سورة البقرة تحتم مراعاة هذا الجانب بعد الطلاق فمنها قوله تعالى: «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف» وليس من شك فى أن هذا التنظيم مما يدخل تحت التشريع بالمعروف ومنها طلب تقديم المتعة للزوجة المطلقة بعد الطلاق وفى ذلك يقول الله تعالى «وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين» والمراد ما تعارف فى أسرة المطلقة «وانظرى كيف عبر عنه بالحق» وكلمة على واعتبره من علامة التقوى والإيمان القوى بعد التعبير عنه باللام (وللمطلقات) فهذه آيات، وهناك نصوص أخرى كلها صريحة أو توحى بتركيز هذه الفكرة على أصول شرعية قوية، وما علينا إلا أن نفهم كتاب الله وإرشاد رسوله فى تكوين الأسرة وحفظ حقوقها وبذلك تنعم الأسرة وتقوى وتصبح لبنة قوية فى بناء الأمة وكم رأينا من زوجات طلقن وفارقن أزواجهن وهن فقيرات، فتشردن، وأخشى أن أقول «بعن واشترين بأغلى الأثمان وأحقر الماديات».

وقت واقفة بعد أن أخذت من وقت فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أكثر من ساعة .. وعند الباب أتانى صوته الهامس قائلا: عدينى يا ابنتى ألا تحرفى شيئا من حديثى.

والتفت إليه: «وحنيت رأسى فى صمت» «وخرجت».

ولعل الأستاذ الأكبر قد علم الآن أننى قد وفيت بوعدى له .. وهل كنت أستطيع أن أخلف وعدا قطعته على نفسى أمام شيخ الإسلام.

حسن شاه

المحررة بصحيفة أخبار اليوم

---

# من حكم الصوم

يروى أنه قيل ليوسف الصديق عليه السلام: لم تجوع وفى يديك خزائن الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع.

وقيل للأحنف بن قيس: إنك شيخ كبير، وإن الصيام يضعفك. فأجاب الأحنف: إنى أعده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه.

# موجز الحديث

## الذى دار بين الأستاذ الأكبر وسفير كندا بالقاهرة

سأل السيد السفير عن طبيعة العلاقات بين الإسلام وبين غيره من الأديان الإلهية الأخرى .

فعلق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك بقوله: إن الإسلام لايرى أن هناك أديانا أخرى تختلف عنه فى الجوهر ، لأن دين الله واحد ، جاء من مصدر واحد ، هو المعبود الواحد . وليس هناك - فى نظر الإسلام - أديان سماوية مختلفة ، وإنما فقط هناك رسالات متعددة ، كان لكل منها ظروف اجتماعية وثقافية وإنسانية خاصة . وهناك رسل عديدون جاء كل منهم استجابة من السماء لعوامل أرضية خاصة ، تقلبت على تاريخ البشرية . أما دين الله فواحد وسيبقى كذلك إلى ماشاء الله .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه .

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده . . . » ومن ذلك فى القرآن كثير .

ثم سأل السيد السفير عن العلاقة بين المؤمنين بالله وكيف ينبغى أن تكون لمقاومة المادية فى كل صورها الاعتقادية والفكرية والسياسية .

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر: بأن الموقف بالنسبة للمسلمين فى غاية الوضوح والبساطة . فالإسلام يؤكد فى غير موضع من القرآن وحدة الدين الإلهى ، ويقرر فى أكثر من مناسبة وحدة الإنسانية ، ويدعو إلى الأخوة الصادقة والتراحم ، وينعى على المتفرقين من اليهود والنصارى تنابذهم ، ويحثهم على أن يجتمعوا مع المسلمين على كلمة سواء . « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » .

والقرآن الكريم فى آياته الواضحة ينادى جميع الشعوب والأجناس بقوله « ياأيها الناس » « يابنى آدم » ويكرر ذلك دائما ، فهو لا يفرق بين جنس جنس ، ولا بين لون ولون ، وإنما يدعوهم لأب واحد وينسبهم إلى إنسانية واحدة ، تعبد ربا واحدا وتسعى إلى هدف مشترك لسعادة الجميع . وأكثر من هذا يبيح الإسلام

زواج المسلم بالكتابية وجعل أخوال ابنه من غير المسلمين ، وهذا كله دليل واضح على مدى فهم الإسلام لمشكلة الإنسانية واتخاذه الخطوات الإيجابية لحلها والتقريب بين المتنافرين ، وبناء مجتمع عالمي قائم على حسن التفاهم والأخوة والمساواة .

وعندئذ قال السيد السفير : إذا كان الأمر كذلك فما هي الوسائل الفعالة لتنفيذ هذه التعاليم الحكيمة للتقريب بين المؤمنين بالله ولصالح الإنسانية ؟ .

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر : بأن الوسائل الإيجابية ليست فى عقد مؤتمر ولا فى لقاء عابر ، وإنما هى أهم من ذلك وأعمق . ثم ذكر فضيلته أنه أخبر بعض الصحفيين الإيطاليين أنه لا يوافق على فكرة البابا ، فى عقد مؤتمر عالمى لممثلى الأديان ، لبحث وسائل حسن التفاهم والتعاون بينهم ؛ لأن المؤتمرات - أيا كانت طبيعتها - تبدأ بكلام وتنتهى بكلام لا تتبعه نتائج عملية .

وبعد أن ذكر فضيلته الأمثلة على ذلك قال : إن الطريق الإيجابى هو طريق الفكر المستنير والثقافة الرشيدة ، طريق التفاهم المباشر ، وذلك بأن يسعى كل فريق لمعرفة ما عند الفريق الآخر من مبادىء وقيم وتعاليم ، معرفة بصيرة بعيدة عن الهوى . ثم ذكر فضيلته أن المسلمين قد بدأوا فعلا السير فى هذا الاتجاه الموضوعى بما قرره الإسلام أولا من حيث المبدأ أو بما اتخذه الأزهر أخيراً من خطوات عملية نحو تعليم اللغات الأجنبية ، حتى يستطيع طالب الأزهر وخريجه وابن الإسلام أن يتغلغل فى ميادين الثقافة الأجنبية ويفهم ما عند غيره من أفكار وقيم وتجارب تساعده على القرب منهم والتعاون معهم .

وبعد أن أشار فضيلة الأستاذ الأكبر إلى بعض الأمثلة فى هذا الصدد قال : إن على غيرنا أن يسيروا فى اتجاه مماثل فيتعلموا لغتنا ويدرسوا ثقافتنا ويعرفوا ما عندنا من عقائد ومبادىء وقيم حتى يقفوا على حقيقة أمرنا ، وحتى يمكن أن نلتقى معهم فى منتصف الطريق ، ونتعاون على إسعاد البشرية ، والتخفيف من آلام الإنسانية ، ونكون بحق أصحاب رسالات إلهية ومن المؤمنين بالله رب الإنسانية جمعاء .

وما كاد فضيلة الأستاذ الأكبر يفرغ من حديثه حتى قال السيد السفير إنه سعيد بأن كندا قد بدأت فعلا تسير فى هذا الطريق وضرب لذلك مثلا : « معهد الدراسات الإسلامية » فى جامعة ماكجل بمونتريال ، الذى أنشأه ويشرف عليه شقيق السيد السفير ، والذى يتكون أساتذته وطلابه من مجموعة مختارة من المسلمين والمسيحيين .

ثم استأذن السيد السفير فى السؤال ( عن خطر الشيوعية فى البلاد الإسلامية ) .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر إن الشيوعية

نبات فاسد لا ينمو إلا فى أرض فاسدة وتربة ميتة . وهى مهما تطفلت لا تستطيع أن تعيش فى بلد إسلامى ، لأن الإسلام فيه الغذاء وفيه العلاج . وطريقنا لمقاومة الشيوعية هو طريق الإسلام . ندعو الناس – وقد دعوناهم فعلا إلى التمسك بتعاليم الإسلام وتطبيق تعاليمه فى شتى جونب الحياة وهى كفيلة لا بإسعاد المسلمين وحدهم ولكن بإسعاد البشرية كلها .

وبعد ذلك سأل السيد السفير عما إذا كان الجيل الحاضر بين المسلمين أكثر تدينا أو أقل من الجيل الماضى مثلا .

وعلق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك بقوله : إن التدين لا يقاس بالأجيال ولا بالسن ولا بالزمان أو المكان ، وإنما هو تنشئة صالحة فى بيئة طيبة تحت قيادة رشيدة مؤمنة . وهذا كله يوجد دائما حيث يكون هناك إسلام صحيح ومسلمون صادقون .

وأخيرا سأل السيد السفير عن الكلمة التى يمكن أن يتوجه بها فضيلة الأستاذ الأكبر إلى الأفراد والشعوب لتخفيف أزمة التوتر العالمى .

فقال فضيلته : إنى أدعو أبناء الشعوب الصغيرة المستضعفة ألا يفقدوا ثقتهم بالله ، ولا يضيعوا إيمانهم فيه فهو عادل لا يهمل الظالم وإن أمهله . وعلى هؤلاء أن يلتفوا حول رسالة السماء إذ هى المنقذ الوحيد للبشرية . أما كلمتى إلى قادة الشعوب الكبرى فهى أنى أدعوهم أن يتذكروا دائما أن صواعق العدالة الإلهية أشد تدميراً وفتكا من صواعق الإنسان ، وأنهم إن لم يكفوا عن ظلم الشعوب الصغيرة واستعمارها فسيكون مصيرهم مصير قوم نوح وعاد وثمود وما ذلك ببعيد والتاريخ يعيد نفسه والله لا يغفل عن دعوة المظلوم أبد . ستنهض الشعوب الصغيرة وترتقى وتنتقم لنفسها وكرامتها إن لم يسرع قادة الدول الكبرى بتغيير سياستهم ومساعدة الضعفاء على التحرر والإستقلال . إن حل الموقف اليوم فى أيدى الدول الكبرى فهى تستطيع أن تواصل سياسة البطش والظلم والعدوان ولكن ذلك سيكون على حساب الإنسانية كلها لأن الشعوب المظلومة ستنتقم لنفسها يوما ما وتستمر الأزمة ويدوم التوتر . أما إن غيرت الدول الكبرى موقفها واستغلت التقدم العلمى والحضارى فى أغراض سامية إنسانية فإن الإنسانية ستكون سعيدة هانئة . وآنئذ يسود مبدأ الأسرة الإنسانية الواحدة وهو المبدأ الذى قرره الإسلام كواحد من تعاليمه الخالدة .

وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة والنصف تقريبا فشكر السيد السفير فضيلة الأستاذ الأكبر من أعماقه وعبر لفضيلته عن بالغ سروره بهذا الحديث الممتع وتمنى له عاجل الشفاء ودوام الصحة لخدمة الإسلام والسلام والإنسانية .

# الكلمة التى ألقاها الأستاذ الأكبر

## على شباب إفريقيا وآسيا

أبنائى وإخوانى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذه هى تحية الإسلام تحمل أسمى المعانى التى ننشدها ونسعى إليها ، تحمل السلام وهو هدفنا جميعا وتحمل الرحمة التى ينبغى أن تكون فى قلب كل مؤمن بحقوق الإنسان .

إن الشباب حياة تتفجر منها كل القوى . وأنتم اليوم بتضامنكم واتحادكم وتراصكم واجتماعكم ، لأشد قوة وأعز جانبا وأمضى عزماً وأشد بأساً .

لقد فرق بينكم الاستعمار يا أبناء آسيا وإفريقيا ، وأبى إلا أن يمزق بلادنا وبلادكم ، ويجعلها أجزاء متناثرة . فأبيتم إلا أن تنضووا تحت قوله تعالى « يأيها الذى آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » ، وتكونوا وحدة ترد سيوفهم إلى نحورهم ويعود بغيهم عليهم .

لقد وحد بين إفريقيا وآسيا كفاح ونضال [illegible] الاستعمارية وشباب وقوة ، وجهاد فى ميادين الحرية .

والآن وقد تقاربت صفوفكم ، وتضامنت آراؤكم ، ويجمعكم التطلع لمستقبل باسم ، وأيام زاهرة تملى فيها مبادئ السلام ليعيها الذين شربوا من دماء الإنسانية وهم يدعون حمايتها والزود عنها .

أنتم اليوم فى الأزهر الذى تلاقت فى حلقات دروسه الدينية العلمية ، أبناء آسيا وإفريقيا يجمعهم ويكون منهم كتلة متراصة تفهم معانى الحرية ، وتأبى الضيم وتنتصر للمظلوم وترد كيد الظالمين .

الأزهر الذى يسره استقبالكم ، يسره أن يلتقى كل منكم أخا من إخوانه فى الجنس والوطن فى الأزهر المعمور .

إننا جميعاً نرجع إلى أصل واحد يجمعنا ويدفعنا إلى التضامن ، التضامن منبع القوى الدافقة ، والقرآن الكريم نادى الناس بما يشعرهم بهذا المعنى فقال « يا بنى آدم » ويأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

أيها الشباب .

لقد لبس الاستعمار كل لون يعرض به نفسه ليغزو وحدتكم ويفرق شملكم ، ويضرب بعضكم ببعض ، ولترسخ أقدامه وتدوم حياته فى أوطانكم ، تدخل مرة باسم التضامن ، وباسم التحالف ، ولكنها لغة رديئة لم تعد

صالحة . ولا مجدية . لأننا فى يقظة تتزايد وفى وعى يثب إلى ذرى مجده .

ومرة أخرى لبس ثوب الاقتصاد ودخل به . ولكنه ارتد على عقبيه وانهزم أمام صلابتكم وقوتكم .

احذروا هؤلاء وهؤلاء ، واضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان إذا كنتم قد أظهرتم والحمدلله قوتكم فى الإيمان بحقكم وبرهنتم للعالم على مدى هذه القوة فى الذود عن أوطانكم وعن أرضكم التى جعلها الله لكم ، فلتعمل أيديكم القوية فى البناء والتعمير ، وفى كل ما يعود على البشرية والإنسانية من خير .

وإن الإسلام لملىء بتعاليمه التى تكفل للبشرية جمعاء الخير والسعادة وتضمن لشعوب الأرض والسلام والرخاء .

إن الإسلام لا يضيق صدره بما فيه صلاح الشعوب جميعا وقد صلحت به فى الماضى ووسع كل شئونهم وكل ما يحتاجون فلنصلح به حاضرنا ومستقبلنا .

أحييكم من الأزهر مهد الثقافة وجامعة الأمم الإسلامية والعربية الإفريقية والآسيوية ، وأدعو الله أن يثمر مؤتمركم ثمرته التى يعلق عليها كل محب للسلام أملا كبيرا .

وإن الأزهر ليعاهدكم جميعا على أن يكون فى خدمة شعوب آسيا وإفريقيا يستقبل أبناءهم ويبعث إليهم بالأساتذة وكل متطلع للثقافة يزودهم بكل ما يحتاجون إليه فى التبصير بشئون الإسلام الذى يجمع الجميع إلى هدف واحد هو خير الدنيا وسعادة الآخرة .

والأزهر يعلن على الملأ أن الإسلام غنى بتعاليمه وآرائه الإصلاحية عن تلك الآراء والمذاهب التى تفد تارة من هنا وتارة من هناك وليس لها من هدف سوى تفريق شملنا وتوهين عزمنا وصرفنا عن قوميتنا التى بها حياتنا ، والتى قيض الله لإحيائها ، وتوجيه قلوبنا إليها ، ذلكم الشاب القوى فى إيمانه وعزيمته ، الصادق فى نيته ، راشد العروبة والإسلام جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

حياكم الله وأدام التوفيق لزعيم النهضة التضامنية والقوة الإخائية وراشد القومية العربية السيد الرئيس جمال عبدالناصر المؤمن بحقوق الإنسانية جمعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله

# الأدب والعلوم

## دائرة معارف عربية

من العجيب أن يكون لكل دولة من دول الحضارة دوائر معارف شتى منها الكبير والمتوسط ، ومنها العام والخاص، ولا يكون للتراث العربى على ضخامته وتنوعه دائرة معارف تجمعه وتضمه وتسهل للناس الاطلاع عليه : نعم إن هناك دائرة المعارف الإسلامية التى وضعها المستشرقون من علماء هولندا وفرنسا وألمانيا وانجلترا ولكنها لم تترجم كاملة إلى اللغة العربية ولقد اهتمت فى العهد الأخير وزارة الثقافة والإرشاد بوضع موسوعة عامة تستعين فيها بجميع دوائر المعارف فى العالم وعددها ١٧ دائرة فى انجلترا وأمريكا وفرنسا وإيطاليا وروسيا وأسبانيا وستحتشد لها ٤٥٠ رجلا من مديرى الجامعات والعلماء والأساتذة من العرب والأجانب ، يضعون الخطط ويعدون البحوث ويختارون المختصين وينفذون المشروع وقد قيل إن الوزارة أرصدت لها من المال مليون جنيه على عشر سنوات وستبدأ العمل فيها قريبا .

## أكثر جامعات العالم

### تدرس اللغة العربية

احتلت اللغة العربية مكانة ممتازة فى جامعات الأمم بعد أن أصبح للعرب صوت مسموع فى سياسة العالم . ففى الولايات المتحدة ست جامعات تعلم اللغة العربية . وقد جعلت الحكومة الأمريكية معرفة العربية شرطا فى شغل المناصب الدبلوماسية فى الشرق.

وفى يوغوسلافيا تعلمها جامعات بلغراد وزغرب وسيراجيفو وسكوبلا .

وفى روسيا ثلاث جامعات تدرسها وهى : جامعة موسكو وجامعة لينينغراد وجامعة قازان بطشقند .

وفى الهند تدرس العربية إجباراً فى المرحلة الابتدائية واختياراً فى المرحلة الإعدادية ،

## بريد المجلة

سيفتتح هذا الباب ابتداء من العدد القادم ليتصل منه القراء بالمجلة يسألونها وتجيبهم ، ويستفتونها وتفتيهم وتتيح لهم الفرص ليتعرف بعضهم إلى بعض .

وفى المرحلة العالية ٢٧ كلية تشتمل على أقسام لدراسة العربية منها كلية عليكرة .

وفى إيطاليا تدرس اللغة العربية فى جامعة روما وفى ( معهد الدراسات الشرقية ) بها ، وهناك معهد آخر للدراسات العليا الشرقية فى نابلى . ومنذ شهرين أخذت جامعة بالرمو تدرس اللغة العربية وذلك غير المعاهد الشرقية التى تدرسها وتدرس غيرها فى لندن وباريس من قبل .

## المنظمة العالمية لحرية الثقافة

فى النصف الأول من هذا العام ستقيم المنظمة العالمية لحرية الثقافة سلسلة من الحلقات الدراسية جعلت لها موضوعا رئيسيا واحدا وهو « التقاليد والتطور » وخصصت ثلاث حلقات لدرس هذا الموضوع فى أوربا : فى رودس وفينا والبندقية .

أما حلقات الشرق الأوسط فهى فى كراتشى عن الإسلام والعالم المعاصر . وفى القاهرة : « الإدارة العامة والكفايات المهنية » وفى بيروت : الأوضاع التشريعية وتجاوبها مع التطورات الحديثة . وفى بغداد : التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى الدول العربية . وفى الخرطوم : التقدم القومى والنظم التقليدية . وفى شيراز : مسؤليات رجال الفكر وأوضاعهم فى المجتمع المعاصر .

أما المنظمة العالمية لحرية الثقافة فهى هيئة مستقلة تضم طائفة من أهل الفكر والعلم من الأمم المختلفة وغرضها كما تقول تعزيز التبادل الثقافى وتحرير الفكر على نطاق عالمى .

## فى مسابقة الشعر والأغانى

### فى عيد الوحدة

أعلن المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية عن مسابقة فى الشعر والأغانى ، فتلقى من الشعر مائتى قصيدة ومن الأغانى مائتى أغنية فحصتها لجنة خاصة ثم قدمت تقريرها إلى المجلس ، فأقام حفلة لتوزيع الجوائز على الفائزين افتتحها السيد وزير التربية والتعليم المركزى بكلمة وجهها إلى الشباب .

ثم قدم السيد يوسف السباعى الشعراء العشرة الأول فألقى كل منهم قصيدته ، وكان الفائز الأول أحمد عبد المجيد الغزالى ، والثانى أحمد مخيمر ، والثالث محمد التهامى . أما الأغانى فقد سقطت كلها من عيون الغربال .

ومن قول الغزالى فى أول قصيدته :

صحا الشرق وانطلق المارد
وهز الورى صوته الراعد
[illegible]
وشع بها فخره العائد
بنى الشرق من يعرب لا تنوا
فقد زحف الجند والقائد

لقد شادها وحدة للشعوب
فبورك صانعها الشائد

إن علماء العالم أصبحوا يجدون فى نشاط القاهرة العلمى حافزاً يدعوهم إلى زيارتها ، ويجدون فى إقليم مصر علماء يستحقون أن يقابلوهم ويتناقشوا معهم .

إن ٧٥ عالما زاروا المركز القومى للبحوث بالدقى . . من كل بلاد العالم وفى كل فروع العلم ، وأدهشتهم المعركة التى تدور الآن على أرض الجمهورية بين علمائها وبين مشاكل الزراعة والصحة والهندسة والطب، وأدهشهم التقدم البارع الذى يحرزه العلماء العرب ، فى تخطيط البلاد على أسس علمية ، ولم تعد بلاد العرب ، كما كانوا يعتقدون ، مراكز للجهل والخرافات ، وتماسيح النيل وجمال الأهرام ، وأساطير الصحراء .

ومن أمثلة الذين جاءوا القاهرة . . علماء من روسيا وألمانيا وفرنسا والمجر وبورما والولايات المتحدة والنمسا واليابان والسويد واستراليا والهند وبولندا ومن الأمم المتحدة واليونسكو .

ومن العلماء العمالقة الذين جذبهم مغناطيس القاهرة ، جون مايبيلك مدير مركز بحوث مالهوس ، وريتشاردفيويج رئيس جمعية الطبيعة الفنية بألمانيا ، وسير جونيك أستاذ البترول بالجمعية العلمية السوفيتية بالاتحاد السوفيتى ، والدكتور فلاكا بجامعة جراتز بالنمسا ، والدكتور هوايت من منظمة الكمنولث للبحوث العلمية باستراليا . وبيلا لونجيال نائب رئيس جامعة بودابست بالمجر ، والبروفسور ناوتو كامياما رئيس معهد البحوث العلمية بطوكيو باليابان والدكتور إينجا أرفيدسون بمعهد الأرصاد بالسويد ، والبروفسور كريشنان مدير معمل الطبيعة القومى فى نيودلهى بالهند ، والبروفسور ايفبريت هاو أستاذ الهندسة الميكانيكية بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة وغيرهم كثيرون من علماء العالم ! !

## ترجمة القرآن
### للغات الإفريقية

تم ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الإفريقية قريبا . أمضى الإمام محمد أمين بكر فى هذا العمل أربع سنوات . ستساعد الترجمة الأطفال المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية على تعلم شعائر الدين . والإمام محمد عميد مدرسة سيموزتاون الإسلامية .

## منبر وكرسى مصحف
### لمسجد فى أمريكا

أعدت وزارة الأوقاف منبراً ، وكرسى مصحف ، لإهدائهما لمعهد « توليد » فى الولايات المتحدة الأمريكية وتبحث الوزارة

موضوع إيفاد واعظ ومؤذنين لهذا المسجد بناء على مشاورات دارت بين الوزارة والملحق الثقافى الأمريكى .

## برامج دينية جديدة

تقدمها الإذاعة فى رمضان

تقدم المراقبة الثقافية فى إذاعة القاهرة مجموعة من البرامج الدينية الجديدة منها «أحسن القصص» ، «ومن بيوت الله» ، «ومجالس وأسمار» .

أما أحسن القصص فمادته مستوحاة من قصص القرآن الكريم . وبرنامج «من بيوت الله» سيتناول موضوعه ما يدور فى بيوت الله من نشاط دينى فى ليالى رمضان المباركة .

أما برنامج «مجالس وأسمار» فسيكون صوراحية للأسمارالعربية ، وكذلك الندوات التى كانت تحفل بها مجالس العرب فى أزهى عصور الإسلام وما كان يجرى فى قصور الخلفاء من محاورات أدبيةوطرائف وحكم .

## بعثات الوعاظ والقراء

للبلاد العربية خلال رمضان

اتفق الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مع الأستاذ كمال رفعت وزير الأوقاف بالنيابة على إيفاد بعثات من العلماء والقراء للوعظ والارشاد إلى البلاد العربية والإسلامية لإحياء ليالىشهر رمضان المعظم .

## ٨٠ مؤتمراً علمياً

يبدأ انعقادها يوم ٢ مارس

حدد يوم ٢ مارس لبدء عقد ثمانين مؤتمراً لمناقشة التقارير التى أعدتها لجان السياسة العلمية بالمجلس الأعلى للعلوم .

وذلك فى مختلف فروع العلم . وستحدد بعد ذلك السياسة العلمية للبلاد .

## هدية من الهند

أهدت حكومة الهند للجمهوريه العربية ١٥٠ كتابا فى الأدب والفن قام السفير الهندى بتسليمها إلى ثروت عكاشة وزير الإرشاد التنفيذى . قال السفير : إن هذه الكتب تزيد الروابط بين البلدين ، وقال الوزير إن تنمية الفكر ترفع مستوى الإنسانية. أقيم حفل شاى بهذه المناسبة حضره يوسف السباعى وكبار رجال وزارة الإرشاد .

## إجراءات جراحات القلب

بعد تثليج المريض

توصل بعض الأطباء فى جامعة ديوك إلى طريقة جديدة لإجراء الجراحة فى القلب ،

يخفض درجة حرارة المريض إلى ما يقرب من الصفر قبل إجراء العملية التى تكون فى هذه الحالة سهلة . إذ تكون الدورة الدموية قد توقفت وكذلك نبض القلب .

## لجنة دولية

### لدراسة المخطوطات القبطية القديمة

عثر فى أحد الأديرة القديمة بنجع حمادى عام ١٩٤٦ على ١٢ مجلداً من أوراق البردى مكتوبة باللغة القبطية القديمة منذ ١٩٠٠ سنة وقد دل البحث الأولى فيها على أنها تشتمل على مذهب دينى فلسفى كان شائعاً فى الإسكندرية القديمة وفى مصر يومئذ وكان معروفاً باسم (الغنوسطية) ومعناها المعرفة ، ثم انتشر مذهبهم فى اللغة العربية باسم (مذهب العارفين بالله) وخلاصة هذا المذهب الاعتقاد بإله واحد تأتى معرفته عن طريق العقل لا عن طريق الإيمان ، وهذه المعرفة كفيلة بتخليص الروح من الآلام وتطهيرها من الآثام .

وهذه هى الفكرة العامة المعروفة عن هذا المذهب حتى الآن ، ولعل هذه المخطوطات تلقى ضوءاً على جميع جوانبه فيتضح ويكشف عن حياة الإسكندرية قبل خمسة عشر قرناً .

لذلك اهتم وزير الثقافة بهذه المخطوطات وألف لدراستها لجنة دولية من علماء أوربا وأمريكا وإفريقيا وفدوا إلى القاهرة فى الأسبوع الماضى وسيبحثونها من جهاتها الثلاث : الفلسفية واللغوية والأثرية . ويحاولون الحصول على ما تسرب منها إلى بعض المتاحف والمعاهد الأجنبية .

## موسم ثقافى

### للجامعة الأزهرية

قرر فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر تنظيم موسم ثقافى يقام كل عام تلقى فيه المحاضرات الثقافية بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الأزهرية . يلقيها صفوة من رجال الدين والأدب والعلم من الأزهر والجامعة ومجمع اللغة العربية ، وسيحدد موعد الموسم الثقافى الأول متى تم الإعداد له والدعوة إليه .

## المرشحون

### لجائزة الدولة التقديرية

بلغ عدد المرشحين لجوائز الدولة التقديرية فى الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ثمانية : طه حسين وأمين الخولى فى الأدب . ولطفى السيد ، وعبد الواحد وافى ، وعبد الحكيم الرفاعى ، ومحمود كامل فى العلوم الاجتماعية ، وحسن فتحى ومنصور فرج فى الفنون ، ويجب أن يفوز ثلاثة منهم . ومقدار الجائزة لكل فائز ٢٥٠٠ جنيه وميدالية ذهبية .

# الكتب

## كتاب تاريخ الجامع الأزهر

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

٣١٦ ص . مؤسسة الخانجى بالقاهرة

صدر أخيراً كتاب فى « تاريخ الجامع الأزهر » بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان وكان المؤلف قد أصدر قبل ذلك فى ١٩٤٢ ( ١٣٦١ هـ ) كتابا عن تاريخ الأزهر فى العصر الفاطمى مع تكملة له حتى العصر الحاضر، وذلك لمناسبة حلول عيد الأزهر الألفى يومئذ .

ولكن المؤلف يخرج فى كتابه الجديد من هذا التخصيص الذى قصده فى مؤلفه السابق إلى التعميم ويقدم إلينا تاريخاً شاملا للجامع الأزهر منذ إنشائه فى فاتحة العصر الفاطمى حتى يومنا.

ويشمل الكتاب أربعة عشر فصلا كبيرة تتضمن تاريخ الجامع الشهير فى مختلف العصور والدور العلمى الخطير الذى اضطلع به خلال القرون ، ومختلف الأنظمة الدراسية التى توالت عليه ، ومختلف المواد والعلوم التى كانت تدرس به ، والكتب الدراسية التى كانت متداولة به فى كل عصر . كما يتضمن سير طائفة كبيرة من العلماء الذين تولوا التدريس به فى مختلف العصور ، وطائفة من أعلام العلماء الوافدين عليه من المشرق والمغرب .

ويعنى المؤلف عناية خاصة . فضلا عن تبيان مكانة الأزهر ، ومآثره العلمية على كر العصور ، والدور العظيم الذى لعبه فى تكوين الحركة الفكرية بمصر الإسلامية ، وفى حماية اللغة العربية والعلوم الإسلامية ولاسيما خلال العصر التركى ؛ يعنى بإبراز المكانة المرموقة التى كان يشغلها الأزهر فى الحياة العامة ، والدور القومى العظيم الذى اضطلع به فى قيادة الأمة فى مختلف المواقف ، ولا سيما أثناء الاحتلال الفرنسى . فى هذا الفصل الذى يشغل وحده من الكتاب خمسين صفحة ، تبدو شخصية الأزهر فى القيادة الوطنية والشعبية فى أروع صورها ، ويبدو علماؤه وطلابه على رأس حركة الكفاح القومى ضد المحتلين ، وهى حركة لبث الأزهر يرعاها ويضرم وقودها حتى انتهت بجلاء المحتلين عن البلاد .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن حركة التطور والإصلاح التى مر بها الأزهر فى العصر الأخير وعن نظمه المحدثة حتى يومنا .

كل ذلك بأسلوب جزل تطبعه نزعة علمية واضحة يغلب عليها التحقيق والاستيعاب .

ويختتم الكتاب بطائفة من الوثائق والبيانات والإحصاءات الهامة ، عن أساتذة الجامع وطلابه وميزانيته ومكتبته وأروقته وحاراته ، وعن مدينة البعوث الإسلامية وصلات الأزهر بالعالم الخارجي .

وليس من شك في أن هذا السفر الجديد الذي يقدمه الأستاذ عنان إلى المكتبة العربية يعتبر أوفى مرجع علمى عن تاريخ الجامع الشهير وعن نظمه ومآثره العلمية .

## سلسلة الثقافة الإسلامية

هذه السلسلة الشهرية يصدرها المكتب الفنى للنشر بالقاهرة ، ويشرف عليها الأستاذ محمد عبد الله السمان . وهى تهدف إلى تقديم زاد من الثقافة الإسلامية الخالصة ، لإبراز القيم الإسلامية العظيمة ، وقد اختير للإسهام فيها الأعلام من الكتاب الإسلاميين ، الذين لهم مكانة فى الميدان الفكرى الإسلامى .

وقد صدر منها إلى الآن : سبعة أعداد للأساتذة : الشيخ « أبو زهرة » والدكتور عثمان خليل . والاستاذ الاكبر الشيخ شلتوت ، والدكتور محمد يوسف موسى ، والدكتور محمد البهى ، والدكتور سليمان دنيا ، والدكتور عبد الحليم محمود .

وموضوع الأستاذ « محمد أبو زهرة » عن الوحدة الإسلامية ، فالإسلام كما يرى المؤلف دين الوحدة ، كما هو دين الوحدانية ، ( وهو كما يقرر الوحدة الدينية يقرر أيضا الوحدة السياسية بين الشعوب التى آمنت به ) فقد ربط بين الشعوب التى آمنت به برباط وثيق من الأخوة الإسلامية ، ( تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد واحدة على من سواهم . وإذا كانت الأهواء قد فرقت شمل الأمة الإسلامية حتى صارت دويلات ، إلا أن مبدأ الوحدة الإسلامية لم تزل له قدسيته ) والمسلمون جميعاً مسئولون أمام الله والتاريخ عن تحقيق مبدأ الوحدة الإسلامية .

وكان موضوع الدكتور عثمان خليل أستاذ القانون العام بجامعة القاهرة ، عن : « الديمقراطية الإسلامية » ويرى الدكتور أن التراث الإسلامى فى شأن الحكم هو حلقة أصيلة فى صميم سلسلة التطور التى مرت بها الفكرة الديمقراطية المجردة خلال القرون المتعاقبة ( والمدلول اللفظى للديمقراطية : هو أنها « حكومة الشعب » إلا أن الأفكار قد تشعبت فى فهم معنى (حكومة الشعب) . وإذا كانت الديمقراطية تعتمد على أساسين هما ، الديمقراطية السياسية ، والديمقراطية الاجتماعية ، فإن من الواضح أن للديمقراطية

الإسلامية تراثا جليلا فى هذين المجالين ، وقد كانت ولا ريب ـ أحب ما يتصور الإنسان ، إذ امتدت منذ أمد بعيد ، إلى شتى صور الديمقراطية التى عرفها الإنسان إلى اليوم.

وكان موضوع الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت عن : الإسلام ، والوجود الدولى للمسلمين . . والأستاذ الأكبر يرى أنه قد كان للمسلمين باعتبارهم جماعة ، أحداث كبرى فى المرحلة الإسلامية الأولى ، هى بمثابة عناصر قوية فى بناء الوجود الدولى لهم ، وكان شأنهم فى تذكرها شأن كل مجتمع بشرى يتحسس مواضع الضعف فى سيره فيتقيها ، وعوامل القوة فينميها ، والإسلام عقيدة وشريعة ، أقامتا معا بناء عالميا إنسانيا ، للإسهام فى مد البشرية بإشاعات تضىء لها الطريق إلى الخير والحق والجمال .

وإذا كان هذا البناء قد تعرض ـ ولا زال ـ لكثير من العواصف ، فيجب أن يعلم المسلمون أنهم مسئولون عن صيانته ، ويجب أن تكون المبادئ التى اعتنقوها أقوى أسلحتهم ، والمبادئ السليمة القوية ، متى تركزت وآمنت بها القلوب ، وامتلأت بها النفوس ، كانت طاقات كبرى من التضحية والفدائية ، وأصبحت أعز لدى أصحابها من نفوسهم وأموالهم ، ومن كل ما يملكون . .

وكان موضوع الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الشريعة بكلية الحقوق : « الإسلام ومشكلاتنا الحاضرة » .

وقد تناول البحث جانبا مهماً من المشكلة الاقتصادية ، ناقش على ضوء الإسلام أعمال « البورصة » ، وعمليات القطن ، والأسهم والسندات والتأمين على الحياة .

أما منهج الدكتور فى هذا البحث ، فيتركز فى إيمانه ، بأن الاسلام جاء ليكون دينا عالميا إنسانيا ، ولذا كان لا بد أن يكون فى طبيعة رسالته ما يجعلها حقا صالحة للإنسانية كلها فى كل جيل وعصر ، وبأن رسالة الفقيه تقتضيه فهما عميقا للكتاب والسنة ، وإحاطة بأدلة الأحكام ، ومعرفة بعلل هذه الأحكام ومسالكها . .

وكان موضوع الدكتور محمد البهى مدير عام الثقافة بالأزهر : عن الإسلام والفلسفات المعاصرة .

تحدث الدكتور فى هذا البحث عن ماهية الفلسفة المعاصرة ، وحللها تحليلا دقيقا ، واعتبر أن قيمتها فى جانب العلم والتطور الصناعى ، وليس لها قيمة ما ، جانب الضمير والدفع الذاتى للإنسان ، اذ لم تصل بالمجتمع الاشتراكى إلى أن يكون ذا ترابط فعلى واقعى كما لم تصل بالمجتمع الرأسمالى إلى تقليل الهوة بين طغيان الرأسمالية واستغلال من ليسوا أصحاب رءوس الأموال ، أما الفلسفة

المعاصرة فى الشرق الآن ، فليست فلسفة أصيلة فيه ولا منبثقة من حاجات وضرورات الحياة ، بل هى فلسفة أوجدها الغرب ودعت إليها ظروفه الخاصة .

أما فلسفة الإسلام ، فهى فلسفة تحررية تقـــدمية ، لأن مبادئه هى مبادئ البشرية الفاضلة المهذبة ، ولو كان للإسلام فى حياتنا ما يجب أن يكون ، لكنا فى غنى عن استيراد الفلسفات المعاصرة وتنازعها وصراعها .

وكان موضوع الدكتور سليمان دنيا أستاذ الفلسفة المساعد بكلية أصول الدين : « عن الدين والعقل » ويرى الدكتور أن الدين نظام وثقافة ، وقانون وعمل ، والإسلام قام فى تشريعه على أساس رعاية مصالح الإنسان فى حياته باعتبارها طوره الراهن ، إلى جانب رعاية مصالحـــه فى حياته الآخرة باعتبارها طوره اللاحق ، والدين والعقل يلتقيان دائما فى رحاب الإسلام ، إذا ما فهم العقل على أنه قوة فى الإنسان تكشف له عن الواقع ، لا على أنه الانطلاق المتحرر من كل قيد .

والذين يدرسون الإسلام دراسة واعية ، يؤمنون إيمانا كاملا ، بأنه لا يقف فى سبيل نهضة ، ولا يعوق وثبة ، ولا يعرقل حضارة ، والذين تحملهم الغيرة المفرطة على الدين حتى إنهم لا يريدون للناس أن يتحركوا إلا إذا صادفوا فى الدين نصا يأذن لهم بالتحرك ، هؤلاء يتجاوزون بالدين حدوده التى رسمها الله له . .

أما موضوع الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين فهو عن : أوربا والإسلام . . وهذا البحث جاء نتيجة لما لمسه الدكتور خلال سنواته التى قضاها فى جامعة السوربون من تباين العقليات الغربية نحو الإسلام ، لا سيما العقليات الناضجة التى تضطلع بتدريس مادة تاريخ الأديان بالسربون ، وإذا كان الكتاب قد كتبوا كثيراً فى علاقة الشرق بالغرب سياسيا ، واقتصاديا ، ولكن التفكير فى صلتهما دينيا لم يسترع عنايتهم إلى الحد المناسب لجلال الموضوع وخطره . ويرى الدكتور أنه من الممكن للإسلام أن يغزو الغرب ، فلمنطقه إمكانيات كبرى تؤهله لذلك ، ولكن حين يتوافر الدعاة الذين يتمتعون بآفاق واسعة وثقافات عالية ، وحين تتوافر التسهيلات لترجمة البحوث الإسلامية إلى لغات الغرب لا سيما بحوث الكتاب المنصفين منهم الذين انصفوا الإسلام ، ليكون ذلك أدعى لقبوله لديهم .

# أنباء الأزهر

## برقية شكر من السيد رئيس الجمهورية
## إلى فضيلة الأستاذ الأكبر

أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر برقية شكر هذا نصها :

تلقيت بخالص التقدير برقيتكم المعربين فيها باسمكم وباسم رجال الأزهر عن أصدق التهانى وأكرم المشاعر بمناسبة العيد القومى ، وإنا لنتوجه إلى الله بقلب مفعم بالرجاء أن يشد أزر العرب والمسلمين حتى ترتفع منارة القومية العربية ويتحقق ما نرجوه لها جميعا من شرف المنزلة ورفع المكانة . ويسرنى أن أكتب إليكم وإلى السادة رجال الأزهر بأجمل الشكر مقرونا بأطيب التمنيات .

جمال عبد الناصر

## جامعة شيلى

تمنح الأستاذ الأكبر درجة زميل فخرية

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر الدكتور ماركوس دى باريبار ممثل أكاديميه العلوم السياسيه والإدارية بجامعة شيلى وقد جاء الدكتور ليقدم لفضيلة الأستاذ الأكبر درجة الزمالة الفخرية من الأكاديمية تقديرا لجهود فضيلته العلمية التى يبذلها خدمة للعلم وقصدا لتوجيه الناس إلى المبادئ الإنسانية القويمة التى اشتمل عليها الإسلام الحنيف ، ولقد حيا الدكتور ماركوس فضيلة الأستاذ الأكبر تحية عميقة ملؤها الاحترام والتقدير قائلا : إن تحيتى إليكم إنما هى تحية الأكاديمية الكبرى فى شيلى ؛ تحية العلم والمعرفة والخبرة وقوة البحث ، إن من ورائى من جامعة شيلى يحييكم أعمق من تحيتى إليكم وأقوى من تقديرى

لكم وإنه لشرف عظيم أعطته لى الأكاديمية لأقدم للأستاذ الأكبر عضوية الشرف لأكاديمية العلوم السياسية والإدارية ، كما كان لى عظيم الشرف فى أن أكلف بأن أكتب بحثا عن الجامعة الأزهرية ينشر فى شيلى ويكون محل دراسة وبحث .

كما سأعد مقالا أنشره فى جريدة ميركيريو التى هى أوسع الصحف الشيلية انتشارا .

وهنا قال فضيلة الأستاذ الأكبر : يأخى حياك الله وحيا لك ما بذلت من جهد ومشقة إيمانا منك وممن وراءك بحق العلم والعلماء .

والجماعات البشرية والأمم والدول تترابط بروابط السياسة والاقتصاد والجنس وروابط أخرى كثيرة ولكن أقوى هذه الروابط كلها وأسماها وأبقاها على الزمن وأوثقها صلة وأكثرها إنتاجا إنما هى روابط العلم .

وإنى لأشكركم وأشكر أعضاء الأكاديمية جميعا على هذا التقدير الشخصى الذى قد يكون من الدوافع التى تدفعنى لمضاعفة الجهد فى البحث والإنتاج بحثا يؤكد أواصر الود بين العلماء على أننى أرفع درجة هذا التقدير إلى درجة أعلى وأسمى من ذلك فأسميه تعاونا واتحادا يبنى جيلا ترفرف عليه رايات السلام ويحفه الإنتاج والرخاء .

إن العلم رحم بين أهله لأنه يوحد الناس جميعا ويربط بين العقل والعلم وكم كنت أتمنى أن نكون أسبق منكم فى البدأ بهذا التواصل وذلك الود الذى يدعم الصلات العلمية ولكنه حظكم جعلكم أسبق فى هذا المضمار الذى يعتبر السبق فيه شرفا لا يعد له شرف .

ثم قال الدكتور : وأنا فخور بأن أكون قنطرة لتوصيل الصلات العلمية .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : كل الذين يدعون إلى سلام دائم وأمن مقيم يمدون القناطر بينهم وبين غيرهم والإسلام يدعو إلى السلام والأمن ويقيم وشائج المحبة بين الناس وأنت اليوم قنطرة بين أشخاص ولكنها مع هذا تعتبر صلة وثيقة بين دول وقارات برباط من أقوى الرباط لا تنفصم عراه ولا تفك روابطه .

وتلك ذخيرة تحفظها الجامعة شيلى وهيئاتها العلمية باعتبارها تقديراً للهيئات العلمية ونسجل أن الاختلاف فى الدين لم يمنعها من أن تمد يدها للأزهر حصن الدين المكين واللغة العربية لغة القرآن والسنة .

فقال الدكتور : إننى أشعر بالفخر لأننى سأنقل الكلمات العظيمة والمبادىء السامية التى أدلى بها الأستاذ الأكبر لشيلى والمسلمين جميعاً .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر بلغهم تحياتى وليعلموا أن الإسلام ينظر إلى العلم باعتباره فكرة بقطع النظر عن الدين ، ولقد رفع الله شأن العلماء وأعلى من قدرهم فجعل لهم

روحانية خاصة حتى أن القرآن ليذكر العلماء بعد ذكر الله والملائكة، قال تعالى: « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » . لأنه من الألوهية خلق العالم والعلماء ينظمون الخلق وبهذا يكون الالتقاء عند ناحية خاصة هي الروحية المنظمة .

ويسرني جداً أن تتبادل جمهورية شيلى مع جمهوريتنا العربية المتحدة في عهد البطل الشاب المؤمن القوى رجل السلام جمال عبد الناصر - أن تتبادل الجمهوريتان نواحي العلم والتثقيف كما آمل أن نقدم لهم قريبا ما نؤكد به ودنا العلمي رداً على ما بدءونا به إن شاء الله .

فقال الدكتور ماركوس: إن جالية عربية كبرى في شيلى اختلطت بهم ومنهم العلماء والأطباء والمهندسون ويذكرون الأزهر بأنه الموجه الأول في العالم الإسلامي أفلا ترون فضيلتكم أن تمدوا إليهم يد العون الثقافي ؟

فقال الأستاذ الأكبر: أنت سترى قريبا هذا التبادل وهذا العون، سترى علماء الأزهر مختلطين بالشيليين، وقد أدخلت اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وستدخل الأسبانية وخاصة لأنه بيننا وبين الأسبانيين وشائج وصلات علمية وثيقة ولو كان في وقتكم سعة لأطلعناكم على بعض الكتب التي تدرس في الأزهر كأثر من آثار أسبانيا، فالفقهاء الذين ألفوا لهم عندنا إنتاج عظيم والأدباء كذلك، فالرباط بيننا قوى ومن ثم لا تعجب لقوة الصلة بيننا وبينكم .

فقال الزائر: لكم كنا نود أن نجلس معكم كثيرا ولكن حرصنا على وقتكم يجعلنا نحافظ عليه شاكرين لكم مقدرين لجهودكم والأمل كبير في أن نرى علماء الأزهر في شيلى يوجهون إخوانهم المسلمين وعددهم كثير جداً يتطلعون إليكم وإلى علمكم وتوجيه الأزهر .

وكان يقوم بالترجمة الأستاذ عبد القادر حافظ مدير شئون أمريكا اللاتينية في مصلحة الاستعلامات .

وقد انصرف الزائر شاكراً حسن اللقاء .

---

## تعاون الأزهر ووزارة الأوقاف

### على إحياء شهر رمضان بالبلاد العربية والإســـلامية

رغبة في تنسيق العمل بين الجامع الأزهر ووزارة الأوقاف، بشأن الوعاظ والقارئين الذين سيذهبون إلى البلاد العربية الإسلامية لإحياء شهر رمضان المبارك تم الاتفاق بين السيد وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر على

تكوين لجنة برياسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر ويمثل الازهر في هذه اللجنة .

١ — السيد الدكتور محمد البهى
مدير الثقافة الإسلامية

٢ — السيد الأستاذ الشيخ عبد الله المشد
مدير الوعظ

ويمثل وزارة الأوقاف :

١ — السيد الأستاذ البهى الخولى
مراقب الشئون الدينية

٢ — السيد الشيخ سيد سابق
مدير الإدارة الثقافية

على أن تختار هذه اللجنة المبعوثين إلى البلادالعربية والإسلامية وأن تضع لهم المنهاج الذى سيسيرون عليه ويعتمد قراراتها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

## قرارات

أصدر فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر القرار الآتى تدعيما للوعظ وتمكينا له من أداء مهمته وتنفيذ سياسة فضيلته فى الإصلاح :

أولا : إنشاء مكتب فنى لإدارة الوعظ والإرشاد من بين السادة المفتشين والوعاظ يختص بما يأتى .

(ا) الإشراف على مجلة نور الإسلام ورفع مستواها .

(ب) دراسة التخطيط العام والمفاسد المنتشرة والعادات الممقوته .

(ج) تلقى بحوث السادة المفتشين والوعاظ .

(د) صبغ موضوعات الدعاية للإدارات الثقافية الشعبية والخدمات فى وزارات الثقافة والإرشاد والشئون الاجتماعية والصحة ، والداخلية ، والزراعة ، بصبغة دينية والانتفاع بما لديها من وسائل النشر والدعاية .

(هـ) تتبع ما ينشر فى الكتب والصحف والمجلات والنشرات للرد على ما ينشر من طعون فى الإسلام ، وتوضيح ما اشتمل عليه من مبادئ سمحة فى العقائد والتشريع .

(د) إخراج دراسات إسلامية سهلة ميسرة لبعض المشكلات والشخصيات .

ثانيا : تكوين لجنة عليا للوعظ العام من بين الوعاظ الممتازين

ثالثا : تكوين لجنة عليا للصالحات .

رابعا : إنشاء دراسة سنوية تلقى فيها سلسلة من المحاضرات على السادة الوعاظ . والوعاظ .

خامسا : إجراء مسابقة تشجيعية للمفتشين والوعاظ .

سادسا : إعداد دفتر تحضير لكل واعظ ، حتى يكون تحت يد المفتشين .

سابعا : يسمح للوعاظ « بعد » إذن وزارة الشئون الاجتماعية بجمع التبرعات لإقامة « مكتب للوعظ والإرشاد

والثقافة الإسلامية ، فى كل عاصمة من عواصم المحافظات والمراكز ـ على أن يكون لهذه التبرعات صندوق خاص تشرف على حساباته إدارة الحسابات بالأزهر ويكون خاضعا لتفتيش وزارة الشئون الاجتماعية وديوان المحاسبة ، وعلى أن تودع التبرعات فى أحد المصارف .

هذا وقد أمر فضيلة الأستاذ الأكبر بنقل الوعاظ المقيدين على درجات تذكارية إلى درجات أصلية حتى يستفيدوا بذلك من الترقية والعلاوات الدورية فى مواعيدها المحددة وضم مدة خدمتهم السابقة كما أمر فضيلته بالكتابة إلى من لم يكن قد استوفى الاجراءات القانونية لتقديمهم إلى إدارة المستخدمين فى مدى أسبوع وذلك لتمكينهم من أداء أعمالهم على وجه يحقق المصلحة العامة .

كما أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر قرارا بندب الأستاذ أحمد عبد المعطى نصار المدرس بمعهد القاهرة مديراً لمكتبه .

كما وافق فضيلته على حركة الترقيات الآتية :

إلى الدرجة الأولى الأستاذ الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد .

وإلى الدرجة الثالثة الأساتذة المدرسين

١ — أحمد أبو العلا حسين

٢ — إبراهيم حسن قنديل

٣ — عبد اللطيف محمود امبابى

والأساتذة المراقبين .

١ — أحمد محمد النحراوى

٢ — بيومى الشوشى

٣ — محمود عطية

وإلى الدرجة الرابعة الأساتذة المدرسين .

١ — حسن شلبى

٢ — أبو زيد سليمان

٣ — عبد العليم محمد شعيب رزق

والأساتذة المراقبين .

١ — محمد محمد بركات سلامة

٢ — أبو العلا طه

٣ — اسماعيل جمال الدين

وإلى الدرجة الخامسة الأساتذة المدرسين .

١ — عبد الحميد محمد على ندا

٢ — عبد المولى عبد العزيز هلول

٣ — محمد أحمد شحاته نوفل

والأساتذة المراقبين .

١ — على اسماعيل محمد اسماعيل

٢ — أحمد محمود أبو حسين

٣ — ابراهيم محمد ابراهيم بدير

وإلى الدرجة الخامسة الكتابية الأساتذة .

١ — السيد حسين سرحان الديب

وإلى الدرجة السادسة الكتابية